كتاب الأغاني

تأليف

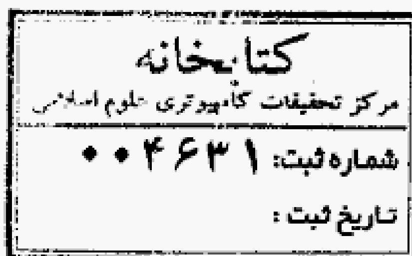
أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م)

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي





الجزء الخامس

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



دار احياء التراث العربي

طبعة جديدة مصححة

الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥/١٤ هجرية

بيروت – لبنان – بناية كليوبترا – شارع دمشق – ص.ب. : ١١/٧٩٥٧
تلفون المستودع [illegible] المنزل [illegible]
[illegible]

Beyrouth - Liban - Imm. Cléopatre - Rue Dakkache - B. P. 11/7957
Tél. Dépôt 274696, 271032, 278766 – Domicile [illegible]
Télégr. ALTOURAS – Telex [illegible] LE

/ بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس

من كتاب الأغاني

ذكر النابغة الجَعْدي ونسبه وأخباره [١/٥]

والسبب الذي من أجله قيل[١] هذا الشعر

نسبه وكنيته:

هو ـ على ما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ والقَحْذَميّ، وهو الصحيح، ـ حِبّان[٢] بن قيس بن عبدالله بن وَحْوَح بن عُدَس[٣] ـ وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح ـ ابن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. هذا النسب الذي عليه الناس اليومَ مجتمعون. وقد روى ابن الكَلْبيّ وأبو اليَقْظان وأبو عُبيدة وغيرُهم في ذلك رواياتٍ تُخالف هذا، فمنها أن [ابن][٤] الكلبيّ ذكر عن أبيه أن خَصَفه الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا، وأن عِكْرِمة ابنُ قيس بنِ عَيْلان وخَصَفة أمه، وهي امرأة من أهل هَجَر. وقيل: / بل هي حاضنته؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات [٢/٥] وعِكْرِمة صغير فربّته حتى كبِر، وكان قومه يقولون: هذا عكرمة بن خَصَفة، فبقيت / عليه؛ ومن لا يعلم يقول: $\frac{١٢٩}{٤}$ عكرمة بن خَصَفة بن قيس، كما يقال خِنْدِف[٥]، وإنما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر. وقالوا في صَعْصَعة بن

---

(١) في م: «قال» والمراد بهذا الشعر ما ورد في آخر الجزء الرابع من هذه الطبعة ونسب للنابغة.

(٢) كذا في «أسد الغابة» (ج ٥ ص ٢) و «خزانة الأدب» (ج ١ ص ٥١٢) «والإصابة» (ج ٦ ص ٢١٨) «والاستيعاب» (ج ١ ص ٣٢٠). وفي جميع الأصول: «حسان».

(٣) عدس: هو بضم العين وفتح الدال، وكذا ضبط كل من اسمه عدس في العرب إلا عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم فهو وحده بضم العين والدال. (راجع «مختلف القبائل ومؤتلفها» لابن حبيب ص ٤ طبع أوروبا).

(٤) التكملة عن م.

(٥) خندف (كزبرج) هي ليلى بنت حلوان بن عمران زوج إلياس بن مضر، وأولادهما: عمرو وهو مدركة وعامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة، وزعموا أن سبب هذه التسمية أن إلياس خرج مرة في نجعة فنفرت إبله من أرنب، فخرج إليها عمرو فأدركها، وخرج عامر فتصيدها وطبخها، وانقمع عمير في الخباء، وخرجت أمهم ليلى تسرع، فقال لها إلياس: أين تخندفين؟ فقالت: ما زلت أخندف في أثركم. فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف فذهب لها اسماً ولولدها نسباً («شرح القاموس» مادة خندف).

معاوية: إن الناقمية[١] بنت عامر بن مالك، وهو الناقم، سُمّي بذلك لأنه انتقم بلطمةٍ لُطِمها، وهو ابن سعد[٢] بن [٥/٣] / جَدّان[٣] بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوازن فمات عنها أو طلّقها وهي نسء[٤]، فتزوّجها سعد بن زيد مَناة بن تميم، فولدتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية، ثم ولدت هُبَيْرة ونَجْدَة وجُنَادة؛ فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراثَ وأخرجوا صعصعة منه، وقالوا: أنت ابن معاوية بن بكر؛ فلما رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقرّوا بنسبه ودفعوه عن الميراث؛ فلما رأى ذلك أتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانيّ فشكا إليه ما لقِي، فزوّجه بنتَ أخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب، وأبوها عامر الذي يقال له: ذو الحِلْم[٥]؛ وعَمْرة ابنتُه هذه هي التي كانت تَقرَع[٦] له العصا إذا سها في الحكم؛ وله[٧] يقول الشاعر[٨]:

لِذي الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقرَعُ العصا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا لِيَعْلَمَا

قال: وكانت عَمْرَة يوم زوّجها عمُّها نسئاً من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافِق بن العاصي الأزْديّ، والمُلْك يومئذ في الأَزْد، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة، فسمّاه صعصعةُ عامراً بجَدّه عامر بن الظَّرِب. وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن:

---

(١) في «شرح القاموس» مادة «نقم»: «والناقمية هي رقاش بنت عامر وبنوها بطن من عبد القيس نسبوا إلى أمهم. وقال ابن الأثير: هي أم ثعلبة وسعد ابني مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بها يعرفون. وقال الكلبي: تزوج غنم بن حبيب بن كعب بن بكر بن وائل الناقمية وهي رقاش بنت عامر وهي عجوز فقيل: ما تريد منها؟ فقال: لعلي أتعيز منها غلاماً فولدت منه غلاماً سمي عيز وأنشد الجوهري لسعد بن زيد مناة:

لقد كنت أهوى الناقمية حقبة ... فقد جعلت آسان وصل تقطع»

الآسان: جمع أسن بضمتين وبالكسر وتسكين السين وكعتل: الحبل. وكتب مصحح «شرح القاموس» بهامشه ما نصه: «قوله: أتعيز كذا بالنسخ وحرره» ولم نجد هذه الكلمة في مادتها في الكتب التي بين أيدينا؛ وقد استقصيناها فوجدنا صوابها في «شرح القاموس» في مادة «غبر» حيث قال: «وتزوّج غنم (وفي «القاموس» عثمان وهو غلط) بن حبيب بن كعب بن بكر بن يشكر بن وائل امرأة مسنة اسمها رقاش بنت عامر فقيل له: إنها كبيرة السن! فقال: لعلي أتغبر منها ولداً أي أستفيده فلما ولد له سماه غبر كزفر فهو أبو قبيلة» اهـ.

وجاء في «لسان العرب» مادة «غبر» ما نصه: «تزوّج رجل من العرب امرأة قد أسنت فقيل له في ذلك فقال: لعلي أتغبر منها ولداً فولدت له غبر، مثل عمر، وهو غبر بن غنم بن يشكر بن بكر بن وائل، ومعنى أتغبر منها ولداً: أستفيد منها ولداً» اهـ. وقد ورد أيضاً في «المشتبه» للذهبي و «مختلف القبائل ومؤتلفها» لابن حبيب (ص ٢٣ طبع أوروبا): «غبر (بالغين المعجمة وبالباء الموحدة) ابن غنم بن حبيب بن معاذ بن عمرو بن الحارث بن معاوية بن بكر بن هوازن» اهـ.

(٢) كذا في «شرح القاموس» و «الصحاح» للجوهري (مادة نقم). وفي جميع الأصول: «مسعود».

(٣) كذا في «شرح القاموس» مادة جدد وكتاب «مختلف القبائل ومؤتلفها» (طبع أوروبا ص ٣) وهو قريب لما جاء في نسخة م من التصحيف فقد ورد فيها: «حدان» بالحاء المهملة. وفي سائر الأصول: «خندف» وهو خطأ.

(٤) النسء (بالتثليث): المرأة المظنون بها الحمل، وقيل: التي ظهر حملها.

(٥) كذا في م وهو الموافق لما جاء في «اللسان» و «القاموس» (مادة قرع) «ومجمع الأمثال» للميداني (طبع بولاق ج ١ ص ٣٢). وفي سائر الأصول: «الحكم» بالكاف وظاهر أنه تحريف.

(٦) قيل: إن أول من قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيعة أخو سعد بن مالك الكناني، وقيل: خالد بن ذي الجدّين حكم ربيعة، وقيل: هو ربيعة بن مخاشن حكم تميم، وقيل: هو عمرو بن حممة الدوسي حكم اليمن. (راجع «شرح القاموس» مادة قرع و «مجمع الأمثال» للميداني).

(٧) كذا في م. وفي باقي الأصول: «ولهما يقول الشاعر».

(٨) نسب هذا البيت في «اللسان» و «شرح القاموس» (مادة قرع) إلى المتلمس.

[٤/٥]
/ أزعمتَ أنّ الغافقيّ أبوكم ... نسبٌ لَعَمْرُ أبيك غيرُ مُفَنَّدِ[١]
وأبوكم مِلكٌ يُنَتِّفُ باسته ... هَلْباء[٢] عافيةً كعُرف الهُدْهُدِ
جَنَحتْ عجوزُكُمُ إليه فردّها ... نشْأً بعامركم ولمّا يُويدِ

ويكنى النابغةُ أبا ليلى.

وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سلاّم قال:

هو قيس بن عبدالله بن عُدَس بن ربيعة بن [جَعدة[٣] بن كعب بن ربيعة بن عامر بن] صعصعة. وقال ابن الأعرابيّ: هو قيس بن عبدالله بن عمرو بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة، ووافق ابنَ سلاّم في باقي نسبه[٤]. وهذا وَهْمٌ ممّن قال: إن اسمه قيس[٥]؛ وليس يُشكّ في أنه كان له أخ يقال له وَحْوَح بن قيس، وهو الذي قتله بنو أسد؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة.

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شِحْنة الأسَديّ.

سبب لقبه النابغة:

وإنما سمّي النابغةَ لأنه أقام مدّةً لا يقول الشعر ثم نبَغ فقاله.

[٥/٥]
/ أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على القَحْذَميّ:

قال الجعديّ الشعرَ في الجاهلية ثم أَجْبَلَ[٦] دهراً ثم نَبغ بعدُ في الشعر في الإسلام.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار عن محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

أقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلّم، ثم تكلّم بالشعر.

عمره وشعره فيه:

قال القَحْذَميّ في رواية حمّاد عنه: كان الجعديّ أسنّ من نابغة بني ذُبيان.

---

(١) مفند: مكذب.
(٢) هلباء: كثيرة الشعر، يقال: رجل أهلب وامرأة هلباء. والهلباء صفة غالبة على الاست. وعافية: طويلة الشعر غزيرته، يقال: عفا شعر البعير إذا طال وكثر فغطى دبره، وفلان عفا شعره وأعفاه: تركه حتى طال وكثر.
(٣) التكملة عن م «وطبقات الشعراء» لابن سلام (ص ٢٦ طبع ليدن).
(٤) كذا في م. وفي سائر النسخ: «في بعض نسبه».
(٥) ورد في كتاب «المعمرين» لأبي حاتم السجستاني (ص ٧١ طبع ليدن) أن اسمه قيس بن عبدالله. وقد استدل المؤلف على بطلان قولهم بأن له أخاً يسمى وحوح بن قيس، وإذا فقيس اسم أبيه لا اسمه. قال في الإصابة: «ويحتمل أن يكون أخاه لأمه». ولعل مصدر هذا الاحتمال قول النابغة:

ألم تعلمي أنّي رزئت محاربا ... فما لك منه اليوم شيء ولا ليسا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح ... وكان «ابن أمّي» والخليل المصافيا

والتعبير عن الأخ بابن الأم يحتمل معه أن يكون الأخوان لأب واحد أو لأبوين. وذكر ابن قتيبة في كتابه «طبقات الشعراء» (ص ١٥٨ طبع ليدن) ما نصه: «هو عبدالله بن قيس من جعدة... إلخ».
(٦) أجبل الشاعر: صعب عليه القول.

قال ابن سلاّم في رواية أبي خَليفة عنه: كان الجعديّ[١] النابغةُ قديماً شاعراً طويلاً مُفلِقاً طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من الذُّبيانيّ؛ ويدُلّ على ذلك قولُه:

ومن[٢] يكُ سائلاً عنّي فإنّي ... من الفِتيان أيامَ الخُنَانِ[٣]

/ أتت مائةٌ لعامَ وُلِدتُ فيه ... وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجّتَان

١٣٠/٤

فقد أبقتْ خطوبُ الدّهر منّي ... كما أبقتْ من السيفِ اليَمَاني

[قال[٤] وعُمِّر بعد ذلك عُمراً طويلاً. سُئل محمد بن حبيب عن أيام الخُنان ما هي؟ فقال: وقعةٌ لهم؛ فقال قائل منهم وقد لقُوا عدوّهم: خُنُّوهم[٥] بالرماح، فسُمّيَ ذلك / العامُ الخُنانَ. ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبيانيّ أنه عُمِّر مع المُنذر بن المُحرِّق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبيانيّ مع النعمان بن المنذر وفي عصره، ولم يكن له قِدَمٌ إلا أنه مات قبل الجَعْديّ، ولم يُدرِك الإسلام. والجعديّ الذي يقول:

[٦/٥]

تَذكّرتُ شيئاً قد مضَى لسبيلِه ... ومِن عادةِ المحزونِ أن يَتَذكّرَا

نَدَامايَ عند المُنذرِ بنِ مُحرِّقٍ ... أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرَا

كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وجوهَهم ... دنانيرُ ممّا شِيفَ[٦] في أرضِ قَيصَرا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني عبدالله بن محمد بن حكيم عمن كان يأخذ العلمَ عنه ولم يُسمِّ إليّ أحداً في هذا[٧]: أن النابغة عُمِّر مائة وثمانين سنة، وهو القائل:

لِبِستُ أُناساً فأفنيتُهم ... وأفنيتُ بعد أناسٍ أناسَا

ثلاثةَ أهلِينَ أفنيتُهم ... وكان الإلَهُ هُوَ المُسْتآسَا[٨]

وهي قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء:

صوت

وكنتُ غلاماً أُقاسي الحُرو ... بَ يَلْقى المُقاسون منّي مِرَاسَا

فلمّا دَنَوْنا لجَرْسِ[٩] النُّبا ... حِ لم نعرفِ الحيَّ إلا التماسَا

---

(١) عبارة ابن سلام في كتابه «طبقات الشعراء» (ص ٢٦): «وكان النابغة شاعراً قديماً مفلقاً في الجاهلية والإسلام وكان... إلخ».

(٢) ورد هذا الشطر في كتاب «الشعر والشعراء» (ص ١٦٢) «وشرح القاموس» مادة خنن هكذا:

* ومن يحرص على كبري فاني *

(٣) الخنان (كغراب): داء يأخذ الطير في حلوقها وفي العين وزكام للإبل، وزمن الخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء، قال الأصمعيّ: كان الخنان داء يأخذ الإبل في مناخرها وتموت منه، فصار ذلك تاريخاً لهم.

(٤) هذا الخبر الموضوع بين قوسين مذكور في س، م دون سائر الأصول.

(٥) خنوهم: اقطعوهم.

(٦) كذا في «جمهرة أشعار العرب»، وشاف الدينار أو السيف: جلاه. وفي م، س المذكور فيهما هذا الخبر: «سيق» بالسين والقاف، وهو تحريف.

(٧) كذا في م. وفي باقي الأصول: «ولم يسم أحداً إلا في هذا».

(٨) المستآس: المستعاض والمستعان، من الأوس، وهو العوض والعطية.

(٩) جرس النباح: صوت نباح الكلاب.

أضـــاءتْ لنـــا النّـــارُ وجهـــاً أغَـــرّ مُلتبســـاً بـــالفُـــؤادِ ٱلْتِبـــاسَـــا

غنّى في هذه الثلاثة الأبيات فُلَيح بن أبي العَوْراء خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى.

/ رجع الخبر إلى رواية عمرَ بن شبّة: [٧/٥]

قال: وقال أيضاً:

ألا زعمـــتْ بنُـــو سعـــدٍ بـــأنّـــي ـ ألاَ كـــذَبـــوا ـ كبيـــرُ الســـنّ فـــانِـــي

أتـــتْ مـــائـــةٌ لعـــامَ وُلـــدتُ فيـــه وعشـــــرُ بعـــــد ذاك وحِجّتـــــانِ

قال: وأنشد عمرَ بنَ الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياتَه التي يقول فيها:

* ثلاثة أهلين أفنيتهم *

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: كم لبِثت مع كل أهل؟ قال: ستين سنة.

سمع أعجميّ بشعره فقال إنه مشؤوم:

وأخبرني بعض أصحابنا عن أبي بكر بن دُريد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال:

أُنشِد رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعديّ:

لبِســـتُ أُنـــاســـاً فـــأفنيتُهـــم وأفنيـــتُ بعـــد أُنـــاس أنـــاسَـــا

قيل إنه عاش ٢٢٠ سنة:

وفُسِّر له، فقال: «بدِين شان بوده»، أي هذا رجل مشؤوم. وأما ابن قُتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عُمّر مائتين وعشرين سنة، ومات بأصبهان. وما ذاك بمُنكَر؛ لأنه[١] قال لعمر رضي الله تعالى عنه: إنه أفنى ثلاثة قرون كلّ قرن ستون سنة، فهذه مائةٌ وثمانون، [ثم عمِّر[٢] بعده فمكث بعد قَتْل عمر خلافةَ عثمان وعليّ ومعاوية ويزيد، وقدِم على عبدالله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه، فاستماحه ومدَحه؛ وبين عبدالله بن الزبير وبين عمر] نحوٌ مما ذكر ابنُ قتيبة؛ بل / لا أشك أنه قد بلَغ هذه السنّ وهاجى أَوْسَ بن مَغْراء بحضرة الأخطل والعَجّاج وكعب بن جُعَيل فغلبه أوسٌ، وكان مُغَلَّباً[٣]. [٨/٥]

أنشد النبي شعراً فدعا له:

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القَطّان المعروف بابن زَنْجَوَيْهِ قال حدّثنا إسماعيل بن عبدالله السكّريّ قال حدّثنا يَعْلَى بن الأَشْدق العُقَيليّ قال حدّثني نابغة بني جَعْدة قال:

أنشدتُ النبيّ ﷺ هذا الشعرَ فأُعجِب به:

(١) كذا في م. وفي باقي الأصول: «إلا أنه... إلخ» وهو تحريف.

(٢) هذا ما ورد في م. وفي باقي الأصول: «ثم عمر بعدهم فمكث بعد قتل عمر إلى خلافة عثمان... ... وبين هؤلاء وعمر نحو... ... إلخ».

(٣) يقال: شاعر مغلب أي كثيراً ما يغلب.

بلغنا السماء مَجدُنا وجدودُنا[١] وإنا لنَبْغي فوقَ ذلك مَظْهَرَا

١٣١/٤ / فقال النبيّ ﷺ: «فأين المَظْهرُ يا أبا ليلى»؛ فقلت: الجنة؛ فقال: «قل إن شاء الله»؛ فقلت: إن شاء الله.

ولا خَيرَ في حِلْمٍ إذا لم يكن له بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حَليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا

فقال النبيّ ﷺ: «أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللّهُ فاك»؛ قال: فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفضّ من فِيه سِنّ.

أنكر الخمر في الجاهلية وهجر الأزلام والأوثان:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبيدة قال:

[٩/٥] / كان النابغة الجَعْديّ ممن فكّر في الجاهلية وأنكر الخمرَ والسُّكر وما يفعل بالعقل، وهَجر الأزلام[٢] والأوثان[٣]، وقال في الجاهلية كلمتَه التي أوّلها:

الحمد لله لا شريكَ لَهُ من لم يقُلْها فنفسَه ظَلَمَا

وفد على النبي وأسلم:

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفيّة، ويصوم ويستغفِر، ويتوقّى[٤] أشياء لعواقبها. ووفَد على النبيّ ﷺ فقال:

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدى ويتلو كتاباً كالمَجَرّة[٥] نَيِّرَا

وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومن معي سُهَيْلاً إذا ما لاح ثُمَّتَ غَوَّرَا

أُقيم على التقوى وأرضى بفعلها[٦] وكنتُ مِنَ النارِ المَخُوفةِ أَوْجَرَا[٧]

وحسُن إسلامُه، وأنشد النبيّ ﷺ؛ فقال له: «لا يَفْضُضِ اللّهُ فاك»؛ وشهِد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صِفِّينَ. وقد ذُكِر خبره [مع عمر رضي الله عنه[٨]؛ وأما خبره] مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال مَسْلَمة بن مُحارِب:

(١) في «جمهرة أشعار العرب» (طبع مطبعة بولاق الأميرية):

بلغنا السماء مجداً وجوداً وسودداً وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وفي «اللسان» (مادة ظهر):

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ....

(٢) الأزلام: قداح كانت في الجاهلية مكتوب عليها الأمر والنهي: افعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، فإذا أراد أمراً مهماً من سفر أو زواج، أدخل يده فأخرج منها زلماً (الزلم بفتحتين أو بضم ففتح) فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهي كف عنه ولم يفعله.

(٣) الوثن: الصنم ما كان، وقيل: الصنم الصغير، وقال ابن الأثير: الوثن كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدميّ تعمل وتنصب فتعبد، والصنم: الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين.

(٤) كذا في م. وفي باقي الأصول: «يتوقع»، وهو تحريف.

(٥) المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء.

(٦) كذا في م وهو الموافق لما في «الإصابة». وفي باقي الأصول: «بفعله».

(٧) أوجر: خائف، يقال: وجر من الشيء إذا خاف، وبابه كفرح، والوصف منه وجر وأوجر.

(٨) التكملة عن م.

/ استأذن عثمان في سكنى البادية : [٥/١٠]

دخل النابغة الجعديّ على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال: أستودعك اللّهَ يا أمير المؤمنين؛ قال: وأينَ تريد يا أبا ليلى؟ قال: ألْحَقُ بإبلي فأشرَبُ من ألبانها فإني مُنكِر لنفسي؛ فقال: أتعَرُّباً[١] بعد الهجرة يا أبا ليلى! أمَا علمتَ أن ذلك مكروه؟! قال: ما علمتُه، وما كنت لأخرج حتى أُعلِمَك. قال: فأذِن له، وأجّل له في ذلك أجلا؛ فدخل على الحسن والحسين ابني عليّ فودّعهما؛ فقالا له: أنشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى؛ فأنشدهما:

الحمــدُ لله لا شــريـكَ لــهُ مــن لــم يقُلْهــا فنفسَــه ظلَمَــا

فقالا: يا أبا ليلى، ما كنا نروِي هذا الشعرَ إلا لأُميّة بن أبي الصّلت؛ فقال: يابنيْ رسول الله ﷺ إني لصاحبُ هذا الشعر وأوّل من قاله، وإن السَّرُوق[٢] لمَن سرَق شعرَ أمية.

كان مغلباً ما هاجى قط إلا غلب:

قال أبو زيد عمرُ[٣] بن شَبَّة في خبره:

كان النابغة شاعراً متقدّماً، وكان مغلَّباً ما هاجى قطّ إلا غُلِب، هاجى أوسَ بن مَغْراء وليلى الأخيلية وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعاً.

مهاجاته أوس بن مغراء :

وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: كان بدءُ حديث النابغة وأوس بن مغراء أنّ معاوية لما وجّه بُسْرَ بن أَرْطَاة[٤] الفِهْريّ لقتل شيعة عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، / قام إليه معنُ بن يزيد بن الأخنَس السُّلَميّ وزياد بن الأشهب بن [٥/١١] وَرْد بن عمرو بن رَبيعة بن جَعْدة، فقالا: يا أمير المؤمنين، نسألك بالله وبالرحم ألاّ تجعل لبُسْر على قيس سلطاناً، فيقتل[٥] قيساً بمن قتلتْ بنو / سُلَيم من بني فِهْر وبني كِنَانة يومَ دخل رسول الله ﷺ مكة؛ فقال معاوية: يا بُسر لا أمْرَ[٦] لك على قيس؛ وسار بسرٌ حتى أتى المدينة، فقتَل[٧] ابْني عُبيد الله بن العباس، وفرّ أهل المدينة ودخلوا الحرّة (حرّةَ بني سُلَيم). ثم سار بُسر حتى أتى الطائف؛ فقالت له ثَقيف: ما لك علينا سلطان، نحن من قيس؛ فسار حتى أتى هَمْدان وهم في جبل لهم يقال له شِبَام، فتحصّنت فيه همدان، ثم نادَوْا: يا بُسر نحن هَمْدان وهذا شِبَام، فلم يلتفت إليهم؛ حتى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم؛ فكنّ أوّلَ مسلمات سُبِينَ في [١٣٢/٤]

(١) يقال: تعرّب الرجل: صار أعرابياً بعد أن كان عربياً وفي الحديث: ثلاث من الكبائر: منها التعرّب بعد الهجرة وهو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً.

(٢) في م: «إن السروق عين السروق من...».

(٣) في الأصول: «قال أبو زيد قال عمر... إلخ» بزيادة «قال» وهو خطأ، إذ أبو زيد كنية عمر بن شبة. وفي م: «قال أبو زيد في خبره» دون «عمر بن شبة».

(٤) في «أسد الغابة» «وقيل: ابن أبي أرطاة» ومثله في «طبقات ابن سعد». وفي «الاستيعاب»: «بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة» وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب مدداً لعمرو بن العاص لفتح مصر وشهد صفين مع معاوية وكان شديداً على عليّ وأصحابه.

(٥) كذا في م. وفي باقي الأصول: «فيجعل قيساً...» وهو تحريف.

(٦) في م: «لا إمرة على قيس... إلخ».

(٧) في الطبري «والمعارف» لابن قتيبة أن قتلهما كان باليمن، وقد كان أبوهما والياً عليها من قبل عليّ، فلما بلغه مسير بسر فرّ إلى الكوفة، فكان من أمر ابنيه الطفلين ما ذكر.

الإسلام. ومرّ بحيّ من بني سعد نُزُولٍ بين ظَهْرَيْ بني جَعْدة بالفَلَج[١]، فأغار بُسْر على الحيّ السّعديّين فقتل منهم وأسَر؛ فقال أوْس بن مَغْراء في ذلك:

مُشِـرِّيـن تـرعَـوْن النَّجيـل وقـد غَـدتْ   بـأوصـال قَتْـلاكـم كِـلابٌ مُـزاحِـمِ

ـ المُشِرّ: الذي قد بسَط ثوبه في الشمس. والنجيل: جنس من الحَمْض ـ فقال النابغة يجيبه:

[٥/١٢] / متـى أكلـتْ لُحـومَكُـم كِـلابـي   أكلْـتَ يـديـك مـن جَـرَبٍ تَهَـامِ[٢]

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب مما أجاز لنا روايتَه عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلاّم الجُمَحيّ عن أبي الغَرّاف، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر، قالا حدّثنا عمر بن شَبّة [عن محمد[٣] بن سلاّم] عن أبي الغَرّاف[٤]:

أن النابغة هاجى أوسَ بن مَغْراء؛ قال: ولم يكن أوس مثلَه ولا قريباً منه في الشعر؛ فقال النابغة: إني وإياه لَنبتَدِر بيتاً، أيُّنا سبَق إليه غَلب صاحبَه؛ فلما بلَغه قولُ أوس:

لَعَمْـرُكَ مـا تَبْلَـى سَـرابيـلُ عَـامـرٍ   مـن اللـؤم مـا دامـتْ عليهـا جلـودُهَـا

قال النابغة: هذا البيت الذي كنا نَبتدِر إليه. فغُلِّب أوسٌ عليه.

قال أبو زيد[٥]: فحدّثني المدائنيّ أنهما اجتمعا في المِرْبَد[٦] فتنافرا وتهاجيا، وحضَرهما العَجّاجُ والأخطل وكعب بن جُعَيل، فقال أوْس:

[٥/١٣] / لمّـا رأتْ جَعـدةُ منـا وِرْدَا[٧]   ولَّـوْا نَعـامـاً فـي البـلاد[٨] رُبْـدَا[٩]

إنّ لنـا عليكُـم مَعَـدّا[١٠]   كـاهلَهـا وركنَهـا الأشَـدّا

---

(١) الفلج (بالتحريك): موضع لبني جعدة بن قيس بنجد، وهو في أعلى بلاد قيس، وفيه قال الراجز:

نحـن بنـو جعـدة أربـاب الفلـج   نضـرب بـالبيـض ونـرجـو بـالفـرج

(راجع «معجم ما استعجم» ج ٢ ص ٧١٤).

(٢) تهام: منسوب إلى تهامة. ويجوز في النسبة إلى تهامة تهاميّ (بكسر التاء وتشديد الياء) وتهام (بفتح التاء وحذف الياء) كيمان وشآم، أي إذا فتحت التاء حذفت الياء. وقال سيبويه: ومنهم من يقول: تهاميّ ويمانيّ وشآميّ بالفتح والتشديد. والألف في تهام (بفتح التاء وحذف الياء) أصلية وفي يمان وشآم عارضة. وقيل: إن تهاميا (بتخفيف الياء) منسوب إلى تهم بمعنى تهامة، فلما حذفت إحدى الياءين عوّضت عنها الألف. وعلى هذا تكون الألف عارضة في الكل.

(٣) التكملة عن م. إذ لم نجد في المراجع التي بين أيدينا أنّ عمر بن شبة يروى عن أبي الغرّاف وإنما الذي يروى عنه هو محمد بن سلام.

(٤) كذا في م، ج (بالغين المعجمة)، وهو الموافق لما في «طبقات الشعراء» للجمحيّ ص ٨١ و«النقائض» ص ٢٤٠)، وهو أبو الغرّاف الضبيّ. وفي باقي الأصول: «العرّاف» بالعين المهملة، وهو تصحيف.

(٥) في م: «قال ابن دريد فحدّثني أبو زيد أنهما...».

(٦) المربد (كمنبر): موضع بالبصرة كان مجتمعاً للقوم.

(٧) الورد (بالكسر): الجيش، وهو أيضاً الإشراف على الماء وغيره دخله أو لم يدخله.

(٨) في م: «في الفلاة».

(٩) ربدا: جمع ربداء وهي من النعام ما كان لونها سواداً مختلطاً، وقيل: ما كان كله سواداً، وقيل: ما كان بين السواد والغبرة.

(١٠) معدّ: أبو حيّ من العرب. وإلى معد ينتسب أوس بن مغراء، وبهذا النسب يفخر على النابغة. وكاهل القوم: معتمدهم في الملمات وسندهم في المهمات، وهو مأخوذ من كاهل الظهر لأن عنق الفرس يتساند إليه إذا أحضر. قال الشاعر:

فقال العجاج:

* كل امرىءٍ يَغْدو بما استعدّا *

وقال الأخطل يُعين أوسَ بن مغراء ويحكّم له:

وإنـي لقاضٍ بيـن جعـدةِ عـامـرٍ وسَعـدٍ قضـاءً بيّـنَ الحـقّ فَيْصـلاَ
أبـو جعـدةَ الـذئـبُ الخبيـثُ طَعـامُـه وعَـوفُ بـن كعـبٍ أكـرمُ النـاس أوّلاَ

وقال كعبُ بن جُعَيل:

إنّـي لقـاضٍ قضـاءً سـوف يتبعـه مَـنْ أمَّ قَصْـداً ولـم يَعـدِل إلـى أَوَدِ[1]
فَصْـلاً مـن القـول تَـأْتَـمُّ القضـاةُ بـه ولا أَجُـور ولا أَبغِـي علـى أحـدِ
نـاكـت بنـو عـامـرٍ سعـداً وشـاعـرَهـا كمـا تَـنيك بنـو عَبْـس[2] بنـي أسـدِ

مهاجاته ليلى الأخيلية:

وقال أبو عمرو الشيبانيّ: كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيليّة وبين الجعديّ أنّ رجلاً / من قُشَير ـ يقال له ابن الحَيَا (وهي أمه) واسمه سَوّار بن أَوْفَى بن سَبْرة ـ هجاه وسبّ أخوالَه من أَزْد في أمرٍ كان بين قُشير وبين بني جَعْدة وهم بأصبهان / متجاورون، فأجابه النابغة بقصيدته التي يُقال لها الفاضحة ـ سُمّيت بذلك لأنه ذكر فيها مساويَ قُشير وعُقيل وكلّ ما كانوا يُسبّون به، وفخَر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيّين من قُشير وعُقيل ـ: [١٣٣/٤] [١٤/٥]

جَهِلـتَ علـيّ ابـنَ الحيـا وظلمتَنـي وجَمّعـتَ قـولاً جـاء بيتـاً مُضلّـلا

وقال في هذه القصّة أيضاً قصيدتَه التي أوّلها:

إمّـا تَـرَيْ[3] ظُلَـلَ الأيّـامِ قـد حَسَـرَتْ عنّـي وشَمّـرتُ ذَيـلاً كـان ذَيّـالاً[4]

وهي طويلة، يقول فيها:

= حصنيـن كـانـا لمعـدّ كـاهـلا ومنكبيـن اعتليـا التـلاتـلا

ويعني بالحصنين ربيعة ومضر وهما عمدة أولاد معدّ كلهم.

(١) الأود: العوج.

(٢) في م: «بنو عمرو».

(٣) هذا شرط جوابه في البيت الذي يلي هذا البيت وهو:

وعممتنـي بقـايـا الـدهـر مـن قطـن فقـد أنفـج ذا فـرقيـن ميـالا

وهذا البيت مذكور ضمن قصيدة طويلة في نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية بعنوان «شعر النابغة الجعدي» ضمن مجموعة تحت رقم ١٨٤٥ أدب.

(٤) ذيل ذيال: طويل.

ويـومَ مكّـةَ إذْ مـاجَـدْتُـمُ[١] نَفَـراً ... حَامَوْا[٢] على عُقَدِ الأحسابِ أَزْوَالاَ[٣]

عنـد النّجـاشـيّ إذ تُعطـون أيـديَكـم[٤] ... مُقـرَّنيـن ولا تـرجُـون إرسـالاَ

إذ تَستحِبُّـونَ[٥] عنـد الخـذْل أنّ لكـم ... مِـنْ آلِ جَعْـدة أعمـامـاً وأخـوَالاَ

لـو تستطيعـون أنْ تُلْقُـوا جُلـودكُـم ... وتجعلـوا جِلْـدَ عبـدالله سِـرْبـالاَ

ـ يعني عبدَالله[٦] بن جَعدة بن كعب ـ:

[١٥/٥] / إذاً تسـربَلْتُـم فيـه لِيُنجيكـم ... ممّـا يقـولُ ٱبـنُ ذي الجَـدّيـن إذْ قـالا

حتّـى وهَبتـم لعبـدالله صـاحبَـه ... والقـولُ فيكـم بـإذن اللّـهِ مـا قـالاَ[٧]

تلـك[٨] المكـارمُ لا قَعْبـانِ مِـن لَبـنٍ ... شِيبَـا[٩] بمـاءٍ فعـادَا بعـدُ أبـوالا

يعني بهذا البيت أن ٱبنَ الحَيَا فَخر عليه بأنهم سَقَوْا رجلاً من جَعدة أدركوه في سفر وقد جهِد عطشاً لبناً وماءً فعاش.

وقال في هذه القصّة أيضاً قصيدتَه التي أوّلها:

أبلـغ قُشَيـراً والحَـرِيـشَ[١٠] فمـا ... ذا ردّ فـي أيـديكـم شَتْمـي

وفخر عليهم بقتل عَلْقمة الجُعْفيّ يوم وادي نِسَاح[١١] وقتل شَراحِيل[١٢] بن الأصْهب الجُعْفيّ، وبيوم رَحْرَحان[١٣] أيضاً، فقال فيه:

(١) ماجدتم: فاخرتم وسابقتم في المجد.

(٢) يقال: حامي عن الشيء إذا دافع عنه، وحامى عليه إذا احتفل له. قال الشاعر:

حـامـوا علـى أضيـافهـم فشـووا لهـم ... مـن لحـم منقيـة ومـن أكبـاد

فيحتمل هنا أن يكون المراد المعنى الأوّل وتكون «على» بمعنى «عن»، أو المعنى الثاني ويكون معنى الاحتفال بعقد الأحساب (وهي الأواصر التي تربط ذوي الأرحام بعضهم ببعض) هو القيام بما تقتضيه من نصر من يتصل بهم والدفاع عنه.

(٣) أزوال: جمع زول، وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد.

(٤) إعطاء اليد: كناية عن الانقياد والمذلة. ومقرنين: مشدودين في القرن وهو الحبل.

(٥) كذا في النسخة المخطوطة المذكورة. وفي جميع الأصول: «تستحقون».

(٦) هو عبدالله بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خال النابغة الجعديّ (راجع النسخة المذكورة).

(٧) قال: أخطأ. وفي الأصول: «قال». ولعل ما رجحناه هو الصواب.

(٨) روى صاحب «العقد الفريد» هذا البيت ضمن أبيات لأبي الصلت والد أمية بن «أبي الصلت يمدح بها سيف بن ذي يزن مطلعها:

لـم يـدرك الثـأر أمثـال ابـن ذي يـزن ... لجـج فـي البحـر لـلأعـداء أحـوالا

(صوابه: ليطلب الثأر). ومثله في «معجم البلدان» لياقوت في كلامه على غمدان «والشعر والشعراء» في ترجمة أمية بن أبي الصلت (ص ٢٧٩ ـ ٢٨٢ طبع أوروبا) وابن جرير الطبري (طبع أوروبا قسم ٣ ص ٩٥٦).

(٩) شيبا: خلطا.

(١٠) كذا في س «الحريش» (بالحاء المهملة) وكذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطي في نسخته، وهو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفي باقي الأصول: «الجريش» بالجيم المعجمة، وهو تصحيف. (راجع «القاموس» و «شرحه» مادة حرش وكتاب «الاشتقاق» لابن دريد).

(١١) وادي نساح (بكسر النون): باليمامة.

(١٢) أو هو شرحبيل (عن «القاموس» مادتي شراحيل وشرحبيل).

(١٣) رحرحان: جبل قريب من عكاظ بخلف عرفات، قيل: هو لغطفان، وكان للعرب فيه يومان سيأتي كلام عليهما في هذا الجزء.

هَـلاّ[1] سـألـتَ بيـومَـيْ رَحْـرحـان وقـد ظَنّـتْ هَـوازنُ أنّ العِـزّ قـد زَالاَ

[١٦/٥

/ فلما ذكر ذلك النابغة قال:

تلـك المكـارم لا قَعْبـانِ مـن لبـن شِيبَـا بمـاءٍ فعـادا بعـدُ أبـوالاَ

فقخر بما لَه وغَضَّ مما لهم. ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت:

ومـا كنـتُ لـو قـاذفتُ[2] جـلّ عَشيرتـي لأذكـرَ قَعْبَـيْ حـازِرٍ[3] قـد تَثَمَّـلاَ

وهي كلمة[4]. فلما بلغ النابغةَ قولُها قال:

ألاَ حَيِّيـا ليلَـى وقُـولاَ لهـا هَـلاَ[5] فقـد رَكِبَـتْ أيْـراً[6] أغـرَّ مُحَجَّـلاَ

وقـد أكلـتْ بقـلاً وخيمـاً نبـاتُـه وقـد شَرِبـتْ مـن آخـر الصيف[7] أُيَّـلا[8]

ـ يعني ألبان الأُيَّل ـ.

[١٧/٥

/ دَعِـي عنـكِ تَهْجـاءَ الـرجـال وأقْبِلـي علـى أذْلَغِـيٍّ[9] يمـلأ استَـكِ فَيْشَـلاَ

١٣٤/٤

/ وكيـف أُهـاجِـي شـاعـراً رُمحـه استُـه خَضِيـبَ البَنـانِ لا يـزال مُكَحَّـلاَ

فردّت عليه ليلى الأخيليّة فقالت:

أنـابـغُ لـم تَنْبـغْ[10] ولـم تـكُ أوّلاً وكنـتَ صُنَيّـاً بيـن صُـدَّيْـن مَجْهَـلاَ[11]

(١) في النسخة المخطوطة: «نحن الفوارس يومي... إلخ».

(٢) كذا في كتاب «أشعار النساء» (تأليف أبي عُبيد الله محمد بن عمران المرزباني ج ٣ ص ٢ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ أدب ش). وفي الأصول: «فارقت».

(٣) كذا في حـ والحازر: اللبن الحامض. وفي ب وس: «خازر» (بالخاء المعجمة). وتمثل: صار كتلاً من الرغوة، والثمالة: الرغوة. (عن كتاب «أشعار النساء»).

(٤) المراد بالكلمة هنا القصيدة، يقال: قال الشاعر كلمة أي قصيدة.

(٥) هلا: كلمة زجر، تزجر بها الإناث من الخيل إذا أنزى عليها الفحل لتقر وتسكن.

(٦) كذا في كتاب «أشعار النساء». وفي جميع الأصول: «أمراً» بالميم، وظاهر أنه تحريف.

(٧) في م: «الليل».

(٨) كذا في حـ، م. والأيل (وزان سيد وميت): الذكر من الأوعال، أو هو ذو القرن الأشعث الضخم مثل الثور الأهليّ. والمراد: إذا شربت ألبانه، كما قال المؤلف. وكانوا يزعمون أن ألبان الأيل تغلم شاربها. قال أبو الهيثم: هذا محال، ومن أين توجد ألبان الأيايل! وذهب إلي أن الأيل (بضم الهمزة): الألبان الخاثرة، يقال: آل اللبن يزول أولاً وإيالاً إذا خثر فاجتمع بعضه إلى بعض، فالوصف للواحد آئل والجمع أيل، وقيل: إن اللبن الآئل مما يسمن ويغلم. واعترض على هذا التفسير بأن فعلا يكون جمعاً لفاعل إذا كان وصفاً لحيوان، فأجيب بأن ذلك هو الغالب الكثير. واعترض أيضاً بأنه كان ينبغي أن يكون أوّلاً، لأنه واوي العين؛ فأجيب بأن سيبويه أجاز الإعلال في مثله، نحو صيم وقيم في صوّم وقوّم. وقال أبو منصور في تفسير الأيل: «هو البول الخاثر بالنصب (يريد بفتح الهمزة) من أبوال الأروية إذا شربته المرأة اغتلمت». وفي سائر الأصول: «أبلا» بالباء الموحدة، وهو تصحيف.

(٩) الأذلغيّ (بالذال والغين المعجمتين): الضخم الطويل من الأيور، قيل: هو منسوب إلى أذلغ بن شدّاد من بني عبادة بن عقيل وكان نكاحاً. وفي الأصول: «أدلفيّ» بالدال المهملة والفاء، وهو تحريف، والتصويب عن «اللسان» «وشرح القاموس» في مادّة ذلغ وقد وضعه «القاموس» في مادة دلع (بالدال والعين المهملتين) وخطأه شارحه.

(١٠) نبغ في الشعر: أجاده، وهو بفتح عينه في الماضي وتثليثها في المضارع.

(١١) المجهل كمقعد: أرض لا يهتدي فيها، لا يثنى ولا يجمع.

ـ الصُّنَيّ: شِعْب صغير يسيل منه الماء. وصُدّان: جبلان ـ.

أنـابـغُ إن تَنْبـغ بلـؤمـك لا تجـدْ ... للـؤمـك إلّا وَسْـط جَعْـدة مَجْعَـلا

تُعيّـرنـي داءً بـأمّـك مثلُـه ... وأيّ حَصَـانٍ[1] لا يُقـال لهـا هَـلا

فغلبتْه. فلما أتى بني جعدة قولُها هذا، اجتمع ناس منهم فقالوا: والله لنأتينَ صاحبَ المدينة، أو أمير المؤمنين، فليأخذَنّ لنا بحقّنا من هذه الخبيثة، فإنها قد شتَمتْ أعراضنا وافترَتْ علينا، فتهيّئوا لذلك؛ وبلَغها أنهم يريدون أن يستعدُوا عليها، فقالت:

[١٨/٥] / أتـانـي مـن الأنبـاء أنّ عشيـرةً ... بشَوْرانَ[2] يُزْجون المطيّ المُذَلّلا[3]

يـروح ويغـدو وفـدُهـم بصحيفـةٍ ... ليَستجلِـدوا لـي، سـاء ذلـك مَعْمَـلا

وقد أخبرني ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة فجاء بها مُختلِطة، وهذا أوضح وأصحّ.

يوم وادي نساح:

قال أبو عمرو: فأما ما فَخر به النابغةُ من الأيام، فمنها يوم عَلْقمةَ الجُعْفيّ، فإنه غدَا في مَذحِج ومعه زُهَير الجعفيّ، فأتى بني[4] عُقيل بنِ كعب فأغار عليهم، وفي بني عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجْلة، فأصاب سَبْياً وإبلاً كثيرة، ثم انصرف راجعاً بما أصاب، فاتّبعه بنو كعب، ولم يلحَق به من بني عُقيل إلا عِقَالُ بن خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل، فجعل يأخُذ أبعار إبِل الجُعفيّين فيبُول عليها حتى يُندّيها، ثم يلحَق ببني كعب فيقول: إيهِ فِدًى لكم أبْواي، قد لَحِقتم القومَ؛ حتى ورَدوا عليهم النخيلَ في يوم قائظ، ورأسُ زهير في حِجْر جارية من سُلَيم من بني بَجْلة سباها يومئذ وهي تَفْلِيه، وهو متوسّد قطيفةً حمراءَ وهي تَضفِر سَعَفَاتِه ـ أي أعلى رأسه ـ بهُدْب القطيفة؛ فلم يشعُروا إلا بالخيل؛ فكان أوّلُ من لَحِق زُهيراً ابنَ النهّاضة[5]، فضرب وجهَ زهير بقوسه حتى كسَر أنفَه، ثم لَحِقه عِقالُ بنُ خُوَيلد، فبعَج بطنَه، فسال من بطنه بَرِيرٌ وحَلَب ـ والبرير: ثمر الأراك. والحلب: لبن كان قد اصطبحه ـ [١٩/٥] / فذلك يوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد: والله لا أصطَبِح لبناً حتى آمن من الصَّبّاح[6]. قال: وهذا اليوم هو يوم وادي نِساح وهو باليمامة.

يوم شراحيل:

قال: وأمّا يوم شَرَاحِيلَ[7] بن الأَصْهب الجُعْفيّ فإنه يوم مذكور تفتخر به مُضَرُ كلُّها. وكان شَراحيلُ خرج

---

(١) كذا في م. وفي كتاب «أشعار النساء» للمرزباني: «وأيّ جواد لا يقال لها هلا»، والجواد يطلق على الأنثى أيضاً. وفي سائر الأصول: «وأيّ نجيب لا يقال له...». وقد آثرنا ما في م لقول «اللسان» (مادة هلا): «... هلا زجر للخيل وقد يستعمل للإنسان...» واستشهد بالبيت كما ورد في م. وعلى هذا تكون الحصان (بفتح الحاء) المرأة العفيفة.

(٢) شوران (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة): جبل في ديار بني جعدة وهو مطل على السُّدّ، وفيه مياه سماء يقال لها البَحَرات، فيها سمك أسود مقدار الذراع أطيب ما يكون وأمرؤه. (راجع «معجم ما استعجم» ص ٤٦٢، ٨٢٢).

(٣) في «أشعار النساء» للمرزباني «ومعجم ما استعجم»: «المنعلا»، ونعّل البعير: وضع في خفه جلداً لئلا يحفى.

(٤) كذا في م، وكذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطي بنسخته. وفي سائر الأصول: «فأتى به عقيل»، وهو تحريف.

(٥) في م: «ابن النفاضة».

(٦) الصباح: الغارة صبحاً.

(٧) انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٥ من هذا الجزء.

مُغيراً في جمع عظيم من اليمن، وكان قد طال عمرُه وكثُر تَبَعُه وبعُد صِيتُه واتصل ظَفَرُه، وكان قد صالح بني عامر على أن يَغزُوَ العرب مارًّا بهم في بدأته وعودته لا يَعْرِض أحدٌ منهم لصاحبه[1]؛ فخرج غازياً في بعض غَزَواته فأبعد، ثم رجَع إليهم فمرّ على بني جَعْدة فقَرَتْه ونحرتْ له؛ فعمدَ ناس من أصحابه سفهاءُ فتناولوا إبلاً لبني جعدة فنحروها؛ فشكَتْ ذلك بنو جعدة إلى شَراحيل، فقالوا: قَرَيْناك وأحسنّا ضِيافتك ثم لم تمنَع أصحابك مما يصنعون! فقال: إنهم قوم مُغيرون، وقد أساءوا لعَمْري! وإنما يُقيمون عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم. فقال الرُّقاد / بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو ـ وقيل: بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد ـ: دَعْني [١٣٥/٤] أذهب إلى بني قُشَير ـ قال: وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب، أمّهما رَيْطة بنت قُنْفُذ بن مالك بن عوف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور ـ فأدعوهم، واصنعْ أنت يا هذا لشَراحيل طعاماً حسَناً كثيراً، وادعُه وأدخِله إليك فاقتُله، فإن احتجت إلينا فدَخِّنْ، فإني إذا رأيتُ الدّخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفَنا[2] على القوم. فعمَد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه، / ودعا شَراحيلَ وناساً من أصحابه وأهله وبني عمه، فجعلوا كلّما دخل البيتَ رجلٌ [٢٠/٥] قتله وردٌ، حتى انتصف النهار؛ فجاء أصحاب شَراحيل يَتْبَعُونه، فقال لهم وردٌ: تَروّحوا[3] فإنّ صاحبكم قد شَرِب وثمِل وسيرُوح [فرجعوا][4]؛ ودخّن وردٌ، وجاءت قُشير، فقتلوا من أدركوا من أصحابه، وسار سائرُهم؛ وبلَغهم قتلُ شَراحيل، فمرّوا على بني عُقَيل، وهم إخوتهم، فقالوا: لنقتلَنّ مالكَ بن المُنتفِق؛ فقال لهم مالك: أنا آتيكم بورد؛ فركِب ببني عُقيل إلى بني جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم ورداً؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذَبّوا عن عُقَيل، حتى تفرّق من كان مع شَراحيل. فقال في ذلك بَحِيرُ[5] [بن][6] عبدالله بن سَلَمة:

أحَــيٌّ يتبعــون العيــر نَحْــراً[7] أحــبُّ إليــك أم حَيًّــا هِــلالِ
لعلــك قــاتــلٌ وَرْداً ولَمّــا تَسَاقَ[8] الخيــلُ بــالأَسَــل النِّهــالِ

(١) كذا في ط. وفي باقي الأصول: «... في بدأته وعودته ولا يعرض واحد منهم صاحبه...».

(٢) وضعنا سيوفنا على القوم: ألقينا بها وأسقطناها عليهم أي ضربناهم بها؛ يقال: وضع السيف إذا ضرب به؛ قال سديف:

فضــع السيــف وارفــع الســوط حتــى لا تــرى فــوق ظهــرهــا أمــويــا

(٣) تروّح فلان: سار في الرواح، أي العشيّ، مثل راح.

(٤) زيادة عن ط، ء.

(٥) كذا ورد هذا الاسم في عدة مواضع من كتاب «النقائض» وكتاب «أشعار النساء» للمرزباني، وهو بالباء الموحدة من تحت والحاء المهملة على وزان أمير. وفي الأصول «بجير» بالجيم، وهو تصحيف.

(٦) التكملة عن ط، م، ء وكتاب «النقائض» و«أشعار النساء» للمرزباني.

(٧) كذا ورد هذا البيت في أكثر الأصول، وورد في م: «يبتغون... تجراً» بالجيم. وأورد المرزباني هذا البيت، ببعض اختلاف في كلماته عما هنا، ضمن أبيات قالها بحير هذا في قصة له خلاصتها أن ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير تزوّجت من هوذة ابن علي الحنفي الذي كان يمدحه الأعشى فمات عنها وأصابت منه مالاً كثيراً، فخطبها ابن عمها بحير بن عبدالله بن سلمة فلم تزوّجه، فخطبها عبدالله بن جدعان التيميّ إلى أبيها فزوّجه إياها، فلما أهديت إليه قال ابن عمها بحير:

لنعــم الحــيّ لــم تــربــع عليهــم ضبــاعــة يــوم منقــى اللحــم غــال
ونعــم الحــيّ حــيّ بنــي أبيهــا إذا قــرع المقــانــب بــالعــوالــي
أقــوم يقتنــون الإبــل تجــرا أحــب إليــك أم قــوم حــلال

حلال: مقيمون. وفي هذا الشعر على هذه الرواية إقواء، وهو اختلاف حركة الرويّ. «وتجر» إما أن يكون مصدراً نصب على التعليل أو جمعاً لتاجر كصحب جمعاً لصاحب.

(٨) تساق: أصله تتساقى وفي الأصول: «تساقى» ببقاء حرف العلة في آخره وهو مجزوم. والأسل: الرماح. والنهال: الريانة، واحدها: ناهل، ويطلق الناهل أيضاً على العطشان، فهو من الأضداد.

ألاَ يــا مــالُ وَيْــحَ سِــواكَ أقْصِـرْ أمَــا ينهــاك حلمُــك عــن ضــلالِ

[٥/٢١] / **يوما رحرحان:**

وأمّا يوما رَحْرحان، فأحدُهما مشهور قد ذُكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم، وهذا اليوم[١] الثاني، فكان الطمّاح الحنفيّ أغار في بني حَنيفة وبني قَيس بن ثَعْلبة على بني الحَريش بن كعب وبني عُبادة بن عُقيل وطوائفَ من بني عَبْس يقال لهم بنو[٢] حُذَيفة؛ فركبت بنو جَعْدة وبنو أبي بكر بن كِلاب، ولم يشهَد ذلك من بني كِلاب غيرُ بني أبي بكر، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم، فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم.

كعب الفوارس ومقتله:

قال: وأما ما ذكره[٣] من إدراكهم بثأر كعب الفوارس، فإنّ كعب الفوارس ـ وهو ابن معاوية بن عُبَادة بن البَكّاء ـ مرّ على بني نَهْد وعليه سلاحه، فحمَل عليه / رجل من نَهْد[٤] يقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه؛ [٥/٢٢] ثم إن خُليفاً بعد ذلك بدَهْر مرّ على بني جَعْدة، فرآه مالك بن عبدالله بن جعدة وعليه جُبّة كعب وفيها أثر الطعنة، وكان مُحْرِماً فلم يقدِر على قتله، فقال: يا هذا! ألاَ رقَعتَ هذا الخَرْق الذي في جُبّتك! وجعل يترصّده بعد ذلك، حتى بلَغه بعد دهرٍ أنه مرّ ببني جَعْدة، فركِب مالكُ بن عبدالله بن جعدة فرساً له وقد أُخبر أن خُليفاً مرّ بجَنَباتهم[٥]، فأدركه فقتله، ثم قال: بُؤْ بكعب. ثم غزا نواحيَهم عبدُالله بن ثَور بن معاوية بن عُبادة بن البَكّاء: جَرْماً ونَهْداً، وهم يومئذ في بني الحارث، فناداهم بنو البَكّاء: ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهديّ قتل صاحبنَا مُحْرِماً؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعاً يومئذ، وكان عبدالله بن ثَوْر يومئذ على فرسٍ وَرْدٍ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذ غنيمة عظيمة، وقتلوا قَتلى كثيرة. فقال عبدالله في ذلك:

١٣٦/٤ / فســائِــلْ بنــي جَــرْمٍ إذا مــا لقِيتَهــم ونَهْــداً إذا حَجّــتْ عليــك بنــو نهــدِ

فــإن يُخبِــروك الحــقَّ عنــا تَجِــدْهُــم يقــولــون أبلــى صــاحــبُ الفــرس الــوَرْدِ

(١) ذكر في كتاب «النقائض» (المطبوع في مدينة ليدن ص ١٠٦٠) تفصيل ليومي رحرحان، فأما الأوّل منهما فهو أن يثربيّ بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم غزا بني عامر بن صعصعة وعلى بني عامر يومئذ الأحوص بن جعفر فالتقوا فاقتتلوا، فقتل من بني عامر قريط بن عبدالله بن أبي بكر بن كلاب وقتل يثربيّ يومئذ. وأما يوم رحرحان الثاني فمذكور أيضاً في كتاب «النقائض» كما هو وارد في «الأغاني» (في الجزء العاشر من طبعة بولاق ص ٣١) وهو الموضع الذي نبه المؤلف هنا أنه ذكر فيه. ويلاحظ بعد هذا أن ما ذكره المؤلف من قوله: «فكان الطماح الحنفيّ... إلخ» غير واضح الاتصال بأحد هذين اليومين ولا الأسماء التي ذكرت في هذا الخبر مذكورة في الأسماء التي ذكرت في أحد هذين اليومين.

(٢) في م: «بنو خزيمة، فركبت بنو خزيمة». وفي ط: «جذيمة».

(٣) يلاحظ أيضاً أنه لم يتقدّم لهذا الخبر ذكر. وقد ذكر مقتل كعب الفوارس هذا والأخذ بثأره، كما هو وارد هنا، في كتاب «النقائض» متصلاً بأخبار «يوم فيف الريح» وهو يوم كان بين بني عامر وبين بني الحارث ومن تبعهم من قبائل جعفيّ وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد واستعانوا أيضاً بخثعم، (راجع كتاب «النقائض» ص ٤٦٩). ولعل مقتل كعب الفوارس ورد في شعر للنابغة الجعديّ لم يقع إلينا في أصول «الأغاني» التي بين أيدينا.

(٤) في «النقائض» (ص ٤٧١): «قتله خليف بن عبد العزي بن عائذ النهدي»، وأول كلام المؤلف هنا وآخره يؤيد ما أثبتناه وهو أنه من «نهد». وفي الأصول: «من جهم» وهو تحريف.

(٥) جنباتهم: نواحيهم، واحده جنبة بالفتح. وفي م: «حيفاتهم» والحيفة (بالكسر): الناحية أيضاً.

يوم الفلج:

قال: وأما يوم الفَلَج، فإن بكر بن وائل بعثتْ عيناً على بني كعب بن رَبيعة حتى جاء الفَلَجَ ـ وهو ماء ـ فوجد النَّعَمَ بعضَه قريباً من بعض، ووجد الناس قد احتملوا، فليس في النَّعَم إلا من لا طَبَاخ[١] به من راعٍ أو ضعيف؛ فجاءهم عينُهم بذلك، فركبت بكر بن وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم، سَمِعوا الصَّهيل وأصواتَ الرجال؛ فقالوا لعينهم: ما هذا ويلك؟! قال: والله ما أدري، وإن هذا لمما لم أعهد، فأرسلوا من يعلَم عِلمَهم؛ فرجعَ فأخبرهم أن الرجال قد رجَعوا، ورأى / جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة[٢]؛ فكَرّوا راجعين من ليلتهم؛ [٥/٢٣] وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتبعوهم، فأصابوا من أُخرياتهم رجالاً وخيلاً، فرجعوا بها.

خداش بن زهير وهبيرة بن عامر:

قال: وأما قوله:

لــو تستطيعــون أن تُلْقــوا جُلــودكــم ... وتجعلــوا جِلــد عبـدِاللّـه سِـرْبـالاَ

فإن السبب في ذلك أن هُبَيرة[٣] بن عامر بن سَلَمة بن قُشير، لقي خِداشَ[٤] بن زهير البَكّائي، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم وأعزّ منك؛ فحكّما في ذلك رجلاً من بني ذي الجَدّين، فقضى بينهما أنّ أعزَّهما وأكرمَهما أقربُهما من عبدالله بن جعدة نسباً؛ فقال خِداشُ[٤] بن زُهَير: أنا أقرب إليه، أمّ عبدالله بن جعدة عمّتي ـ وهي أُميمة بنت عمرو بن عامر ـ وإنما أنت أدنى إليه منّي منزلةً بأب؛ فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبدالله دون المُكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فلَج[٥] هبيرةُ القُشَيريُّ وظفر.

عبدالله بن جعدة:

قال أبو عمرو: وكان عبدالله بن جَعْدة سيِّداً مُطاعاً، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤتَى بها، يأتيه[٦] بها هذا الحيُّ من الأَزْد وغيرُهم؛ فجاء سُمَير[٧] بن سَلَمة القُشَيري وعبدُالله جالسٌ على ثياب قد جُمعت له من إتاوته، فأنزله عنها وجلَس مكانَه؛ فجاء رِياح[٨] بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل ـ وهو الخليع، سُمّي بذلك لتخلّعه عن / الملوك لا [٥/٢٤] يُعطيهم الطاعة ـ فقال للقشيري: مالَكَ ولشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن هاهنا حولَه! فقال القشيريّ: كذبتَ، ما هي له! ثم مدّ القشيريّ رجلَه فقال: هذه رجلي فاضربها إن كنتَ عزيزاً؛ قال: لا! لعمري لا أضرب رجلَك؛ فقال له القُشَيريّ: فامدُدْ لي رجلَك حتى تعلم أَأَضربها أم لا؛ فقال: ولا أمدّ لك رجلي، ولكن أفعلُ ما لا تُنكره العشيرة

---

(١) الطباخ (رواه الإيادي بفتح الطاء والأزهري بضمها): القوّة والسمن.

(٢) كذا في ط، ء، م. وفي سائر الأصول: «وخلقاً كثيراً».

(٣) كذا في ط، ء، م وكتاب «النقائض» وفيما سيأتي في كل الأصول. وفي باقي الأصول هنا: «زهير» وهو تحريف.

(٤) كذا في ط، ء، م وكتاب «النقائض» وكذلك صححه الأستاذ الشنقيطي في نسخته. وفي باقي الأصول: «خراش» بالراء، وهو تحريف.

(٥) فلج: فاز وغلب.

(٦) كذا في ط، ء، م. وفي باقي الأصول: «.. ويأتيه بها...» بزيادة الواو، وهو تحريف.

(٧) في ط، م، ء: «فجاء سليمان بن سلمة...».

(٨) كذا في ط، ء، وكذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته. وفي م: «رماح» بالميم. وفي باقي الأصول: «رباح» بالباء الموحدة، وكلاهما تحريف.

وما هو أعزُّ لي وأذَلُّ لك؛ ثم أهْوَى إلى رجل القشيريّ فسحَبه على قفاه ونحّاه، وأقعد عبدَالله بنَ جَعْدةَ مكانَه.

قال: وعبدالله بن جعدة أوّل من صنع الدَّبّابة[١]؛ وكان السبب في ذلك أنهم انتجعُوا[٢] ناحيةَ البحرين، فهجموا على عبدٍ لرجل يقال له كَوْدَن[٣] في قصر حَصين، فدخّن العبدُ ودعا النساءَ والصبيانَ، فظنوا أنه يُطعمهم ثريداً، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومن معه على شُرَف القصر، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه؛ فلما رأى ذلك عبدالله بن جعدة صنع دَبّابة على جذوع النخل وألبسها جلودَ الإبل، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصر، ثم حفروا حتى خرقوه[٤]؛ فقتل العبدَ / ومن كان معه واستنقذ صبيانَهم ونساءهم. فذلك قول النابغة:

١٣٧/٤

ويومَ دعا وِلْدانكم عبدُ كَوْدَنٍ فخالُوا لدى الدّاعي ثريداً مُفلفلاَ
وفي ابنَ زِياد وهو عُقبة خيرِكم هبيرةُ ينزو في الحديد مُكَبَّلا

يعني هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشير، وكان عبدالله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة خرج ومعه مالك بن عبدالله بن جعدة، حتى مرّوا على بني[٥] زياد / العبسيّين والرجال غَيَبٌ، فأخذوا ابناً لِأَنَس[٦] بن زياد وانطلقوا به يرجون الفِداء؛ وانطلق عمُّه عُمارة بن زِياد حتى أتى بني كعب، فلقي هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قشير، فقال له: يا هبيرة إن الناس يقولون: إنك بخيل؛ قال: مَعاذَ اللّه! قال: فهَبْ لي جُبّتك هذه؛ فأهْوَى ليخلَعها، فلما وقَعتْ[٧] في رأسه وثَب عليه فأسره، ثم بعث إلى بني قُشير: عليّ وعليّ إن قبلتُ من هُبَيْرة أقلّ من فِدية حاجبٍ[٨] إلا أن يأتوني بابن أخي الذي في أيدي بني جَعْدة؛ فمشَتْ بنو قُشير إلى بني جعدة، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فافتدَوْا به هُبَيْرةَ.

[٢٥/٥]

وحوح أخو النابغة:

وأما خبرُ وحوح أخي النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سَبْياً وأسْرى، فركِبتْ بنو أسد في آثارهم حتى لحِقوهم بالشُّرَيْف[٩]، فعطفت بنو عُدَس بن

(١) الدبابة: آلة تتخذ من جلود وخشب للحرب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وهم في جوفها فتقيهم ما يرمون به من فوقهم.
(٢) الانتجاع: طلب الكلأ ومساقط الغيث.
(٣) في م: «كوذن» بالذال المعجمة.
(٤) كذا في ط،ء، م. وفي سائر الأصول: «حفروه».
(٥) في ط،ء: «بني زيد العبسيين». وفي م: «بني زيد والعبسيين»، وكلاهما تحريف.
(٦) كذا في ط،ء، م، وهو أنس بن زياد العبسيّ ويسمى أنس الفوارس،س وله حديث في يوم أقرن. (راجع «النقائض» ص ١٩٤، ٦٧٩). وفي سائر الأصول: «أوس»، وهو تحريف.
(٧) في ط،ء، م: «وقفت» بالفاء.
(٨) هو حاجب بن زرارة، وهو من الذين يضرب المثل بفدائهم في الوفرة، ومثله في ذلك بسطام بن قيس والأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي. (راجع «كتاب ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه» ـ حرف الفاء). وسيأتي خبر أسر حاجب بن زرارة هذا وفدائه في «الأغاني» (ج ١٠ ص ٤٢ طبع بولاق).
(٩) كذا في ط،ء، والشريف (بصيغة التصغير): ماء لبني نمير، وقيل: إنه واد بنجد. وفي سائر الأصول: «السديف» (بالسين والدال المهملتين) وهو تحريف.

ربيعة بن جعدة، فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردّوهم؛ ولم يظفَروا منهم بشيء. وتعلّقت امرأة من بني أسد بالحَكَم بن عمرو بن عبدالله بن جعدة وقد أردفها خلفَه، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته، فعطَف عليه عبدُالله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوان، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتَخَلّصه. وطُعِن يومئذ وحوح بن / قيس [٥/٢٦] أخو النابغة الجعديّ، فارتُثَّ[١] في معركة القوم، فأخذه خالد بن نَضْلة الأسديّ؛ وعطَف عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نَضْلة: هَلُمَّ إليّ وأنت آمن؛ فقال له النابغة: لا حاجةَ لي في أمانك، أنا على فرسي ومعي[٢] سلاحي وأصحابي قريب، ولكنّي أُوصيك بما في العَوْسجة[٣] (يعني أخاه وحوح بن قيس)؛ فعدَل إليه خالد فأخذه وضمّه إليه ومنَع مِنْ قتله وداواه حتى فُدِيَ بعد ذلك. قال: ففي ذلك يقول مُدْرِك العَبْسيّ[٤]:

أقمتُ على الحِفاظِ وغاب فَرْجٌ ... وفي فَرْجٍ عن الحسب انفراجُ

كذلك فِعْلُنا وحِبالُ عمّي ... وردْنَ بوحوح فَلَجَ[٥] الفِلاَجِ[٦]

شعر للنابغة الجعدي:

ومما قاله النابغة في هذه المفاخرة وغُنّي فيه قولُه وقد جُمِع معه كلّ ما يغنّي فيه من القصيدة ـ:

صوت

هل بالدّيارِ الغداةَ من صَمَمِ ... أم هَلْ بِرَبْعِ الأنيس من قِدَمِ

أم ما تُنادِي من ماثلٍ دَرَجَ السّـ ... ـيلُ عليه كالحوض مُنهدمِ

غرّاءُ كالليلةِ المباركةِ الـ ... ـقَمْراءِ تَهدي أوائلَ الظُّلَمِ

أَكْنِي بغير اسمها وقد عَلِم الـ ... ـلّه خفيّاتِ كلّ مُكتتَمِ

/ كأنّ فاها إذا تبسّم من ... طِيبِ مَشَمٍّ وطيبِ[٧] مُبْتَسَمِ [٥/٢٧]

/ يُسَنّ[٨] بالضِّرْوِ من بَراقِشَ أو ... هَيْلانَ أو ضامرٍ[٩] من العُتُمِ ١٣٨/٤

عروضه من المنسرِح. وفي الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى

(١) ارتُثّ: ضرب في الحرب فأثخن وحمل وبه رمق.

(٢) في ط «ء»، م: «وعليّ سلاحي».

(٣) العوسجة: واحدة العوسج وهو شجر شائك له ثمر أحمر مدوّر، ولعله يريد بالعوسجة حظيرة أو مظلة متخذة من شجر العوسج.

(٤) في حـ: «الفقعسيّ».

(٥) فلج (بالتحريك): مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفلج أيضاً: مدينة قيس بن عيلان بن مضر، ويقال لها: فلج الأفلاج. وأصل الفلج النهر أو الماء الجاري، ولعله يقال أيضاً: فلج الفلاج، كما ورد في الشعر هنا، لأن فعلاً (بالتحريك) يجمع على أفعال وفعال.

(٦) في هذا الشعر إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ.

(٧) في ط «ء»: «وحسن مبتسم».

(٨) يسنّ (يسناك). والضرو: شجر يستاك به. وبراقش وهيلان: مدينتان عاديتان باليمن خربتا.

(٩) في «اللسان» (مادة برقش) «ومعجم ما استعجم» للبكري «ومعجم البلدان» لياقوت (في الكلام على براقش): «أو ناضر». والعتم (بضمتين): شجر الزيتون.

البنصر[١]، ذكره إسحاق ولم ينسُبه إلى أحد، وذكر ابن المكيّ والهشاميّ أنه لمعبد، وأظنه من منحول يحيى، وذكر حبش أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملاً آخر؛ ولابن مِسْجَح فيها ثقيل أوّل بالبنصر.

أوّل من سبق إلى الكناية عمن يعني بغيره:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أوّلُ من سبَق إلى الكناية عن اسم من يَعْنِي بغيره في الشعر الجعديُّ، فإنه قال:

أَكْنِي بغير اسمها وقد علم الـ ... ـلّـه خَفِيّاتِ كلّ مكتتم

فسبَق[٢] الناسَ جميعاً إليه واتّبعوه فيه. وأحسنُ من أخذه وألطفُه فيه أبو نُوَاس حيث يقول:

أسألُ القادمين من حَكَمانِ[٣] ... كيف خلّفتُمُ أبا عثمانِ

فيقولون لي جِنانٌ كما سـ ... ـرّك في حالها فسَلْ عن جنانِ

ما لهمْ لا يُبارك اللّهُ فيهمْ ... كيف لم يُغْنِ عندهم كِتماني

[٢٨/٥] / **ذكره الفرزدق وتحدّث عن شعره:**

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو بكر الباهليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال: ذكر الفرزدقُ نابغةَ بني جعدة فقال: كان صاحبَ خُلْقان عنده مُطْرَفٌ بألفٍ، وخِمارٌ[٤] بوَافٍ، (يعني درهماً)[٥].

وفد على ابن الزبير ومدحه فوصله:

وحدّثني خبرَه مع ابن الزبير جماعةٌ، منهم حبيبُ بن نصر المهلّبيّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرميّ بن أبي العلاء ووَكيع ومحمد بن جرير الطبريّ حدّثنيه مِنْ حِفْظه، قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أخي هارون بن أبي بكر[٦] عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان[٧] بن محمد بن يحيى بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبدالله بن عُروة قال:

---

(١) في ط، : «في مجرى الخنصر».

(٢) كذا في ط، ء، حـ. وفي سائر الأصول: «يسبق» وهو تحريف.

(٣) حكمان (بالتحريك): اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبي العاص الثقفيّ. وهذا اصطلاح لأهل البصرة إذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفاً ونوناً، حتى سموا عبد اللان في قرية سميت بعبدالله. وكانت هذه الضيعة لبني عبد الوهاب الثقفيين موالي جنان صاحبة أبي نواس (انظر «معجم ياقوت» في اسم حَكَمَان).

(٤) الخمار (بالكسر): النصيف وهو ما تغطي به المرأة رأسها، وقد يطلق على العمامة، لأن الرجل يغطي بها رأسه كما تغطيه المرأة بخمارها؛ وفي حديث أم سلمة «أنه كان يمسح على الخف والخمار» أي العمامة.

(٥) الذي في معاجم اللغة أن الوافي درهم وأربعة دوانق أو درهم ودانقان، يعني الفرزدق أن في شعره الجيد المتين والرديء الضعيف. وقال المرزباني في كتابه الموشح في كلامه على النابغة الجعديّ بعد أن ذكر قول الفرزدق هذا: «قال الأصمعيّ: وصدق الفرزدق، بينا تجد النابغة في كلام أسهل من الزلال وأشدّ من الصخر إذ لان. . .» ثم ذكر قصيدته التي منها:

سما لك همّ ولم تطرب ... وبتّ ببثّ ولم تنصب

وبيّن ما فيها من شعر جيد وآخر رديء.

(٦) هذه كنية أبيه بكار.

(٧) في ب وس: «سليمان محمد». ولعل لفظة «ابن» سقطت سهواً أثناء الطبع.

أُقْحِمت[١] السنةُ نابغةَ بني جعدة، فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرام، فأنشده:

حَكَيْـتَ لنـا الصِّـدِّيـقَ لمّـا وَلِيتَنـا ... وعثمـانَ والفـاروقَ فـارتـاح مُعـدِمُ

أتـاك أبـو ليلـى يَجُـوب بـه الـدُّجـى ... دُجَـى الليـلِ جـوّابُ الفـلاة عَثَمْثَـمُ[٢]

لتجبُـرَ منـه جـانبـاً زَعْـزَعـت[٣] بـه ... صُـروفُ الليـالـي والـزمـانُ المُصمِّـم

/ فقال له ابن الزبير: هوّن عليك أبا ليلى، فإنّ الشعر أهونُ وسائلك عندنا، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزبير، وأما [٥/٢٩] عِفوته[٤] فإنّ بني[٥] أسد بن عبد العزّى تشغلها عنك وتَيْماً معها، ولكن لك في مال الله حقّان: حقّ برؤيتك رسولَ الله ﷺ، وحق بشِرْكتك أهلَ الإسلام في فَيْئهم؛ ثم أخذ بيده فدخل به دارَ النَّعَم، فأعطاه قلائصَ[٦] سبعاً وجَملاً رَجيلاً[٧]؛ وأوْقر له الإبلَ بُرّاً وتمراً وثياباً، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً؛ فقال ابن الزبير: ويح أبي ليلى! لقد بلغ به الجَهْدُ؛ فقال النابغة: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما وَلِيَتْ قريش فعدَلت واسْتُرحمت فرَحِمتْ وحَدَّثت فصَدَقتْ ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبيّون فُرّاطُ[٨] القاصفين» وقال الحرميّ: «فُرّاطٌ لها ضُمُنٌ». قال الزُّبَيري: كتب يحيى بن مَعين هذا الحديث عن أخي.

[٥/٣٠]

/ ضربه أبو موسى الأشعري أسواطاً فهجاه:

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ أحمد بن محمد بن عبدالله / بن صالح وهاشم بن محمد الخُزَاعيّ أبو دُلَف قالا [١٣٩/٤] حدّثنا الرِّيَاشيّ قال قال أبو سليمان عن الهَيْثم بن عديّ [قال][٩]:

رَعَتْ بنو عامر بالبَصرة في الزرع، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم، فتصارخوا: يا آلَ عامر، يا آل عامر! فخرج النابغة الجعديّ ومعه عُصبة له؛ فأُتِيَ به إلى أبي موسى الأشعري، فقال له: ما أخرجك؟ قال: سمعتُ داعية قومي؛ قال: فضربه أسواطاً؛ فقال النابغة:

رأيـتُ البَكْـرَ بَكْـرَ بنـي ثمـودٍ ... وأنـت أراك بَكْـرَ الأشعَـريـنـا

(١) أقحمته: ألقته ورمت به. والسنة: الجدب، أي أخرجه الجدب من البادية وأدخله الريف حيث الخضرة والماء.

(٢) العثمثم: الجمل الشديد الطويل.

(٣) في ط، ء: «ذعذعت» بالذال المعجمة وهي بمعنى «زعزعت».

(٤) عبارة ابن الأثير في «النهاية» (مادة عفا) ونقلها عنه صاحب «اللسان»: «... أنه قال للنابغة: أما صفو أموالنا فلآل الزبير، وأما عفوه فإن تيماً وأسداً تشغله عنك. قال الحربيّ: العفو: أحل المال وأطيبه. وقال الجوهريّ: عفو المال ما يفضل عن النفقة. وكلاهما جائز في اللغة والثاني أشبه بهذا الحديث»، وهذا التوجيه الأخير لابن الأثير. وأما عفوة المال والطعام والشراب (بالفتح) وعفوته(بالكسر عن كراع): فهي خياره وما صفا منه وكثر. وظاهر أنها لا تلائم سياق الحديث، لذلك نرى أن رواية النهاية في هذا الأثر أصح مما ورد في الأصول هنا.

(٥) بنو أسد: قبيلة منها الزبير بن العوّام والد عبدالله هذا. وتيم: قبيلة منها أبو بكر الصدّيق رضوان الله عليه وهو جدّ ابن الزبير لأمه.

(٦) القلائص: جمع قلوص وهي الشابة من الإبل بمنزلة الجارية من النساء.

(٧) في حـ: «رحيلاً» بالحاء المهملة، والرجيل والرحيل من الإبل: القوي على السير.

(٨) كذا في «النهاية» في «غريب الحديث» و «الدر النثير» للسيوطي (مادتي فرط وقصف)، وفيه رواية أخرى أشار إليها السيوطي في «الدر النثير» (مادة قصف) وهي «فراط القاصفين»، وبهذه الرواية ورد الحديث في م «واللسان» (مادتي فرط وقصف). وقد وردت كلمة «القاصفين» في أكثر الأصول هاهنا مضطربة، ففي ط، ء: «فرّاط لها ضفن وقال الحرميّ... إلخ». وفي باقي الأصول: «فراط لها ضمين وقال الحرميّ... إلخ». الفرّاط: المتقدمون إلى الشفاعة أو إلى الحوض. والقاصفون: المزدحمون. وضمن: كافلون.

(٩) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

فـإن يكُـنِ ابـنُ عَفّـانٍ أمينـا ... فلـم يَبْعَـثْ بـك البَـرَّ الأمينَـا
فيـا قبـرَ النبـيّ وصـاحِبَيْـهِ ... ألاَ يـا غَـوْثَنـا لـو تسمَعُـونـا
ألاَ صَلَّـى إلهُكُـم عليكـم ... ولا صلَّـى علـى الأُمـراء فِينَـا

خبره مع عليّ ومعاوية:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دَأْب[1] قال:

لما خرج عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابغةُ بني جَعْدة؛ فساق به يوماً فقال:

[٥/٣١] / قـد علِـم المِصْـرانِ[2] والعِـراقُ ... أنّ عليّـا فحلُهـا العُتَّـاقُ[3]
أبيـضُ جَحْجَـاحٌ لـه رُواقُ ... وأُمّـه غـالَـى بهـا الصَّـداقُ
أكـرمُ مَـن شُـدَّ بـه[4] نِطـاقُ ... إنّ الأُلَـى جـارَوْكَ لا أَفَـاقُـوا
لهـم سِيـاقٌ[5] ولكـم سيـاقُ ... قـد علمـتْ ذلكُـم الـرِّفـاقُ
سُقتـم إلـى نَهْـجِ الهُـدَى وسـاقُوا ... إلـى التـي ليـس لهـا عِـراقُ[6]
* في مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ *

فلما قَدِم معاويةُ بن أبي سفيان الكوفةَ، قام النابغةُ بين يديه فقال:

ألـم تـأتِ أهـلَ المَشْـرِقَيْـنِ رسـالتـي ... وأيُّ[7] نَصيـحٍ لا يَبِيـتُ علـى عَتْـبِ
مَلَكْتـمْ فكـان الشـرُّ آخـرَ عَهـدِكـمْ ... لئـن لـم تَـدَارَكْكُـمْ حُلُـومُ بنـي حَـرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة ومالَه؛ فدخل النّابغةُ على معاوية، وعنده عبدُالله بن عامر ومروان، فأنشده:

مَـنْ راكِـبٌ يـأتـي ابـنَ هنـدٍ بحـاجتـي ... علـى[8] النّـأيِ والأنبـاءُ تُنْمَـى وتُجلَـبُ

---

(١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ويكنى أبا الوليد كان هو وأبوه وأخوه من العلماء بأشعار العرب وأخبارهم وأيامهم وكان أثيراً عند الهادي وله معه أخبار طويلة. (انظر «مروج الذهب» للسعودي ج ٦ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ طبع أوروبا «والمحاسن والمساوىء» ص ٦١٣ ـ ٦١٤ طبع أوروبا).

(٢) المصران: الكوفة والبصرة.

(٣) كذا في أكثر الأصول. والذي في «معاجم اللغة» أن العتاق (وزان غراب): الخمر الحسنة القديمة. ولعله يريد بفحلها العتاق فحلها الكريم. وفي م: «الفناق» بالفاء والنون.

(٤) في ط،ء، م: «بها».

(٥) كذا في حـ، م وكذلك صححه المرحوم الشنقيطي بنسخته. وفي سائر الأصول: «سباق» بالباء الموحدة وهو تصحيف.

(٦) يريد إلى مضلة لا نهاية لها ولا غاية.

(٧) في ط،ء: «وإني».

(٨) في ط،ء: «. . . . . . لحاجتي * بكوفان. . .» وكوفان هي الكوفة، وهي أيضاً قرية بهراة.

ويُخبِرُ عنّي ما أقولُ ابنَ عامرٍ ... ونعمَ الفتى يأوِي إليه المُعصَّبُ[١]

/ فإنْ تأخذوا أهلي ومالي بظِنّةٍ ... فإنّي لَحَرّابُ الرجالِ مُحرِّبُ[٢] [٣٢/٥]

صَبورٌ على ما يكرهُ المرءُ كلِّه ... سِوى الظلمِ إنّي إن ظُلمتُ سأغضَبُ

فالتفت معاويةُ إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى ألّا تردّ عليه شيئاً؛ فقال: ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العربُ فتَرويه، أمَا[٣] والله إن كنتَ لِمن يرويه! أُردُد عليه كلّ شيء أخذتَه منه. وهذا الشعر يقوله النّابغةُ[٤] الجعديُّ لعِقَال بن خُوَيلد العُقَيليّ يُحذّره غِبَّ الظلم لمّا أجار بني وائل بن مَعْن، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعْدة، فحذّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أقاموا على ذلك فيهم.

شعره في عقال بن خويلد وسببه:

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: / كان السببُ في قول الجعديّ هذه القصيدةَ أن المُنتشِر الباهليّ خرج فأغار على [١٤٠/٤] اليمن ثم رجع مُظفَّراً. فوجد بني جعدة قد قتلوا ابناً له يقال له سِيدان[٥]، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ثم في بني جعدة، فلمّا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بني جعدة ثم على بني سُبيع في وَجْهه ذلك، فقتل منهم ثلاثةَ نفَر؛ فلما فعل ذلك تصدّعت باهلةُ، فلحِقتْ فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعِقال بن خويلد العقيليّ، ولحِقتْ فرقة أخرى يقال لهم بنو قُتيبة وعليهم حَجْلٌ الباهليّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابيّ، فأجارهم يزيد، وأجار عِقالٌ وائلاً. فلما رأت ذلك بنو جَعدة أرادوا قِتالهم، فقال لهم عقال: لا تقاتلوهم / فقد [٣٣/٥] أجرتُهم؛ فأمّا أحدُ الثلاثة القَتلى منكم فهو بالمقتول، وأمّا الآخران فعليّ عَقْلُهما[٦]؛ فقالوا: لا نقبل إلا القتالَ ولا نُريد من وائل غِيَراً[٧] (يعني الدية)؛ فقال: لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ؛ فلم يزل بهم حتى قبِلوا الدية. وانتقلت وائل إلى قومهم. فقال النابغة في ذلك قصيدتَه التي[٨] ذكر فيها عِقالاً:

فأبلِغْ عِقالاً أنّ غايةَ داحسٍ[٩] ... بكفّيك فاستأخِرْ لها أو تَقدّمِ

تُجيرُ علينا وائلاً في دمائنا[١٠] ... كأنّك عمّا نابَ[١١] أشياعَنا[١٢] عَمِ

---

(١) المعصب هو الذي عصبته السنون أي أكلت ماله، والمعصب أيضاً: الذي يعصب بطنه بالخرق من الجوع.

(٢) كذا في أكثر الأصول. وحربه: أغضبه، يريد أن يصف نفسه بأنه شديد الكيد والنكاية وفي ب، س: «مجرب» بالجيم.

(٣) في ط، ء: «أم والله» ويكون معناها الإضراب مثل «بل».

(٤) في ب، س، حـ: «نابغة الجعديّ» بدون أل.

(٥) في ط، ء: «سِدان» وفي م: «سيدار».

(٦) العقل: الدية.

(٧) الغير (وزان عنب): قيل: إنه مفرد جمعه أغيار، وقيل: هو جمع غيرة (بالكسر) وهي الدية.

(٨) عبارة ط، ء: «... قصيدته وهذه الأبيات التي ذكر فيها عقالاً منها».

(٩) داحس: اسم فرس أضيفت إليه حرب كانت بين عبس وذبيان، وهي حرب داحس، وذلك أن قيس بن زهير صاحب داحس تراهن هو وحذيفة بن بدر على عشرين بعيراً وجعلا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة، فأجرى قيس داحساً والغبراء، وحذيفة الخطار والحنفاء، فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كميناً في الطريق فردوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة (عن «القاموس» مادّة دحس). والنابغة يهدّد عقالاً في هذه القصيدة بحرب كحرب داحس.

(١٠) في ط: «بدمائنا».

(١١) في حـ وهامش ط و«الموشح» للمرزباني: «نال» باللام.

(١٢) في كتاب «الموشح» للمرزباني: «أشياعها»، ويكون المعنى على هذه الرواية أن النابغة يهدّد عقالاً ويحذره ما أصاب وائلاً منهم من بأس.

كُلَيبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّجَ بالدّم
رَمى ضَرْعَ نابٍ[١] فاستمرَّ بطَعنةٍ كحاشيةِ البُردِ اليَمانِي المسَهَّمِ[٢]
وما يَشعُرُ الرمحُ الأصمُّ كعوبُه بثَروَةِ[٣] رهطِ الأبلخِ[٤] المتظلِّمِ
/ وقال لجَسَّاسٍ أغِثْني بشَربةٍ تفَضَّلْ بها طَولاً عليَّ وأنعِمِ
فقال تَجاوزتَ الأحَصَّ[٥] وماءَه وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مُترسَّمِ[٦]

[٥/٣٤]

كليب وائل ومقتله وحرب البسوس وما قيل فيها من الشعر:

وكان السببُ[٧] في قتل كُلَيبِ بن رَبيعة ـ فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مَقاتل الأحول بن سِنَان بن مَرْثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخِي بني قيس بن ثَعْلبةَ، ونسختُ بعضَه من رواية الكَلْبيّ، وأخبرنا به محمدُ بن العباس اليَزيديّ عن عمّه عبيدِ اللّهِ عن آبن حَبيبَ عن آبن الأعرابيّ عن المفضَّل، فجمعتُ من روايتهم ما احْتِيجَ إلى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى ـ أنّ كُلَيباً كان قد عَزَّ وسادَ في رَبيعة فبغَى بَغياً شديداً، وكان هو الذي يُنزِلهُم منازلَهم ويُرحِّلهم، ولا يَنزِلُون ولا يرحَلُون إلا بأمره. فبلغ من عِزِّه وبغيه أنه اتخذ جِروَ كلبٍ[٨]، فكان إذا نزل منزلاً به كَلأٌ قذف ذلك الجِروَ فيه فيَعْوِي، فلا يَرعَى أحدٌ ذلك الكلأ إلا بإذنه، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه أو مَنْ آذَنَ بحَربٍ؛ / فضرب به المثلُ في العزّ، فقيل: «أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ». وكان يَحمِي الصيدَ، ويقولُ: صيدُ ناحية كذا وكذا في جِوَاري؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً؛ وكان لا يمرُّ بين يديه أحدٌ إذا جلس، ولا يحتبي أحدٌ في مجلسه غيرُه؛ فقتله جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ.

[٥/٣٥]

وقال أبو عُبيدةَ: قال أبو[٩] بَرْزَةَ القَيْسيّ وهو من وَلد عمرو بن مَرْثَد:

---

(١) الناب: الناقة المسنة.
(٢) المسهم: المخطط بصور على شكل السهام، وفي حديث جابر: أنه كان يصلي في برد مسهم أخضر، أي فيه وشي كالسهام.
(٣) في رواية: «بنزوة...» كما في كتاب «الموشح».
(٤) كذا في ط،ء «والموشح» للمرزباني. والأبلخ (بالخاء المعجمة في آخره): العظيم في نفسه الجرىء على ما أتى من الفجور. والمتظلم: الذي يظلم الناس حقوقهم، وهذا الوصف هو الذي يناسب كليباً لعتوّه. وفي باقي الأصول: «الأبلج المتوسم» بالجيم. والمتوسم: المتحلي بسمة الشيوخ.
(٥) سيذكر أبو الفرج في سياق هذا الخبر أن الأحص وشبيثاً نهيان (النهي: الغدير)، وفي «القاموس» أنهما موضعان بنجد. وفي كتاب «معجم ما استعجم» أن الأحص واد، وأن شبيثا ماء معروف لبني تغلب. وهذا النظم للنابغة مأخوذ من قول جساس حين طعن كليباً فقصم صلبه فوقع كليب وهو يفحص برجله ثم قال لجساس: «أغثني بشربة»، فقال له جساس: «تجاوزت شبيثاً والأحص»، يعني: ليس هذا وقت طلب الماء. وقد صار فيما بعد مثلاً يضرب لمن يطلب شيئاً في غير وقته. ولفظ المثل في الميداني «تخطى إليّ شبيثاً والأحص».
(٦) المترسم: موضع الماء لمن طلبه (عن «معجم ما استعجم»).
(٧) إلى هنا ينتهي حديث المؤلف عن النابغة الجعدي ثم استطرد إلى كلام عن حرب بكر وتغلب وما كان بين كليب وجساس بمناسبة ذكرهما في شعر النابغة من غير أن يعقد لذلك عنواناً خاصاً. ولذلك وضعنا هذه النجوم للدلالة على الفصل بين الخبرين ووضعنا في أعلى الصفحة عنوان [رب بكر وتغلب] بين قوسين مربعين للإشارة إلى أنه زيادة من عندنا ولم يضعه المؤلف.
(٨) كان اسم «كليب» «وائلاً». وسبب تسميته «بكليب» أنه كان عنده كليب ـ تصغير كلب، وهو ما عبر عنه هنا «بجرو كليب» ـ يرمي به فحيث بلغ عواء هذا الكليب كان حمى لا يرعى؛ ومن ذلك قيل المثل: «أعز من كليب وائل». ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه. (انظر كتاب «مجمع الأمثال» للميداني).
(٩) في ط،ء: «أبو بردة» بالدال المهملة، وكذلك ورد هذا الاسم فيهما في كل المواضع التي سيذكر فيها فيما بعد.

وكان كليبُ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكريّ ولا تَغْلبيّ أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه، ولا يَحمي حِمًى إلا بأمره، وكان إذا حَمَى حِمًى لا يُقرَبُ؛ وكان لمُرَّةَ بنِ ذُهْلِ / بنِ شَيْبان بن ثَعْلبة عشرةُ بنينَ جَسّاسٌ أصغرُهم، وكانت أختُهم عند كليب. وقال مُقاتِلٌ وفِرَاسٌ: وأمُّ جسَّاس هَيْلَةُ بنتُ مُنقِذِ بن سليمانَ[1] بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَنَاةَ، ثم خلَف عليها سعدُ بن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثَعْلبةَ بعد مرّة بنِ ذُهْل، فولدتْ له مالكاً وعَوْفاً وثعلبةَ. قال فِراسُ بن خَنْدَق[2] البَسُوسيّ[3]: فهي أمُّنا. وخالة جسَّاس البَسُوس ـ وقال أبو بَرْزَة: البَسُوسِيَّةُ ـ وهي التي يُقال لها: «أشأمُ من البَسُوسِ»[4]. فجاءت فنزلتْ على ابن أختها جَسّاس فكانت جارةً لبني مُرّة، ومعها ابنٌ لها، ولهم ناقةٌ خَوّارةٌ[5] من نَعَم بني سعد ومعها فَصيل.

١٤١/٤

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال قال أبو بَرْزَةَ: وقد كان كُليب قبل ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس: هل تَعْلَمين على الأرض عربياً أمنعَ مِنّي ذِمّةً؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتَتْ ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جساسٌ ونَدْمَانُهُ[6] / ابن عمّه عمرو[7] المُزْدَلِفُ بنُ أبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان. وزعم مقاتِل: أن امرأتَه كانت أختَ جَسّاس، فبينا هي تَغسِلُ رأسَ كليب وتُسَرِّحُه ذاتَ يوم إذ قال: مَنْ أعزُّ وائل؟ فصمتَتْ[8]، فأعاد عليها؛ فلما أكثر عليها قالت: أخَوَايَ جَسَّاسٌ وهَمّامٌ؛ فنزَع رأسَه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالةِ جَسّاس وجارةِ بني مُرّة فقتله؛ فأغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك. ثم لَقِيَ كُليبٌ آبنَ البَسُوس[9] فقال: ما فعل فصيلُ ناقتِكم؟ قال: قتلتَه وأخليتَ لنا لبنَ أُمِّه؛ فأغمضوا على هذه أيضاً. ثم إنّ كليباً أعاد على امرأته فقال: مَنْ أعزّ وائل؟ فقالت: أخواي؛ فأضمرَها وأسرّها في نفسه وسكت، حتى مَرَّتْ به إبلُ جَسّاس، فرأى الناقةَ فأنكرها، فقال: ما هذه الناقةُ؟ قالوا: لخالة جَسَّاس؛ قال: أوَ قد بلغ من أمر ابن السَّعْديّة أن يُجيرَ عليّ بغير إذني! اِرْمِ ضَرْعَها يا غلامُ. قال فِرَاسٌ: فأخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة فاختلط دمُها بلبنها؛ وراحت الرُّعاةُ على جسّاس فأخبروه بالأمر؛ فقال: احلُبوا لها مِكيالَيْ لبنٍ بمِحلَبها ولا تَذكُروا لها من هذا شيئاً؛ ثم أغمضوا عليها أيضاً. قال مُقاتِلٌ: حتى أصابتهم سَمَاءٌ، فغدا في غِبِّها يَتمطّرُ[10]، وركِب جَسَّاسُ بن مُرّةَ وابنُ عمه عمرُو بن الحارث بن ذُهْل ـ وقال أبو

[٣٦/٥]

(١) في ط، ء، م: «سلمان».

(٢) كذا في ط، م، ء وكتاب «النقائض» في أكثر من موضع والطبري (قسم أول ص ١٠٦١). وفي باقي الأصول: «فراس بن خندف» بالفاء بدل القاف، وهو تحريف.

(٣) في «النقائض»: «القيسي». وهذه الكلمة ساقطة من ط، ء.

(٤) كذا في «مجمع الأمثال» (ج ١ ص ٣٣٠ طبع بولاق) وهي بنت منقذ التميمية وهي خالة جساس. وفي الأصول: «بسوسة» بزيادة التاء في الآخر.

(٥) ناقة خوّارة: رقيقة حسنة.

(٦) الندمان: الذي يرافقك وينادمك على الشراب، وقد يكون جمعاً.

(٧) كذا في أكثر الأصول، والمزدلف لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل وهو ابن عم جساس بن مرة، لقب به لأنه ألقى برمحه في حرب فقال: ازدلفوا إليه، كما قال ابن دريد، أو لاقترابه من الأقران في الحروب وازدلافه إليهم، كما نقله ابن حبيب. (عن «القاموس» و«شرحه» مادة زلف). وفي ب، س: «... وندمانه ابن عمه عمرو والمزدلف...» بزيادة واو العطف سهواً من الطابع.

(٨) في ط، ء: «فضمزت»، وضمزت: سكتت.

(٩) في م: «جساساً».

(١٠) يتمطر: يتنزه. وقوله: «في غبها» كذا في الأصول، ولم نجد في «معاجم اللغة» التي بين أيدينا أن كلمة «غب» وهي بمعنى «بعد» تجرّ بفي. وهذا الاستعمال نفسه ورد في «اللسان» و«القاموس» و«شرحه» بدون حرف الجر.

[٣٧/٥] بَرْزَةَ: بل عمرو ابن أبي رَبيعة ـ وطعن عمرٌو كليباً فحطَم صُلبَه؛ وقال أبو بَرْزَةَ: فسكت جَسّاسٌ، / حتى ظعَن[1] ابنا وائل؛ فمرّتْ بَكْرُ بن وائل على نِهْيٍ[2] يقال له شُبَيْثٌ فنفاهم كُلَيبٌ عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مرُّوا على نِهْيٍ آخر يقال له الأحَصُّ فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرةً؛ ثم مرّوا على بطنِ الجَريب[3] فمنعهم إيّاه؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذَّنائب[4]، واتّبعهم كليبٌ وحَيُّه حتى نزلوا عليه؛ ثم مرّ عليه جَسّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال: طردتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتلُهم عطشاً! فقال كليبٌ: ما منعناهم من ماءٍ إلا ونحن له شاغلون؛ فمضى جَسّاسٌ ومعه ابنُ عمه المزدلِفُ. وقال بعضُهم: بل جَسّاسٌ ناداه فقال: هذا كفِعلِكَ بناقة خالتي؛ فقال له: أوَ قد ذكرتَها! أمَا إني لو وجدتُها في غير إبل مُرّة لاستحللتُ تلك الإبلَ بها. فعطف عليه جَسّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأنفذَ حِضْنَيه[5]؛ فلما تَداءمَه[6] الموتُ قال: يا جسّاس اسقِني من الماء؛ قال: ما عَقَلْتُ استسقاءكَ الماءَ منذُ ولَدَتْكَ أُمُّكَ إلا ساعتَكَ هذه!. قال أبو بَرْزة: / فعطَف عليه المُزدلف[7] عمرو بن أبي ربيعةَ فاحتزّ رأسَه. ١٤٢/٤

وأمّا مقاتلٌ فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذُهل الذي طعنه فقصَم صُلبَه. [قال][8]: وفيه يقول مُهلهِلٌ:

قتيـلٌ مـا قتيـلُ المـرءِ عمـرٍو وجَسّـاس بـنِ مُـرّة ذو ضَـريـرِ[9]

[٣٨/٥] / وقال العباسُ بن مِرْداس السُّلَميّ يُحَذِّرُ كُلَيبَ[10] بن عَهْمَةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَرِيّ لما مات حربُ بنُ أُميةَ وخنَقَتِ الجِنُّ مِرداساً وكانوا شركاءَ في القرية[11] فجحَدهم كُلَيبٌ حظَّهم منها ـ وسنذكر خبرَ ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى ـ فحذَّره غِبَّ الظلم فقال:

أكليـبُ مـالـكَ كـلَّ يـوم ظـالمـاً والظلـمُ أنكـدُ وجهُـه مَلعـونُ

(١) كذا في ب. وفي سائر الأصول: «طعن» بالطاء المهملة.
(٢) النهي (بالكسر في لغة أهل نجد، وغيرهم يقوله بالفتح): الغدير، وهو أيضاً الموضع الذي له حاجز ينهي الماء أن يفيض منه.
(٣) الجريب: واد عظيم بين أجلي وبين الذنائب وجبر، تجيء أعاليه من قبل اليمن حتى يصب في الرمة. والرمة: فضاء به أودية كثيرة بأرض نجد. قال الهمداني: هذا الجريب جريب نجد، وفي تهامة جريب آخر. (عن «معجم ما استعجم» و «معجم البلدان» لياقوت).
(٤) الذنائب: موضع بنجد.
(٥) الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح.
(٦) تداءمه: تراكم عليه وتزاحم.
(٧) في الأصول: «... المزدلف بن عمرو بن أبي ربيعة» بزيادة كلمة «ابن» وهو تحريف. (راجع الحاشية رقم ٨ ص ٣٥ من هذا الجزء).
(٨) زيادة عن ط، ء، م.
(٩) الضرير: الشدة، ويقال: فلان ذو ضرير إذا كان ذا صبر على الشرّ ومقاساة له. وذو ضرير هنا صفة لقتيل.
(١٠) كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول هنا وكتاب «النقائض» (ص ٩٠٧). وورد في الأصول التي بين أيدينا من «الأغاني» في أول أخبار أبي سفيان التي تقع في ج ٦ ص ٩٢ طبع بولاق: «كليب بن أبي عهمة السلمي».
(١١) ذكر أبو الفرج في ج ٦ ص ٩٢ وج ٢٠ ص ١٣٥ طبع بولاق: أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو وأخوته مرّ بالقرية وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام، فقال له مرداس بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟ قال بلى؛ قال: نعم المزدرع هو، فهل لك أن نكونا شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك؟ قال نعم؛ فأضرما النار في الغيضة، فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها، فلم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر أن ماتا، فأما مرداس فدفن بالقرية، ثم ادّعاها بعد ذلك كليب بن أبي عهمة السلمي ثم الظفري. وقال أبو الفرج عند إيراده هذا الخبر في ذلك الموضع: «وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها وتواترت الرواية بذكره، فذكرته، والله أعلم».

فـافْعَـلْ بقـومـك مـا أرادَ بـوائـلٍ يـومَ الغَـديـرِ سَمِيُّـكَ المطعـونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنحَلُ للأعشى:

ونحـن قهـرنـا تَغلِبَ ابنـةَ وائـلٍ بقتـل كُلَيـبٍ إذ طغَـى وتَخيَّـلَا[١]

أبَأْنـاه[٢] بـالنـاب التـي شـقَّ ضَـرْعَهـا فـأصبـحَ مَـوْطُـوءَ الحِمَـى مُتـذلِّـلَا

قال: ومَقتلُ كُلَيب بالذّنائب عن يسار فَلْجَةَ[٣] مُصعِداً إلى مكة، وقبرُه بالذنائب. وفيه يقول المهلهلُ:

ولـو نُبِـشَ المقـابـرُ عـن كُلَيـبٍ فَيُخْبَـرَ[٤] بـالـذنـائـب أيُّ زِيـرِ

/ قال أبو بَرْزَةَ: فلما قتله أمالَ يَدَه بالفرس حتى انتهى إلى أهله. قال: وتقول أخته حين رأته لأبيها: إنّ ذا [٣٩/٥] لجسّاسٌ أتى خارجاً ركبتاه؛ قال: والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمرٍ عظيم!. قال: فلما جاء قال: ما وراءكَ يا بُنَيَّ؟ قال: ورائي أني قد طعنتُ طعنةً لتُشغلَنّ بها شيوخُ وائل زمناً؛ قال: أقتلتَ كليباً؟ قال نعم؛ قال: وَدِدتُ أنكَ وإخوتَكَ كنتم مُتّم قبل هذا، ما بي إلا أن تتشاءمَ بي أبناءُ وائل. وزعم مُقاتلٌ أن جسّاساً قال لأخيه نَضْلَةَ بن مرّة ـ وكان يُقال له عَضُدُ الحمار ـ:

وإنـي قـد جَنيـتُ عليـكَ حـربـاً تُغِـصُّ الشيـخَ بـالمـاء القَـرَاحِ

مُـذَكَّـرةً[٥] متـى مـا يَصْـحُ عنهـا فَتـى نَشِبَـتْ[٦] بـآخـرَ غيـرِ صَـاحِ

تُنكِّـلُ عـن ذُبَـاب[٧] الغـيِّ قـومـاً وتَـدعُـو آخـريـنَ إلـى الصّـلاح

فأجابه نَضْلَةُ:

فـإن[٨] تَـكُ قـد جَنَيـتَ علـيّ حـربـاً فـلا وَانٍ ولا رَثُّ السِّـلَاحِ

قال أبو بَرْزَةَ:

وكان هَمّامُ بن مُرة آخَى مُهَلْهِلاً وعاقدَه ألاّ يَكتُمَه شيئاً؛ فجاءت [إليه][٩] أَمَةٌ له فأسرّت إليه قتلَ جسّاس كليباً؛ فقال [له][٩] مُهلهلٌ: ما قالت؟ فلم يُخبِره؛ فذكّره / العهدَ بينهما؛ فقال: أخبرَتْ أنّ جسّاساً قتلَ كليباً؛ [٤٠/٥]

---

(١) تخيل: تكبر.

(٢) أباء القاتل بالقتيل: قتله به.

(٣) فلجة: منزل على طريق مكة من البصرة بعد أبرقي حجر.

(٤) نصب «فيخبر» لما في «لو» من معنى التمني. «وأي زير» مبتدأ محذوف الخبر، كأنه قال: أي زير أنا.

(٥) مذكرة: شديدة.

(٦) في ط، ء: «تشبب لآخر...».

(٧) كذا في ط، ء، م. والمعنى الذي يمكن أن يراد من معاني الذباب هنا وهو مضاف إلى الغيّ: الجنون أو الشرّ، أي إنها تصرف قوماً عن جنون غيهم وطيشهم وتردّهم إلى صوابهم. وفي باقي الأصول: «عن ذناب الغيّ». وورد هذا الشطر في كتاب بكر وتغلب ابني وائل (طبع مطبعة نخبة الأخبار سنة ١٣٠٥ هـ، ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠ أدب ش):

* تنكل دانيات البغي قوماً *

(٨) في ط، ء، م: «إن تك...» بدون فاء. وهذا على أنه أوّل القصيدة، وحينئذ يكون فيه الخرم، وبحر الوافر مما يجوز فيه الخرم.

(٩) زيادة عن ط، ء.

فقال: استُ[١] أخيكَ أضيقُ من ذلك. وزعم مُقاتلٌ: أنّ همّاماً كان آخَى مُهَلْهِلاً وكان عاقده ألاّ يكتمَه شيئاً؛ فكانا جالسَيْنِ، فمرّ جسّاسٌ يَركُضُ به فرسُه مُخرِجاً فَخِذيه؛ فقال همّام: إنّ له لأمراً، والله ما رأيتُه كاشفاً فَخِذيه قطُّ في رَكْضٍ؛ فلم يلبَثْ إلا قليلاً حتى جاءته الخادم فسارّته أنّ جسّاساً قتلَ كليباً؛ فقال له مُهلهلٌ: ما أخبرَتْكَ؟ قال: أخبرتْني أن أخي قتلَ أخاك؛ قال: هو أضيقُ آستاً من ذلك. وتحمّل القومُ، وغدا مُهلهلٌ بالخيل.

وقال المفضَّلُ في خبره: فلما قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغْلِبَ بعضُهم لبعض: لا تَعجَلُوا على إخوتكم حتى تُعْذِرُوا بينكم وبينهم؛ فانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتَوْا مُرّةَ بنَ ذُهْل، / فعظّمُوا ما بينهم وبينه، وقالوا له: اخترْ منّا خِصالاً: إمّا أن تَدْفعَ إلينا جَسّاساً فنقتله بصاحبنا فلم يَظْلِمْ مَنْ قَتل قاتلَه، وإمّا أن تدفعَ إلينا همّاماً، وإمّا أن تُقِيدَنا من نفسك؛ فسكتَ، وقد حضرتْه وجُوه بني بكر بن وائل فقالوا: تكلَّمْ غيرَ مخذول؛ فقال: أمّا جسّاسٌ فغلامٌ حديثُ السنّ ركِب رأسَه فهرَب حين خاف فلا علمَ لي به، وأمّا همّامٌ فأبُو عَشَرةٍ وأخو عشرة[٢]، ولو دفعتُه إليكم لَصَيَّحَ[٣] بنوه في وجهي وقالوا: دفعتَ أبانا للقتل بجَرِيرة غيره؛ وأمّا أنا فلا أتعَجّلُ الموتَ، وهل تَزِيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولَةً فأكونَ أوّلَ قتيل! ولكن هل لكم في غير ذلك؟ هؤلاء بنِيّ، فدُونكم أحدَهم فأقتلُوه به، وإن شئتُم فلكم ألفُ ناقةٍ تَضمَنُها / لكم بكرُ بنُ وائل؛ فغَضِبوا وقالوا: إنّا لم نأتك لتُرذِلَ[٤] لنا بنيكَ ولا لِتَسُومَنا اللبن؛ فتفرّقوا، ووقعت الحربُ. وتُكُلِّمَ في ذلك عند الحارث بن عُبَادٍ، فقال: «لا ناقة لي في هذا ولا جمل»، وهو أوّل من قالها وأرسلها مثلاً.

١٤٣ / ٤ — [٥/٤١]

يوم عنيزة:

قالوا جميعاً: كانت حربهم أربعين سنة، فيهنّ خمسُ وقَعات مُزَاحَفات، وكانت تكون بينهم مُغَاوَرات[٥]، وكان الرجل يلقى الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هذا. وكان أوّلُ تلك الأيام يوم عُنَيْزة، وهي عند فَلْجة، فتكافؤا فيه لا لبكر ولا لِتَغْلِبَ؛ وتصديق ذلك قولُ مُهَلْهِلٍ:

يوم عنيزة:

كأنّا غُدوةً وبني أبينا ... بجَنْبِ عُنَيزةٍ رَحَيَا مُدِيرِ

ولولا الريحُ أُسمِع مَنْ بحَجْرٍ[٦] ... صَليلَ البِيضِ تُقرعَ بالذُّكور

(١) تضرب العرب ضيق الاست مثلاً في الذلة والضعف. قال في «اللسان»: «ويقال للرجل الذي يستذل ويستضعف: است أمك أضيق وآستك أضيق من أن تفعل كذا وكذا».

(٢) في «أمثال العرب» للمفضل الضبي (المطبوع بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ص ٥٦) زيادة: «وعم عشرة» بعد قوله: «... وأخو عشرة».

(٣) صيح الرجل: بالغ في الصياح.

(٤) كذا في ط، ء، وأمثال العرب للمفضل الضبي، وفسرها بقوله: «أي تعطينا رذال بنيك». ورذال الشيء (بالضم): أردؤه. وفي باقي الأصول: «لتؤدّي لنا بنيك»، وهو تحريف.

(٥) يقال: غاور القوم إذا أغار بعضهم على بعض.

(٦) فسر أبو علي القالي في «أماليه» (ج ٢ ص ١٣٤ طبعة دار الكتب المصرية) «حجراً» بأنها قصبة اليمامة، وضبطها «القاموس» بالفتح، ووردت مضبوطة في ط بالضم، وحجر (بالضم): موضع باليمن. والصليل: الصوت. والذكور: السيوف.

يوم واردات:

فتفرّقوا، ثم غبروا زماناً. ثم التقوْا يوم وارِدَات[١]، وكان لتغلِبَ على بكر، وقتلوا بكراً أشدَّ القتل، وقتلوا بُجيراً؛ وذلك قولُ مُهلهِلٍ:

فإنّي قد تركتُ بِوارِداتٍ ... بُجيراً في دَمٍ مثلِ العَبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بني عُبَادٍ ... وبعضُ الغَشْمِ[٢] أشفَى للصدور

قال مُقاتِلٌ: [إنه][٣] إنما التُقِطَ تَوًّا. وسيجيء حديثُه أسفلَ من هذا[٤]. التوّ: الفرد، يقال: وجدته تَوًّا، أي وحده.

/ قال أبو بَرْزَةَ: ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بني ثَعْلبة بن عُكَابَةَ ورَأَسُوا على أنفسهم الحارثَ بن عُبَادٍ، [٥/٤٢] فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة، حتى التقوْا بالحِنْوِ[٥]، فظهرت بنو ثعلبة على تَغْلِب.

يوم القصيبات ويوم قضة:

قال مقاتل: ثم التقوْا يومَ بطن السِّرْو، وهو يوم القُصَيبات[٦]، وربما قيل يوم القُصَيبة[٧]، وكان لبني تَغْلِب على بَكْر، حتى ظنّت بكرٌ أن سيقتلونها[٨] ـ قال مقاتل: وقتلوا يومئذ همّامَ بن مرّة ـ. ثم التقوْا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُقِ ويومُ الثَّنِيَّة[٩]. ويومُ قِضَة ويومُ الفَصِيلِ لبَكْر على تَغْلِب. قال أبو برزة: اِتّبعتْ تغلب بكراً فقطعوا رمَلاتِ خَزَازَي[١٠]

(١) واردات: موضع عن يسار طريق مكة.
(٢) الغشم: الظلم.
(٣) زيادة عن ط،ء.
(٤) في ب، س، حـ: «... أسفل من هذا حديثه». بزيادة كلمة «حديثه»، وظاهر أنه زيد سهواً من الناسخ.
(٥) الحنو: موضع في ديار بكر وتغلب.
(٦) القصيبات: موضع في ديار بكر وتغلب.
(٧) كذا في م وبه يستقيم الكلام. وفي باقي الأصول: «... وربما قيل القصيبة وهي القصبات لبني تغلب...».
(٨) في ط،ء، م: «أن سيقتلوها» و«أن» يجوز فيها أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون ناصبة للفعل بعد الظن، ولكن وجود السين في الفعل بعدها يعين أنها مخففة، فيجب رفع الفعل. وفي ب، س، حـ: «... أن سيقتلوا معاً». وفي كتاب «الكامل» لابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٥ طبع أوروبا) ـ ولعله هو الصحيح ـ: «... حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا».
(٩) الثنية هنا: الطريقة في الجبل كالنقب. ويوم الثنية معطوف على «يوم التحالق» على أنه تفسير آخر لـ «يوم قضة» كما يعينه إيراد الخبر في كتاب «معجم ما استعجم» في كلامه على «واردات»، ونصه بعد أن ذكر الأيام التي قبله: «... والخامس يوم قضة وهو يوم التحالق ويوم الثنية، وقال أبو عبيدة: وهو أول يوم شهده الحارث بن عباد...». وظاهر أن الثنية التي أضيف إليها هذا اليوم هي الثنية التي وقع فيها الجمل فسدّها حين طعنه عوف بن مالك ليسدّ الطريق دون قومه ثم تحالقوا لتعرفهم النساء، كما سيجيء ذلك بعد أسطر.
(١٠) خزازي (ويقال فيه أيضاً خزاز كسحاب وخزاز بالبناء على الكسر كقطام): جبل في ناحية منعج دون إمرة وفوق عاقل، على يسار طريق البصرة إلى المدينة، بإزاء حمى ضرية. والرغام: اسم رملة بعينها (كما في القاموس)، وذكر ياقوت في «معجم البلدان» أنها من نواحي اليمامة. وفي كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني (طبع ليدن ص ١٥٣) بعد أن عرض لذكر القصبتين اللتين ذكرتا في أخبار بني وائل وإحداهما قصبة الرغام، قال: «... والرغام جماع منها سفوح وأرطاة والبردان والطويل، وكل ذا فيه نخل كثير، ورميلة هي رملة الرغام مشرفة على ثرمداء...».

[٥/٤٣] والرَّغَامَ ثم مالوا لبطن الحِمارة[1]؛ فوردت بكرٌ قِضَةَ فسقتْ وأسقتْ / ثم صدرتْ وحَلَّئوا[2] تغلبَ، ونهضوا في نُجعةٍ[3] يقال لها مُوَيبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير؛ فلحِق رجل من الأوس بن تغلب بغُلَيِّم من بني تَيْم اللاّت بن ثَعْلبة يطرُد ذَوْداً له[4]، فطعَن في بطنه بالرمح ثم رفَعه[5] فقال: تَحَدَّبِي أُمَّ البَوِّ على بَوِّك. فرآه عَوْف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أَنفِذوا[6] جملَ أسماءَ (ابنته) فإنه أمضى جمالِكم وأجودُها منفذاً، فإذا نَفَذ تبِعته النَّعَمُ؛ / فوثب الجمل في المُوَيبة، حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عُرْقوبيه وقطع بِطانَ الظَّعِينة فوقع فسَدّ الثنيةَ - ثم قال عوف: أنا البُرَكُ أبرُك حيث أُدرِك، فسُمِّي البُرَك - ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مَجازاً، وتحالقوا لتعرفهم النساء؛ فقال جَحْدر بن ضُبَيعة بن قيس أبو المَسَامِعة - واسمه رَبيعة؛ قال: وإنما سُمّي جحدراً لِقصَرِه[7] -: لا تحلقوا رأسي فإني رجلٌ قصير، لا تَشِينوني، ولكنّي أشتريه منكم بأوّلِ[8] فارس يطلُع عليكم من القوم؛ فطلع ابنُ عَنَاق فشدّ عليه فقتله. فقال رجلٌ من بكر بن وائل يمدح مِسْمَع ابن مالك بذلك:

[١٤٤/٤]

يـابـنَ الـذي لمّـا حلقنـا اللِّمَمـا ... إبتـاع منـا رأسَـه تكـرُّمـا

* بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّما *

وقال البكريّ:

ومنّـا الـذي فـادَى مـن القـوم رأسَـه ... بمستلئـمٍ[9] مـن جَمعهـم غيـرِ أعـزلا

فـأدّى إلينـا بَـزّة[10] وسِلاحَـه ... ومُنفصِـلاً مـن عُنْقـه قـد تَـزَيَّـلا

[٥/٤٤] / قال: وكان جَحْدَرٌ يرتجز يومئذ ويقول:

رُدّوا علـيَّ الخيـلَ إن ألَمَّـتِ ... إن لـم أُقـاتلْهـم فجُـزُّوا لِمَّتـي

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ أنه لم يقلها، وأن صخر بن عمرو السُّلَميّ قائلُها؛ فقال مِسْمَع: كَرْدِين[11] (كذب) عامر. وقال البَكْرِيّ:

---

(١) كذا في الأصول. والحمارة (بلفظ تأنيث الحمار): اسم حرة. غير أن سياق عبارة الهمداني (في كتابه «صفة جزيرة العرب» ص ١٥٢ - ١٥٣) يدل على أن التي تصاقب الرغام هي «الحمادة» بالدال لا الحمارة بالراء. والحمادة (بالفتح) كما في «معجم ياقوت»: ناحية باليمامة أيضاً.

(٢) حلئوا تغلب: منعوها الماء.

(٣) في ط، ء: «نجفة» بالفاء.

(٤) الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة وقيل غير ذلك، ولا يكون إلا من الإناث، وهو يستعمل بمعنى الواحد وبمعنى الجمع.

(٥) في حـ: «دفعه».

(٦) في ط، ء: «قدموا».

(٧) عبارة ط، ء: «قال: وإنما جحدره قصره».

(٨) في ط، ء: «بأكرم فارس».

(٩) المستلئم: لابس اللأمة: وهي السلاح كلها. يقال: استلأم الرجل إذا لبس ما عنده من عدّة: رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل ودرع.

(١٠) البز (بالفتح): نوع من الثياب. وفي ط، ء: «ثوبه».

(١١) كذا في ط، م، ء. وكردين: كلمة فارسية معناها: حائد عن الصواب. وقد رجح لدينا أن كلمة «كذب» أثبتت تفسيراً من المؤلف لكلمة «كردين» فوضعناها بين علامتي التفسير إشارة إلى ذلك. وفي حـ: «كذب ابن كاذب عامر». وفي ب، س: «كاذب بن كاذب عامر».

ومِنّا الذي سَدّ الثنيةَ غُدْوةً على حَلْفَةٍ لم يُبْقِ فيها تَحَلُّلا
بجَهْدِ يمينِ الله لا يطلعُونها ولمّا نُقاتِلْ جَمْعَهم حين أَسْهَلا

وأمّا مقاتل فزعم أنهم قالوا: اتّخذوا عَلَماً يعرف به بعضُكم بعضاً، فتحالقوا[1]. وفيه يقول طَرَفة[2]:

صوت

سائلوا عنّا الذي يَعرِفنا بقُوَانا[3] يومَ تَحلاق اللِّمَم
يومَ تُبْدِي البِيضُ عن أسْؤُقِها[4] وتَلُفُّ الخيلُ أعْراجَ النَّعَم

/ غنّى في هذين البيتين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن الهِشاميّ، وذكر أحمد بن المكيّ أنه لمعبد. [٥/٤٥]

همام بن مرة ومقتله:

وزعم مقاتل أنّ هَمّام بن مُرّة بنِ ذُهْل بن شَيْبان، لم يزلْ قائدَ بكر حتى قُتل يوم القُصَيبات، وهو قبل[5] يوم قِضَة، [ويوم قِضَة] على أثره. وكان من حديث مقتل هَمّام أنه وجَد غلاماً مطروحاً، فألتقطه وربّاه وسمّاه ناشِرة فكان عنده لَقِيطاً؛ فلما شَبّ تبيّنَ أنه من بني تَغْلِب؛ فلمّا التقَوْا يومَ القُصَيبات جعل هَمّام يقاتل، فإذا عطِش رجع إلى قِرْبة فشرِب منها ثم وضع سلاحَه؛ فوجد ناشرةُ من هَمّام غفلةً، فشَدّ عليه بالعنَزَة[6] فأقْصده فقتله، ولحِق بقومه تغلبَ. فقال باكِي هَمّام:

لقد عَيّل[7] الأقوامَ طعنةُ ناشِرَهْ أناشِرُ لا زالتْ يمينُك آشِرَهْ[8]

الحارث بن عباد وأخذه بثأر ابنه بجير:

ثم قتل ناشِرةَ رجلٌ من بني يَشْكُر. فلمّا كان يومُ قِضَة وتجمعتْ إليهم بكر، جاء إليهم الفِنْد الزِّمّانِيّ أحد بني

---

(١) كذا في ط،ء. وفي باقي الأصول: «فتحالفوا» بالفاء، وهو تصحيف.
(٢) ذكر هذان البيتان في «ديوان طرفة» ضمن قصيدة أثبتها له أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيباني، وزعم الأصمعي أنها مصنوعة وأنه أدرك قائلها (عن «شرح ديوانه» ص ١٠٤ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م).
(٣) كذا في حـ، س وعدة أصول من «ديوان طرفة». وفي باقي الأصول: «بوفانا» بالفاء وهو تحريف.
(٤) أسوّق: جمع لساق، همزت الواو فيه لتحمل الضمة، أي يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفزع. وتلف: تجمع. وأعراج: جمع عرج (بالفتح ويكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين أو هو مائة وخمسون وفويقها أو من خمسمائة إلى ألف. والنعم (بالتحريك وقد تسكن عينه): الإبل.
(٥) كذا في ط،ء: وهو الموافق لما أجمعت عليه المصادر التي بين أيدينا ومنها كتاب «الأغاني» نفسه فيما تقدّم في أول هذا الخبر: من أن يوم القصيبات كان قبل يوم قضة ثم كان بعده يوم قضة. وقد وضعنا هذه الزيادة التي نعتقد أنها سقطت سهواً من الناسخ ليستقيم بها الكلام. وفي باقي الأصول: «... يوم القصيبات وهو بعد يوم قضة القصيبات على أثره...» وهو على ما فيه من اضطراب يخالف ما أثبته «الأغاني» نفسه قبلاً.
(٦) العنزة (محركة): شبيه العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها زج من أسفلها.
(٧) في م، حـ «واللسان» (مادة أشر): «الأيتام» بدل الأقوام. وعيلتهم الطعنة: أفقرتهم وأحوجتهم، إذ كان المطعون معتمدهم وسندهم.
(٨) آشرة: قال في «اللسان» (مادة أشر) بعد أن ذكر البيت: «أي لا زالت يمينك مأشورة «مشقوقة» أو ذات أشر، كما قال عزّ وجلّ: ﴿خلق من ماء دافق﴾ أي مدفوق، ومثل قوله عزّ وجلّ: ﴿عيشة راضية﴾ أي مرضية، وذلك أن الشاعر إنما دعا على ناشرة لا له، بذلك أتى الخبر وإياه حكت الرواة. وذو الشيء قد يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً... إلخ».

١٤٥/٤ زِمّان بن مالك بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائل من اليمامة، قال عامر / بن عبد الملك المِسْمَعيّ: فرأسوه عليهم؛ فقلت أنا لِفراس / بن خَنْدَق[1]: إن عامراً يزعم أن الفِنْد كان رئيس بكر يوم قِضَة؛ فقال: رحِم الله أبا عبدالله! كان أقلَّ الناس حظًّا في عِلم قومه. وقال فِراس: كان رئيسَ بكر بعد همّام الحارثُ بن عُبَاد. قال مقاتل: [٤٦/٥] وكان الحارث بن عُبَاد قد اعتزل يوم قتل كُلَيب، وقال: لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عِدْلي، وربما قال: لست من هذا ولا جملي ولا رَحْلي، وخذل بكراً عن تَغلِب، واستعظم قتلَ كُلَيب لسؤدده في ناقة. فقال سعد بن مالك يحضض الحارثَ بن عُبَاد:

يـا بـؤسَ للحـرب التـي … وضعـتْ أراهـطَ[2] فـآستراحـوا

والحـربُ لا يَبْقـى لِـجا … حِمِهـا[3] التَّخَيُّـلُ والمِـراحُ[4]

إلّا الفتـى الصبّـارُ فـي النَّـ … جَـداتِ والفـرسُ الـوَقـاحُ[5]

فلمّا أخذ بُجَيْرٌ[6] بن الحارث بن عُبَاد تَوًّا بواردات ـ وإنما سُلَّ ولم يؤخذ في مُزَاحَفة ـ قال له مُهَلْهِل: مَن خالُك يا غلام؟!. قال[7] امرؤ القيس بن أَبَان التَّغْلبِيّ لمهلهل: إني أرى غلاماً لَيُقْتَلَنّ به رجل لا يُسأل عن خاله، [٤٧/٥] وربما قال عن حاله ـ / قال: فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عُبَاد يوم قِضَة بيده ـ فقتله مهلهل. قال: فلمّا قتَل مهلهل بُجَيْراً قال: بؤ[8] بِشِسْع نعل كُلَيب؛ فقال له الغلام: إن رَضِيتْ بذلك بنو ضُبَيعة بن قيس رضيتُ. فلما بلغ الحارثَ قتلُ بُجَير ابنِ أخيه ـ وقال أبو بَرْزة: بل بجير ابن الحارث بن عُبَاد نفسِه ـ قال: نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أصلح بين ابنَيْ وائلٍ وباء بكُلَيب. فلما سمعوا قول الحارث: قالوا له: إنّ مهلهلاً لمّا قتله قال له: بُؤ بِشِسْع نعل كليب ـ وقال مهلهل:

كُـلُّ قتيـلٍ فـي كُلَيـبٍ حُـلَّامْ[9] … حتـى ينـالَ القتـلُ آلَ هَمّـامْ

وقال أيضاً:

(١) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء.

(٢) أراهط: جمع أرهط الذي هو جمع رهط. وقال سيبويه: إن أراهط جمع لرهط على غير قياس.

(٣) بين سطور ط: «لجاحمها» وكتبت أمامها كلمة «صح». وجاحم الحرب: موقدها ومثيرها. وفي ء: «لحاجمها» بتقديم الحاء على الجيم وهو مصحف عما ثبت في رواية ط.

(٤) التخيل: التكبر. والمراح: الأشر والبطر.

(٥) الوقاح (بالفتح): الصلب القويّ.

(٦) كذا في ب، س. وسيرد في سياق كلام المؤلف بعد قليل أن بجيرا ابن أخي الحارث وأن أبا برزة قال: إنه ابن الحارث نفسه. ونسبه على أنه ابن أخي الحارث هو، كما ورد في حـ: «فلما أخذ بجير بن عمرو ابن مرة بن عباد الحارث عم أبيه». و «الحارث عم أبيه» جملة حالية سيقت لبيان ما بين بجير والحارث من آصرة قربى. وفي ط، ء، م: «ولما أخذ بجير بن عمرو بن مرة بن الحارث بن عباد توا بواردات...» وغير خاف ما فيها من تحريف.

(٧) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «قال يقول امرؤ القيس...». ولو كان في ب، س: «فقال» بالفاء، كما ورد في جميع الأصول فيما يأتي، لكان أوجه.

(٨) باء دمه بدمه: عدله وكافأه، وباء فلان بفلان: قتل به.

(٩) قتيل حلام: ذهب باطلاً. وأصل الحلام (بضم الحاء وتشديد اللام وتخفيفها): الصغير من ولد الغنم، ويقال فيه حلان أيضاً، وقد روى بهما بيت مهلهل، والشطر الثاني في رواية «حلان»: «حتى ينال القتل آل شيبان». يقول: كل من قتل في كليب ناقص عن الوفاء به إلا آل همام أو شيبان. (عن «اللسان» مادة حلم بعض تصرف).

كـلُّ قتيـلٍ فـي كُلَيـبٍ غُـرَّةْ[١] حتـى ينـالَ القتـلُ آلَ مُـرَّةْ

ـ فغضِب الحارث عند ذلك فنادى بالرَّحيل[٢]. قال مقاتل: وقال الحارث بن عُبَاد:

قَـرِّبَـا مَـرْبَـطَ النَّعَـامـةِ[٣] مِنِّـي لَقِحـتْ[٤] حـربُ وائـلٍ عـن حِيـالِ

لا بُجَيـرٌ أغنَـى قتيـلاً ولا رهـ ـطُ كُلَيـبٍ تَـزَاجَـروا عـن ضَـلالِ

لـم أكـن مـن جُنَـاتِهـا علـمَ اللّـ ـهُ وإنّـي بحَـرِّهـا اليـومَ صـالِ

/ أسر مهلهل ونجاته ثم لحاقه باليمن وشعره في ذلك: [٤٨/٥]

قال: ولم يصحّح عامر ولا مِسمَع غير هذه الثلاثة الأبيات. وزعم أبو بَرْزة قال: كان أوّل فارس لقي مهلهلاً يوم واردات بُجَير بن الحارث بن عُبَاد، فقال: مَنْ خالُك يا غلام، وبوّأ نحوَه[٥] الرمحَ؛ فقال له امرؤ القيس بن أبَان التَّغْلَبيّ ـ وكان على[٦] مقدِّمتهم في حروبهم ـ: مهلاً يا مهلهل! فإنّ عمّ هذا وأهلَ بيته قد اعتزلوا حربَنا ولم يدخلوا في شيء مما نكره، ووالله لئن قتلتَه ليُقتلنّ به رجلٌ لا يُسأل عن نسبه؛ فلم يَلتفِتْ مهلهل إلى قوله وشدّ عليه فقتله، وقال: بُؤْ بشِسع نعل كليب؛ فقال الغلام: إن رَضِيتْ بهذا بنو تَغْلِبة[٧] فقد رضيتُه. قال: ثم غَبَروا زماناً، ثم لقِي هَمّامَ بن مرّة فقتله أيضاً. فأتى الحارثَ بن عُبَاد فقيل له: قتل مهلهل هماماً؛ فغضِب وقال: رُدُّوا الجِمالَ على عَكَرها[٨] «الأمرُ[٩] مخلوجةٌ ليس بسُلُكَي»؛ وجَدّ في قتالهم. قال مقاتل: / فكان حَكَمَ بكر بن وائل يومَ قِضَةَ [١٤٦/٤] الحارثُ بن عُبَاد؛ وكان الرئيسَ الفِنْدُ، وكان فارسَهم جَحْدَرٌ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبَيعة، وكان الذي سَدّ الثنيّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة؛ وكان عوفٌ أنْبه من أخيه سعد. وقال فِرَاس بن خَنْدَق[١٠]: بل كان رئيسَهم يوم قِضَةَ الحارثُ بن عُبَاد. قال مقاتل: فأسَر الحارثُ بن عُباد عَدِيًّا ـ وهو مهلهل ـ بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه؛ / فقال له: دُلَّني على المهلهل؛ قال: ولي دَمِي؟ قال: ولك دَمُك؛ قال: ولي ذِمّتُك وذِمّةُ أبيك؟ قال: نعم، ذلك [٤٩/٥] لك؛ قال: فأنا مُهَلْهِل. قال: دُلَّني على كُفءٍ لبُجَيْر؛ قال: لا أعلمه إلا امرأَ القيس بن أَبَان، هذاك عَلَمُه؛ فجَزّ ناصيتَه[١١] وقصَد قَصْدَ امرىء القيس فشَدّ عليه فقتله. فقال الحارث في ذلك:

(١) الغرة: العبد والأمة. ومعنى هذا البيت معنى الذي قبله.
(٢) في م: «فدعا بالرجل» بالجيم. ومن معاني الرجل (بالكسر): الجيش، شبه لكثرته برجل الجراد وهو الكثير منه.
(٣) النعامة: اسم فرس كانت للحارث بن عباد.
(٤) أصل اللقاح الحمل. وعن بمعنى بعد. وحيال: مصدر حالت الأنثى إذا لم تحمل. والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون.
(٥) بوّأ نحوه الرمح: قابله به وسدّده نحوه.
(٦) عبارة ط، ء: «وكان يلي مقدّمتهم...».
(٧) كذا في أكثر الأصول. وتغلبة جدّ أعلى من جدود آل عباد الذين منهم بجير هذا، إذ آل عباد من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وينتهي نسب ثعلبة إلى بكر بن وائل. وفي ب، س: «بنو تغلب»، وهو تحريف.
(٨) العكر: (محركة وقد تسكن) جمع عكرة: وهي القطيع الضخم من الإبل، أي ردوا ما تفرق من الإبل إلى معظمها.
(٩) في «لسان العرب» (مادة خلج): «الرأي مخلوجة ليس بسلكي». وفي «فرائد اللآل» (ص ٣٢) و«مجمع الأمثال» (ج ١ ص ٢٩): «الأمر سلكى وليس بمخلوجة». والسلكى: الطعنة المستقيمة وهي التي تقابل المطعون فتكون أسلك فيه. والمخلوجة: المعوجة. يضرب هذا المثل في استقامة الأمر ونفي ضدّها.
(١٠) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء.
(١١) الناصية: الشعر في مقدم الرأس فوق الجبهة، وكان من عادة العرب أنهم إذا أنعموا على الرجل الشريف بعد اسره جزوا ناصيته =

لَهْـفَ نفســي علــى عَــدِيٍّ ولـم أعـ ـــرِف عَــدِيًّــا إذ أمكنتنــي اليــدانِ
طُــلَّ[1] مَــنْ طَـلَّ فـي الحـروب ولـم أو تِــرْ بُجَيــراً أَبَــأْتُــه[2] ابــنَ أبــانِ
فــارسٌ يَضــرِب الكتيبــةَ بــالسيـ ـــف وتسمـــو أمـــامَـــه العينـــانِ

وزعم حُجْر أنّ مُهَلهِلاً قال: لا والله أوْ يَعْهَدَ لي غيرُك؛ قال الحارث: اخترْ مَنْ شئت؛ قال: أختار الشيخَ القاعد عَوْفَ بن مُحَلِّم؛ قال الحارث: يا عوفُ أجِرْه؛ قال: لا! حتى يقعدَ خَلْفي؛ فأمره فقعد خلفه؛ فقال: أنا مُهَلهِل. وأمّا مقاتل فقال: إنما أخذه في دَوْرِ الرَّحَى[3] وحَوْمة القتال ولم يقعد أحد بعدُ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ! . قال مقاتل: وشدّ عليهم جَحْدَرٌ، فاعتوره عمرو وعامر، فطعن / عمراً بعالية[4] الرمح وطعن عامراً بسافِلته فقتلهما عِدَاءً[5] وجاء بِبَزّهما. قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعِي: فحدّثني رجلٌ عالم قال: سألني الوليدُ بن يزيد: مَنْ قتلَ عمراً وأخاه عامراً؟ قلت: جَحْدَر؛ قال: صدقتَ، فهل تدري كيف قتلهما؟ قلت: نعم، قتل عمراً بسِنَان[6] الرمح، وقتل عامراً بزُجّه. قال: وقتل جحدرٌ أيضاً أبا مِكْنَف. قال مقاتل: فلمّا رجع مُهلهِل بعد الوَقْعَة والأسْرِ إلى أهله، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه: تسأل المرأة عن زوجها وابنها[7] وأخيها، والغلامُ عن أبيه وأخيه؛ فقال: [٥/٥٠]

لـيـس مثلــي يُخَبِّــر النــاسَ عــن آ بــائهــم قُتِّلــوا ويَنْسَــى القِتــالاَ
لــم أرِمْ[8] عَــرْصَــةَ الكتيبــةِ حتّــى انـ ـتعــل الــوَرْدُ[9] مــن دمــاءٍ نِعــالا
عَــرَفَتْـــه رِمَــاحُ بكـــرٍ فمـــا يـأ خُـــذن إلا لَبَـــاتَـــه[10] والقَـــذَالا
غلَبـــونـــا، ولا محـــالـــةَ يـــومـــاً يَقلِبُ الــدهــرُ ذاك حــالاً فحــالاً

= وأطلقوه فتكون الناصية عند من جزها يفخر بها. وربما جزت ناصية الأسير شريفاً كان أو غير شريف وأخذت للافتخار، والعرب متفاوتون في ذلك. قال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المرّي أحد الأجواد في الجاهلية:

عظمـــت دسيعتـــه وفضلـــه جــز النــواصــي مــن بنــي بــدر

وقالت الخنساء مفتخرة:

جــززنــا نــواصــي فــرســانهــا وكــانــوا يظنــون ألا تجــزا
ومــن ظــن ممــن يــلاقــي الحــروب بــألا يصــاب فقــد ظــن عجــزا

(١) طل دم القتيل: ذهب هدراً.

(٢) أباء القاتل بالقتيل: قتله به.

(٣) في ط، ء، م: «أخذه في المرحى». والمرحى: حومة الحرب.

(٤) عالية الرمح: سنانه. وسافلته: زجه. وزج الرمح: حديدة في أسفله.

(٥) يقال: عادى الفارس بين صيدين وبين رجلين إذا طعنهما طعنتين متواليتين، والعداء بالكسر، والمعاداة: الموالاة والمتابعة بين الاثنين يصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد، وأنشد لامرىء القيس:

فعــادى عــداء بيــن ثــور ونعجــة دراكــاً ولــم ينضــح بمــاء فيغســل

(٦) في ب، س، حـ: «بعالية الرمح».

(٧) في ب، س، حـ: «وأبيها».

(٨) لم أرم: لم أبرح.

(٩) الورد من الخيل: بين الكميت والأشقر؛ أو هو الأحمر الضارب إلى الصفرة.

(١٠) كذا في أكثر الأصول، واللبان: الصدر. وفي ب، س: «لباته» بالتاء بدل النون، واللبة: المنحر.

ثم خرج حتى لحِق بأرض اليمن، فكان في جَنْبٍ[١]، فخطب إليه أحدُهم ابنتَه فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه؛ فقال في ذلك مهلهل:

[٥١/٥]

/ أنكحَها فقدُها الأراقِمَ[٢] في جَنْبٍ وكان الحِبَاءُ[٣] من أدَمِ
لو بأبانَيْنِ[٤] جاء يخطبُها ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدَمِ
أصبحتُ لا مُنفِساً[٥] أصبتُ ولا أُبتُ كريماً حُرًّا من النَّدَمِ
هان على تَغْلِبٍ بما لَقِيتْ أختُ بني المالِكِينَ من جُشَمِ
ليسوا بأكفائنا الكرامِ ولا يُغْنُون من عَيْلةٍ ولا عَدَمِ

/ ثم إنّ مهلهِلاً انحدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبيعة، فطلب إليه أخوالُه بنو يَشْكُر - وأمّ مهلهِلٍ المرادة[٦] [١٤٧/٤] بنت ثَعْلبة بن جُشَم بن غُبَر[٧] اليَشْكُريّة، وأختها مَنَّة[٨] بنت ثَعْلبة أمّ حُيَيّ[٩] بن وائلٍ، وكان المُحَلّل[١٠] بن ثَعْلبة خالَهما - فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكونَ عنده ففعل[١١]؛ فسقاه خمراً، فلما طابت نفسُه تَغَنّى:

طَفْلةٌ[١٢] ما ابنةُ المُحلّل بيضا ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ

[٥٢/٥]

/ القبائل التي انضمت إلى بكر في حربهم مع تغلب:

حتى فرغ من القصيدة، فأدّى ذلك مَنْ سَمِعه من المُهلهِل إلى عمرٍو، فحوّله إليه وأقسم ألاّ يذوق عنده خمراً ولا ماء ولا لبناً حتى يَرِدَ رَبِيبُ الهِضَابَ (جمل له كان أقلَّ ورودِه في الصيف الخِمْسَ)[١٣]؛ فقالوا له: يا خير الفتيان، أرسِلْ إلى ربيبٍ فلْتُؤتَ به قبل وروده، ففعل فأوْجره[١٤] ذَنُوباً من ماء؛ فلما تَحلّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأ ماءٍ رأيته، فمات. فتلك الهِضَاب التي كان يرعاها ربيبٌ يقال لها هِضاب ربيب، طالما رعيتُهنّ

(١) جنب: حي باليمن من مذحج، وهم ستة رجال: منبه والحارث والعلي وسيحان وشمران وهفان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صداء. (راجع «معجم البلدان» لياقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أوروبا).

(٢) الأراقم: حيّ من تغلب.

(٣) كذا في ط،د، «وعيون الأخبار» (ج ٣ ص ٩١) طبع دار الكتب المصرية، وكذلك صححها المرحوم الشنقيطي بنسخته. وفي باقي الأصول: «الخباء» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف وقد وقع في هذا التصحيف ابن دريد كما في «المزهر» للسيوطي (ج ٢ ص ١٨٦).

(٤) أبانان: جبلان، قيل: يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود، وقيل: هو تثنية أبان ومتالع غلب أحدهما، كما قالوا العمران والقمران في أبي بكر وعمر وفي الشمس والقمر. (انظر «معجم البلدان» لياقوت).

(٥) المنفس: المال الكثير الذي له قدر وخطر.

(٦) في ط،د: «المرداة». وفي حـ: «المرتادة».

(٧) كذا في ط،د، وهو الموافق لما في «شرح القاموس» «مادة غبر» وفي الأصول «عبد» وهو تحريف.

(٨) كذا في ط،د. وفي سائر الأصول: «أمية».

(٩) كذا في ط،د، م. وفي باقي الأصول: «بنت ثعلبة حي من وائل».

(١٠) كذا في ط،د، م والطبري (قسم ٢ ج ٣ ص ٨٨٤ طبع أوروبا). وفي باقي الأصول وهامش الطبري: «المجلل» بالجيم.

(١١) في ط،د، م: «ففعل المحلل ثم شرب مهلهل يوماً وهو عند المحلل خمراً...».

(١٢) الطفلة: الرخصة الناعمة.

(١٣) الخمس بالكسر: من أظماء الإبل وهو أن ترد الإبل الماء في اليوم الخامس.

(١٤) أوجره ذنوباً من ماء: أي جعله في فيه. والذنوب: الدلو التي لها ذنب، ولا تكون ذنوباً إلا وهي ملأى، ولا تسمى خالية ذنوباً.

ورأيتهنّ. قال مقاتل: ولم يُقاتل معنا من بني يَشْكُرَ ولا من بني لُجَيْم ولا ذُهْل بنِ ثَعْلبة غيرُ ناس من بني يَشْكر وذُهْلٍ قاتلتْ بأَخَرَةٍ[1]، ثم جاء ناس من بني لُجَيم يوم قِضَةَ مع الفِنْد. وفي ذلك يقول سَعْد بن مالك:

إنّ لُجَيماً قد أبتْ كلُّها ... أن يُرْفِدونا رجلاً واحدَا

ويَشْكُرٌ أضحتْ على نأيها ... لم تَسْمَعِ الآن لها حامدَا

ولا بنو ذُهْلٍ وقد أصبحوا ... بها حُلولاً[2] خَلَفاً ماجدَا

القائدي الخيلِ لأرض العِدَا ... والضاربين الكوكبَ الوافِدَا[3]

وقال البَكْريّ:

وصَدّتْ لُجَيمٌ للبراءة إذ رأتْ ... أهاضيبَ[4] موتٍ تُمطِرُ الموتَ مُعْضِلا

ويَشْكُرُ قد مالتْ قديماً وأرْتعتْ ... ومَنّتْ بقُرباها إليهم لِتُوصَلا

وقالوا جميعاً: مات جَسّاسٌ حَتْفَ أنفه ولم يُقْتَل.

[٥/٥٣] / **عدد القتلى من بكر وتغلب والاستشهاد على ذلك بشعر مهلهل:**

قال عامر بن عبد الملك: لم يكن بينهم مِن قَتْلى تعدّ ولا تذكر إلا ثمانيةَ نفرٍ من تَغْلِب وأربعةً من بَكْر عدّدهم مُهلهِلٌ في شِعرَيْهِ[5]، يعني قصيدتَيْه:

أليلتَنا بذي حُسُمٍ[6] أنيري ... إذا أنتِ انْقضَيتِ فلا تَحُوري

فإن يكُ بالذَّنائب طال ليلي ... فقد أبكي من الليلِ القصيرِ

فلو نُبِش المقابِرُ عن كُلَيب ... فيَعْلَمَ بالذنائب أيُّ زِيرِ

بيوم الشَّعْثَمَين[7] أقَرّ عيناً ... وكيف لِقاءُ مَن تحت القُبورِ

---

(١) بأخرة: أخيراً، يقال جاء أخرة وبأخرة (بفتح الهمزة والخاء وبضم الهمزة).

(٢) كذا في حـ. وفي ب، س: «حلولاً خلقاً ماجداً». وفي ط، ء: «حلوماً حلقاً ماجداً». وفي م: «حلوماً خلفاً ماجداً».

(٣) كذا في ب. والكوكب: سيد القوم وفارسهم، والرجل بسلاحه. والوافد: القادم. وفي باقي الأصول: «الواقدا» بالقاف، ولعله تصحيف.

(٤) الأهاضيب: جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر.

(٥) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «في شعره يعني من قصيدته».

(٦) ذو حسم: موضع بالبادية. وتحوري: ترجعي.

(٧) يوم الشعثمين: هو يوم واردات، كما في «العقد الفريد»، بيد أن شعر الأخطل الآتي يدل على أنه يوم الذنائب. والشعثمان هما شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة، كما في العقد الفريد»، وقيل: هما شعثم وشعيث، وقيل في اسميهما غير ذلك. وأضيف هذا اليوم إليهما لأنهما قتلا فيه. وقد جمعهما الأخطل في قصيدة يفتخر فيها بقومه بني تغلب على «شعائم»، يريد ابني معاوية ومن قتل معهما في ذلك اليوم، فقال:

بقومٍ هُمُ يوم الذنائب أهلكوا ... «شعائم» رهط الحارث بن عباد

وقال أبو علي القالي في أماليه: «الشعثمان: موضع معروف». وردّ قوله هذا بأنه لم يذكره أحد ممن شرح حرب البسوس وذكر أيامها. (راجع «شرح شواهد المغني» للبغدادي ج ٢ ص ٢٣٤ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢ نحو ش و «العقد الفريد» ج ٣ ص ٩٥). وأقرّ عيناً: جواب «لو» الشرطية في البيت الذي قبل هذا البيت. و «رواية الأمالي»: «لقرّ عيناً» باللام. وقد تقدّم في ص ٣٨ أن هذا الفعل نصب لما في «لو» من معنى التمني.

وإنّي قد تركتُ بِواردات [١] بُجَيراً في دمٍ مثلِ العَبيرِ [٢]
هتكتُ به بيوتَ بني عُبادٍ وبعضُ الغَشْمِ أشفَى للصّدورِ
على أنْ ليس يُوفي من كُلَيْبٍ إذا برزت مخبّأةُ الخُدورِ
/ وهمّامَ بنَ مُرَّةَ قد تركنا عليهِ القَشْعمانِ [٣] من النسورِ [٥/٥٤]
يَنُوء بصدره والرمحُ فيه وَيَخْلِجُهُ [٤] خِدَبٌّ كالبعيرِ
فلولا الريحُ أُسمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ صليلَ البيضِ تُقْرَعُ بالذكورِ [٥]
/ فِدًى لبني شَقِيقَةَ يومَ جاءوا كأُسْدِ الغابِ لَجّتْ في الزَّئيرِ ١٤٨/٤
كأنّ رماحَهم أشطانُ [٦] بئرٍ بعيدٍ بين جالَيْها [٧] جَرُورِ
غداةَ كأنّنا وبني أبينا بجَنْبِ عُنَيزةٍ رَحَيا [٨] مُدِيرِ
تَظَلّ الخيلُ عاكفةً عليهم كأنّ الخيلَ تُرْحَضُ [٩] في غديرِ

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل. وقال أيضاً:

طَفْلةٌ ما ابنةُ المحلّلِ بَيْضا ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ
فاذْهَبي ما إليكِ غيرَ بعيدٍ لا يُؤاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ
ضربتْ نحرَها إليّ وقالتْ يا عَدِيًّا لقد وَقَتْك الأواقي [١٠]
ما أُرَجّي في العيش بعد نَداما يَ أراهم سُقُوا بكأسِ حَلاقِ [١١]
/ بعد عمرٍو وعامرٍ وحُيَيٍّ ورَبِيعِ الصَّدُوفِ [١٢] وابْنَي عَناقِ [٥/٥٥]

---

(١) واردات: موضع عن يسار طريق مكة، وبه سمي «يوم واردات».
(٢) العبير: الزعفران.
(٣) القشعم: النسر الذكر العظيم. ويروى كما في «الأمالي» لأبي علي القالي ج ٢ ص ١٣٢ طبع دار الكتب المصرية: «عليه القشعمين» على أنه معمول لتركنا، وبالرفع على أنه جملة حالية استغنت في الربط بالهاء عن الواو. على أنه يجوز أن يكون القشعمان مفرداً وتلحق حركة الإعراب فيه النون لا الألف، وقد تضم القاف والعين كما في ثعلبان وقد تفتحان كما في عقربان.
(٤) يخلجه: يجذبه. والخدب: الضخم.
(٥) تقدّم تفسير هذا البيت في ص ٤١ في الحاشية رقم ٣ من هذا الجزء.
(٦) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل الشديد الفتل يستقى به.
(٧) جال البئر: ناحيتها. والجرور من الآبار: البعيدة القعر.
(٨) في «شرح شواهد المغني» للبغدادي: «قال أبو عبيد البكري في «شرح نوادر القالي» المسمى «قرة النواظر في شرح النوادر»: الرحيان إذا أدارهما مدير أثرت إحداهما في الأخرى وهما من معدن واحد، وكذلك هؤلاء هم من أصل واحد يتماحقون ويقتتلون».
(٩) ترحض: تغسل.
(١٠) الأواقي: جمع واقية.
(١١) الحلاق: المنية معدولة عن الحالقة لأنها تحلق أي تقشر، وبنيت على الكسر لأنه حصل فيها العدل والتأنيث والصفة الغالبة.
(١٢) كذا في أكثر الأصول وفي «شرح شواهد العيني» المطبوع بهامش «خزانة الأدب» للبغدادي (ج ٤ ص ٢١٣ طبع بولاق)، وقد فسره العيني بقوله: «الصدوف بفتح الصاد المهملة وفي آخره فاء: اسم فرس الربيع الذي أضيف إليها وقيل: اسم امرأة». وفي س: «الصدوق» بالقاف، وهو تصحيف.

وامــرىء القيــس مَيِّــت يــوم أودَى ثــم خَلّــى علــيّ ذات العَــرَاقِــي[١]

وكليــبٍ شُــمّ[٢] الــفــوارس إذ حُــمّ رمــاه الكمــاةُ بــالإيفــاق[٣]

إنّ تحــت الأحجــار حَــدًّا[٤] ولينــاً وخَصيمــاً ألــدَّ ذا مِغْــلاقِ[٥]

حيّــةٌ فــي الــوِجَــار[٦] أربــدُ لا تَنْــفَــعُ منــه السليــم نَفْثَــةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب. قال عامر: والدليل على أنّ القَتْلى كانوا قليلاً أنّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروبَ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبني بنيهم، فإن كانوا خمسَمائةٍ فقد صدقوا، فكم عسى أن يبلغ عددُ القتلى والقبائل. قال مِسْمَع: إنّ أخي مجنون، وكيف يحتجّ بشعر المُهَلهِل، وقد قتل جَحْدرٌ أبا مِكْنَف يوم قِضَةَ فلم يذكره في شعره، وقَتَل اليشكريُّ ناشِرةَ فلم يذكره في الشعر، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات، وقَتَل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ ابنَ القَبيحة فلم يُذْكر، فهؤلاء أربعة. وقال البَكْريّ:

تــركنــا حَبيبــاً يــوم أزجــفَ جمعُــه صــريعــاً بــأعلــى وارداتٍ مُجَــدَّلا

[٥٦/٥] / وقال مُهَلهِل أيضاً:

لســتُ أرجــو لَــذَّةَ العيــش مــا أزَمَــتْ[٧] أجــلادُ قِــدٍّ بِســاقِــي

جَلَّلــونــي جِلَــدَ حَــوْبٍ[٨] فقــد جعلــوا نَفْسِــيَ عنــد التَّــرَاقِــي

وقال آخر[٩] يَفْخَر بيوم واردات:

ومُهْــراقُ الــدمــاء بــوارداتٍ تَبِيــدُ المُخْــزِيــاتُ ومــا تَبِيــدُ

فقلتُ لعامر: ما بالُ مِسْمَع وما احتجّ به من هؤلاء الأربعة؟ فقال عامر: وما أربعةٌ إن كنتُ أغفلتُهم[١٠] فيما يقولون! إنّهم قتلوا يوم كذا[١١] ثلاثةَ آلاف، ويوم كذا[١١] أربعةَ آلاف، والله ما أظنّ جميع القوم كانوا يومئذ ألفاً! فهاتوا فعُدُّوا أسماءَ القبائل وأبناءهم وأنزلوا معهم [إلى][١٢] أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا!

(١) ذات العراقي: الداهية.
(٢) في ب، س: «شمّ» بالشين، وهو تصحيف.
(٣) كذا في «شرح شواهد العيني»، والإيفاق (بكسر الهمزة وسكون الياء بعدها فاء وبعد الألف قاف): إيتار السهم ليرمي به، من أوفقت السهم إذا وضعته على فوقه. وفي الأصول: «بالاتفاق» وهو تصحيف.
(٤) كذا في م، حـ. والحدّ: الحدة. وفي سائر الأصول: «جدا» بالجيم.
(٥) المعلاق: اللسان البليغ كأنه يعلق بخصمه، ويروى: «مغلاق» بالغين المعجمة، كأنه يغلق الحجة على خصمه.
(٦) الحية يطلق على الذكر والأنثى. والوجار: حجر الضبع ويستعار لغيرها. والأربد: الذي يضرب لونه إلى السواد.
(٧) أزمت: تقبضت وانضمت.
(٨) كذا صحح هذه الكلمة المرحوم الشيخ الشنقيطي في نسخته. والحوب (بالحاء المهملة المفتوحة والواو): الضخم من الجمال. والبعير إذا زجر قيل له حوب ولذلك سمى حوباً بزجره كما سمى البغل عدساً بزجره وسمي الغراب غاقاً بصوته. وفي ط، ء م: «جوب» بالجيم والجوب الترس، وهو بعيد عن السياق. وفي باقي الأصول: «حرف» بالحاء المهملة والراء. والحرف الناقة الضامرة الصلبة.
(٩) هو جرير العجلي وقيل: هو الأخطل. «انظر «اللسان» مادة هرق».
(١٠) كذا في ط،ء، م. وفي سائر الأصول: «لأعقلهم».
(١١) كذا في ط،ء، م. وفي باقي الأصول: «ويوم كذا وكذا. . . . .».
(١٢) الزيادة عن ط.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

١٤٩/٤

/ صوت

أَزْجُرِ العينَ أنْ تُبَكّي الطُّلُولاَ ... إنّ في الصدر من كُلَيبٍ غليلاَ

إنّ في الصدرِ حاجةً لن تَقَضَّى ... ما دعا في الغصون داعٍ هَديلاَ

كيف أنساكَ يا كُلَيبُ ولمّا ... أقضِ حزناً يَنُوبُني وغَليلاَ

/ أيّها القلبُ أَنْجِزِ اليومَ نَحْباً[1] ... من بني الحِصْنِ[2] إذ غَدَوْا وذُحولاَ[3] [٥٧/٥]

كيف يَبكي الطلولَ مَنْ هو رهنٌ ... بِطِعانِ الأنامِ جِيلاً فجِيلاَ

أنْبَضُوا[4] مَعْجِسَ القِسِيِّ وأبرقْـ ... ـنا كما تُوعِدُ الفحولُ الفحولاَ

وصبَرْنا تحت البَوارِقِ حتّى ... رَكَدَتْ فيهمُ السيوفُ طويلاَ

لم يُطيقوا أن يَنزِلوا ونزلْنا ... وأخو الحربِ مَنْ أطاق النزولاَ

الشعر لمُهلهِل ـ قال أبو عُبيدة: اسمه عَدِيّ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت: اسمه امرؤ القيس ـ وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهَير بن جُشَم بن بَكْر بن حَبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب؛ وإنما لُقِّب مُهَلهِلاً لطِيب شعره ورِقّته، وكان أحدَ من غُنِّيَ من العرب في شعره. وقيل: إنه أوّل من قَصَّد القصائدَ وقال الغزلَ؛ فقيل: قد هَلْهَلَ الشعرَ، أي أرَقّه. وهو أوّل مَنْ كذَب في شعره[5]. وهو خال امرئ القيس بن حُجْر الكِنْديّ. وكان فيه خُنْثٌ ولِين، وكان كثيرَ المحادثة للنّساء، فكان كُلَيب يسمّيه «زِيرَ النّساء»؛ فذلك قوله:

ولو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيبٍ ... فيَعلَمَ بالذنائبِ أيُّ زِيرِ

الغناء لابن مُحرِز في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى. وللغَرِيض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع[6] والمجرى، والذي فيه سَجْحةٌ منها[7] لابن مُحرز. ولمَعْبَد لحنان أحدهما في الأوّل والسادس ثقيل أوّل مطلق / في مجرى البنصر، والآخر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر. ولإبراهيم في الأوّل والرابع ثقيلٌ [٥٨/٥] أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الأوّل والثالث ماخُوريّ. ولعَلُّويَه في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى. ولابن سُرَيج في السادس والسابع خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى البنصر. ولابن سُرَيج أيضاً في الأوّل والثامن خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر. وللغَرِيض في الأوّل

(١) النحب: النذر.
(٢) الحصن: هو ثعلبة بن عكابة.
(٣) الذحول: جمع ذحل وهو الثأر.
(٤) أنبض الرامي القوس وعن القوس: جذب وترها لتصوّت. ومعجس كمجلس: مقبض القوس.
(٥) حكم عليه بهذا لقوله: «فلولا الريح...» البيت، لأن قتالهم كان بالجزيرة وحجر قصبة اليمامة، وبين الموضعين مسافة عظيمة. (راجع «أمالي أبي علي القالي» ج ٢ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية وكتاب «الشعر والشعراء» ص ١٦٤).
(٦) في ط: «والإصبع في المجرى».
(٧) لعل الصواب: «منهما» على أن يكون مرجع الضمير اللحنين.

والثاني خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر. وللهُذَلِيّ في الأوّل والثاني والسابع خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه. ولمالك في الأوّل والثاني والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة.

ومنها:

صوت

ثَكِلَتْنِي عندَ[1] الثَّنِيَّةِ أُمِّي وأتاها نَعِيُّ عَمِّي وخالي
إنْ لَمْ أَشْفِ النفوسَ من حَيِّ بكرٍ وعَدِيٍّ تَطَاْهُ بُزْلُ الجِمالِ[2]

غنّاه ابن سُرَيج ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وغنّاه الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

[٥٩/٥] ١٥٠/٤ / ومنها:

صوت

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعامةِ مِنِّي لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيَالِ[3]
قَرِّبَاها في مُقْرَبَاتٍ[4] عِجَالٍ عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعَالِي
لم أكن من جُنَاتِها عَلِمَ اللّهُ وإنّي بحَرِّها اليومَ صالِ

الشعر للحارث بن عُبَاد. والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سُرَيج.

ومنها:

صوت

يا لَبَكْرٍ أنْشِروا لي كُلَيباً يا لَبَكْرٍ أينَ أينَ الفِرارُ
يا لَبَكْرٍ[5] فاظْعَنوا أو فحُلُّوا صَرَّحَ الشرُّ وبانَ السِّرارُ

---

(١) في ط، ء، م: «على».
(٢) رواية هذا البيت في كتاب بكر وتغلب ابني وائل:
إن لم أشف النفوس من تغلب الغد ر بيوم تذل بزل الجمال
ولعله: «يُزِلُّ بزل الجمال» وبهذا يكون البيت واضح العبارة والمعنى. وقد ورد في ب، س عقب هذين البيتين جملة: «الشعر مجهول»، وهي حشو لأن هذا الشعر للحارث بن عباد كما سيذكر المؤلف بعد قليل.
(٣) تقدّم شرح هذا البيت في الحاشيتين رقم ٥، ٦ ص ٤٧ من هذا الجزء.
(٤) المقربات: جمع مقربة وهي الفرس التي يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها. والسعالى: جمع سعلاة وهي الغول أو ساحرة الجن. ورواية هذا البيت في كتاب بكر وتغلب:
قربا مربط النعامة مني ساريات يقفزن قفز السعالى
وهي رواية غير جيدة.
(٥) في ط، ء: «يا لبكر اظعنوا...» بدون فاء.

الشعر لمُهَلهِل. والغناء لابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وغنّاه الأبْجر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو.

ومنها:

صوت

أليلتنا بذي حُسُمٍ أنيري ... إذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُوري

فإن يكُ بالذنائب طال ليلي ... فقد أبكي من الليل القصير

/ كأنّ الجَدْيَ جَدْيَ[1] بنات نَعْشٍ ... يَكُبّ[2] على اليدين بمستدير[3] [٥/ ٦٠]

وتَحْبُو[4] الشِّعْرَيانِ[5] إلى سُهَيلٍ ... يَلُوح كقِمَّةِ[6] الجملِ الكبير

فلولا الريحُ أسمِعَ أهلُ حَجْرٍ ... صَليلَ البيضِ تُقْرَعُ بالذُّكور

الشعر لمُهَلهِل. والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وله في الأبيات كلها خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعاً. وفي الأبيات كلّها على الوِلاَء للأبْجر ثاني ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو. ويقال: إن فيها لحناً للغَرِيض أيضاً.

الهجرس بن كليب وثأره لأبيه من خاله جساس:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل عن أبي عُبَيدة:

/ أن آخِرَ مَنْ قُتِل في حرب بكر وتغلِب جَسّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان، وهو قاتلُ كُلَيب بن رَبِيعة، وكانت أخته تحت كُلَيب، فقتله جَسّاس وهي حامل، فرجعتْ إلى أهلها ووقعت الحربُ، فكان من الفريقين ما كان؛ ثم صاروا إلى الموادعة بعدما كادت القبيلتان تتفانيان؛ فولدت أختُ جَسّاس غلاماً فسمّته[7] الهِجْرِسَ وربّاه جساس، فكان لا يعرف أباً غيره، وزوّجه ابنتَه. فوقع بين الهِجْرِس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ؛ فقال له البكريّ: ما [٥/ ٦١]

---

(١) قال ابن سيده: الجدي من النجوم جديان: أحدهما الذي يدور مع بنات نعش، والآخر الذي يلزق الدلو وهو من البروج ولا تعرفه العرب. وكلاهما على التشبيه بالجدي في مرآة العين.

(٢) يكب: ينكس. يقال: كب فلان فلاناً إذا صرعه فأكب هو؛ وهذا من النادر، وهو أن يكون الفعل المجرد من الهمزة متعدياً وذو الهمزة لازماً.

(٣) كذا في ب، س، حـ. وفي ط، ء، م: «كمستدير».

(٤) تحبو: تدنو، يقال: حبا الشيء إلى كذا إذا دنا إليه أو اتصل به. وفي الأصول الموجود بها هذا البيت: «تخبو» بالخاء المعجمة، وظاهر أنه تصحيف، ورواية «كتاب بكر وتغلب» (ص ٧٠): «تحنو» بالحاء المهملة والنون. والبيت ساقط من ط، ء.

(٥) الشعريان: كوكبان، أحدهما في الجوزاء وطلوعه بعدها في شدّة الحر، ويقال له الشعري اليمانية وتلقب بالعبور، والآخر في الذراع ويقال له الشعري الغميصاء، وتزعم العرب أنهما أختا سهيل. وسهيل: كوكب يمان.

(٦) رواية كتاب بكر وتغلب: «كهيئة».

(٧) كذا في ط، ء و «ابن الأثير» (ج ١ ص ٣٩٣) طبع ليدن. وفي باقي الأصول اختلاف في عطف بعض هذه الأفعال على بعض بالواو أو بالفاء.

أنت بمنتهٍ حتى نُلحقك بأبيك؛ فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيباً، فسألته عما به فأخبرها الخبر؛ فلما أوَى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته وضع أنفَه بين ثدييها، فتنفّس تَنَفُّسةً تنفّط[1] ما بين ثدييها من حرارتها؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أقلّتها رِعدةٌ حتى دخلتْ على أبيها، فقصّت عليه قصّةَ الهِجْرِس؛ فقال جسّاس: ثائرٌ وربِّ الكَعْبة! وبات جسّاس على مثل الرَّضْف[2] حتى أصبح؛ فأرسل إلى الهِجْرِس فأتاه، فقال له: إنما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد ١٥١/٤ علمتَ، وقد / زوّجتك ابنتي وأنت معي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كِدْنا نتفانى، وقد اصطلحْنا وتحاجزْنا، وقد رأيتُ أن تدخل فيما دخل فيه الناسُ من الصلح، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أُخِذ علينا وعلى قومنا؛ فقال الهِجْرِس: أنا فاعل، ولكنّ مثلي لا يأتي قومَه إلا بَلأْمته[3] وفرسه؛ فحمله جَسّاس على فرس [٥/٦٢] وأعطاه لأْمةً ودِرْعاً؛ فخرجا حتى أتيَا جماعةً من قومهما، فقَصّ عليهم جسّاس / ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية، ثم قال: وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعْقِد ما عَقَدتم؛ فلما قَرّبوا[4] الدمَ وقاموا إلى العَقْد أخذ الهِجْرِس بوَسَط رُمحه، ثم قال: وفَرَسي وأذُنَيْه، ورُمْحي ونَصْلَيْه، وسيفي وغِرَارَيْه، لا يترك الرجل قاتلَ أبيه وهو ينظر إليه؛ ثم طعن جسّاساً فقتله، ثم لَحِق بقومه؛ فكان آخرَ قتيلٍ في بكر بن وائل.

ترحيل أخت كليب لجليلة عن مأتم زوجها وشعر جليلة في ذلك:

قال أبو الفرج: أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن الشَّرْقيّ[5] بن القُطَاميّ قال:

لمّا قَتل جسّاس بن مُرّة كُلَيبَ بنَ ربيعة، وكانت جليلةُ بنت مُرّة أختُ جساس تحت كليب، اجتمع نساء الحيّ للمأتم، فقلن لأخت كُلَيب: رَحِّلي جَليلةَ عن مأتمك، فإنّ قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب؛ فقالت لها: يا هذه اخْرُجي عن مأتمنا، فأنتِ أختُ واترِنا وشقيقةُ قاتِلنا؛ فخرجت وهي تَجُرّ أعطافَها؛ فلقيها أبوها مُرّة، فقال لها: ما وراءكِ يا جليلة؟ فقالت: ثُكْلُ العَدَد، وحزنُ الأبد؛ وفَقْدُ حليل، وقتلُ أخٍ عن قليل؛ وبين ذين غرسُ الأحقاد، وتَفَتُّتُ الأكباد؛ فقال لها: أوَ يَكُفُّ ذلك كرمُ الصَّفْح وإغلاءُ الدِّيات؟ فقالت جليلة: أُمْنِيَّةٌ مخدوعٍ وربِّ الكعبة! أبِالبُدْنِ تَدَعُ لك تَغْلِبُ دمَ ربِّها!. قال: ولمّا رَحَلت جليلةُ قالت أُخت كُلَيب: رِحلةُ المعتدِي وفِراقُ الشامت، ويلٌ غداً لآل مُرّة، من الكَرّة بعد الكرة!. فبلغ قولُها جليلةَ، فقالت: وكيف تَشْمَتُ الحُرّةُ بهَتْك سِترِها [٥/٦٣] / وتَرَقُّبِ وِترِها! أسعد الله جَدّ أُختي، أفَلا قالت: نَفْرة الحياء، وخوف الاعتداء!. ثم أنشأتْ[6] تقول:

---

(١) تنفط: احترق.

(٢) الرضف (بالفتح، واحده رضفة): الحجارة المحماة يوغر (يسخن) بها اللبن، ويقال: هو على الرضف إذا كان قلقاً مشخوصاً به أو مغتاظاً.

(٣) لأمته: سلاحه. وتطلق اللامة على كل عدّة للحرب من درع ورمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل.

(٤) كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيباً أو دماً أو رماداً فيدخلوا فيه أيديهم عند التحالف ليتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد.

(٥) في بعض الأصول: «الشرفي» بالفاء، وهو تصحيف، وقد ضبطه السمعاني بفتح الشين وسكون الراء والقطامي بضم القاف وفتح الطاء وكسر الميم. وضبط كذلك بالعبارة في «تهذيب التهذيب» والخلاصة بفتح الشين والراء وقطامي بضم القاف وفتح الميم.

(٦) قال أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني في الجزء الثالث من «أشعار النساء» بعد أن ذكر هذه الأبيات ونسبها لجليلة كما ذكر المؤلف هنا: «ووجدت بخط حرميّ بن أبي العلاء قال محمد بن خلف بن المرزبان: هذه الأبيات لفاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن مرّة أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين ترثي أخاها كليباً وقتله زوجها جساس» اهـ.

يـابنـةَ الأقـوامِ إنْ شئـتِ فـلا | تَعْجَلِـي بـاللّـوْمِ حتـى تسـأَلِـي
فـإذا أنـتِ تَبَيَّنـتِ الـذي | يُـوجِـبُ اللّـومَ فلُـومِـي واعِـذُلِـي
إن تكـن أُختُ امـرىءٍ لِيمَـتْ علـى | شَفَـقٍ منهـا عليـه فـافعلـي
جَـلَّ عنـدي فعـلُ جَسّـاسٍ فيـا | حَسْـرتـي عمـا انجلـتْ أو تنجلـي
فعـلُ جَسّـاسٍ علـى وَجْـدِي بـه | قـاطـعٌ ظَهْـرِي ومُـدْنٍ أجَلِـي
لَـوْ بِعَيـنٍ فُقِئـتْ عينـي سـوى | أُختِهـا فـانفقـأتْ لـم أَحْفِـلِ
تَحمِـلُ العيـنُ قَـذَى العيـنِ كمـا | تَحمِـلُ الأُمّ أذى مـا تَفْتَلِـي[1]
يـا قتيـلاً قَـوّض الـدهـرُ بـه | سَقـفَ بيتـيّ جميعـاً مـن عَـلِ
هـدمَ البيـتَ الـذي استحـدثْتُـه | وانثَنَـى فـي هـدمِ بيتـي الأوّلِ
ورمـانـي قتلُـه مـن كَثَـبٍ[2] | رميـةَ المُصْمِـي بـه المُستـأصِـلِ
يـا نِسـائـي دونكـنّ اليـومَ قـد | خَصَّنـي الـدهـرُ بـرُزْءٍ مُعْضِـلِ
خَصّنـي قتـلُ كُلَيـبٍ بلَظًـى | مِـن ورائـي ولَظًـى مُسْتقبِلِـي[3]
ليـس مـن يَبكـي ليـومَيـن[4] كمـن | إنمـا يبكـي ليـومٍ ينجلـي[5]
يشتفِـي المـدرِكُ بـالثـأرِ وفـي | دَرَكـي ثـأرِيَ ثُكْـلُ المُثكِـلِ[6]
ليتـه كـان دَمِـي فـاحتلبـوا | بَـدَلاً منـه دَمـاً مـن أَكْحَلـي[7]
إنّنـي قـاتلـةٌ مقتـولـةٌ | ولعـلّ الله أن يـرتـاحَ لِـي

١٥٢
٤
[٥/ ٦٤]

(١) تفتلي: تربيّ، وفي الأصول: «تعتلي» بالعين المهملة، وهو تحريف.
(٢) من كثب: من قرب. وأصماه: قتله في مكانه.
(٣) كذا في ط، ء، م، وهو الموافق لما في الجزء الثالث من «أشعار النساء» للمرزباني (ص ٥٠) «ونهاية الأرب» (ج ٥ ص ٢١٥) طبع دار الكتب المصرية. وفي سائر النسخ: «من أسفلي».
(٤) هذه رواية «نهاية الأرب». وفي الأصول: «اليومه».
(٥) كذا في «نهاية الأرب». وفي أكثر الأصول: «ببجل». وفي ب، س: «يجل» وهما تحريف.
(٦) المثكل: التي لازمها الحزن. ورواية ط، م، ء: «ثكل مثكلي». ورواية أشعار النساء:

درك الثـائـر شـافيـه وفـي | درك الثـائـر قتـل مثكلـي

(٧) كذا في الجزء الثالث من «أشعار النساء» للمرزباني. والأكحل: عرق في الذراع يفصد، وقيل: هو عرق الحياة ويدعى نهر البدن، ولا يقال فيه عرق الأكحل. وفي الأصول:

ليتـه كـان دمـاً فـاحتلبـوا | درراً منـه دمـي مـن أكحلـي

ولو كانت الرواية فيه.

ليتـه كـان دمـاً فـاحتلبـوا | بـدلاً منـه دمـي مـن أكحلـي

لكان أجود.

[٥/٦٥]

/ ذكر الهذلي وأخباره

نسب الهذلي وصناعته:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

الهُذَليان أخَوَانِ يقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود؛ فالأكبر منهما يقال له سَعيد، ويكنى أبا مسعود، وأمه امرأة يقال لها أمّ قَيْعل، وكان كثيراً ما يُنسب إليها، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبيس، وكان فتيانٌ من قريش يَرُوحون إليه كلّ عشيّة فيأتون بَطْحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها، ويأتيهم فيُغَنّي لهم ويكون معهم. وقد قيل: إن الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد.

كان يغني فتيان قريش وهو يزاول صناعته في نقش الحجارة:

قال هارون وحدّثني الزبير بن بَكّار قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ:

أنّ الهذليّ كان نَقّاشاً يعمل البُرَمَ من حجارة الجبل، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن، وكان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنّى، فلا يلبث أن يُرى الجبل كقُرْصِ الخَبيص[١] صُفْرةً وحمرةً من أَرْدِية قريش؛ فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أعِد؛ فيقول: أمّا والله وهاهنا حجر أحتاج إليه لم يَرِدِ الأبطحَ فلا؛ فيضعون أيديَهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويَحْدُروها إلى الأبطح، وينزل معهم حتى يجلس على أعظمها حجراً ويغنّي لهم.

[٥/٦٦] / قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبي مسعود بن[٢] أبي جَنَاح قال أخبرني أبو لَطِيف وعُمارة قالا:

تغنّى الهذليُّ الأكبرُ، وكان من أنفسِهم، وكان فِتْيَانُ قريش يَرُوحون كلَّ عشيّةٍ حتى يأتوا بَطْحاءَ يُقال لها بطحاءُ قريش قريباً من داره، فيجلِسون عليها ويأتيهم فيُغنّيهم.

أجازه الحارث بن خالد لما سمع غناءه:

قال: وأخبرني ابن أبي طَرَفة عن الحسن بن عَبّاد الكاتِب مولى آل الزُّبَير قال:

هجم الحارثُ بن خالد، وهو يومئذ أمير مكة، على الهذليّ وهو مع فتيان قريش بالمَفْجَر[٣] يُغنّيهم وعليه جُبّةُ صوف، فطرح عليه مُقطّعاتِ خَزّ، فكانت هذه أوّلَ ما تحرّك لها.

---

(١) الخبيص: نوع من الحلواء يعمل من التمر والسمن.

(٢) في ط، ى، م: «عن أبي مسعود عن أبي جناح».

(٣) المفجر بالفتح ثم السكون وفتح الجيم: موضع بمكة ما بين الثنية التي يقال لها الخضراء إلى خلف دار يزيد بن منصور (انظر «معجم البلدان» لياقوت).

تزوّج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها وانتحل أكثره:

قال هارون: وحدّثني حماد عن أبيه قال:

ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أن ابن سُرَيج لما حضَرته الوفاةُ نظر إلى ابنته فبكى، فقالت له: ما يُبكِيك؟ قال: أخشى عليكِ الضيعةَ بعدي! فقالت له: لا تخف فما من غنائك شيء إلا وقد أخذتُه؛ قال: فغنّيني فغنّته، فقال: قد طابت نفسي، ثم دعا بالهذليّ فزوّجها منه؛ فأخذ الهذليّ غناء أبيها كلَّه عنها فانتحل أكثَره؛ فعامّة غناء الهذليّ لابن سُرَيج مما أخذه عن ابنته وهي زوجتُه.

/ **حدره الحارث بن خالد من منى ثم أذن له فرجع إليها:** [٥/٦٧]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غَسّان قال:

كان الهذليّ منزلُه بمِنًى، وكان فِتيان قريش يأتونه فيُغنّيهم هناك، ثم أقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغنّى هناك، فحدَره الحارثُ من مِنًى، وكان عاملاً على مكة، ثم أذِن له فرجع إلى منى.

قصته مع فتية من قريش غناهم فطربوا له واستعادوه:

قال هارون: وحدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ / قال حدّثني أبي قال: ١٥٣/٤

كان الهذليّ النقّاشُ يغدو إليه فتيان قريش وقد عَمِل عملَه بالليل، ومعهم الطعامُ والشراب والدراهم، فيقولون له: غنّنا؛ فيقول لهم: الوظيفةَ[1]، فيقولون: قد جئنا بها؛ فيقول: الوظيفةَ الأخرى، أَنزِلوا أحجاري، فيُلقون ثيابهم ويأتزِرون بأُزُرهم وينقُلون الحجارة ويُنزِلونها، ثم يجلس على شُنْخُوب[2] من شَناخيب الجبل فيجلسون تحته في السَّهْل فيشربون وهو يُغنّيهم حتى المساءِ، وكانوا كذلك مدّة؛ فقال له يوماً ثلاثةُ فتيةٍ من قريش: قد جاءك كلّ واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تُنقَص وظيفتُك عليهم، وقد اختار كل واحد منا صوتاً من غنائك ليجعلَه حظَّه اليومَ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانا كان ذلك مشتركاً بيننا، وإن أبَوْا غنّيتَ لهم ما أرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأصواتِ لنا بقيةَ يومنا؛ قال: هاتوا، فاختار أحدُهم:

* عَفَتْ عَرَفَاتٌ فالمصايفُ من هندِ *

واختار الآخرُ:

* ألَمَّ بنا طيفُ الخيال المهجِّدُ[3] *

/ واختار الآخر: [٥/٦٨]

* هجَرَتْ سُعدَى فزادني كَلَفَا *

فغنّاهم إياها، فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك؛ فلما أرادوا الانصراف قال لهم: إني قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أحد، فهل لكم فيه؟ قالوا: هاتِه مُنعِماً بذلك؛ فاندفع فغنّاهم:

(١) الوظيفة: ما يقدّر من عمل وطعام ورزق وغير ذلك.
(٢) الشنخوب: رأس الجبل وأعلاه.
(٣) هجدت الرجل (بالتضعيف): أيقظته.

أَلَنْ هتفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سفاهةً ... تُبَكِّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهتِفُ

فقالوا: أحسنتَ والله، لا جرمَ لا يكون صَبُوحُنا في غدٍ إلا عليه، فعادوا وغنّاهم إياه وأعطَوْه وظيفتَه؛ ولم يزالوا يستعيدونه إياه باقيَ يومهم.

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

من ذلك:

صوت

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمَصايفُ من هندِ ... فأَوْحشَ ما بين الجَرِيبيْنِ[1] فالنَّهْدِ[2]

وغَيَّرها طولُ التقادُمِ والبِلَى ... فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ

الشعر للأحْوص، وقيل: إنه لعمر. والغناء للهذليّ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر.

[٥/٦٩] / ومنها:

صوت
من المائة المختارة

أَلَمَّ بنا طَيْفُ الخيالِ المهجِّدُ ... وقد كادت الجوزاءُ في الجوّ تَصْعَدُ

أَلَمَّ يُحَيِّينا ومِن دون أهلها ... فَيَافٍ تَغُورُ الريحُ فيها وتُنجِدُ

عروضه من الطويل. لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه. والغناء للهُذَليّ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو اللحن المختار، وفيه ليحيى المَكّيّ هَزَجٌ. ولحنُ الهذليّ هذا مما اختير للرشيد والواثقِ بعده من المائة الصوت المذكورة.

ومنها:

صوت

هجرتُ سُعْدَى فزادني كَلَفَا ... هِجرانُ سُعْدَى وأزمعتْ خُلُفَا

١٥٤/٤ / وقد على حُبِّها حلفتُ لها ... لو أنّ سُعْدَى تُصدِّق الحَلِفَا

ما عَلِقَ القلبُ غيرَها بَشَراً ... ولا سواها مِن مَعْلَقٍ عَرَفَا

---

(١) كذا في «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ج ٢ ص ٢٣١ طبع مدينة ليبسك). والجريب: يطلق على مواضع كثيرة. وما أثبتناه قريب مما ورد في نسختي ب، س فقد وردت فيهما هذه الكلمة هكذا: «الحريبين». وفي ط، م،ء: «الحريين» وكلاهما تحريف. وفي جـ: «الحريمين» بالميم. والحريم اسم لمواضع كثيرة في بغداد وغيرها.

(٢) النهد (ويقال له عين النهد): اسم موضع بالفرع على الطريق من مكة إلى المدينة. روى الزبير عن رجاله أن أسماء بنت أبي بكر قالت لابنها عبدالله: يا بنيّ أعمر الفرع، فعمل عبدالله بن الزبير بالفرع عين الفارعة والسنام، وعمل عروة أخوه عين النهد وعين عسكر. (انظر بقية الكلام على ذلك في «معجم ما استعجم» ج ٢ ص ٧٠٧).

فلـم تُجبنـي وأعـرضـتْ صَلَفـاً وغـادرتْنـي بحبّهـا كَلِفـا

الغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى.

رقص أشعب ابنه وقال هذا ابن مزامير داود:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال:

زوّج ابنُ سريج لما حضرته الوفاةُ الهذليَّ الأكبر بابنته، فأخذ عنها أكثرَ غناء أبيها، وادّعاه فغلَب عليه. قال: وولدتْ منه ابناً؛ فلما أيْفع جاز يوماً بأشعبَ وهو جالس في فِتْيةٍ من قريش، فوثَب فحمله على كتفه وجعل يرقِّصه ويقول: هذا ابن دفَّتي المصحف وهذا ابنُ مزامير داود؛ فقيل له: ويلك! ما تقول / ومن هذا الصبيّ؟ فقال: أوَ ما [٥/ ٧٠] تعرفونه! هذا ابن الهذليّ من ابنة ابن سُرَيج، وُلِد على عُود، وأستَهلّ بغناء، وحُنِّك[1] بملوى[2]، وقُطعت سرّته بوتر[3]، وخُتن بمِضْراب.

إسحاق الموصلي وحديثه عن مطرف أخذه من إبراهيم بن المهدي:

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عبدالله بن عيسى المَاهَانيّ قال:

دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيت عليه مُطْرَفَ خزّ أسود ما رأيت قطّ أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخَذْنا في أمر المِطرف، فقال: لقد كان لكم أيامٌ حسنة ودولة عجيبة؛ فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيتُ مثلَه؛ فقال: إنّ قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب؛ فقلت: ما أقوّمه إلا بنحو مائة دينار؛ فقال إسحاق: شَرِبنا يوماً من الأيام فبِتُّ وأنا مُثْخَن[4]، فانتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل عليّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: عجّل؛ وكان بخيلاً على الطعام، فكنتُ آكل قبل أن أذهب إليه؛ فقمت فتسوّكت وأصلحت شأني، وأعجلني الرسولُ عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه، وإبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المِطرف وجُبّة خزٍّ دَكْناء[5]؛ فقال لي محمد: يا إسحاق، أتغدّيت؟ قلت: نعم يا سيّدي؛ قال: إنك لنَهِم، أهذا وقتُ غداء! فقلت: أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمَار فكان ذلك مما حداني على الأكل؛ فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثةَ أرطال، فقال: اسقوه إياها؛ فقلت: إن رأيتَ أن تُفَرِّق عليّ!؛ فقال: يُسقَى رِطلين ورطلاً؛ فدُفع إليّ رطلان فجعلت أشربهما / وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما، ثم دُفع إليّ رِطل آخر فشربته، فكأنّ شيئاً انجلى عني؛ فقال [٥/ ٧١] غنّني:

* كُلَيبٌ لعمْرِي كان أكثرَ ناصراً *

فغنّيته، فقال: أحسنتَ وطرِب؛ ثم قام فدخل ـ وكان كثيراً [ما] يدخل إلى النساء ويَدَعُنا ـ فقمت في إثر

(١) استهل الصبيّ: رفع صوته بالبكاء عند الولادة.
(٢) التحنيك: أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي، وفي حديث النبيّ ﷺ: أنه كان يحنك أولاد الأنصار.
(٣) الملوى: من أجزاء العود (انظر الكلام على العود وأجزائه في مقدمة الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية).
(٤) في ط، ء، م: «بزير» والزير: أحد أوتار العود.
(٥) يقال: أثخنته الجراحة: أوهنته وأضعفته، والمراد هنا غلبة السكر عليه.
(٦) الدكناء: المائلة إلى السواد.

قيامه، فدعوت غلاماً لي، فقلت: اذهب إلى بيتي وجِئني بِبِزْمَاوَرْدَتَيْن[١] ولُفَّهما في مِنديل واذهب رَكْضاً وعجِّل، فمضى الغلام وجاءني بهما، فلما وافى البابَ ونزل عن دابّته انقطع فنفَق[٢] من شدّة ما ركض عليه، وأدخل إليّ البِزْمَاوَرْدَتَيْن، فأكلتُهما ورجَعتْ نفسي إليّ وعدتُ إلى مجلسي؛ فقال لي إبراهيم: لي إليك حاجة أُحِبّ أن تقضيَها لي؛ فقلت: إنما أنا عبدك وابن عبدك، فقل ما شئت؛ قال: تُرَدِّد عليّ: «كليب لعمري» وهذا المِطْرَف لك؛ فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكنني أصير إلى منزلك فأُلقيه على الجواري وأردّده عليك مِراراً؛ فقال: أُحبّ أن تردّده عليّ الساعةَ وأن تأخذ هذا فإنه من لُبْسك / وهو من حاله كذا وكذا؛ فردّدت عليه الصوت مراراً حتى أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس، ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا؛ فغنّاه إبراهيم: «كليب لعمري»، فكأني والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسْناً؛ وطرِب محمد طرباً شديداً وقال: أحسنت والله! يا غلام، عَشْرَ بِدَر لعَمّي السّاعةَ! فجاءوا بها؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي فيها شريكاً؛ قال: من هو؟ قال: إسحاق؛ قال: وكيف؟ فقال: إنما أخذتُه منه لمّا قمتَ؛ فقلت أنا: ولِمَ! أضاقت الأموالُ على أمير / المؤمنين حتى تُريد أن تُشْرِك فيما يُعطِي! قال: أمّا أنا فأُشْرِكك وأمير المؤمنين أعلم؛ فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفاً، وأعطاني هذا المِطْرَف، فهذا أخِذ به مائةُ ألف درهم، وهي قيمته.

155/4 [٥/٧٢]

صوت
من المائة المختارة

من رواية جَحْظَةَ عن أصحابه:

عَلِّـلِ القَـومَ يشـربُـوا ... كـي يَلَـذُّوا ويَطْـرَبُـوا
إنمـا ضلَّـل الفـؤا ... دَ غـزالٌ مُـرَبَّـبُ[٣]
فَـرَشَتْـه علـى النَّمـا ... رِقِ سُعْـدَى وزينـبُ
حـالَ دون الهـوى ودو ... نَ سُـرى الليـلِ مُصعَـبُ[٤]
وسِيـاطٌ علـى أكـ ... ـفُ رجـالٍ تقلَّـبُ

الشعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقَيّات. والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السَّمْح، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى البنصر. ولابن سُرَيج في الرابع والخامس والأوّل ثاني ثقيل في مجرى الوسطى. ولمعبد في الثاني وما بعده خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى.

---

(١) البزماورد: طعام يسمى لقمة القاضي، وفخذ الست، ولقمة الخليفة، وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض. (انظر الحاشية رقم ٢ ج ٤ ص ٣٥٣ من هذه الطبعة).

(٢) نفق: مات. وذكر الضمير لأن الدابة تطلق على الحيوان مذكراً كان أو مؤنثاً، والدابة هنا مذكر.

(٣) كذا في أكثر الأصول وكذلك صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته، يقال: رب الصبي وربببه أي رباه. وفي ب، س وديوانه طبع أوروبا: «مربرب».

(٤) هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري كما في كتاب «المعارف» لابن قتيبة (ص ١٢٣ طبع جوتنجن) وكما سيذكره المؤلف بعد قليل في ترجمة عُبيد الله بن قيس الرقيات.

/ ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ونسبه وأخباره [٥/٧٣]

نسب عبيد الله بن قيس الرقيات من قبل أبويه:

هو عُبَيد الله بن قيس بن شُرَيح[١] بن مالك بن رَبيعة بن أُهَيب بن ضِبَاب بن حُجير بن عبد بن مَعِيص[٢] بن عامر بن لؤيّ بن غالب. وأمّه قتيلة بنةُ وَهْب بن عبدالله بن ربيعة بن طَرِيف بن عَدِيّ بن سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بـن كِنَانة.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن محمد بن أبي قُلاَمة العُمَريّ قال حدّثني محمد بن طَلْحة، قال الزبير وحدّثنيه أيضاً محمد بن الحسن المخزوميّ، قالا جميعاً:

كان يقال لبني مَعِيص بن عامر بن لؤيّ وبني مُحارِب بن فِهْر: الأَجْرَبان من أهل تِهَامة، وكانا متحالفين، وإنما قيل لهما الأجربان من شدّة بأسِهما وعَرِّهما[٣] من ناوأهما كما يُعرّ الجرب.

سبب لقبه بالرقيات:

وإنما لُقّب عبيدُ الله بنُ قيس الرُّقَيّاتِ لأنه شَبّب بثلاث نسوة سُمِّين جميعاً رُقَيّةَ، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أُهْبان[٤] بن ضِبَاب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ، وابنة عمّ لها يقال لها رُقَيّة، / وامرأة من بني أميّة يقال لها رقيّة. وكان هواه في رقيّة بنت عبد الواحد؛ وكان عبد الواحد ـ فيما أخبرني [٥/ ٧٤] الحرميّ بن أبي / العلاء عن الزبير ـ ينزل الرَّقّة. وإياه عَنَى ابنُ قيس بقوله: ١٥٦/٤

ما خيرُ عيشٍ بالجزيرة بعد ما عثَر الزمانُ ومات عبدُ الواحدِ

وله في الرقيّات عدّة أشعار يُغنَّى فيها تُذكر بعقب هذا الخبر. والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْريّ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بنِ الحَكَم بالمَدينة.

مصعب بن عبد الرحمن والي المدينة:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي قال:

---

(١) كذا في ط،ء: وديوانه المخطوط بقلم الشيخ الشنقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨ أدب ش وديوانه المطبوع بڤينا سنة ١٩٠٢ و «خزانة الأدب» للبغدادي (ج ٣ ص ٢٦٧ طبع بولاق). وفي باقي الأصول: «سريج» بالسين والجيم، وهو تصحيف.

(٢) كذا في ديوانه المخطوط والمطبوع و «الخزانة» و «شرح القاموس» مادّة معص. وفي ط،ء: «معيض» بالضاد المعجمة، وفي باقي الأصول: «بغيض»، وكلاهما تحريف.

(٣) يقال: عره بمكروه يعره عراً: أصابه به. والمراد هنا إلحاقهما الشر بأعدائهما كما يلحق الجرب الشرّ بمن يصيبه.

(٤) في «خزانة الأدب»: «وهبان» بالواو.

لما وَلِي مروانُ بن الحكم المدينةَ وَلّى مصعبَ بنَ عبد الرحمن بن عوف شُرْطتَه؛ فقال: إني لا أُضبط المدينةَ بحَرَس المدينة، فابْغِني رجالاً من غيرها، فأعانه بمائتي رجل من أهل أَيْلَةَ[١]، فضبطها ضبطاً شديداً. فدخل المِسْوَرُ[٢] بنُ مَخْرمة على مروانَ فقال: أمَا ترى ما يشكوه الناسُ من مصعَب! فقال:

ليـس بهـذا مـن سِيَـاقِ عَتْـبُ ... يمشـي القَطُـوفُ وينـامُ الـركـبُ[٣]

وقال غيرُ مصعَب في هذا الخبر وليس من رواية الحرميّ: إنه بقي إلى أن وَلِي عمرُو[٤] بن سعيد المدينةَ [٥/٧٥] وخرج الحسينُ رضي الله تعالى عنه وعبدالله بن الزبير؛ / فقال له عمرو: اِهدِمْ دورَ بني هاشم وآلِ الزبير؛ فقال: لا أفعل؛ فقال: انتفَخَ سَحْرُكَ[٥] يابنَ أمّ حُرَيْثٍ! ألْقِ سيفَنا! فألقاه ولحِق بابن الزبير. وولّى عمرُو بن سعيد شُرْطتَه عمروَ بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بني هاشم وآل الزبير، ففعل وبلغ منهم كلَّ مبلغ، وهدَم دار ابن[٦] مُطِيع التي يقال لها العَنْقاءُ، وضرَب محمدَ بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط؛ ثم دعا بعُروة بنِ الزبير ليضربَه؛ فقال له محمد: أتضرِب عُروة! فقال: نعم يا سَبَلان[٧] إلا أن تحتمِل ذلك عنه؛ فقال: أنا أحتمِله، فضربه مائةَ سوط أخرى؛ ولحِق عُرْوةُ بأخيه. وضرب عمرٌو الناسَ ضرباً شديداً، فهرَبوا منه إلى ابن الزبير، وكان المِسْور بنُ مَخْرَمة أحد من هرَب منه؛ ولما أفْضَى الأمرُ إلى ابن الزُّبَير أقاد منه وضرَبه بالسوط ضرباً مُبرِّحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين، وقال للناس، فيما ذُكر عنه: إن عمراً مات مرتدًّا عن الإسلام.



هو شاعر قريش:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبَيْرُ قال:

سألتُ عمّي مُصعَباً ومحمدَ بن الضحّاك ومحمدَ بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام، فكلّهم قالوا: ابنُ قيس الرقيّات؛ وحُكِي ذلك عن عديّ وعن الضحاك بن عثمان؛ وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليَرْبُوعيّ. قال الزبير: وحدّثني بمثله غَمَامةُ بن عمرو السَّهْميّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليَرْبوعيّ.

[٥/٧٦] / **عرض شعره على طلحة الزهري فمدحه:**

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبدالله الزُّهْريّ عن عمه محمد بن عبد العزيز:

أنّ ابن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبدالله بن عوف الزهريّ فقال له:

---

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي في آخر الحجاز وأوّل الشام.
(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري قتل في حصار مكة مع ابن الزبير. (انظر الطبري في حوادث سنة ٦٤ هـ).
(٣) السياق: السوق. والقطوف من الدواب: البطيء، والمراد وصف الرجل بحسن السياسة وأنه يبلغ الغاية من غير أن يعنف في السوق أي إنه يسوس الناس من غير أن يجهدهم.
(٤) هو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، ولاه يزيد بن معاوية إمرة المدينة سنة ٦٠ هـ. (انظر الطبري في حوادث السنة المذكورة).
(٥) انتفخ سحرك: كلمة تقال للجبان. والسحر: الرئة. (انظر الحاشية رقم ١ ج ٤ ص ١٨٧ من هذه الطبعة).
(٦) هو عبدالله بن مطيع أخو بني عديّ بن كعب، ولي الكوفة لعبدالله بن الزبير. (انظر الطبري في حوادث سنة ٦٠ هـ).
(٧) كذا في جميع الأصول، ولعلها لقب له أو محرفة عن سبلاني (بزيادة ياء مشدّدة). والسبلانيّ: الطويل السبلة (بالتحريك) وهي شعرات تكون في المنحر، وهي أيضاً مقدم اللحية، وما على الشفة العليا من الشعر يجمع الشاربين، أو لعلها كلمة تهكمية لها مغزى خاص.

يا عمّي، إني قد قلتُ شعراً فٱسمعه فإنك ناصحٌ لقومك، فإن كان جيِّداً قلتُ، وإن كان رديئاً كففتُ؛ فقال له: أنشِد، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

مَنَــــعَ اللهــــوَ والهــــوى وسُــــرَى الليــــلِ مُصْعَــــبُ
وسِــــيــــاطٌ عــلــــى أكــــفِّ رجــــالٍ تقلَّــــبُ

/ فقال: قل يا بنَ أخي فإنك شاعر. ١٥٧/٤

كان زبيري الهوى وخرج على عبد الملك ثم استجار بابن جعفر فعفا عنه:

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيريَّ الهوى، وخرج مع مُصعَبِ بن الزبير على عبد الملك؛ فلما قُتِل مصعب وقُتل عبدُالله هرَب فلجأ إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبدَ الملك في أمره فأمّنه.

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبَيريّ[1] قال حدّثني عبدالله بن البَصير[2] البَرْبَريّ مولى قيس بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال:

قال عبيدُ الله بن قيس الرقيّات: خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخُوصُ عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بن الزبير بمَسْكِنٍ[3]، ورأى معالَم الغَدْر / ممن معه، دعاني ودعا بمالٍ ومناطقَ، فملأ المناطقَ من [٥/٧٧] ذلك المال وألبسني منها، وقال لي: انطلِق حيثُ شئت فإني مقتول؛ فقلت له: لا والله لا أرِيمُ[4] حتى أرَى[5] سبيلَك؛ فأقمتُ معه حتى قُتل؛ ثم مضيتُ إلى الكوفة، فأوّلُ بيتٍ صِرتُ إليه دخلته، فإذا فيه ٱمرأةٌ لها ٱبنتانِ كأنهما ظَبيتانِ، فَرقِيتُ في درجةٍ لها إلى مَشربة[6] فقعدتُ فيها، فأمرت لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعام والشراب والفَرْش والماءِ للوُضوء، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حولٍ، تقيم لي ما يُصلِحني وتغدو عليّ في كل صباح فتسألني بالصَّباح والحاجة[7]، ولا تسألني مَنْ أنا ولا أسألُها من هي، وأنا في ذلك أسمَع الصِّيَاحَ فيّ والجُعْلَ؛ فلما طال بي المُقام وفقدتُ الصياح فيّ وغَرِضتُ[8] بمكاني غدت عليّ تسألني بالصباح والحاجةِ، فعرّفتها أني قد غَرِضت وأحبَبت الشُّخوصَ إلى أهلي؛ فقالت لي: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى؛ فلمّا أمسيتُ وضرَب الليل بأرواقه رَقِيتْ إليّ وقالت: إذا شئتَ! فنزلتُ وقد أعدّتْ راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما[9] عبد، وأعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق، وقالت: العبدُ والراحلتان لك؛ فركبتُ وركب العبدُ معي حتى طَرَقتُ أهلَ مكة، فدقَقتُ منزلي؛ فقالوا لي: من هذا؟ فقلت: عُبيد الله بن قيس الرقيّات؛ فوَلْوَلوا وبكَوْا، وقالوا: ما فارقَنا طلبُك إلا في هذا الوقت؛

---

(١) في م، حـ: «الزبير» بدون ياء.
(٢) في حـ: «عبدالله بن النضير اليزيديّ» وسيرد في ص ٩٠ من هذا الجزء: «عبدالله بن النضير» في كل الأصول.
(٣) مسكن: موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ هـ وبه قتل مصعب، وقبره هناك معروف (عن «معجم البلدان» لياقوت ج ٤ ص ٥٢٩).
(٤) لا أريم: لا أبرح.
(٥) في ط، ء: «حتى آتي سبيلك».
(٦) المشربة: الغرفة والعلية.
(٧) يريد: كيف أصبحت وما حاجتك؟
(٨) غرض: ضجر.
(٩) في ب، س: «عليهما».

فأقمتُ عندهم حتى أسْحَرتُ[1]، ثم نهضتُ ومعي العبدُ حتى قَدِمتُ المدينةَ، فجئتُ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب [٧٨/٥] عند المساء وهو يُعشّي أصحابَه، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجَمُ وأقول: يار يار[2] / ابن طيّار[3]؛ فلما خرج أصحابُه كشفتُ له عن وجهي، فقال: ابنُ قيس؟ فقلت: ابنُ قيس، جئتك عائذاً بك؛ قال: وَيْحَك! ما أجدَّهم في طلبك وأحرصَهم على الظَّفَر بك! ولكني سأكتب إلى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان فهي زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك، وعبدُ الملك أرقُّ شيءٍ عليها. فكتب إليها يَسألُها أن تشفع له إلى عمّها، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعةَ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها؛ هل من حاجة؟ فقالت: نعم لي حاجةٌ؛ فقال: قد قضيتُ كلّ حاجةٍ لكِ إلا ابنَ قيس الرقيّات؛ فقالت: لا تَستثنِ عليّ شيئاً! فنفَح[4] بيده فأصاب خدّها، فوضعتْ يدَها على خدّها؛ فقال لها: يابنتي ارفعي يدَك، فقد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت آبْنَ قيس الرقيّات؛ فقالت: إنّ حاجتي ابنُ قيس الرقيات تُؤمّنه، فقد كتب إليّ أبي يسألني أن أسألك ذلك؛ قال: فهو آمِن، فمُرِيهِ يحضُر مجلسي العَشِيّة؛ فحضر / ابنُ قيس وحضر الناسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك، فأخّر الإذنَ، ثم أذِن للناس، وأخّر إذنَ ابن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذِن له؛ فلما دخل عليه قال عبد الملك: يأهلَ الشأم، أتعرفون هذا؟ قالوا: لا؛ فقال: هذا عُبَيدُ الله بنُ قيس الرقيّات الذي يقول:

كيف نومي على[5] الفِراش ولمّا ... تَشْمَلِ الشأمَ غارةٌ شَعْواءُ

تُذهِل الشيخَ عن بَنِيه وتُبدي ... عن خِدام[6] العقيلةُ العذراءُ

[٧٩/٥] / مدح عبد الملك بما لم يرضه فأمنه وقطع عطاءه فتعهد له به ابن جعفر طول حياته:

فقالوا: يا أمير المؤمنين اسقِنا دَمَ هذا المنافق! قال: الآن وقد أمّنتُه وصار في منزلي وعلى بِساطي! قد أخّرتُ الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا. فاستأذنه آبنُ قيس الرقيّات أن يُنشده مديحَه فأذِن له، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

عاد له من كَثِيرةَ الطربُ ... فعينُه بالدموع تنسكِبُ[7]

كوفيّةٌ نازحٌ مَحَلّتُها ... لا أَممٌ دارُها ولا صَقَبُ

والله ما إن صَبَتْ إليّ ولا ... إن كان بيني وبينها سببُ[8]

---

(١) أسحر: دخل في السحر.

(٢) يار: كلمة فارسية، ومعناها: الصاحب والشفيق والمعين.

(٣) الطيار: لقب جعفر بن أبي طالب والد عبدالله هذا، وكان قد قطعت يداه في غزوة مؤتة فأنابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. (انظر «سيرة آبن هشام» ج ٢ ص ٧٩٥ طبع أوروبا).

(٤) نفح بيده: ضرب بها ضربة خفيفة.

(٥) كذا في ط، ء، م وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته وهي «الرواية المشهورة». وفي ب، س، حـ: «إلى».

(٦) الخدام: جمع خدمة (بالتحريك) وهي الخلخال. وقد أورد صاحب «اللسان» هذين البيتين في مادة خدم ثم قال: «أراد وتبدى عن خدام العقيلة. وخدام هاهنا في نية عن خدامها، وعدّي تبدي بعن لأن فيه معنى تكشف كقوله:

* تصدّ وتبدي عن أسيل وتتقي *

أي تكشف عن أسيل أو تسفر عن أسيل».

(٧) سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتي.

(٨) في ديوانه المخطوط:

والله ما إن صبت إليّ ولا ... يعلم بيني وبينها سبب

إلا الـذي أورثـت كثيـرةُ فـي الـ ـقلـب وللحـب سَـوْرَةٌ عجـبُ

حتى قال فيها:

إنّ الأغـرَّ الـذي أبـوه أبـو الـ ـعـاصِـي عليـه الـوقـارُ والحُجُبُ

يعتـدِل التـاجُ فـوق مَفْـرِقـهِ علـى جَبيـنٍ كـأنـه الـذهـبُ

فقال له عبد الملك: يابْنَ قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مُصعَب:

إنمـا مُصعَـبٌ شِـهـابٌ مـن الـلّـه تجلّـت عـن وجهـه الظلمـاءُ

ملكُـه ملـك عِـزّةٍ ليـس فيـه جبـروتٌ منـه ولا كِبـريـاءُ

أمّا الأمان فقد سبَق لك، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاء أبداً. قال: وقال ابن قيس الرقيّات لعبدالله بن جعفر: ما نفعني أماني، تُركت حيًّا كميتٍ لا آخذُ مع الناس عطاءً أبداً؛ فقال له عبدالله بن جعفر: كم بلغت من السنّ؟ قال: ستين سنة؛ قال: فعَمِّر نفسَك؛ قال: عشرين سنة من ذي قِبَلٍ[1]؛ / فذلك ثمانون سنة؛ [٥/ ٨٠] قال: كم عطاؤك؟ قال: ألفا درهم؛ فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال: ذلك لك عليّ إلى أن تموت على تعميرك نفسَك؛ فعند ذلك قال عُبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبدالله بن جعفر:

تَقَـدَّتْ بِـيَ الشَّهبـاءُ نحـوَ ابـنِ جعفـرٍ سـواءٌ عليهـا ليلُهـا ونهـارُهـا[2]

تـزور امـرأً قـد يعلـمُ اللّـهُ أنـه تَجُـودُ لـه كـفٌّ قليـلٌ غِـرَارُهـا

أتينـاك نُثنِـي بـالـذي أنـت أهلُـه عليـك كمـا يُثنِـي علـى الـروض جـارُهـا

فـوالله لـولا أن تـزورَ ابـنَ جعفـرٍ لكـان قليـلاً فـي دِمَشْـقَ قـرارُهـا

إذا مُـتَّ لـم يُـوصَـلْ صـديـقٌ ولـم تُقَـمْ طـريـقٌ مـن المعـروف أنـت مَنـارُهـا

ذكـرتُـكَ أن فـاض الفـراتُ بـأرضنـا وفـاض بـأعلـى الـرَّقَّتيـن[3] بِحـارُهـا

وعنـديَ ممـا خـوَّل اللّـهُ هَجْمَـةٌ[4] عَطَـاؤكَ منهـا شَـوْلُهـا وعِشَـارُهـا

مبـاركـةٌ كـانـت عطـاءَ مُبـارَكٍ تُمـانِـحُ[5] كُبـراهـا وتَنمِـي صِغـارُهـا

---

(١) يقال: أفعل ذلك من ذي قبل (وزان سبب وعنب): أي أفعله في المستقبل.

(٢) سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتي.

(٣) كذا في ديوانه ص ١٦٤ طبع أوروبا و «معجم البلدان» (ج ٢ ص ٧٩٩، ٨٠١) وكذلك صححه الأستاذ الشنقيطي بنسخته. والرقتان يراد بهما الرقة والرافقة، كما يقال العراقان للبصرة والكوفة. والرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام. والرافقة: بلد متصل البناء بالرقة يقع على الفرات أيضاً بينه وبين الرقة ثلثمائة ذراع. وفي الأصول: «الرقمتين» بزيادة ميم، وهو تحريف.

(٤) الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت أو ما بين السبعين إلى المائة. والشول: جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فارتفع ضرعها وخف لبنها، والعشار: جمع عشراء ـ بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما في اللغة ـ وهي التي مضى لحملها عشرة أشهر.

(٥) ما نحت الناقة: درّت في الشتاء بعد ما ذهبت ألبان الإبل.

١٥٩/٤ / **اعترض عليه عبد الملك في شعر له فأجابه:**

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الملك قال:

[٥/٨١] / قال عبد الملك بن مروان لعُبيد الله بن قيس الرقيّات: وَيْحك يَابْنَ قيس! أمَا اتَّقيتَ اللَّهَ حين تقول لابن جعفر:

تــزورُ امــرأً قــد يعلــم اللَّــهُ أنــه ... تَجــودُ لــه كــفٌّ قليــلٌ غِــرارُهــا

ألاّ قلتَ: قد يعلم النّاسُ ولم تقل: قد يعلم الله! فقال ابنِ قيس: قد والله علمه اللّهُ [وعلمته[١] أنت] وعلمتُه أنا وعلمه الناسُ.

رواية أخرى في شفاعة ابن جعفر له عند عبد الملك:

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حَمّاد بن إسحاق:

قرأتُ على أبي أن عُبيد الله بن قيس الرقيّات منعه عبدُ الملك بن مروانَ عطاءَه من بيت المال وطلبه ليقتلَه، فاستجار بعبدالله بن جعفر، وقصده فألفاه نائماً، وكان صديقاً لسائب خاثر، فطلب الإذنَ على ابن جعفر فتعذّر، فجاء سائب خاثر ليستأذنَ له عليه؛ قال سائبٌ: فجئت من قِبَلِ رِجْلِ عبدِالله بن جعفر فنَبحتُ نُبَاحَ الجِرْوِ الصغير، فانتبه ولم يَفْتَح عينيه، وركَلني برِجْله، فدُرتُ إلى عند رأسه، فنَبحتُ نُبَاح الكلب الهَرِم، فانتبه وفتح عينيه فرآني؛ فقال: ما لكَ؟ ويحكَ! فقلت: ابنُ قيس الرقيّات بالباب؛ قال: ائذن له، فأذنتُ له، فدخل إليه فرحّب ابنُ جعفر به وقرّبه؛ فعرّفه ابن قيس خبرَه، فدعا بِظَبْيةٍ[٢] فيها دنانيرُ، وقال: عُدَّ له منها؛ فجعلتُ أعُدُّ وأترنّم[٣] وأُحَسِّنُ صوتي بجُهدي حتى عددتُ ثلثَمائةِ دينار، فسكتُّ؛ فقال لي عبدالله: مالكَ ويلكَ سكتّ! ما هذا وقتُ قطعِ الصوت الحسنِ، فجعلتُ أعُدّ حتى نَفِدَ ما كان في الظَّبية، وفيها ثمانُمائةِ دينار، فدفعتُها إليه؛ فلما قبضها قال لابن جعفر: اسأل أمير المؤمنين في أمري؛ قال: نعم، فإذا / دخلتَ إليه معي ودعا بالطعام، فكُلْ أكلاً فاحشاً. فركب ابنُ [٥/٨٢] جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك؛ فلما قُدّم الطعامُ جعل يُسِيء الأكلَ؛ فقال عبدُ الملك لابن جعفر: مَنْ هذا؟ فقال: هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن استبْقِي، وإن قُتِل كان أكذبَ الناس، قال: وكيف ذلك! قال: لأنه يقول:

مــا نقَمــوا مــن بــنــي أُمــيَّــة إلا أنــهــم يحلمُــونَ إن غَضِبُــوا

فإن قتلتَه لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به؛ قال: فهو آمنٌ، ولكن لا أعطيه عطاءً من بيت المال؛ قال: ولِم وقد وهبتَه لي؟ فأُحِبّ أن تَهَب لي عطاءَه أيضاً كما وهبتَ لي دَمه وعفوتَ لي عن ذنبه؛ قال: قد فعلتُ، قال: وتُعطيه ما فاته من العطاء؛ قال: قد فعلتُ، وأمرتُ له بذلك.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال:

كان ابن قيس الرقيّات منقطعاً إلى ابن جعفر، وكان يَصِلُه ويَقضِي عنه دَينَه، ثم استأمن له عبدَ الملك فأمّنه،

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ط «ء»، م.

(٢) الظبية: الجراب، وقيل: الجراب الصغير خاصة.

(٣) في ط «ء»، م: «وأطرّب».

وحَرمه عطاءَه؛ فأمره عبدُالله أن يُقدِّرَ لنفسه ما يَكفيه أيامَ حياته ففعل ذلك، فأعطاه عبدُالله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثرَ منه؛ ثم جاءت عبدَالله صِلةٌ من عبد الملك وابنُ قيسٍ غائبٌ، فأمر عبدُالله خازنَه فخبأ له صِلتَه، فلما قدِم دفَعها إليه؛ وأعطاه جارية حسناءَ؛ فقال ابنُ قيس:

إذا زرتُ عبـدَالله نفسـي فـداؤه ... رجعتُ بفضلٍ من نَداهُ وَنائلِ

وإن غِبتُ عنه كان للوُدّ حافظاً ... ولم يكُ عنّي في المَغيب بغافِلِ

/ تداركَني عبدُ الإلـه وقد بدَتْ ... لذي الحِقدِ والشَّنْآن منّي مَقاتلي

فأنقذني من غَمرة الموت بعد ما ... رأيتُ حِياضَ الموت جَمَّ المَناهِل

حَبَاني لمّا جئتُه بعطيّةٍ ... وجاريةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخِلِ

١٦٠/٤

[٥/٨٣]

/ نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها:

صوت

عادَ له من كَثيرةَ الطّربُ ... فعينُه بالدموع تنسكبُ

كُوفيّةٌ نازحٌ مَحَلّتُها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ

والله ما إن صَبَتْ إليَّ ولا ... يُعرَفُ بيني وبينها سَبَبُ

إلا الذي أورثَتْ كثيرةُ في الـ ... ـقلب وللحبّ سَوْرةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح، غنّاه معبدٌ ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. قوله: «لا أَمَمٌ دارُها» يعني أنها ليست بقريبة. ويقال: ما كلَّفتَني أَمَماً من الأمر فأفعلَه: أي قريباً من الإمكان؛ ويقال: إن فلاناً لأَمَمٌ من أن يكون فعل كذا وكذا. قال الشاعر:

أَطَرِقَتْه أسماءُ أم حَلَمَا ... بل لم تكن من رِحالنا أَمَمَا[1]

أي قريبةً. وقال الراجز:

كلّفها عمرٌو نِقالَ الضِّبْعانْ[2] ... ما كُلِّفَتْ من أَمَمٍ ولا دَانْ

[٥/٨٤]

/ وقال آخر:

(١) هذا البيت من المنسرح، وقد دخل على التفعيلة الأولى منه الخبل، وهو حذف الثاني والرابع الساكنين، وروايته في ط، ء:

أطرقته أسماء أم حلما ... بل لم تكن من رحلنا أمما

وعلى هذه الرواية يكون من الكامل. ولم نعثر عليه في مصدر آخر حتى نستطيع ترجيح إحدى الروايتين.

(٢) كذا في ط، ء. وفي ب، س: «ثقال الضبعان» وفي حـ، م: «ثقال الصنعان». ونحن لم نوفق إلى صاحب هذا الرجز ولا ما قيل فيه حتى نتبين وجه الصواب فيه أو المراد منه. على أنه لا يبعد أن يكون هذا البيت في ناقة أو فرس، وتكليفها ثقال الضبعان مسايرتها له ومناقلتها إياه. والضبعان (بالكسر): ذكر الضبع.

إنــك إن ســألــت شيئــاً أمَمَــا جــاء بــه الكَــرِي[١] أو تَجشَّمَــا

والصَّقَبُ: الملاصقة. تقول: والله ما صاقبتُ فلاناً ولا صاقبني، ودارُ فلانٍ مصاقِبةٌ لدار فلان؛ وفي الحديث: «الجارُ أحقُّ بصَقَبِه» أي بما لاصقه، أي إنه أحقُّ بشفعته. والسَّورَةُ: شِدّة الأمر، ومنه يقال: ساور فلان فلاناً، وتَساوَرَ الرجلان إذا تَغالبا وتَشادّا؛ وقيل إن السَّوْرة: البقيَّةُ أيضاً.

ومنها:

صوت

مــا نَقَمُــوا مــن بــنــي أمــيّــة إلاّ أنــهــم يَحلُمُــون إن غَضِبــوا

وأنّهــمُ ســادةُ الملــوك فمــا تَصلُــح إلاّ عليهــمُ العَــرَبُ

غنّت في هذين البيتين حَبَابةُ، وهما من[٢] القصيدة التي أوّلُها:

* عاد له من كَثِيرةَ الطَّرَبُ *

قال الأصمعيّ: كَثِيرةُ هذه امرأة نزل بها بالكوفة فآوته. قال ابنُ قيس: فأقمتُ عندها سنةً تَرُوحُ وتَغْدُو عليّ بما أحتاج إليه، ولا تسألُني عن حالي ولا نسبي؛ فبينا أنا بعد سنةٍ مُشْرِقٌ من جَنَاحٍ[٣] إلى الطريق، إذا أنا بمُنادِي عبدِ الملك يُنادِي ببراءة الذمّة ممن أُصِبتُ عنده؛ فأعلمتُ المرأةَ أني راحلٌ؛ فقالت: لا يَرُوعَنَّك ما سَمِعتَ، فإن هذا نداءٌ شائعٌ منذُ نزلتَ بنا، فإن أردتَ المُقَام ففي الرُّحْب والسَّعَة، وإن أردتَ الانصرافَ أعلمتَني؛ فقلتُ لها: لا بدّ لي من الانصراف؛ فلما كان الليلُ، قَدّمتْ إليّ راحلةً عليها جميعُ ما أحتاجُ إليه في سفري؛ فقلتُ لها: مَن [٨٥/٥] / أنتِ ـ جُعِلتُ فِدَاءَكِ ـ لأُكافِئَكِ؟ قالت: ما فعلتُ هذا لتُكافِئَني؛ فانصرفتُ ولا والله ما عرفتُها إلا أني سمعتُها تُدعى باسمها «كَثِيرة»، فذكرتُها في شعري.

فتك عبدالله بن علي ببني أمية لشعر له:

[١٦١/٤] وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عمّه / مصعب أن عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس صاحِبَ بني أمية بنهر أبي فُطْرُس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحاً مدَح به بني هاشم؛ فقال لبعضهم: أين هذا مما كنتم تُمدَحُون به! فقال: هيهات أن يُمدحَ أحدٌ بمثل قول ابن قيس فينا:

مــا نقَمُــوا مــن بنــي أميّــة إ لاّ أنهــم يَحلُمُــون إن غَضِبُــوا

البيتين؛ فقال له عبدُالله بن عليّ: ألاَ أرى المطمعَ في المُلك في نفسك بعدُ يا ماصَّ كذا من أُمّه! ثم أوْقع بهم.

(١) الكريّ: الذي يكري الدواب.
(٢) كذا في م. وفي سائر الأصول: «وهي» بالإفراد.
(٣) الجناح: الروشن (الروشن: الكوة) يقال: أشرع فلان جناحاً إلى الطريق أي روشناً.

سمع الرشيد قينة تغنى بشعره في مدح بني أمية فغضب فحرّفته:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزِيديّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن جدّي عبدالله بن مُصعَب[1] قال:

اِعترض هارونُ الرشيد قَيْنةً فغنّتْ:

مـــا نَقَمـــوا مـــن بنـــي أميّـــة إلاّ أنـــهـــم يحلُمُـــون إن غضبـــوا

فلما آبتدأتْ به تغيّر وجهُ الرشيد، وعلِمتْ أنها قد غَلِطتْ وأنها إن مرّت فيه قُتِلتْ، فغنّت:

مـــا نَقَمُـــوا مـــن بنـــي أميّـــة إلاّ أنـــهـــم يجهَلُـــون إن غَضِبـــوا

وأنهـــم مَعـــدِنُ النّفـــاق فمـــا تَفسُـــدُ إلا عليهـــم العـــربُ

/ فقال الرشيد ليحيى بن خالد: أسمعتَ يا أبا عليّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين تُبتَاعُ وتُسْنَى[2] لها الجائزةُ [٥/٨٦] ويُعجَّلُ لها الإذنُ لِيَسكُن قلبُها؛ قال: ذلك جزاؤها، قُومي فأنتِ منّي بحيث تُحِبّين. قال: فأُغمِيَ على الجارية. فقال يحيى بن خالد:

جُـزِيـتَ أميـرَ المـؤمنيـن بـأمْنهـا مـن الله جنـاتٍ تفـوز بِعَـدْنهـا

ومنها:

صـوت

تَقَـدّتْ بـيَ الشَّهْبـاءُ نحـوَ ابـن جعفـرٍ سَـواءٌ عليهـا ليلُهـا ونهـارُهـا

تَـزُور آمـرأً قـد يَعلَـم اللّـهُ أنـه تَجـودُ لـه كَـفٌّ بطـيءٌ غِـرارُهـا

ووالله لـولا أن تـزورَ آبـنَ جعفـرٍ لكـان قليـلاً فـي دِمَشـقَ قـرارُهـا

عَروضُه من الطويل. غنّاه مَعْبدٌ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر. قوله: «تَقدّتْ» أي سارت سيراً ليس بعَجِلٍ ولا مُبطِىء، فيقال: تَقَدّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقْصِده فلم يَعْجَل. وقوله: «بطيء غِرَارُها» يعني أن منعَها المعروفَ بطيءٌ. وأصل الغِرَار: أن تمنعَ الناقةُ دِرّتَها، ثم يُستعار في كل ما أشبه ذلك؛ ومنه قول الراجز:

إنّ لكـلّ نَهَـلاتٍ شِـرَّةْ ثـم غِـرَاراً كغِـرار الـدِّرَّةْ

وقال جَميلٌ في مثل ذلك:

لاحـتْ لعينـك مـن بُثينـةَ نـارُ فـدمـوعُ عينـكَ دِرّةٌ وغِـرَارُ

(١) في ط، ء، م: «حدّثني عمي مصعب» بحذف جدّه من السند. والزبير بن بكار عمه مصعب بن عبدالله بن مصعب وجدّه عبدالله بن مصعب.

(٢) تسنى: تجزل حتى تكون سنية. وفي ب، س: «تثني» بالثاء المثلثة، وهو تحريف.

[٨٧/٥] / شيء مما عيب عليه في شعره:

قال الزّبيرُ: وهذا البيتُ مما عِيبَ على ابن قيسٍ، لأنه نقضَ صدرَه بعَجُزه، فقال في أوّله: [إنه][1] سار سيراً بغير عَجَل، ثم قال:

* سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

وهذا[2] غايةُ الدَّأب في السَّير، فناقض معناه في بيت واحد. ومما عِيبَ على ابن قيس الرّقيّات قولُه ـ وفي هذين البيتين غناء ـ:

صوت

تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما[3] قد ناهزا للفِطام أو فُطِما

[١٦٢/٤] / ما مَرَّ يومٌ إلّا وعندهما لحمُ رجالٍ أو يَوْلَغانِ[4] دَمَا

ـ غنّاه الغريضُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو بن بانةَ ـ وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ، وفيها يقول:

أغنى ابنَ ليلى عبدَ العزيز بِبَا بِلْيُونَ[5] تَغدُو جِفانُه رُذُمَا[6]

[٨٨/٥] / الواهبَ النُّجُبَ[7] والولائدَ كالـ ـغِزلانِ والخيلَ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

وكان قال في قصيدته هذه: «أو يالغان دماً» بالألف، وكذلك رُوِي عنه، ثم غيّرتْه الرواة.

قال يونس عنه: إنه ليس بفصيح ولا ثقة:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال:

سمعتُ ابن الأعرابيّ يقول: سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيّات:

(١) الزيادة عن ط، ء.

(٢) كذا في ط، ء، م. وفي سائر الأصول: «وهذه».

(٣) الغيل (بالكسر): موضع الأسد. وفي «اللسان» (مادة نهز): «في مغارهما».

(٤) ولغ السبع والكلب وكل ذي خطم يلغ وولغ يولغ مثل وجل يوجل: شرب ماء أو دماً.

(٥) كذا في «ديوانه» (ص ٢٥٥ طبع ڤينا) و «اللسان» (مادة رذم). وبابليون: حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر، وكان يسميه العرب قصر الشمع وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة في مصر القديمة فتحه عمرو بن العاص وبفتحه تم الصلح مع المقوقس. (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤ ورقم ١ ص ١٨ من الجزء الأوّل من «النجوم الزاهرة» طبع دار الكتب المصرية) وعبد العزيز بن مروان هذا كان والياً على مصر من قبل أبيه مروان وأقره عليها أخوه عبد الملك بعد مبايعته بالخلافة (راجع «ولاة مصر وقضاتها» للكندي ص ٤٦، ٤٨، ٤٩ طبع بيروت و «المقريزي» ج ١ ص ٣٠٢ و «النجوم الزاهرة» ج ١ ص ١٧٢ طبع دار الكتب المصرية).

(٦) الرذم (بضمتين أو فتحتين وبكلتيهما روى البيت): جمع رذوم، قال الجوهري «وجفان رذم ورذم مثل عمود وعمد وعمد ولا تقل رذم (بالكسر)». والرذوم من الجفان: التي كأنها تسيل دسماً لامتلائها. وذهب ابن سيده إلى أن روايته بالتحريك، كما رواه الأصمعيّ، إنما هي تسمية بالمصدر. (ملخص عن «اللسان» مادة رذم).

(٧) كذا في أكثر الأصول، والنجب (بضمتين وقد يسكن كما هنا): جمع نجيب وهو الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان. والولائد: جمع وليدة وهي الصبية والأمة. وتعلك اللجم: تلوكها وتحركها في فيها. وفي ط، ء: «البخت» بالتاء والخاء وهي الإبل الخراسانية، معرب وقيل عربي.

مـــا مـــرّ يـــوم إلا وعنـــدهمـــا لحـــم رجـــال أو يَـــوْلغـــان دمَـــا

فقال يونس: يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان؛ فقيل له: فقد قال ذلك ابن قيس الرقيّات وهو حِجازيّ فصيح؛ فقال: ليس بفصيح ولا ثقةٍ، شَغَل نفسَه بالشرب بتكريتَ[1].

انتقد ابن أبي عتيق شعراً له:

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على أبي: أوَ بلغك أن ابن أبي عتيق أُنشد قولَ ابن قيس:

* سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

فقال: كانت هذه يأبنَ أمّ فيما أرى عَمْياءَ.

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي مصعب عن جديّ [عن][2] هشام بن سليمان المخزوميّ قال:

/ قال ابن أبي عتيق لعُبَيد الله بن قيس وقد مرّ به فسلّم عليه فقال: وعليك السلام يا فارسَ العمياء؛ فقال له: [٨٩/٥] ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد! بأبي أنت! قال: أنت سَمّيتَ نفسَك حيث تقول:

* سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

فما يستوي الليلُ والنهارُ إلا على عَمْياء[3]؛ قال: إنما عنيتُ التعبَ، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان يترجم عنه.

ومنها:

صوت

ذكـرتُـكَ أنْ فـاض الفـراتُ بـأرضنـا وفـاضـت بـأعلـى الرَّقَّتَيْنِ[4] بِحَـارُهـا
وحَـوْلِـيَ ممـا خـوّل اللّـهُ هَجْمـةٌ عطـاؤكَ منهـا شَـوْلُهـا وعِشَـارُهـا
فجئنـاكَ نُثْنـي بـالـذي أنـتَ أهلُـه عليـك كمـا أثْنـى علـى الـروض جـارُهـا
إذا مـتَّ لـم يُـوصَـل صـديـقٌ ولـم تُقَـمْ طَـريـقٌ مـن المعـروف أنـت منـارُهـا

ـ الشولُ: النُّوق التي شالت بأذنابها وكرِهت الفحل، وذلك حين تلقح، واحدتها شائل ـ غنّاه حَكَم الوادِي ثقيلاً أوّلَ بالوسطى.

حكم الوادي ودنانير:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي:

---

(١) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً.
(٢) التكملة عن ط، ء، م.
(٣) في ط، ء، م: «إلا على أعمى».
(٤) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٨٠ من هذا الجزء.

قال حكم الوادي: دخلت يوماً على يحيى بن خالد. فقال لي: يا أبا يحيى، ما رأيُك في خمسمائة دينار قد حضرتْ؟ قلت: ومَنْ لي بها؟ قال: تلقي لحنك في:

* ذكرتكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا *

[٥/٩٠] / على دنانيرَ فها هي ذِه، وهذا سَلامٌ واقف معك ومُخرِجها إليك، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر، فكُدَّها فيه، فإذا أحكمتَه فلك خمسُمائة؛ فقالت دنانير: يا سيِّدي، أبو يحيى يأخذ خمسَمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أُقاسِيكَ عُمري كلَّه! فقال لها: إن حِفظتِيهِ فلكِ ألف/ دينار، وقام فمضى؛ فقلت لها: يا سيِّدتي آشغَلِي نفسكِ بذا، فإنك أنتِ تهبين لي الخمسَمائة الدينار بحفظكِ إيّاه وتفوزين بالألف الدينار، وإلا بطَل هذا، فلم أزَلْ معها أكُدُّهَا ونفسي وتُغنّيني حتى انصرف يحيى، فدعا بماء وطَسْتٍ، ثم قال: يا أبا يحيى، غَنِّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه ـ فقلتُ: هلكتُ! يسمعُه منّي، وليس هو بمن يَخْفَى عليه، ثم يَسمعُه منها فلا يرضاه ـ فلم أجدْ بُدًّا من الغناء؛ ثم قال: غَنّيه أنتِ الآن؛ فغنتْ؛ فقال: والله ما أرى إلا خيراً؛ فقلتُ: جُعِلتُ فداءَك! أنا أمضُغ هذا منذ أكثرَ من خمسين سنةً كما أمضُغ الخبز، وهذه أخذتْه الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعدي وتَجترىء عليه ويزدادُ[١] حسناً في صوتها؛ فقال: صدقتَ، هاتِ يا سَلامُ خمسمَائةِ دينار ولها ألفَ دينار، ففعل؛ فقالت له: وحياتِكَ يا سيِّدي لأُشاطِرَنّ أستاذي الألفَ الدينار؛ قال: ذلك إليكِ، ففعلَتْ؛ فانصرفتُ وقد أخذتُ بهذا الصوتِ ألف دينار.

١٦٣ / ٤

رجع الحديث إلى عُبيد الله بن قيس الرقيات.



شعر ابن قيس الرقيات في كثيرة التي نزل بها بالكوفة:

قال الزبير بن بكار حدّثني عبدالله بن النَّضير عن أبيه:

أن ابن قيس الرقيّات قال في الكوفيّة التي نزل عليها:

بـانـت[٢] لِتَحْـزُنَنـا كَثِيـرَةْ ... ولقـد تكـون لنـا أميـرَةْ

[٥/٩١] / حَلَّـتْ فـلالِيـجَ[٣] السَّـوا ... د وحَـلَّ أهلـي بـالجـزيـرة

قال: ولقد رحَل من عندها وما يتعارفان.

قال: وقال فيها أيضاً ـ وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكيّ ـ:

صوت

لَجَجْـتَ بحبّـكَ أهـلَ العِـراق ... ولـولا كَثِيـرةٌ لـم تَلْجَـجِ

فليـتَ كثيـرةَ لـم تَلْقَنـي ... كثيـرةَ أُخـتَ بنـي الخَـزرج

(١) كذا في ط، ء، م. وفي باقي الأصول: «وتزداد» بالتاء.

(٢) هذان البيتان من قصيدة عدد أبياتها خمسة وعشرون بيتاً، وهي مذكورة في ديوانه المخطوط بقلم المرحوم الشيخ الشنقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨ أدب ش وديوانه المطبوع بفينا (ص ١٢٥).

(٣) فلاليج السواد: قراه، واحدها فلوجة. والمراد بالسواد العراق، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار.

سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيات:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبدالله بن عاصم القَحْطَانيّ قال حدّثني أبي عن عبد الرحيم بن حَرْمَلَةَ قال:

كنتُ عند سعيد بن المسيّب، فجاء ابنُ قيس الرقيّات، فهَشّ وقال: مَرْحباً بظُفُر من أظفار العَشِيرة، ما أحدَثْتَ بعدي؟ قال: قد قلتُ أبياتاً وأستفتيك في بيت منها فاسمعها؛ قال: هات؛ فأنشده:

هــل للـديـار بـأهلهـا عِلْـمُ ... أم هــل تُبيــنُ فينطــقَ الــرسـمُ

قــالــت رُقيّــةُ فِيــمَ تَصــرِمُنــا ... أرُقَــيّ ليــس لــوجهــكِ الصّــرمُ

تَخطُــو بخَلْخَــالَيْــن حَشْــوُهمــا ... ســاقَــانِ مــارَ[1] عليهمــا اللحــم

يــا صــاحِ هــل أبكــاكَ مــوقفُنــا ... أم هــل علينــا فــي البُكــا إثــمُ

فقال سعيد: لا والله ما أبكاني؛ قال ابْنُ قيس الرقيّات:

بــل مــا بكــاؤك منــزلاً خَلَقــاً ... قَفْــراً يَلُــوح كــأنــه الــوَشْــمُ[2]

[٩٢/٥]

/ فقال سعيد: اعتذر الرجل. ثم أنشد:

أتلَبّــثُ فــي تَكْــريــتَ لا فــي عَشيــرةٍ ... شهــودٍ ولا السلطــانُ منــكَ قــريــبُ

وأنــتَ امْــرؤ للحــزم عنــدك منــزلٌ ... وللــدّيــن والإســلام منــك نصيــب

/ فقال سعيدٌ: لا مُقَامَ على ذلك، فاخرُجْ منها؛ قال: قد فعلتُ؛ قال: قد أصبتَ أصاب الله بك.

١٦٤/٤

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء.

صـوت

قــامَــتْ بخَلْخَــاليــنِ حَشْــوُهمــا ... ســاقــان مــارَ عليهمــا اللحــمُ

يــا صــاحِ هــل أبكــاك مــوقفُنــا ... أم هــل علينــا فــي البكــا إثــمُ

غنّى فيهما ابنُ سُرَيج رملاً بالبنصر.

ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن عبدالله البَكْريّ وهارونُ بن أبي بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن أبيه عن سعيد بن مُسْلِم بن وَهْب مولى بني عامر بن لؤيّ عن أبيه قال:

دخلتُ مسجدَ رسول الله ﷺ مع نَوْفَل بن مُسَاحِق وإنه لمُعْتَمِدٌ[3] [على يدي] إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في

(١) مار: تردّد وتحرّك واضطرب.

(٢) كذا في ط،ء، م، وهو الموافق لما في ديوانه المخطوط والمطبوع (ص ١٣٠). وفي باقي الأصول: «الرسم» بالراء والسين وهو تحريف، والعرب كثيراً ما تشبه هذا التشبيه قال طرفة:

لخــولــة أطــلال ببــرقــة ثهمــد ... تلــوح كبــاقي الــوشــم فــي ظـاهـر اليـد

(٣) الزيادة والتصحيح عن «الأغاني» (ج ١ ص ١١٣ طبع دار الكتب المصرية). وفي م: «وإنه لمعتمد عليّ» وفي ط،ء: «وإنه لمعتمد إذ =

مجلسه فسلّمنا عليه فردّ سلامَنا؛ ثم قال لنوفل[١]: يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ، أصَاحبُنا أم صاحبُكم؟ يعني: عبيدُ الله بن قيس / الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا: [٥/٩٣]

خليليَّ مـا بـالُ المَطِـيّ كـأنّمـا نَـراهـا علـى الأدبـار بـالقـوم تَنكُـصُ
وقـد أبعـدَ الحـادِي سُـراهـنّ وانْتَحَـى بهـنّ فمـا يَـألُـوا عَجُـولٌ مُقلِّـص
[وقـد قُطِّعـتْ أعنـاقُهُـنّ صَبـابـةً فـأنفُسنـا ممّـا تُكلَّـفُ شُخَّـص][٢]
يَـزِدْنَ بنـا قُـرْبـاً فيـزدادُ شـوقُنـا إذا زاد طـولُ العهـد والبعـدُ ينقُـص

ويقول صاحبُكم ما شئتَ؛ قال: فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللّهُ بك، وصاحبُنا أكثرُ أفانين شعرٍ؛ قال: صدقتَ؛ فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر اللّهَ ويَعْقِد بيده ويَعُدُّه بالخمسِ كلِّها حتى وفّى مائةً.

قال البكريّ في حديثه عن عبد الجبّار: فقال مُسْلِمُ بن وَهْب: فلما فارقناه قلتُ لنوفل: أتُراه أستغفرَ الله من إنشادِه الشعرَ في مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: كلّا! هو كثيرُ الإنشاد والاُستنشاد للشعر، ولكنّي أحسَبُه للفخر بصاحبه.

وفد على حمزة بن الزبير فوصله:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

استأذن عُبيد الله بن قيس الرقيات على حمزةَ بن عبدالله بن الزبير؛ فقالت له الجاريةُ: ليس عليه إذنٌ الآنَ؛ فقال: أمَا إنه لو علم بمكاني ما احتجب عنّي! قال: فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرتْه، فقال: ينبغي أن يكونَ هذا ابنَ قيس الرقيّات، ائذَني له، فأذِنتْ له؛ فقال: مَرْحباً بك يابنَ قيس، هل من حاجةٍ / نزَعتْ بك؟ قال: نعم، زوّجتُ بنينَ لي ثلاثةً بناتِ أخ لي ثلاثٍ، وزوّجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاثِ بناتٍ لي؛ قال: فلبنيكَ الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ، ولبني أخيك الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ، ولبناتك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ، ثلثُمائةِ دينارٍ، هل بقيَتْ لك من حاجة يأبنَ قيس؟ قال: لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بما يُصلِحُه لسفره حتى رِقاعِ أخْفافِ[٣] الإبل. [٥/٩٤]

= مررنا بسعيد إلخ». وفي باقي الأصول: «المعتمر بالراء» وهو تحريف. وقد سبق ذكر هذا الخبر هناك مع بعض مغايرة في الأبيات الآتية بعد، فانظره والحواشي التي كتبت على الشعر هناك.

(١) في ب، س: «ثم قال نوفل» وهو تحريف.
(٢) الزيادة عن ط، ء، م: و «الأغاني» في الموضع الذي أشير إليه في الصفحة السابقة.
(٣) في الأصول «خفاف» بدون ألف، وقد صحح المرحوم الشيخ الشنقيطي هذه الكلمة بإثبات الألف في نسخته، وهو الموافق لما في كتب اللغة من أن الخف للبعير يجمع على أخفاف والخف الذي يلبس يجمع على خفاف.

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغُنّي فيه

١٦٥/٤

/ صوت

أمسَتْ رُقيّةُ دونها البِشْرُ[1] فالرَّقّة السَّوْداء[2] فالغَمْرُ

غناه يونس ثقيلاً أوّلَ بالوسطى، وفيه لعَزّةَ الْمَيلاءِ ثاني ثقيلٍ.

ومنها:

صوت

رُقَيَّ بعَيْشِكم لا تَهجُرِينَا ومَنّينَا المُنَى ثم امطُلِينَا

عِدِينا في غَدٍ ما شِئتِ إنّا نُحِبُّ وإن مَطَلْتِ الواعِدِينا

/ أغَرَّكِ أنني لا صبرَ عندي على هَجْرٍ وأنّكِ تَصْبِرينا

[٥/ ٩٥]

ويومَ تَبِعتُكم وتركتُ أهلي حَنِينَ العَوْذِ[3] يَتَّبِعُ القَرِينا

عَرُوضُه من الوافر. غنّاه ابنُ مُحْرِز ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

ومنها:

صوت

رُقَيّةُ تَيّمَتْ قلبي فوَاكَبِدِي من الحبِّ

نهانِي إخوتي عنها وما بالقلبِ من عَتْبِ

غنّاه مالكٌ ثانيَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وقد ذكَرتْ بَذْلُ أنّ فيه لابن المكيّ لحناً.

فضل ابن أبي عتيق شعره على شعر كثير:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو بن الزُّبَير قال حدّثني إبراهيم[4] بن عبدالله قال: أنْشد كُثَيِّرٌ ابنَ أبي عَتيق كلمته التي يقول فيها:

ولستُ بِراضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضَى له بقليلِ

---

(١) البشر: اسم جبل يمتدّ من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية، وهو من منازل بني تغلب بن وائل. (عن «معجم البلدان» لياقوت). والغمر: علم على مواضع كثيرة.

(٢) كذا في ط،ء، م وديوانه (ص ٢٧٥ طبع أوروبا) وهو الموافق لما في «معجم ياقوت» عند الكلام على البشر. والرقة السوداء: قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة. وفي باقي الأصول: «الرقة البيضاء»، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة. (انظر ياقوت في اسم الرقة).

(٣) العود (بالفتح): الجمل المسن وفيه بقية. وقال الجوهري: هو الذي جاوز في السن البازل والمخلف، جمعه: عودة كديكة.

(٤) في ط،ء، م: «إبراهيم بن أبي عبدالله».

فقال له: هذا كلامُ مكافِىءٍ ليس بعاشقٍ، القُرشيان أقنعُ وأصدقُ منك: ابنُ أبي ربيعة حيث يقول:

لَيـتَ حَظِّـي كَلَحْظَـةِ العَيـنِ منهـا ... وكَثِيـرٌ منهـا القليـلُ المُهَنّـا

وقولُه أيضاً:

فعِـدِي نـائـلاً وإن لـم تُنيلـي ... إنـه يُقنِـعُ المحـبَّ الـرجـاءُ

[٩٦/٥] / وابنُ قيس الرقيّات حيث يقول:

رُقَـيَّ بعيشكـم لا تَهجُـرِينـا ... ومَنِّينـا المُنَـى ثـم امطُلِينَـا

عِـدِينـا فـي غَـدٍ مـا شئـتِ إنّـا ... نُحِـبّ وإن مَطلـتِ الـواعِـدينـا

فـإمّـا تُنجِـزِي عِـدَتِـي وإمّـا ... نَعِيـشُ بمـا نُـؤمّـل منـك حِينـا

قال: فذكرتُ ذلك لأبي السائب المخزوميّ ومعه ابنُ المولَى، فقال: صدق ابن أبي عتيق وفّقه الله، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول:

وأبكِـي فـلا ليلَـى بكَـتْ مـن صبابـةٍ ... لِبـاكٍ ولا ليلَـى لِـذي الـودّ تَبـذُلُ

واخنَـعُ بـالعُتْبَـى إذا كنـتُ مـذنِبـاً ... وإن أذنَبَـتْ كنـتُ الـذي أتنَصّـلُ

صادف رقية بنت عبد الواحد في الطواف فشبب بها:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال سمعت عُبَيدةَ بن أشعب بن جُبَير قال حدّثني أبي قال حدّثني فِنْدٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبي وَقّاص قال:

حجّتْ رُقَيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد العامريّة، فكنتُ آتيها وأُحدّثُها فتَسْتَظرِف[١] حديثي وتَضحكُ منّي؛ فطافتْ ليلةً / بالبيت ثم أهوَتْ لِتستلمَ الركنَ الأسودَ وقبّلته، وقد طفتُ مع عُبيد الله بن قيس الرقيّات، فصادف فراغَنا فراغَها ولم أشعُر بها، فأهوى ابنُ قيس يستلمُ الركنَ الأسودَ ويُقبّله، فصادفها قد سبقتْ إليه، فنفَحَتْه[٢] برُدْنِها فارتدَعَ؛ وقال لي: مَن هذه؟ فقلتُ: أوَ لا تعرفُها! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد؛ فعند ذلك قال:

مَـنْ عَـذِيـري ممـن يَضَـن بمبـذو ... لٍ لغيـري علـيّ عنـد الطّـوافِ

[٩٧/٥] / يريد أنها تُقبّلُ الحجرَ الأسودَ وتَضَنّ عنه بقبلتها. وقال في ذلك:

حـدِّثـونـي هـل علـى رجـلٍ ... عـاشـقٍ فـي قُبلـةٍ حَـرَجُ

وفيه غِناءٌ يُنسب بعد هذا الخبر. قال: ولما نفَحتْه برُدْنها فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ في المسجد، وكأنما فُتِحتْ بين أهل المسجد لَطِيمةُ[٣] عَطّارٍ، فسبّح مَنْ حولَ البيت. قال: وقال فِنْدٌ: فقلتُ بعد انصرافها لابن قيس: هل وجدتَ رائحةَ رُدْنها لشيءٍ طِيباً؟ فعند ذلك قال أبياتَه التي يقول فيها:

(١) في ط، ء، م: «فتستطرف» بالطاء المهملة.
(٢) نفحته: أصابته. والردن: الكم، وقيل: مقدمه، وقيل: أصله. والردع: أثر الطيب، وارتدع: تطيب بالطيب.
(٣) اللطيمة: وعاء المسك.

صوت

سـائـلا فِنْـداً خليلـي كيـف أَرْدانُ رُقَيّـة
إنّنـي عُلِّقْـت خَـوْداً ذاتَ دَلٍّ بَخْتَـرِيَّـة[1]

غنّاه فِنْدٌ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش.

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدّم وخبره

وهو أيضاً مما قاله ابن قيس في رقيّة

صوت

حَـبَّ ذاكَ[2] الـدَّلُّ والغُنُـجُ والتـي فـي عينهـا دَعَـجُ
والتـي إن حَـدَّثـتْ كـذبـتْ والتـي فـي وعـدهـا خَلَـجُ[3]
/ وتَـرى فـي البيـت صـورتَهـا مِثْلَمـا فـي البِيعَـة[4] السُّـرُجُ [٩٨/٥]
خبِّـرونـي هـل علـى رجـلٍ عـاشـقٍ فـي قُبلـةٍ حَـرَجُ

الشعر لآبن قيس الرقيّات يقوله في رقيّة بنت عبد الواحد. والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر. وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لآبن مُحْرِز من رواية عمرو بن بانة، وقيل: بل هو هذا.

عود إلى تفضيل ابن أبي عتيق له على كثير:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ قال حدّثني سائبٌ راويةُ كثيِّر قال:

كان كثيِّر مديوناً، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة: اذهب بنا إلى ابن أبي عَتيق نتحدّث عنده؛ قال: فذهبت إليه معه؛ فآستنشده ابنُ أبي عَتيق، فأنشده قولَه:

* أبائنةٌ سُعْدَى نعم ستَبِينُ *

حتى بلغ إلى قوله:

وأخلَفْـنَ ميعـادي وخُـنَّ أمـانتـي وليـس لمـن خـان الأمـانـةَ دِيـنُ

فقال له ابن أبي عَتيق: أعَلى الأمانة تَبِعتَها! فانكفّ واستغضب نفسه وصاح وقال:

(١) الخود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق. والبخترية: المتبخترة في مشيها، وهي مشية المتكبر المعجب بنفسه، أو هي حسنة المشي والجسم.
(٢) الدل والدلال من المرأة: تدللها على زوجها وذلك أن تريه جراءة عليه في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وليس بها خلاف، أو هو حسن الحديث وحسن المزح والهيئة. والغنج (بالضم وبضمتين): حسن الدل. والدعج: شدّة سواد العين مع سعتها.
(٣) الخلج: الاضطراب وعدم الثبات على حال، والمراد أنها لاضطرابها لا تثبت على حال في الوفاء بوعدها.
(٤) البيعة: متعبد النصارى أو اليهود.

كـذبْـنَ صفـاءَ الـودّ يـوم مَحِلّـه وأنكـدْنَنـي مـن وعـدهـن ديـونَ

[١٦٧/٤] فقال له ابن أبي عَتيق: وَيْلَك! هذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ، سيِّدُك ابن قيس الرقيّات / كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ؛ أمَا سمعتَ قوله:

حَـبَّ ذاكَ الـدلُّ والغُنُـجُ والتـي فـي عينهـا دَعَـجُ

والتـي إن حَـدَّثَـتْ كـذبـتْ والتـي فـي وعـدهـا خَلَـجُ

[٩٩/٥] / وتَـرى فـي البيـت صـورتَها مثلمـا فـي البِيعَـة السُّـرُجُ

خبِّـرونـي هـل علـى رجـلٍ عـاشـقٍ فـي قُبلـةٍ حَـرَجُ

قال: فسكن كُثَيِّر وآستحلى ذلك، وقال: لا! إن شاء الله؛ فضحك آبن أبي عَتيق حتى ذُهِبَ به.

أنشد أبو السائب المخزومي شعره فمدحه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عُرَير الزُّهْريّ قال: أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ ابن قيس الرقيّات:

صوت

قـد أتـانـا مـن آل سُعْـدَى رسـولُ حَبَّـذا مـا يقـول لـي وأقـولُ

مِـنْ فتـاةٍ كـأنهـا قَـرْنُ شمـسٍ ضـاق عنهـا دَمَـالـجٌ[١] وحُجُـولُ

حَبَّـذا ليلتـي بِمِـزَّةِ[٢] كلـبٍ غـال عنّـي بهـا الكَـوَانيـنَ غُـولُ

فقال لي: يـآبنَ الأمير ما تُراه كان يقول وتقول؟ فقلت:

حـديثـاً كمـا يسـري النَّـدَى لـو سمعتَه شفـاكَ مِـنَ ٱدْواءٍ كثيـرٍ وأَسْقَمَـا

فطرِب وقال بأبي أنت وأمي! ما زلتُ أُحبّك، ولقد أُضعِف حبّي إياك حين تفهم عني هذا الفهم.

[١٠٠/٥] / غنّى في هذه الأبيات ابن سُرَيج ثقيلاً أوّل بالوسطى. ولمالكٍ فيها ثاني ثقيلٍ، كلاهما عن الهِشَاميّ.

أنشد أشعب من شعره محمد بن عبدالله فمدحه:

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلَانيّ النحويّ صهرُ المبرّد قال حدّثني طلحة بن عبدالله أبو إسحاق الطَّلْحيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال: أنشَد أشْعبُ بن جُبَير أبي أبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التي يقول فيها:

(١) دمالج: جمع دملج وهو المعضد من الحلى (حلية تلبس في العضد). والحجول: جمع حجل وهو الخلخال. يريد أنها بضة سمينة ضاقت عنها دمالجها وحجولها.

(٢) في الأصول «بمرّة كلب» بالراء المهملة وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه عن «معجم ياقوت» في اسم المزة بكسر الميم وتشديد الزاي المعجمة، وعن تصحيح الأستاذ الشنقيطي أيضاً في نسخته. قال ياقوت: وهي قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ وبها فيما يقال قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ، والكوانين: الثقلاء من الناس. والغول (بالضم): الداهية.

قـد أتـانـا مـن آل سُعْـدى رسـولُ ... حَبّـذا مـا يقـول لـي وأقـولُ

فقال أبي: وَيْحَك يا أشعب! ما تُرَاه قال وقالت له؟ فقال:

حـديثـاً لَـوَ أنّ اللحـمَ يَصْلَـي بحَـرّه ... غَـريضـاً[1] أتـى أصحـابَـه وهـو مُنْضَجُ

ذكَر شوقاً ووصف تَوْقاً، ووعَد ووفَى، والتقيا[2] بمِزَّة كَلْب فشفَى واشتفى، فذلك قوله:

حَبَّـذا ليلتـي بمِـزّة كلـبٍ ... غـال عنّـي بهـا الكَـوَانيـنَ غُـولُ

فقال له: إنك لعلّامة بهذه الأحوال؛ قال أجلْ! بأبي أنت! فاسأل عالماً عن علمه.

ومما في المائة الصوت المختارة من شعر عُبيد الله بن قيس الرقيّات.

صوت

من المائة المختارة

يا قلبُ وَيْحَك لا تذهبْ بك الحُرَقُ ... إنّ الأُلَـى كنـتَ تهـواهـم قـد انطلقُـوا

وذُكر أنه لوَضّاح[3]، وقد أُخرج في موضع آخر.



(١) غريضاً: طرياً.

(٢) كذا في ط،ء، م. وفي سائر الأصول: «فالتقيا».

(٣) هو وضاح اليمن عبد الرحمن بن إسماعيل الشاعر؛ وله ترجمة في «الأغاني» (ج ٦ ص ٣٢ طبع بولاق).

[١٠١/٥]
١٦٨
٤

/ ذكر مالك بن أبي السّمح وأخباره ونسبه

نسبه وكنيته وبعض صفاته:

هو مالك بن أبي السَّمْح. واسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثُعَل[١] ثم أحدُ بني عمرو بن دَرْماء[٢]. ويكنى أبا الوليد. وأمه قرشيّة من بني مخزوم، وقيل: بل أمّ أبيه منهم، وهو الصحيح.

وقال ابن الكلبي: هو مالك بن أبي السمح بن سليمان بن أوْس بن سِمَاك[٣] بن سعد بن أوس بن عمرو بن دَرْماء أحد بني ثُعَل. وأمّ أبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبَيد بن عمرو بن مخزوم. وكان أبوه منقطعاً إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ويتيماً في حِجْره أوصى به أبوه إليه، فكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونه، وأدخله وسائرَ إخوته في دِعوة بني هاشم، فهم معهم إلى اليوم. وكان أحولَ طويلاً أحْنَى[٤]. قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبدالله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب في قوله فيه:

أبيضُ كالبدر أو كما يَلْمَعُ الـ ـسارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

فقال له الوليد: بل أنت.

أحولُ كالقِردِ أو كما يَرْقُبُ الـ ـسارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

أساتذته في الغناء وموته في خلافة المنصور:

وأخذ الغناءَ عن جَميلة ومَعْبد وعُمَر[٥] حتى أدرك الدولة العباسيّة، وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن عليّ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور.

[١٠٢/٥] / **كان أبوه منقطعاً إلى ابن جعفر والسبب في ذلك:**

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمّاد: قرأت على أبي:

أنّ السبب في انقطاع أبي السَّمْح إلى ابن جعفر أنّ السَّنةَ أَقْحَمَتْ طيِّئاً، فكان ثَعْلَبةُ جدُّ مالك أحدَهم، فوُلد أبو السَّمْح بالمدينة؛ وكان صديقاً للحسين بن عبدالله الهاشميّ، وكان سببُ ذلك مودّةً كانت بينه وبين آل شُعَيب[٦]

(١) بنو ثعل (كصرد): حي من طيء، وليس بمعدول إذ لو كان معدولاً لم يصرف.
(٢) بنو درماء: أولاد عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل الطائي، ودرماء أمهم، وكانوا بالشأم بقلعة الداروم وما يجاورها. (انظر «القاموس» و «شرحه» في «مستدرك» مادة درم).
(٣) هذا الاسم ساقط في ط،، ء، م.
(٤) أحنى: في ظهره أحديداب.
(٥) هو عمر الوادي المغني، وقد كان معاصراً له وكان أستاذاً مبرزاً في الغناء (انظر ترجمته في «الأغاني» ج ٦ ص ١٤١ طبع بولاق).
(٦) هو شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص كما سيذكره المؤلف في ص ١٠٧ من هذا الجزء. وقد اضطربت الأصول هنا في ذكره في هذا السطر والذي يليه بين «سعيد» و «شعيب». (راجع كتاب «المعارف» لابن قتيبة ص ١٤٦).

السَّهْميين؛ فلما تزوّج حسين عابِدة[١] بنت شُعَيب السَّهْمِيّة خاصمهم بسببها؛ وكان جدّ مالك معه وعوناً له مع من عاونه، فنَشِبتْ بذلك حالٌ بينه وبين بني هاشم، حتى وُلد مالك في دُورهم، فصارت دِعْوَتُه فيهم.

أدرك الدولة العباسية وقدم على سليمان بن علي فأجازه:

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على أبي:

وعُمِّر مالك حتى أدرك دولةَ بني العباس، وقَدِم على سليمان بن عليّ بالبصرة، فمَتّ إليه بخُؤولته في قريش، ودِعْوته لبني هاشم، وانقطاعِه إلى ابن جعفر، فعجّل له سليمانُ صلتَه وكساه وكتب له بأوْساقٍ[٢] من تمر.

ملازمته في أول أمره باب حمزة بن الزبير وأخذه الغناء عن معبد:

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني مَيْمون بن هارون قال حدّثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الوَرْداني قال:

كان مالك بن أبي السَّمْح المغنّي من طيء، فأصابتهم حَطْمةٌ[٣] في بلادهم بالجبلين، فقَدِمتْ به أمه وبإخوةٍ له وأخَواتٍ أيتامٍ لا شيء لهم؛ فكان يسأل الناسَ على باب / حمزة بن عبدالله بن الزُّبَير، وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة [٥/١٠٣] يكون عنده في كل يوم يغنّيه؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يَرِيمُ موضعَه، فينصرف إلى أمه ولم يكتسب شيئاً، فتضربه، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد ويؤدّيها دَوْراً دوراً في مواضع صَيْحاته وإسجاحاته ونَبَراته[٤] نَغَماً بغير لفظ ولا روايةِ شيء من الشعر؛ وجعل حمزةُ كلّما غدا وراح رآه ملازماً لبابه؛ فقال لغلامه يوماً: أدخِل هذا الغلامَ الأعرابيّ إليّ؛ فأدخله؛ فقال له: من أنت؟ فقال: / أنا غلام من طيء أصابتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحطَّتْنا إليكم ومعي أمّ لي [١٦٩/٤] وإخوةٌ، وإني لزِمتُ بابَك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني، فلزمتُ بابَك من أجله؛ قال: فهل تعرف منه شيئاً؟ قال: أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ؛ فقال: إن كنتَ صادقاً إنك[٥] لفَهِمٌ. ودعا بمَعْبَد فأمره أن يغنّي صوتاً فغنّاه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال نعم؛ قال: هاته؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغير شعر، يؤدّي مَدّاتِه ولَيّاتِه وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاتِه لا يَخْرِم حرفاً؛ فقال لمعبد: خذ هذا الغلام إليك وخَرِّجه، فلَيَكونَنّ له شأن؛ قال معبد: ولِمَ أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنُه منسوبة إليك، وإلاّ عدَل إلى غيرك فكانت محاسنُه منسوبة إليه؛ فقال: صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرتني به. ثم قال حمزة لمالكٍ: كيف وجدتَ ملازمتك لبابنا؟ قال: أرأيتَ لو قلتُ فيك غيرَ الذي أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك؟ قال لا؛ قال: وكذلك لا يسرُّك أن تُحمدَ بما لم تفعل؛ قال نعم؛ قال: فوالله ما شَبِعتُ على / بابك شَبْعةً قطُّ ولا انقلبتُ منه إلى أهلي بخير؛ فأمر له ولأمّه ولإخوته بمنزل، [٥/١٠٤] وأجْرَى لهم رزقاً وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكاً معه في مجالسه، وأمر معبداً

---

(١) كذا في ط، ء وفيما سيأتي في أكثر الأصول. وفي سائر الأصول هنا: «عائدة».

(٢) الأوساق: جمع وسق (بالفتح) وهو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون رطلاً عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمدّ.

(٣) الحطمة: السنة والجدب. والمراد بالجبلين أجأ وسلمى لأنهما جبلا طيء (انظر «معجم ياقوت» في الكلام عليهما).

(٤) قال في «اللسان» (مادّة نبر): «ونبرة المغني: رفع صوته عن خفض».

(٥) لعله جواب لما قبله على تقدير القسم، أي على تقدير: لئن كنت... إلخ، ولو كان جواباً للشرط من غير تقدير القسم لوجب اقترانه بفاء الجزاء.

أن يطارحه، فلم يَنْشَبْ[1] أن مهر وحذَق؛ وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبَةَ بن خَشْرَم؛ فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زِيَادةَ الذي قتله هُدْبةُ بن خَشْرَم بشعر أخي[2] زِيَادة:

أبعد الذي بالنَّعْفِ[3] نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رهينةَ رَمْسٍ ذي تراب وجَنْدلِ
أذَكَّرُ بالبُقْيا على من أصابني وبُقْيايَ أنّي جاهدٌ غيرُ مؤتَلي
فلا يَدْعُني قومي لزيد بن مالك لئن لم أُعجِّلْ ضربةً أو أُعجَّلِ
وإلّا أنَلْ ثأري من اليوم أو غدٍ بني عمِّنا فالدهرُ ذو مُتَطَوَّلِ
أنَخْتُمْ علينا كَلْكَلَ الحرب مرّةً فنحن مُنِيخُوها عليكم بكَلْكَلِ

فغنّى في هذا الشعر لَحْنَيْن، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقّقه وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إني قد صنعت غناءً في شعر سمعت بعض أهل المدينة يُنشده وقد أعجبني، فإن أذِن الأميرُ غنّيتُه فيه؛ قال: هاته، فغنّاه اللحنَ الذي نحا فيه نحو معبد؛ فطَرِب حمزة وقال له: أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه؛ فقال: لا تَعْجَل أيها الأمير واسمع منّي شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقتِه؛ قال: هاتِ، فغنّاه اللحنَ الذي تشبّه فيه بنوح المرأة، فطرِب حمزة حتى ألقى عليه حُلَّة كانت عليه / قيمتها مائتا دينار؛ ودخل معبد فرأى حُلّة حَمْزة عليه فأنكرها؛ وعلم حمزةُ بذلك فأخبر معبداً بالسبب، وأمر مالكاً فغنّاه الصوتين؛ فغضِب معبد لما سمع الصوت الأوّل وقال: قد كرهتُ أن آخذ هذا الغلام فيتعلّمَ غنائي فيدّعيَه لنفسه؛ فقال له حمزة: لا تَعْجَل واسمع غناءً صَنَعه ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره أن يغنّي الصوت الآخر فغنّاه؛ فأطرق معبد؛ فقال له حمزة: والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام، وكلما كبِر وزاد شِخْتَ أنت ونقصتَ، فلأن يكون منسوباً إليك أجملُ؛ فقال له معبد وهو / منكسر: صدق الأميرُ. فأمر حمزةُ لمعبدٍ بخِلْعةٍ من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَن وطابت نفسُه؛ فقام مالك على رجله فقبّل رأس معبد، وقال له: يا أبا عَبّاد أساءك ما سمعتَ منّي؟ والله لا أُغنّي لنفسي شيئاً أبداً ما دمتَ حيّاً، وإن غلبتْني نفسي فغنّيتُ في شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلا إليك، فطِبْ نفساً وارضَ عنّي؛ فقال له معبد: أوَ تفعل هذا وتَفِي به؟ قال: إي والله وأزيد؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتاً وسئل عنه قال: هذا لمعبد، ما غنّيت لنفسي شيئاً قطّ، وإنما آخُذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسّنه وأزيد فيه وأنقُص منه.

[٥/١٠٥]

١٧٠/٤

كان يغني ليلة الجمعة:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا الحسن بن عُتْبة اللهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بني الحارث بن عبد المطلب قال:

خرجتُ من مكة أُريد العراق، فحملتُ معي مالكَ بن أبي السَّمْح من المدينة، وذلك في أيام أبي العبّاس

(١) يقال: لم ينشب أن فعل كذا أي لم يلبث. وحقيقته: لم يتعلق بشيء غيره ولا اشتغل بسواه.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة بن زيد المقتول، كما في «الشعر والشعراء» في «ترجمة هدبة بن خشرم» (ص ٤٣٦ طبع أوروبا) و «الأغاني» (ج ٢١ ص ٢٧١ طبع أوروبا) في «ترجمة هدبة المذكور».

(٣) النعف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل كالخيف.

السّفاح، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا: يا معشر الرُّفقة إن الليلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألوني الغناءَ، وعليّ وعليّ إن غنّيتُ ليلة / الجمعة، فإن أردتم شيئاً فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم؛ فنسأله فيغنّينا، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طرِب ثم صاح: الحريق في دار شَلْمَغَان، ثم يمرّ في الغناء فما يكون في ليلة أكثرَ غناءً منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلّظة. [١٠٦/٥

مالك بن أبي السمح وسليمان بن علي:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان سليمان بن عليّ يسمع من مالك بن أبي السَّمْح بالسَّرَاةِ[1]، لأنه كان إذا قدِم الشامَ على الوليد بن يزيد، عدَل إليهم في بَدْأته وعَوْدته لانقطاعه إليهم، فَيَبَرُّونه ويَصِلُونه؛ فلما أَفْضَى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكاً على باب ابنه جعفر؛ فقال له: يا بنيّ، لقد رأيتُ ببابكَ أشبهَ الناس بمالكٍ؛ فقال له جعفر: ومَنْ مالكٌ؟ ـ يُوهمه أنه لا يعرفه ـ فتغافل عنه سليمانُ لئلا ينبهه عليه فيطلبه، وتوهّم أنه لم يعرفه ولا سمع غناءه.

قال حمّاد: وحدّثني أبي عن جدّي إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، ولم يعرفه، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة؛ قال: فمالي حسرةٌ مثل حسرتي بأني ما سمعتُ غناءه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال:

كان مالك بن أبي السَّمْح يتيماً في حِجْر عبدالله بن جعفر، وكان أبوه أبو السمح صار إلى عبدالله بن جعفر وانقطع إليه، فلما احتُضر أوْصَى بمالكٍ إليه، فكفَله وعاله وربّاه، وأدخله في دِعْوة بني هاشم، فهو فيهم[2] إلى اليوم. ثم خطب حسينُ / بن عبدالله بن عُبيد الله بن العبّاس العابدةَ[3] بنتَ شُعَيب [بن محمد][4] بن عبدالله بن عمرو بن العاص، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطبَها لنفسه، فعاون مالكٌ حُسَيناً، وكانت العابدةُ تستنصحه، وكانت بين أبيها شعيبٍ وبينه مودّةٌ، فأجابت حُسَيناً وتزوّجته، فانقطع مالكٌ إلى حسين؛ فلما أفضى الأمرُ إلى بني هاشم قدِم البصرةَ على سليمان بن عليّ، فلما دخل إليه مَتَّ بصحبته عبدَالله بن جعفر ودِعْوته في بني هاشم وانقطاعِه إلى حسين؛ فقال له سليمان: أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يا مالك، ولكنك كما تعلم، وأخاف أن تُفسد عليّ أولادي، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعل لك / شيئاً أبعث به إليك ما دمتَ حيًّا في كل عام، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك؛ قال: أفعلُ جعلني الله فِداك؛ فأمر له بجائزة وكُسْوة وحمله وزوّده إلى المدينة. [١٠٧/٥ ١٧١/٤

مالك بن أبي السمح في كبره:

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون بن جَنَاح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكُوفيّ عمن أخبره قال:

---

(١) يريد بالسراة هنا مكاناً بعينه لم نستطع تعيينه من «معاجم البلدان».
(٢) في ط، ء، م: «وأدخلهم في دعوة بني هاشم فهم فيها إلى اليوم».
(٣) في حـ هنا: «العائذة» بالذال المعجمة. وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٠٢ من هذا الجزء.
(٤) التكملة عن كتاب «المعارف» لابن قتيبة (ص ١٤٦، وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٠٢ من هذا الجزء).

دخلتُ المدينةَ حاجًا فدخلت الحمّام، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظّفه، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض؛ فلما جلس خرجتُ إلى صاحب الحمّام فقلت له: من هذا الشيخ؟ قال: هذا مالك بن أبي السمح المغنّي، فدخلتُ عليه فقلت له: يا عَمّاه، مَنْ أحسن الناسِ غِناءً؟ فقال: يابن أخي، «على الخَبير سَقَطْتَ»[1]، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتاً.

[١٠٨/٥] / أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيوبَ المَدينيّ قال حدّثني أبو يحيى العِبَادِيّ عن إسحاق قال:

كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس، فمرّ بهم مالك بن أبي السَّمْح، فقال بعضهم لبعض: لو سألنا مالكاً فغنّانا صوتاً! فقام إليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم، فعدَل إليهم؛ فسألوه أن يغنّيهم؛ فقال: نعمْ واللّهِ بالحُبّ والكرامةِ، ثم اندفع يغني، وأوقع بالمِقْرَعة على قَرَبُوس[2] سَرْجه، فرفع صوتَه فلم يقدِر، ثم خفَضه فلم يقدر، فجعل يبكي ويقول: واشَبَاباه.

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن عمه عن جدّه أنه كان في هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناءَ؛ وذكر باقيَ الخبر مثل ما ذكره إسحاق.

مالك بن أبي السمح وعجاجة المخنث:

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيوبَ المَدِينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال حدّثني صالح بن أبي الصَّقْر قال:

قدِم مالك بن أبي السَّمْح المغنّي البصرةَ، فلقيه عَجَاجَةُ المخنَّثُ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين، وقال له: فَدَيْتُكَ يا أبا الوليد، إني كنتُ أُحِبّ أن ألقاك وأن أعرِضَ عليك صوتاً من غنائك أخذتُه عن بعض المخنّثين، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندي فعلتَ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْدَ[3] قطيفةٍ كانت عنده فجلس، ثم أخذ عَجَاجةُ الدفَّ فغنّى:

[١٠٩/٥] / حَـبَّ إنّ الخمـارَ كـان عليهـا شـاهـداً يـوم زارتِ الجَـوْشَنِيَّـه[4]

قـد سَبَتْـه بِـدَلّهـا حيـن جـاءت تَتَهـادَى فـي مِشْيَـةٍ بَخْتَـرِيَّـه

فجعل مالك يقول له: وَيْلَكَ! مَنْ قال هذا! لعنه اللّهُ! وَيْحَك مَن غنّى هذا! قبّحه الله! وَيْحَك مَنْ روى عنّي هذا! أخزاه اللّهُ! ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عَجَاجة.

مالك ومعبد وابن عائشة عند يزيد بن عبد الملك:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن جَنَاح قال حدّثني مصعب بن عثمان قال حدّثني عبدالله بن محمد بن يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير قال حدّثني مالك بن أبي السَّمْح قال:

(١) هذا مثل يضرب حين يقع السائل على العليم بالأمر الذي يسأل عنه.

(٢) القربوس (بفتح القاف والراء): حنو السرج أي جانبه وهو الخشبة التي بها اعوجاج. ولكل سرج أربعة قرابيس: اثنان مقدّمان واثنان مؤخران.

(٣) الجرد (بالفتح): الخلق من الثياب، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه «ليس عندنا من مال المسلمين إلا جرد هذه القطيفة» أي الذي انجرد وخلق.

(٤) الجوشنيّة: لعلها نسبة إلى جوشن الذي هو بطن من غطفان.

قَدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أوّلَ قُدومنا عليه مع معبد وابنِ عائشةَ، فغنّيناه ليلةً فأطربْناه، فأمر لكل واحد منّا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبه، فغدوْنا عليه بالكتاب؛ فلما رآه أنكره وقال: أيُؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار! لا والله ولا حُبًّا ولا كرامةً!. فرجعنا إلى يزيدَ فأخبرناه بمقالته وكررنا عليه؛ فقال: كأنه استنكر ذلك؟ فقلنا: نعم؛ فقال: مثله والله يستنكره ودعاه؛ فلما حضر ورآنا عنده استأمره فيها، / فأطرق مُسْتَحيِياً؛ وقال له: إني قد قلتها لهم ولا يَجمُلُ أن أرجع عما قلت، ولكن قطِّعها عليهم. قال مالك: فمات والله يزيد، وقد بقي لكل واحد منا أربعُمائة دينار.

١٧٢/٤

غنى جعفراً ومحمداً ابني سليمان بن علي فلامهما أبوهما:

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أبي، وحدّثنا الحسن بن محمد قال:

[٥/ ١١٠] / لمّا انهزم عبدالله بن عليّ من أبي مسلم قَدِم البصرةَ، وكان عند سليمان بن عليّ، وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها، فاستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغنّاهما مالك في جَوْف الليل في دار سليمانَ بن عليّ، وبلغ الخبرُ سليمانَ، فدخل عليهم فعذَل جعفراً ومحمداً، وقال: نحن نتوقعُ الطامّةَ الكبرى وأنتم تسمعون الغناء! فقالا: ألاَ تجلس وتسمع! ففعل، فغنّاه مالك:

صـوت

ما كنتُ أوّلَ مَنْ خاسَ[1] الزمانُ به ... قد كنتُ ذا نَجْدةٍ أُخْشَى وذا بأسِ

أَبْلِغْ أبا معبدٍ عنّي وإخوَتَه ... شوقي إليهم وأحزاني ووَسْوَاسي

فخرج وتركهم ولم يُنكِر عليهم شيئاً.

مدحه الحسين بن عبدالله بشعر:

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين [بن عبدالله][2] بن عُبيد الله بن العبّاس:

صـوت

لا عيشَ إلا بمالكِ بنِ أبي الـ ... سَّمحِ فلا تَلْحَني ولا تَلُمِ

أبيضُ كالبدر أو كما يَلْمَعُ الـ ... بارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

مَنْ ليس يَعصيكَ إن رَشَدتَ ولا ... يَهتِكُ حقَّ الإسلام والحُرَمِ

يُصيبُ مِن لَذّة الكريم ولا ... يَجهَلُ آيَ الترخيص في اللَّمَمِ[3]

يا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشية الـ ... بُرْدِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ

(١) يقال: خاس الزمان به إذا غدر به.
(٢) التكملة عن «الأغاني» ص ١٠١ من هذا الجزء و «أمالي القالي» (ج ٣ ص ١٢٨ طبع دار الكتب المصرية).
(٣) اللمم: مقاربة الذنب من غير مواقعة وقيل: هو ما دون الكبائر من الذنوب وفي التنزيل العزيز: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ أي صغائر الذنوب.

نَعِمـتُ فيـه ومـالـكَ بـنَ أبـي الـسـمـح الكـريـمَ الأخـلاقِ والشِّيَـم

[٥/١١١] / ـ غنّاه مالكٌ في الأوّل والثاني والثالث رملاً بالبنصر في مجراها ـ فيقال: إن مالكاً قال له: لا والله ولا إن غَوَيت أيضاً أعصِيك؛ ذكر ذلك الزبير عن عمّه مصعب. ويقال: إنه قال هذه المقالةَ للوليد بن يزيدَ، فسُرّ بذلك وأجزل صلتَه.

غنى الوليد فلم يطربه ثم غناه ثانياً فأطربه:

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدّثني أبي قال قال ابن الكلبيّ:

قال الوليد بن يزيد لمَعْبد قد آذَتْني وَلْوَلَتُكَ[1] هذه، وقال لآبن عائشة: قد آذاني استهلالُك هذا، فانظُرا لي رجلاً يكون مذهبه متوسّطاً بين مذهَبَيْكما؛ فقالا له: مالكُ بن أبي السّمح؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائرِ مُغَنّي الحجاز المذكورين؛ فلمّا قَدِم مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغَمْر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعجِبه؛ فلما انصرف الغَمْر قال له: إن أمير المؤمنين لم يُعجِبه شيءٌ من غنائك؛ فقال له: جعلني الله فداك! اطلُب لي الإذنَ عليه مرّةً واحدة، فإن أعجبه شيء مما أُغنّيه وإلا انصرفتُ إلى بلادي. فلما جلس الوليدُ في مجلس اللهو ذكره الغَمْر وطلب له الإذنَ، وقال له: إنه هابك فَحصِرَ؛ قال: فأْذَنْ له، فبعث إليه؛ فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُرَاحِيّات[2] صِرْفاً؛ فخرج حتى دخل عليه يَخْطِرُ في مِشْيته. وقال غير ابن الكلبيّ: إنه قال

١٧٣/٤ / لفرّاش للوليد: اسْقِني عُسًّا[3] من شراب ولك دينار، فسقاه إيّاه وأعطاه الدينار؛ ثم قال له: زِدْني آخرَ فأزيدَك

[٥/١١٢] / آخرَ، ففعل حتى شرِب ثلاثةً، ثم دخل على الوليد يخطِر في مِشيته؛ فلما بلغ بابَ المجلس وقف ولم يسلم، وأخذ بحَلْقةِ الباب فقَعْقَعها، ثم رفع صوتَه فغنّى:

لا عَيْـشَ إلا بمـالـكِ بـنِ أبـي الـسَّـمْـح فـلا تَلْحَنِـي ولا تَلُـمِ

فطَرِب الوليد، ورفع يديه، حتى بدا إبطاه إليه مادًّا لهما، وقام فاعتنقه قائماً، وقال له: أدنُ يابن أخي، فدنا حتى اعتنقه؛ ثم أخذ في صوته ذلك، فلم يزالوا فيه أياماً، وأجزل صلته حين أراد الانصرافَ. قال: ولما أتى مالكٌ على قوله:

أبْيَـضُ كـالسيـف أو كمـا يَلْمَـعُ الـ ـبـارقُ فـي حـالِـكٍ مـن الظُّلَـمِ

قال له الوليد:

أحْـولُ كـالقِـرْد أو كـمـا يَـرْقُـبُ الـسـارقُ فـي حـالـكٍ مـن الظُّلَـمِ

كان يأخذ أغاني غيره ويغيرها، ورأى إسحاق في ذلك:

وكان مالك طويلاً[4] أجْنَى فيه حَوَلٌ. وقد قال قوم: إنّ مالكاً لم يصنع لحناً قطُّ غيرَ هذا ـ أعني: «لا عيشَ إلاّ

(١) في حـ: «وأوأتك». والوأوأة: صياح ابن آوى، وقيل: ليست خاصة به.
(٢) صراحيات: جمع صراحية وهي إناء من آنية الخمر ولا يعرف أصلها. وقيل عربية صحيحة استعملها الفرس والروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب. (راجع «القاموس» و «شرحه» و «اللسان» مادة صرح، و «المخصص» ج ١١ ص ٥٨، و «شفاء الغليل» ص ١٤٤).
(٣) العس: القدح الضخم يروي الثلاثة والأربعة. وجمعه: عسسة.
(٤) كذا في أكثر الأصول، والأجنى (بالقصر) لغة في الأجنأ (بالهمز) وهو الذي أشرف كاهله على صدره. وفي م: «أحنى» (بالحاء المهملة) والأحنى: الأحدب.

بمالك بن أبي السَّمح» ـ وإنه كان يأخذ غناءَ الناس فيزيدُ فيه وينقُصُ منه وينسُبه الناس إليه، وكان إسحاق يُنكر ذلك غايةَ الإنكار، ويقول: غناءُ مالكٍ كلّه مَذْهبٌ واحد لا تَبايُن فيه، ولو كان كما يقول الناس لاختلاف غِناؤه، وإنما كان إذا غَنّى ألحانَ مَعْبَدٍ الطِّوَالَ خفَّفها وحَذَف بعض نَغَمها، وقال: أطاله مَعْبَد ومطّطَه، وحذفتُه أنا وحسّنتُه، فأمّا ألّا يكونَ صنع شيئاً فلا.

/ أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حَمّاد: قرأتُ[1] على أبي وذكر بكّار بن النبال[2]: [٥/١١٣]

أن الوليد قال لمالك: هل تصنع الغناء؟ قال: لا، ولكنّي أزيدُ فيه وأنقُص منه؛ فقال له: فأنت المُحَلِّي إذاً.

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الهاشميّ الحارثيّ[3] الذي يقال له سَنَابِل ـ وفيه يقول الشاعر:

فـإن هـي ضَـنَّـتْ عنـكَ أو حِيـل دونَهـا فـدَعْهـا وقـلْ فـي ابـن الكـرام سَنَـابِـلِ

ـ قال: خرجتُ من مكة أريد أبا العبّاس أميرَ المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أبي السَّمْح، فسألته يوماً عن بعض ما يُنْسَب إليه من الغناء؛ فقال: يا أبا الفضل، عليه وعليه إن كان غَنّى صوتاً قطّ، ولكني آخذُه وأُحسِّنه وأُهيئه وأُطيّبه، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ. قال إسحاق: وليس الأمرُ هكذا، لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة، وصنعته تَجْري في أسلوب واحد، ويُشبِه بعضُها بعضاً، ولو كان كما قيل لاختَلَف غناؤه. وقد قيل: إنّ مالكاً كان يَنتفِي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكِرون عليه، فكان يَتَبَدَّل به عند من يراه، ويُنكره عند من يذُمّه، لمحلّه في بني هاشم.

/ وأخبرني بخبر سَنَابِلَ هذا محمدُ بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللّهبي عن سَنَابِلَ، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن بن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتْبة أخيه. [٥/١١٤]

أخذ صوتاً من حمار:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه عن محمد / بن يَزيد اللَّيْثيّ قال: [١٧٤/٤]

سُئل مالك بن أبي السَّمْح عن صنعته في:

* لاحَ بالدَّيْر من أُمامةَ نارُ *

فقال: أخذتُه والله من خَرْبَنْده[4] بالشأم يَسُوق أَحْمِرَةً، فكان يترنَّم بهذا اللّحن بلا كلام، فأخذتُه فكسوتُه هذا الشعر.

(١) وردت هذه العبارة في حـ هكذا: «قرأت على أبي بكر وذكر بكار أن ابن الوليد... إلخ»، وهو تحريف، إذ لم تعرف لحماد رواية عن أبي بكر ولكنه يروى كثيراً عن أبيه. كما أن المذكور في سياق الخبر هو الوليد لا ابنه.

(٢) في ء: «البنال». وورد في ط مهملاً من غير نقط.

(٣) في ط، ء: «الجاري».

(٤) كذا في ب، س، م. والخربنده: المكاري، وهي كلمة فارسية مركبة من «خر» وهو الحمار و«بنده» وهو الخادم. وفي سائر الأصول: «خربندج». والعرب تضع بدل الهاء في آخر الكلمة الفارسية جيماً أو قافاً للتعريب؛ مثل طازج وفالوذج في تازه وپالوده، وخندق وفستق في كنده وبسته.

أخذ صوتاً من حائك:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

نزل مالكُ بن أبي السَّمْح عند رجل بمكةَ مخزوميٍّ، وكان له غلامٌ حائك، فأتاه آتٍ فقال: أمَا سَمِعتَ غناء غلامك الحائك؟ قال: لا! أوَ يُغنِّي؟ قال: نعم بشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ؛ فبعث إليه فأتاه، فقال: تَغَنَّه؛ فقال: ما أحسِنُ ذاك إلا على حَفِّي[1]؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته، فلما جلس على حَفِّه تغنَّى:

* تطاولَ هذا الليلُ ما يَتبلَّجُ *

[٥/١١٥] / فأخذه مالكٌ عنه وغنّاه فنسبَه الناس إليه؛ وكان يقول: والله ما غنيته قطّ ولا غناه إلّا الحائك.

نسبة هذين الصوتين

صوت

لاحَ بالدَّيْرِ من أُمامةَ نارُ — لمحبٍّ له بيَثْرِبَ دارُ

قد تَراها ولو تشاءُ من القُرْ — بِ لأغناكَ عن نَداها[2] الشَّرارُ

الشعر للأحوص، ويقال: إنه لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت. والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق.

صوت

تَطَاوَلَ هذا الليلُ ما يَتَبلَّجُ — وأعيتْ غَوَاشِي سَكْرَتِي ما تَفَرَّجُ

أبيتُ بِهَمٍّ ما أنامُ كأنما — خِلالَ ضُلوعِي جمرةٌ تَتَوهَّجُ

فَطَوْراً أُمَنِّي النفسَ من تُكْتَمَ[3] المُنَى — وطوراً إذا ما لَجَّ بي الحبُّ أنْشِجُ[4]

عروضه من الطويل، الشعر لأبي دَهْبَل، والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

[٥/١١٦] / **هرب مع ابن عائشة يوم مقتل الوليد:**

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه قال:

قال ابن عائشة: حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتِل، وكان معنا مالك بن أبي السَّمْح وكان من أحمقِ الناس، فلما قُتِل الوليد قال: اهرُب بنا؛ فقلت: وما يريدون منا؟ قال: وما يؤمّنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما

(١) كذا في حـ. والحف (بالفتح): المنوال والمنسج، وهو أيضاً القصبة التي تجيء وتذهب. وفي سائر الأصول: «حقي» بالقاف، وهو تصحيف.

(٢) الندى (بالفتح مقصوراً): بعد الصوت.

(٣) كذا في أكثر الأصول. وتكتم (على وزن الفعل المبني للمجهول): اسم المرأة المشبب بها. وفي م: «يكتم الهوى». وفي «الشعر والشعراء» (ص ٣٩١): «عمرة المنى».

(٤) نشج (من باب ضرب): غص بالبكاء في حلقة من غير انتحاب.

ليُحسِّنوا أمرَهم بذلك!؛ قال ابن عائشة: فما رأيت منه عقلاً قطّ قبل ذلك اليوم.

لما كبر كان يعلم ابنه الغناء:

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال قال الزبير بن بكار حدّثتني ظَبْيَةُ قالت: رأيتُ مالكَ بن أبي السّمح وهو على مَنَامته يُلْقِي على ابنه وقد كَبِرَ وانقطع:

صوت

إِعتادَ هـذا القلـبَ بَلْبـالُـهُ[1] إذ قُـرِّبَـتْ للبَيْـنِ أجمـالُـهُ

خَـوْدٌ[2] إذا قـامـتْ إلـى خِـدْرِهـا قـامـت قَطُـوفُ[3] المَشْـيِ مِكْسـالُـهُ

تَفْتَـرُّ[4] عـن ذي أُشُـرٍ بـارِدٍ عَـذْبٍ إذا مـا ذِيـقَ سَلْسـالُـهُ

الشعرُ لعمرَ بن أبي رَبيعة، ولمالك بن أبي السَّمْح فيه ثلاثة ألحان: خفيفُ ثقيل[5] مطلق / في مجرى الوسطى، وثقيل أوّل بالوسطى مجراها جميعاً عن إسحاق، وخفيف[6] رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وقيل: إنه لابن سُرَيج، وفيه رَمَلٌ يُنسب إلى ابن جامع وابن سريج. ١٧٥/٤

/ شعر في رثائه: [١١٧/٥]

أخبرني وَكيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة: سمعتُ مُنشِداً يُنشد لنفسه يَرثي مالكاً بهذه القصيدة:

يـا مـالُ إنـي قَضَـتْ نفسي عليـكَ ومـا بينـي وبينَـكَ مـن قُـرْبَـى ولا رَحِـمِ

إلا الـذي لـك فـي قَلْبـي خُصِصـتَ بـه مـن المـودّة فـي سِتْـرٍ وفـي كَـرَمِ

قال إسحاق قال أبو عُبَيدة: هو مالك بن أبي السمح. [اِنقضت[7] أخباره].

صوت

من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سَهْل وابن المَكّيّ وأبي العُبَيس ومن روَى جَحْظةُ عنه:

فـإلّا تَجَلّلْهـا[8] يُعـالُـوكَ فـوقهـا وكيـف تَـوَقَّـى ظهـرَ مـا أنـتَ راكبُـهُ

(١) البلبال (بفتح الباء): شدة الهم والوسواس.
(٢) الخود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق.
(٣) قطوف المشي: ضيقة الخطى بطيئة المشي.
(٤) تفتر: تبسم. والأشر (بضمتين وبضم ففتح): حدّة ورقة في أطراف الأسنان.
(٥) في حـ: «خفيف أوّل مطلق... إلخ».
(٦) في ط، ء، م: «خفيف ثقيل بالوسطى... إلخ».
(٧) زيادة عن م.
(٨) تجلل الرجل البعير: علا ظهره. وعالي فلان الشيء: رفعه.

هـمُ قتلـوه كـي يكـونـوا مكـانَـه كمـا غـدَرتْ يـومـاً بكسـرى مَـرَازِبُـهْ

بنـي هـاشـمٍ رُدُّوا سِـلاحَ ابـنِ أُختِكـم ولا تَنْهَبُـوه لا تَحِـلُّ مَنـاهِبُـهْ

عروضه من الطويل. البيت الأوّل من الشعر لرجلٍ من بني نَهْد جاهليّ، وباقي الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط. والغناء لابن مُحرِز، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق، وهو اللحن المختار. وفيه للغَرِيض ثقيل أوّلُ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمَعْبد ثقيل أوّلُ آخرُ مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشاميّ. وفيه لسَلْسَل في الثاني والثالث ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش، وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل.



/ خبر النَّهْديّ في هذا الشعر [٥/١٨]

وخبر الوليد بن عقبة وقد مضى نسبه في أوّل الكتاب

الحارث بن مارية وزهير بن جناب:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عمي عن ابن الكَلْبي عن أبيه عن عبد الرحمن المَدَائني، وكان عالماً بأخبار قومه، قال وحدّثنيه أبو مِسْكِين[1] أيضاً، قالا:

كان الحارث بن مَارِيَةَ الغَسّاني الجَفْنِيّ مكرِماً لزهير بن جَنَاب الكَلْبيّ يُنادمه ويحادثه، فقَدِم على الملكِ رجلان من بني نَهْد بنِ زيد يقال لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزَاح، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب، فاجتباهما الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زُهير بن جَنَاب، فقال: أيها الملك، هما والله عَيْنٌ لذي القَرْنين عليك (يعني المُنذِرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر)، وهما يكتبان إليه بَعوْرتك وخَلَلِ ما يريان منك؛ قال: كلّا! فلم يزل به زهير حتى أَوْغَر صدرَه، وكان إذا ركِب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعَث إليهما بناقة واحدة؛ فعرَفا الشرّ فلم يركب أحدهما وتوقّف؛ فقال له الآخر:

فــإلاّ تَجَلَّلْهــا يُعــالُــوكَ فَــوْقَهــا ... وكيــفَ تَــوَقَّــى ظهــرَ مــا أنــتَ راكِبُــهْ

فركبها مع أخيه، ومَضى بهما فقُتِلا، ثم بحَث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فشتَم / زُهيراً وطرده، [١٧٦/٤] فانصرف إلى بلاد قومه؛ وقدِم رِزَاحٌ أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخاً عالماً مُجرِّباً، فأكرمه الملك وأعطاه دِيةَ ابنيه؛ وبلغ زهيراً مكانُهُ، فدعا ابناً له يقال له عامر، وكان من فِتيان العرب لساناً وبياناً، فقال له: إنّ رِزَاحاً قد قدِم على الملك، فالحَقْ به واحتَلْ في أن تكفِيَنِيه، وقال له: اذْمُمْنِي / عند الملك ونَلْ مِنّي، وأثِّر به آثاراً؛ فخرج الغلام [٥/١١٩] حتى قدِم الشأم، فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه؛ فأعجبه ما رأى منه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا عامرُ بنُ زُهَير بن جَنَاب؛ قال: فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعيَ! فقال الغلام: نعم، فلا حيّاه الله! انظُر أيها الملك ما صنَع بظهري! وأراه آثارَ الضرب؛ فقَبِل ذلك منه وأدخله في نُدمائه؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له: أيها الملك، إنّ أبي وإن كان مُسيئاً فلستُ أدَعُ أن أقول الحقّ، قد والله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول:

فيــا لــكِ نَصْحــةً لمّــا نَــذُقْهــا ... أراهــا نصحــةً ذهبَــتْ ضــلالا

ثم تركه أيّاماً، وقال له بعد ذلك: أيها الملك، ما تقول في حيّة قد قُطِع ذَنَبُها وبقِيَ رأسُها؟ قال: ذاك أبوك وصَنِيعُه بالرجُلين ما صَنَع؛ قال: أبيتَ اللّعنَ! والله ما قَدِم رِزاحٌ إلا ليثأرَ بهما؛ فقال له: وما آيةُ ذلك؟ قال: اسقِهِ الخمر ثم ابْعَث إليه عَيْناً يأتِك بخبره؛ فلما انْتَشَى صرفَه إلى قُبّته ومعه بنتٌ له، وبعث عليه عيوناً؛ فلما دخل قُبّتَه قامت إليه ابنته تُسانده فقال:

(١) في ط، م،ء: «ابن مسكين».

دَعِيني مِن سِنادِكِ إنّ حَزْناً وسَهْلاً ليس بعدهما رُقودُ
ألاَ تَسَلِين عن شِبْلَيَّ ماذا أصابهما إذا اهتَرش[1] الأُسُودُ
فإنّي لو ثأرتُ المرءَ حَزْناً وسَهْلاً قد بدا لكِ ما أُريد

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل النَّهْديّ رِزَاحٍ، وردّ زُهيراً إلى موضعه.

[٥/١٢٠] / شعر للوليد بن عقبة أجابه عنه الفضل بن العباس:

وقد أنشدني محمد بن العباس اليَزِيديّ قال: أنشدنا محمد بن حَبِيبَ أبياتَ الوليد هذه على الوِلاَء[2]، وهي:

ألاَ مَن لِلَيْلٍ لا تَغُور كواكِبُه إذا لاح نجمٌ لاح نجم يراقبُه[3]
بني هاشم رُدّوا سلاحَ ابن أختكم[4] ولا تَنْهبوه لا تَحِلُّ مناهِبُه
بني هاشم لا تَعْجَلوا[5] بإقادة سواءٌ علينا قاتِلوه وسالِبُهْ
فقد يُجْبَر العظمُ الكسير ويَنْبَري لذي الحقّ يوماً حقُّه فيطالبُهْ
وإنّا وإيّاكم وما كان منكم كصَدْع الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدعَ شاعِبُهْ
بني هاشم كيف التعاقُد[6] بيننا وعند عليٍّ سيفُه وحَرائِبُهْ[7]
لعَمْرُكَ لا أنسى ابنَ أرْوَى وقتلَه وهل ينسيَنّ الماءَ ما عاش شارِبُهْ
همُ قتلوه كي يكونوا مكانَه كما غَدَرتْ يوماً بكِسْرَى مَرازِبُهْ
وإنّي لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه[8] وجَلائبُهْ

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات، وقيل: بل أبوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضاً. والجواب:

(١) الاهتراش: التقاتل والتواثب.
(٢) الولاء: المتابعة، يقال: افعل هذه الأشياء على الولاء أي متابعة.
(٣) في حـ، م والاستيعاب (ج ٢ ص ٢٦٢): «إذا لاح نجم غار نجم يراقبه».
(٤) في ط، م،ء: «ابن عمكم». وعثمان بن عفان يمت إلى بني هاشم بالخؤولة والعمومة وقد روى في ص ١١٧ من هذا الجزء: «ابن أختكم» في جميع النسخ. وكذلك فيما سيلي قريباً.
(٥) في حـ: «لا تعجلونا فإنه».
(٦) في ط، م،ء: «التعاذر» وسيرد قريباً بروايتين أخريين هما: «كيف الهوادة» و «كيف التواصل».
(٧) كذا في ط،ء. والحرائب: جمع حريبة وهي مال الرجل الذي يعيش به، وقيل: ما يسلب من المال. وفي م: «الجائبه». وفي سائر الأصول: «جرائبه» وهما تحريف، وسيرد قريباً: «نجائبه».
(٨) الجرس: الصوت.

[٥/١٢١ ١٧٧/٤]

صوت

فلا تسألونا بالسلاح فإنه أُضِيع وألقاه لَدى الرَّوْع صاحبُهْ

وشبَّهْتَه كسرى وقد[1] كان مثلُه شبيهاً بكسرى هَدْيُه وعصائبُهْ

ذكر أحمد بن المكيّ أنّ لابن مِسْجَح فيه لحناً وأن لحنه من الثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى، وقال غيره: إنه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح.



(١) في «الاستيعاب» (ج ٤ ص ٥٣٣): «وما كان مثله».

[٥/١٢٢]

/ ذكر باقي خبر الوليد بن عُقْبة ونسبه

نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة ثم عزله وحدّه بالشراب:

الوليدُ بنُ عقبة بن أبي مُعَيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه[١] أبي قَطِيفة. ويكنى الوليدُ أبا وَهْب. وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه، أمهما أرْوَى بنت كُرَيز، وأمها البَيْضاء بنت عبد المطلب. وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأجوادِهم[٢]، وكان فاسقاً، ووَلِيَ لعثمان رضي الله عنه الكوفةَ بعد سعد بن أبي وَقّاص، فشرِب الخمرَ وشُهِد عليه بذلك، فحدّه وعزَله. وهو الذي يقول يَرثي عثمانَ رضي الله عنه ويُحرِّض معاوية:

رثاؤه عثمان وتحريضه معاوية على الأخذ بثأره:

واللهِ ما هندٌ بأُمِّكَ إن مضى النهارُ ولم يَثْأرْ بعثمان ثائرُ
أيقتُل عبدُ القوم سيِّدَ أهلِه ولم تقتلوه ليتَ أمَّكَ عاقرُ
وإنا متى نقتلْهمُ لا يُقِدْ بهم مُقِيدٌ فقد[٣] دارت عليك الدوائر

كان يجالس عثمان على سريره فقال شعراً ولاه به الكوفة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبدالله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حَرْب والحَكَم بن أبي العاصي والوليد بن عُقْبة، فأقبل الوليدُ يوماً فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زَحَل[٤] له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تَلَجْلج في صدري بيتان قلتُهما حين رأيتك / آثرت عمك على ٱبْنِ أمّك؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه: إنه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتَهما؟ قال: قلت: [٥/١٢٣]

رأيتُ لعمّ المرءِ زُلْفَى قرابةٍ دُوَيْنَ أخيه حادثاً لم يكن قِدْمَا
فأمّلتُ عَمْراً أن يَشِبّ[٥] وخالدا لكي يدعُواني يوم مَزْحمةٍ عمّا

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان. قال: فرَقّ له عثمان، وقال له: قد ولّيتك العراق (يعني الكوفة).

(١) كذا في م، حـ. وفي سائر الأصول: «أبيه» وهو تحريف.
(٢) في ط، ء: «جودائهم». وجوداء (وزان كرماء): من جموع جواد.
(٣) في ب، س، حـ: «وقد».
(٤) زحل: تنحى وتباعد.
(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «يشيب».

خلف سعد بن أبي وقاص على الكوفة وقصته معه حين قدم عليه:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني بعضُ أصحابنا عن ٱبْن دَأْب قال:

لما ولّي عثمان رضي الله عنه الوليدَ بن عقبة الكوفةَ قدِمها وعليها سعد بن أبي وَقّاص، فأُخبِر بقدومه؛ فقال: وما صنع؟ قال: وقف في السوق فهو يحدّث الناس هناك ولسنا نُنكر شيئاً من شأنه؛ فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار، فاستأذن على سعد فأذِن له، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه؛ فقال له سعد: ما أقدمك أبا وهب؟ قال: أحببتُ زيارتك؛ قال: وعلى ذلك أجئتَ بريداً؟ قال: أنا أرْزَنُ من ذلك، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة؛ فمكث طويلاً ثم قال: لا والله ما أدري أصلَحتَ بعدنا / أم فسَدنا بعدك! ثم قال: ١٧٨/٤

خُـذيـنـي فجُـرِّيـنـي ضِبـاعُ وأَبْشِـري[1] … بلحـم امـرىءٍ لـم يَشهـد اليـوم نـاصـرُهْ[2]

/ فقال: أما والله[3] لأنَا أقْوَلُ للشعر وأرْوى له منك، ولو شئتُ لأجبتُك، ولكنّي أدَعُ ذلك لما[4] تعلم؛ نعم والله قد أُمِرتُ بمحاسبتك والنظرِ في أمر عُمّالك؛ ثم بعث إلى عمّاله فحبَسهم وضيّق عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلّمه فيهم؛ فقال له: أوَ للمعروف عندك موضع؟ قال: نعم والله! فخلّى سبيلَهم. [٥/١٢٤]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر قال حدّثنا جَنَاد[5] بن بِشْر قال: حدّثني جَرير[6] عن مُغِيرة[7] بنحوه.

قال أبو زيد عمر بن شَبّة أخبرنا أبو بكر الباهليّ قال حدّثنا هُشَيم عن العَوّام بن حَوْشَب:

أنه لمّا قدِم على سعد قال له سعد: ما أدري أكِسْتَ بعدنا أم حَمُقْنا بعدك؟ فقال: لا تَجْزَعَنّ أبا إسحاق، فإنما هو المُلْك يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون؛ فقال له سعد: أراكم والله ستجعلونه مُلْكاً.

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائني عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقِيق[8] بن سَلَمة قال:

قدِم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبدالله بن مسعود على بيت المال، وكان سعد قد أخذ مالاً، فقال الوليد لعبدالله: خُذْه بالمال، فكلّمه عبدالله بمحضر من الوليد في ذلك؛ فقال سعد: آتي أمير المؤمنين، فإن أخذني به / أدّيتُه. فغمزَ الوليد عبدالله، ونظر إليهما سعد فنهض وقال: فعلتماها! ودعا اللّهَ أن يُغرِيَ بينهما وأدّى المال. [٥/١٢٥]

---

(١) في س: «وإنما».
(٢) في ب، س: «ناشره».
(٣) في ط ء: «أم».
(٤) كذا في س: وفي سائر الأصول: «لما لا تعلم».
(٥) في حـ: «حيان».
(٦) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي كما في «تهذيب التهذيب».
(٧) هو المغيرة بن مقسم الضبي كما في «تهذيب التهذيب».
(٨) كذا في حـ، م. وهو شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الراوي وهو الذي يروى عنه الأعمش. وفي سائر الأصول: «سفيان» وهو تحريف. (راجع «تهذيب التهذيب»، و «الاستيعاب» في اسم شقيق).

صلى بالناس الصبح أربع ركعات:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثنا هارون بن مَعروف قال حدّثنا ضَمْرة بن رَبيعة عن ابن شَوْذب قال: صلّى الوليد بن عُقْبة بأهل الكوفة الغداةَ أربعَ ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أأزيدكم؟ فقال عبدالله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذُ اليوم.

شعر الحطيئة فيه:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جَرِير[١] عن الأَجْلح[٢] عن الشَّعْبيّ[٣] في حديث الوَليد بن عُقْبة حين شهدوا عليه [قال][٤]: قال[٥] الحطيئة[٦]:

شهِد الحطيئةَ يوم يلقى ربَّه ... أنّ الوليدَ أحقّ بالعُذرِ[٧]

نادى وقد تمّت صلاتُهم ... أأزيدكم ـ سُكراً ـ وما يدري

فأبَوْا أبا وَهْب ولو أذِنوا ... لقَرَنْتَ بين الشفع والوِتْرِ

كَفُّوا عِنانَك إذ جريتَ ولو ... تركوا عِنانك لم تزل تجري

وقال الحطيئة أيضاً:

تكلّم في الصلاة وزاد فيها ... عَلانِيَةً وجاهر بالنِّفاقِ

ومجّ الخمرَ في سَنَن المُصلّي ... ونادى والجميعُ إلى افتراق

أزيدكُم على أن تحمَدُوني ... وما لكُم ومالي من خَلاق

[١٢٦/٥] / شرب الخمر وصلى بالناس فضرب الحدّ:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال قال حماد بن إسحاق حدّثني أبي قال ذكر أبو عُبَيدة وهشام بن الكلبيّ والأصمعيّ قالوا[٨]:

كان الوليد بن عقبة زانياً[٩] شِرِّيب خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّي بهم الصبحَ في المسجد الجامع، [١٧٩/٤] فصلّى بهم أربعَ رَكَعات، ثم التفت إليهم / وقال لهم: أزِيدكم؟ وتقيّأ في المحراب، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:

عَلِق القلبُ الرَّبابا ... بعد ما شابَتْ وشابا

(١) هو جرير بن عبد الحميد المذكور في الصفحة السابقة.
(٢) هو الأجلح بن عبدالله بن حجية الكندي كما في «تهذيب التهذيب».
(٣) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي كما في «تهذيب التهذيب» وابن خلكان.
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) في ب، حـ، س: «فقال».
(٦) هذه الكلمة ساقطة في س.
(٧) هذا البيت من الكامل الضرب الأحذ المضمر، وباقي الأبيات من الكامل الأحذ الثالث.
(٨) في ب، حـ، س: «قال» والمناسب منا أثبتناه.
(٩) في ط،ء: «دنيا» والدنى (كغنى): الساقط الضعيف.

فشخَص أهلُ الكوفة إلى عثمان، فأخبروه خبرَه وشهدوا عليه بشُربه الخمرَ، فأُتي به، فأمر رجلاً بضربه الحدَّ؛ فلما دنا منه قال له: نَشَدْتُكَ اللّهَ وقَرابتي من أمير المؤمنين فتركه؛ فخاف عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُعطَّل الحدُّ، فقام إليه فحدَّه؛ فقال له الوليد: نَشَدْتُك بالله وبالقرابة؛ فقال له عليّ: اسكت أبا وَهْب فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ، فضربه وقال: لَتَدعُوَنّي قريشٌ بعد هذا جلاّدَها. قال إسحاق: فأخبرني مُصْعَب الزُّبيريّ قال: قال الوليد بن عُقْبة بعد ما جُلد: اللهمّ إنهم شهِدوا عليّ بزور، فلا تُرْضِهم عن أمير ولا تُرْضِ عنهم أميراً. فقال الحطيئة يكذِّب عنه:

شهِد الحُطَيئةُ يومَ يلقى ربَّه ... أنّ الوليد أحقُّ بالعُذْرِ
خلَعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو ... تركوا عِنانك لم تَزَل تَجْري
ورأَوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ[1] ... يُعْطِي على الميسور والعُسْرِ
فنُزِعتَ مكذوباً عليك ولم ... تَنْزِعْ إلى طمَعٍ[2] ولا فقرِ[3]

/ فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحطيئة: [٥/ ٢٧]

نادَى وقد تَمّتْ صَلاتُهمُ ... أأزيدكم - ثَمِلاً - وما يَدْرِي
لِيزيدَهم خَيْراً ولو قَبِلوا ... لَقَرَنْتَ بين الشَّفْعِ والوِتَرِ
فأَبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فعلوا ... وصلَتْ صَلاتُهمُ إلى العَشْرِ

وروى العبّاس بن[4] مَيْمون طائع عن ابن عائشةَ قال حدّثني أبي قال:
لما أحضر عثمانُ رضي الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة في شُرْب الخمر، حضَر الحُطَيئةُ فاستأذن على عثمان وعنده بنو أُمية متوافِرون، فطَمِعوا أن يأتي الوليدَ بعذر، فقال:

شَهِد الحُطَيئةُ يوم يلقى ربَّه ... أنّ الوليد أحقُّ بالعذرِ
خلَعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو ... تركوا عِنانك لم تزل تجري
ورأَوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ ... يُعطي على الميسور والعُسرِ
فنُزِعتَ مكذوباً عليك ولم ... تَنزِع إلى طمعٍ ولا فقرِ

قال: فسُرُّوا بذلك وظنّوا أن قد قام بعذره؛ فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحُطَيئة:

نادى وقد تَمّتْ صَلاتُهمُ ... أأزيدكم - ثَمِلاً - وما يَدْري
فأَبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فعلوا ... وصلَتْ صلاتُهمُ إلى العَشْرِ

---

(١) الأنف (وزان كتف): الذي يأبى أن يضام.
(٢) في حـ: «طبع» والطبع: الدنس.
(٣) في «ديوان الحطيئة» (ص ١٨٦ طبع مدينة ليبزج، ونسخة خطية منه بدار الكتب المصرية رقم ٣ أدب ش):
* تردد إلى عوز ولا فقر *
(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي ط، م، ء: «العباس بن ميمون طابع»، وورد فيما تقدّم في حـ في أخبار الحكم بن عبدل ونسبه (ج ٢ ص ٤٢٢ طبع دار الكتب المصرية): «العباس بن محمد بن طائع». ولم نعثر على اسمه في المراجع التي بين أيدينا.

فوجَم القومُ وأطرقوا، فأمر به عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحُدّ.

[١٢٨/٥] / قصة رجل معيطيّ شهد عليه عند الأمير:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ[١] قال حدّثني محمد بن الفَضْل مِنْ حِفْظه قال حدّثنا عمر بن شَبّة من حفظه، ونسخت من كتاب لهارون آبْنِ الزيات بخطه عن عمر بن شبة، وروايتُه أتمّ، فحكيتُ لفظه، قال:

١٨٠/٤ شهِد رجل عند أبي العَجّاج، وكان على البصرة، على رجل من المُعَيْطيّين شهادة، وكان الرجل / الشاهد سكرانَ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعَيْطيّ: أعزّك الله إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر؛ فقال الشاهد: بلى إني لأُحسن؛ فقال: اقرأْ؛ فقال:

عَلِق القلبُ الرَّبابا بعد ما شابت وشابا

قال: وإنما تَمَاجن بذلك على المُعَيْطِيّ، ليَحكي به ما صنع الوليدُ بن عُقْبة في مِحْراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكرانُ، فأنشد في صلاته هذا الشِّعر؛ وكان أبو العجّاج مُحَمَّقاً فظنّ أن هذا قرآن، فقال: صدق الله ورسوله، وَيْلَكم! فلم تعلمون ولا تعملون!. ولقد رُوي أيضاً في الشهادة على الوليد في السُّكر غيرُ ما ذُكِر من زيادته في الصلاة.

ثبت لدى عثمان أنه سكر فأمر بجلده الحدّ:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال عرضت على المَدَائنيّ عن مبارك بن سَلاّم عن فِطْر[٢] بن خَلِيفة عن أبي الضُّحَى[٣] قال:

[١٢٩/٥] / كان أبو زَيْنب الأَزْدِيّ وأبو مُوَرِّع[٤] يطلبان عَثْرة الوليد بن عُقْبة، فجاءا يوماً فلم يحضُر الصلاة، فسألا عنه وتلطّفا حتى علِما أنه يشرب، فاقتحما عليه الدارَ فوجداه يَقِيء، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأخذا خاتَمه من يده، فأفاق فافتقد خاتَمه فسأل عنه؛ فقالوا: لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقال: صِفُوهما لي؛ فقالوا: أحدهما آدَمُ[٥] طويلٌ حسنُ الوجه، والآخرُ عريض مربوع عليه خَمِيصة[٦]؛ فقال: هذا[٧] أبو زَيْنب وأبو مُوَرِّع. ولقي أبو زينب وصاحبُه عبدَالله بن حُبَيْش[٨] الأسدي وعَلْقمة[٩] بن

(١) كذا في ط،ء، م. وفي سائر الأصول «المكيّ»، وأبو الفرج يروي كثيراً عن الصوليّ كما تقدّم غير مرة في الأجزاء السالفة.
(٢) كذا في «التهذيب» و «المعارف» لابن قتيبة والطبري (ق ١ ص ٣١٨١) وفي جميع الأصول: «قطن» بالقاف والنون وهو تحريف.
(٣) كذا في ط، م،ء، واسمه: مسلم بن صبيح الهمداني أحد شيوخ فطر بن خليفة المتقدّم. وفي سائر الأصول: «أبو الضحاك» وهو تحريف. (راجع «التهذيب» و «الخلاصة» في اسم مسلم بن صبيح).
(٤) كذا في ط،ء، م. وهو أبو مورّع الأسدي كما في الطبري وابن الأثير. وفي حـ: «ابن مزرع». وفي ب، س: «أبو مزرع»، وكلاهما تحريف.
(٥) الآدم: الأسمر.
(٦) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.
(٧) في الأصول: «هذان».
(٨) كذا في ب، حـ، س. وفي سائر الأصول: «خنيس».
(٩) كذا في ب، س. وفي م: «علقمة بن زيد». وفي حـ: «عقبة بن يزيد». وف ط،ء: «عقبة بن زيد»، ولم نوفق إلى وجه الصواب فيه.

يَزيد البَكْرِيّ وغيرَهما فأخبَراهم، فقالوا: اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأعْلِموه؛ فقال بعضهم: لا يقْبل قولَنا في أخيه؛ فشخَصوا إليه وقالوا: إنما جئناك في أمرٍ ونحن مُخْرِجوه إليك من أعناقنا، وقد قلنا: إنك لا تقبلُه، قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليدَ وهو سكرانُ من خمر قد شربها وهذا خاتَمُه أخذناه وهو لا يَعقِلُ؛ فأرسل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أرى أن تُشْخِصه، فإن شهدوا عليه بمَحْضَرٍ منه حددْتَه؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدِم عليه، فشهد عليه أبو زينبَ / وأبو مُوَرِّع وجُنْدَب الأسْديّ[١] وسعد بن مالك الأشعريّ، [٥/ ١٣٠] ولم يَشْهَد[٢] عليه إلاّ يَمانٍ؛ فقال عثمان لعليّ: قم فاضربه؛ فقال عليّ للحسن: قم فاضربه؛ فقال الحسن: مالك ولهذا! يكفيك غيرُك؛ فقال عليّ لعبدالله بن جعفر: قم فاضربه، فضربه بمِخْصَرة[٣] فيها سيرٌ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له عليٌّ: حَسْبُك.

ما وقع بين عثمان وعائشة بسبب الوليد بن عقبة:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنيّ عن الوَقّاصيّ[٤] عن الزُّهْريّ قال: خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلّما غضِب رجل منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحتُ لكم لأنكّلنّ بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغِلْظة، فقال: أما يَجِد مُرّاق أهلِ العراق وفُسّاقُهم ملجأً إلا بيتَ عائشة! فسمعتْ فرفعتْ نعل رسول الله ﷺ وقالت: تركتَ سنّةَ رسول الله ﷺ صاحبِ هذه[٥] النعل؛ فتسامَع الناسُ فجاؤوا حتى ملؤوا المسجدَ، فمن قائل: أحسنتْ، ومن قائل: ما للنساء وهذا! حتى تحاصَبوا[٦] وتَضاربوا بالنّعال؛ ودخل رهطٌ من / أصحاب رسول الله ﷺ / على عثمان، فقالوا له: اتّق الله ولا [٥/ ١٣١] تُعطِّل الحدَّ، واعزِلْ أخاك عنهم؛ فعزَله عنهم. [١٨١/ ٤]

ضرب عثمان رجلاً شهد عليه:

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنيّ عن أبي محمد النّاجي عن مَطَر الوَرّاق قال:

قدِم رجل المدينةَ فقال لعثمان رضي الله عنه: إني صلّيتُ الغداةَ خَلْفَ الوليد بـن عُقْبة، فالتفتَ إلينا فقال: أأزيدكم؟ إنّي أجِد اليومَ نشاطاً، وأنا أشَمّ منه رائحة الخمر؛ فضرب عثمانُ الرجل؛ فقال الناس: عُطِّلتِ الحدود وضُرِبت الشهود.

الوليد بن عقبة وعديّ بن حاتم:

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمر قال حدّثنا أبو بكر البَاهِليّ عن بعض من حدّثه قال:

---

(١) كذا في ب، حـ، س. وفي سائر الأصول: «الأزدي». والأسد «بإسكان السين»: لغة في الأزد، يقال في أزد شنوءة: أسد شنوءة.
(٢) يريد أن كل شهوده من اليمن، وقد جاء في «نهاية الأرب» (حـ ٢ ص ٢٩٧) في الكلام على يمن: أن الأشعر والأزد قبيلتان منها، وقد جاء في الطبري (ق ١ ص ٢٨٤٩) أن أبا مورّع وأبا زينب أزديان. وقد سقطت هذه الجملة من ط، م، ء.
(٣) المخصرة: ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة وما أشبهها، وقد يتكأ عليها.
(٤) كذا في ط، م، ء. واسمه: عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو ممن يروون عن الزهري. وفي سائر الأصول: «الرقاشي». ولم نجد في المراجع التي بين أيدينا رقاشياً له رواية عن الزهري.
(٥) في جميع الأصول: «هذا» وهو تحريف لأن النعل مؤنثة.
(٦) في ط، م، ء: «تخاصموا».

لما شُهِد على الوليد عند عثمان بشُرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يَعْذِرونه، فيهم عديّ بن حاتم، فنزل الوليدُ يوماً يَسُوق بهم، فقال يرتجز:

لا تحسَبَنّا قد نَسِينا الإيجافْ[١] والنَّشَوَات من عَتِيق أو صافْ

* وعَزْفَ قَيْنات علينا عُزّافْ *

فقال عَدِيّ: إلى أين تذهب بنا! أقِمْ!.

أخبار تتعلق بجلد الوليد الحدّ:

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عَرَضْتُ على المَدَائني عن قَيْس بن الرَّبيع عن الأَجْلَح[٢] عن الشَّعْبيّ[٣] عن جُنْدب قال:

[١٣٢/٥] / كنتُ فيمن شهِد على الوليد، فلما استتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان، ثم ذكر باقيَ خبره وضَرْبَ عليّ عليه السلام إيّاه، وقولَ الحسن: «ما لَكَ ولهذا!»، فزاد فيه: فقال له عليّ: لست إذاً مسلماً، أو من المسلمين.

حدّثنا إبراهيم بن عبدالله المخزوميّ قال حدّثنا سَعيد بن محمد المخزوميّ قال حدّثنا ابن عُلَيّة[٤] قال حدّثنا سَعيد بن أبي عَرُوبة عن عبدالله الدَّاناج[٥] قال سمعت الحُضَين[٦] بن المُنْذِر أبا ساسانَ يحدِّث، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيّة قال حدّثنا سعيد بن أبي عَرُوبة قال حدّثنا عبدالله الدّاناج عن حُضَين أبي ساسانَ قال:

لما جيء بالوليد بن عُقْبة إلى عثمان بن عفّان وقد شَهِدوا عليه بشرب الخمر، قال لعليّ: دونَك ابنَ عمك فأقِمْ عليه الحدَّ؛ فأمَر به فجُلِد أربعين. ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه: فقال عليّ للحسن: بل ضَعُفْتَ ووَهَنْتَ وعَجَزْتَ، قُمْ يا عبدَالله بنَ جعفر، فقام فَجَلده وعليّ يَعُدّ حتى بلَغ أربعين، فقال عليّ: أمسِكْ، / جلَد رسولُ الله ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وأتمّها عمرُ ثمانين، وكُلٌّ سُنّة. [١٣٣/٥]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ قال حدّثنا عبدالله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال:

لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال: إنك لتضربني اليومَ بشهادة قوم لَيَقْتُلُنَّكَ عاماً قابلاً.

---

(١) الإيجاف: العنق في السير، وهو سير فسيح واسع للإبل.

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٢٥ من هذا الجزء.

(٣) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٢٥ من هذا الجزء.

(٤) كذا في أكثر الأصول وهو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، وعلية: أمّه، وهذا هو الصواب. وفي ط،X: «علبة» بالباء الموحدة. (راجع «المؤتلف والمختلف» في أسماء نقلة الحديث ص ٩٨، و «الطبقات» ق ٢ جـ ٧ ص ٧٠، و «تهذيب التهذيب» في اسم سعيد بن أبي عروبة).

(٥) كذا في حـ، وهو عبدالله بن فيروز الداناج البصري. والداناج (بفتح الدال والنون): العالم، معرّب دانا. وهو ممن يروي عن حضين ويروي عنه سعيد بن أبي عروبة. وفي سائر الأصول: «عبدالله الرياحي» وهو خطأ. (راجع «القاموس» مادة: دنج، و «الخلاصة في أسماء الرجال» ص ٢١٠ طبع بولاق، و «تهذيب التهذيب» في اسم عبدالله بن فيروز الداناج، وسعيد بن أبي عروبة، وحضين بن المنذر).

(٦) هو حضين بن المنذر الرقاشي أبو ساسان صاحب راية عليّ يوم صفين، ولا يعرف حضين بالضاد المعجمة غيره (راجع «المؤتلف والمختلف» في أسماء نقلة الحديث ص ٣٣، و «المشتبه» ص ١٦٦، و «تهذيب التهذيب» في اسم حضين، و «القاموس» مادة حضن).

كان أبو زبيد من ندمائه وقال شعراً فيه لما عزل:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمّه عُبيد الله قال أخبرني محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ قال، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبدالله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد، وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدّثنا عبدالله بن مُسْلِم، قالوا جميعاً:

كان أبو زُبَيد الطائي نديماً للوليد بن عُقْبة أيّامَ ولايته الكوفةَ، فلما شُهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبَيد ـ واللفظ في القصيدة لليَزيديّ لأنها في روايته أتمّ ـ:

١٨٢/٤

/ من يرى العِيرَ لابن أَرْوَى[1] على ظهـ ... ـر المَرْوَرَي[2] حُـدَاتُهـنّ عِجـالُ

مُصْعِـداتٍ والبيـتُ بيـتُ أبـي وَهْـ ... ـبٍ خَـلاءٌ تَحِـنُّ فيـه الشَّمـالُ

يعرف الجاهـلُ المُضَلَّـلُ أنّ الـدهـ ... ـر فيـه النَّكْـراء والـزِّلْـزال

ليت شعري كذاكم العهـدِ أم كـا ... نـوا أُنـاسـاً كمـن يـزول فـزالـوا

بعـد مـا تَعْلميـن يـا أُمَّ زيـدِ ... كـان فيهـم عِـزٌّ لنـا وجَمـال

ووجـوهٌ بـوُدِّنـا[3] مشـرقـاتٌ ... ونَـوالٌ إذا أُريـدَ النَّـوال

[٥/١٣٤]

/ أصبح البيتُ قد تبدّل بـالـحَـيّ ... وجـوهـاً كـأنّهـا الأَقْتـالُ[4]

كـلُّ شـيءٍ يَحتـال فيـه الـرجـالُ ... غيـرَ أنْ ليـس للمنـايـا احتيـال

ولَعَمْـرُ الإلـهِ لـو كـان للسيـ ... ـفِ مَصَـالٌ[5] أو للّسـان مَقَـال

مـا تنـاسيتُـك الصفـاءَ ولا الـوُدَّ ... ولا حـال دونَـك الأشغـال

ولحـرَّمـتُ لَحْمَـك المُتَعَضِّـي[6] ... ضَلَّـةً[7] ضَـلّ حِلْمُهـم مـا اغتـالـوا

قـولُهـم شُـرْبُـك الحـرامَ وقـد كـا ... ن شـرابٌ سـوى الحـرام حَـلال

وأَبَـى الظّـاهـرُ العـداوةِ إلاّ ... شَنَـآنـاً وقـولَ مـا لا يُقـال

مـن رجـالٍ تَقـارضـوا مُنكَـراتٍ ... لِيَنـالـوا الـذي أرادوا فنـالـوا

غيـرَ مـا طـالبيـن ذَحْـلاً ولكـن ... قـال دهـرٌ علـى أُنـاس فمـالـوا

مَـن يَخُنْـك الصَّفـاءَ أو يتبـدّلْ ... أو يَـزُلْ مثـلَ مـا تَـزُولُ الظِّـلال

---

(١) ابن أروى هو الوليد بن عقبة وأروى أمه وأم عثمان بن عفان كما تقدّم في أوّل الترجمة.

(٢) سيشرح أبو الفرج هذه الكلمة في أول صفحة ١٣٥.

(٣) في ط،ء، م: «تودّنا» بالتاء.

(٤) الأقتال: الأعداء، جمع قتل (بالكسر). ويطلق أيضاً على الصديق، فهو من أسماء الأضداد.

(٥) يقال: صال على قرنه يصول إذا وثب عليه واستطال.

(٦) كذا في ط،ء. والمتعضي: المتقطع والمتفرّق. وفي سائر الأصول: «المتقصي»، وهو اسم مفعول من تقصى الشيء إذا طلبه وبالغ في البحث عنه.

(٧) في ط،ء: «حذّة».

(٨) الذحل: الثأر.

فاعلمَنْ أنّني أخوك أخو الـ ـودّ حياتي حتى تزولَ الجبالُ
ليس بخلاً عليك عندي بمالٍ أبداً ما أقلَّ نعلاً قِبالُ[1]
ولك النّصر باللسان وبالكـ ـفّ إذا كان لليدين مَصالُ

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

صوت

من يَرى العِيرَ لابن أَرْوَى على ظهـ ـر المَرَوْرَي حُداتُهنّ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ ـبٍ خلاءٌ تَحِنّ فيه الشَّمالُ

[١٣٥/٥] / عروضه من الخفيف. المَرَوْرَي: جمع مَرَوْراة وهي الصحراء. غنى الدَّلال فيه خفيفَ ثقيل[2] بإطلاق الوتر في مَجرى البِنْصر عن إسحاق وغيره.

لام أهل الكوفة الوليد لأنه أنزل أبا زبيد بدار على باب المسجد:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

لما قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ قَدِم عليه أبو زُبَيد، فأنزله دارَ عَقِيل بن أبي طالب على باب المسجد وهي دارُ القِبْطِي[3]، فكان مما احْتَجّ به عليه أهلُ الكوفة أنّ أبا زُبَيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانيّ[4] فيجعلُه طريقاً.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي عُبيد الله[5] عن[6] أبي حَبيب بن جَبَلة عن ابن الأعرابيّ:

أن أبا زُبَيد وفَد على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة، فأنزله الوليد داراً لعَقِيل بن أبي طالب على باب المسجد، فاستَوْهبها منه فوَهَبها له، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل / الكوفة؛ لأن أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقّ الجامعَ إلى الوليد، فيَسْمُرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيَشُقّ المسجدَ وهو سكران، فذلك نبّههم عليه. [١٨٣/٤]

---

(١) أقل الشيء: حمله ورفعه. وقبال النعل (بالكسر): زمامها وهو السير الذي يكون بين الإصبعين. وفي «الشعر والشعراء» (ص ١٦٨ طبع أوروبا): «ما أقل سيفاً حمال».

(٢) في ط، ء، م: «خفيف ثقيل الأوّل بإطلاق... إلخ».

(٣) كذا في جميع الأصول.

(٤) كذا في أكثر الأصول، وقد كان أبو زبيد نصرانياً. وفي م هنا: «وهو سكران» كما سيرد في جميع الأصول في الخبر الآتي.

(٥) هو عُبيد الله بن محمد اليزيدي.

(٦) كذا في م. وفي ط، ء: «عُبيد الله عن ابن جبلة... إلخ». وفي سائر الأصول: «عُبيد الله بن أبي حبيب عن ابن الأعرابي». ولعل صحة هذا السند هي: «حدّثني عمي عُبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي» لأن الذي عرفت روايته عن ابن الأعرابي وتسمى بابن حبيب هو أبو جعفر محمد بن حبيب، وقد قرأ على ابن الأعرابي «كتاب النوادر» وتوفي سنة ٢٤٥ هـ، وحبيب: أمه نسب إليها لعدم معرفة أبيه. وقد ورد هذا السند بعينه في صفحتي ١٣٣ و ١٣٧ وهو يؤيد صحة ما ذهبنا إليه. (راجع «إنباه الرواة» ق ١ ج ٢ ص ٩٢ و «معجم الأدباء» ج ٦ ص ٤٧٣ و «بغية الوعاة» ص ٢٩ طبع مصر).

/ ولاه عمر صدقات بني تغلب ثم عزله:

قال: وقد كان عمرُ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ولّي الوليدَ بن عُقْبة صَدَقاتِ بني تَغْلِب، فبَلَغه عنه بيتٌ قاله وهو: [١٣٦/٥]

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مِنّي بِمِشْوَذٍ[١] فغَيَّكِ[٢] مِنّي[٣] تَغْلِبَ بنةَ وائلِ

فعزَلَه.

مدحه أبو زبيد لأنه استخلص له إبلاً أودعها بني تغلب:

وكان أبو زُبَيد قد آستودع بَنِي كنانةَ بن تَيْم بن أُسامة بنِ مالك بن بكْر بن حَبيب بن غَنْم بن تَغْلب إبلاً فلم يردّوها عليه حين طلبها، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبي زُبَيد، فوجد الوليدُ بني تغلبَ ظالمين لأبي زُبَيد، فأخذ له الوليدُ بحَقّه؛ فقال يمدح الوليد:

يا ليتَ شِعري بأنْباءٍ أُنَبَّؤُها قد كان يَعْيا بها صَدْري وتَقْديري

عن امرِئٍ ما يَزِدْه اللّهُ من شَرَفٍ أفْرَحْ به ومُرَيٌّ غيرُ مسرور

(يعني مُرَيّ بن أوْس بن حارثة بن لأم). وهي طويلة يقول فيها:

إنّ الوليدَ له عندي وحُقَّ له وُدُّ الخليلِ ونُصْحٌ غيرُ مَذْخورِ

لقد رعاني وأدناني وأظهَرني على الأعادي بنصرٍ غيرِ تَعْذيرِ[٤]

فشَذَّب[٥] القومَ عنّي غير مكترثٍ حتى تناهَوْا على رغمٍ وتَصْغيرِ

نفسي فداءُ أبي وَهْبٍ وقَلّ له يا أمَّ عمرٍو فَحُلّي اليومَ أو سِيري

وفي رواية آبن حَبيب: «يا أمّ زيد»، يعني: يا أم أبي زُبَيْد.

/ أقطع أبا زبيد أرضاً واسعة فمدحه بشعر: [١٣٧/٥]

أخبرني محمد بن العبّاس عن عمّه عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال:

كان الوليد بن عُقْبة قد استعمل الرَّبيع بن مُرَيّ بن أوْس بن حارثة بن لأم الطائيّ على الحِمَى فيما بين الجزيرة وظَهْر الحِيرة، فأجْدبتِ الجزيرةُ، وكان أبو زبيد في تَغْلِب، فخرج بهم ليُرعيَهم؛ فأبى عليه الأَوْسِيّ وقال: إن شئتَ أن أُرعيَك وحدَك فعلتُ وإلاّ فلا؛ فأتى أبو زُبَيد الوليدَ بن عُقْبة، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشأم إلى القصور الحُمْر من الحِيرة وجعله له حِمًى، وأخذها من الآخر. هكذا روى ابن حبيب. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال: كانت الجُنَيْنَة[٦] في يد مُرَيّ بن أوْس، فلمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ انتزعها منه ودفعها

(١) المشوذ: العمامة.

(٢) يريد غيالك ما أطوله مني. (راجع «اللسان» مادة شوذ).

(٣) كذا في ب، حـ، س و «اللسان» (مادة شوذ) وفي سائر الأصول: «عني».

(٤) كذا في ط،ء، م. والتحذير في الأمر: التقصير فيه. وفي سائر الأصول: «تقدير».

(٥) شذب: طرد ودفع.

(٦) الجنينة: علم على مواضع كثيرة. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الجنينة).

إلى أبي زُبَيْد. والقول الأوّل أصح، وشِعْر أبي زُبَيد يدلّ عليه في قوله في الوليد بن عُقْبة يمدحه:

لَعَمْـرُ أبيـك يـابـنَ أبـي مُـرَيٍّ ... لَغَيْـرُك مـن أبـاح لهـا[1] الـدّيـارا

أبـاح لهـا[1] أبـارِقَ[2] ذات نَـوْر ... تَـرَعَّـى القَـفَّ[3] منهـا والعَـرارا[4]

بحمـد الله ثـم فتـى قـريـش ... أبـي وهـبٍ غـدتْ بُطْنـاً غِـزَارا[5]

أبـاح لهـا ولا يُحْمَـى عليهـا ... إذا مـا كنتُـم سَنَـةً جـزارا

يريد جزراً من الجدب والشدّة.

[١٣٨/٥] / فتـى طـالـت يـداه إلـى المعـالـي ... وطَحْطَحتـا[6] المُقَطَّعـةَ[7] القِصـارا

وهي أبيات.

نزع منه سعيد بن العاص هذه الأرض فقال شعراً:

١٨٤/٤ قال[8] عمر بن شَبّة في خبره خاصّة: فلما عُزِل الوليدُ ووَلِيَها سعيد انتزعها منه / وأخرجها من يده؛ فقال:

ولقـد مُـتّ غيـر أنّـيَ حـيٌّ ... يـوم بـانـت بـودّهـا خنسـاءُ

مـن بنـي عـامـرٍ لهـا شِـقُّ نفسـي ... قسمـةً مثـلَ مـا يُشَـقّ الـرداء

أُشْـرِبَـتْ لـونَ صُفـرةٍ فـي بيـاضٍ ... وهـي فـي ذاك لَـذْنَـةٌ غَيْـداء[9]

كـلُّ عيـنٍ ممّـن يـراهـا مـن النّـا ... س إليهـا مُـديمـةٌ حَـوْلاء

فـانتهُـوا إن للشـدائـد أهـلاً ... وذَرُوا مـا تُـزَيِّـنُ الأهـواء

ليـتَ شعـري وأين مِنّـيَ ليـتٌ ... إنّ ليتـاً وإنّ لَـوًّا عَنـاء

أيُّ سـاعٍ سعـى ليقطـع شِـربـي ... حيـن لاحـت للصـابـح الجَـوْزاء[10]

(١) في ط «ب، م: «لنا».
(٢) الأبارق: جمع الأبرق كسر تكسير الأسماء لغلبته. والأبرق: البرقة إذا اتسعت وهي أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة، وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتاً كثيراً يكون إلى جنبها الروض أحياناً.
(٣) القف (بفتح القاف): ما يبس من البقول وتناثر حبه وورقه فالإبل ترعاه وتسمن عليه.
(٤) كذا في حـ، م. والعرار (بالفتح): نبت أصفر طيب الريح، وقيل: هو بهار البر، واحدته عرارة. وفي سائر الأصول: «القفارا». ويناسب هذه الرواية: القف (بضم القاف): وهو ما غلظ من الأرض وارتفع، وقيل: يكون في القف رياض وقيعان.
(٥) غزاراً: جمع غزيرة، وهي من الإبل الكثيرة اللبن.
(٦) كذا في ط «ء. وطحطح الرجل ماله: فرقه. وفي ب، س: «طحطحن».
(٧) المقطعة: الثياب القصار أو هي برود عليها وشي.
(٨) كذا في حـ، م. وفي سائر الأصول: «وقال . . . إلخ».
(٩) اللدنة: الناعمة. والغيداء: المتثنية من النعمة وهي أيضاً الطويلة العنق.
(١٠) الشرب (بالكسر): المورد. والصابح: الذي يصبح إبله الماء أي يسقيها صباحاً. والجوزاء: نجم يقال: إنه يعترض في جوز السماء أي وسطها، وإذا طلعت الجوزاء اشتدّ الحرّ، والعرب تقول: إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء.

واستظلَّ[١] العُصفورُ كَرْهاً مع الضـ ـبّ وأوفَى في عُوده الحِرْباء

ونفى الجُندُبُ الحصا بكُراعَيـ ـهِ وأذكَت نيرانَها المَعْزاءُ[٢]

من سَمُوم كأنها حَرُّ نارٍ سَفَعتها[٣] ظهيرةٌ غَرّاء

[٥/١٣٩] / وإذا أهلُ[٤] بلدةٍ أنكروني عرفتني الدَّوِّيَّةُ[٥] المَلْساءُ

عرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي إلّا بُغامَها[٦] خرساء

عرَفَتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليلَ[٧] للعيون غِطاء

نسبة ما يغنّي فيه من هذا الشعر

صوت

أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبي حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ

واستكنّ العصفورُ كَرْهاً مع الضـ ـبّ وأوفَى في عوده الحِرْباء

وإذا الدارُ أهلُها أنكروني عرفتني الدَّوِّيَّة المَلْساء

عرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي إلا بُغامَها خرساء

عرفتْ ليلَها الطويل وليلي إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاء

عروضه من الخفيف. غناه ابنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وغنّى داود بن العبّاس الهاشميّ في الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو.

شعر أبي زبيد في تشوّقه للكوفة:

قال[٨] ابن حبيب في خبره: وقال أبو زُبَيد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة:

[٥/١٤٠] / لَعَمري لئن أمسَى الوليدُ ببلدةٍ سواي[٩] لقد أمسيتُ للدهر مُعْوِرا[١٠]

---

(١) ستأتي رواية فيه في الصفحة التالية: «واستكن».

(٢) الجندب: الجراد الصغير. وكراعا الجندب: رجلاه. والمعزاء: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة. وقيل: هي الصحراء فيها إشراف وغلظ.

(٣) يريد أنها أثرت فيها بحرارتها.

(٤) سترد فيه رواية أخرى بعد أسطر: «وإذا الدار أهلها أنكروني».

(٥) الدوّية: الفلاة، سميت بذلك لما يسمع فيها من دويّ.

(٦) بغام الناقة: صوت لا تفصح به، وقيل: إذا قطعت الحنين ولم تمده.

(٧) في م و «الخزانة» للبغدادي (جـ ٣ ص ٢٨٣): «النوم».

(٨) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «وقال».

(٩) في حـ: «سوى تا» بإضافة سوى إلى اسم الإشارة وهو تا. أي سوى هذه البلدة.

(١٠) كذا في أكثر الأصول. والمعور: الذي لا حافظ له. وفي حـ، م: «مثأرا» أي محلاً لثأره.

[قال ابن حبي: «ويروي سويّ لقد...» وهي لغة طيّء][1].

خــــلا أنّ رزقَ الله غـــــادٍ ورائـــحٌ وأنّــي لـــه راجٍ وإن سِـــرتُ أشهــرا
وكـان هـو الحصنَ الـذي ليس مُسلِمي إذا أنــا بـالنُّكْــرَاء هيّجــتُ[2] معشـرا
إذا صـادَفـوا دونـي الـوليـدَ كـأنما يـرون بـوادي ذي[3] حَمَـاسٍ مُـزَعْفَـرا[4]
خضيـبَ بنـان مـا يـزال بـراكـب يَخُـبّ وضـاحِـي جلـدِه قـد تقشَّـرا[5]

وهي طويلة.

افتخر الوليد على عليّ بن أبي طالب فأجابه وأسكته:

حدّثني إسحاق بن بَنَان الأنماطِيّ قال حدّثنا حُبَيْش بن مُبَشّر قال حدّثنا عُبيد الله[6] بن موسى قال حدّثنا ابن أبي لَيْلى عن الحَكَم[7] عن سَعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس / قال: ١٨٥/٤

قال الوليد بن عُقْبة لعليّ بن أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه: أنا أحَدُّ منك سِناناً، وأبسطُ منك لساناً، وأملأ للكتيبة طِعاناً؛ فقال له عليّ رضي الله تعالى عنه: اسكتْ! فإنما أنت فاسق؛ فنزَل القرآنُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾.

[١٤١/٥] / أرسله النبيّ ﷺ على صدقات بني المصطلق فأخبره بردتهم فأرسل خالداً فكذبه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شَيْبانُ[8] عن قَتادة[9] في قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ قال: هذا ابنُ أبي مُعَيْط الوليدُ بن عُقْبة، بعثه النبيّ ﷺ إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقاً، فلما رأوه أقبلوا نحوَه فهابَهم؛ فرجَع إلى النبيّ ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبيّ ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت ولا يعجَل؛ فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونَه؛ فلمّا جاؤوه أخبروه بأنهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أذانَهم وصَلاتَهم؛ فلمّا أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يُعْجِبه، فرجع إلى النبيّ ﷺ فأخبره.

---

(١) زيادة عن م. يشير إلى جواز قلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم. وقد وردت هذه الزيادة في حـ أيضاً باختلاف في كلمة سوى فكتبت فيها: «سوى تا».
(٢) في حـ: «هايجت».
(٣) ذو حماس: موضع تلقاء عرعر، وقيل: هو مأسدة. (راجع «معجم ما استعجم» حـ ١ ص ٢٨٦).
(٤) المزعفر: الأسد الورد، لأنه ورد اللون، وقيل: لما عليه من أثر الدم.
(٥) في ط، ء، م: «تسيرا» وهو بمعنى تقشر.
(٦) كذا في أكثر الأصول، وهو عُبيد الله بن موسى بن باذام العبسي أحد الذين يروون عن ابن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن. وفي م: «عبدالله»، وهو تحريف. (راجع الطبري ق ١ ص ٢٨٩، و «تهذيب التهذيب» في اسم محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى).
(٧) هو الحكم بن عتيبة الكندي أبو محمد كما في «تهذيب التهذيب».
(٨) هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي كما في «تهذيب التهذيب».
(٩) هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي كما في «تهذيب التهذيب».

شكته زوجه إلى النبيّ ﷺ فأجارها منه فأخفر جواره فدعا عليه:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا نُعَيم بن حَكيم عن أبي مَرْيَم[١] عن عليّ[٢]:

أنّ امرأة الوليد بن عُقْبة جاءت إلى النبيّ ﷺ تَشْتكي الوليدَ وقالت: إنه يضربها؛ فقال لها: «ارجعي وقولي إن رسول الله ـ ﷺ ـ قد أجارني»، فانطلقتْ فمكثتْ ساعةً، ثم رجعتْ فقالت: ما أقْلَع عنّي؛ فقطعَ رسول الله ﷺ هُدْبَةً من ثوبه ثم قال: «امضِي بهذا ثم قولي إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أجارني»؛ فانطلقتْ فمكثتْ ساعة ثم رجعتْ فقالت: يا رسول الله ما زادني إلاّ ضَرْباً؛ فرفع يديْه وقال: «اللهمّ عليكَ الوليدَ» مرّتين أو ثلاثاً.

مدح النبيّ ﷺ على رؤوس الصبيان يوم الفتح ولم يمسسه:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وحدّثني أبو عُبَيد الصَّيْرفيّ قال حدّثني الفضلُ بن الحسن البصريّ[٣] قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا أيّوب بن عمر قال / حدّثنا عمرُ بن أيّوب قال حدّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحَجّاج عن أبي موسى[٤] عبدالله الهَمْداني: [٥/١٤٢]

أنّ الوليد بن عُقْبة قال: لما فتح رسولُ الله ﷺ مكة، جعل أهلُ مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسَحُ على رؤوسهم، فجيء بي إليه وأنا مُخَلَّق[٥] فلم يَمْسَسْني، وما منعه إلا أن أمّي خلّقتني بخَلُوق فلم يمسسني من أجل الخلوق.

كان عنده كاهن فقتله جندب بن كعب خشية الفتنة:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا خَلَف بن الوليد قال حدّثنا المُبارَك بن فَضَالة عن الحسن[٦]:

أن الوليد بن عُقْبة كان عنده ساحرٌ يُريه كَتِيبتَيْن تَقْتتِلان، فتحمِل إحداهما على الأخرى فتهزِمها؛ فقال له الساحر: أيَسُرُّك أن أُرِيَك هذه المنهزمةَ تغلِب الغالبةَ فتهزمها؟ قال: نعم؛ وأُخْبِر جُنْدَبٌ بذلك، فاشتمل على السيفِ ثم جاء فقال: أفْرِجوا، فضربه حتى قتله، ففزِع الناسُ وخرجوا؛ فقال: يا أيها الناس لا عليكم، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يَفْتِنَكم في دينكم؛ فحبسه قليلاً ثم تركه.

قتل دينار بن دينار لإطلاقه رجلاً أمر بحبسه:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عمر بن سعيد الدِّمَشْقِيّ، وحدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن الزُّهْرِيّ[٧]:

---

(١) هو أبو مريم الثقفي كما في «تهذيب التهذيب».
(٢) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي ط، ء: «المصري».
(٤) في ط، ء، م: «عن أبي عبدالله الهمداني عن أبي موسى» وفي سائر الأصول. «عن أبي عُبيد الله الهمداني عن أبي موسى». والصواب ما أثبتناه عن «تهذيب التهذيب» في اسم ثابت بن الحجاج.
(٥) المخلق: المطيب بالخلوق، وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران.
(٦) هو الحسن البصري.
(٧) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

أنّ رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يَسْتعلِن بالسِّحْر، فقال: أوَ إن السِّحْر ليُعْلَن به في دين محمد! فقتله؛ [١٨٦/٤] فأُتِيَ به الوليدَ بن عُقْبة فحبَسه؛ فقال له دينار بن دينار: فيم حُبِستَ؟ فأخبره فخلّي سبيلَه؛ فأرسل / الوليد إلى دينار فقتله.

[١٤٣/٥] / جندب بن كعب الأسدي وشيء من سيرته:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حَمّاد بن سَلَمة قال حدّثنا أبو عِمْران الجَوْنِيّ:

أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه؛ فرآه جُنْدَبٌ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف، فلما دخَل الساحرُ في جوف البقرة، قال: أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة فقطعَها وقطع الساحرَ في البقرة فانْذعر[١] الناسُ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه؛ وكان [السجّان][٢] يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ.

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حَجّاج بن نُصَيْر قال حدّثنا قُرّة[٣] عن محمد بن سِيرينَ قال:

انْطُلِق بجُنْدَب بن كَعب إلى سجنٍ خارج من الكوفة وعلى السجن رجلٌ نصرانيّ، فلما رأى جندبَ بن كعب يصوم النهارَ ويقوم الليلَ، قال النّصرانيّ: والله إنّ قوماً هذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ؛ فوكّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهل الكوفة، فقالوا: الأشعث بن قيس؛ فاستضافه، فجعل يَرى أبا محمد ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدَائه؛ فخرج من عنده فسأل: أيّ أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا: جرير بن عبدالله؛ فوجده ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلةَ ثم قال: ربّي ربُّ جُنْدَب ودِيني دِين جندب، وأسلم.

حدّثني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا الخَزّاز[٤] عن المَدَائنيّ عن عليّ بن مُجَاهِد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رُومَانَ عن الزُّهْريّ وغيره، قالوا:

[١٤٤/٥] / لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجَز، ثم نزل آخرُ فساق بالقوم ورجَز، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يُواسِيَ أصحابَه، فنزل فجعل يقول[٥]: «جُنْدَبٌ وما جُنْدَب والأَقْطَعُ[٦] الخير زيد»؛ فدنا منه أصحابُه وقالوا: يا رسول الله ما يَنفعنا مَشْيُك مخافةَ أن تَلْسَعك دابّةُ الأرض أو تُصيبك نكبةٌ؛ فركب ودنَوْا منه فقالوا: لقد قلتَ قولاً ما ندري ما هو؟ قال: «وما ذاك»؟ قالوا: قولك «جُنْدَب وما جُنْدَب والأقطع الخير زيد»؛ فقال: «رجلان يكونان في هذه الأمّة يضرب أحدُهما ضربةً يفرقُ بين الحق والباطل وتُقطع يدُ الآخر في سبيل الله فيُتْبِع اللّهُ آخرَ جسده بأوّله»؛ فكان زَيْدَ بن صُوحَان، قُطِعت يدُه يوم جَلُولاءَ[٧] وقُتل يومَ الجَمَل مع عليّ. وأما

(١) في حـ، ط، ء: «فابذعرّ». وابذعرّ الناس: تفرقوا.
(٢) زيادة عن س.
(٣) هو قرة بن خالد السدوسي. (راجع «تهذيب التهذيب» في اسم قرة وحجاج بن نصير).
(٤) هو أحمد بن الحارث الخزاز الذي تقدّم ذكره كثيراً في «رجال السند».
(٥) في س: «وجعل يقول رجزاً وجعل يقول إلخ».
(٦) الأقطع: المقطوع اليد.
(٧) جلولاء: اسم لبليدة ونهر عليه عدّة قرى من سواد بغداد، في طريق خراسان من بغداد. وهناك كانت وقعة جلولاء المشهورة التي كانت للمسلمين على الفرس، وبين جلولاء وبين مدينة خانقين سبعة فراسخ.

جُنْدَب فإنه رجل دخل على الوليد بن عُقْبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شَيْبان يأخذ أَعْيُنَ الناس فيُخرِج مَصارينَ بطنه ثم يُعيدها فيه؛ فجاء من خلفه فقتلَه، وقال:

العَــنْ وليــداً وأبــا شَيْبَــانِ وابــنَ حُبَيْــش راكــبَ الشَّيطــانِ

* رسولَ فِرْعونَ إلى هامانِ *

ولاية سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزَاميّ[1] قال حدّثني ابن وَهْب[2] عن يونس عن الزُّهْريّ قال:

/ نَزَع عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأمّر عليها سَعِيد بن العاص. قال أبو زيد: فحدّثني [٥/١٤٥] عبدالله بن عبد الرحمن قال حدّثنا سَعيد بن جامع الهُجَيْميّ قال:

لما أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد / ما خرج والياً لعثمان جعل يرتجز في طريقه: ١٨٧/٤

وَيْــلَ نُسَيّــاتِ[3] العِــراق منّــي كــأنّنــي سَمَعْمَــعٌ[4] مــن جِــنّ

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المَدَائنيّ عن أبي عَلْقَمة عن سعيد بن أَشْوع[5] قال قال عديّ بن حاتم:

قدِم سعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال: اِغسِلوا هذا المنبر، فإن الوليد كان رِجْساً نَجِساً؛ فلم يَصْعَده حتى غُسِل، عيباً على الوليد. وكان الوليدُ أسنّ منه وأسْخى نفساً وألينَ جانباً وأرضى عندهم، فقال بعضُ شعرائهم:

يــا وَيْلَنــا قــد ذهــب الــوليــدُ وجــاءنــا مــن بعــده سعيــدُ

* ينقُص في الصّاع ولا يَزيدُ *

وقال آخر:

فَــرَرْتُ مــن الــوليــد إلــى سَعيــدِ كــأهــل الحِجْـر[6] إذ جـزِعـوا فبـارُوا

يَلِينــا مــن قــريــش كــلَّ عــامٍ أميــرٌ مُحْــدَثٌ أو مستشــار

لنــا نــارٌ تُحــرِّقنــا[7] فنَخْشــى وليــس لهــم فــلا يَخْشَــوْن نــار

(١) قد ورد هذا الاسم في جميع الأصول مضطرباً والصواب ما أثبتناه. راجع «تهذيب التهذيب» في اسم إبراهيم بن المنذر، وعبدالله بن وهب.

(٢) هو عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي شيخ إبراهيم بن المنذر وأحد الذين يروون عن يونس بن يزيد. وقد ذكر في جميع الأصول: «أبو وهب» وهو تحريف. (راجع «التهذيب» في ترجمة إبراهيم بن المنذر، وعبدالله بن وهب، ويونس بن يزيد).

(٣) في م: «ويل لشبان».

(٤) السمعمع: السريع الخفيف والخبيث اللبق.

(٥) كذا في حـ، وهو سعيد بن عمرو بن أشوع الهمداني الكوفي القاضي. وفي سائر الأصول: «سعيد بن أسرع» وهو تحريف. (راجع «القاموس» و «شرحه» مادة شرع و «تهذيب التهذيب» في سعيد بن أشوع).

(٦) الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. (راجع «معجم ياقوت» حـ ٢ ص ٢٠٨).

(٧) في حـ: «تخوفها».

[١٤٦/٥] / **زيارة الوليد الكوفة بعد عزله وما حصل بيته وبين أهلها:**

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنيّ قال:

قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ زائراً للمُغِيرة بن شُعْبة، فأتاه أشرافُ أهل الكوفة يسلّمون عليه، فقالوا: والله ما رأينا بَعْدَك مثلَك؛ فقال: أخيراً أم شرًّا؟ فقالوا: بل خيراً؛ قال: ولكنّي والله ما رأيتُ بعدكم شرًّا منكم؛ فأعادوا الثناء عليه؛ فقال: بعضَ ما تُثْنون به، فوالله إن بُغْضَكم لتَلَف، وإن حبّكم لصَلَف.

ما حصل بينه وبين قبيصة بن جابر بحضرة معاوية:

قال أبو زيد: وذكروا أن قَبِيصة بن جابر كان ممن كثَّر[١] على الوليد؛ فقال معاوية يوماً والوليدُ وقبيصةُ عنده: يا قَبِيصة، ما كان شأنُك وشأنُ الوليد؟ فقال: خيراً يا أمير المؤمنين، في أوّلِ وَصَل الرَّحِمَ وأحسن الكلامَ فلا تسألنّ عن الشكر وحُسْن الثناء، ثم غضِب على الناس وغضِبوا عليه وكنّا منهم، فإمّا ظالمون فنستغفر الله، وإمّا مظلومون فغفر الله له، وخُذْ في غير هذا يا أمير المؤمنين، فإنّ الحديثَ يُنْسِي القديم؛ قال: ولِمَ؟ فوالله لقد أحسن السِّيرةَ وبَسَط الخيرَ وكفَّ الشرّ؛ قال: فأنت أقدرُ على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل؛ قال: اسكُت لا سَكَتَّ، فسكَتَ وسكَتَ القومُ؛ فقال له: مالك لا تتحدّث؟ قال: نهيتَني عما كنتُ أُحِبّ فسكتُّ عما أكره.

دفن هو وأبو زبيد في موضع واحد وشعر أشجع السلميّ في ذلك:

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمَر قال حدّثني المَدَائنيّ قال:

مات الوليد بن عُقْبة فُوَيق الرَّقّة، ومات أبو زُبَيد، فدُفِنا جميعاً في موضع واحد. فقال في ذلك أَشْجع السُّلَمِيّ وقد مرّ بقبريْهما:

مـررتُ عـلـى عظـامِ أبـي زُبَيْـدِ ... وقـد لاحـتْ ببَلْقَعَـةٍ صَلُـودِ[٢]

وكـان لـه الـوليـدُ نَـدِيـمَ صِـدْقٍ ... فـنـادَمَ قبـرُه قبـرَ الـوليـد

[١٤٧/٥] / ومـا أدْرِي بمـن تَبْـدا المنـايـا ... بـأحمـدَ[٣] أو بـأشجـعَ أو يـزيـد

خرج غازياً للروم وقال شعراً:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال:

خرج الوليد بن عُقْبة غازياً للرُّوم وعلى مقدّمته عُتْبة بن فَرْقَد، فلَقِيه الروم فقاتلوه؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانيّ: لستُ على دِينكم ولكنّي أنصحكم للنَّسَب، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف / النهار، فإن رأَوْكم ضعفاءَ أفنَوْكم [١٨٨/٤]

---

(١) أي أكثر القول في عيبه والتشنيع عليه.

(٢) البلقع والبلقعة: الأرض القفر. والصلود من الأرض: الغليظة الصلبة التي لا تنبت شيئاً.

(٣) كذا ورد فيما سيأتي في نسب أشجع وأخباره في الجزء السابع عشر من «الأغاني» طبع بولاق. وأحمد ويزيد هما أخوا أشجع، وقد ماتوا جميعاً كما رتبوا في هذا الشعر، أوّلهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد. وأحمد هذا كما قال الصولي: «شاعر قليل المدح للناس، يتغزل في شعره ويذهب مذهب ابن أبي أمية، وكان أسنّ من أشجع». وفي جميع الأصول هنا: «بحمزة» موضع «بأحمد».

وإن صَبَرتم هَرَبوا وتركوكم؛ فقال سَلْمان[1] بن رَبيعة: يا معشرَ المسلمين، ما عذرُكم عند الله غداً إن أُصيب عُتْبةُ بن فَرْقَد وأصحابُه ولم يُعِنْهم أحدٌ منكم!؛ فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجْنُبون[2] الخيلَ، فلَحِقوا عُتْبةَ وأصحابَه، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الرومَ. فقال الوليد بن عُقْبة:

أتاني من الفَجِّ[3] الذي كنتُ آمناً ... بقيّةُ شُذّاذٍ[4] من الخيل ظُلَّعِ[5]

عليها العبيدُ يضربون جُنُوبَها ... ونازَلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ سَمَيْذَعِ[6]

فإنّي زعيمٌ أن تَصيحَ نساؤهم ... صياحَ دَجاجِ القريةِ المتوزِّعِ[7]

/ مدحه الحطيئة وكذبه الحليس النهدي: [٥/١٤٨]

وقال الحطيئة يمدح الوليدَ بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جَوَاداً:

أرى[8] لابنِ أرْوَى خَلّتينِ اصطفاهما ... قِتالٌ إذا يَلْقى العدوَّ ونائلُهْ

فتًى يملأ الشِّيزَى[9] ويروَى بكفِّه ... سِنانُ الرُّدَيْنيِّ الأصمِّ وعاملُهْ[10]

يَؤُمُّ العدوَّ حيث كان بجَحْفَلٍ ... يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُهْ

إذا حان منه مَنزِلُ الليلِ أُوقِدَتْ ... لأُخْراه في أعلى اليَفَاعِ[11] أوائلُهْ

نَفَيْتَ[12] الجِعادَ[13] البِيضَ عن حُرِّ دارِهم ... فلم يَبْقَ إلا حيّةٌ أنت قاتلُهْ

---

(١) كذا في ط، ء، وهو سلمان بن ربيعة الباهلي. وفي سائر الأصول: «سليمان»، وهو تحريف. (راجع الطبري قسم ١ ص ٢٨٠٥، و «المعارف» لابن قتيبة ص ٢٢١).

(٢) جنب الدابة: قادها إلى جنبه.

(٣) الفج: الطريق الواسع بين جبلين وهو أوسع من الشعب.

(٤) الشذاذ: القلال والمتفرّقون.

(٥) ظلع: جمع ظالع وهو الذي في مشيته غمز يشبه العرج.

(٦) الخرق من الفتيان: الظريف في سماحة ونجدة. والسميذع: السيد الكريم الموطأ الأكناف.

(٧) المتوزع: المتفرق.

(٨) ورد هذا البيت في ديوانه المخطوط رواية أبي سعيد السكري المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣ أدب ش وديوانه المطبوع بأوروبا المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٨٩ أدب هكذا: «أبي لابن أروى خلتان...». وورد فيهما عقب هذا البيت ما نصه: «أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان بن عفان رحمه الله تعالى وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب البيضاء توأمة عبدالله أبي رسول الله ﷺ، وكان يقال لها: الحصان لا تكلم والصناع لا تعلم».

(٩) الشيزى: خشب أسود تعمل منه القصاع، ويطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان: شيزى. وقد ورد في ديوانه المخطوط والمطبوع ما نصه: «قال الأصمعيّ: كان يرى أنها من شيز لسوادها وإنما هي جوز قد اسودّت من الدسم».

(١٠) الرديني: الرمح نسبة إلى ردينة، وهي امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فإذا غاب باعت ردينة مكانه، وكانا يثقفان الرماح، فالردينية منسوبة إلى ردينة، والسمهرية منسوبة إلى سمهر. وعامل الرمح: صدره.

(١١) اليفاع كسحاب: التل.

(١٢) رواية البيت في ديوانه المخطوط والمطبوع هكذا:

* نفيت الجعاد الغر من عقر دارهم *

(١٣) الجعاد: جمع جعد، يقال: رجل جعد القفا إذا كان لئيم الحسب، ويقال: الجعد: البخيل والكريم أيضاً فهو من أسماء الأضداد، ويريد بالجعاد البيض: الروم.

فقال الحُلَيس بنُ نُعَيم النَّهديّ يكذّب الحُطَيئة:

وأبلــغْ أبـــا وهـــبٍ إذا مـــا لَقيتَـــه فقـد حـاربتـك الـرومُ فيمـن تُحـارِبُ

وفـــي الأرض حَيّـــاتٌ وأُسْـــدٌ كثيـــرةٌ عـــدوٌ ولكـــنّ الحطيئـــةَ كـــاذب

[١٤٩/٥] / **بعض شعره في مقتل عثمان لما أخذ عليّ أموال الخلافة من بيته:**

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عليّ بن محمد عن أبي مِخْنَف عن خالد بن قَطَن عن أبيه قال:

لمّا قُتل عثمان أرسل عليّ فأخذ كلّ ما كان في داره من السلاح وإبلاً من إبل الصدقة، فلذلك قال الوليد بن عُقْبة:

بنـي هـاشـم رُدُّوا سـلاحَ ابـنِ أُختكـم ولا تَنْهَبـــوه لا تَحِـــلُّ مَنَـــاهِبُـــهْ

ويُروى:

* ولا تَهَبُوه لا تَحِلُّ مواهبُهْ *

بنـــي هـــاشـــمٍ كيـــف الهَـــوادةُ بيننـــا وعنـــد علـــيٍّ سيفُـــه ونجـــائبُـــه

قتلتـــم أخـــي كيمـــا تكـــونـــوا مكـــانَـــه كمـــا فعلـــتْ يـــومـــاً بكسـرى مَـرَازِبُـه

هكذا في الخبر:

* ولا تهبوه لا تحِلّ مواهبه *

أخبزه بجاد مولى عثمان بمقتل عثمان فقال شعراً:

أخبرني الطُّوسِيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عبدالله بن إسحاق الجَعْفَرِيّ:

أن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط لقي بِجَاداً مولى عثمان، فأخبره أنّ عثمان قد قُتل؛ فقال:

ليـت أنّـي هَلَكْـتُ قبـلَ حـديـثٍ سَـلَّ جسمـي وريـع منـه فـؤادي

يـوم لاقيـتُ بـالبَـلاَط[1] بِجـاداً ليـت أنّـي هلكـت قبـل بِجـاد

[١٥٠/٥] / وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونُقِص منه آخرُ مكانَه وغُنِّيَ فيه، وهو:

صوت

طـــال ليلـــي وملَّنـــي عُـــوّادي وتَجـــافَـــى عـــن الضلـــوع مِهـــادي

/ مـن حـديـثٍ نُمِـي إلـيّ فمـا يَـرْ قَـــأُ دمعـــي ولا أُحِـــسّ رُقـــادي

يـــوم لاقيـــتُ بـــالبَـــلاط بِجـــاداً ليـــت أنّـــي هلكـــتُ قبـــل بِجـــادِ

وبنفســـي التـــي أُحِـــبّ وأهلـــي وبمـــالـــي وطـــارفـــي وتِـــلادي

(١٨٩/٤)

(١) البلاط: موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله ﷺ وبين سوق المدينة.

قلــتُ لا تَغضَبــي فــذلــك قــولــي بلســـانــي ومــا يُجِــنُّ فــؤادي

غنّى فيه ابن عَبّاد ثاني ثقيل مُطلَق في مجرى البنصر في الأوّل والرابع من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أنه لأبن مُحرِز، ومن الناس من يَنْسُبه إلى ابن سُرَيج في هذه الطريقة في الأوّل والثاني، وذكر ابن المَكّيّ أنه للغَريض ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر، ووافقه يونس. وذكر أنّ في هذا الشعر لابن سُرَيج والغريض لحَنْين في الخمسة الأبيات. وذكر حَبَش أنّ فيها لمَعْبد ثقيلاً أوّل بالوُسطى، ولعبدالله بن العباس الرَّبيعيّ ثاني ثقيل بالوسطى، وللغَريض خفيف رملٍ بالوسطى، ولسُلَيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى. وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه رَمَلاً لابن جامع في البيت الأوّل وحده، وأنّ فيه هَزَجاً لا يُعرَف صانعه.

غنت جارية للأمين من شعره فتطير:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني أبي قال:

أرسل إليّ محمد بن زُبَيدة في ليلةٍ من ليالي الصيف مُقْمِرة: يا عم إنّ الجرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سكنتْ، فصِرْ إليّ، فإني إليك مشتاقٌ؛ فجئتُه / وقد بُسِط له على سطح زُبَيدة، وعنده سليمان بن جعفر عليه كِساءٌ رُوذَبَاريّ[1] وقَلَنْسُوَةٌ طويلة، وجَوَاريه بين يديه، وضَعْفُ» جاريتُه عنده، فقال لها: غَنّيني فقد سُرِرتُ بعمومتي؛ فاندفعتْ تغنّيه: [٥/ ١٥١]

هُــمُ قَتَلــوه كــي يكــونــوا مكــانــه كمــا فَعَلَــتْ يــومــاً بكِســرى مَــرَازِبُــهْ

بنــي هــاشــمٍ كيــف التــواصُــلُ بيننــا وعنــد أخيــه سيفُــه ونجــائبُــه

هكذا غنّت؛ وإنما هو:

* وعند عليّ سيفُه ونجائبُهْ *

فغضِب وتطيَّر وقال لها: ما قِصّتك وَيْحَك! اتّقي وانتهي وغنّيني ما يسُرّني! فاندفعتْ وغنّت:

هـــذا مَقـــامُ مُطَـــرِّدٍ هُـــدِمـــتْ منـــازِلُـــه ودورُهْ

فازداد تَطَيُّراً، ثم قال لها: وَيْحَك! انتهي، غنّيني غير هذا، فغنّت:

كُلَيــبُ لَعَمْــرِي كــان أكثــرَ نــاصــراً وأيســرَ جُــرْمــاً منــك ضُــرِّجَ بــالــدّم

فقال لها: قومي إلى لعنة الله! فوثبتْ وكان بين يديه قَدَحُ بَلُّور وكان لحبّه إيّاه سمّاه باسمه محمداً، فأصابه طَرَفُ ذيلها فسقط على بعض الصواني فانكسر وتفتّت؛ فأقبل عليّ وقال: أرى والله يا عمّ أن هذا آخرُ أيامنا؛ فقلت: كلا! بل يُبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرّك؛ قال: ودِجْلةُ والله يا بنيّ هادئة ما فيها صوتُ مجداف ولا أحدٌ يتحرّك وهي كالطَّست هادئة، فسمعتُ هاتفاً يهتف: «قُضِيَ الأمْرُ الّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ». قال: فقال لي: أسمعتَ ما سمعتُ يا عمّ؟ فقلتُ: وما هو؟ وقد والله سمعتُه ـ فقال: الصوتُ الذي جاء الساعة من دِجْلة؛ فقلتُ: ما سمعتُ شيئاً، / وما هذا إلّا تَوَهُّم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: «قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيَانِ». فقال: انصرفْ يا عمّ بيَّتك الله بخير، فمحالٌ ألّا تكون الآن قد سَمِعتَ ما سمعتُ؛ فانصرفتُ، وكان / آخرَ العهدِ به. [٥/ ١٥٢]

١٩٠
٤

(١) روذباري: نسبة إلى روذبار وهو اسم يطلق على مواضع كثيرة في أصبهان وبغداد وغيرهما.

وفد على معاوية فخدعه عن مال له ثم استجدى معاوية فوبخه وشعره في ذلك وصلة معاوية له:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمد بن يحيى الصُّولِيّ واللفظ له، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغلابِيّ قال حدّثنا عبدالله بن الضَّحَّاك عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد: وحدّثنا عبدالله[١] بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعاً عن مُطَرِّف بن عبدالله عن عيسى بن يزيد، قال:

وفَد الوليدُ بن عُقْبة، وكان جَوَاداً، على معاوية؛ فقيل له: هذا الوليد بن عُقْبة بالباب؛ فقال: والله لَيَرْجِعَنّ[٢] مُعْطِياً غيرَ مُعْطًى، فإنه الآن قد أتانا يقول: عليّ دَيْن وعليّ كذا وكذا؛ يا غلام ائذَن له، فأذِنَ له؛ فسأله وتحدّث معه، ثم قال: أمَا والله إن كنّا لنُحِبّ إيثارَ[٣] مالك بالوادي وقد أعجب أمير المؤمنين، فإن رأيت أن تَهَبه ليزيد فعلتَ؛ فقال الوليد: هو ليَزِيدَ، ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية أياماً، فقال له يوماً: انظُر يا أمير المؤمنين في شأني، فإنّ عليّ مؤونةً وقد أرهقني دَيْن؛ فقال له معاوية: ألَا تستحي لحَسَبك ونَسَبك! تأخذ ما تأخذ فتبذِّره ثم لا تَنْفكّ تشكو دَيْناً!؛ فقال له الوليد: أفعل، ثم انطلق مكانَه[٤] فصار إلى الجزيرة، فقال:

فـإذا سُئلـتَ تقـول لا ... وإذا سـألـتَ تقـول هـاتِ
تـأبَى فِعـالَ الخيـرِ لا ... تُـزوي وأنـت علـى الفُـراتِ
أفَـلاَ تَميـلُ إلـى نَعَـمْ ... أو تَـرْكِ لا حتـى الممـات

[١٥٣/٥] / قال: فبلغ معاويةَ مَقْدَمُه الجزيرةَ، فخافه وكتب إليه: أن أقبِلْ إليّ؛ فكتب إليه:

أعِـفُّ وأَسْتَحيـي[٥] كما قـد أمرتَني ... فـأعْـطِ سـوايَ مـا بـدا لـك وانْحَـلِ
سـأحْـدُو ركـابـي عنـك إنّ عـزيمتـي ... إذا نـابَنـي أمـر كسَلّـة مُنْصُـلِ[٦]
وإنـي امـرؤ للـرأي منّـي تَطـرّفٌ ... وليـس شَبَـا قُفْـلٍ علـيّ بمُقْفَـلِ

ورحَل إلى الحجاز، فبعث إليه معاوية بجائزة.

[انقضت أخبار الوليد بن عقبة][٧].

٢/٥ / صوت

من المائة المختارة

ربمـا نبّهنـي الإخـ ... ـوانُ والليـلُ بَهيـمُ
حيـن غـارتْ وتـدلّـتْ ... فـي مَهـاويهـا النجـومُ

---

(١) في حـ: «عُبيد الله».
(٢) في م: «مغيظاً».
(٣) في ط، ء، م: «إتيان».
(٤) يريد أنه انطلق من فوره.
(٥) كذا في حـ، م. وفي باقي الأصول: «واستغني».
(٦) المنصل (بضمتين وكمكرم): السيف.
(٧) زيادة عن م.

ونُعـــاسُ الليـــل فـــي عيـ ــنــيّ كــالثّــاوِي مُقِيــمُ
للّتـــي تُعْصَـــر لمّـــا أيْنعـــت منهـــا الكُـــرُومُ
أنـــا بـــالـــرَّيّ مقيـــمٌ فـــي قُـــرَى الـــرَّيّ أهيـــمُ
مـــا أَرَانـــي عـــن قُـــرَى الـــرَّيّ مَـــدَى دهـــري أريـــمُ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ. ولحنهُ المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ولإبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لابنه إسحاقَ. وفيه لأحمد بن يحيى المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيد.



[٥/١٥٤]

/ نسب إبراهيم الموصلي وأخباره

نسب إبراهيم الموصليّ ونشأته:

هو ـ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرني به عبدُالله بن الرَّبيع عن وَسْوَاسةَ، وهو أحمد[1] بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه عن جدّه وعن حَمّاد عن أبيه ـ إبراهيمُ بن ميمون أو ابن ماهان بن بَهْمَن[2] بـن نسك، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعَنْوَن كتابَه: من إبراهيم بن ماهان؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة: أمَا تَستحي من هذا الاسم! فقال: هو اسم أبي؛ فقال: غيِّره؛ فقال: وكيف أُغيِّر! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ، فبَقِي إبراهيمَ بنَ ميمون.

قال إسحاق عن أبيه: وأصلُنا من فارس، ولنا بيت شريفٌ في العجم، وكان جدُّنا ميمون هَرَب من جَوْر بعض عُمّال بني / أميّة، فنزل بالكوفة في بني عبدالله بن دارِم، فكان بين إبراهيم وبين وَلَدِ نَضْلَة بن نُعَيْم رَضَاع. وأمُّ إبراهيم امرأةٌ من بنات الدَّهَاقين[3] الذين هرَبوا من فارسَ لما هرب ميمون أبو إبراهيم، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبدالله بن دارِم، فتزوّجها ماهانُ[4] بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات / في الطاعون[5] الجارف، وخلّف إبراهيمَ طفلاً. وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس وعشرين ومائة بالكوفة، وتوفِّي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وله ثلاثٌ وستون سنة.

[٥/١٥٥]

مات أبوه وهو صغير فكفله آل خزيمة بن خازم:

قال أحمد[6] بن أحمد بن إسماعيل وَسْوَاسة في خبره: ومات ماهان وخلّف إبراهيمَ طفلاً، فكفَلَه آلُ خُزَيمة بن خازِم.

---

(١) كذا ورد هذا الاسم في جميع النسخ هنا وسيرد فيما سيأتي في الصفحة التالية مضطرباً فقد ورد في ب، س: «أحمد بن أحمد بن إسماعيل» وفي ط: «محمد بن أحمد بن إسماعيل» وفي حـ: «أحمد بن إسماعيل وسوامة» وفي م: «محمد بن إسماعيل وسوامة».

(٢) في م: «بهتر».

(٣) الدهاقين: جمع دهقان، وهو زعيم فلاحي العجم، وقيل: رئيس الإقليم.

(٤) هو الذي يعرف بميمون كما تقدّم.

(٥) المعروف في كتب التاريخ أن الطاعون الجارف وقع بالبصرة في سنة تسع وستين هجرية، وهو سابع طاعون في الإسلام، فإن الأوّل كان على عهد النبيّ ﷺ، والثاني طاعون عمواس في عهد عمر رضي الله عنه، والثالث بالكوفة في زمن أبي موسى الأشعري، والرابع بالكوفة أيضاً في زمن المغيرة بن شعبة، والخامس الطاعون الذي مات فيه زياد، ثم الطاعون بمصر في سنة ست وستين، ثم الطاعون الجارف في سنة تسع وستين، والطاعون الثامن بالشأم في سنة تسع وسبعين، ثم الطاعون التاسع وهو طاعون الفتيات في سنة ست وثمانين، وسمي بذلك لأنه بدأ في النساء وكان بالشأم وواسط والبصرة، ثم طاعون غراب بالشأم في سنة سبع وعشرين ومائة (انظر «النجوم الزاهرة» ج ١ ص ١٤٠، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٢، ٣٠٤ طبع دار الكتب المصرية). ولعل المؤلف يريد بالجارف وصف طاعون وقع بالكوفة بعد سنة خمس وعشرين ومائة (التي ولد فيها إبراهيم الموصلي) بسنتين أو ثلاث.

(٦) انظر الحاشية رقم ١ في الصفحة السابقة من هذا الجزء.

وقال يحيى بن عليّ في خبره: إنه كان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث، وخلّف معه أخوين له من غير أمّه أكبرَ منه، فأقام إبراهيم مع أمّه وأخواله حتى تَرَعرع، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم في الكُتّاب[1]، فبهذا السبب صار ولاؤه لبني تَميم. وسأله الرشيدُ فقال: ما السببُ بينك وبين بني تَميم؟ فاقتصَّ عليه قِصّتَه، / وقال: ربَّوْنا [٥/١٥٦] يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رَضاعٌ، فتولَّوْنا بهذا السبب؛ فقال له الرشيد: وَيْحَك! فما أَرَاك إذاً إلّا مولاي؛ فقال: فهذه والله قصّتي يا أمير المؤمنين.

ما قيل في سبب نسبته إلى الموصل:

قال يحيى بن عليّ في خبره: وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصليّ أنه لما نشأ واشتدّ[2] وأدرك، صَحِب الفتيانَ واشتهى الغناءَ طلبه، واشتدّ أخوالُه عليه في ذلك وبلَغوا[3] منه، فهربَ منهم إلى المَوْصِل، فأقام بها نحواً من سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان: مرحباً بالفتى المَوْصِليّ، فلُقّب به[4]. وقال أحمدُ في خبره: إن سبب طلبه الغناءَ أنه خرج إلى الموصل، فصَحِب جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم، ويَجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون[5] ويشربون ويغنّون، فتعلّم منهم شيئاً من الغناء وشَدَا، فكان أطيبَهم وأحذقَهم، فلمّا أحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناءَ وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه. وذكر ابنُ خُرْدَاذْبَه[6]

(١) قال الجوهري في «الصحاح»: «الكتاب والمكتب واحد وجمعه كتاتيب». ونقل صاحب «اللسان» هذا القول ثم نقل عن المبرد قوله: إن من جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ، وقال: المكتب: موضع التعليم والكتاب: الصبيان. وذكر شارح «القاموس» عن شرح الشفاء أن استعمال الكتاب للمكتب وارد في كلامهم وأنه استفاض بهذا المعنى كقوله:

وأتى بكتّاب لو انبسطت يدي ... فيهم رددتهم إلى الكتّاب

(انظر «الصحاح» و «الأساس» و «اللسان» و «القاموس» و «شرحه» مادة كتب).

(٢) اشتد: قوي وهذه الكلمة مثبتة في م، س وساقطة من باقي النسخ.

(٣) أي استقصوا في إيذائه وتعنيفه.

(٤) في ط، م، ء: «فلججت عليه»، يريد: لصقت به وغلبت عليه.

(٥) يقصفون: يرقصون ويلعبون. وفي «القاموس» و «شرحه»: «وأما القصف من اللهو واللعب فغير عربيّ». ونص «الصحاح» يقال: إنها مولدة. وقال ابن دريد في الجمهرة: فأما القصف من اللهو فلا أحسبه عربياً صحيحاً، وهكذا نقله الصاغاني. ويقال: هو الجلبة والإعلان باللهو. وفي الأساس: هو الرقص مع الجلبة... إلخ».

(٦) يلاحظ أن المؤلف وصف ابن خرداذبه بهذه العبارة في غير موضع من كتابه، مع أن ابن النديم ذكر ابن خرداذبه ومؤلفاته في كتابه «الفهرست» (ص ١٤٩ طبع أوروبا) ولم يتهمه أو يصفه بقلة التحصيل وضعف الرواية وخصوصاً كتابه: «المسالك والممالك» المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٣٠٦ هـ فإنه معدود من المصادر القيمة التي يعوّل عليها ويوثق بها. وقد اعتمد عليه في النقل ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان». ووصفه المسعودي المؤرّخ المشهور ـ وهو من معاصري ابن خرداذبه وأبي الفرج ـ في مقدمة كتابه «التنبيه والإشراف» (ص ٧٥ طبع مدينة ليدن) بقوله: «... وأبو القاسم عُبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه في كتابه المعروف «بالمسالك والممالك»، وهو أعم هذه الكتب شهرة في خواص الناس وعوامهم في وقتنا هذا».

ولعل سبب هذه الخصومة التي حملت أبا الفرج على أن يتحامل على ابن خرداذبه هو المنافسة والمعاصرة. وقد وصف المسعودي المنافسة والحسد بين المعاصرين في مقدّمة كتابه «التنبيه والإشراف» (ص ٧٦، ٧٧) بقوله: «على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدّمين وتعظيم كتب السالفين، ومدح الماضي وذم الباقي، وإن كان في كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة. وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم، فينسبه إلى نفسه فلا يرى الأسماع تصغي إليه، ولا الإرادات تيمم نحوه؛ ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة، ثم ينحله عبدالله ابن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدّمين ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين، فيقبلون على كتبها ويسارعون إلى نسخها، لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدّمين، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو في عصرهم ومنافسته على المناقب التي يخص بها ويعني بتشييدها. وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس، وإنما العمل على ذوي النظر والتأمل الذين أعطوا كل شيء حقه من العدل، ووفوه قسطه من الحق، =

ـ وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمّنه كتبُه ـ أن سببَ نسْبَتِه إلى الموصل أنه كان إذا سكِر، كثيراً ما يغنّي على سبيل الوَلَع:

[٥/١٥٧] / أنــا جــت مــن طــرق مَــوْصــل أحمــل قلــل خَمْــريــا[١]

مــن شــارب الملــوك فــلا بــدّ مــن سُكْــريــا

وما سمعتُ بهذه الحكاية إلا عنه؛ وإنما ذكرتُها على غَثَاثتها لشهرتها عند الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية في نِسْبَة إبراهيم إلى الموصل، فذكرتُه دالّاً على عَوَاره.

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ وابنُ أبي الأزهر قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أُسْلِم أبي إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئاً، ولا يَزال يُضرب ويُحْبَس ولا يَنْجَع ذلك فيه، فهرب إلى المَوْصل وهناك تعلّم الغناءَ، [٥/١٥٨] ثم صار إلى الرّي وتعلّم بها أيضاً، ومهَر وتزوّج هناك امرأتَه دُوشَار ـ وتفسير هذا الاسم أسَدان[٢] ـ / وطال مُقامُه هناك، وأخذ الغناءَ الفارسيّ والعربيّ، وتزوّج بها أيضاً شاهَكَ أمّ إسحاقَ ابنه وسائرِ ولده. قال: وفي دُوشار هذه يقول إبراهيمُ، وله فيه غِناءٌ من الهَزَج:

دُوشَــارُ يــا سيّــدتــي يــا غــايتــي ومُنْيَتِــي

ويــا ســروري مــن جميــع النــاس رُدّي سِنَتِــي

٥/٤ / أوّل مال وصله على الغناء من خادم لأبي جعفر، أنفقه في تعلم صنعة الغناء:

قال إسحاقُ وحدّثني أبي قال: أوّلُ شيءٍ أُعْطِيتُه بالغناء أنّي كنتُ بالرّيّ أُنادم أهلَها بالسَّوِيّة لا أَرْزَؤُهم شيئاً، ولا أُنْفِقُ إلا من بقيّة مالٍ كان معي انْصرفتُ به من الموصل؛ فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة، فسمِعَني عند رجل من أهل الرّيّ، فشُغِف بي وخلَع عليّ دُوّاجَ سَمّور[٣]، له قيمة، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصَله العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة، فجاءني إلى منزلي الذي كنتُ أسكنه فأقام عندي ثلاثةَ أيام، ووهَب لي نصف الكُسوة التي معه وألفَيْ درهم، فكان ذلك أوّلَ ما اكتسبتهُ بالغناء، فقلتُ: والله لا أُنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادَتْنِيها، ووُصف لي رجل بالأُبُلّة[٤] يقال له جُوانُويَه[٥] كان حاذقاً، فخرجتُ إليه وصحِبتُ فتيانَها، فأخذتُ عنهم وغنيّتهم فشُغِفوا بي.

[٥/١٥٩] / قصته مع جوانويه الذي أراد أن يتعلم منه ثم سبب اتصاله بالمهدي:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال:

= فلم يرفعوا المتقدّم إذ كان ناقصاً، ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائداً، فلمثل هؤلاء تصنف الكتب وتدوّن العلوم» اهـ.

(١) لعل هذا الشعر من لغة العامة في ذلك العهد كـ «الأغاني» التي يتغنى بها العامة الآن.

(٢) الأسد بالفارسية: «شر». ولعل «شار» لغة أو لهجة في هذه اللفظة. و «دو» بمعنى اثنين.

(٣) دوّاج سمور: ضرب من الثياب يتخذ من جلد حيوان يشبه السنور وهي فراء ثمينة تتخذ للينها وخفتها وإدفائها وحسنها. وفي س: «دراج سمور» بالراء، وهو تحريف.

(٤) الأبلة (بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام وفتحها): بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مصرت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد.

(٥) في م: «خولويه».

لما أتيتُ جُوانُوَيه لم أصادفه في منزله، فانتظرتُه حتى جاء، فلمّا رآني احتَشَمَني وكان مَجُوسيًا، فأخبرتُه بصناعتي والحالِ التي قصدتُه فيها؛ فرحّب بي وأفرد لي جَناحاً في داره، ووكلّ بي أُختَه[1]، فقدّمتْ إليّ ما أحتاج إليه؛ فلما كان العَشِيُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرْس ممّن يُغنّي، فنزلتُ إليه، فجلسنا في مجلس قد صُفّي[2] لنا فيه نبيذٌ وأُعِدّتْ لنا فاكهة ورَيَاحِينُ، فجلسنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغنّوْا، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدة؛ وبلَغتِ النَّوْبَةُ إليّ، فضربتُ وغنّيتُ، فقاموا كلُّهم إليّ وقبّلوا رأسي، وقالوا: سَخِرتَ منّا، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك إلينا؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّاماً، حتى بلَغ محمدَ بن سليمان بن عليّ خبري، فوجّه إليّ فأحضرني وأمَرني بملازمته؛ فقلتُ له: أيها الأمير، إن لستُ أتكسّب بالغناء وإنما ألتذُّه فلذلك تعلّمتُه، وأريد العَوْدَ إلى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته، وسألني: من أين أنا؟ فانتسبتُ إلى الموصل، فلَزِمتني وعُرِفتُ بها؛ ولم أزل عنده أثيراً مكرّماً حتى قدِم عليه خادمٌ من خدَم المهديّ، فلما رآني عنده قال له: أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك، فدافعه عنّي؛ فلما قدِم الرسولُ على المهديّ سأله عما رأى في طريقه ومَقْصِده، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصَفَني له؛ فأمره المهديّ بالرجوع إلى محمد وإشخاصي إليه، ففعل ذلك وجاء فأشخصني إلى المهديّ، فحَظِيتُ عنده وقَدّمني.

أوّل هاشميّ صحبه وأوّل خليفة سمعه:

قال وَسْواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال:

/ كان أوّلَ هاشميّ صَحِبته[3] عليُّ بن سليمان بن عليّ أخو جعفر ومحمد، وكان فتاهم ظَرْفاً ولهواً وسماحةً، [٥/١٦٠] ووصَفني له جُوانُوَيه ومضى بي إليه، فوقعتُ من قلبه كلَّ مَوْقع. وأوّلُ خليفة سمِعني المهديّ، وُصِفتُ له فأخذني من عليّ بن سليمان، وما سمع قبلي من المغنّين أحداً سوى فُلَيْح بن أبي العَوْراء وسِيَاط، فإن الفضل بن الرّبيع وصلهما به.

نهاه المهدي عن الشرب ومصاحبة ابنيه موسى وهارون فلما أبى ضربه وحبسه:

قال إسحاقُ: فحدّثني أبي قال: كان المهديّ لا يَشرب فأرادني على مُلازمتِه وترك الشرب فأبيتُ عليه، وكنتُ أغيبُ عنه الأيامَ، فإذا جئتُه جئتُه مُنْتَشِياً، فغاظَه ذلك منّي فضرَبني وحبَسني، فحذَقتُ الكتابةَ والقراءةَ في الحبس، ثم دعاني يوماً فعاتَبني على شربي في منازل الناس والتَّبذُّل معهم؛ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إنما تعلّمتُ / هذه ٥ ب الصناعةَ للذّتي وعِشرتي لإخواني، ولو أمكنني تركُها لتركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله جلّ وعزّ؛ فغضِب غضباً شديداً وقال: لا تَدْخل على موسى وهارون البتّةَ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ؛ فقلتُ: نعم؛ ثم بلغه أني دخلتُ عليهما وشربتُ معهما، وكانا مُستهترَيْن بالنبيذ، فضربني ثلثمائةِ سوط، وقيّدني وحبَسني.

قال أحمدُ بن إسماعيل في خبره قال عمّي إسحاق فحدّثني أبي:

أنه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أَبَانُ الخادمُ، فسَعَى بهما وبي إلى المهديّ وحدّثه بما كنّا فيه، فدعاني

(١) في م: «جارية».

(٢) في «مختار الأغاني» لابن منظور (ص ١٠٣ طبع مصر): «هيء».

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «عيسى»، وهو تحريف. (راجع «المعارف» لابن قتيبة ص ١٩٠).

فسألني فأنكرتُ، فأمر بي فجُرِّدتُ فضُربت ثلثمائة وستين سوطاً؛ فقلتُ له وهو يضربني: إن جُرْمي ليس من [٥/١٦١] الأجرام التي يحلّ لك بها سَفْكُ / دمي، والله لو كان سرُّ ابنيك تحت قدميّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أَبَانَ السّاعي العبدِ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضربني بالسيف في جَفْنه[1] فشجّني به، وسقطتُ مغشيًّا عليّ ساعةً، ثم فتحتُ عينيّ فوقعتا على عينَي المهديّ، فرأيتُهما عَيْنَيْ نادمٍ؛ وقال لعبدالله بن مالك: خُذْه إليك.

قال: وقَبْل ذلك ما تناول عبدالله بن مالك السوط من يد سَلّام الأبرش فضربني، فكان ضربُ عبدالله عندي بعد ضرب سَلّام عافيةً، ثم أخرجني عبدُالله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراءَ وخضراء [وحمراء][2] من حَرّ السَّوْط، وأمَره أن يتّخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيِّرني فيه؛ فدعا عبدُالله بكَبْش فذُبح وسُلخ وألبسني جلدَه ليسكن الضربُ، ودفَعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سَعيد التركيّ فصيّرني في ذلك القبر، ووكّل بي جاريةً له يقال لها جَشّة[3]، فتأذيتُ ينَزّكان في ذلك[4] القبر وبالبقّ، وكان فيه حَلِيٌّ[5] أستريح إليه، فقلتُ لجشّة: اطلُبي لي آجُرّةً عليها فحم وكُنْدُر[6] يذهب عنّي هذا البقَّ، فأتتني بذلك، فلما دخَّنتُ أظلم القبرُ عليّ وكادت نفسي تخرُج من الغمّ، فاسترحتُ من أذاه إلى النّزّ فألصقتُ به أنْفِي حتى خَفّ الدُّخَان، فلمّا ظننتُ أني قد استرحتُ ممّا كنتُ فيه، إذا حيّتان مُقْبِلتان نحوي من شقّ القبر تَدُوران حولي بحفيفٍ شديدٍ، فهَمَمْتُ أن آخذ واحدةً بيدي اليمنى والأُخرى بيدي [٥/١٦٢] اليسرى / فإمّا عليّ وإمّا لي، ثم كُفِيتُهما، فدخلَتا من الثَّقْب الذي خرجَتا منه، فمكثتُ في ذلك القبر ما شاء الله، ثم أُخرِجتُ منه؛ ووجّهتُ إلى أبي عثمان الخادمِ أسأله أن يبيعني جَشّةَ لأُكافئها عمّا أولتْني ففعل، فزوّجتُها من حاجبٍ لي، ولم تزل عندنا. قال إسحاق: مكثتْ عندنا حتى ماتت، وبقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة، فزوّجتُها من مولًى لي في سنة أربع وثلاثين ومائتين.

قال إبراهيم: وقلتُ في الحبس [وأنا مقيَّد][7]:

ألاَ طــال ليلــي أُراعــي النجــوم	أُعَــالــج فــي السّــاق كَبْــلاً ثقيــلا
بــدارِ الهَــوَانِ وشــرُّ الــديــار	أُســامُ بهــا الخســفَ صبــراً جميــلا
كثيــرَ الأخــلاّء عنــد الــرّخــاء	فلمّــا حُبِســتُ أراهــم قليــلا
لطــول بــلائــيَ مَــلَّ الصــديــقُ	فــلا يــأمَنَــنَّ خليــلٌ خليــلا

صنع وهو في الحبس لحناً في شعر أبي العتاهية:

قال: ثم أخرجني المهديّ وأحلَفني بالطّلاق والعِتاق وكلّ يمين لا فُسْحَة لي فيها ألاّ أدخلَ على ابنيه موسى

---

(١) جفن السيف: غمده.

(٢) زيادة عن م.

(٣) في حـ: «حسنة».

(٤) كذا في م، وهو قريب مما جاء في «مختار الأغاني» لابن منظور (ص ١٠٤ طبع مصر) فقد ذكر فيه: «فتأذيت بنتن كان في ذلك القبر وبالبقّ». وفي سائر الأصول: «فتأذيت بنز عيسى باذ وبالبق في ذلك القبر». وعيسى باذ: محلة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي، وكانت إقطاعاً له.

(٥) كذا في ط،ء. والحليّ (وزان غني): يبيس ضرب من الكلأ يسمى النصيّ، وفي سائر الأصول: «وكان فيه خلاء».

(٦) الكندر (بضم فسكون فضم): اللبان الذكر.

(٧) زيادة عن حـ.

وهارون أبداً ولا أغنّيهما، وخلّى سبيلي. قال: وصنعتُ في الحبس لحناً[1] / في شعر أبي العتاهية لمّا حبَسه المهديّ بسبب عُتْبة، وهو:

صوت

أيا وَيْحَ قَلْبِي مِن نَجِيّ البَلابِلِ ... ويا وَيحَ ساقِي من قُرُوح السَّلاسِلِ

ويا ويحَ نفسي وَيْحَها ثم ويحها ... ألَمْ تَنجُ يوماً من شِباك الحبائل

ويا ويحَ عَيْنِي قد أضرّ بها البُكا ... فلم يُغنِ عنها طِبُّ ما في المَكاحِلِ

ذَرِيني أعَلِّلْ نفسيَ اليومَ إنها ... رهينةُ رَمْسٍ في ثَرَى وجَنادل

ذَرِيني أُعَلِّل بالشَّراب فقد أرَى ... بقيَّةَ عيشي هذه غيرَ طائل

/ الشعر لأبي العتاهية، وذكر حَمّاد أنه لجَدّه إبراهيم. والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في الثلاثة الأبيات [١٦٣/٥] الأُوَل، وله في البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

طلبه الهادي لما ولي الخلافة وكان استتر منه برّاً بيمينه للمهديّ:

قال حمّاد: فلما وَلِيَ موسى الهادي الخلافةَ اُستتر جَدّي منه ولم يَظهر له بسبب الأيمان التي حلّفه بها المهديّ، فكانت منازلُنا تُكبَس في كل وقت وأهلُنا يُروَّعون بطلبه حتى أصابوه فمضوْا به إليه، فلما عاينه قال: يا سيّدي، فارقتُ أمَّ ولدي وأعزَّ خلق الله عليّ، ثم غنّاه لحنَه في شعره:

صوت

يابنَ خيرِ الملوك لا تَتْركَنّي ... غَرَضاً للعدوّ يرمي حِيالي[2]

فلقد في هواك فارقتُ أهلي ... ثم عرَّضتُ مهجتي للزوال

ولقد عِفْتُ في هواك حياتي ... وتغرّبتُ بين أهلي ومالي

الشِّعرُ والغِناءُ لإبراهيم خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى. قال إسحاق: فموّلَه[3] والله الهادي وخوّلَه، وبحَسْبك أنه أخذ منه في يوم واحد مائةَ وخمسين ألفَ دينار[4]، ولو عاش لنا لبنَيْنا حِيطانَ دُورِنا بالذهب والفضة.

ما وصل إليه من الأموال وما تركه وشيء عن مروءته:

قال حَمّاد قال لي أبي: نظرتُ إلى ما صار إلى جَدك من الأموال والغَلاّت[5] وثمن ما باع من جواريه، فوجدتُه أربعةَ وعشرين ألفَ ألفِ درهم سوى أرزاقِه الجارية، وهي عشرة آلاف درهم في كلّ شهر، وسوى غَلاّت

---

(١) كذا في حـ، م. وفي سائر الأصول: «من شعر... إلخ».
(٢) كذا في ط، ء، م. وفي سائر الأصول: «حبالى» بالباء، وهو تصحيف.
(٣) موّله وخوّله: أعطاه مالاً وخولاً.
(٤) في «مختار الأغاني»: «درهم».
(٥) في ط، ء، م: «والصلات».

[٥/١٦٤] ضِياعه، وسوى الصَّلات النَّزْرَة التي لم يحفظها؛ ولا والله ما رأيتُ أكملَ مروءةً منه، كان له طعامٌ / مُعَدَ في كل وقت؛ فقلت لأبي: أكان يُمكنه ذلك؟ فقال: كان له في كل يوم ثلاثُ شِيَاهٍ: واحدةٌ مقطَّعةٌ في القدور، وأخرى مسلوخةٌ ومعلَّقة، وأخرى حيّة، فإذا أتاه قومٌ طَعِمُوا ما في القدور، فإذا فرغتْ قُطِّعت الشاة المعلَّقة ونُصبت القدور وذُبحت الحيّة فعلِّقت وأُتِيَ بأخرى فجُعلت وهي حيّة في المطبخ؛ وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبه وما يُتّخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجري وسوى كُسْوته؛ ولقد اتّفق عندنا مرّةً من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما منهنّ واحدة إلا ويُجْرِي عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلَ ما يُجري لأخصّ جواريه، فإذا رُدَّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصَلها وكساها، ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدَّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها.

اشترى منه الرشيد جارية وسأله الحطيطة من ثمنها فكان منه ما دل على سمو نفسه:

٥/٧ أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيعٌ ويحيى بن عليّ بن يحيى وابن / المَرْزُبان قالوا أخبرنا حَمّاد بن إسحاق قال:

كان أبي يحدِّث أن الرشيد اشترى من جَدّي جاريةً بستة وثلاثين ألفَ دينار، فأقامت عنده ليلةً، ثم أرسل إلى الفضلِ بن الربيع: إنا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم، ونحن نحسب أنها من بابَتِنا[1] وليست كما ظننتُها، وما قَرِبتُها، وقد ثقُل عليّ الثمنُ وبينك وبينه ما بينكما، فاذْهب إليه فسَلْه أن يَحُطّنا من ثمنها ستةَ آلاف دينار؛ قال: فصار الفضلُ إليه فاستأذن [عليه][2] فخرج جدّي فتلقّاه؛ فقال: دَعْني من هذه الكرامة التي لا مُؤْنة بيننا فيها، لستُ ممّن يُخدع، وقد جئتك في أمرِ أصدُقك عنه، ثم أخبره الخبرَ كلَّه؛ فقال له إبراهيم: إنه أراد أن يبلُو قَدْرَك عندي؛

[٥/١٦٥] قال: ذاك / أرادا قال: فمالِي كلُّه صدقةٌ في المساكين إن لم أُضعِفْه لك، قد حَطَطْتُك[3] اثني عشر ألف دينار؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر؛ فقال: وَيْلَك! ادفعْ إلى هذا مالَه، فما رأيتُ سُوقةً قطُّ أنبلَ نفساً منه. قال أبي: وكنتُ قد أتيتُ جدَّك فقلتُ: ما كان لحطيطةِ هذا المال معنًى وما هو بقليل، فتغافَلَ عنّي وقال: أنت أحمقُ، أنا أعْرفُ الناس به، والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلاً[4] ما أخذتُه إلا وهو كاره، ويحقِد ذلك عليّ وكنتُ أكون عنده صغيرَ القَدْر، وقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضل، وأنبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قَدْري عنده، وإنما اشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم، وقد أخذتُ بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حُمل المالُ إليه بلا حَطيطة دعاني فقال لي: كيف رأيتَ يا إسحاقُ! مَن البصيرُ أنا أم أنت؟ فقلتُ: بل أنت جعلني الله فداءك.

حوار الفضل بن يحيى له وقد رآه خارجاً من عند الفضل بن الربيع:

حدّثني وَكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أبي قال:

(١) البابة: الوجه والطريق، ويقال: هذا شيء من بابتك، أي يصلح لك (راجع الحاشية رقم ٩ ص ١٧٩ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية).
(٢) زيادة عن م.
(٣) كذا في ط، ء. وفي م: «حططته». وفي سائر الأصول: «حططت».
(٤) كملا (بفتحتين) أي كاملاً وافياً. قال الليث: هكذا يتكلم به في الجمع والوحدان سواء لا يثني ولا يجمع وليس بمصدر ولا نعت وإنما هو كقولك: أعطيته المالَ كله. (انظر «المصباح المنير» و «اللسان» مادة كمل).

لَقِيَ الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن الرَّبيع، وكانا متجاورَيْن في الشَّمّاسيّة[١]، فقال: من أين يا أبا إسحاق؟ أمن عند الفضل بن الربيع؟ قلت: نعم، غيرَ معتذرٍ من ذلك؛ فقال: خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى! هذان والله أمران لا يجتمعان لك! فقال: والله لئن لم يكن فيّ ما يتَّسع لكما حتى يكون الوفاءُ لكما جميعاً واحداً ما فيّ خيرٌ، والله لا أترك واحداً منكما / لصاحبه، فمن قَبِلني على هذا قَبِلني، ومن لم يقبلني فهو أعلم؛ فقال له الفضل بن يحيى: أنت عندي غير متَّهم، والأمرُ كما قلتَ، وقد قَبِلْتُك على ذلك. [٥/٦٦]

كان في الحبس فذكر للرشيد فأحضره فغناه فوصله:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال حدّثني أبي:

أن الرشيد غضِب عليه فقيّده وحبسه بالرَّقَّة[٢]، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زيّنه وحسّنه، فقال لعيسى بن جعفر: هل لمجلسنا عيبٌ؟ قال: نعم، غَيْبَةُ إبراهيمَ الموصلّي عنه؛ فأمر بإحضاري فأُحضِرتُ في قيودي، فَفُكَّتْ عنّي بين يديه، وأمرهم فناولوني عُوداً وقال: غنِّني يا إبراهيم؛ فغنّيته:

تَضَوَّعَ مِسكاً بَطْنُ[٣] نَعْمانَ أنْ مشتْ ... بـه زينـبٌ فـي نِسْـوةٍ خَفِـراتِ[٤]

فاستعاده وشرِب وطرِب، وقال: هَنَأْتَني يومي وسأَهْنِئُك بالصِّلة، وقد وهبتُ لك الهَنِيءَ والمَرِيءَ[٥]؛ فانصرفتُ، فلما أصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتي ألف درهم.

نسبة هذا الصوت

/ صوت

٨
٥

تَضَوَّعَ مِسكاً بطنُ نَعْمانَ أنْ مشتْ ... بـه زينـبٌ فـي نِسْـوةٍ خَفِـراتِ
مَـرَرْنَ بفَـخٍّ[٦] رائحـاتٍ عَشِيّـةً ... يُلَبِّيـنَ للـرّحمـنِ مُعْتَمِـراتِ
/ يُخَمِّـرنَ[٧] أطـرافَ البَنـانِ مـن التُّقـى ... ويقتُلْـنَ بـالألحـاظِ مُقْتَـدِراتِ[٨] [٥/٦٧]

---

(١) الشماسية: محلة مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد وإليها ينسب باب الشماسية. وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه.

(٢) الرقة: مدينة على الجانب الشرقي من الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام.

(٣) بطن نعمان: واد بين مكة والطائف كثير الأراك.

(٤) في م: «عطرات».

(٥) يريد أنه أقطعه ضيعتهما؛ والهنيء والمريء كما في ياقوت: نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما مدينة «واسط الرقة». قال ياقوت نقلاً عن البلاذري: ثم إن تلك الضيعة (أعني الهنيء والمريء) قبضت في أوّل الدولة العباسية وانتقلت إلى أم جعفر وزادت في عمارتها، ثم قال: وهما يسقيان عدّة بساتين، مستمدهما من الفرات ومصبهما فيه.

(٦) فخ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال؛ روى أن النبيّ ﷺ اغتسل به قبل دخوله مكة، وبه كانت وقعة الحسين وعقبة، وبه مقابر المهاجرين كل من جاور بمكة منهم فمات يوارى هناك. («معجم ما استعجم» للبكري).

(٧) يخمرن: يغطين.

(٨) روى المبرد هذا البيت في الكامل هكذا:

يخبئـن أطـراف البنـان مـن التقـى ... ويخـرجـن شطـر الليـل معتجـرات

ومعتجرات: مختمرات بالمعاجر، والمعجر: ثوب تشده المرأة على رأسها.

ولمـا رأت ركـبَ النُّمَيـريّ أعـرضـت وكـنَّ مِـنَ أن يَلْقَيْنَـه حَـذِراتِ

الشعر للنُّمَيْرِيّ[1] الثقفيّ. والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المَكّيّ وعمرو بن بانة. وذكر حبشٌ أن فيه لعَزّةَ المَيْلاءِ لحناً من الثقيل الأوّل.

أنشده يحيى بن خالد بيتاً فثناه وغنى فيه فأجازه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحْظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال، وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال:

رأيت يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشَّمّاسيّة يريد قصرَه الذي بباب البَرَدَان[2] وهو يتمثّل:

صوت

هَـوًى بتِهـامـةٍ وهـوًى بنجـدٍ فـأبلتنـي[3] التّهـائِـمُ والنُّجـودُ

قال أبي: فزِدْتُه عليه:

أُقيـم بـذا وأذكُـر عهـدَ هـذا فَلِـي مـا بيـن ذَيْـن هـوًى جديـدُ

/ قال: وصنعت فيه لحناً ـ قال الصُّوليّ في خبره: وهو من خفيف الثَّقيل ـ ثم صِرتُ إليه فغنّيته إيّاه؛ فأمر لي بألف دينار وبدابّته التي[4] كانت تحته يومئذ بسَرْجها ولجامها؛ فقلت له: جزاك الله من سيِّد خيراً، فإنك تأتي الأنفُسَ وهي شواردُ فتُقِرّها، والأهواءَ وهي سَقيمة فتُصحّحها؛ فأمر لي بألف دينار أخرى.

[١٦٨/٥]

قال إبراهيم: ثم ضَرب الدهرُ من ضَرْبه[5]، فبينا أنا أسير معه إذ لقِيه العبّاس بن الأحنف، وكان ساخِطاً عليه لشيء بلغه عنه، فترجّل له وأنشده:

صوت

بـالله يـا غضبـانُ إلّا رَضِيـت أذاكـرٌ للعهـدِ أم قـد نسِيـت

فقال: بل ذاكرٌ يا أبا الفضل؛ فأضفتُ إلى هذا البيت:

لـو كنـتُ أبغـي غيـرَ مـا تشتهـي دعـوتُ أن تُبْلَـى كمـا قـد بُلِيـت

وصنعت فيه لحناً ـ قال الصُّوليّ في خبره: هو ثقيل أوّل ـ قال: وغنّيتُه به، فأمر لي بألفَيْ دينار وضحِك؛ فقلت: من أيّ شيء تَضحك يا سيّدي؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً! فقال: ذكرتُ ما جرى في الصوت الأوّل وأنه كان

(١) هو محمد بن عبدالله بن نمير، شاعر غزل، من شعراء الدولة الأموية، مولده ومنشؤه بالطائف. وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبب بها. وله ترجمة في «الأغاني» (ج ٦ ص ٢٤ طبع بولاق).

(٢) البردان (بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملتين): قرية من قرى بغداد عامرة وهي على شاطىء دجلة الشرقيّ، وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ.

(٣) في م: «فأبكتني» بالكاف.

(٤) في ط، ء: «بدابته الذي كان...» والدابة تطلق على المذكر والمؤنث.

(٥) أي مرّ من مروره ومضى بعضه. (انظر «اللسان» مادة ضرب).

مع الجائزة دابّةٌ بسرجه ولجامه[١]، ولن تنصرف الليلةَ إلا على مثله، فقمتُ فقبّلت يدَه؛ فأمر لي بألفيْ دينار آخرين، وقال: تلك الكَرّة شكَرْتَ على الجائزة بكلام فزِدناك، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة، ولولا أنّي مُضِيقٌ في هذا الوقت لضاعفتُها، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد.

غنى الرشيد في طريقه إلى طوس بشعر له فاستحسن الغناء دون الشعر:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبةَ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال:

/ لمّا نَزَل الرشيدُ في طريقه إلى طُوس[٢] بِشِبْداز[٣] جلس يشرب عنده، فكان إبراهيمُ الموصليّ أوّلَ من [٥/١٦٩] غنّاه، فابتدأ بهذا الصوت، والشعرُ له:

/ صــوت

٩ / ٥

رأيــتُ الــدِّيــنَ والــدُّنيــا ... مُقيمَيْـــــن بشِبْـــــدازِ

أقــامــا بيـــن[٤] حَجّــاجٍ ... وغـــازٍ أيّمـــا غـــازِ

ـ وهو من الثقيل الأوّل ـ فأمر له بألف دينار، ولم يَستحسن الشعرَ، وقال له: يا إبراهيم صَنْعتُك فيه أحسن من شعرك؛ فخجِل وقال: يا سيّدي شغَل خاطري الغناءُ فقلت لوقتي ما حضَرني؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له: صدقتَ.

كان كثير الأصدقاء من الأشراف:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال:

كان جدُّك محبًّا للأشراف كثيرَ الأصدقاء منه، حتى إنْ كان الرشيدُ لَيقولُ كثيراً: ما أعرف أحداً أكثرَ أصدقاءَ من إبراهيم.

كان مع الغناء كاتباً وشاعراً وخطيباً:

قال إسحاق: وما سمعتُ أحسنَ غناءً من أربعة: أبي، وحَكَم الوادي، وفُلَيْح ابن أبي العَوْراء، وسِيّاط؛ فقلت له: وما بلغ من حِذْقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون غناءَ غيرِهم فيُحسنون؛ فقلت: فأيّهم كان أحذق؟ قال: كانوا / بمنزلة خطيبٍ أو كاتب أو شاعر يُحسن صناعته، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلُغ منها ما [٥/١٧٠]

---

(١) كذا في ط، ء، وهو الذي يوافق الضمير في: «إلا على مثله». وفي باقي الأصول: «بسرجها ولجامها».

(٢) طوس (بضم أوّله وسين مهملة): مدينة معروفة ما بين الريّ ونيسابور في أوّل عمل خراسان وفيها دفن هارون الرشيد. قال ابن حوقل: وعلى ربع فرسخ منها قبر علي بن موسى الرضا.

(٣) كذا في ط، ء. وشبداز: موضع بين حلوان وقرميسين تبعد عن قرميسين يسرة بأقل من فرسخين. وفي سائر الأصول: «شيراز» وهو تحريف. (راجع «معجم البلدان» في الكلام على شبداز و«المسالك والممالك» لابن خرداذبه في كلامه على الطريق من مدينة السلام إلى أقاصي خراسان ص ١٨ طبع مدينة ليدن).

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «أقاما مع حجاج». والحجاج: الكثير الحج. يريد أن الدين والدنيا قد اجتمعا للرشيد الذي كان كثير الحج والغزو.

يبلُغ من صناعته، وكان جدُّك كرجل مفوّه، إن خطب أجْزل، وإن كتب رسالة أحْسن، وإن قال شعراً أحْسن، ولم يكن فيهم مثلُه.

هو أوّل من علم الجواري الحسان الغناء وشعر أبي عيينة في ذلك:

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَه، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شَبّة جميعاً عن إسحاق قال:

لم يكن الناس يعلّمون الجاريةَ الحسناء الغناءَ، وإنما كانوا يعلّمونه الصُّفْرَ والسُّودَ؛ وأوّل من علّم الجواريَ المُثَمَّناتِ أبي، فإنه بلغ بالقِيان كلَّ مَبلغ، ورفَع من أقدارهنّ. وفيه يقول أبو عُيَيْنة بن محمد بن أبي عُيَيْنة المهلَّبيّ وقد كان هَوِيَ جاريةً يقال لها أمان فأغلَى بها مولاها السَّوْمَ، وجعل يردّدها إلى إبراهيم وإسحاق ابنة فتأخذ عنهما، فكلما زادت في الغناء زاد في سَوْمِه، فقال أبو عُيَيْنة:

قلتُ لمّا رأيتُ مولَى أمانٍ ... قد طَغَى سومُه بها طُغْيانَا
لا جَزَى الله المَوْصليّ أبا إسـ ... ـحاقَ عنّا خيراً ولا إحسانَا
جاءنا مُرسَلاً بوَحْيٍ من الشّيـ ... ـطان أغلَى به علينا القِيانا
من غِناءٍ كأنه سَكَرات الـ ... ـحبّ يُصْبي القُلوبَ والآذانا

شعر ابن سيابة فيه:

وقال فيه ابن سيابةَ[1]:

صوت

ما لإبراهيمَ في العِلْـ ... ـم بهذا الشأن ثاني
إنما عُمْرُ أبي إسـ ... ـحاق زَيْنٌ للزمان
/ جَنّةُ الدُّنيا أبو إسـ ... ـحاق في كلّ مكان

[٥/١٧١]

فإذا غَنّى أبو إسحا ... ق أجابتْه المَثَاني[2]
منه يُجْتَنى ثَمَرُ اللهـ ... ـو وريحانُ الجِنان

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان: خفيفُ ثقيل بالبنصر، وخفيفُ رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشَاميّ.

شعر أبي العتاهية فيه وهو محبوس:

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعَامةَ[3] قال:

(١) هو إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم، وله ترجمة في الجزء الحادي عشر من «الأغاني» طبع بولاق.
(٢) سهل الهمز في «إسحاق» لضرورة الشعر.
(٣) هو علي بن يزيد أبو دعامة، وقد مر في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ٨ طبع دار الكتب المصرية.

كان سَلْم الخاسر عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبَسَ إبراهيم الموصلي في المُطْبِق[1]؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال:

سَلْمُ يا سَلْمُ ليس دونك سِترُ[2] ... حُبِس المَوْصليُّ فالعيشُ مُرُّ

/ ما استطابَ اللّذاتِ مُذ سَكَن المُطْـ ... ـبِقَ رأسُ اللّذاتِ في الناس حُرّ

ترك الموصليُّ مَنْ خَلَقَ اللّـ ... ـهُ جميعاً وعيشُهم مُقْشَعِرّ

حُبِس اللهوُ والسرور فما في الـ ... أرض شيءٌ يُلْهَى به أو يَسُرُّ

ن ٥

وأنشدني بعضُ أصحابنا عن ابن المَرْزُبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فَنَن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصليّ لمّا حُبِس:

أيا غَمّي لغَمِّك يا خليلي ... ويا وَيْلي عليك ويا عَويلي

يَعِزُّ عليّ أنّك لا تراني ... وأنّي لا أراكَ ولا رسولي

وأنّك في محلِّ أذًى وضَنْكٍ ... وليس إلى لقائكَ من سبيلِ

وأنّي لستُ أمِلكُ عنك دفعاً ... وقد فُوجِئْتَ بالخَطْب الجليل

[١٧٢/٥]

/ قصته مع إبراهيم بن المهدي في لحن غناه عند الرشيد:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنا عبدالله بن عمر قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمد عن القَطِرانيّ المغنّي عن محمد بن جبر، وكان المهديّ رباه، قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال:

اِنصرفتُ ليلةً من الشَّمّاسيّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصليّ، وإذا هو في رَوْشَن[3] له وقد صنَع لحنه:

ألَا رُبّ نَدمانٍ عليّ دموعُه ... تَفِيضُ على الخدّين سَحًّا سُجُومُها[4]

وهو يُعيده ويلعَب به بنَغَمه ويكرِّره لتَسْتَوِي له أجزاؤه، وجواريه يضربْن عليه، فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أخذتُه ثم انصرفت إلى منزلي، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشّمّاسيّة واجتمعنا عند الرشيد، فاندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شيء غنّى، فلمّا سمعه الرشيد طرِب واستحسنه وشرب عليه، ثم قال له: لمن هذا يا إبراهيم؟ قال: لي يا سيّدي، صنعتُه البارحة؛ فقلت: كذَب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديمٌ وأنا أُغنّيه؛ فقال لي: غَنِّه يا حبيبي، فغنّيتُه كما غنّاه؛ فبُهِت إبراهيمُ وغضِب الرشيد، وقال له[5]: يابْن الفاجرة! أتَكْذِبني وتدّعي ما ليس لك!. قال: فظلّ إبراهيمُ بأسوأ حال؛ فلمّا صلّيتُ العصر قلت للرشيد: يا أمير المؤمنين، الصوتُ وحياتِك

(١) المطبق: السجن تحت الأرض.
(٢) في حـ: «سرّ».
(٣) الروشن: خشب يخرج من حائط الدار إلى الطريق ولا يصل إلى جدار آخر يقابله وهو الشرفة.
(٤) سجوم الدمع: سيلانه كثيراً كان أو قليلاً.
(٥) في الأصول ما عدا حـ: «وقال لي يابن الفاجرة» ولا يستقيم به الكلام. وكلمة «لي» ساقطة من حـ.

له وما كذَب، ولكنّي مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفتُ حتى دار لي وٱستوى فأخذتُه منه؛ فدعا به الرشيد ورضي عنه، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

[٥/١٧٣]

/ نسبة هذا الصوت

صوت

ألا رُبَّ نَـدْمـانٍ علـيَّ دموعُـه تَفِيضُ على الخَدَّين سَحًّا سُجومُها

حَلِيمٌ إذا مـا الكأسُ دارتْ وهَرَّها[1] رجالٌ لديها قد تَخِفُّ حُلومُها

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

قصته مع إبراهيم بن المهدي وابن جامع عند الرشيد:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبي عن طَيّاب[2] بن إبراهيم الموصليّ قال:

كان إبراهيم بن المهديّ يُقدِّم ابنَ جامع ولا يُفضِّل عليه أحداً، فأخبرني إبراهيم بن المهديّ قال: كنا في مجلس الرشيد وقد / غلَب النبيذُ على ابن جامع، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إليّ إبراهيم فقال: قد خَرِي[3] قد خرى أستاذك فيه! وفهمتُ صدْقَه فيما قال؛ قال: فقلت له: انتبِهْ أيها الشيخ وأعِدِ الصوت، ففَطِن وأعاده وتحفّظ فيه وأصاب؛ فغضب إبراهيم وأقبل عليّ فقال:

أُعلِّمُه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ فلمّا استدَّ[4] ساعدُه رماني

وتنكَّر لي وحلَف ألّا يكلّمني؛ فقلت للرشيد بعد أيام: إنّ لي حاجةً؛ قال: وما هي؟ قلت: تأمر إبراهيمَ الموصليّ أن يرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه؛ فقال: / ومَنْ إبراهيم حتى يُطلَبَ[5] رضاه! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي أريده منه لا يُنال إلا برضاه؛ فقال: قم إليه يا إبراهيم فقبِّلْ رأسه؛ [فقام إليّ ليقبِّل رأسي][6]، فلما أكبَّ عليّ قال: قد رضيتُ عنك رِضاً صحيحاً، وعاد إلى ما كان عليه.

[٥/١٧٤]

خرج مع الرشيد إلى الحيرة وغناه فأجازه:

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى قال: سمعتُ جدّي عليًّا يحدِّث عن إسحاق قال:

قال أبي: خرجتُ مع الرشيد إلى الحِيرة، فساعةَ نَزل بها دعا بالغَداء فتغدّى ثم نام، فاغتنمتُ قائلتَه فذهبتُ

(١) هرّ فلان الكأس: كرهها.

(٢) كذا في أكثر الأصول هنا وفيما يأتي في جميع الأصول في أكثر من موضع. وفي ط، ء هنا: «طباب» بالباء الموحدة من تحت.

(٣) في حـ: «قد خزى أستاذك فيه» بالزاي وبدون تكرار.

(٤) كذا في ط، ء، س وإحدى روايتي حـ، وهي الرواية المشهورة. واستدّ: استقام. وفي سائر الأصول «اشتدّ» بالشين المعجمة. قال الأصمعيّ: اشتدّ بالشين المعجمة ليس بشيء. وقال ابن برّي: هذا البيت ينسب إلى معن بن أوس قاله في ابن أخت له. وقال ابن دريد: هو لمالك بن فهم الأزدي، وكان اسم ابنه سليمة، رماه بسهم فقتله فقال البيت. قال ابن برّي: ورأيته في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عميس حين رماه بسهم. وبعده.

فـلا ظفـرت يمينـك حيـن ترمـي وشلّـت منـك حاملـة البنـان

(٥) في حـ، م: «تطلب».

(٦) الزيادة عن م.

فركبت أدُور في ظهر الحِيرة، فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه، فاستأذنته في الدخول فأذِن لي، فدخلت فإذا جَنّة من الجِنان في أحسن تُرْبة وأغزرِها ماءً، فخرجتُ فقلت له: لمن هذا البستان؟ فقال: لبعض الأَشَاعِثة[1]؛ فقلت له: أيباع؟ فقال: نعم وهو على سَوْم؛ فقلت: كم بلغ؟ فقال: أربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ قلت: وما يُسَمَّى هذا الموضع؟ قال: شُمَارَى؛ فقلت:

صـوت

جِنـانَ شُمَـارَى ليـس مثلَـكِ مَنْظَـرٌ ... لـذِي رَمَـدٍ أعيَـا عليـه طبيـبُ

تُـرابُـكِ كـافـورٌ ونَـوْرُكِ[2] زهـرةٌ ... لهـا أرَجٌ بعـد الهُـدُوِّ يطيـبُ[3]

/ قال: وحَضَرتْني فيه صَنْعةٌ حسنة؛ فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنّيته إياه أوّلَ ما غنّيتُ؛ فقال: وَيْلَك! [٥/٧٥] وأين شُمَارَى؟ فأخبرته القصّة؛ فأمر لي بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ وغَمَزني جعفر بن يحيى فقال: خذ توقيعَه بها إليّ؛ وتشاغل الرّشيدُ عنّي، فأعدتُ الصوتَ، فقال: وَيْلَكم! أَعطُوا هذا دنانيره؛ فوثبتُ وقلت: يا سيّدي، وَقِّع لي بها إلى جعفر بن يحيى؛ فقال: أفعلُ، ووقّع لي بها إليه؛ فلمّا حصَل التوقيعُ عند جعفر أطلق لي المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده؛ فلما حصَل المالُ عندي كان أحبَّ إليّ وأحسنَ في عَيْني من شُمَارَى.

عرض الرشيد أبياتاً ليجيزها الشعراء ثم أمره فغنى فيها:

أخبرني[4] جعفر بن قُدَامة قال أخبرني أبو العَيْناء قال:

خرج الفضلُ بن الرَّبيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقعةٌ فيها أربعة أبيات، فقال: إن أمير المؤمنين يأمر كلَّ مَن حضَر ممن يقول الشعر أن يُجيزها، وهي:

أهْـدَى الحبيـبُ مـع الجَنُـوب سـلامَـه ... فـارْدُدْ إليـه مـع الشَّمَـال سـلامَـا

واعـرِفْ بقلبـك مـا تَضَمَّـنَ قلبُـه ... وتَـدَاوَلا بهـواكمـا الأيّـامـا

وإذا بكيـتَ لـه فـأيْقِـنْ أنـه ... ستجـود أدْمُعـه عليـك رِهَـامـا[5]

فـاحبِـسْ دمـوعَـك رحمـةً لـدمـوعـه ... إن كنـتَ تحفـظُ أو تَحُـوطُ ذِمـامـا

/ فلم يوجد من يُجيزها، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحناً من خفيف الثقيل. ١٢/٥

انقطع عن الرشيد في سفره عند خمار وشعره في ذلك:

أخبرني محمد بن خَلَف وكَيع قال حدّثني أبو العبّاس البصريّ[6] قال حدّثني عبدالله بن الفَضل بن الرَّبيع قال سمعت أبي يقول:

(١) الأشاعثة: منسوبون إلى الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي أبي محمد الصحابي، وفد على النبيّ ﷺ وروى عنه وعن عمر رضي الله عنه، ونزل الكوفة ومات بها في آخر سنة أربعين هجرية وهو ابن ثلاث وستين سنة.

(٢) في حـ: «ونبتك».

(٣) في حـ: «وطيب».

(٤) هذا الخبر الذي يبتدىء من قوله: «أخبرني جعفر» إلى قوله: «لحناً من خفيف الثقيل» ساقط من ط، ء، م.

(٥) الرهام: جمع رهمة (بالكسر) وهي المطر الضعيف.

(٦) في حـ: «النصري» بالنون.

[١٧٦] / لمّا خرج الرشيدُ إلى الرَّقّة[١] أخرَج معه إبراهيمَ الموصليّ، وكان به مشغوفاً، ففقده في بعض المنازل أيّاماً وطلبه فلم يُخبره أحد بقصّته؛ ثم أتاه، فقال له: وَيْحَك! ما خبرُك وأين كانت غَيْبَتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، حديثي عجيب، نزلْنا بموضع كذا وكذا، فوُصِف لي خَمّارٌ، من ظَرْفه ومن نظافة منزله كيت وكيت، فتقدّمتُ أمام ثَقَلي[٢] وأتيته مُخِفًّا، فوافيتُ[٣] أطيبَ منزل وأوسعَ رَحْل وأطيبَ طعام وأسخى نفْسٍ، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العِشْرة، فأقمت عنده، فلمّا أردتُ اللّحاق بأمير المؤمنين أقسم عليّ وأخرج لي من الشراب ما هو أطيبُ وأجود مما رأيت، فأقمت ثلاثاً، ووهبتُ له دنانير كانت معي وكُسوةً، وقلت فيه:

صـــوت

سَقْياً لمنزل خَمّارٍ قَصَفْتُ[٤] به	وَسْطَ الرُّصافة يوماً بعد يومينِ
ما زلتُ أرهَنُ أثوابي وأشْرَبُها	صفراءَ قد عُتّقتْ في الدَّنّ حَوْلينِ
حتى إذا نَفِدت منّي بأجمعها	عاودتُه بالرّبا دَيْنًا بدَيْنينِ
فقال «إزَلْ بشِين» حين ودّعني	وقد لَعَمْرُك زُلْنا عنه بالشَّيْنِ

ـ الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رَمل بالبنصر. قوله: «إزَلْ بشِين» كلمة سريانية، تفسيرها: اِمْضِ بسلام، دعا له بها لما ودّعه ـ قال إبراهيم: فقال لي الرشيد: غَنّني هذا الصوتَ، فغنّيتُه إيّاه وزَمَر عليه بَرْصُوماً، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضَيْعة، وبعث إلى الخَمّارِ فأحْضِر[٥]، وأهْدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصَله؛ ووهَب له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم.

[١٧٧] / **قصته مع ابن جامع ورؤياه:**

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيَدَ ووكيع قالوا جميعاً حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال:

قال ابن جامع يوماً لأبي: رأيتُ في منامي كأنّي وإيّاك راكبان في مَحْمِل، فَسَفُلْتَ حتى كِدتَ تَلْصَق بالأرض، وعلا الشِّقُّ الذي أنا فيه، فَلأَعْلُونَّك في الغناء؛ فقال إبراهيم: الرؤيا حقٌّ والتأويل باطل، إنّي وإيّاك كنّا في ميزان، فرجحتُ بك وشالتْ كِفَّتك وعلوتَ فلَصِقتُ بالأرض، فَلأَبْقَيَنّ بعدك ولتموتنّ قبلي. قال إسحاق: فكان كما قال أبي، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده.

ألقى على جارية عبدالله بن الربيع صوتاً أعجب ابن جامع فأخذ يستعيدها إياه:

أخبرني عبدالله بن الرَّبيع الرَّبيعيّ قال حدّثتني خَديجة بنت هارون بن عبدالله بن الرَّبيع قالت حدّثتني خمار[٦]

---

(١) في حـ: «الكوفة».
(٢) الثقل (وزان سبب): متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون.
(٣) كذا في م. وفي ط، ء: «فأتيت». وفي سائر الأصول: «فوافقت»، وهو تحريف.
(٤) انظر الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من هذا الجزء.
(٥) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «فأحضره».
(٦) في ط: «قمار».

جارية أبي ـ وكانت قُنْدُهارِيّة[١]، اشتراها جدّي عبدالله وهي صَبِيّة رَيِّض[٢] من آل يحيى بن مُعاذ بمائتي ألف درهم ـ قالت:

ألقى عليّ إبراهيمُ الموصليّ لحنَه في هذين البيتين:

صوت

إذا سَـرّهـا أمـرٌ وفيـه مَسـاءتـي	قضيتُ لهـا فيمـا تـريـد علـى نفسـي
ومـا مَـرّ يـومٌ أرتجـي فيـه راحـةً	فـأذكُـره إلاّ بكيـتُ علـى أمـس

/ الشعر لأبي حَفص[٣] الشِّطْرَنْجيّ، والغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ـ فسمعني ابن جامع / يوماً وأنا [١٧٨/٥] أغنّيه، فسألني: ممن أخذته؟ فأخبرتُه؛ فقال: أعيديه، فأعدتُه مِرَاراً، وما زال ابن جامع يتنغّم[٤] به معي حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لي: يا صَبِيّةُ، غنّي ذلك الصوت، فكان صوتَه عليّ.

قصته مع مخارق في أخذه دراهم من يحيى البرمكي وأولاده:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال قال مخارق:

أَذِن لنا أمير المؤمنين الرشيدُ أن نُقيم في منازلنا ثلاثةَ أيّام، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحُرَم، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم ـ وأخبرني وَسْواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ بهذا الخبر فقال حدّثني أبي عن أبيه عن مُخارق قال: إشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السماء مُتغيِّمة، فانصرفنا إلى منازلنا. ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شَبّة مما قدمتُ ذكره، واتفقا هاهنا في أكثر الحكايات، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصليّ ـ قال مخارق: وأصبحت السماء مُتغيِّمة تَطِشّ طَشّاً خفيفاً، فقلت: والله لأذهبَنّ إلى أستاذي إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود، فأمرتُ مَنْ عندي أن يُسَوُّوا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي؛ فجئت إلى إبراهيمَ الموصليّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِس والبوّاب قاعد؛ فقلت: ما خبر أستاذي؟ فقال: ادخُل، فدخلت فإذا هو جالس في رِواق له وبين يديه قُدورٌ تُغَرْغِر[٥] وأباريق تَزْهَر، والستارة منصوبة والجواري خَلْفَها، وإذا قُدّامَه طَسْتٌ فيه رِطْليّة وكوزٌ وكأس، فدخلت أترنّم ببعض الأصوات، وقلت له: ما بالُ / الستارة لستُ أسمع [١٧٩/٥] من ورائها صوتاً؟ فقال: اقعُد وَيْحَك! إني أصبحت على الذي ظننتَ؛ فأتاني خبرُ ضَيْعة تجاورني، قد والله طلبتُها زماناً وتمنّيتها فلم أملكها، وقد أُعْطِيَ بها مائةُ ألف درهم؛ فقلت: وما يمنعك منها؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المال وأكثر؛ قال: صدقتَ، ولكن لستُ أطيب نَفْساً أن أُخرِج هذا المال؛ فقلت: فمن يُعطيك الساعةَ مائة ألف درهم؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه! فقال: اجلس، خذ هذا الصوت، ونَقَر بقضيب معه على الدواة وألقى عليّ:

(١) قندهارية: نسبة إلى قندهار، وهي بلد من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح.
(٢) الرّيض كسيد: الدابة أوّل ما تراض، يطلق على الذكر والأنثى، يقال: غلام ريض، وناقة ريض.
(٣) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس، نشأ في دار المهدي وتأدّب وكان لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به فلقب به لغلبته عليه، فلما مات المهدي انقطع إلى علية ابنته. وله ترجمة في الجزء التاسع عشر من «الأغاني» طبع بولاق.
(٤) تنغم المغني: طرّب في الغناء.
(٥) غرغرت القدر، صاتت عند الغلي.

صوت

نام الخَلِيُّون من هَمٍّ ومن سَقَمِ ... وبِتُّ من كَثْرة الأحزان لم أنَمِ
يا طالبَ الجود والمعروفِ مُجتهداً ... اِعْمِدْ ليحيى حليفِ الجود والكرمِ

ـ الشعر لأبي النضير[1]، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالبنصر ـ قال: فأخذتُه فأحكمتُه؛ ثم قال لي: امضِ الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد، فإنك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ، فاستأذنْ عليه قبل أن يَصِل إليه أحد، فإنه سيُنكِر عليك مجيئك ويقول: من أين أقبلتَ في هذا الوقت؟ فحدِّثْه بقصدك إياي وما ألقيتُ إليك من خبر الضَّيْعة، وأعْلِمْه أنّي صنعتُ هذا / الصوت وأعجبني، ولم أرَ أحداً يستحقّه إلا فلانةَ [٥/١٨٠] جاريتَه، وأني ألقيتُه عليك حتى أحكمْتَه لتطرحَه عليها؛ فسيدعو بها ويأمر بالسِّتارة أن تُنْصَب ويُوضع له كرسيّ ويقول لك: اطْرَحْه عليها بحضرتي، فافعل وأْتِني بالخبر بعد ذلك. قال: فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وصَف، وسألني فأعلمتُه ما أمرني به، ففعل كلَّ شيء قاله لي / إبراهيم، وأحضَر الجارية فألقيتُه عليها؛ ثم قال لي: تُقيم [١٤/٥] عندنا يا أبا المهنّأ أو تنصرف؟ فقلت: أنصرف أطال الله بقاءَك فقد علمتَ ما أُذِن لنا فيه، قال: يا غلام، احملْ مع أبي المهنّأ عشرة آلاف درهم، واحملْ إلى أبي إسحاق مائةَ ألف درهم ثمنَ هذه الضَّيْعة، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلاف الدرهم إليّ، وأتيتُ منزلي فقلت: أَسُرّ يومي هذا وأَسُرّ من عندي، ومضى الرسول إليه بالمال؛ فدخلتُ منزلي ونثَرتُ على من عندي من الجواري دراهمَ من تلك البَدْرة، وتوسّدتُها وأكلتُ وشربت وطرِبت وسُرِرت يومي كلَّه؛ فلما أصبحتُ قلتُ: والله لآتينّ أُستاذي ولأعرِفنّ خبره، فأتيتُه فوجدت البابَ كهيئته بالأمس، ودخلتُ فوجدته على مثل ما كان عليه، فترنّمت وطَرِبت فلم يتلقَّ ذلك بما يجب؛ فقلت له: ما الخبر؟ ألم يأتك المال؟ قال: بلى! فما كان خبرُكَ أنت بالأمس؟ فأخبرته بما كان وُهِب لي وقلت: ما[2] يتنظَّر مَنْ خلف الستارة، فقال: ارفع السَّجْف فرفعتُه فإذا عشر[3] بِدَر؛ فقلت: وأيّ شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟ قال: وَيْحَك! ما هو والله إلا أن دخلتْ منزلي حتى شَحِحْتُ عليها فصارت مثلَ ما حويتُ قديماً؛ فقلت: سبحان الله العظيم! فتصنع ماذا! قال: قم حتى أُلقِي عليك صوتاً صنعتُه يفوق ذلك الصوت؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه، فألْقَى عليّ:

[٥/١٨١] / صوت

ويَفْرَح بالمولود من آل بَرْمَكٍ ... بُغاةُ النّدَى والسيفُ والرمحُ ذو النصلِ[4]

---

(١) ورد هذا الاسم في حـ: «لأبي النضر». وفي سائر الأصول: «لأبي بصير»، وكلاهما تحريف عن «أبي النضير». واسمه عمر بن عبد الملك البصري مولى بني جمح، شاعر من شعراء البصرة صالح المذهب ليس من المعمودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين، وكان يغني بالبصرة على جوار له مولدات، ويظهر الخلاعة والمجون والفسق، ويعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن، وكان أبان اللاحقي يعاشره ثم تصارما وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قلي؛ ثم انقطع أبو النضير إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات. (راجع ترجمته في «الأغاني» ١٠ ص ١٠٠ طبع بولاق).

(٢) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «ما كان يتنظر من خلف الستارة» وعبارة نهاية الأرب (ج ٤ ص ٣٥٤ طبع دار الكتب المصرية): «فأخبرته بما كان وقلت: ما تنتظر؟ فقال: ارفع السجف... إلخ».

(٣) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «عشرة» بتأنيث العدد.

(٤) كذا في ط، . وفي سائر الأصول: «بغاة الندى والسيف والرمح والنصل» وكذلك في «نهاية الأرب» (ج ٤ ص ٣٥٤ طبع دار الكتب المصرية) والقافية فيه مرفوعة، وآخر البيت الثاني فيه: «ولا سيما إن كان والده الفضل».

وتَنْبسِطَ الآمالُ فيه لفضلِه ... ولا سيما إن كان من وَلَدِ الفَضْلِ

ـ الشعرُ لأبي النَّضير(١). والغناءُ لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهِشاميّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق، وهو الصحيح. وفيه خفيف ثقيلٍ، أظنه لحنَ إبراهيم. أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت في طريقة خفيف الثقيل وعَرَضه على الفَضْل، فاستحسنه وأمر مخارقاً بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش وقَضِيبَ فأخذتاه عنه ـ قال مُخارِق: فلما ألقى عليّ الصوتَ سمعت ما لم أسمع مثلَه قطُّ، وصغُر عندي الأوّل فأحكمتُه؛ ثم قال: انهض الساعةَ إلى الفَضْل بن يحيى، فإنك تَجِدُه لم يأذن لأحد بعدُ، وهو يريد الخَلْوة مع جواريه اليوم، فاستأذِنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أمس، وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعلمه أنّي قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندي أرفعَ منزلةً من الصوت الذي صنعتُه بالأمس، وأني ألقيته عليك حتى أحكَمْتَه ووَجَّهْتُ بك قاصداً لتلقيه على فلانةَ جاريته؛ فصِرتُ إلى باب الفَضْل فوجدتُ الأمر على ما ذكَر، فاستأذنتُ فوصلتُ؛ وسألني: ما الخبر؟ فأعلمتُه بخَبَري في اليوم الماضي وما وصل إليّ وإليه من المال؛ فقال: أخزى الله إبراهيمَ فما أبخله على نفسه!؛ ثم دعا خادماً فقال: اضرب السِّتارة فضربها، فقال لي: ألْقِه، فلمّا غنّيْتُه لم أُتِمّه حتى أقبل يَجُرّ مِطْرفَه، ثم قعد على وِسادة دون السّتارة، وقال: أحْسَنَ واللهِ / أستاذُك وأحسنتَ أنتَ يا مخارق؛ فلم أخرج حتى أخذَتْه الجاريةُ وأحكمْته، فسُرّ بذلك سروراً شديداً، وقال: أقِم عندي اليوم؛ فقلت: يا سيدي إنما بقي لنا / يومٌ واحد، ولولا أنّي أحبّ سرورَك لم أخرج من منزلي؛ فقال: يا غلام احمِلْ مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم واحمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم؛ فانصرفتُ إلى منزلي بالمال، ففتحتُ بَدْرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسُررت أنا ومن عندي يومَنا؛ فلما أصبحتُ بكّرتُ إلى إبراهيمَ أتعرّفُ خبره وأُعرِّفه خَبَري، فوجدتُه على الحال التي كان عليها أوّلاً وآخِراً، فدخلتُ أترنّم وأُصفّق؛ فقال لي: أدْنُ؛ فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلس وارفع سَجْفَ هذا الباب فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر(٢)؛ فقلت: ما تنتظر الآن؟ فقال: وَيْحَك! ما هو والله إلا أن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم؛ فقلتُ: والله ما أظن أحداً نال في هذه الدولة ما نلتَه! فلِمَ تَبْخل على نفسك بشيء تمنّيتَه دهراً وقد ملّكك اللّهُ أضعافَه! ثم قال: اجلس فخُذ هذا الصوتَ؛ وألقى عليّ صوتاً أنساني واللهِ صوتَيّ الأوّليْن:

[٥/ ٨٢]

١٥/ ٥

صوت

أفي كلِّ يومٍ أنتَ صبٌّ وليلةٍ ... إلى أمّ بكرٍ لا تُفيق فتَقْصِرُ

أُحِبّ على الهِجْران أكنافَ بيتِها ... فيا لَكَ من بيتٍ يُحَبّ ويُهْجَرُ

إلى جعفرٍ سارت بنا كلُّ جَسْرةٍ(٣) ... طَواها سُراها نحوَه والتهجُّرُ

إلى واسعٍ للمُجْتَدِين فِناؤه ... تَروح عطاياه عليهم وتَبْكُرُ

ـ الشعر لمروانَ بن أبي حَفْصَة يمدح به جعفر بن يحيى. والغناءُ لإبراهيم، ولم تقع إلينا طريقتُه ـ قال مُخارِق: ثم قال لي إبراهيم: هل سمعتَ مثلَ هذا؟! / فقلت: ما سمعتُ قطُّ مثلَه. فلم يَزَلْ يُردّده عليّ حتى أخذتُه، [٥/ ٨٣]

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٩ من هذا الجزء.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «مع تلك العشرة» بتأنيث العدد.

(٣) كذا في ط، ء و «نهاية الأرب» (جـ ٤ ص ٣٥٥ طبع دار الكتب المصرية) والجسرة: الناقة العظيمة. وفي سائر الأصول: «حرة».

ثم قال لي: امض إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه؛ قال: فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرَضْتُ عليه الصوت، فسُر به ودعا خادماً فأمره بضرب السِّتارة وأحضَر الجارية وقعد على كرسيّ، ثم قال: هاتِ يا مُخارِق؛ فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه؛ فقال: أحسنتَ والله يا مُخارق وأحسن أستاذُك، فهل لك في المُقام عندنا اليومَ؟ فقلت: يا سيِّدي هذا آخر أيّامنا، وإنما جئتُ لموقع الصوت منّي حتى ألقيته على الجارية؛ فقال: يا غلام احمِل معه ثلاثين ألف درهم وإلى المَوْصليّ ثلثمائة ألف درهم؛ فصرتُ إلى منزلي بالمال، فأقمتُ ومن معي مسرورين نشرَبُ بقيّةَ يومنا ونطرَب، ثم بكَرتُ إلى إبراهيم فتلقّاني قائماً وقال لي: أحسنتَ يا مُخارق؛ فقلت: ما الخبر؟ فقال: اجلس فجلستُ، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السَّجْف فإذا المال؛ فقلت: ما خبر الضَّيْعة؟ فأدخل يده تحت مسورة[1] هو مُتّكىء عليها فقال: هذا صَكُّ الضيعة، سئل عن صاحبها فوُجد ببغداد، فاشتراها منه يحيى بن خالد، وكتب إليّ: قد علمتُ أنك لا تسخو[2] نفساً بشراء الضيعة من مال يحصُل لك ولو حِيزتْ لك الدّنيا كلُّها، وقد ابْتَعتُها لك من مالي ووجّهتُ لك بصَكّها؛ ووجّه إليّ بصكها وهذا المال كما ترى؛ ثم بكى وقال لي: يا مخارِق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء، وإذا خنكرت فخنكر[3] لمثل هؤلاء؛ / هذه ستُّمائة ألف وضَيْعةٌ بمائة ألف وستون ألفَ درهم لك، حصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه، / فمتى يُدْرَك مثل هؤلاء!.

طلب إليه موسى الهادي أن يغنيه وله حكمه:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أبي عن إسحاق قال:

كان موسى الهادي شَكِسَ الأخلاق صَعْبَ المِزاج[4]، من توقّاه وعرَف أخلاقه أعطاه ما أمّل، ومن فتَح فاه فاتّفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه واطّرَحَه، فكان[5] لا يحتجب عن نُدَمائه ولا عن المغنّين، وكان يُكثر جوائزَهم وصِلاتِهم ويُواتِرها[6]؛ فتغنّى أبي عنده يوماً؛ فقال له: يا إبراهيم غنّني جِنساً من الغناء ألَذّ به وأطْرَب له ولك حُكمُك؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلني زُحَلُ ببَرْده رَجَوْتُ أن أُصيب ما في نفسك. قال: وكنت لا أراه يُصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءَه إلى النَّسيب والرَّقيق منه، وكان مذهبُ ابن سُرَيْج عنده أحمدَ من مذهب مَعْبَد، فغنّيته[7]:

وإنّـي لتَعْـرونـي لـذِكـراكِ هِـزّةٌ[8] كمـا انتفـض العصفـورُ بلّلـه القَطْـرُ

(١) المسورة: الوسادة من جلد.

(٢) في ط، ء: «لا تسخو نفسك».

(٣) لعله يريد: إذا غنيت فغن لمثل هؤلاء، فقد ورد في «الأغاني» (ج ١٧ ص ١٢٣ طبعة بولاق) في تعنيف الفضل بن الربيع لحفيده عبدالله بن عباس على تعلمه الغناء: «... وفضحت آباءك في قبورهم وسقطت الأبد إلا من المغنين وطبقة الخنياكرين». وقال صاحب «كتاب الألفاظ الفارسية المعربة»، بعد أن أشار إلى هذه القصة: «هي جمع خنياكر ومعناه المغني». وأخبرنا ممن لديهم معرفة باللغة الفارسية أن «الخنياكر» هو المغني المضحك.

(٤) كذا في حـ، م. وفي سائر الأصول: «المرام».

(٥) لعله: «وكان» بالواو.

(٦) واتر الصلات وغيرها: جعل بعضها يتبع بعضاً.

(٧) في ب، س: «فغنيته قوله» بزيادة كلمة «قوله»، ولعلها زيدت سهواً من الطابع.

(٨) كذا في هامش حـ، و «الأمالي» (حـ ١ ص ١٤٩ طبع دار الكتب المصرية)، وهي الرواية المشهورة في هذا البيت والتي تلائم الشطر =

فضرب بيده إلى جَيْب[1] دُرَّاعته فحطَّها ذراعاً، ثم قال: أحسنتَ والله! زِدْني، فغنّيتُ:

فيـا حُبَّهـا زدنـي جَـوًى كـلَّ ليلـةٍ ... ويـا سَلْـوةَ الأيّـام مـوعـدُكِ الحشـرُ

/ فضرب بيده إلى دُرّاعته فحطَّها ذراعاً آخر أو نحوَه، وقال: زِدْني وَيْلَك! أحسنتَ والله، ووجب حكمُك [٥/ ٨٥] يا إبراهيم؛ فغنّيت:

هجـرتُـكِ حتـى قِيـل لا يعـرِف الهَـوى ... وزُرْتُـكِ حتـى قيـل ليـس لـه صَبْـرُ

فرفع صوتَه وقال: أحسنتَ، لله[2] أبوك! هات ما تريد؛ قلت: يا سيِّدي، عَيْن مروان بالمدينة؛ فدارتْ عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان، وقال: يابنَ اللَّخْناء أردتَ أن تَشْهَرني بهذا المجلس فيقول الناس: أطْرَبه فحكَّمه، فتجعلني سَمَراً وحديثاً! يا إبراهيم الحَرّاني: خُذْ بيد هذا الجاهل إذا قمتُ، فأدْخِله في بيت مال الخاصّة، فإن أخذ كلَّ ما فيه فَخَلِّه وإيّاه؛ فدخلتُ فأخذت خمسين ألفَ دينار.

نسبة هذا الصوت

صوت

عَجِبتُ لسعـي الـدهـرِ بينـي وبينهـا ... فلمـا انقضَـى مـا بيننـا سَكَـن الـدهـرُ

فيـا حُبَّهـا زِدْنِـي جَـوًى كـلَّ ليلـةٍ ... ويـا سَلْـوةَ الأيّـامِ مـوعـدُك الحَشْـر

ويـا هجـرَ ليلـى قـد بلغـتَ بـي المَـدَى ... وزِدْتَ علـى مـا ليـس يبلُغـه الهجـر

وإنّـي لتَعْـرونـي لـذكـراكِ هِـزّةٌ ... كمـا انتفـض العصفـور بلّلـه القَطْـر

هجـرتُـكِ حتـى قيـل لا يَعـرف الهـوى ... وزُرْتُـكِ حتـى قيـل ليـس لـه صبـر

أمَـا والـذي أبكـي وأضحـك والـذي ... أمـات وأحيـا والـذي أمْـرُه أمْـر

لقـد تـركتنـي أحسُـد الـوحـشَ أنْ أرى ... أليفَيْـن منهـا لا يـروعهمـا الـذُّعـر[3]

ـ الشعر لأبي صَخْر الهُذَليّ. والغناء لمَعْبَد، وأوّل لحنه «ويا هجر ليلى» وبعده الثاني ثم الأوّلُ من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. ولابن سُرَيْج في السادس / والسـابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ. [٥/ ٨٦] ولعَرِيبَ في السادس والسابع/ والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ أيضاً، وللواثق فيها رَمَل، وهو مما صنعه الواثق قبلها ١٧/٥ فعارضَتْه بلحنها. وقد نَسَب قومٌ لحنَ مَعْبد إلى ابن سُرَيج ولحنَ ابن سريج إلى معبد.

اشترى جارية لجعفر بن يحيى فاستكثر ثمنها فأجابه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

اِشترى جدّك إبراهيمُ لجعفر بن يحيى جارية مغنِّية بمال عظيم، فقال جعفر: أيّ شيء تُحسن هذه الجاريةُ

---

* الثاني وما فيه من تشبيه. وفي جميع الأصول: «فترة». والفترة: الضعف.

(١) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم. وجيبها: طوقها.

(٢) في حـ: «لله درك».

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «النفر».

حتى بلغتَ بها هذا المالَ كلَّه؟ قال: لو لم تُحسن شيئاً إلا أنها تَحْكي قولي:

* لِمَنِ الدِّيارُ بِبُرْقَة[1] الرَّوْحَانِ *

لكانت تساويه وزيادةً؛ فضحك جعفر وقال: أفرطتَ!

نسبة هذا الصوت

صوت

لمـن الـديـارُ بـبُـرْقَـة الـرَّوْحَـانِ إذ لا نبيـعُ زمـانَنـا بـزمـانِ

صـدَعَ الغـوانـي إذ رَمَيْـن فـؤادَه صَـدْعَ الـزُّجـاجـة مـا لـذاك تَـدَانِ

إن زرتُ أهلَـكِ لـم أُنَـوَّلْ حـاجـةً وإذا هجـرتـكِ شَفَّنـي هِجْـرانـي

الغناء لمَعْبد، فيما ذكره الهشاميّ وأحمد بن المكيّ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ونَسَبه غيرُهما إلى حُنَين، وقال آخرون: إنه للغَرِيض، وذكر حَبَش أنه ليَزيدِ حَوْرَاء. وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر.

[١٨٧/٥] / عدد أصواته:

أخبرني الحُسين عن حَمّاد قال قال لي أبي:

صنَع جدُّك تِسعمائةِ صوتٍ، منها دِيناريّة، ومنها دِرْهَميّة، ومنهما فَلْسِيّة، وما رأيت أكثرَ من صنعته؛ فأمّا ثلثُمائةٍ منها فإنه تقدّم الناسَ جميعاً فيها، وأمّا ثلثُمائة، فشاركوه وشاركهم فيها، وأمّا الثلثُمائة الباقية، فلَعِبٌ وطَرَب؛ قال: ثم أسقط أبي الثلثَمائة الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال: هي سِتُّمائة صوت.

وقال أحمد بن حَمْدون قال لي إسحاق: من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوتُه في شعر العبّاس بن الأحنف:

* أبْكي ومثلي بكى من حُبِّ جاريةٍ *

فما أعلم له فيه معنًى إلا استحسانَه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جداً.

نسبة هذا الصوت

صوت

أبكـي ومثلـي بكـى مـن حُـبِّ جـاريـةٍ لـم يَخلُـقِ الله لـي فـي قلبهـا لِينَـا

هـل تـذكـريـن وُقُـوفـي عنـد بـابكُـم نصـفَ النهـار وأهـلُ الـدار لاهُـونـا

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى.

---

(١) برقة الروحان: روضة باليمامة تنبت الرمث (وهو شجر يشبه الغضى).

سئل ابنه إسحاق عن طعنه على أبيه في صوت له فأجاب:

أخبرني جَحْظة قال أخبرني حَمّاد بن إسحاق قال:

قال رجل لأبي: أَخْبِرْني عنك، لَمِ طعنتَ على أبيك في صنعته:

قـــال لـــي فيهـــا عَتِيـــقٌ مقـــالاً فجـــرتْ ممـــا يقـــول الـــدمـــوعُ

قال: لأنه تعرّض لابن عائشةَ وله في هذا الشعر صنعةٌ، وابن عائشة ممن لا يُعارَض فلم يقارِبه، وعلى أن صنعة أبي من جَيِّد الغناء لو كان صنعها في غير هذا الشعر، ولكنها اقترنتْ / بصنعة ابن عائشة فلم تقاربْها، فسقط عندي لذلك. ١٨/٥

/ نسبة هذا الصوت [١٨٨/٥]

صوت

قـــال لـــي فيهـــا عَتِيـــقٌ مقـــالاً فَجـــرتْ ممّـــا يقـــول الـــدمـــوعُ

قـــال لـــي وَدِّعْ سُلَيمـــى ودَعْهـــا فـــأجـــاب القلـــبُ لا أستطيـــع

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة. والغناءُ لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لابن عائشة. وفيه ثاني ثقيلٍ يُنْسَب إلى الهُذَليّ. وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم.

قصته بالريّ مع جارية من تلميذاته:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبدالله بن أبي سَعْد قال حدّثني محمد[١] بن عبدالله بن مالك قال حدّثني إسحاق عن أبيه قال:

دخلتُ الرَّيَّ[٢] فكنتُ آلَفُ فِتياناً من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفونني، فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلةً إلى منزله فبِتُّ عنده، فأخرج جاريةً له ومدّ لها ستارةً فتغنّتْ خَلْفَها، فرأيتُها صالحةَ الأداء كثيرةَ الرواية، فشوّقتْني إلى العراق وذكّرتني أيّامي بها، فدعوتُ بعُود، فلما جيء به اندفعتُ فغنّيتُ صوتي في شعري:

أنـــا بـــالـــرَّيِّ مُقيـــم فـــي قُـــرَى الـــرَّيِّ أَهِيـــمُ

وقد كنتُ صنعتُ هذا اللحن قديماً بالرَّيّ؛ فخرجت الجارية من وراء السّتارة مُبادِرةً إليّ، فأكبّتْ على رأسي وقالت: أستاذي والله!؛ فقال لها مولاها: أيّ أُستاذِيك هذا؟ قالت: إبراهيم الموصليّ؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاّتي أخذن / عنّي وطال العهدُ بها؛ فأكرمني مولاها وبرّني وخلَع عليّ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرَّيّ وانتشر خبري [١٨٩/٥] بها، ثم كتب بحَمْلي إلى والي البلد فأُشْخِصت.

(١) كذا في ط، ء هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول في أكثر من موضع. وفي سائر الأصول هنا: «محمد بن عبد الملك» وهو تحريف.
(٢) الريّ: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً. (راجع «معجم ياقوت» في كلامه عليها).

أرسل وهو في الحبس شعراً لبعض إخوانه فلما وقف عليه المهدي رق له وأطلقه:

أخبرني الحسن قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمد قال حدّثني القَطِرانيّ عن محمد بن جَبْر عن يحيى المَكّيّ قال:

كنّا يوماً بين يدي المهديّ وقد حَبَس إبراهيمَ الموصليّ وضرَبه وأمر بأن يُلْبَسَ جُبّةَ صوفٍ، وكان يخرج على تلك الحال فيَطْرح على الجواري؛ فكتب إلينا ذاتَ يوم، ونحن مُصْطبِحون وقد جادت[1] السماءُ بمطرٍ صَيِّف[2]، وبحضرتنا شيء من ورد مُبكّر:

ألا مَــن مُبْلــغٌ قــومــاً ... مِــنِ آخــوانــي وجيــرانــي
هنيئــاً لكـــمُ الشّــربُ ... علـــى وَرْدٍ وتَهْتـــان[3]
وأنّـــي مُفْـــرَدٌ وحـــدي ... بـــأشجـــانـــي وأحـــزانـــي
فمَـــن جَـــفّ لـــه جفـــنٌ ... فجَفْنـــاي يَسيـــلان

قال: فوقف المهديُّ على رُقعته وقرأها فرَقّ له وأمر بطلبه في الوقت، ثم أطلقه بعدُ بأيّام.

شغف بجارية عليّ اليماني وقال فيها شعراً:

أخبرني الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن المَكّيّ عن أبيه قال:

كانت لعليٍّ اليَمانيّ جاريةٌ فهَوِيَها إبراهيم واستُهيم بها زماناً، وقال فيها:

[٥/ ١٩٠]

/ صــوت

كنــتُ حُــرًّا فصــرتُ عبــدَ اليمــانــي ... مــن هــوًى شــادنٍ هــواه بَــرَانــي
/ وهــو نِصْفــان مــن قضيــبٍ ودِعْــصٍ[4] ... زانَ صـــدرَ القضيـــب رُمّـــانتـــان

١٤/ ٥

اللحنُ لإبراهيمَ في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وقد زعَم قوم أن الشّعر للحسين[5] بن الضّحاك.

نصح ابنه إسحاق بعض آل نهيك في الغناء فلامه فلما عرف هو أدب النهيكي عنى به:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال:

كان بعض أهل نَهِيك[6] قد تعاطى الغناء، فلمّا ظنّ أنه قد أحكمه شاورني وأبي حاضرٌ، فقلتُ له: إن قَبِلتَ

---

(١) في الأصول: «جاءت».

(٢) الصيف (بتشديد الياء): المطر الذي يجيء في الصيف، واحده صيفة (بتشديد الياء)، يقال: أصابتنا صيفة غزيرة أي مطرة غزيرة في الصيف.

(٣) هتنت السماء (من باب ضرب) هتناً وهتوناً وهتناناً وتهتاناً: انصبت.

(٤) الدعص (بالكسر): كثيب الرمل.

(٥) كذا في ط، ء. وقد أورد له أبو الفرج ترجمة في (ج ٦ ص ١٧٠ طبع بولاق). وفي سائر الأصول: «للحسن»، وهو تحريف.

(٦) لعله من أسرة عثمان بن نهيك أحد قوّاد المنصور والذي كلفه المنصور قتل أبي مسلم الخراساني حين يدخل عليه.

منّي فلا تُغنِّ فلستَ فيه كما أرضى؛ فصاح أبي عليّ صيحةً شديدةً ثم قال لي: وما يُدريك يا صبيّ! ثم أقبل على الرجل فقال: أنت يا حبيبي بضدّ ما قال، وإن لَزِمتَ الصّناعةَ برعتَ فيها؛ فلما خلا بي قال لي: يا أحمق! ما عليك أن يُخزِيَ الله مائة ألف مثل هذا! هؤلاء أغنياء ملوك، وهم يُعيِّروننا بالغناء، فدعهم يتهتكوا به ويُعَيَّروا ويَفْتَضحوا ويحتاجوا إلينا فنَنتفع بهم، ويَبين فضلُنا لدى الناس بأمثالهم. قال: ولَزِمه النَّهيكيّ يأخذ عنه ويَبَرُّه فيُجزل، فكان إذا غَنَّى فأحسن قال له: بارك الله فيك، وإذا أساء قال: بارك الله عليك؛ وكثُر ذلك منه حتّى عرَف النَّهيكيّ معناه فيه، فغنَّى يوماً وأبي ساهٍ عنه فسكتَ ولم يقل له شيئاً؛ فقال له: جُعِلت فداك، يا أستاذي، أهذا الصوت من أصوات «فيك» / أم «عليك»؟ فضحك أبي ولم يكن علم[1] أنه قد فَطِن لقوله، ثم قال له: والله لأُقبِلَنّ عليك حتّى تصيرَ كما [٥/١٩١] تشتهي، فإنك ظريفٌ أديب؛ وعُنِي به حتى حَسُن غناؤه وتقدّم. وفيه يقول أبي:

أوجـــب الــلّـــهُ لـــك الـــحـــقّ عـــلـــى مثلـــي بظَـــرْفِـــك
لـــن تـــرانـــي بعـــد هـــذا نـــاطقـــاً إلاّ بـــوصفـــك
وتـــرى القـــوّةَ فيمـــا تَشتهيـــه بعـــد ضعفـــك

احتكم إليه مخارق وإسحاق فحكم لإسحاق:

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عُمر بن شَبّة عن إسحاق، أخبرني به الصُّوليّ عن عَوْن بن محمد عن إسحاق قال:

غنّى مُخارقٌ بين يدَي الرشيد صوتاً فأخطأ في قِسْمته؛ فقلت له: أعِدْ فأعاده، وكان الخطأ خفيّاً، فقلت للرّشيد: يا سيّدي، قد أخطأ فيه؛ فقال لإبراهيم بن المهديّ: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمرُ كما قال، ولا هاهنا خطأ؛ فقلتُ له: أترضى بأبي؟ قال: إي والله، وكان أبي في بقايا عِلّة؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولاً، فجيء به في مِحَفّة؛ فقال لمُخارِق: أعِدِ الصوتَ، فأعاده: فقال: ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت؟ فقال: قد أخطأ فيه؛ فقال له: هكذا قال آبنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح؛ فنظر إليّ ثم قال: هاتُوا دواةً، فأُتِي بها وكتب شيئاً لم يَقِف عليه أحد ثم قطعه ووَضعه بين يدي الرشيد، وقال لي: اكتُب بذكر الموضع الفاسد من قِسْمة هذا الصوت، فكتبتَه وألقيتُه فقرأه وسُرّ، وقام فألقاه بين يدي الرشيد، فإذا الذي قلناه جميعاً متفق؛ فضحك وعجب، ولم يبق / أحدٌ في المجلس إلا قرّظ وأثنى ووصَف، ولا أحدٌ خالَف إلاّ خَجِل وذَلّ وأذعن. [٥/١٩٢] وقال أبي في ذلك:

ليـــت مـــن لا يُحسِـــن العلـ ـــمَ كفـــانـــا شَـــرَّ عِلْمِـــهْ
فـــاخْبُـــرِ الحـــقَّ ابتـــداءً وقِـــسِ العلـــمَ بفهمـــه
طيِّـــبُ الـــرَّيْحـــان لا تعـ ـــرفـــه إلا بشَمِّـــه

٢٠/٥ / **حديث بين ابنه إسحاق والرشيد في المال الذي أخذه هو من الرشيد:**

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبَةُ الله، وحدّثني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنّى أبي يوماً بحضرة الرشيد:

(١) كذا في حـ. وفي أ، م: «ولم يكن علم الله أنه... إلخ». وفي سائر الأصول: «ولم يكن علم أبي أنه... إلخ».

سَلِي هل قَلاَنِي من عَشيرٍ صَحِبتُه وهل ذمّ رَحْلِي في الرِّفاق رفيقُ

فطرِب واستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم، فلما كان بعد سنين[1]، خطر ببالي ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته، فغنّيتُه إياه؛ فطرِب وشرب، ثم قال لي: يا إسحاق، كأني في نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأنّي أعطيتُه ألف دينار على هذا الصوت فطمعتَ في الجائزة!؛ فضحكتُ ثم قلت: والله يا سيّدي ما أخطأتَ؛ فقال: قد أخذ ثمنَه أبوك مرّةً فلا تطمع؛ فعجبتُ من قوله، ثم قلت: يا سيّدي، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتيْ[2] ألفِ دينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غيرَ هذا الألف على بختي[3] أنا؛ فقال: وَيْحَك! أكثر من مائتي[2] ألف دينار؟! قلت: إي والله!؛ فوجَم وقال: أستغفر الله من ذلك، وَيْحك! فما الذي خلّف منها؟ قلت: خلّف / عليّ ديوناً مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه؛ فقال: ما أدري أيّنا أشدُّ تضييعاً! والله المستعان. [١٩٣/]

نسبة هذا الصوت

صوت

سَلِي هل قَلاني مِنْ عَشيرٍ صَحِبتُه وهل ذَمّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ

وهل يَجْتوي القومُ الكرامُ صَحَابتي إذا اغبرّ مَخْشيُّ الفِجَاج عَميقُ[4]

ولو تَعلمين الغيبَ أيقنتِ أنّني لكُم والهَدايا المُشْعَراتِ[5] صديقُ

الشعر يُنسب إلى مُضَرِّس بن قُرْط[6] الهِلاَليّ وإلى قَيس بن ذَرِيح، وفيه بيت يقال: إنه لجَرِير. والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين، ونِسْبتهُ تأتي في أخبار قيس بن ذَرِيح، إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالخنصر في[7] مجرى البنصر عن إسحاق.

رأى وهو في سرداب له سنورتين تغنيان فحفظ الصوت:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سَعْد قال حدّثتني نَشْوة الأُشْنانية[8] قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكيّ قال:

تشوّق يوماً إبراهيمُ الموصليّ إلى سرداب له، وكانت فيه بِركْة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان، فقال: أشتهي أن أشربَ يومي وأبيتَ ليلتي في هذا / السرداب ففعل ذلك، فبينا هو نائم في نصف الليل فإذا [١٩٤/]

---

(١) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «سنتين».

(٢) في م: «مائة ألف دينار».

(٣) قال صاحب «المصباح»: البخت: الحظ وزناً ومعنى وهو أعجميّ ومن هنا توقف بعضهم في كون البخت التي هي أصل البخاتي (أي الإبل) عربية. وفي «الصحاح» و «القاموس» و «شرحه»: أنه معرّب أو مولد. وفي «شفاء الغليل» و «اللسان»: أن العرب تكلمت به. وقال الأزهري: لا أدري أعربيّ هو أم لا.

(٤) كذا في ط،ء، وهو الموافق لما جاء في «الأمالي» (ج ٢ ص ٢٥٧ طبع دار الكتب المصرية). وفي سائر الأصول: «مخشيّ الفجاج سحيق».

(٥) الهدايا: ما يهدي إلى البيت الحرام من النعم لتنحر. والمشعرات: المعلمات بعلامة يعرف بها أنها هدى.

(٦) كذا في ط،ء و «الأمالي». وفي سائر الأصول: «قرظة» وهو تحريف.

(٧) كذا في ط،ء، م. وفي سائر الأصول: «ثقيل أول بالخنصر ومجرى البنصر».

(٨) في ط،ء: «نشو الأشناسية».

سنَّوْرَتان[١] قد نزلتا من درجة السِّرْداب، بيضاء وسوداء، فقالت إحداهما: أتراه نائماً[٢]؟ فقالت السوداء: هو نائم؛ فاندفعت السوداءُ فغنّت بأحسن صوت:

عَفَـا مُـزَج[٣] إلـى لَصَـقٍ[٤] إلـى الهَضَبـات مـن هَكِـر[٥]
إلـى قـاع النَّقِيـر[٦] إلـى قـرار حِـلاَل[٧] ذي حَـدَر[٨]

قال: فمات إبراهيمُ فرحاً وقال: يا ليتهما أعاداه! فأعاداه مراراً حتى أخذه، ثم تحركَ فقامت السَّنَّوْرتانِ، وسمع إحداهما تقول للأخرى: والله لا طَرَحه على أحد إلا جُنّ، فطرحه من غدٍ على جارية له فجُنَّت.

/ نسبة هذا الصوت

٢١
٥

الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن يحيى المَكّي وعَمْرو بن بَانة.

طلب من الفضل بن يحيى مالاً فحصل له عليه ممن قضى حوائجهم:

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك قال حدّثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال:

/ أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوماً، فقلت له: يا أبا العبّاس، جُعِلتُ فداك! هَبْ لي دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَس [٥/١٩٥] يدَه؛ فقال: وَيْحَك يا أبا إسحاق! ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هَاه! إلاّ أن هاهنا خَصْلَةً[٩] أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه، ووجّه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبّتنا؛ فما فعلتْ ضِياءُ جاريتُك؟ قلتُ: عندي، جُعِلت فداك!؛ قال: فهو ذا، أقول لهم يشترونها منك فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار؛ فقبلْتُ رأسه ثم انصرفتُ؛ فبكّر عليّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لي، فقال: جاريتُك فلانةُ عندَك؟ فقلت: عندي؛ فقال: اعرِضْها عليّ، فأخرجتُها؛ قال: بكم؟ قلت: بخمسين ألفَ دينار ولا أنقُص منها ديناراً واحداً، وقد أعطاني بها الفضلُ بن يحيى أمس هذه العطيّة؛ فقال لي: أُريدها له؛ فقلت له: أنت أعلم، إذا اشتريتَها فصيِّرها لمن شئت؛

(١) السنورة: الهرّة.
(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «ترى نائماً».
(٣) كذا في أكثر الأصول. ومزج (بالضم ثم السكون): ماء بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخاً أو نحوها. وفي ب، حـ، س: «مزح» (بالحاء المهملة)، وهو تصحيف.
(٤) كذا في جميع الأصول، ولم نعثر على هذا الاسم في المرجع التي بين أيدينا. ولعله مصحف عن «الصف» (بالفاء)، وهو بركة غربيّ طريق مكة بين المغيثة والعقبة على ثلاثة أميال من صبيب غربيّ واقصة. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «القاموس» و «شرحه» في «الصف»).
(٥) هكر (بفتح أوّله وكسر ثانيه وراء مهملة): موضع على نحو أربعين ميلاً من المدينة.
(٦) كذا في ط، ء. والنقير (بفتح أوله وكسر ثانيه): موضع بين هجر والبصرة. وفي سائر الأصول: «البقير» بالباء الموحدة، ولم نعثر عليه في المراجع التي بين أيدينا.
(٧) حلال (بكسر الحاء وتخفيف اللام): من نواحي اليمن.
(٨) كذا في ط، ء. والحدر (بالدال المهملة): ما انحدر من الأرض وهو الصبب. وفي سائر الأصول: «ذي حذر» بالذال المعجمة، وهو تصحيف.
(٩) كذا في الأصول، وظاهر سياق الكلام يقتضي أن يكون المراد مخرجاً أو فرصة ونحو ذلك. فلعل كلمة «خصلة» محرّفة عما يؤدّي هذا المعنى.

فقال لي: هل لك في ثلاثين ألفَ دينار مُسَلَّمةٍ لك؟ قال: وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألفاً أُرْتِج عليّ ولَحقني زَمَعٌ[1]، وأشار عليّ صديقي الذي معه البيع، وخِفْتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بي بالفَضْل بن يحيى، فسلّمتُها وأخذتُ المال؛ ثم بكّرتُ على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحدَه؛ فلما نظر إليّ ضحِك، ثم قال لي: يا ضَيِّق الحَوْصَلة[2]! حَرمتَ نفسك عشرين ألفَ دينار؛ فقلت له: جُعِلتُ فداك، دَعْ ذا عنك، فوالله لقد دخلني شيء أعجِز عن وصفه وخِفت أن تَحدُث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك، أعاذك الله من / كل سوء، فبادرتُ بقبول الثلاثين ألف دينار؛ فقال: لا ضَيْر، يا غلام جيء بالجارية، فجاء بجاريتي بعينها؛ فقال: خُذْها مباركاً لك فيها، فإنما أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية؛ فلما نهضتُ[3]، قال لي: مكانَك، إنّ صاحب إرْمِينِيَة قد جاءنا فقضينا حوائجه ونفّذنا كُتُبه، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألفَ دينار يشتري لنا بها ما نُحِبّ، فاعرض عليه جاريتَك هذه ولا تَنْقُصها من ثلاثين ألف دينار؛ فانصرفتُ بالجارية وبكّر إليّ رسول صاحب إرْمِينِيَة ومعه صديقٌ لي آخر، فقاوَلَني بالجارية، فقلتُ: لستُ أنقصها من ثلاثين ألف دينار؛ فقال لي: معي على الباب عشرون ألفَ دينار تأخذها مُسلَّمة، بارك الله لك فيها؛ فدخلني والله مثلُ الذي دخلني في المرّة الأولى وخِفت مثلَ خوفي الأوّل، فسلّمتُها وأخذتُ المال؛ وبكّرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحدَه؛ فلما رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال: ويحك! حَرَمتَ نفسك عشرةَ آلاف دينار؛ فقلت: أصلحك الله، خِفتُ والله ما خفتُ في المرّة الأولى؛ قال: لا ضَيْر، أخرِجْ يا غلام جاريتَه؛ فجاء بجاريتي بعينها، فقال: خذها، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك[4]؛ فلما ولّتِ الجارية صِحْتُ بها: اِرجعي فرجعتْ؛ فقلت: أُشهِدكَ، جُعِلت فِداك، أنها حُرّةٌ لوجه الله وأني قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم، كَسَبْتُ لي في يومين / خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا؛ فقال: وُفِّقتَ إن شاء الله.

سمع أحد الخمارين غناءه فبهت:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي:

/ كنت في شبابي أُلازِم أصحابَ قُطْرُبُلّ[5] وبارِي[6] وبِنّى[7] وما أشبه هذه المنازل[8]، فأتخذ فيهم الخَمّارَ

(١) الزمع (بالتحريك): شبه رعدة تأخذ الإنسان.

(٢) ضيق الحوصلة هنا كناية عن التسرّع وشدّة الحرص. وفي كتاب «ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه» أن ضيق الحوصلة يكنى به عن البخل.

(٣) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «ذهبت لأقوم».

(٤) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «ما أردنا إلا منفعتك».

(٥) قطربل (بضم أوّله وإسكان ثانيه وضم الراء المهملة أو فتحها، وتشديد الباء المضمومة، ويروى بفتح أوّله وطائه): قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر، كانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين وقد أكثر الشعراء من ذكرها. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري).

(٦) باري (بكسر الراء): قرية من أعمال كلواذي من نواحي بغداد، كانت بها بساتين ومتنزهات، يقصدها أهل البطالة.

(٧) بنى (بكسر أوّله وتشديد ثانيه والقصر): قرية على شاطىء دجلة من نواحي بغداد بينهما نحو فرسخين، وهي تحت كلواذي، وكانت في بغداد قريتان تسميان بهذا الاسم. وإحداهما أراد أبو نواس حين قال:

ما أبعد الرشد من قلب تضمنه ... قطربل فقري بني فكلواذي

(انظر «معجم البلدان» لياقوت).

(٨) في ط،ء: «المواخير».

اللطيفَ، يحسبوني[١] بالشراب الجيّد ويَخْبَؤه لي، فجئت إلى بارِي يوماً فلَقِيني خمّارِي، فقال لي: يا أبا إسحاق عندي شيء من بَابَتِك[٢]، وقد كنت عملتُ لَحْنِي هذا:

صوت

اشــرَبِ الــرَّاح وكُــنْ فــي ... شُــربــك الــرّاحَ وَقُــورَا
فــاشــربِ الــرّاح رَوَاحــاً ... وظــلامــاً وبُكــورا

ـ الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى[٣]. وفيه لمنصور زَلْزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش ـ قال: فدخلتُ بيته وبَزَلْتُ[٤] دَنّه وجعلتُ أُرَجِّع الصوتَ؛ فبُهِت ينظر إليّ والنبيذُ يجري حتى امتلأ الإناء وفاض؛ فقلت له: وَيْحَك! شرابُك قد فاض؛ فقال: دَعْني من شرابي، بالله مات لك إنسان في هذه الأيام؟ فقلت: لا؛ قال: فما بال حَلْقك هذا حزيناً[٥]؟.

[٥/١٩٨] / ألقى على مخارق صوتاً فلما أخذه بكي ومدحه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن عمّه طَيّاب بن إبراهيم قال:

دخلتُ على أبي يوماً وعنده مُخارِق وأبي يُلْقِي عليه هذا الصوت:

صوت

طَــرِبــتَ وأنــت مَعْنِــيٌّ كئيــبُ ... وقــد يَشتــاق ذو الحَــزَنِ الغــريــبُ
وشــاقَــك بــالمُــوَقَّــر[٦] أهــلُ خــاخ[٧] ... فــلا أَمَــمٌ هنــاكَ ولا قــريــبُ
وكــم لــك دونهــا مــن عُــرْض أرضٍ ... كــأنّ سَــرَابَهــا الجــاري سَبيــب
لَعَمْــرُك إنّنــي بــرَقيــم[٨] قَيْــس ... وجــارةِ أهلِهــا لأنــا الحَــرِيــبُ

(١) كذا في ط، ء، م. وفي باقي الأصول: «فيجيئني».
(٢) البابة: الوجه والمذهب. وفي «اللسان»: «يقال: هذا شيء من بابتك أي يصلح لك».
(٣) في ط، ء: «في مجرى البنصر».
(٤) بزل الدن: ثقبه ليسيل ما به من خمر.
(٥) في ب، س: «زين» بدون ألف في آخره. وفي سائر الأصول: «حزين حزين» مكرّراً.
(٦) الموقر: اسم موضع من عمل البلقاء بنواحي دمشق. ثم قال البكريّ في «معجم ما استعجم»: «وفي شعر الأحوص ما ينبئك أن الموقر من شق اليمن قال:

ألا طــرقتنــا بــالمــوقــر شعثــر ... ومــن دون مســراهــا قــديــد وعــزور
بــواد يمــان نــازح جــل نبتــه ... غضــا وأراكٍ ينضــح المــاء أخضــر»

(٧) خاخ: موضع بين الحرمين، ويقال له: روضة خاخ بالقرب من حمراء الأسد بالمدينة.
(٨) لم نوفق إلى «رقيم قيس» في المراجع التي بين أيدينا، والموجود «الرقيم» بدون إضافة، وهو موضع بقرب البلقاء من أطراف الشام، كان ينزله يزيد بن عبد الملك. فلعل رقيم قيس هو هذا الرقيم. ويرجح هذا أن الشعر هنا يدل على أن «رقيم قيس» قريب من «الموقر» الذي هو بجهة البلقاء. وقد ورد «الرقيم» مع «الموقر» هذا في شعر كثير يمدح يزيد بن عبد الملك:

يــزرن علــى تنــائيــه يــزيــدا ... بــأكنــاف المــوقــر والــرقــم

ـ الشعر للأحوص، والغناء لإبراهيمَ ماخُورِيٌّ بالبنصر عن عمرو ـ قال: فلما أخذه مخارِق جعل أبي يبكي، ثم قال له: يا مخارق، نِعمَ وسيلة[1] إبليس أنت في الأرض، أنت والله بعدي صاحب اللِّواء في هذا الشأن.

[٥/١٩٩] / استفزه ابنه إسحاق فتفاخرا في الغناء فحكم له:

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك عن إسحاق قال:

لما صنع أبي لحنَه في:

ليتَ هنداً أنجزتنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفُسَنا ممّا تَجِدْ

خاصمتُه وعِبْتُه في صنعته، وقلت له: أمَا بإزائك من ينتقد أنفاسك ويَعيب محاسنك وأنت لا تفكّر! تجيء إلى صوت قد عمل فيه ابنُ سُرَيْج لحناً فتُعارضه بلحن لا يقاربه والشعرُ أوسعُ من ذلك! فدَعْ ما قد اعتوَرَتْه[2] صناعةُ القدماء وخُذْ في غيره؛ فغضِب، وكنت لا أزال أُفاخِره بصنعتي وأعيب ما يُعاب من صنعته، فإن قَبِل مني فذلك، وإن غضِب داريتُه وترضَّيتُه؛ فقال لي: ما يعلم الله أني أدعك أو تفاخرني بخيرِ صوتٍ صنعتَه في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت؛ فلمّا رأيتُ الجِدّ منه اخترت صنعتي في هذا اللّحن:

قلْ لمَنْ صَدّ عاتبَا ونأى عنك جانِبَا

/ قد بلغتَ الذي أرد تَ وإن كنتَ لاعبا

٢٣ ٥

وكان ما تَجارَيْناه ونحن نَتَساير خارجَيْن إلى الصحراء نقطع فَضْلَةَ خُمَارٍ بنا[3]؛ فقال: مَنْ تُحِبّ أن يحكم بيني وبينك؟ فقلت: من تُرَى أن يحكم هاهنا؟ قال: أوّلُ من يطلُع [علينا][4] أُغنِّيه لحني وتُغنِّيه لحنك؛ فطمعتُ فيه وقلت نعم؛ فأقبلَ شيخ نَبَطِيٌّ يحمل شوكاً على حمار له، فأقبل عليه أبي فقال: إنّي وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء؛ قال: وأيّ شيء هو؟ فقلنا: زعَم كلُّ واحد منّا أنه أحسنُ غناءً من صاحبه، / فتسمَع منّي ومنه وتحكُم؛ [٥/٢٠٠] فقال: على اسمِ الله؛ فبدَأ أبي فغنّى لحَنه، وتبِعتُه فغنّيتُ لحني، فلما فرَغتُ أقبل عليّ فقال لي: قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى؛ فلَطَمَني أبي لَطْمةً ما مرّ بي مثلُها منه قطُّ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفاً ولا راجعتُه بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقْنا.

نسبة هذين الصوتين

صوت

ليت هنداً أنجزَتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفُسَنا ممّا تَجِدْ

واستبدّتْ مرّةً واحدةً إنما العاجزُ مَن لا يَسْتَبِدْ

(١) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «نعم فيشلة...».
(٢) اعتور الشيء: تداوله وتعاطاه.
(٣) كذا في ط،ء والخمار: بقية السكر. وفي سائر الأصول: «خمارينا» بالتثنية.
(٤) زيادة عن ط،ء.

زعمــوهــا ســألــتْ جــاراتِهــا[١] ذاتَ يــومٍ وتعــرّتْ تَبْتَــرِدُ[٢]
أكَمــا يَنْعَتُنِــي تُبْصِــرْنَنِــي عَمْــرَكُــنّ اللّــهَ أم لا يقتصِــدْ
فتضــاحَكْــنَ[٣] وقــد قُلْــنَ لهــا حسَــنٌ فــي كــلّ عيــنٍ مــن تَــوَدّ
حســداً حُمِّلْنَــه مــن أجْلِهــا وقَــديمــاً كــان فــي النــاس الحَسَــد

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة. ولحنُ إبراهيم فيه ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لابن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المَكيّ، وذكره إسحاقُ في هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد، وقال الهشاميّ: أدَلُّ شيء على أنه لمالكٍ شَبَهُه للحنه:

* إسْلَمِي يا دارُ مِن هندِ *

/ وفيه لمُتيَّم ثقيلٌ أوّل. وأما لحن إسحاقَ الذي فاخر به صنعةَ أبيه، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه ـ وهما[٤] جميعاً لإسحاق، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ـ في أخبار إسحاق. [٥/١٠١]

كان زلزل في الحبس فعمل فيه إبراهيم شعراً وغناه الرشيد فأطلقه:

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ حَمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال:

كان الرشيد قد وَجَد على منصور زَلْزَل لشيء بلغه عنه، فحبسه[٥] عشرَ سنين أو نحوَها؛ فقام الرشيد يوماً لحاجته، فجعل إبراهيمُ يغنّي صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زَلْزَل، وهو:

هــل دهــرُنــا بــك راجــعٌ يــا زَلْــزَلُ أيّــامَ يَبْغِينــا العــدوُّ المبطِــلُ
أيّــامَ أنــت مــن المَكــاره آمِــنٌ والخيــرُ مُتّسِــعٌ علينــا مُقْبِــلُ
يــا بــؤسَ مَــنْ فقَــد الإمــامَ وقُــرْبَــه مــاذا بــه مــن ذِلّــة لــو يَعْقِــل
مــا زلــتُ بعــدك فــي الهمــوم مُــرَدَّداً أبكــي بــأربعــةٍ[٦] كــأنّــي مُثْكِــلُ

ـ الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ـ قال: ودخل الرشيد وهو في ذلك / فجلس في مجلسه، ثم قال: يا إبراهيم، أيّ شيء كنتَ تقول؟ فقال: خيراً يا سيّدي؛ فقال: هاته فتلكّأ، فغضب الرشيد وقال: هاته فلا مكروهَ عليك، فردّ الغناء؛ فقال له: أتُحِبُّ أن تراه؟ فقال: وهل يُنْشَر أهلُ القبور؟ فقال: هاتوا زَلْزَلاً، فجاءوا به وقد ابيضّ رأسُه ولحيته فسُرّ به إبراهيم؛ وأمرَه فجلس، وأمر / إبراهيمَ فغنّى وضرب عليه فزَلْزَلا الدنيا، وشرب الرشيدُ على ذلك رِطلاً، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأسْنَى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله. قال: وزَلْزَلٌ [٢٤/٥] [٥/١٠٢]

---

(١) في ب، س: «جارتها» بالإفراد.
(٢) تبترد: تغتسل بالماء البارد.
(٣) في «الكامل» للمبرد: «فتهانفن». والإهناف والمهانفة والتهانف: ضحك فيه فتور كضحك المستهزىء. وخصه بعضهم بضحك النساء. (راجع «الكامل» للمبرد ص ٥٩٤ طبع ليبزج والحاشية رقم ٣ ص ١٨٦ من الجزء الأول من «الأغاني» من هذه الطبعة).
(٤) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «والشعر جميعاً...».
(٥) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «فحبسه عنه» بزيادة كلمة عنه.
(٦) يريد بالأربعة: اللحاظين والموقين للعينين، فإن الدمع يجري من الموقين فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضاً.

أوّلُ من أحدث هذه العيدانَ الشَّبَابِيط[1]، وكانت قديماً على عمل عيدان الفُرْس، فجاءت عَجَباً من العَجَب. قال: وكانت أُخْتُ زلزل تحت إبراهيمَ، وقد وَلَدت منه.

حديثه عن أوّل أستاذ له في الغناء:

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أوّلُ من تعلّمتُ منه الغناءَ مجنونٌ، كان إذا صِيح به: يا مُضَر، يَهِيج ويرجُم؛ فبلغني أنه يغنّي أصواتاً فيُجيدها، أخذها عن قدماء أهل الحجاز، فكنت أُدخِله إليّ فأُطعِمُه وأسقيه وأخدَعه حتى آخذَ عنه، وكان حاذقاً؛ فأوّلُ صوت أخذتُه عنه:

أَرْسِلي بالسّلام يا سَلْمِ إنّي ... منذُ عُلِّقْتُكم غنيٌّ فقيرُ

فالغِنَى إن ملكتُ أمرَكِ والفقـ ... ـرُ بأنّي أزورُ من لا يزور

وَيْحَ نفسي! تسلو النفوسُ ونفسي ... في هوَى الرّيم ذكرُها ما يَحُور

مَنْ لنفسٍ تَتُوق أنتِ هواها ... وفؤادٍ يكاد فيكِ يطير

ثم مكثتُ زماناً آخذ عنه، وكان إذا عاد إليه عقلُه من أحذقِ الناس وأقْوَمِهم على ما يؤدّيه؛ ثم غاب عنّي فما أعرِف خبره.

وهذا الشعر للوليد بن يزيد. والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر غيره أنه لعمر[2] الواديّ، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش.

[٥/٢٠٣] / **خرج مع الرشيد إلى الشام فأحسن إليه وخلع عليه ثيابه:**

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال:

خرجتُ مع الرشيد إلى الشأم لمّا غزا، فدعاني يوماً فدخلت إليه إلى مجلس لم أرَ أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرُّخام، فأكل وأمرني فأكلتُ معه، وجعلتُ أتولّى خدمتَه إلى العصر، ثم دعا بالنبيذ فشرِب وسقاني معه، ثم خلع عليّ خِلعةَ وَشْي من ثيابه وأمر لي بألف دينار، ثم قال: انظر يا إبراهيم، كم من يَدٍ أوْلَيتُك إيّاها اليومَ! نادمتَني مفرداً، وآكلتَني، وخلعتُ عليك ثيابي من بدني، ووصلتُك، وأجلستُك في إيوان مَسْلَمة بن عبد الملك تشرب معي؛ فقلت: يا سيّدي، ما ذهب عليّ شيء من تفضّلك، وإنّ نِعَمَك عندي لأكثرُ من أن تُحصَى، وقبّلتُ رِجلَه والأرضَ بين يديه.

هو أوّل من غنى الرشيد بعد أن ولي الخلافة بشعر له فيه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال قال دِعْبِل بن عليّ:

لمّا وَلِي الرشيدُ الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنّون، كان أوّل مَنْ غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه، وهو:

---

(١) الشبابيط: جمع شبوط، وهو ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كأنه بربط: (عود).

(٢) في ب، س: «لعمرو الوادي»، وهو تحريف.

صوت

إذا ظَلَمُ البلادِ(١) تَجَلَّلَتنا ... فهارونُ الإمامُ لها(٢) ضِياءُ

بهارونَ استقام العدلُ فينا ... وغاض الجَوْر وانفسح الرجاءُ

/ رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه ... كما سكنتْ إلى الحَرَمِ الظِّباءُ ٢٥ ٥

تَبِعْتَ من الرسول سبيلَ حقٍّ ... فشأنُك في الأمور به اقتداءُ

/ فقال له الخادم من خَلْفِ الستارة: أحسنتَ يا إبراهيم في شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. [٥/٢٠٤]
لحنُ إبراهيمَ في هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المَكّي.

دخل على قوم يغنيهم هاشم بن سليمان فلما عرفوه أكرموه، وشعره في ذلك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني يَزِيد بن محمد المُهَلَّبيّ قال حدّثني أبي قال:

كنتُ أنا وأبو سَعِيد النَّهْديّ(٣) وهاشم بن سليمان المغنّي يوماً مجتمعين في بُستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنّينا؛ فلمّا توسّطْنا أمرَنا إذا نحن برجل قد دخل علينا البستانَ جميلِ الهيئة حسنِ الزِّيّ، فلمّا بُصرنا به من بعيد، وثَب هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَه، فقبّل يدَه وعانقه، ولم يعرفه أحدٌ منا، فجاء وسلّم سلامَ الصَّديق على صديقه، ثم قال: خذوا في شأنكم، فإني اجتزتُ بكم فسمعتُ غناء أبي القاسم فاستخفّني وأطربني، فدخلت إليكم واثقاً بأنه لا يُعاشر إلّا فتًى ظريفاً يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه، ولي في هذا إمامٌ وهو عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال: إنما أدخلني عليكم مغنّيكم لمّا غنّى:

قُلْ لكرامٍ ببابنا يَلِجُوا ... ما في التَّصابي على الفتى حَرَجُ

وأنا أعلم أنّ نفوسكم متعلقة بمعرفتي، فمن عرفني فقد اكتفى، ومن جَهِلني فأنا إبراهيم الموصليّ؛ فقُمنا فقبّلنا رأسه وسُرِرنا به أتمّ سرور، وانعقدتْ بيننا وبينه يومئذ مودّة، ثم غاب عنّا غيبةً طويلة، وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رُقعةً فيها:

أهاشمُ هل لي مِنْ سبيلٍ إلى التي ... تُفرِّقُ همَّ النفس في كل مَذهبِ

مُعَتَّقةً صِرْفاً كأنّ شُعاعَها ... تَضَرُّمُ نارٍ أو تَوَقُّدُ كوكبِ

/ ألَا ربَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ ... بها والفتى النَّهْدِيُّ وابنُ المُهَلَّبِ [٥/٢٠٥]

نُدِيرُ مُداماً بيننا بتَحِيَّةٍ ... وتَفْدِيَةٍ بالنفس والأمّ والأب

سرق عقعق لابنه إسحاق خاتماً له فهجاه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

---

(١) كذا في الأصول. ومع استقامة الكلام به لا يبعد أن يكون: «إذا ظلم البلاء...».
(٢) في ط،ء: «لنا».
(٣) كذا في ب، س، م، أ. وفي ط،ء، حـ: «المهري» بالميم والراء. وسيذكر هذا الاسم في الشعر الآتي مضطرباً أيضاً ففي ب، س: «النهدي». س، م، أ: «المهدي». وفي حـ: «البهري» وفي ط،ء: «المهري»، و «النهديّ» و «المهريّ» من النسب المعروفة ولم نوفق إلى وجه الصواب في هذا الاسم.

كان[١] لي وأنا صبيّ عَقْعَقٌ[٢] قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شيء سمعه، فسرق خاتَمَ ياقوتٍ كان لأبي[٣] قد وضعه على تُكَأته ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده، فطلبه وضرب غلامَه الذي كان واقفاً، فلم يَقِف له على خبر؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في دارنا إذ أبصرتُ العقعقَ قد نَبش تراباً فأخرج الخاتَم منه ولعب به طويلاً، ثم ردّه فيه ودفَنه، فأخذتُه وجئت به إلى أبي، فسُرّ بذلك وقال يهجو العقعق:

إذا بـــارك الله فـــي طـــائـــرٍ فـــلا بـــارك الله فـــي العقعـــقِ

طـويـل الـذُّنـابَـى[٤] قصيـر الجنـاح متـــى مـــا يجـــد غَفْلـــةً يســـرق

يُقلِّـــب عينيـــن فـــي رأســـه كـــأنهمـــا قَطْـــرتـــا زِئْبَـــق

قصته مع ابن جامع بين يدي الرشيد وما كان منه في رضا الرشيد عن محمد الزف:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن المَكّيّ، وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظَة بهذا الخبر فقال حدّثني به محمد بن أحمد بن يحيى المكي / المرتجل[٥] عن أبيه عن جدّه، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل فجمعت الرواياتِ كلَّها: ٢٦ ٥

[٢٠٦/٥] / أنّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى: قد طال سماعنا هذه العصابةَ على اختلاط الأمر فيها فهلمَّ أُقاسمْك إياها وأُخايرْك، فاقتسما المغنّين، على أن جعلا بإزاء كل رجل نظيرَه، وكان ابن جامع في حيِّز الرشيد وإبراهيم في حيِّز جعفر بن يحيى، وحضر الندماءُ لِمُحنة[٦] المغنّين، وأمر الرشيدُ ابنَ جامع فغنّى صوتاً أحسن فيه كلَّ الإحسان وطرِب الرشيد غايةَ الطرب، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم: هات يا إبراهيم هذا الصوتَ فغنّه؛ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه، وظهر الانكسار فيه؛ فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لإسماعيل بن جامع: غنّ يا إسماعيل، فغنّى صوتاً ثانياً أحسن من الأول وأرضى في كل حال، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم: هاته يا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا؛ فقال: هذان اثنان، غنّ يا إسماعيل، فغنّى ثالثاً يتقدّم الصوتين الأوّلين ويفضُلُهما، فلما أتى على آخره، قال: هاته يا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا أيضاً؛ فقال له جعفر: أخزيتَنا أخزاك الله. قال: وأتمّ ابنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به، وأجازه بجوائزَ كثيرةٍ وخلَع عليه خِلَعاً فاخرة، ولم يزَل إبراهيمُ مُنخذِلاً مُنكسِراً حتى انصرف. قال: فمضى إلى منزله، فلم يستقرّ فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزّف[٧]، وكان محمد من المغنّين المحسنين، وكان أسرعَ من عُرِف في أيامه في أَخْذ صوت يريده أَخْذَه، وكان الرشيد قد وجَد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه؛ فقال إبراهيم للزّف: إني اخترتك على من هو

(١) في ب، س، م: «وكان».
(٢) العقعق: طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب، وجناحاه أكبر من جناحي الحمامة، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل في السرقة والخيانة والخبث.
(٣) كذا في ط، و. وفي سائر النسخ: «فوضعه».
(٤) الذنابي: الذنب.
(٥) كذا في ط، و. وفي سائر الأصول: «المرتحل» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.
(٦) المحنة: الاختبار، يقال: محنه إذا اختبره وجرّبه.
(٧) في ط، و: «الرف» (بالراء المهملة). (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ من الجزء الأوّل من «الأغاني» من هذه الطبعة).

أحبّ إليّ منك، لأمرٍ لا يصلُح له غيرك، فانظُر كيف تكون[١]! قال: أبلُغ في ذلك محبّتك إن شاء الله تعالى؛ فأدّى إليه الخبر وقال: أريد أن تمضي الساعة / إلى ابن جامع، فتُعلمه أنك صِرت إليه مُهنّئاً بما تهيّأ له عليّ، وتنَقّصْني[٢] [٥/٢٠٧] وتَثْلِبُني[٣] وتَشتِمُني، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه، ولك ما تُحبُّه من جهتي من عَرَض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله. قال: فمضى من عنده واستأذن على ابن جامع فأذِن له، فدخل وسلّم عليه وقال: جِئتك مهنّئاً بما بلغني من خبرك، والحمد لله الذي أخزى ابنَ الجُرْمُقانيّة[٤] على يدك، وكشف الفضل في محلّك من صناعتك؛ قال: وهل بلغك خبرُنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلي؛ قال: وَيْحَك! إنه يقصُر عن العِيان؛ قال: أيها الأستاذ، سُرَّني بأن أسمعه من فيك حتى أَرْوِيَه عنك، وأَسْقِطْ بيني وبينك الأسانيدَ؛ قال: أقم عندي حتى أفعلَ؛ قال: السمع والطاعة؛ فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب، ثم ابتدأ فحدّثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأوّل؛ فقال له الزّف: وما هو أيها الأستاذ؟ فغنّاه ابن جامع إياه، فجعل محمد يُصفّق وينعِرُ[٥] ويشرب وابن جامع مجتهدٌ في شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثاني، فغنّاه إياه، وفعل مثلَ فعله في الصوت الأوّل، ثم كذلك في الصوت الثالث؛ فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلّها وأحكمها قال له: يا أستاذ، قد بلغتُ ما أُحبّ، فتأذن لي في الانصراف؟ قال: إذا شئتَ؛ فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم؛/ فلما طلع من ٢٧/٥ باب داره قال له: ما وراءك؟ قال: كلّ ما تحب، أُدعُ لي بعُود، فدعا له به، فضرب وغنّاه الأصوات؛ قال إبراهيم: وأبيك / هي بصُوَرها[٦] وأعيانها، رَدّدها عليّ الآن، فلم يزل يُردّدها حتى صحّتْ لإبراهيم، وانصرف الزّف إلى [٥/٢٠٨] منزله؛ وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنّين دخل فيهم، فلما بُصر به قال له: أوَ قد حضرت! أما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقِيتَ من ابن جامع! قال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداءك! والله لئن أذِنتَ لي أن أقول لأقولنّ؛ قال: وما عساك أن تقول؟ قل؛ فقال: إنه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطاً لشيء فيُعارِضَك، ولا أن تكون مُتعصّباً لحيّزٍ وجَنْبَةٍ[٧] فيغالبَك، وإلا فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال: دَعْ ذا عنك، قد أقررتَ أمسِ بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ، فليس هاهنا عصبيّة ولا تمييز، فاندفع فأمَرّ الأصوات كلّها، وابن جامع مُصْغٍ يسمع منه، حتى أتى على آخرها؛ فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المُحْرِجة أنه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هي إلا من صَنْعته، ولم تخرج إلى أحد غيره؛ فقال له: وَيْحَك! فما أحدثتَ بعدي؟ قال: ما أحدثت حدَثاً؛ فقال: يا إبراهيم بحياتي اصدُقني! فقال: وحياتِك لأصْدُقنّك، رميته بحَجَره[٨]، فبعث له بمحمد الزّف وضمِنتُ له ضماناتٍ، أوّلها رضاك عنه،

---

(١) في ب، س، حـ: «كيف يكون».

(٢) كذا في ب، س. وفي ط، ء: «وتقصبني» بالباء الموحدّة أي تعيبني وتشتمني.

(٣) ثلبه: عابه وتنقصه.

(٤) الجرمقاني، ومثله الجرمقي: واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادّة جرمق).

(٥) نعر الرجل (من بابي ضرب ومنع): صاح وصوّت بخيشومه.

(٦) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «بصورتها».

(٧) الجنبة: الناحية.

(٨) في أساس البلاغة: «ورمى فلان بحجره إذا قرن بمثله».

فمضى فاحتال[١] لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليّ، وقد[٢] سقط الآن اللّوم عنّي بإقراره، لأنه ليس عليّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمني أن يعرف[٣] هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا، وإلاّ فلو لزمني أن أروىَ صنعته للزمه أن / يروى صنعتي، ولزم كلَّ واحد منا لسائر[٤] طبقته ونظرائه مثلُ ذلك، فمن قصّر عنه كان مذموماً ساقطاً؛ فقال له الرشيد: صدقتَ يا إبراهيم، ونَفَحتَ[٥] عن نفسك، وقمت بحجّتك؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له: يا إسماعيل، أُتِيتَ أُتيتَ! دُهِيتَ دُهِيتَ! أبطل عليك الموصليّ ما فعلتَه به أمسِ وانتصف اليومَ منك؛ ثم دعا بالزّفّ فرضي عنه.

[٥/٢٠٩]

الأصوات التي غنى بها ابن جامع وبيان ما يتصل بها:

قال عليّ بن محمد: سألت خالي أبا عبدالله بن حَمْدون وقد تجارَيْنا هذا الخبرَ: هل تعرف أصوات ابن جامع هذه؟ فأخبرني أنه سمع إسحاقَ يحكى هذه القصّة، وذكر أنّ الصوت الأوّل منها:

صوت

بكيتُ نعمْ بكيتُ وكلّ إلْفٍ ... إذا بانت قرينتُه بكاها
وما فارقتُ لُبْنَى عن تَقالٍ[٦] ... ولكن شِقْوةٌ بلغتْ مَداها

الشعر لقَيْس بن ذَرِيح. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه ليحيى المكيّ ثاني ثقيلٍ آخرُ بالخنصر والبنصر من كتابه. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ*[٧] أوّل عن الهشاميّ.

قال: والثاني منها.

صوت

عفت دارَ سَلْمَى بمُفْضَى الرَّغام ... رياحٌ تَعاقَبُها[٨] كلَّ عامِ
خِلافَ[٩] الحلولِ بتلك الطّلول ... وسَحْبِ الذُّيول بذاك المقام
/ وأنس الديار وقرب الجِوار ... وطيب المَزار وردّ السلامِ
ودهرٍ غَرِيرٍ[١٠] وعيش السّرور ... ونأى الغَيور وحُسن الكلام

[٥/٢١٠] ٢٨ ٥

الشعر لحَمّاد الرّاوية. والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالبنصر؛ [ذكر[١١] ذلك الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو].

---

(١) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «فمضى حتى احتال... إلخ».
(٢) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «ونقلتها حتى سقط».
(٣) في ب، س: «ألا يعرف». وظاهر أنه تحريف.
(٤) كذا في ط،ء، حـ. وفي سائر الأصول: «كسائر»، وهو تحريف.
(٥) كذا في ط،ء. ونضح الرجل عن نفسه: دفع عنها بالحجة. وفي سائر الأصول: «نصحت» بالصاد المهملة، وهو تصحيف.
(٦) كذا في أكثر الأصول. والتقالي: التباغض. وفي ب، حـ: «ثقال» (بالثاء المثلثة) وهو تصحيف.
(٧) في ط،ء: «ثقيل أوّل آخر».
(٨) في ط،ء: «توارثها».
(٩) كذا في ط،ء، حـ. أي بعده. وفي باقي الأصول: «خلال» باللام.
(١٠) كذا في حـ، ط،ء. وفي سائر الأصول: «عزيز».
(١١) زيادة عن ط،ء.

قال ابن حَمْدون: وهذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النَّغَم، مُحكَم العمل، من صدور أغاني ابن جامع ومتقدّمِ صنعته، وكان المعتصم مُعجَباً به، وكثيراً ما كان يُسْكِت المغنّين إذا غُنّي بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه.

قال: والثالث منها:

صوت

نَـزَفَ البكـاءُ دمـوعَ عينـك فـاستَعِـرْ عينـــاً لغيـــرك دمعُهـــا مِـــدْرارُ
مَـــنْ ذا يُعيـــرك عينَـــه تبكـــي بهـــا أرأيـــتَ عينـــاً للبكـــاء تُعـــارُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى؛ وقال ابن حمدون: وعارَضَه إبراهيم بعد ذلك في [هذا][1] الشعر، فصنع فيه لحناً من الرَّمَل بالبنصر في مجراها، فلم يَلْحَقه ولا قاربه. قال: وقد صُنع أيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغي أن يُذكر هاهنا.

حدّثني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني أبو عبدالله الحَزَنْبَلُ قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال:

أُنْشِد بشارٌ قولَ العبّاس بن الأحنف:

نَـزَفَ البكـاءُ دمـوعَ عينـك فـاستعـرْ عينـــاً لغيـــرك دمعهـــا مـــدرارُ

/ فقال بشار: لحِق والله هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يُدخِل نفسه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر. [٥/٢١١]

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال:

أُنشد الرشيدُ قولَ العباس:

مـــن ذا يُعيـــركَ عينَـــه تبكـــي بهـــا أرأيـــت عينـــاً للبكـــاء تُعـــارُ

فقال: يُعيره مَنْ لا حَاطَه الله ولا حفِظه.

ومما يُغَنّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائيّة التي هذا الصوت[2] الأخير منها قولُه:

صوت

الحـــبُّ أوّلُ مـــا يكـــون لَجَاجـــةً تـــأتـــي بـــه وتســـوقُـــه الأقـــدارُ
حتـــى إذا سلَـــك الفتـــى لُجَـــجَ الهـــوى جـــاءت أمـــورٌ لا تُطـــاق كِبـــارُ

غنّاه ابْن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر. وفيه لِشاطرةَ امرأةِ منصورِ زَلْزَلٍ ثقيلٌ[9] أوّلُ بالوسطى عن الهشامي. وذكر

(١) في س، ب، م: «التي هي الصوت الآخر منها». وفي حـ: «التي هي الصوت الأوّل منها».
(٢) في حـ: «ثاني ثقيل أوّل بالوسطى».

ابنِ المكيّ المرتجِلُ أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقةُ[1] من ابن جامع:

[٥/٢١٢] / * يا قبرُ بين بيوت آل مُحَرِّقٍ[2] *

و: * عفا طَرَفُ القُرَيَّة[3] فالكثيبُ *

وأسقط منها قوله:

* نزف البكاء دموع عينك فاستعر *

و: * بكيتُ نعم بكيتُ وكلُّ إلف *

نسبة هذين الصوتين

صوت

يـا قبـرُ بيـن بيـوتِ آل مُحـرِّقٍ جـادت عليـك رَوَاعِـدٌ وبُـروقُ

٢٩/٥ / أمّـا البكـاء فقَـلّ عنـك كثيـرُه ولئـن بكيـتُ فبالبكـاء حقيـق[4]

[٥/٢١٣] / الشعر لرجل من بني أسد يَرثي خالد بن نَضْلة[5] ورجلاً آخر[6] من بني أسد كانا نديمين للمنذر[7] بن ماء

---

(١) في ط،ء: «المعروفة».

(٢) آل محرق هنا: هم ملوك الحيرة من لخم، ومحرّق الذي أضيفوا إليه هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي أحد ملوكهم، ويقال له: المحرّق الأكبر. ولقب به أيضاً من اللخميين عمرو بن هند من ملوكهم، ويقال له: المحرق الثاني، وابن النعمان بن المنذر شاعر. وفيهم يقول الأسود بن يعفر:

مـاذا أؤمـل بعـد آل محـرّق تـركـوا منـازلهـم وبعـد إيـاد

ومحرق ـ أيضاً ـ: لقب الحارث بن عمرو أبي شمر ملك الشام من آل جفنة لأنه أوّل من حرق العرب في ديارهم. ويقال لآل جفنة أيضاً: آل محرّق (ملخص عن «اللسان»، و«القاموس» و«شرحه» مادة حرق، و«المعارف» لابن قتيبة ص ٣١٧).

(٣) القرية (بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد الياء تصغير قرية): تطلق على عدّة أماكن كما ذكر ياقوت في معجمه، ومنها موضع بنواحي المدينة ذكره ابن هرمة في قوله:

انظـر لعلـك أن تـرى بسـويقـة أو بـالقـريـة دون مفضـي عـاقـل

والقرية أيضاً: من أشهر قرى اليمامة، لم تدخل في صلح خالد بن الوليد يوم قتل مسيلمة الكذاب. والمرجح أنها هي المعنية بهذا الشعر، وذلك لذكرها مع ملحاه التي هي واد من أعظم أودية اليمامة، وستأتي فيما بعد عند ذكر الشعر.

(٤) في ط،ء: «خليق».

(٥) كذا في جميع الأصول هنا و«معجم ما استعجم» للبكري (ص ٦٩٤ طبع أوروبا) و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص ١٤٤ طبع أوروبا) و«سيرة ابن هشام» (ج ١ ص ٤٠١ طبع أوروبا) و«معجم البلدان» لياقوت (ج ٣ ص ٧٩٢ طبع أوروبا). وفي «أمالي القالي» (ج ٣ ص ١٩٥ طبع دار الكتب المصرية) و«شرح قصيدة ابن عبدون» (ص ١٣٢ طبع أوروبا) و«الأغاني» (ج ١٩ ص ٨٦ طبع بولاق): «خالد بن المضلل». وكلاهما محتمل هنا أن يكون هو المراد ولا سيما أنهما كانا يظلهما عصر واحد وأن كليهما أسدي. وقد عنى هذين الخالدين الأسود بن يعفر في قوله:

فـإن يـك يـومـي قـد دنـا وإخـالـه كـواردة يـومـاً إلـى ظـمء منهـل

فقبلـي مـات الخـالـدان كـلاهمـا عميـد بنـي حجـوان وابـن المضلـل

(٦) هو عمرو بن مسعود. وقد رثتهما هند بنت معبد بن نضلة ـ كما في «سيرة ابن هشام» و«معجم ما استعجم» للبكريّ. وهذا يرجح أنه خالد بن نضلة ـ قالت لما قتلا:

ألا بكـر النـاعـي بخيـري بنـي أسـد بعمـرو بـن مسعـود وبـالسيـد الصمـد

وتعني بالسيد الصمد: خالد بن نضلة عمها.

(٧) يؤيد الأصول هنا في أن صاحب القصة هو المنذر بن ماء السماء ما ورد في «أمالي القالي» (ج ٣ ص ١٩٥ طبع دار الكتب المصرية) =

السماء، فقتلهما في سُخْطه عليهما؛ وخبرُ ذلك مشهور في أبخار أبْن[١] جامع. والغناء لابن جامع، وله فيه لحنان: ثقيل أوّل بالوسطى، ورمل بالبنصر، وقيل: إن الرَّمَل لابن سُرَيج. وذكر حَبَشٌ أن لمحمد صاحب البِرَام فيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.

/ ومنها: [٥/٢١٤]

صـوت

عفـا رَسْـمُ[٢] القُـريّـة فـالكثيـبُ ... إلـى مَلْحَـاء[٣] لـيـس بهـا عَـرِيـبُ[٤]

تـأبّـد[٥] رسمُهـا وجـرى عليهـا ... سَفِـيّ[٦] الـريـح والتُّـربُ الغـريـبُ

فـإنـك واطّـراحَـك وصـلَ سُعْـدى ... لأخـرى فـي مـودّتهـا نُكـوبُ

كثـاقبـةٍ لحَلْـيٍ مستعـار ... بـأذنيْهـا فشـأنَهمـا[٧] الثُّقـوبُ

فـردّت حَلْـيَ جـارتهـا إليهـا ... وقـد بقيـت بـأذنيْهـا نُـدوبُ[٨]

الشعر لابن هَرْمة. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. [عن إسحاق][٩]. وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو. وقال عمرو: فيه لحنٌ للهذليّ، ولم يُجنّسه.

أخبرني[١٠] محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني عيسى بن أيوب القُرَشيّ قال حدّثني غَيْث بن عبد الكريم عن فُلَيْح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب[١١] عن أبيه قال:

/ مررتُ بابن هَرْمة وهو جالس على دُكّان[١٢] في بني زُرَيق، فقلت له: يا أبا إسحاق، ما يُجلسك هاهنا؟ [٥/٢١٥] قال: بيت كنت قلته ثم انقطع عليّ الرويّ فيه وتعذّر عليّ ما أشتهيه، فأبغضته وتركته؛ قلت: ما هو؟ قال:

= و «كتاب الأوائل» لإسماعيل بن هبة الله الموصلي، و «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الغريين (ج ٣ ص ٧٩٢). والذي في «سيرة ابن هشام» (ج ١ ص ٤٠١) و «كتاب المعارف» لابن قتيبة (ص ٣١٩) و «شرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون» (ص ١٣٢ طبع أوروبا) و «معجم ما استعجم» للبكري و «طبقات الشعراء» لابن قتيبة: أن صاحب القصة هو النعمان بن المنذر بن ماء السماء.

(١) بالبحث في أخبار ابن جامع التي ذكرت في الجزء السادس من «الأغاني» طبع بولاق لم نجد بينها هذا الخبر، وإنما وجد في أخبار عبيد بن الأبرص في الجزء التاسع عشر طبع بولاق.

(٢) فيما تقدم في جميع الأصول وفي ط، ء هنا: «طرف القرية».

(٣) ملحاء: واد من أعظم أودية اليمامة.

(٤) عريب: أحد.

(٥) تأبد المنزل: أقفر.

(٦) السفيّ: التراب المنذري المتبدد.

(٧) في ط، ء: «فشانتها».

(٨) الندوب: آثار الجرح في الجسم.

(٩) الزيادة عن ط، ء.

(١٠) كذا ورد هذا الخبر مقدماً في ط، ء على الذي يليه، وهو الذي يناسب اطراد السياق.

(١١) في ط، ء: «مولى خزاعة».

(١٢) الدكان: الدكة المبنية للجلوس عليها.

فإنك وٱطِّراحَك وصلَ سُعْدَى ... لأخرى في مودّتها نُكوبُ

قال: قلته ثم انقطع بي فيه؛ فمرّت بي جُوَيْرِية صفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبداً وأُكلّمها إذا مرّت بي، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِم وجهها وتغيّر خَلقُها، [عما أعرف][١]، فسألتُها عن خبرها فقالت: [كان في بني فلان عُرْسٌ أردت حضوره][١] فاستعار لي أهلي حَلْياً وثقَبوا أذني لألبَسه فورِم وجهي وأُذناي كما ترى، فردّوه ولم أشهد العُرْس؛ قال ابن هَرْمة: فاطَّرَد لي الشعرُ فقلت:

كثاقبةٍ لحَلْيٍ مستعارٍ ... بأذنيها فشانَهما الثقوبُ

فردّت حَلْيَ جارتها إليها ... وقد بقيت بأذنيها نُدوبُ

سرق إبراهيم بن المهدي شعره ولحنه وغنى به الرشيد:

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني العبّاس بن الفَضْل قال حدّثني أبي قال:

قال الرشيد لإبراهيم بن المهديّ وإبراهيم الموصليّ وابنِ جامع وابنِ أبي الكَنّات: باكِروني غداً، وليكن كلّ واحد قد قال شعراً إن كان يقدِر أن يقولَه، وغنّى فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً غنّى في شعر غيره. قال إبراهيم بن المهديّ: فقمتُ في السَّحَر وجَهَدت أن أقدِر على شيء أصنعه فلم يتّفق لي، فلمّا خِفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم: إني أُريد أن أمضي إلى موضع ولا يَشعرُ بي أحد / حتى أصيرَ إليه، وكانوا[٢] يَبيتون على باب داري، [٢١٦/٥] فقمت فركبت وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصليّ، وكان قد حدّثني أنه إذا أراد الصنعة لم يَنَمْ حتى يُدبِّر ما يحتاج إليه، وإذا قام لحاجته في السَّحَر[٣] اعتمد على خشبة له في المُسْتَراح، فلم يزل يَقرَع عليها حتى يَفْرُغَ من الصوت ويرسَخَ في قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مُستَراحه، فإذا هو يُردّد هذا الصوت:

صوت

إذا سُكِبتْ في الكأسِ قبل مِزاجها ... تَرى لونَها في جِلدة الكأس مُذْهَبَا

وإن مُزِجتْ راعتْ بلونٍ تخاله ... إذا ضُمّنتْه الكأسُ في الكأس كوكبَا

أبوها نِجاء[٤] المُزْن والكَرْمُ أُمّها ... فلم أرَ زَوْجاً[٥] منه أشهى وطيّبَا

فجاءتك[٦] صَفْراً أشبهت غيرَ جنسها ... وما أشبهت في اللون أُمّاً ولا أبا

قال: فما زِلتُ واقفاً أستمع منه الصوتَ حتى أخذتُه؛ ثم غدَوْنا إلى الرشيد، فلمّا جلسنا للشّرب خرج الخادمُ إليّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: يابنَ أمّ غنّني؛ فاندفعتُ فغنّيتُ هذا الصوت والموصليّ في الموت حتى فرَغتُ

---

(١) الزيادة عن ط،ء.
(٢) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «وكانوا في زبيديات لي يبيتون فيها على باب داري فقمت فركبت في إحداها وقصدت...». ولم ندر ما الزبيديات التي كانوا يبيتون فيها ثم ركب هو إحداها. ولعلها ضرب من العجل (العربات) نسب إلى زبيدة زوج الرشيد.
(٣) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «في استحى». والحش (مثلث الحاء) في الأصل: البستان، وأطلق على موضع قضاء الحاجة والمتوضأ لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين. والجمع: حشوش.
(٤) النجاء: جمع النجو وهو السحاب الذي قد هراق ماءه ثم مضى، وقيل: هو السحاب أوّل ما ينشأ.
(٥) الزوج: النوع والصنف.
(٦) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «مخائل صفراً» وهو تحريف.

منه، فشرب عليه وأمر لي بثلثمائة ألف / درهم؛ فوثب إبراهيم الموصليّ فحلف بالطلاق وحياة / الرشيد أنّ الشعر [٥/١٧ ٣٠ ٥] له قاله البارحة وغنّى فيه، ما سبقه إليه أحدٌ؛ فقال إبراهيم: يا سيّدي، فمن أين هو لي أنا لولا كذبُه وبُهْتُه[(١)]! وإبراهيم يضطرب ويضِجّ[(٢)]؛ فلمّا قضيتُ أرَباً من العَبَث به قلتُ للرشيد: الحقُّ أحقّ أن يُتّبع، وصَدَقتُه؛ فقال للموصليّ: أمّا أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى ردّه، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما جرى عليه، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظّك؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه.

سأله محمد بن يحيى أن يقيم عنده في يوم مهرجان وله كل الهدايا التي تهدى إليه، فلما صارت إليه فرّقها جميعاً:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مخارق قال:

أتى إبراهيمُ الموصليّ محمدَ بن يحيى بن خالد في يوم مِهْرجان، فسأله محمدٌ أن يقيم عنده؛ فقال: ليس يمكنني لأن رسول أمير المؤمنين قد أتاني[(٣)]؛ قال: فتمرّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندي كلُّ ما يُهْدَى إليّ اليومَ؟ فقال: نعم، وترك في المجلس صديقاً له يُحصِي ما يُبعث [به][(٤)] إليه؛ قال: فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْب؛ قال: وأُهدِيَ إليه تِمْثالُ فيلٍ من ذهب عَيْناه ياقوتتان؛ فقال محمد للرجل: لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال: أحضِرني ما أُهدي لك، فأحضره ذلك كلَّه إلا التمثالَ، وقال: لا بدّ من صِدْقك، كان من الأمر كذا وكذا؛ فقال: لا! إلّا على الشّريطة وكما ضَمِنْتَ، فجيءَ بالتمثال؛ فقال إبراهيم: أليس الهديّة لي فأعملَ فيها ما أريد؟ قال: بلى، قال: فرُدَّ التمثال على الجارية؛ وجعل يُفَرِّق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من في دُور الحُرَم[(٥)] من جواريه حتى لم يبقَ منها شيء، ثم أخذ من / المجلس تُفّاحتين لمّا أراد الانصراف وقال: هذا لي، وانصرفَ؛ فجعل محمد يَعْجَب من كِبَر نفسه ونُبْله. [٥/١٨]

زاره الرشيد ليلاً وغنته جواريه:

وقال أحمد بن المَرْزُبان حدّثني بعض كتاب السلطان:

أنّ الرشيد هبّ ليلةً من نومه، فدعا بحمار كان يركبه في القَصْر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه، وخرج في دُرّاعة وَشْيٍ مُتلثّماً بعمامةِ وشيءٍ ملتحفاً بإزارِ وَشْيٍ، بين يديه أربعمائة / خادم أبيضَ[(٦)] سوى الفَرّاشين، وكان [٣١ ٥] مسرورٌ[(٧)] الفَرْغانيّ جريئاً عليه لمكانه عنده، فلما خرج من باب القصر قال: أين يريد أميرُ المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردتُ منزل الموصليّ. [قال مسرورٌ:][(٨)] فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم؛ فخرج فتلقّاه وقبّل حافرَ حماره وقال له: يا أمير المؤمنين، أفي مثل هذه الساعة تظهر! قال: نعم، شوقٌ طَرق لك

(١) البهت (بالضم): الافتراء والكذب.
(٢) في ط،ء: «ويصيح».
(٣) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «لأن رسول أمير المؤمنين قاعد».
(٤) الزيادة عن ط،ء.
(٥) في ب، س: «في دور الخدام».
(٦) في ط،ء: «أسود».
(٧) كذا في ط،ء. وفي باقي الأصول: «منذر الفرغاني». ولم نعثر على هذا الاسم فيما بين أيدينا من الكتب التي تحدثت عن حياة الرشيد الخاصة والعامة.
(٨) الزيادة عن ط،ء.

بي؛ ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم؛ فقال له إبراهيم: يا سيّدي أتنشَط لشيء تأكله؟ فقال: نعم، خاميز[1] ظبي، فأُتِي به كأنما كان مُعَدًّا له، فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشراب حُمِل معه؛ فقال الموصليّ: يا سيّدي، أُوَغنّيك أم تغنّيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري؛ فخرج جواري إبراهيمَ فأخذْنَ صدرَ الإيوان وجانبيه؛ فقال: أيضرِبْن كلُّهن أم واحدة؟ فقال: بل تَضرب اثنتان اثنتان وتُغنّي واحدة / فواحدة، ففعلن ذلك حتى مرّ صدرُ [٥/٢١٩] الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشَط[2] لشيء من غِنائهنّ، إلى أن غنّت صبيّةٌ من حاشيته[3]:

يـا مُـورِيَ الـزَّنـد قـد أعيـتْ قـوادحُـه ... اقْبِـسْ إذا شئـتَ مـن قلبـي بمقبـاسِ

مـا أقبـحَ النـاسَ فـي عينـي وأسمجَهـم ... إذا نظـرتُ فلـم أُبصـرك فـي النـاس

قال: فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ، فاستدناها فتقاعَسَت، فأمَر بها فأُقيمت حتى وُقِفتْ[4] بين يديه، فأخبرته بشيء أسرّتْه إليه؛ فدعا بحماره فركبه وانصرف، ثم التفت إلى إبراهيم فقال: ما ضَرّك ألّا تكون خليفة!؛ فكادت نفسُه تخرج، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك. قال: وكان الذي خَبّرتْه [به][5] أن الصنعة في الصوت لأخته عُلَيّة بنت المهديّ، وكانت الجارية لها وجّهتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها، فغار الرشيد. ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل.

شعره في ابنة خمارة كان يألفها:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان أبي يألف خَمّارةً بالرّقة يقال لها بِشرة[6] تنزل الهنيءَ[7] والمَريء، وكانت لها بنت من أحسن الناس وجهاً فكان أبي يتحلّاها[7]، ثم رحل الرشيد عن الرّقة إلى بلاد الروم [في بعض غزواته][8]، فقال أبي فيها:

[٥/٢٢٠] / أيَـا بنـتَ بِشْـرةَ مـا عـاقَنِـي ... عـن العهـد بَعْـدَكِ مـن عـائـقِ

نَفَـى النَّـومَ عنّـي سنـا بـارق ... وأشهقنـي فـي ذُرَى شـاهـق

قال: وفيها يقول [أيضاً][9] من أبيات له، وله فيها صنعة من الرَّمَل الأوّل:

---

(١) الخاميز: اسم أعجمي تعريبه عامص وآمص، وبعضهم يقول: عاميص وآميص، وهو طعام يتخذ من لحم عجل بجلده، أو مرق السكباج (الأكارع تطبخ بمرق فيه عصير الليمون ثم تغرف بمرقتها وتترك حتى تبرد ويجمد المرق فيكون في قوام الفالوذج، وهو أيضاً لحم أو سمك يطبخ بخل) المبرد المصفى من الدهن.

(٢) في ط،ء: «ولا ينبسط».

(٣) أي من حاشية الإيوان. وفي ط،ء و «مختار الأغاني»: «من حاشية الصفة». والصفة: شبه البهو الواسع الطويل السمك، وهي أيضاً: طرته، أي طرفه وحرفه.

(٤) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «أوقفت» بزيادة الهمزة، وهي لغة رديئة.

(٥) الزيادة عن ط،ء.

(٦) في «شرح القاموس» (مادة بشر): «وبشرة بالكسر اسم جارية عون بن عبدالله»، ثم ذكر البيت إلا أنه نسبه إلى إسحاق لا إلى أبيه.

(٧) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٦ من هذا الجزء.

(٨) تحلى الشيء واستحلاه واحلولاه بمعنى.

(٩) زيادة عن ط،ء.

صوت

وزعمــتِ أنّــي ظــالــمٌ فهجــرتِنــي ... ورَمَيْــتِ فــي قلبــي بسهــمٍ نــافــذِ
ونَعَــمْ ظلمتُــكِ فــاغفــري وتجــاوَزِي ... هــذا مَقــامُ المستجيــر العــائــذ

ذكر حمّاد في هذا الخبر أن لحنَ جدّه من الرَّمَل. ووجدتُ في كتاب أحمد بن المكيّ أنّ له فيهما لحنين: أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثاني ثقيل.

أغانيه في السجن:

حدّثني عيسى بن الحسين[1] الورّاق قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد[2] قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزَاعيّ قال:

حبس الرشيدُ إبراهيمَ الموصليّ عند أبي العبّاس (يعني أباه عبدالله[3] بن مالك) فسمعناه ليلةً وقد/ صنع هذا اللحن وهو يكرره حتى يستوي[4] له: ٣٤/٥

يــا أخــلاّءِ قــد مَلِلْــتُ مكــانــي ... وتــذكّــرتُ مــا مضــى مــن زمــانــي
شُــرْبِــيَ الــراحَ إذ تقــومُ علينــا ... ذاتُ دَلٍّ كــأنّهــا غصــنُ بــانِ

قال: وغنّى في الحبس أيضاً:

ألاَ طــال ليلــي أراعــي النّجــوم ... أعــالــج فــي السّــاق كَبْــلاً[5] ثَقيــلا

/ زعم علويه الأعسر أنه دخل عليه في مرضه في علته وهو يترنم فأنكر ابنه إسحاق ذلك: [٥/٢١]

حدّثني عيسى قال حدّثني عبدالله قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك قال حدّثني علّويه الأعسر قال:

دخلتُ على إبراهيم الموصليّ في عِلّته التي توفّي فيها وهو في الأَبْزَن[6] وبه القُولَنْج[7] الذي مات فيه، وهو يترنّم بهذا الصوت:

صوت

تغيّــر منــي كــلُّ حُسْــنٍ وجِــدّةٍ ... وعــاد علــى ثَغْــري فــأصبــح أَثْــرَمــا
ومَحّــلَ أطــرافــي فــزالــتْ فصــوصُهــا ... وحَنّــى عظــامــي عُــوجَهــا والمُقَــوَّمــا

(١) كذا في ط، و. وفي سائر الأصول: «الحسن»، وهو تحريف.
(٢) في ب، س في هذا الموضع: «عبدالله بن أبي محمد»، وهو تحريف.
(٣) كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فالهادي فالرشيد وكان من أكابر القوّاد وتولى أرمينية وأذربيجان. (انظر الحاشية رقم ١ من «كتاب التاج» للجاحظ ص ٨١ طبع بولاق).
(٤) كذا في ط، و. وفي باقي الأصول: «حتى تسوّى له».
(٥) الكبل (بالفتح ويكسر): القيد.
(٦) الأبزن (مثلث الهمزة): حوض من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت على قدر قامة الإنسان أو أقصر منها، عليه غطاء مثقوب، يضع فيه الأطباء المريض ويخرجون رأسه من الثقب فيداوونه بصب المطبوخات أو الماء المغلي بالأدوية الحارة.
(٧) القولنج (وقد تكسر لامه أو هو مكسور اللام وتفتح القاف وتضم): مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح.

قال محمد: فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاقَ الموصليّ، فقال: كذَب ابنُ الزانية! والله ما كان يَجترىء [أن][1] يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جَهْد، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأَبْزَن.

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان ماخُوريّ بالوسطى عن عمرو، وثاني ثقيلٍ عن ابن المكيّ.

غنت المقتدر إحدى جواريه لحناً له:

حدّثني جَحْظة قال:

كان المقتدر يدعونا في الأحايين، فكان يحضُر من المغنّين إبراهيمُ بن أبي العُبَيْس وكُنَيْز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصِيف الزّامر، وكان أكثر ما نُدْعَى له أنّ جواريَه / [كنّ][2] يطالبْنه بإحضارنا ليأخذْن منّا أصواتاً قد عرفْتها [٥/٢٢٢] ويسمَعْننا، فنُغنّي فيأخذْنَ ما يستحسِنّه، فإذا انصرفنا أمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنَيْز دُبّة وإبراهيمَ بثلاثمائة دينار، ولي بمائتي دينار، ولوَصيف بمائتي دينار، ولسائر مَن لعلّه أن يَحْضُر معنا بمائتين إلى المائة الدّينار إلى الألف الدّرهم[3]، فيكون[4] إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري، فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنّيَه، وبين يَدَيْ كلّ واحد منا قِنّينَةٌ فيها خمسة أرطال نبيذٍ وقدحٌ ومَغْسَلٌ[5] وكوزُ ماءٍ؛ فغنّتْ يوماً صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصليّ:

تغيّــر منّــي كــلُّ حُســـنٍ وجِــدّةٍ وعــادَ علــى ثَغْــرِي فــأصبــح أثــرمَـا

فشَرِبتُ عليه، فاستعاده المقتدر مراراً وأنا أشرب عليه؛ فأخذ إبراهيم بن أبي العُبَيْس بكَتِفي وقال: يا مجنون! إنما دُعيتَ لتُغَنّيَ لا لِتُغَنّي وتَطرَب وتَشرَب، فلعلّك تسْكَر، حَسْبُك!؛ فأمسكتُ طمعاً أن تردّه بعد ذلك، فما فعلت ولا اجتمعنا بعدها، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحداً غنّى هذا الصوتَ أحسنَ مما غنّته. قال: وكان المقتدر[6] ابتاعها من زِرْياب.

[٥/٢٢٣] / رأى سوداء بمكة تبكي زوجها بشعر فبحث عنه حتى ردّه إليها:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن[7] أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن عليّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن أبيه قال:

[٥/٢٢٣] / بينا أنا بمكة أجول في سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ، فأنكرتُ حالها وأدْمَنْتُ النظر إليها؛ فبكَتْ وقالت:

(١) زيادة يقتضيها السياق، وفي ط،ء: «ما كان غيري يدخل على أبي إسحاق... إلخ».
(٢) الزيادة عن ط،ء.
(٣) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «بمائتين المائة الدينار إلى المائة الدرهم».
(٤) كذا في ط، . وفي سائر الأصول: «فنكون» بالنون.
(٥) المغسل (بكسر السين وفتحها): ما يغسل فيه.
(٦) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «المعتضد». ويلاحظ أن جميع النسخ قد اتفقت في أوّل الخبر على أنه المقتدر.
(٧) كذا في ط،ء هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول وفيما مر في الجزء الثالث (ص ١٩٢ من هذه الطبعة). وفي سائر الأصول هنا: «عبيد الله»، وهو تحريف.

أعمـــــرُو عَـــــلاَمَ تجنَّبْتنـــــي أخـــــذتَ فـــؤادي وعَـــذَّبْتَنِـــي

فلـــو كنـــتَ يـــا عمـــرُو خبّـــرتنـــي[١] أخـــذتُ حِـــذاري فمـــا نِلْتَنـــي

فقلتُ لها: يا هذه، من عمرُو؟ قالت: زوجي؛ قلت: وما شأنه؟ قالت: أخبرني أنه يَهْوَاني وما زال يطلبني حتى تزوّجتُه، فلبِث معي قليلاً ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركني؛ فقلتُ لها: صِفِيه لي؛ قالت: أحسنُ مَن أنت رائيه سُمرةً وأحلاهم حلاوةً وقَدّاً؛ فركِبتُ رواحلي مع غِلماني وصِرتُ إلى جُدّةَ، فوقفتُ في موضع المَرْفأ أتبصّرُ مَن يحمل مِن السفن، وأمرتُ مَن يَصوت: يا عمرُو يا عمرُو، وإذا أنا به خارجاً[٢] من سفينة على عنقه صَنٌّ[٣] فيه طعامٌ، فعرفتُه بصفتِها ونعتِها إياه، فقلتُ:

أعمـــــرُو عَـــــلاَمَ تجنَّبْتَنِـــــي أخـــــذتَ فـــؤادي وعـــذَّبْتَنِـــي

فقال: هِيهِ[٤]! أرأيتَها وسمعتَ منها؟ فقلتُ: نعم، فأطرق هُنَيهةً يبكي، ثم اندفع فغنّى به أملحَ غناءٍ سمعتُه، وردّده عليّ حتى أخذتُه منه، وإذا هو أحسنُ الناس غناءً؛ فقلتُ له: ألاَ ترجع إليها؟ فقال: طلبُ المعاش يمنعُني؛ فقلتُ: كم يكفيكَ معها في كلّ سنةٍ؟ فقال: ثلثُمائةِ درهم ـ قال إسحاقُ: قال لي أبي: فوالله يا بُنيّ لو قال ثلثمائة دينارٍ لطابتْ نفسي بها ـ فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم، وقلتُ له: هذا / لعشر سنين على أن تُقيمَ معها، فلا [٥/٢٢٤] تَطلب المعاشَ إلا حيثُ هي مقيمةٌ معك، ويكون ذلك فضلاً؛ ورددتُه معي إليها.

كان يغني الرشيد ليلة فبلغه ما أغضبه فما زال يغنيه حتى سرّ الرشيد وأجزل صلته:

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفليّ[٥] قال حدّثنا صالح بن عليّ (يعني الأَضْخَم)[٦] عن إبراهيم الموصليّ ـ قال: وكان صالح جارَه ـ قال:

بينا أنا عَشِيّةً في منزلي إذ أتاني خادم من خَدَم الرشيد فاستحثّني بالركوب [إليه][٧] فخرجتُ شبيهاً بالراكِض، فلما صرتُ إلى الدّار عُدِل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها، فأُنْتُهِي بي إلى دارٍ حديثةِ البناء، فدخلتُ صَحناً واسعاً، وكان الرشيد يشتهي الصّحون الواسعة، فإذا هو جالس على كرسيّ في وسط ذلك الصَّحْن، ليس عنده أحد إلا خادمٌ يسقيه، وإذا هو في لِبْستِه التي كان يلبَسُها في الصيف: غِلالةٌ[٨] رقيقة مُتَوشِّح عليها بإزار رَشِيديّ[٩] عريضِ العَلَم مُضَرَّج[١٠]؛ فلما رآني هَشّ لِي وسُرّ، وقال: يا مَوصِليّ، إني اشتهيتُ أن أجلس في هذا الصّحن فلم

---

(١) في ط، ء: «حذرتني».
(٢) في الأصول: «خارج».
(٣) كذا في أكثر الأصول. والصنّ (بالفتح): شبه السلة المطبقة، يجعل فيها الطعام والخبز. وفي ب، س: «ضبن» بالضادوالباء، والضبن: الحمل، وهو لا يلتئم مع ما بعده.
(٤) هيه (بكسر الهاء الأخيرة وفتحها): معناه طلب الحديث والاستزادة منه.
(٥) كذا في ط، ء، وهو الموافق لما جاء في «الأغاني» (ج ٣ ص ١٧٤ من هذه الطبعة) والطبري (قسم ٣ ص ٥٩٦ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «محمد بن يحيى النوفلي».
(٦) في ب، س: «الأضحم» بالحاء المهملة، وهو تصحيف. (انظر الطبري قسم ٣ ص ٥٩٦).
(٧) زيادة عن ط، ء.
(٨) الغلالة: الشعار الذي يلبس تحت الثياب ويلي شعر الجسد.
(٩) في «مختار الأغاني»: «سندي».
(١٠) مضرج: مصبوغ بضرب من الصبغ أحمر.

يتّفق لي إلا اليوم، وأحببتُ ألّا يكون معي ومعك أحدٌ، ثم صاح بالخُدّام[1]، فوافاه مائةُ وَصِيفٍ، وإذا هم بالأَزِقة مستترون بالأساطين[2] حتى لا يراهم، فلما ناداهم جاءوا جميعاً، فقال: مُقطَّعة لإبراهيم، وكان هو أوّل من قطع [٥/٢٢٥] المُصَلّيات، فأُتِيتُ بمقعد فأُلقِي لي تُجاه وجهه بالقرب منه؛ / ودعا بعود فقال: بحياتي أطرِبني بما قَدَرتَ؛ قال: ففعلتُ واجتهدتُ في ذلك ونشطتُ ورجوتُ الجائزةَ في عَشِيَّتي؛ فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ، فقام مَقَامَه الذي كان إذا قامه علِم الرشيدُ أنه يريد أن يُسَارّه بشيء، فأومأ إليه بالدنوّ، [فدنا][3] فألقى في أذنه كلمةً خفيفةً[4] ثم ٣٤ تنحى، فاستشاط غضباً واحمرّتْ عيناه / وانتفختْ أوداجُه، ثم قال: حتّامَ أصبِرُ على آل بني أبي طالب! والله لأقتلنَّهم ولأقتلنّ شِيعتَهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ!؛ فقلتُ: إنا لله! ليس عند هذا أحدٌ يُخرِجُ غضبَه عليه، أحسِبه والله سيُوقِعُ بي، فاندفعتُ أُغنّي:

صوت

نِعمَ عَوناً على الهموم ثلاثُ ... مُترَعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ

بعدها أربعٌ تَتِمّةُ عشرٍ ... لا بِطاءٌ لكنّهنّ حِثاثُ[5]

فإذا ناولتكهنّ جوارٍ ... عَطِراتٌ بِيضُ الوجوه خِنَاثُ

تمّ فيها لك السرورُ وما طَيّبَ عَيْشاً إلا الخِناثُ الإناثُ

قال: وَيْلَك! اِسقِني ثلاثاً لا أمُتْ[6] همًّا؛ فشرب ثلاثاً متابعة، ثم قال: غَنِّ فغنّيتُ، فلمّا قلتُ:

ثلاث * مُترعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ *

قال: هاتِ وَيْلك ثلاثاً!، ثم قال لي: غنّ، فلمّا غنّيتُه قال: حُثَّ عليّ بأربع تتمةِ العشر، ففعل؛ فوالله ما استوفَى آخرَهنّ حتى سَكِر، فنهض ليدخل، ثم قال: قم يا موصليّ فانصرِفْ، يا مسرورُ، أقسمتُ عليك بحياتي [٥/٢٢٦] وبحقّي إلّا سَبقتَه[7] إلى منزله / بمائة ألف درهم، لا أُستأمَر فيها ولا في شيء منها؛ فخرجتُ والله وقد أَمِنتُ خوفي وأدركتُ ما أمّلتُ، ووافيتُ منزلي وقد سَبَقتني المائةُ الألفِ الدّرهمِ إليه.

أخذ عن ابن جامع في سكره صوتاً غنى به الرشيد فطرب وقرّبه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدُالله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن الحسن[8] بن عبد الخالق قال حدّثني عبدُالله بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع قال:

---

(١) عبارة ط،ء: «... ثم صاح يا غلام... إلخ».
(٢) الأساطين: الأعمدة.
(٣) زيادة عن ط،ء.
(٤) في ب، س، حـ: «خفية».
(٥) حثاث: مسرعات.
(٦) كذا في ط،ء، أ. وفي سائر الأصول: «لا أموت».
(٧) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «إلا شيعته».
(٨) كذا في ط،ء والطبري (قسم ٣ ص ٣٢٢ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «الحسين»، وهو تحريف.

خرج [رسول][1] الرشيد ذاتَ ليلةٍ إلى المغنّين فقال: غَنُّوا:

يا خليليَّ قد مَلِلْتُ ثَوائي ... بالمُصَلَّى وقد سَئِمتُ[2] البَقِيعا[3]

بلِّغاني[4] ديارَ هندٍ وسُعْدَى ... وارجِعاني فقد هَوِيتُ الرجوعا

قال: فغنّاه ابنُ جامع، فلمّا فرَغ منه طرِب الرشيدُ وشرِب؛ فقال له إبراهيم الموصليّ: يا سيّدي، فاسمعه من نُبَيْطِيّك فغنّاه، فجعل ابنُ جامع يزحَف من أوّل البيت إلى آخره، وطَرِب هارونُ فقال: ارفعُوا الستارةَ؛ فقال له ابن جامع: مِنّي والله أخذه يا أمير المؤمنين؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال: بحياتي صَدَق؟ قال: صدق وحياتِك يا سيّدي؛ قال: وكيف أخذتَه وهو أبخل[5] الناس إذا سُئل شيئاً؟ قال: تركتُه يغنّيه وكان إذا سكِر يَسترسلُ فيه فيغنّيه مُستوياً ولا يتحرّز منّي، فأخذتُه على هذا منه حتى وفَيتُ[6] به.

/ كانت لزلزل جارية مطبوعة فلما مات عنها أخبر هو بها الرشيد فابتاعها وأعتقها: [٢٢٧/٥]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال:

كان بَرْصُوماً الزّامرُ وزَلْزَلٌ الضاربُ من سَوَاد أهل الكوفة من أهل الخُشْنة[7] والبَذَاذةِ والدناءةِ، فقدِم بهما أبي معه سنةَ حجٍّ، ووقّفهما على الغناء العربيّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقّفهما حتى بلغا المبلَغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة، وكان أطبعَ أهلِ دهرهما في صناعتهما؛ فحدّثني أبي قال: كان لِزَلْزل جاريةٌ قد ربّاها وعلّمها الضربَ وسألني مطارحتَها [فطارحتُها][8]، وكانت مطبوعةً حاذقة؛ قال: فكان يَصُونُها أن يسمعها أحدٌ؛ فلما مات بلغني أنها تُعرَض في ميراثه للبيع، فصرتُ إليها لأعترِضَها؛ فغنَّت:

أقفرَ من أوتاره العودُ ... فالعودُ للأوتار معمودُ

وأوحش المزمارُ من صوته ... فما له بعدك تغريدُ

/ مَنْ للمزامير وعِيدانِها ... وعامرُ اللّذاتِ مفقودُ ٣٥/٥

الخمرُ تبكي في أباريقها ... والقَيْنةُ الخَمْصانةُ الرُّودُ[9]

قال: وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرَّقّة[10]؛ قال: فأبكت والله عيني وأوْجعت قلبي. فدخلت على الرشيد

---

(١) التكملة عن ط،ء، إذ المعروف عن الخلفاء أنهم كانوا يجلسون وراء ستارة بينها وبين الندماء عشرون ذراعاً، وكان يوكل بهذه الستارة حاجب ينهي إلى المغنين ما يريده الخليفة. (انظر «كتاب التاج» للجاحظ ص ٣٧ طبع بولاق) في كلامه على الرشيد وغيره من ملوك الإسلام والفرس، وسيأتي في بقية الخبر ما يؤيد ذلك.

(٢) في ط،ء: «شتتت».

(٣) المصلي والبقيع: موضعان بالمدينة.

(٤) في ط،ء: «بلغا بي... وراجعا بي».

(٥) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «قال: وكيف أخذته؟ قال: هو أبخل الناس إذا سئل شيئاً، فتركته... إلخ».

(٦) يريد: جئت به وافياً تاماً لم أنقص منه شيئاً.

(٧) كذا في أكثر الأصول. والخشنة (بضم أوله وتسكين ثانيه): الخشونة، ورجل ذو خشنة: صعب لا يطاق. والبذاذة: رثاثة الهيئة. وفي أ: «الخسة» بالسين المهملة.

(٨) زيادة عن ط،ء.

(٩) الرؤد (وزان قفل وسهلت همزته): الشابة الناعمة الحسنة.

(١٠) كذا في ط،ء. وفي باقي الأصول: «رثاه به صديق له كان يألفه فأبكت... إلخ».

فحدّثته بحديثها، فأمر بإحضارها فحضرتْ؛ فقال لها: غَنِّي الصوتَ الذي حدّثني إبراهيم عنك أنك غنّيتِه، فغنته وهي تبكي؛ فرقّ الرشيدُ لها وتَغَرْغَرت[1] عيناه، وقال لها: أتحبّين أن أشتريَكِ؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، / لقد عرَضتَ عليّ ما يقصُر عنه الأملُ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيّدي فينتفعَ بي؛ فازْداد رِقّةً عليها، وقال: غَنِّي صوتاً آخر، فغنّت:

[٢٢٨/٥]

العيـنُ تُظهِـر كتمـانـي وتُبـديـه ... والقلـبُ يكتـم مـا ضَمَّنتُـه فيـهِ
فكيـف ينكتـم المكتـومُ بينهمـا ... والعيـنُ تُظهـره والقلـبُ يُخفيـه

فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَق، ولم يزل يُجْرِي عليها إلى أن ماتت.

قصته مع الرشيد بشأن الجارية التي عرض بها في مجلسه:

أخبرنا محمد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال:

قال لي الرشيدُ يوماً: يا إبراهيم، بَكِّرْ عليَّ غداً حتى نَصْطبحَ؛ فقلتُ[2] له: أنا والصبحُ كفَرَسَيْ رِهَانٍ؛ فبكَّرتُ فإذا أنا به خالياً[3]، وبين يديه جارية كأنها خُوطُ بان أو جَدْلُ عِنان، حُلوةُ المنظَر، دَمِثةُ الشمائل، وفي يدها عودٌ؛ فقال لها: غنّي، فغنّتْ في شعر أبي نُوَاس وهو:

تَـوَهّمـه قلبـي فـأصبـح خـدُّه ... وفيه مكانَ الوَهْـم مـن نظـري أُثْـرُ[4]
ومـرَّ بفكـري خـاطـراً فجـرحتُـه ... ولـم أر جِسمـاً قـطُّ يَجـرَحُـه الفِكَـر
وصـافحـه قلبـي فـآلَـم كفَّـه ... فمـنْ غَمْـزِ قلبـي فـي أنـامـلـهِ عَقْـرُ

قال إبراهيمُ: فذهبتْ والله بعقلي حتى كِدتُ أن أفتضحَ، فقلتُ: مَنْ هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه التي يقول فيها الشاعر:

لهـا قلبـي الغـداةَ وقلبُهـا لـي ... فنحـن كـذاك فـي جَسَـدَيْـنِ رُوحُ

[٢٢٩/٥] / ثم قال لها: غنّي، فغنّتْ:

صـوت

تقـول غـداةَ البَيْـنِ إحـدى نسـائهـم ... لِـيَ الكَبِـدُ الحـريّ فسِـرْ ولـكَ الصَّبـرُ
وقـد خنَقتْهـا عَبْـرةٌ فـدمـوعُهـا ... علـى خـدِّهـا بِيـضٌ وفـي نحـرِهـا صُفـر

ـ الشعرُ لأبي الشِّيص. والغناء لعمرو بن بانَة، خفيفُ رَمَل بالوسطى من كتابه وفيه لمُتَيَّم ثاني ثقيلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر ـ قال: فشرِب وسقاني ثم سقاها، ثم قال: غنِّ يا إبراهيم؛ فغنّيتُ حسبَ مَا في قلبي غيرَ متحفِّظٍ من شيء:

(١) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «فغنته وهي تبكي فتغرغرت عينا الرشيد... إلخ».
(٢) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «فكنت أنا والصبح... إلخ».
(٣) في الأصول: «خال» بالرفع، والقواعد تأباه، إذ هو حال من الضمير في «به».
(٤) أثر الجرح (بالضم وبضمتين أيضاً): أثره يبقى بعد ما يبرأ.

تَشَـرَّبَ قلبـي حبَّهـا ومشـى بـه ... تَمَشِّي حُمَيَّا الكأس في جسم شاربِ
ودبَّ هـواهـا فـي عِظـامـي فشَفَّهـا ... كمـا دبَّ فـي المَلْسـوع سـمُّ العقـارب

قال: ففَطِن بتعريضي، وكانت جهالةً منّي؛ قال: فأمرني بالانصراف، ولم يدعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَه؛ فلما كان بعد شهر دَسّ إليّ خادماً معه رُقعةٌ، فيها مكتوب:

قـد تخـوّفـتُ أن أمـوتَ مـن الـوَجْـ ... ـد ولـم يَـدْرِ مَـنْ هَـوِيـتُ بمـا بِـي
/ يـا كتـابـي فـأقـرَ السَّلامَ علـى مَـنْ ... لا أُسمّـي وقـل لـه يـا كتـابـي
إنَّ كفّـاً إليـكَ قـد بعثتنـي[1] ... فـي شَقَـاءٍ مُـواصَـلٍ وعـذاب

[٣٦ ه]

فأتاني الخادمُ بالرقعة؛ فقلت له: ما هذا؟ قال: رقعة الجاريةِ فلانة التي غنَّتك بين يدي أمير المؤمنين؛ فأحسَسْتُ القصّةَ فشتمتُ الخادمَ ووثبتُ عليه وضربتُه ضرباً شَفَيْتُ به نفسي وغيظي، وركِبتُ إلى الرشيد من فوْري فأخبرتُه القصّةَ / وأعطيته الرقعةَ؛ فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال: على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأمتحِنَ مذهبَك [٥/ ٢٣٠] وطريقتَك، ثم دعا بالخادم؛ فلما خرج رآني فقال لي: قطع الله يديك ورجليك، وَيْحَك! قتلتَني؛ فقلت: القتلُ والله كان بعضَ حقّك لِمَا وردت به عليّ، ولكن رَحِمتُك فأبقيتُ عليك، [وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقه. فأمر لي الرشيدُ بصِلةٍ سنيّة][2]؛ واللهُ يعلم أني ما فعلتُ الذي فعلتُ عَفَافاً ولكن خوفاً.

سأله الرشيد كيف يصنع ألحانه فأجابه:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال:

أخبرني أبي أنه سمع الرشيدَ وقد سأل جَدّي إبراهيمَ كيف يصنع إذا أراد أن يصوغَ الألحانَ، فقال: يا أمير المؤمنين، أُخرِجُ الهمّ من فكري وأُمثِّل الطربَ بين عينيّ، فتسوغ[3] لي مسالكُ الألحان [التي أريد][3] فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مُصيباً ظافراً بما أريد؛ فقال: يَحِقُّ لك يا إبراهيم أن تُصيبَ وتظفَر، وإنّ حُسْن وصفك لمُشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك.

فراسة يونس الكاتب فيه:

أخبرني ابن المَرْزُبان قال حدّثني حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال:

أدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرَضت عليه غنائي؛ فقال: إن عشتَ كنتَ مُغنّيَ دهرِك.

كان أحد من يتصرّفون في كل مذهب من الأغاني:

قال حَمّاد قال لي محمد بن الحسن: كان لكلّ واحد من المغنّين مذهب في الخفيف والثقيل، وكان مَعْبد ينفرد بالثقيل، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل، وحَكَمٌ بالهَزَج، / ولم يكن في المُغنّين أحد يتصرّف في كل مذهب من الأغاني [٥/ ٢٣١] إلا ابنُ سريج وإبراهيمُ جدّك وأبوك إسحاق.

---

(١) في ط، و «مختار الأغاني»: «إن كفا إليكم كنيتني».
(٢) الزيادة من ط، و«مختار الأغاني».
(٣) كذا في ط، ء. وفي حـ: «فيشرع». وفي سائر الأصول: «فيسرع».

رآه ثمامة بن أشرس مع يزيد حوراء مصطبحين يغنياه فأعجب بما كانا فيه:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطَّيِّب السَّرَخْسِيّ قال حدّثني أحمد بن ثابت العَبْدِيّ عن أبي الهُذَيل العَلّاف رأسِ المعتزلة عن ثُمَامةَ بن أَشْرس قال:

مررتُ بإبراهيم الموصليّ ويزيدِ حَوْراء وهما مُصطبِحان[١]، وقد أخذا بينهما صوتاً يُغنّيانه: هذا بيتاً وهذا بيتاً، وهو:

صوت

أيـــا جَبَلَـــيْ نَعْمـــانَ بـــالله خَلِّيَـــا سبيـــلَ[٢] الصَّبَـا يَخْلُـص إلـيّ نسيمُهـا

فـــإنّ الصَّبـــا ريـــحٌ إذا مـــا تنسّمـــتْ علـى نفـس مهمـومٍ تجلّـت همـومُهـا

طلب الخلوة في بيته يوماً فزعم بأن إبليس زاره وطارحه الغناء:

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال:

سألتُ الرشيد أن يَهبُ لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب، لأخلوَ فيه بجواريّ وإخواني، فأذِن لي في يوم السبت، وقال لي[٣]: هو يوم أستثقله، فالْهُ فيه بما شئتَ؛ فأقمتُ يوم[٤] السبت بمنزلي وتقدّمتُ في إصلاح[٥] طعامي وشرابي بما احتجتُ إليه، وأمرتُ بوّابي فأغلقَ الأبوابَ وتقدّمتُ[٦] إليه ألّا يأذنَ / عليّ لأحد؛ [٥/٢٣٢] فبينا أنا في مجلس والخدمُ[٧] قد حفُّوا بي وجَوَاريّ يترددن بين يديّ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال، عليه خُفّان قصيران وقميصان ناعمان، / وعلى رأسه قَلَنْسُوةٌ لاطئة[٨]، وبيده عُكّازة مُقَمَّعة بفضّة، وروائحُ المسك تفوح منه [٣٧/٥] حتى ملأ البيتَ والدار؛ فداخلني بدخوله عليّ مع ما تقدّمت فيه غيظٌ ما تداخلني قطُّ مثلُه، وهممتُ بطرد بوّابي ومَنْ حجبني لأجله؛ فسلّم عليّ أحسنَ سلام فرددت عليه، وأمرته بالجلوس فجلس، ثم أخذ [بي][٩] في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثهاوأشعارها حتى سَلّى[١٠] ما بي من الغضب، وظننت أنّ غلماني تَحَرَّوْا مَسَرَّتي بإدخالهم مثلَه عليّ لأدبه وظَرْفه؛ فقلتُ: هل لك في الطعام؟ فقال: لا حاجة لي فيه؛ فقلت: هل لك في الشراب؟ فقال: ذلك إليك، فشرِبتُ رطلاً وسقيتُه مثلَه؛ فقال لي: يا أبا إسحاق، هل لك أن تُغنّي لنا شيئاً من صَنْعتك وما[١١]قد نفَقْتَ به

---

(١) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «مصطحبان».

(٢) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «نسيم الصبا».

(٣) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «فقال: هو... إلخ».

(٤) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «فأقمت في يوم... إلخ».

(٥) في ب: «في اصطلاح» وهو تحريف.

(٦) تقدمت إليه: أمرته.

(٧) في ب، س، م: «والحرم».

(٨) يقال: تقلس باللاطئة وهي قلنسوة صغيرة تلطأ (تلزق) بالرأس.

(٩) زيادة عن ط، ء، حـ.

(١٠) لعله ضمن «سلى» معنى أذهب وأزال، على أنه لا يبعد أن يكون أصله «سل». وفي ط، ء: «سلا».

(١١) كذا في ب، س، حـ و «مختار الأغاني» لابن منظور. وفي ط، ء: «من صنعتك ما قد فقت به... إلخ». وفي م: «من صنعتك ما قد تغنيت به... إلخ».

عند الخاصّ والعامّ؟ فغاظني قولُه، ثم سهّلتُ على نفسي أمرَه فأخذتُ العود فجسستُه ثم ضربت فغنّيتُ؛ فقال: أحسنت يا إبراهيم؛ فازداد غيظي وقلت: ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أغنيّه حتى سمّاني ولم يكنّني ولم يُجمِل مخاطبتي!. ثم قال: هل لك أن تزيدنا؟ فتذمّمت[١] فأخذتُ العود فغنّيتُ؛ فقال: أجدتَ يا أبا إسحاق! / فأتّم[٢] حتى نكافئك ونُغنّيك؛ فأخذت العود وتغنّيت وتحفّظتُ وقمتُ بما غنّيته إياه [قياماً][٣] تامّاً ما [٥/٢٣٣] تحفّظت مثلَه ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يَدَيْ خليفة قطُّ ولا غيرِه، لقوله لي: أكافئك؛ فطرِب وقال: أحسنتَ[٤] يا سيّدي، ثم قال: أتأذن لعبدك بالغناء؟ فقلت: شأنك، واستضعفتُ عقلَه في أن يغنّيني بحضرتي بعد ما سمعه منّي؛ فأخذ العود وجسّه وحبسه، فوالله لِخلتُه ينطِق بلسانٍ عربيّ لحسن ما سمعتُه من صوته[٥]، ثم تغنّى:

صوت

ولـي كَبِـدٌ مقـروحـةٌ مَـنْ يبيعني ... بهـا كبِـداً ليسـتْ بـذاتِ قُـروحِ

أبـاهـا علـيّ النـاسُ لا يشتـرونهـا ... ومَـنْ يشتـري ذاعِلَّـةٍ[٦] بصحيـحِ

أئِـنّ مـن الشـوق الـذي فـي جـوانبي ... أنيـنَ غَصيـصٍ بـالشـراب جَـريـحِ

قال إبراهيمُ: فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت يجيبه ويُغَنِّي معه من حسن غنائه، حتى خِلتُ والله أنّي أسمعُ أعضائي[٧] وثيابي تجاوبه، وبقيتُ مبهوتاً لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِمَا خالط قلبي؛ ثم غنّى:

صوت

ألا يـا حمـامـاتِ اللِّـوَى عُـدْنَ عَـوْدةً ... فـإنّـي إلـى أصـواتكـنّ حـزيـنُ

فعُـدْنَ فلمـا عُـدْنَ كِـدْنَ يُمِتْنَنِـي ... وكِـدتُ بـأسـراري لهـنّ أبيـنُ

/ دَعَـوْنَ بتَـرْدَادِ الهَـديـر كـأنمـا ... سُقِيـنَ حُمَيّـاً أو بهـنّ جُنـونُ [٥/٢٣٤]

فلـم تَـرَ عيني مثلَهـنّ حمـائمـاً ... بكيـنَ ولـم تَـدْمَـعْ لهـنّ عيـونُ

ـ لم أعرف في هذه الأبيات لحناً يُنسب إلى إبراهيم، والذي عرفتُه لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر[٨] خفيف رمل ـ فكاد، والله أعلم، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعتُ؛ ثم غنّى:

---

(١) تذمم الرجل: استنكف، يقال: لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تذمماً، أي مجانبة للذم.
(٢) في ط،ب و «مختار الأغاني»: «فأتمم هزارك». والهزار: كلمة فارسية من معانيها الأنشودة والمقطوعة.
(٣) الزيادة عن ط،ب.
(٤) في ط،ب: «أحسنت يا سيدي ويا أوثق عددي».
(٥) في ط،ب: «من ضربه».
(٦) في ط،ب: «ذا عرّة». والعرّة: الجرب.
(٧) كذا في ط،ب. وفي سائر الأصول: «أني وعظامي وثيابي... إلخ».
(٨) كذا في ط،ب. وقد صححه الأستاذ الشنقيطي في عدّة مواضع بنسخته الخاصة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش). وقد ورد في سائر الأصول: «بشخير» وهو تصحيف.

صـوت

٣٨/٥ / ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ ... لقد زادني مَسْراكِ وَجْداً على وَجدِ

أأن هتفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحَى[1] ... على فَنَنٍ[2] غضِّ النّبات من الرَّنْدِ[3]

بكيتَ كما يبكي الحزينُ صبابةً ... وذُبْتَ من الحزن المبرِّحِ والجَهْدِ[4]

وقد زعموا أنّ المحبَّ إذا دنا[5] ... يَمَلُّ وأنّ النأى يَشْفِي[6] مِن الوَجْدِ

بكلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا ... على أنّ[7] قُربَ الدار خيرٌ من البعدِ

[٥/٢٣٥] / ثم قال: يا إبراهيم، هذا الغناء الماخُوريّ فخذه وانحُ نحوَه في غنائك وعلِّمه جَوارِيَك؛ فقلتُ: أعِدْه عليّ، فقال: لست[8] تحتاج، قد أخذتَه وفرغتَ منه، ثم غاب من بين يديّ[9]؛ فارتعتُ[10] وقمت إلى السيف فجرّدته، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلَقةً، فقلتُ للجواري: أيّ شيء سمعتنّ عندي؟ فقلن[11]: سمعنا أحسنَ غناءٍ سُمِعَ قطّ؛ فخرجتُ متحيِّراً إلى باب الدار فوجدتُه مُغلَقاً، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ؛ فقال لي: أيّ شيخ هو؟ والله ما دخل إليك اليوم أحد؛ فرجعتُ لأتأمل أمري، فإذا هو قد هَتف [بي][12] من بعض جوانب البيت: لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق، أنا إبليس وأنا كنت جليسَك ونديمَك اليومَ، فلا تُرَعْ. فركبت إلى الرشيد وقلت: لا أطرفه[13] أبداً بطُرْفة مثلِ هذه، فدخلت إليه فحدّثته بالحديث؛ فقال: وَيْحك! تأمّلْ هذه الأصواتَ[14]، هل أخذتَها؟ فأخذت العود أمتحنها، فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تزل؛ فطرب الرشيد [عليها][15] وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشراب، وأمر لي بصلةٍ وحُمْلانٍ[9] وقال: الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتَها وفرغتَ منها، فليتَه أمتعَنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك.

(١) رونق الضحى: حسنه وإشراقه.

(٢) كذا في ط، ء و «شرح الحماسة» للتبريزي (ج ٣ ص ١٤٥). وفي سائر الأصول و «ديوان ابن الدمينة» المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم (٦ أدب ش): «غصن».

(٣) الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية. وقد ورد هذا البيت في أكثر الأصول بعد البيت الذي يليه، وقد وضعناه كما ورد في ط لانسجام الكلام بذلك.

(٤) روى هذا البيت في «شرح الحماسة» هكذا:

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن ... جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

(٥) كذا في ط، ء، م و «الأغاني» (ج ١٥ ص ١٥٦ طبع بولاق) وهو الموافق لما جاء في شرح ديوان الحماسة» للتبريزي و «ديوانه». وفي سائر الأصول: «إذا نأى».

(٦) في ط، ء: «يسلي».

(٧) في ط، ء و «شرح الحماسة»: «على ذاك قرب... إلخ».

(٨) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «ليس».

(٩) في ط، ء و «مختار الأغاني»: «من بين عينيّ».

(١٠) كذا في ط، ء و «مختار الأغاني». وفي سائر الأصول: «فارتفعت».

(١١) في ب، س: «فقلنا» وهو تحريف.

(١٢) الزيادة عن ط، ء و «مختار الأغاني».

(١٣) أطرفه: أتحفه وآتاه بالحديث الجديد.

(١٤) كذا في ط، ء و «مختار الأغاني». وفي سائر الأصول: «الأبيات».

(١٥) الحملان (بالضم): ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

/ نسبة هذه الأصوات [٥/ ٢٣٦]

أمّا الصوت الأوّل فالذي أعرفه فيه خفيفُ رَمَلٍ لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ولم يقع إليّ فيه صنعةٌ لإبراهيم. والصوت الثاني الذي أوّله:

* ألا يا صبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ *

فشعرُه ليزيدَ[1] بن الطَّثَرِيَّةِ[2]، والغناءُ لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعَب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو. وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لدَحْمان ولحناً لابنه الزُّبَير، ولم يَذْكر في أيّ طريقةٍ هما.

هكذا حدّثنا ابن أبي الأزهر بهذا الخبر؛ وما أدري ما أقول فيه، ولعل إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها، أو صُنعتْ وحُكيتْ عنه. إلا أنّ للخبر أصلاً الأشبهُ بالحق منه ما حدّثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه قال:

صنعتُ لحناً فأعجبني، وجعلت أطلب شعراً فعَسُر ذلك عليّ، ورأيتُ في المنام كأنّ رجلاً لَقِيَني فقال: يا إبراهيم، أأعياك شعرٌ لغنائك هذا الذي تُعْجَب به؟ قلت نعم؛ قال: فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة حيث قال:

/ ألا يا اسْلَمِي يا دارمَيّ على البِلَى ... ولا زال مُنْهَلاً بجَرْعائِكِ[3] القَطْرُ [٥/ ٢٣٧]

/ وإن لم تكوني غيرَ شامٍ[4] بقَفْرةٍ ... تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفيّةٌ[5] كُدْرُ [٢٩/ ٥]

قال: فانتبهتُ وأنا فَرِحٌ[6] بالشعر، فدعوتُ مَنْ ضرب عليّ وغنّيتُه فإذا هو أوفقُ ما خلق الله، فلمّا علمتُ [ذلك، وعملتُ][7] هذا الغناء في شعر ذي الرمة، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحاناً ماخوريّةً، منها:

صوت

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سلامٌ عليكما ... هل الأزمُنُ اللائي مَرَرْنَ رواجعُ

وهل يَرجِعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمَى ... ثلاثُ الأثافي[8] أو رسومٌ بلاقِعُ

(١) كذا في جميع الأصول و «الأمالي» لأبي على القالي (ج ٣ ص ١٠٤ طبع دار الكتب المصرية). وقد نسبت هذه الأبيات في «الأغاني» (ج ١٥ ص ١٥٦ طبع بولاق) و «شرح الحماسة» للتبريزي (ج ٣ ص ١٤٥) لعبدالله بن الدمينة، وهي مذكورة في «ديوانه».

(٢) في ب، حـ: «الطبرية» بالباء الموحدة، وهو تصحيف.

(٣) الجرعاء: الرملة السَّتوية لا تنبت شيئاً.

(٤) كذا في جميع الأصول و «ديوان ذي الرمة» طبع أوروبا. والشام: جمع شامة، وهي بقعة تخالف لون الأرض؛ أي وإن أصبحت جزءاً أسود من الأرض قد فقد كل ما كان له من معالم. وقد ذكر ذو الرمة هذا المعنى أيضاً في قوله:

كأن ديار الحيّ بالزرق خلقة ... من الأرض أم مكتوبة بمداد

أي كأنها خلقة من الأرض سوداء. والزرق: كثيب بالدهناء.

(٥) الصيفية: رياح الصيف. والكدر: جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة.

(٦) في ب، حـ: «جموح».

(٧) الزيادة عن ط، ء.

(٨) كذا في ط، ء هنا. وفيما سيأتي في «الأغاني» (ج ١٦ ص ١٢٩ طبع بولاق) و «المخصص» (ج ١٧ ص ١٠٠، ١٢٥):

* ثلاث الأثافي والديار البلاقع *

صنعةُ إبراهيمَ في هذين الشعرين جميعاً من الماخُوريّ بالوسطى، وهو خفيف الثقيل الثاني. وأخباره كلها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرُّمّة مشروحةً.

[٥/٢٣٨] / **سأل الرشيد أن يختصه بالغناء في شعر ذي الرمة وكان الرشيد يؤثره:**

حدّثني [محمد بن][1] مَزْيد قال حدّثني حَمّاد عن أبيه قال قال [لي][1] أبي:

قال [لي][1] جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أنّ الرشيد أذِن لي وللمغنّين في الانصراف يومئذ: صِرْ إليّ حتى أهبَ[2] لك شيئاً حسناً ـ فصِرتُ إليه فقال لي: أيّما أحبُّ إليك: أَهَبُ لك الشيء الحسن الذي وعدتُك به، أم[3] أُرشدك إلى شيء تكسِب به ألفَ ألفِ درهم؟ فقلت: بل يرشدني الوزير ـ أعزّه الله ـ إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إيّاي هذا الحَسَن[4]؛ فقال: إنّ أمير المؤمنين يحفَظ شعر ذي الرُّمّة حفظ الصِّبا[5] ويُعجبه ويؤثره، فإذا سَمع فيه غناءً، أطربه أكثر مما يُطربه غيره مما لا يحفظ شعره؛ فإذا غنَّيتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة، فقُم على رجليك قائماً وقبِّل الأرض بين يديه وقل له: لي حاجة غيرُ هذه الجائزة أريد أن أسألها أميرُ المؤمنين، وهي حاجة تقوم عندي مقامَ كل فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرْزَؤه؛ فإنه سيقول لك: أيّ شيء حاجتُك؟ فقل: قَطيعةٌ تُقطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعةَ فيها لأحد؛ فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تُقطعني شعرَ ذي الرمّة أُغنّي فيه ما أختاره وتحظُر على المغنّين جميعاً أن[6] يداخلوني فيه، فإني أُحِبّ شعره وأستحسنه فلا أُحبّ أن يُنغّصه عليّ أحدٌ منهم، وتَوَثّقْ منه

[٥/٢٣٩] في ذلك؛ فقبِلتُ ذلك القولَ منه، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة؛ / وتوخّيتُ وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتُه، فقمت فسألت كما قال لي، وتبيّنتُ السرور في وجهه، وقال: ما سألتَ شَطَطاً، قد[7] أقطعتك سُؤْلتك؛ فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون: لقد استضخمتَ القطيعة وهو ساكت؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في التوثّق؟ قال: تَوَثَّقْ كيف شئت؛ فقلت: بالله وبحقّ رسوله وبتُربة أمير المؤمنين المهديّ إلّا جعلتَني على ثِقَةٍ من ذلك بأنك [تحلف[8] لي أنك] لا تُعطي أحداً من المغنّين جائزة على شيء يُغنّيه في شعر ذي الرُّمّة فإنّ ذلك وثيقتي؛ فحلف مجتهداً لهم لئن غنّاه أحد منهم في شعر ذي الرُّمّة لا أثابه بشيء ولا برّه ولا سمع غناءه؛ فشكرتُ فعله وقبّلت الأرضَ بين يديه وانصرفنا. فغنّيت مائة صوت وزيادة[9] في شعر ذي الرُّمّة، فكان إذا سمع منها صوتاً

= وورد في كثير من كتب الأدب ومنها ديوان ذي الرمة هكذا:

* ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع *

وكذلك أوردته أكثر معاجم اللغة شاهداً على تعريف المضاف إليه في العدد. وفي باقي الأصول هنا: «ثلاث أثاف أو رسوم بلاقع». (والأثافي) الأحجار التي توضع عليها القدر، واحدها أثفية (بضم الهمزة وكسرها).

(١) التكملة عن ط، ء.

(٢) كذا في ط، ء، وهو الصواب لأن «وهب» يتعدى إلى المفعول الأوّل باللام، وقد جاء في التنزيل: ﴿لأهب لك غلاماً زكياً﴾. وأنكر سيبويه أن يقال: أهبك كذا؛ ونقل عن أبي عمرو أنه سمع أعرابياً يقول لآخر: انطلق معي أهبك نبلاً. وفي سائر الأصول: «حتى أهبك».

(٣) يراد هنا التعيين، فلهذا وضعنا «أم» بدل «أو» التي وردت في الأصول.

(٤) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «المال».

(٥) في ط، ء: «كأنه حفظ الصبيّ».

(٦) كذا في ط، ء، أ. وفي سائر الأصول: «ألا يداخلوني».

(٧) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «وقال: أقطعتك... إلخ».

(٨) زيادة عن ط.

(٩) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وزيادة عليها في شعر... إلخ».

طَرِب وزادُ طربُه ووصلني فأجزَل، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيري؛ فأخذتُ منه والله بها ألفَ ألفِ درهم وألفَ ألفِ درهم.

رأى في منامه من أرشده إلى الغناء في شعر ذي الرمة فغنى به الرشيد فأجزل صلته:

أخبرني جعفر بن قُدَامة بن زِيَاد الكاتب قال حدّثني[1] هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو خالد الأَسْلَمِيّ قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال:

قال إبراهيم الموصليّ: أُرْتِج عليّ فلم أجد شعراً أَصُوغ فيه غناءً أُغَنّي فيه الرشيدَ، / فدخلتُ إلى بعض حُجَر داري مغموماً، فأَسْبلتُ الستورَ عليّ وغلبتْني عيني، فتمثّل لي / في البيت شيخٌ أَشْوَهُ الخِلْقة، فقال لي: يا موصليّ، [٥/٢٤٠] مالي أراك مغموماً؟ قلت: لم أُصِبْ شعراً أُغنّي فيه الرشيدَ الليلةَ؛ قال: فأين أنت عن قول ذي الرُّمّة:

ألاَ يـا اسْلَمِـي يـا دارَمَـيَّ علـى البِلَـى ... ولا زال مُنْهَـلاً بجَـرْعـائِـك[2] القطـرُ
وإن[3] لـم تكـونـي غيـرَ شـام بقَفْـرةٍ ... تَجُـرّ بهـا الأذيـالَ صيْفيّـةٌ كُـدْرُ[4]
أقامت[5] بها حتى ذَوَي العودُ في الثَّرَى[6] ... وسـاق الثـريّـا فـي مُـلاءتـه[7] الفجـرُ
وحتى اعتلى[8] البُهْمَى[9] من الصيف نافِضٌ ... كمـا نَفَضَـتْ خيـلٌ نـواصيَهـا شُقْـرُ

قال: وغنّاني فيه بلحن وكرّره حتى عَلِقتُه[10]فانتبهت وأنا أُدِيره، فناديت جاريةً لي وأمرتُها بإحضار عود، وما زِلتُ أترنّم بالصوت وهي تضرب حتى أستوى [لي][11]؛ ثم صِرتُ إلى هارون فغنّيته إيّاه، فأسكتَ[12] المغنّين، ثم قال: أَعِدْ فأعدتُ، فما زال ليلتَه يستعيدُنِيه، فلما أصبح أمر لي بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذي كنّا فيه، وقال: عليك بشعر ذي الرُّمّة فغنِّ فيه؛ فصنعتُ فيه غناءً كثيراً، فكنتُ أغنّيه به [فيُعجبه][11] ويُجزل صِلتي.

---

(١) كذا ورد هذا السند في ط،ء قد ورد في سائر الأصول هكذا: «أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدّثني هارون بن عمرو الجرجاني قال.. إلخ».
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٣٦ من هذا الجزء.
(٣) في ط،ء و «ديوانه» طبع أوروبا: «فإن لم» بالفاء.
(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣٦ من هذا الجزء.
(٥) في ط،ء: «أقاموا» بالواو.
(٦) في «شرح شواهد الكبرى» للإمام العيني («الموضوع على هامش الخزانة» للبغدادي ج ٢ ص ٧ طبع بولاق): «والتوى».
(٧) ملاءة الفجر: بياضه؛ شبه بالملاءة وهي الثوب الأبيض.
(٨) في ديوانه وشرح الشواهد الكبرى المذكور: «اعترى».
(٩) البهمي (للواحد والجمع): نبت تجد به الغنم وجداً شديداً ما دام أخضر، فإذا يبس وعظم خرج له شوك مثل شوك السنبل ثم كان كلأ يرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل وينبت من تحته حبه الذي سقط من سنبله. والنافض: يبس يقع فيها فينفضها؛ وهذا في أوّل القيظ قبل شدّة الحر. قال أبو عمرو: نافض: يريد ريح الصيف، وشبه شوك البهمي إذا وقعت عليه فابيض بنواصي خيل شقر. (انظر «شرح ديوان ذي الرمة» طبع أوروبا).
(١٠) كذا في ط،ء. يريد: حتى علمته وحفظته، يقال: علق فلان أمره إذا علمه. وفي سائر الأصول: «عقلته».
(١١) زيادة عن ط،ء.
(١٢) في ط،ء: «فأمسك المغنون بإسكاته ثم قال... إلخ».

[٢٤١/٥] / **غنى الرشيد ومعه زلزل وبرصوما فأطربوه:**

أخبرني عمّي وابن المَرْزُبان والحسن بن عليّ قالوا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبدالله السُّلَميّ قال حدّثنا أبو غانم مولى جَبَلة[١] بن يزيد السُّلَميّ قال:

اِجتمع إبراهيم الموصليّ وزَلْزَلٌ وبَرْصوما بين يَدَي الرشيد، فضرب زلزلٌ وزَمَر بَرْصوماً وغنّى إبراهيم:

صـــوت

صَحَا قلبي وراعَ[٢] إلـيّ عقلي | وأقْصَر باطلي ونَسِيتُ جهلي
رأيتُ الغانياتِ وكُنَّ صُوراً[٣] | إلـيّ صَرَمْنني وقَطعْنَ حبلي

فطرِب هارون حتى وثَب على رجليه وصاح: يا آدم، لو رأيتَ من يحضُرُني[٤] من ولدك اليومَ لسرّك! ثم جلس وقال: أستغفر الله.

الشعر الذي غنّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية. والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر.

غاضب الرشيد جارية يحبها فغناه بشعر للعباس بن الأحنف فترضاها:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان الرشيد يَجِد بمارِدةَ وَجْداً شديداً؛ فغضبت عليه وغضب عليها، وتمادى بينهما الهجرُ أياماً؛ فأمر جعفرُ بن يحيى العباسَ بن الأحنف فقال:

راجِعْ أحبَّتك الذين هجرتَهم | إنّ المُتَيَّم قلّما يَتَجَنّبُ
إنّ التجنُّبَ إن تطاولَ منكما | دَبَّ السُّلُوُّ له فعَزّ المطلبُ

[٢٤٢/٥] / وأمر إبراهيمَ الموصليّ فغنّى فيه الرشيد؛ فلما سمعه بادر إلى ماردةَ فترضّاها؛ فسألتْ عن السبب في ذلك فعرفتْه، فأمرت لكل واحد من العبّاس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها، فأمر لهما بأربعين ألف درهم.

نال أوّل جائزة خرجت لشاعر من الرشيد:

أخبرني جعفر بن قُدَامة عن حمّاد عن أبيه قال:

أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وَلِيَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم[٥]، فإنه قال يمدحه لَمّا وَلِي:

---

(١) في ط،ء: «مولى يزيد بن جبلة».
(٢) كذا في أكثر الأصول. وراع بمعنى: رجع. وفي ب، س: «راغ» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.
(٣) كذا في حـ. وصور إلى كذا (من باب علم) إذا أمال عنقه ووجهه إليه فهو أصور والأنثى صوراء والجمع: صور. وفي سائر الأصول: «خزرا».
(٤) في ط،ء: «من بحضرتي».
(٥) كذا في ط،ء. وإبراهيم هذا هو إبراهيم الموصلي صاحب الترجمة، وفي ابن خلكان في «ترجمة يحيى البرمكيّ» ج ٢ ص ٣٦٠ إلى ٣٦٦ بعد أن ذكر قصة هذا الشعر قال: «وفي ذلك يقول الموصليّ وأظنه إبراهيم النديم أو ابنه إسحاق». وفي سائر الأصول: «لأبي فائد» وهو تحريف.

صـــوت

/ ألـم تَـرَ أنّ الشمـسَ كـانـت مـريضـةً فلمّـا وَلِـي هـارونُ أشـرق نُـورُهـا [٤١/٥]

فـألبسـتِ[1] الـدّنيـا جمـالاً بـوجهـه فهـارونُ وَالـيهـا ويحيـى وزيـرُهـا

وغنّى فيه، فأمر له بمائة ألف درهم، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم.

قامر الرشيد بالنرد فتقامر له:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن[2] مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ:

أنّ أباه لَعِب يوماً مع الرشيد بالنَّرْد في الخلْعة التي كانت على[3] الرشيد والخِلعة التي كانت عليه هو، فتقامَرَ[4] للرشيدِ، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيابه، ثم قال للرشيد: حُكْم النَّرد الوفاءُ به، وقد قُمِرْتُ ووفَّيتُ لك، فألبس ما كان عليّ؛ / فقال له الرشيد: وَيْلَك! أنا ألبس ثيابك!؛ فقال: إي والله إذا أنصفتَ، وإذا لم تُنصف قدَرتَ [٥/٢٤٣] وأمكنك؛ قال: ويلك! أوَ أفتدي منك؟ قال: نعم؛ قال: وما الفداء؟ قال: قل أنتَ يا أمير المؤمنين فإنك أولَى بالقول؛ فقال: أعطيك كلّ ما عليّ؛ قال: فمُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله في ذلك؛ فدعا بغير ما عليه فلبِسه ونزَع ما كان عليه فدفَعه إلى إبراهيم.

فطنة ابن جامع وإبراهيم في صناعة الموسيقى:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عُمَر بن شَبّة قال حدّثني عليّ بن عبد الكريم قال:

زار ابنُ جامع إبراهيمَ [الموصليّ][5]؛ فأخرج إليه ثلاثين جاريةً فضربْنَ جميعاً طريقةً واحدة وغنَّيْنَ؛ فقال ابن جامع: في الأوتار وَتَرٌ غير مستوٍ؛ فقال إبراهيم: يا فلانةُ شُدّي مَثْنَاكِ، فشدَّته فاستوى؛ فعجبتُ أوّلاً من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وتراً غيرِ مستو، ثم ازداد عَجَبي من فِطْنة إبراهيم له بعينه.

غناؤه عند خمار بالرقة:

أخبرني إسماعيل بن يونس وحَبِيب بن نَصْر [المُهَلَّبيّ][5] قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي قال:

كنّا مع الرشيد بالرَّقّة وكان هناك خَمّار أقصِده أشتري منه شراباً حسناً طيّباً، وربما شربت في حانته، فأتيته يوماً فبزَل[6] لي دَنّاً في باطِيَة[7] له، فرأيت لونه حسناً صافياً، فاندفعتُ أغنّي:

---

(١) في ط،ء: «تلبست».

(٢) كذا في ط،ء، وفيما سبق في مواضع كثيرة في جميع الأصول وفيما سيأتي أيضاً. وفي سائر الأصول هنا: «محمد بن عبد الملك»، وهو تحريف.

(٣) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «مع» وهو تحريف.

(٤) كذا في ط،ء، ولعله يريد أنه تظاهر بالغلب للرشيد. وفي سائر الأصول: «فتقامر الرشيد».

(٥) زيادة عن ط،ء.

(٦) كذا في ط،ء. وبزل الدن: ثقبه، ويقال: بزل الشراب إذا صفاه. وفي سائر الأصول: «فنزل» بالنون، وهو تصحيف.

(٧) الباطية: إناء من الزجاج يملأ من الشراب ويوضع بين الشرب يغترفون منه.

[٥/٢٤٤] / صـوت

إسْقِنـي صَهْبَـاءَ صِـرْفـاً ... لـم تُـدَنَّـسْ بمـزَاجِ
إسْقِنـي والليـلُ داجٍ ... قبـلَ أصـواتِ الـدُّجـاجِ
يـا أبـا وَهْـبٍ خليلـي ... كـلُّ هَـمٍّ لانفـراجِ
حيـن تَـوَّهْـتَ[١] بقلبـي ... فـي أعـاصيـرِ الفِجَـاجِ[٢]

ـ الغناء في هذه الأبيات لإبراهيمَ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو. وفيها لِسِيَاط ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ـ قال: فدَهِش الخمّار يسمع صوتي، فقلت له: وَيْحَك! قد فاض النبيذ من الباطِيَة؛ فقال: دَعْني من النبيذ يا أبا إسحاق، مالي أرى صوتك حزيناً حَرِيقاً[٣]، مات لك بالله إنسان؟؛ فلما جئتُ إلى الرشيد حدّثته بذلك فجعل يضحك.

قصته مع الجواري اللاتي عقنه عن موعد الرشيد وخروج الرشيد إليهن معه متخفياً:

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ المدائنيّ حدّث قال:

[قال][٤] إبراهيم الموصليّ قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، إني قد جعلت غداً للحَرِيم، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنّين، فلا تشتغل غداً بشيء ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة؛ فقلت: السمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنين؛ فقال: وحقِّ أبي لئن تأخرتَ أو اعتلَلْتَ بشيء لأضربنّ / عنقك، أفهمتَ؟ فقلت: نعم، وخرجتُ فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه / ولا قرأت رقعة لأحد، [٥/٢٤٥] [٤٢/٥] حتى إذا صلّيت المغرب ركبت قاصداً إليه، فلما قرُبت من فِناء داره مررت بفناء قصر، وإذا زِنْبِيلٌ[٥] كبير مُستوثَق منه بحبال وأربع عُرَى أَدَمٍ وقد دُلِّيَ من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وُعِد ليجلس فيه، فنازعتني نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاكُ، فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتْني، فنزلت فجلست فيه، ومُدّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوارٍ كأنهنّ المَها جلوسٌ، فضحِكْنَ وطَرِبْنَ، وقلن: قد جاء والله من أردناه؛ فلما رأيْنَني من قريب تَبادرْنَ إلى الحِجَاب وقُلْن: يا عدوّ الله، ما أدخلك إلينا؟ فقلت: يا عدوّاتِ الله، ومن الذي أردْتُنّ إدخالَه؟ ولِمَ صار أولى بهذا منّي؟ فلم يزَل هذا دَأْبَنا وهنّ يضحكن وأضحك معهنّ؛ ثم قالت إحداهنّ: أمّا من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلمّ نعاشرْه عشرةً جميلة؛ فأُخرج إليّ طعام ودُعيت إلى أكله، فلم يكن فيّ فَضْلٌ إلاّ أنّي كرِهت أن أُنسب إلى سوء العشرة، فأصبتُ منه إصابة مُعَذِّر[٦]، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب، وأُخرجن إليّ ثلاث جَوَارٍ لهنّ فغنّين غناء

---

(١) كذا في ط، ء، حـ. وفي سائر الأصول: «نوهت» بالنون، وهو تصحيف.
(٢) الفجاج: جمع فجّ وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين وهو أوسع من الشعب. وفي ط، ، حـ: «في أعاصير العجاج» بالعين المهملة بدل الفاء.
(٣) في ط، ء، حـ: «حرفاً».
(٤) زيادة عن ط، ء.
(٥) في ط، ء: «زبيل» وهي بمعنى «الزنبيل».
(٦) كذا في ط، ء. والمعذر: المعتذر. وفي باقي الأصول: «إصابة مقدرة»، بالقاف والدال المهملة.

مليحاً، فغنّتْ إحداهنّ صوتاً لمَعْبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيمُ، هذا له؛ فقلت: كَذَبتِ ليس هذا له، هذا لمعبد؛ فقالت: يا فاسقُ، وما يُدْرِيك الغناءَ ما هو؛ ثم غنّت الأخرى صوتاً للغَرِيض، فقالت [تلك][1]: أحسن إبراهيم، هذا له أيضاً؛ فقلت: كذبتِ يا خبيثةُ، هذا للغريض؛ فقالت: اللهم أخزِه، ويلك! / وما يدريك! ثم غنّت الجارية صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن ابنُ سُرَيج، هذا له[2]؛ فقلت: كذبتِ هذا لإبراهيم، [٥/٢٤٦] وأنت تنسُبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم؛ فقالت: وَيْحَك! وما يدريك!؛ فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرنَ بذلك جميعاً وطرِبْنَ كلُّهن وظهرْنَ كلُّهن لي وقلْنَ: كتمتَنا نفسَك وقد سررتَنا[3]؛ فقلت: أنا الآن أستودعكنّ الله؛ فقلن: وما السبب؟ فأخبرتهنّ بقصتي مع الرشيد؛ فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً؛ فقلت: هو والله القتل؛ قلن: إلى لعنة الله. فأقمت والله عندهنّ أسبوعاً لا أزول، فلما كان بعد الأسبوع ودَّعْنَني وقلن: إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم؛ فأجلسْنَني في الزنبيل وسُرِّحتُ؛ فمضيت لوجهي حتى أتيت دارَ الرشيد، وإذا النداء قد أُشيع ببغدادَ في طلبي وأنّ من أحضرني فقد سُوِّغ ملكي وأُقْطِع مالي؛ فاستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلوني على الرشيد؛ فلما رآني شتمني وقال: السيف والنِّطع! إيهٍ يا إبراهيم، تهاونتَ بأمري وتشاغلتَ بالعوامّ عما أمرتك به وجلستَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدتَ[4] عليّ لذّتي!؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرتَ به غيرُ فائت، ولي حديث عجيب ما سُمع بمثله قطُّ وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً، فاسمعه، فإن كان عذراً فاقبلْه وإلاّ فأنت أعلم؛ قال: هاتِه فليس يُنجيك؛ فحدّثته، فوجَم ساعةً ثم قال: إن هذا لعَجبٌ، أفتُحضِرني معك هذا الموضعَ؟ قلت: نعم، وأُجلسك معهنّ إن شئتَ قبلي حتى تحصل / عندهنّ، وإن شئت فعلى موعد؛ قال: بل على موعد؛ قلت: أفعل؛ فقال: انظر؛ قلت: ذلك حاصلٌ ٤٣/٥ إليك متى شئت؛ فعدَل عن رأيه فيّ وأجلسني وشرب / وطرب؛ فلما أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من [٥/٢٤٧] عندهنّ؛ فمضيت إليهنّ في وقت الوعد، فلما وافيتُ الموضعَ إذا الزنبيل معلّق، فجلست فيه ومدّه الجواري فصعِدت، فلما رأيْنَني تباشرْنَ وحَمِدْنَ الله على سلامتي، وأقمتُ ليلتي[5]، فلما أردت الانصراف قلت لهنّ: إن لي أخاً هو عِدْلُ[6] نفسي عندي، وقد أحبّ معاشرتكن ووعدتُه بذلك؛ فقلن: إن كنت ترضاه فمرحباً به؛ فوعدتهن ليلةَ غدٍ وانصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته؛ فلما كان الوقتُ خرج معي متخفّياً[7] حتى أتينا الموضع، فصعِدت وصعِد بعدي ونزلْنا[8] جميعاً، وقد كان الله وفّقني لأن قلت لهن: إذا جاء صديقي فاستترْنَ عني وعنه ولا يسمعْ لكُنّ نَطْقة، وليكن ما تَخْتَرْنَه من غناء أو تَقُلْنَه من قولِ مُراسَلةً؛ فلم يتعدّيْنَ ذلك وأقمْنَ على أتمّ سِتر وخَفَر، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني ألاّ أخاطبَه بأمير المؤمنين، فلما أخذ منّي النبيذُ قلت سهواً: يا أمير المؤمنين، فتَوَاثبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتهنّ؛ فقال لي: يا إبراهيم لقد أفْلَتَّ من أمر عظيم، والله لو برزتْ إليك واحدة

(١) زيادة عن ط، ء.

(٢) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «هذا له أيضاً» بزيادة كلمة «أيضاً»، وهو تحريف.

(٣) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «سررتنا».

(٤) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «حتى فسدت لذتي».

(٥) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «ليلتين».

(٦) العدل: النظير.

(٧) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «مختفياً».

(٨) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «وبتنا».

منهنّ لضربتُ عنقك، قم بنا، فانصرفنا؛ وإذا هنّ له، قد كان غضِب عليهنّ فحبسهنّ في ذلك القصر؛ ثم وجّه من غد بخَدَم فردّوهنّ إلى قصره، ووهَب لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك [منهنّ][1].

غنى الرشيد فأجزل صلته:

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبي قال:

[٢٤٨/٥] / دخلت على الرشيد [يوماً][2] فقال لي: أنا اليوم كسلانُ خاثِر[3]، فإن غَنَّيْتني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك؛ فغنيتُه:

ولـم يُـرَ فـي الـدنيـا مُحِبّـان مثلُنـا ... على مـا نلاقي من ذَوِي الأعين الخُزْرِ

صَفِيّـانِ لا نـرضـى الـوُشـاةَ إذا وَشَـوْا ... عفيفـانِ لا نَغْشَـى[4] مـن الأمـر مـا يُـزْرِي

فطرِب، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لي بخمسين ألف درهم.

طلب إليه يحيى بن خالد أن يمتحن صوتاً لدنانير ثم أجازه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد:

إنّ ابنتك دَنَانِيرَ قد عمِلتْ صوتاً أعجبني وأُعجِبتْ أيضاً هي به، فقلتُ لها: لا تُعْجَبي به حتّى أَعْرِضَه على أبيك أبي إسحاق؛ فقلتُ له: والله ما في معرفة الوزير ـ أعزّه الله ـ به ولا بغيره[5] من الصنائع مَطْعَن، وإنه لأصحُّ العالَم تمييزاً وأثقبُه فِطْنةً، وما أعجبه إلاّ وهو صحيحٌ حَسَن؛ فقال: إن كنتُ كما تقول أيضاً، فإنّ أهلَ كلّ صناعة يُمارسونها أفهمُ بها ممّن يَعْلَمها عن عُرُض من غير مُمَارسة، ولو كنا في هذه الصناعة متساويَيْن لكان الاستظهارُ برأيك أجْودَ، لأنّ مَيْلي إلى صانعة الصوت ربما حسّن عندي ما ليس بالحسن، وإنما يتمّ سروري به بعد سماعك إياه واستحسانك له على الحقيقة؛ فمضيتُ فوجدت ستارةً منصوبة وأمراً قد تُقدّم فيه قبلي؛ فجلستُ فسلّمت على [٢٤٩/٥] الجارية، وقلت لها: تغنّيني الصّوتَ الذي / ذكره لي الوزير أعزه الله؛ فقالت: إن الوزير قال لي: إنِ استجاده فعرِّفيني ليتمّ سروري به، وإلاّ فأطوِ الخبرَ عني لئلاّ تَزول رُتبته عندي؛ فقلتُ: هاتيه حتى أسمعه؛ فغنّت تقول:

٤٤/٥ / نفسـي أكنـتُ عليـكِ مـدَّعِيـاً ... أم حيـن أزْمَـعَ بينُهـم خُنْـتِ

إن كنـتِ هـائمـةً بـذكـرهـم ... فعلـى فـراقهـمُ ألا خُمْـت

قال: فأحسَنتْ والله وما قصّرت، فاستعدتُه لأطلب فيه موضعاً لأُصلحه فيكون لي فيه معنى فما وَجدتُ؛ قلت: أحسنتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ؛ ثم عدتُ إلى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أنّ كثيراً من حُذّاق المغنّين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله، ولقد استعدتُه لأرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدت؛ فقال: وصفُكَ لها من

(١) زيادة عن ط، ء.

(٢) زيادة عن ط، ء.

(٣) كذا في ط، ء. وخثرت نفسه: غثت واختلطت. وفي سائر الأصول: «حائر» وهو تحريف.

(٤) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «نخشى» بالخاء المعجمة، وهو تحريف.

(٥) في ط، ء: «بهذه الصناعة ولا غيرها من الصنائع... إلخ».

أجله[١] يقوم مقام تعليمك إياها، فقد والله سررتني وسأسرّك، فلمّا انصرفتُ أتبعني بخمسين ألف درهم.

قصته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد:

حدّثني عمي وابن المَرْزُبان قالا حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله السُّلَميّ قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق، ولم يقل عن أبيه، قال:

والله إني لَفِي منزلي ذاتَ يوم وأنا مفكّرٌ في الرّكوب مرّةً وفي القعود مرّة، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي، فركِبتُ وصرتُ إليه؛ فقال لي: اجلس يا إبراهيم حتى أُرِيَك عجباً، فجلستُ؛ فقالت: عليّ بالأعرابية وابنتِها؛ فأُخرِجَتْ إليّ أعرابيّة ومعها بُنَيّة لها عشرٌ أو أرجح؛ فقال: يا إبراهيم، إن هذه الصَّبِيّة تقول الشعر؛ فقلتُ لأمّها: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت: هِي هذه قدّامَك فسَلْها؛ فقلت: يا حبيبة، أتقولين الشعر؟ فقالت نعم؛ فقلت: أنشديني بعضَ ما قلتِ؛ فأنشدتْني:

[٥/٢٥٠]

صـوت

تقـول لأتـراب لهـا وهـي تَمْتَـرِي[٢]	دموعاً على الخدَّيْن من شدّة الوجدِ
أكـلُّ فتـاةٍ لا محـالـةَ نـازلٌ	بهـا مثـلُ مـا بـي أم بُلِيـتُ بـه وحـدي
بَـرانِـي لـه حـبٌّ تَنشَّـبَ فـي الحَشَـى	فلم يُبْقِ مـن جسمي سوى العظمِ والجلد
وجَـدتُ الهـوى حُلـواً لـذيـذاً بَـدِيئُـه[٣]	وآخِـرُه مـرٌّ لصـاحبـه مُـرْدِي

قال الشَّبِّيّ[٤] في خبره: قال إسحاق: وكان أبي حاضراً، فقال: والله لا تَبرَحْ يا أمير المؤمنين أوْ نصنعَ في هذه الأبيات لحناً؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبي وجميعُ من حضر. وقال الآخرون: قال إبراهيم: فما بَرِحتُ حتى صنعتُ فيه لحناً وتَغنّيتُ به وهي حاضرة تسمع. قال ابن المَرْزُبان في خبره، ولم يذكره عمّي، فقالت: يا أمير المؤمنين، قد أحسنَ رِوَايةَ ما قلتُ، أفتأذَن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه؟ قال: افعلي؛ فقالت:

صـوت

مـا لإبـراهيـم فـي العلـ	ـم بهـذا الشـأن ثـانِـي
إنمـا عُمْـرُ أبـي إسـ	ـحـاقَ زيـنٌ للـزمـان
منـه يُجتَنَـى ثَمَـرُ اللّهـ	ـو ورَيْحـانُ الجنـان
جنّـةُ الـدنيـا أبـو إسـ	ـحـاق فـي كـلّ مكـان

قال: فأمر لها الرشيد بجائزة، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، فوهبتُ لها شَطْرَها.

(١) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «من أجلك».
(٢) تمتري دموعاً: تستدرّها وتستخرجها.
(٣) في الأصول: «بدينه» وهو تحريف.
(٤) الشبي: هو أبو زيد عمر بن شبة، منسوب إلى والده شبة، وعمر بن شبة هو الذي تقدم في الخبر. وفي الأصول: «الشعبي»، وهو تحريف.

[٢٥١/٥] / اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الأعرابيّة ثقيلٌ أوّل بالوسطى. وفيه لعلّويه ثاني ثقيل. وأما / الشعر الثاني فهو لابن سيابةَ لا يُشَكّ فيه. ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل. [٤٥/٥]

غنى للرشيد وغناه غيره فأجازهم، وغناه علويه فغضب عليه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كنت أخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوت، وغَنّيْتُه الرشيدَ وقلتُ:

صـوت

هما فتاتانِ لمّا[1] تَعرِفا[2] خُلُقي ... وبالشّبابِ على شَيْبي تُدِلّانِ[2]

رأيتُ عِرْسيَّ لمّا ضَمَّني كِبَرى ... وشِخْتُ أزمعتَا صرمي وهِجْراني

كلُّ الفَعالِ الذي يفعلْنَه حَسَنٌ ... يُضْبي فؤادي ويُبْدي سِرّ أشْجاني

بَلِ احذَرَا صَوْلةً من صَوْلِ شيخكما ... مَهْلاً على الشيخِ مَهْلاً يا فتاتانِ

فطَرِب وأمر لي بظَبْية[3] كانت مُلْقاة بين يديه، فيها ألفُ دينار مسيَّفة[4]؛ وكان ابن جامع حاضراً، فقال: اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين، وكان أشدَّ خَلْقِ الله حسداً، فغنّاه:



صـوت

ولقد قالت لأتراب لها ... كالمَها يَلْعَبْن في حُجْرتها

خُذن عنّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُني ... ومَضَتْ[5] سَعْياً إلى قُبّتِها

[٢٥٢/٥] / فطَرِب وشَرِب، وأمر له بألف وخمسمائة دينار. ثم تَبِعه محمد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة [فغنّى][6]:

صـوت

يَمْشُون فيها بكلِّ سابغةٍ ... أحكِم فيها القَتِيرُ[7] والحَلَقُ

يُعرَف إنصافُهم إذا شهِدوا ... وصبرُهم حين تَشْخَص الحَدَق

فاستحسنه وشرِب عليه، وأمر له بخمسمائة دينار. ثم غنّى علّويه:

---

(١) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «لم» ولا يستقيم بها الوزن.
(٢) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «يعرفا» و «يدلان» بالياء المثناة من تحت، ومرجع الضمير مؤنث.
(٣) الظبية: الجراب، وقيل: الجراب الصغير خاصة.
(٤) يقال: درهم مسيف إذا كانت جوانبه نقية من النقش.
(٥) من ط،ء: «وعدت».
(٦) زيادة عن ط،ء.
(٧) القتير: رؤوس المسامير في الدرع.

صوت

يَجْحَدْنَ دَيْني بالنَّهار وأقتضي ... دَيْني إذا وَقَدَ[١] النُّعاسُ الرُّقَّدا

وأرَى الغَوانيَ لا يُواصِلْنَ امرأً ... فَقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلْنَ الأمْرَدَا

فدعا به الرشيد وقال له: يا عاضَّ بظرِ أُمّه! أتغنّي في مدح المُرْد وذمّ الشِّيب وسِتارتي منصوبة وقد شِبْتُ وكأنك تعرّض بي! ثم دعا مسروراً فأمره أن يأخذ بيده فيضربَه ثلاثين دِرّة ويُخرجَه من مجلسه، ففعل؛ وما انتفعنا به بقيّة يومنا ولا انتفع بنفسه، وجفا علّويه شهراً، ثم سألناه فيه فأذِن له[٢].

[قال أبو الفرج][٣]: لإبراهيم أخبار مع خُنْث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها، جعلتُها في موضع آخر من هذا الكتاب[٤]؛ لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها في غِمَار أخباره. وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره؛ وقد شرَطْتُ أن / الشيء من أخبار الشعراء [و] المغنّين إذا كانت هذه سبيلَه أُفرِده، لئلا يَقطع بين القرائن [٥/٢٥٣] والنظائر مما تُضاف إليه وتدخل فيه.

شعره ومرضه وزيارة الرشيد له وموته:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال:

سمعتُ إسحاقَ الموصليّ / يقول: لمّا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدّ أمر القُولَنْج على أبي ولزِمه، ٤٦/٥ وكان يعتاده أحياناً، فقعد عن[٥] خدمة الخليفة وعن نَوْبته في داره؛ فقال في ذلك:

صوت

مَلَّ والله طبيبي ... مِن[٦] مُقَاساة الذي بي

سوف أنْعَى عن قريب ... لعدوٍّ وحبيب

وغنّى فيه لحناً من الرَّمَل، فكان آخرَ شعرٍ قاله وآخِرَ لحنٍ صنعه.

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه:

أن الرشيد ركب حماراً ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأبْزَن جالس، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال: أنا والله يا سيّدي كما قال الشاعر:

---

(١) وقذه النعاس: أسقطه وغلبه.

(٢) في الأصول هنا، ما عدا ط،ء، بعد هذا الكلام هذه العبارة: «نسبة ما في هذا الخبر من «الأغاني» لم يذكرها»، ولعلها زيدت سهواً من النساخ، إذ لا معنى لها في سياق الكلام.

(٣) زيادة عن ط،ء. وفي باقي الأصول: «ولإبراهيم» بزيادة الواو.

(٤) هذا الموضع يقع في الجزء الخامس عشر طبع بولاق ص ٧٩ ـ ٨٥.

(٥) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «فقعد في الأبزن عن خدمة... إلخ».

(٦) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «عن».

سَقيمٌ مَلَّ منه أقربوه وأسْلَمه المُداوِي والحميمُ

فقال الرشيد: إنّا لله! وخرج، فلم يَبْعُد حتى سمع الواعيةَ[1] عليه.

٥/٢٥٤] / أمر الرشيد ابنه المأمون أن يصلي عليه مع آخرين:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال:

مات إبراهيم الموصليّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، ومات في ذلك اليوم الكِسَائي النحويّ والعباس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمة[2] الخَمّارة، فرُفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمونَ أن يصلِّيَ عليهم، فخرج فصُفُّوا بين يديه؛ فقال: مَنْ هذا الأوّل؟ قيل: إبراهيم؛ فقال: أخِّروه وقدّموا العبّاس بن الأحنف، فقُدِّم فصَلَّى عليهم؛ فلما فرغ وانصرف، دنا منه هاشم بن عبدالله بن مالك الخُزاعيّ فقال: يا سيِّدي، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على من حضر؟ قال: لقوله:

وسعَى بها ناسٌ فقالوا إنّها لهِي التي تَشْقَى بها وتُكابِدُ[3]

فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظَنُّهم[4] إنّي لَيُعجِبني المحبّ الجاحد

ثم قال: أتحفظها؟ قلت نعم؛ فقال: أَنشدني باقيَها؛ فأنشدتُه:

لمّا رأيتُ الليلَ سدّ طَريقَه عنّي وعذّبني الظلام الراكد

والنّجم في كَبِد السماء كأنه أعمى تحيَّر ما لديه قائد

ناديتُ مَنْ طَرَد الرُّقادَ بصدّه عمّا[5] أعالج وهو خِلْوٌ هاجد

يا ذا الذي صدَع الفؤادَ بهجره أنت البَلاءُ طريفُه والتالد

ألقيتَ بين جفون عيني حُرْقة فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقد

٥/٢٥٥] / فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلتُ: بلى والله يا سيِّدي.

ذهاب برصوما الزامر مع ابنه إسحاق إلى المجلس الذي كان يجلس فيه وبكاؤه عليه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال:

قال لي بَرْصُوما الزامر: أمّا في حقّي وخدمتي وميلي إليكم وشكري لكم ما أستوجِبُ به أن تهَبَ لي يوماً من عُمْرك تَفعل فيه ما أُريد ولا تخالفني في شيء؟ فقلتُ: بلى ووعدتُه بيوم؛ فأتاني فقال: مُرْ لي بخِلْعة، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبّةَ وَشْيٍ؛ فلبِسها ظاهرةً وقال: امضِ بنا إلى المجلس الذي كنتُ آتي أباك فيه؛ فمضينا جميعاً إليه وقد خَلّقتُه وطيّبتُه؛ فلما صار على باب المجلس رمَى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ في التّراب وبكى وأخرج نايه وجعل

---

(١) كذا في ط،ء، حـ. والواعية: الصراخ على الميت. وفي سائر الأصول: «الناعية».

(٢) هكذا وردت مضبوطة في ط (بضم الهاء وفتح الشين)، وهي: امرأة كانت تبيع الخمر، وكانت جارة لإسحاق الموصلي، وقد رثاها بأبيات يرميها فيها بالقيادة. (انظر ترجمة إسحاق الموصلي فيما سيأتي من هذا الجزء).

(٣) في ط،ء: «وتجاهد».

(٤) في ط،ء: «همهم».

(٥) كذا في ط،ء و «ديوانه». وفي سائر الأصول: «عمن».

ينوح / في زَمْره ويدور في المجلس ويقبّل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويَزْمِرُ حتّى قضى من ذلك وَطَراً، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقّها[1]، وجعلت أُسَكِّتُه وأبكي معه، فما سكن إلا بعد حين؛ ثم دعا بثيابه فلبسها وقال: إنما سألتك أن تخلع عليّ لئلا يقال: إن برصوما إنما خرّق ثيابه ليُخلَع[2] عليه ما هو خير منها؛ ثم قال: امضِ بنا إلى منزلك فقد اشتفَيْتُ مما أردت؛ فعُدت إلى منزلي وأقام عندي يومه، وانصرف بخلعة مجدّدة. [٤٧/٥]

المراثي التي قيلت فيه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبة قال حدّثني القاسم[3] بن يزيد قال:

/ لمّا مات إبراهيم الموصليّ دخلت على إبراهيم بن المهديّ وهو يشرب وجواريه يُغنّين، فذكرنا[4] إبراهيمَ الموصليّ وحذقه وتقدّمه، فأفضنا في ذلك وإبراهيمُ مُطرِق، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منا مثلَ ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهديّ يُغنّي في شعر لابن سيابة يرثي [به][5] إبراهيمَ ـ ويقال: إن الأبيات لأبي الأسد[6] ـ: [٢٥٦/٥]

تولّى الموصليُّ فقد تولّت ... بشاشاتُ المَزَاهِرِ والقِيانِ
وأيُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتبقى ... حياةُ الموصليّ على الزمان
ستَبْكيه المَزَاهِرُ[7] والمَلاهي ... وتُسْعِدُهنّ عاتقةُ الدِّنان
وتَبْكيه الغَوِيّةُ إذ تولّى ... ولا تبكيه تاليةُ القُرَان[8]

قال: فأبكى من حضر؛ وقلت أنا في نفسي: أفتراه هو إذا مات من يبكيه: المحرابُ أم المصحف؟! قال: وكان كالشامت بموته.

أخبرني يحيى بن عليّ قال قال أنشدني حمّاد قال: أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته:

أقول له لما وقفتُ بقبره ... عليك سلامُ الله يا صاحبَ القبرِ
أيا قبرَ إبراهيم حُيِّيتَ حُفْرةً ... ولا زِلتَ تُسْقَى الغيثَ من سَبَلِ[9] القَطْرِ
/ لقد عزّني[10] وَجْدي عليك فلم يَدَعْ ... لقلبي نصيباً من عَزاء ولا صبر [٢٥٧/٥]

---

(١) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «يشقها».
(٢) كذا في ط،ء، وفي سائر الأصول: «ليخلع عليه هو خيراً منها».
(٣) في ط،ء: «القاسم بن يزيد الموصلي».
(٤) كذا في ط،ء، وفي سائر الأصول: «فذكرن».
(٥) زيادة عن ط،ء.
(٦) كذا في ط،ء. وهو نباتة بن عبدالله الحماني، من شعراء الدولة العباسية، وقد أورد له أبو الفرج ترجمة في (ج ١٢ ص ١٧٤ طبع بولاق)، وقد ذكرت في ترجمته هذه الأبيات يرثي بها إبراهيم الموصلي. وفي سائر الأصول: «الأسل» باللام، وهو تحريف.
(٧) في س: «المزامر» بالميم.
(٨) القران: القرآن.
(٩) السبل (بالتحريك): ما سال من المطر.
(١٠) عزه الوجد: غلبه.

وقد كنتُ أبكي من فِراقك ليلةً فكيف وقد صار الفِراقُ إلى الحشر

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل [ابن إبراهيم][1] الموصليّ الملقب بوَسْوَاسَةَ[2] قال: أنشدني حَمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصليّ:

سلامٌ على القبر الذي لا يُجيبنا ونحن نُحَيّي تُربَهُ ونخاطبُه

سَتَبْكيه أشرافُ المُلوك إذا رَأَوْا مَحَلّ التصابي قد خلا منه جانبُه

ويَبكيه أهلُ الظَّرْف طُرًّا كما بكى عليه أمير المؤمنين وحاجبُه

ولمّا بدا لي اليأسُ منه وأنْزَفَتْ[3] عيونٌ بسواكيه ومَلّت نوادبُه

وصار شفاءُ النفس[4] من بعض ما بها إفاضةَ دمعٍ تَنْتَهِلُ سواكبُه

جعلتُ على عينيّ للصبح عَبرةً ولِلّيل أخرى ما بدتْ لي كواكبُه

قال: وأنشدني أيضاً حَمّاد لأبيه يَرثي أباه:

عليك سلامُ الله من قبرِ فاجعٍ وجادك من نوءِ السِّماكين وابلُ[5]

/ هل أنتَ مُحيّي القبرِ أم أنت سائل وكيف تُحيّا تُربةٌ وجَنادل

أظَلُّ كأنّي لم تُصبني مصيبةٌ وفي الصّدر من وَجْدٍ عليك بلابل

وهَوّن عندي فَقْدَه أنّ شخصه على كل حال بين عينيّ ماثل

48/5

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيوب المَدِينيّ قال أنشدني إبراهيم بن عليّ بن هِشام لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ:

[258/5]

/ أصبح اللهو تحت عَفْر التراب ثاوِياً في مَحَلّة الأحباب

إذ ثوى الموصليّ فانْقرض اللّهـ ـو بخير الإخوان والأصحاب

بكت المُسْمِعاتُ حُزناً عليه وبكاه الهوى وصَفْوُ الشراب

وبكتْ آلةُ المجالس حتى رحِم العودُ دمعةَ المِضراب[6]

ذكره ابنه إسحاق عند الرشيد وبكى فلاطفه ووصله:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال:

(١) زيادة عن ط،ء.

(٢) في الأصول: «وسواسة» ولقب تتعدّى بالباء.

(٣) أنزفت العين: فنى ماؤها، ويقال أنزف الرجل البئر إذا استخرج ماءها كله، فهو لازم متعد.

(٤) كذا في ط،ء. وفي باقي الأصول: «شفاء الناس».

(٥) وردت هذه الأبيات في ط،ء بزيادة هاء للوصل على رويها وورد فيها الشطر الأخير من البيت الثاني هكذا: «وكيف يحيا تربه وجنادله».

(٦) في ط،ء: «دمعة المحراب». ومن معاني المحراب صدر البيت وأكرم موضع فيه.

دخلتُ إلى الرشيد بعَقِب[١] وفاة أبي، وذلك بعد شهر من يوم وفاته، فلمّا جلستُ ورأيت موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دَمَعتْ عيني، فكفَفْتُها وتصبّرتُ؛ ولمحني الرشيد فدعاني إليه وأدناني منه، فقبّلتُ يدَه ورجلَه والأرض بين يديه، فاستعبر، وكان رقيقاً؛ فوثبت قائماً ثم قلت:

في بقاء الخليفة الميمون ... خَلَفٌ من مُصيبة المحزونِ

لا يَضيرُ المصابَ رُزْءٌ إذا ما ... كان ذا مَفْزَعٍ إلى هارون

فقال لي: كذاك والله هو، ولن تَفْقِد من أبيك ما دمتُ حيّاً إلا شخصَه؛ وأمر بإضافة[٢] رزقه إلى رزقي؛ فقلت: بل يأمر أميرُ المؤمنين به إلى ولده، ففي خدمتي إياه ما يُغْنِيني؛ فقال: اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأَضْعِفُوا رزق إسحاق.

[٢٥٩/٥]

صوت

من المائة المختارة

أحد الأصوات من المائة المختارة:

يا دارَ سُعْدى بالجِزْعِ[٣] من مَلَلِ[٤] ... حُيِّيتِ من دِمْنةٍ[٥] ومن طَلَلِ

إنّي إذا ما البخيلُ أَمْنَعها ... باتت ضَمُوزاً[٦] منّي على وَجَلِ[٧]

لا أُمتِعُ العُوذَ بالفِصال ولا ... أَبتاعُ إلا قريبةَ الأجلِ

العوذ: الإبل التي قد نُتجتْ، واحدتها عائذ. يقول: أنحرُها وأولادَها للأضياف فلا أُمتِعها. والضَّمُوز: الممسكة عن أن تَجْتَرّ. ضمَز الجملُ بجِرّته إذا أمسك عنها، ودَسَع[٨] بها إذا استعملها. يقول: فهذه الناقة من شدة خوفها على نفسها مما رأت من نَحْر نظائرها قد امتنعتْ من جِرّتها فهي ضامِزةٌ.

الشعر لابن هَرْمة. والغناء في اللحن المختار لمَرْزوق الصراف[٩] ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر

(١) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «بعقيب». والعقيب: المعاقب، ويستقيم الكلام به على تقدير محذوف، أي بوقت عقيب وقت وفاة أبيه، أو على أن يكون مصغراً.

(٢) في ط، ء: «بإفاضة».

(٣) الجزع (بالكسر ويفتح): منعطف الوادي ووسطه أو منقطعه. وفي ط، ء: «الخيف» وهو ما انحدر عن غلف الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

(٤) ملل (بالتحريك): منزل على طريق المدينة إلى مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون ميلاً.

(٥) في ب: «دجنة» بالجيم، وهو تحريف.

(٦) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «بانت ضموراً» وهو تصحيف.

(٧) ورد هذا البيت والذي بعده في «الأمالي» (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) بتقديم الذي بعده عليه، وهو الأنسب ليرجع الضمير فيه إلى مذكور. وفي تفسير المؤلف للبيتين ما يشعر بهذا الترتيب.

(٨) كذا في ط، ء. ودسع الرجل: قاء ملء الفم. وفي ب، س: «رسغ» (بالراء والغين المعجمة). وفي سائر الأصول: «رسع» بالراء والعين المهملة، وكلاهما تحريف.

(٩) كذا في ط، ء، أ هنا وفيما سبق في جميع الأصول في الجزء الرابع في آخر ترجمة فليح بن أبي العوراء. وفي سائر الأصول هنا: «لمرزوق الضراب».

عن إسحاق، ويقال إنه ليحيى بن واصل. وذكر عمرو بن بَانَةَ أنّ فيه لدَحْمانَ لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، [وأن [٥/٢٦٠] فيه لابن مُحْرز لحناً من / الثقيل الثاني بالبنصر][1] في الثالث ثم الثاني، ووافقه آبن المكيّ. قال: وفيه لدَحْمَانَ ٤٩/٥ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الأول والثالث؛ وذكر الهِشَاميّ / أنّ هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقيل الثاني لإبراهيم، وأنّ لمَعْبد فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى، وأن فيه للهُذَليّ خفيفَ ثقيل، وأن فيه رَمَلاً ينسب إلى ابن مُحْرِز [أيضاً][1].

شيء من ذكر آبن هَرْمة أيضاً

طلب يحيى بن عروة من ابنة ابن هرمة زاداً فردّته فذكرها بقول أبيها:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ ونَوْفل بن مَيْمون عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَينة قال:

خرجتُ في حاجة لي، فلمّا كنت بالسَّيَالة[2] وقفت على منزل إبراهيم بن عليّ بن هَرْمة، فصِحْتُ: يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنتُه: من هذا؟ فقلت: انظري، فخرجتْ إليّ فقلت: أعلمي أبا إسحاق؛ فقالت: خرج والله آنفاً؛ قال: فقلت: هل من قِرًى؟ فإني مُقْوٍ[3] من الزاد؛ قالت: لا والله، ما صادفتَه حاضراً؛ قلت: فأين قولُ أبيك:

لا أُمْتِـــعُ العُـــوذَ بـــالفِصَـــال ولا   أبتـــاعُ إلا قـــريبـــةَ الأجـــلِ

قالت: بذاك[4] والله أفناها ـ أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَاية بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه: ـ قال: فأخبرت إبراهيم بن هَرْمة بقولها، فضمّها إليه وقال: بأبي أنت وأمي! أنت والله ابنتي حقاً، الدارُ والمَزْرعةُ لك.

[٥/٢٦١] / **ذكر بشعر له في الكرم فأنهب غنمه الناس وكان بخيلاً:**

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني نَوْفل بن ميمون قال حدّثني مُرَقَّع[5] قال:

كنت مع ابن هَرْمة في سَقيفة[6] أمّ أُذَيْنَة، فجاءه راعٍ بقطعة[7] من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مُرَقَّع: فقلت: يا أبا إسحاق، أين عزَب عنك قولك:

لا غنمـــي مُـــدّ فـــي الحيـــاة لهـــا   إلا لـــدَرْك[8] القِـــرَى ولا إبلـــي

وقولُك فيها أيضاً:

لا أُمْتِـــعُ العُـــوذَ بـــالفصـــال ولا   ولا أبتـــاعُ إلا قَـــرِيبـــةَ الأجـــلِ

(١) زيادة عن ط، ء.
(٢) السيالة (بفتح أوّله وتخفيف ثانيه): أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.
(٣) أقوى القوم: فني زادهم.
(٤) في ط، ء، حـ: «فذاك».
(٥) في ط، ء: «موقع» بالواو.
(٦) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «سفينة ابن أذينة».
(٧) كذا في ط، ء: وفي سائر الأصول: «بقطيعة»، وهو تحريف.
(٨) في ط، ء: «إلا دراك».

فقال لي: مالك أخزاك الله! من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبناها[1] حتى وقف الراعي وما معه منها شيء.

وحدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه:

أن ابن هَرْمَةَ كان اشترى غنماً للربح[2]، فلقيه رجل فقال له: ألست القائل:

لا غنمي مُدّ في الحياة لها إلا لِـدَرْك القِرَى ولا إبلي

قال: نعم؛ قال: فوالله إني لأحسَبك تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك، وإنك لكاذب؛ فأحفظه [ذلك][3] فصاح: من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبها الناس جميعاً؛ وكان ابنُ هَرْمة أحدَ البخلاء.

/ أوّل شعر قاله ابن هرمة: [٥/٢٦٢]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني نوفل بن ميمون قال حدّثني زُفَر بن محمد[4] الفِهْري: أن هذه القصيدة أولُ شعر قاله ابن هرمة.

سمع مزبد بيتاً له في الفخر فتهكم به:

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي: حدّثنا عبدالله بن الوَليد الأَزْدِيّ قال حدّثني جعفر بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين[5] قال:

سمع مزبد[6] قولَ ابن هَرْمة:

/ لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصَال ولا أبتاعُ إلّا قريبةَ الأَجَلِ ٥٠/٥

قال: صدَق ابن الخبيثة، إنّما كان يَشتري الشاة للأضحى فيَذبحها من ساعته.

ذهب إليه قوم من قريش للعبث به فكان بينهم حوار ظريف:

أخبرنا وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه [عن عبدالله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه][7] قال:

اجتمع قوم من قريش أنا فيهم، فأحببنا أن نأتي ابنَ هَرْمة فنعبَث به، فتزوّدنا زاداً كثيراً ثم أتيناه لنقيم عنده، فلما انتهينا إليه خرج إلينا فقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: سمعنا شعرك فدعانا إليك لما سمعناك قلت:

/ إنّ امرأً جعل الطريقَ لبيته طُنُباً[8] وأنكَر حقّه لَلَئيم [٥/٢٦٣]

---

(١) كذا في حـ. وفي ط،ء: «فانتهبنا». وفي سائر الأصول: «فانتهبناها له...».

(٢) كذا في حـ، ط،ء. وفي سائر الأصول: «للذبح»، وهو تحريف.

(٣) زيادة عن ط،ء.

(٤) في ط،ء: «زفر بن الحارث الفهري».

(٥) كذا في ط،ء وهو الموافق لما جاء في كتاب «المعارف» لابن قتيبة (ص ١١١ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «الحسن».

(٦) كذا في ط،ء وكتاب «البخلاء» للجاحظ (ص ٩ طبع أوروبا) و «عيون الأخبار» طبع دار الكتب المصرية (انظر مقدّمته ص م حاشية رقم ٣). وفي «شرح القاموس» (مادة زبد): مزبد كمحدث اسم رجل صاحب «النوادر»، وضبط كمعظم، ووجد بخط الذهبي ساكن الزاي مكسور العين. (باختصار). وفي سائر الأصول: «مزيد» بالياء المثناة التحتية، وهو تصحيف.

(٧) التكملة عن ط،ء.

(٨) الطنب (بضم النون وتسكينها): حبل الخباء والسرادق ونحوهما، وقد يستعار للطرف والناحية. فلعله يريد أنه أقام بيته على الطريق فكانت الطريق طرفاً له. وفي الحديث: «ما بين طنبي المدينة أحوج مني إليها» أي ما بين طرفيها. وفي حـ: «ضرب الطريق... طرقاً... إلخ».

وسمعناك تقول:

وإذا تنـوّر طـارق[1] مُسْتنبِـحٌ نَبَحـتْ فـدلّتـه علـيّ كـلابِـي
وعَـوَيْـنَ يَستعجلْنـه فلقِيْنَـه يَضـربْنـه بشَـرَاشِـرِ[2] الأذنـاب

وسمعناك تقول:

كـم نـاقـةٍ قـد وجـأْتُ[3] مَنْحَـرهـا بمُسْتَهَـلّ الشُّـؤْبُـوب أو جَمَـلِ
لا أُمتـع العُـوذَ بـالفِصـال ولا أبتـاع إلاّ قـريبـةَ الأجَـل

قال: فنَظر إلينا طويلاً ثم قال: ما على وجه الأرض عصابةٌ أضعفُ عقولاً ولا أسخفُ دِيناً منكم؛ فقلنا له: يا عدوّ الله يا دعيّ، أتيناك زائرين [و][4] تُسْمِعُنا هذا الكلام؛ فقال: أمَا سمعتم الله تعالى يقول للشعراء: ﴿وأنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾ أفيُخبركم الله أنّي أقول ما لا أفعلُ وتريدون منّي أن أفعلَ ما أقول؛ [قال][4] فضحِكنا منه وأخرجناه معنا، فأقام عندنا في نزهتنا يَشْرَكُنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة.

إعجاب الأصمعي به:

أخبرنا عمّي قال حدّثني محمّد بن سعيد الكُرَانيّ عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال:

[٥/٢٦٤] / الحَكَم الخُضريّ، وابن مَيّادة، ورؤْبة، وابن هَرْمة، وطُفَيل الكِنانيّ، ومَكين العُذْريّ، كانوا على ساقة[5] الشعراء، وتقدّمهم ابن هَرْمة بقوله:

لا أُمتـع العُـوذ بـالفِصـال ولا أبتـاع إلاّ قـريبـةَ الأجـل

قال عبد الرحمن: وكان عمّي مُعْجَباً بهذا البيت مُستحسِناً له، وكان كثيراً ما يقول: أمَا تَرَوْن كيف قال! والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً؛ ثم يقول: ما يؤخّره عن الفحول إلا قُرْبُ عهده. انتهى.

تفضيل مروان بن أبي حفصة له:

أخبرني محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى ووَكِيع عن حَمّاد عن أبيه قال:

قلت لمروان بن أبي[6] حَفْصة: مَنْ أشعر المُحْدَثين من طبقتكم عندك؟ لا أُغنيك؛ قال: الذي يقول:

لا أمتـع العـوذ بـالفصـال ولا أبتـاع إلا قـريبـةَ الأجـل

ناقض ابن الكوسج شعراً له فتهدّد مواليه إن لم يأتوه به مربوطاً:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي حُذَافة قال:

لمّا قال ابن هَرْمة:

(١) في ط،ء: «راكب».
(٢) شراشر الأذناب: أطرافها.
(٣) وجأه: ضربه بسكين ونحوه.
(٤) زيادة عن ط،ء.
(٥) الساقة: المؤخرة، يقال: فلان في ساقة الجيش أي في مؤخرته.
(٦) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «مروان بن حفصة»، وهو تحريف.

لا أمتـع العـود بـالفِصال ولا | أبتـاع إلا قـريبـةَ الأجـل

قال آبْنُ الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه:

مـا يشـرب البـاردَ القَـراحَ ولا | يـذبـح مـن جَفْـرةٍ[1] ولا حَمَـلِ[2]
كـأنّـه قِـرْدَةٌ يـلاعبهـا | قـردٌ بـأعلـى الهِضـاب مـن مَلَـل

/ قال: فقال ابن هَرْمة: لئن لم أوتَ به مربوطاً لأفعلنّ بآل حُنَين ولأفعلنّ؛ فوهبوا لابن / الكَوْسج مائة درهم [٥/٢٦٥] [٥١/٥] وربطوه وأتَوْا به ابن هَرْمة فأطلقه[3]؛ فقال ابن الكوسج: والله لئن عاد لمثلها لأعودنّ[4].

غنى ابن جامع الرشيد ما شغله به عن غيره فعلم إبراهيم مخارقاً لحناً تفوّق به عليه:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني هارون بن مُخَارِق عن أبيه قال:

كنّا عند الرشيد في بعض أيامنا ومعنا ابن جامع، فغنّاه ابن جامع ونحن يومئذ بالرَّقّة:

هـاج شـوقـاً فِـراقُـكَ الأحبـابـا | فتنـاسيـتَ أو نَسِيـتَ الـرَّبـاب
حيـن صـاح الغـرابُ بـالبَيْـن منهـم | فتصـامَمْـتَ إذ سمعـتَ الغُـرابـا
لـو علمنـا أنّ الفِـراق وَشِيـكٌ | مـا انتهينـا حتـى نـزورَ القِبـابـا
أو علمنـا حيـن استقلّـتْ نَـوَاهـم | مـا أقمنـا حتـى نَـزُمَّ[5] الـرِّكـابـا

ـ الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. وذكرتْ دَنَانِيرُ عن فُلَيح أنّ فيه لابن سريج وابن مُحْرِز لحنين ـ. قال: فاستحسنه الرشيد وأُعجب به واستعاده مراراً وشرب عليه أرطالاً حتى سكر، وما سمع غيرَه ولا أقبل على أحد، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلمّا انصرفنا قال لي إبراهيم: لا تَرِمْ[6] منزلَك حتى أصير إليك؛ فصرت / إلى منزلي، فلم أُغيِّر ثيابي حتى أعلمني [٥/٢٦٦] الغلام بموافاته، فتلقّيتُه في دِهْليزي[7]، فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي: يا مُخَارِق، أنت فَسِيلةٌ[8] منّي وحَسَني لك وقبيحي عليك، ومتى تركنا ابنَ جامع على ما ترى غَلَبَنا على الرّشيد، وقد صنعتُ صوتاً على طريقة

---

(١) الجفرة: من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش، قال أبو عبيد: إذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر وجفر جنباه وفصل عن أمه وأخذ في الرعي فهو: جفر، والأنثى جفرة.
(٢) كذا في ط،ء، حـ، وهو الأنسب للمعنى. وفي سائر الأصول: «جمل» بالجيم.
(٣) عبارة ط،ء: «فأطلقه وقال: والله لئن عاد إلى مثلها لأعودنّ». وهي تفيد أن المهدّد ابن هرمة لا ابن الكوسج، على خلاف ما يفيده باقي الأصول.
(٤) إلى هنا انتهى المؤلف من أخبار ابن هرمة وعاد إلى إبراهيم الموصلي، ولهذا عنونا به هذه الصفحة وما بعدها إلى أخبار إسحاق.
(٥) زم البعير: خطمه ووضع فيه الزمام.
(٦) رام المكان يريمه: برحه، وأكثر ما يستعمل منفياً.
(٧) الدهليز (بالكسر): اسم الممر الذي بين باب الدار ووسطها، فارسيّ معرّب. قال يحيى بن خالد: «ينبغي للإنسان أن يتأنق في دهليزه، لأنه وجه الدار، ومنزل الضيف، وموقف الصديق حتى يؤذن له، وموضع العلم، ومقيل الخدم، ومنتهى حدّ المستأذن».
(٨) الفسيلة: النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغترس.

صوته الذي غنّاه أحسنَ صنعةً منه وأجود وأشجى، وإنما يَغلبني عند هذا الرجل بصوته، ولا مَطْعَنَ على صوتك، وإذا أطربتَه وغلبتَه عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي[١] مقام الظَّفَر؛ وسيُصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضُر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابنَ جامع فيردّ الصوت الذي غناه ويشرب عليه رِطلاً ويأمر له بجائزة، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ رَدّته حتى تُغَنّيَ ما أُعلّمك إياه الساعةَ، فإنه يُقبل عليك ويَصلك، ولستُ أُبالي ألاّ يصلني بعدَ أن يكون إقبالُه عليك؛ فقلت: السمع والطاعة؛ فألقى عليّ لحنَه:

* يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَل *

وردّده[٢] حتى أخذتُه وانصرف؛ ثم بكّر عليّ فاستعاد الصوت فَرَدَّدْتُه حتى رَضِيَه، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صِرْنا إلى دار الرشيد؛ فلمّا دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً، وكان إبراهيم أعلمَ الناس به، ثم أمر ابنَ جامع فردّ الصوت ودعا برِطل فشربه، ولما استوفاه واستوفى ابن جامع صوتَه لم أدَعْه يتنفّس حتى اندفعتُ فغنّيت صوتَ إبراهيم، فلم يَزَلْ يُصغي إليه وهو باهتٌ حتى استوفيتُه؛ / فشرب وقال: أحسنتَ والله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم؛ فلم يزل يستدنيني حتى صِرتُ قُدّامَ سريره، وجعل يستعيد الصّوت فأُعيده ويشرب [عليه][٣] رِطلاً، فأمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأمر لي بمثلها؛ وجعل ابنُ جامع يَشْغَب ويقول: يجيء بالغناء فيَدُسّه في أَسْتاه الصّبيان! إن كان محسناً فليُغنّه هو، والرشيد يقول [له][٣]: دع ذا عنك، فقد والله استقاد منك وزاد عليك.

[٥/٢٦٧]



٥٢/٥

/ صوت

من المائة المختارة

تَــوَلّــى شبــابُــكَ إلا قليــلاَ	وحــلّ المَشيــبُ فصبــراً جميــلاَ
كفــى حَــزَنــاً بفِــراق الصِّبــا	وإنْ أصبــح الشَّيــبُ منــه بَــدِيــلا

الشعر والغناء لإسحاق. ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاقَ بن عمرو.

(١) كذا في ط،ء. وفي سائر الأصول: «قام ذلك مني».
(٢) في م: «ورددته».
(٣) الزيادة عن ط،ء.

/ أخبار إسحاق بن إبراهيم [٥/٢٦٨]

نسب إسحاق الموصلي وكنيته:

قد مضى نسبه مَشروحاً في نسب أبيه؛ ويُكْنَى أبا محمد، وكان الرشيد[١] يُولَع به فيَكْنِيه أبا صَفْوان، وهذه كُنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب مَزْحاً.

منزلته في العلوم وتقدير الخلفاء والناس له:

وموضعُه من العِلم، ومكانُه من الأدب، ومَحَلّه من الرواية، وتقدُّمه في الشعر، ومنزلته في سائر المحاسن، أشهرُ من أن يُدَلّ عليه فيها بوصف؛ وأما الغناء فكان أصغرَ علومه وأدنى ما يُوسم به وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه؛ فإنه كان له في سائر أدَوَاته نُظَراءُ وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير؛ فإنه لَحِق بمن مضى فيه وسبَق من بقي، ولَحَبَ[٢] للناس جميعاً طريقَه فأوضحها، وسهّل عليهم سبيلَه وأنارها؛ فهو إمامُ أهل صناعته جميعاً، ورأسهم ومعلِّمهم؛ يَعْرِف ذلك منه الخاصّ والعامّ، ويشهد به الموافق[٣] والمفارق؛ على أنه كان أكرَه الناس للغناء وأشدَّهم بغضاً لأن يُدعى إليه أو يُسمّى به. وكان يقول: لَوَدِدتُ أن أضرب، كلما أراد مريدٌ مني أن أغنّيَ وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغنّي، عشرَ مَقارع، لا أُطِيق أكثرَ من ذلك، وأُعْفَى من الغناء ولا ينسُبني من يذكرني إليه. وكان المأمون يقول: لولا ما سَبق على ألسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاءَ بحضرتي، فإنه أولى به / وأعفُّ وأصدق وأكثر دِيناً وأمانةً من هؤلاء القضاة. [٥/٢٦٩]

مشايخه الذين تلقى عنهم:

وقد روى الحديثَ ولقي أهلَه: مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عُيَيْنة، وهُشَيم بن بَشِير[٤]، وإبراهيمَ[٥] بن

---

(١) كذا في جميع الأصول، والمعروف أن الرشيد لم يعاصر إسحاق بن إبراهيم بن مصعب في بغداد، وأن إسحاق المصعبي وأهل بيته من أهل بوشنج من أعمال خراسان ولم يدخلوا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها، ومعلوم أيضاً أن إسحاق المصعبي هو الذي أوقع هذه الكنية على إسحاق كما سيجيء في شعر للموصلي بعث به إليه، والغالب أن في الأصول تحريفاً، والأجدر به أن يكون «المأمون» بدل «الرشيد» ليتسق التاريخ وتتلاءم الحوادث بعضها مع بعض (انظر «التاج» للجاحظ الحاشية رقم ١ ص ٣١ طبع المطبعة الأميرية).

(٢) لحب الطريق: سلكه وأوضحه، ويستعمل لازماً فيقال: لحب الطريق إذا وضح. وفي س «ألحب» وهو بمعنى «لحب» المتعدّي.

(٣) لعله «المرافق والمفارق» أي القريب والبعيد.

(٤) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، يكنى أبا معاوية، مات في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ هـ.

(٥) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ويكنى أبا إسحاق، وكان ثقة كثير الحديث وربما أخطأ فيه، توفي ببغداد سنة ١٨٣ هـ.

سَعْد، وأبي معاوية[١] الضَّرير، ورَوْح[٢] بن عُبادة، وغيرِهم من شيوخ العراق والحجاز. وكان مع كراهته الغناءَ أضنَّ خلق الله وأشدَّهم بُخلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغِلْمانه ومن يأخذ عنه مُنتسباً إليه مُتَعَصِّباً له فضلاً عن غيرهم.

هو الذي صحح أجناس الغناء بطبعه من غير أن يطلع على كتب القدماء:

وهو الذي صحّح أجناس الغناء وطرائقَه وميّزه تمييزاً لم يقدِر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده، ولم يكن قديماً مميزاً على هذا الجنس، إنما كان يقال الثقيل، وثقيل الثقيل، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهذا عمرو بن بانة، وهو من تلاميذه، يقول في كتابه: الرمل الأوّل، والرمل الثاني؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر، ولا يعرف المجاريَ التي ذكرها إسحاق في كتابه، مثلَ ما ميّز الأجناس؛ فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها، ثم بما كان بالسبّابة في مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صنفين، الصنف الأوّل منهما هذا الذي ٥٣/٥ ذكرناه، والصنف الثاني القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل، وأجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري، وألحق جميعَ الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب. ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلاً عن أن يُصنّفه في كتابه؛ فقد ألف جماعةٌ من المغنّين كتباً، منهم يحيى المكيّ ـ / [٥/ ٢٧٠] وكان شيخَ الجماعة وأستاذهم، وكلُّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه ـ ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم، وألحق فيه ابْنُه الغناءَ المُحدَث إلى آخر أيّامه، فأتَيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم، حتى جعلا أكثر ما جنّساه من ذلك مختلطاً فاسداً، وجعلا بعضه، فيما زعما، تشترك الأصابع كلّها فيه؛ وهذا محال؛ ولو اشتركت الأصابع لَمَا احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومةً على صِنفين: الوسطى والبنصر. والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا؛ وقد ذكرته في رسالة عمِلتُها لبعض إخواني ممن سألني شرحَ هذا، فأثبتّه واستقصيتُه استقصاءً يُستغنَى به عن غيره. وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رسمتْه الأوائلُ مثل إقْلِيدس ومَنْ قبلَه ومَنْ بعده من أهل العلم بالموسِيقى، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنَوْا فيه الدهورَ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه.

فأخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فسأل إسحاقَ الموصليّ ـ أو سأله محمد بن الحسن بن مُصعب ـ بحضرتي، فقال له: يا أبا محمد، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنَّغمة الحادّة التي هي العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبقي إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكراً، واحمرّت أُذُناه وكانتا عظيمتين، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما؛ فقال لمحمد بن الحسن: الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون بالضرب، فإن كنتَ تضرب أريتُك أين تخرج؛ فخجِل وسكت عنه مُغْضَباً، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن، فحلُم عنه. قال عليّ بن يحيى: فصار إليّ به وقال لي: يا أبا الحسن، إنّ هذا / [٥/ ٢٧١] الرجل سألني عما سمعتَ، ولم يبلُغ علمُه أن يستنبط مثلَه بقريحته، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل، وقد بلغني أنّ التراجمة

(١) اسمه محمد بن خازم مولى لبني عمرو بن سعد، وكان ثقة كثير الحديث يدلّس، توفي بالكوفة سنة ١٩٥ هـ.

(٢) هو روح بن عبادة القيسي من بني قيس بن ثعلبة ويكنى أبا محمد وكان ثقة، توفي سنة ٢٠٥ هـ.

عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطنيه؛ فوعدته بذلك، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها. وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله، لأنه من أعجب شيء يُؤْثَر عنه: أنه استخرج بطبعه عِلماً رسمته الأوائل لا يُوصَل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه وأستنبطه بقريحته، فوافق ما رسمه أولئك، ولم يَشِذَّ عنه شيء يحتاج إليه منه، وهو لم يقرأه ولا[1] له مدخلٌ إليه ولا عَرفه، ثم تبيَّنْ بعد هذا، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته، فضلَه على أهلها كلّهم وتميُّزه عنهم، وكونَه سماءً هم أرضُها، وبحراً هم جَدَاوله.

اسم أمه وجنسها:

وأمّ إسحاق امرأة من أهل الرَّيّ يقال لها شاهك؛ وذكر قوم أنها دُوشَار التي كانت تُغنّي / بالدُّفّ، فهَوِيَها إبراهيم وتزوّجها. وهذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتاً، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه ٥٤/٥

برنامج دراسته اليومي:

أخبرني يحيى بن عليّ المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال:

بقيتُ دهراً من دهري أُغلّس في كلّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه، ثم أصير إلى الكِسائيّ أو الفَرّاء أو ابن غَزَالة[2] فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، ثم آتي منصورَ / زلزل[3] فيضار بني طَرَقين[4] أو ثلاثة، ثم آتي عاتكةَ[5] بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم آتي الأصمعيّ وأبا عُبَيدة فأناشدهما وأُحدّثهما فأستفيد منهما، ثم أصير إلى أبي فأُعلمه ما صنعتُ ومَنْ لَقِيت وما أخذتُ وأتغدّى معه، فإذا كان العشاء رُحت إلى أمير المؤمنين الرشيدِ. [٥/ ٢٧٢]

تعلم الضرب بالعود من زلزل:

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أخَذ منّي منصورُ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثْلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم.

جاء إلى ابن عائشة فأكرمه:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمة قال:

كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فرحّب به وقال: هاهنا يا أبا محمد إلى جَنْبي، فلئن بعُدَتْ بيننا الأنساب، لقد قَرُبتْ بيننا الآداب.

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وهو لم يقرأه ولا المدخل إليه... إلخ».

(٢) كذا في جميع الأصول. وقد جاء في «شرح القاموس» (مادة غزل): «وعبد الواحد بن أحمد بن غزال مقرئ».

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «ثم آتي منصوراً زلزلاً». وإذا اجتمع علمان لمسمى واحد جازت الإضافة والاتباع على أن يكون الثاني بدلاً أو عطف بيان.

(٤) كذا في أ، م. والطرق (بالفتح): صوت أو نغمة بالعود ونحوه، يقال: تضرب هذه الجارية كذا طرقاً. وفي ب، س، حـ: «طرفين» بالفاء. وفي ء: «طريقين»، وكلاهما تحريف.

(٥) عاتكة بنت شهدة: إحدى المغنيات المحسنات، وأمها جارية الوليد بن يزيد وكانت مغنية أيضاً. (انظر الكلام عليها في «الأغاني» ج ٦ ص ٥٧ طبع بولاق).

تقدير المأمون له:

أخبرني الحسن[١] بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا يَزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا ابن[٢] شَبيب من جلساء المأمون عنه: أنه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه: لولا / ما سَبَق على ألسِنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلَّيْتُه القضاء، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقاً وعفةً وفقهاً. هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه. [٥/٢٧٣]

سأل الفضل بن الربيع أن يوصي به سفيان بن عيينة في رواية الحديث وتقدير سفيان له:

أخبرنا يحيى بن علي قال حدّثنا الفَضْل بن العبّاس الورّاق قال حدّثنا المُخرِّميّ[٣] عن أبيه قال: سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول:

صِرتُ إلى سُفيان بن عُيَينة لأسمع منه، فتعذّر ذلك عليّ وصعُب مَرامُه، فرأيته عند الفضل بن الرَّبيع، فسألتُه أن يعرّفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليه بحديثي؛ ففعل وأوصاه بي فقال: إنّ أبا محمد من أهل العلم وحَمَلَتِه. قال: فقلت: تَفرِضُ لي عليه ما يحدّثني به؛ فسأله في ذلك، ففرَض لي خمسةَ عشرَ حديثاً في كل مجلس؛ فصِرت إليه فحدّثني بما فرض لي؛ فقلت له: أعزّك الله، صحيح كما حدّثتَني به؟ قال: نعم، وعقَد بيده شيئاً؛ قلت: أفأَرْويه عنك؟ قال: نعم، وعقَد بيده شيئاً آخر، ثم قال: هذه خمسة وأربعون حديثاً، وضحك إليّ وقال: قد سَرّني ما رأيتُ من تَقَصّيك في الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك، فصرْ إليّ متى شئتَ حتى أحدّثك بما شئتَ.

تقدير أبي معاوية الضرير له:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الجُمَان وعَوْن بن محمد الكِنْديّ قالا: سمعنا إسحاق الموصليّ يقول:

جئتُ يوماً إلى أبي معاوية الضّرير ومعي مائة حديث، فوجدتُ حاجبَه يومئذ رجلاً ضريراً؛ فقال لي: إنّ أبا معاوية قد ولّاني اليوم حِجْبتَه لينفعني؛ فقلت: معي مائةُ حديث وقد جعَلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها؛ فدخل واستأذن لي فدخلت؛ / فلما عرّفني أبو معاوية دعاه فقال له: أخطأتَ، وإنما جعلت لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا؛ ثم أقبل عليّ يُرَغّبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به؛ فقلتُ له: آحتكِمْ في أمره، فقال: مائة / دينار؛ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ، وقرأتُ عليه ما أردت وآنصرفت [٥/٢٧٤]

كان يجري على ابن الأعرابي ثلثمائة دينار في كل سنة وإكبار ابن الأعرابيّ له:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمد الأسَديّ قال حدّثني أحمد بن يحيى الشَّيْباني ثَعْلَب قال:

وقف أبو عبدالله بن الأعرابيّ على المَدَائنيّ، فقال له: إلى أين يا أبا عبدالله؟ فقال: أمضِي إلى رجل هو كما قال الشاعر:

---

(١) في الأصول هنا: «الحسين»، وهو تحريف.

(٢) في حـ، وهامش أ: «حدثنا من شئت من جلساء المأمون».

(٣) المخرميّ: نسبة إلى المخرم (بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء مع الكسر): محلة ببغداد.

نَحمِلُ أشباحَنا إلى مَلِكٍ نأخذُ من مالِه ومن أدبهْ

فقال له: ومَنْ ذلك يا أبا عبدالله؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ. قال أبو بكر: والبيت لأبي تَمّام الطائيّ.

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثَعْلَب محمد بن القاسم الأنباريّ فقال فيه:

كان إسحاقُ يُجْرِي على ابن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلثمائة دينار، وأهْدى له ابن الأعرابيّ شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطّه؛ فمرّ ابْنُ الأعرابيّ يوماً على باب دار الموصليّ ومعه صديق له؛ فقال له صديقه: هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق؛ فقال: هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه.

رأى في المنام جريراً يلقى كبة شعر في فيه فأوّل ذلك بتوريثه الشعر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلّبيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

رأيتُ في منامي كأنّ جريراً جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه، فلمّا فرَغ أخذ بيده كُبّة شَعر فألقاها في فمي فابتلعتها؛ فأوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثني الشعرَ. قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه.

/ تعلم الضرب بالعود من زلزل وأعطاه مالاً كثيراً: [٥/ ٢٧٥]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا[1] حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: قال لي أبي:

أعطيتُ منصوراً زَلْزلاً من مالي خاصّة حتّى تعلمتُ ضرْبَه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذتُه له من الخلفاء ومن أبي. قال: وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوتَ ويَفْهمَه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه، حتى لو ضَرَب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه؛ فإذا تَفَهّمه جاء فيه من الضرْب بما لا يتعلّق به أحد البتّةَ.

ثناء أبي زياد الكلابي عليه حين أجاز بيتاً له ارتجالاً:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق، [وأخبرني به الأخْفَش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق][2]، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلّبيّ عن إسحاق قال:

قال لي أبو زِيَاد الكِلابيّ: أوْلَم جارٌ لي يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها، فانتظرتُ رسوله حتى تصرَّم يومي فلم يأت، فقلت لامرأتي:

إنّ[3] أبا سفيان ليس بمُولِمِ فقُومي فهاتي فِلْقةً من حُوَارِكِ[4]

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «قال» وهو تحريف.

(٢) هذه الزيادة ساقطة من ب، س.

(٣) في ب، س: «وإن». وظاهر من سياق الكلام أن البيت لم يتقدّمه شعر.

(٤) كذا فيما سيأتي في الأصول. والفلقة: القطعة. والحوار (بالضم وقد يكسر): ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل. وفي الأصول هنا: «فقرة من حوارك»، وهو تحريف.

قال إسحاق: فقلت له: أليس غيرُ هذا؟ فقال: لا، إنما أرسلتُه يتيماً؛ فقلت: أفلا أُجيزه؟ قال: شأنك؛ فقلت له:

فبيتُك خيرٌ من بُيوتٍ كثيرةٍ ... وقِدْرُك خيرٌ من وَليمة جارِك

[٢٧٦/٥] / قال: فضحك ثم قال: أحسنتَ بأبي أنت وأمي، جئتَ والله به قَبَلاً[١] ما انتظرتَ به القَرَبَ، وما ألْوم الخليفةَ أن يجعلك في سُمّاره ويتملّحَ بك، وإنك لمن طِراز ما رأيتُ بالعراق مثلَه، ولو كان الشباب يُشترَى لا ابتعتُه لك بإحدى عينيّ ويُمْنَى يديّ، وعلى أن فيك بحمد الله ومَنّه بقيّةً تسرّ الوَدود، وتُرْغِم الحسود. هذا لفظ يزيد المُهلّبيّ والأخفش. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عبدالله بن عَمّار فقال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال

٥٦/٥ قال لي إمّا / شَدّاد بن عُقْبة وإما أبو مُجيب[٢]:

قالت امرأةُ القَتّال الكلابيّ له: هل لكَ في فِلْقة من حُوار نطبُخها لك؟ فقال: لا والله، نحن على وليمة أبي سُفْيان ودَعْوته، وكان أبو سفيان رجلاً من الحيّ زُفّت إليه امرأتُه تلك الليلةَ؛ فجعل يَنظر دُخاناً فلا يراه، فقال:

إنّ أبا سفيان ليس بمُولِمٍ ... فقومي فهاتي فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله.

أنشد أعرابياً شعراً له فمدحه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال:

أنشدتُ أعرابيّا فَهِماً شِعراً لي، فقال: أقْفَرْتَ والله يا أبا محمد؛ قلتُ: وما أقفرت؟ قال: رعيتَ قَفْرة لم تُرْعَ قبلك. (يريد: أبْدَعْتَ).

[٢٧٧/٥] / **دخل على المأمون وعقيد يغنيه فتبين خطأ في الغناء لم يتبينه أحد ممن حضر:**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمّي قالا حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول:

دخلتُ على المأمونَ يوماً وعَقِيدٌ يغنّيه ارتجالاً وغيرُه يضرب عليه؛ فقال: يا إسحاق، كيف تَسمع مغنّيناً هذا؟ فقلتُ: هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري؟ قال: نعم، سألت عمّي إبراهيم فوصفه وقرّظه واستحسنه؛ فقلتُ له: يا أمير المؤمنين ـ أدام الله سرورك، وأطاب عيشك ـ إنّ الناس قد أكثروا في أمري حتى نَسَبتْني فرقة إلى التَّزَيُّد في علمي؛ فقال لي: فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لَزِمك؛ فقلت لَعقيد: ارْدُد هذا الصوت الذي غنّيتَه آنفاً، وتحفّظ فيه وضرَب ضاربُه عليه؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ: كيف رأيتَه؟ فقال: ما رأيتُ شيئاً يُكره ولا سمعتُه؛

(١) القبل (بالتحريك): الارتجال أي التكلم بكلام لم يكن قد أعدّه، يقال: تكلم قبلاً فأجاد، واقتبل الكلام والخطبة اقتبالاً إذا ارتجلهما ولم يكن أعدّهما. والقبل أيضاً: أن يورد الرجل إبله فيستقي على أفواهها ولم يكن هيأ لها قبل ذلك شيئاً. والقرب (بالتحريك): أن يكون بين القوم وبين الماء ليلة أو عشية فيعجلون بإبلهم ويسوقونها إليه سوقاً شديداً. يريد أنه جاء به ارتجالاً وعفو الخاطر من غير أن يتريث به ويكد سعياً في طلبه.

(٢) كذا في حـ وكذلك صححه المرحوم الشنقيطي في نسخته، وهو أبو مجيب الربعي، كما سيأتي ذكره بعد قليل في أخبار إسحاق. وقد جاء مضطرباً في سائر الأصول هنا.

فأقبلتُ على عَقيد فقلت له حين آستوفاه: في أيّ طريقةٍ هذا الصوتُ الذي غنّيتَه؟ قال: في الرَّمَل؛ فقلت للضارب: في أي طريقةٍ ضربتَ أنت؟ قال: في الهَزَج الثقيل؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عسَيتُ أن أقول في صوت يغنّي مغنّيه رَمَلاً ويضرب ضاربُه هَزَجاً، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه!. قال: وتفهّمه إبراهيمُ بن المهديّ بعدي، فقال: صدَق يا أمير المؤمنين، الأمرُ فيه الآن بَيّن؛ فغاظني، فقلت له: بأيّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بيّناً قبلُ؟ أتُوهِم أنك استنبطتَ معرفة هذا! وإنما قلتَه لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائر من حضر اتّباعاً لي واقتداءً بقولي. فقال له المأمون: صدَق، فأمسك؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كل من حضر، وكنّاني في ذلك اليوم مرّتين.

إعجاب الأصمعي ببيتين له في الفخر:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبدالله أحمد بن حَمْدون قال حدّثني أبي:

/ أنّ الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيْمةَ[1] بنِ خازم: [٥/٧٨]

إذا كـانـتِ الأحـرارُ أصلـي ومَنصِبـي ... ودافِـعَ ضَيْمـي خـازمٌ وابـنُ خـازمِ

عَطَسـتُ بـأنـفٍ شـامـخ وتنـاولـتْ ... يـدايَ الثـريّـا قـاعـداً غيـرَ قـائـم

قال: فجعل الأصمعيّ يَعْجَب منهما ويستحسنهما، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفضّلهما.

سبب ولائه لخازم بن خزيمة:

قال ابن حَمْدون: وكان السبب في تولّي إسحاقَ خازمَ بن خُزَيمة بن خازم، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا[2]، فقال له ابن جامع: يا من إذا قلتُ له يابنَ زانية لم أخَفْ أن يكذّبني أحد؛ فمضى إلى خازم بنِ خزيمة، فتولّاه وانتمى إليه، فقبِل ذلك منه، وقال هذين البيتين.

امتحنه المعتصم في صوت فأجاب بأنه محدث لامرأة وكان لعريب:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال: قال إسحاق: كانت عندي[3] / صَنّاجة كنت بها مُعْجَباً؛ ٥٧/٥ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في منزلي إذا ببابي يُدَقّ دقّاً شديداً، فقلت: انظروا من هذا؛ قالوا: رسول أمير المؤمنين؛ فقلت: ذهبتْ صَنّاجتي، تجده ذَكَرها له ذاكر فبعث إليّ فيها؛ فلمّا مَضَى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب وأنا مُثْخَن[4]، فدخلتُ فسلّمت، فردّ السلام، ونظر إلى تغيّر وجهي فقال: اسكُن فسكنتُ؛ وسألني عن صوت وقال: أتدري لمن هو؟ فقلت: أسْمَعُه ثم أُخْبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك؛ فأمر / جارية من وراء الستارة فغنّته وضربت، فإذا هي قد شبّهته بالقديم؛ فقلت: زِدْني معها عُوداً آخر فإنه أثبتُ [٥/٧٩

---

(١) هو خزيمة بن خازم بن خزيمة، كان هو وأبوه من أشراف الدولة العباسية، وقد ولي أبوه خراسان وعمان لأبي جعفر المنصور، وكان هو من قوّاد الرشيد المبرزين الذين قاموا له بجلائل الأعمال (انظر كتاب «المعارف» لابن قتيبة ص ٢١٣ و «تاريخ الطبري» قسم ٣ ص ٦٠٢ و ٦٤٨ و ٦٨٣ إلخ).

(٢) كذا في ب. وتغالظا: تعاديا وتشاتما، والمغالظة: شبه المعارضة، يقال: مالك تغالظني وتغالظني، وتعارضني وتغايظني. وفي سائر الأصول: «تغالطا» بالطاء المهملة، والمغالطة: الإيقاع في الغلط.

(٣) الصناجة: الضاربة بالصنج. والصنج (لفظ دخيل): صفيحة مدورة تتخذ من صفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب.

(٤) مثخن: مهموم محزون، يقال: أثخنه الهم إذا غلبه.

لي، فزادني عوداً آخر؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت مُحْدَث لامرأة ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لمّا سمعته وسمعت لِينَه عرفتُ أنه من صَنْعة النساء؛ ولمّا رأيت جودة مَقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لأنها قد حَفِظتْ مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكون أثبتَ لي فلم أشكُكْ؛ فقال: صدقتَ، الغناء لعَرِيب.

امتحن بإدخال لحن رومي في شعر عربي وغنى في درج أصوات، فلما سمعه عرفه واستخرجه:

نسخت من كتاب ابن أبي سعيد[1]: حدّثني إسحاق بن إبراهيم الطّاهِريّ[2] قال: حدّثتني مُخَارِقُ مولاتُنا قالت:

كان لمولاي الذي علّمني الغناءَ فرّاش رُوميّ، وكان يغنّي بالروميّة صوتاً مليحَ اللحن؛ فقال لي مولاي: يا مخارق، خذي هذا اللحنَ الروميّ فانقُليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحن به إسحاق الموصليّ فأعلمَ أين يقع من معرفته، ففعلتُ ذلك؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي، فأقام وبعث إليّ أن أدخِلي اللحنَ الروميّ في وسط غنائك؛ فغنّيته إياه في دَرْج أصوات مرّتْ قبله، فأصغى إليه إسحاق، وجعل يتفهّمه ويُقَسّمه ويتفقّد أوزانَه ومقاطعَه ويُوقِع عليه بيده، ثم أقبل على مولاي فقال: هذا صوت روميّ اللحن، فمن أين وقع إليك؟ / فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيتُ شيئاً أحسن من استخراجه لحناً روميًّا لا يعرفه ولا العلّةَ فيه، وقد نُقل إلى غناء عربيّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عرَفه ولم يَخْفَ عليه.

[٥/ ٢٨٠]

فضل في مجلس الواثق زلزلاً على ملاحظ فتحدّاه ملاحظ فأظهر هو براعة فائقة:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني عبدالله[3] بن عمرو عن محمد بن عبدالله بن مالك قال حدّثني عَلّويه الأعسر، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال:

تناظر المغنّون يوماً عند الواثق، فذكروا الضُّرّاب وحِذْقَهم، فقدّم إسحاقُ زَلْزَلاً على مُلاَحِظ، ولملاحِظ في ذلك الرياسة على جميعهم؛ فقال له الواثق: هذا حَيْف وتَعَدٍّ منك؛ فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اِجمع بينهما وامتحنْهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما؛ فأمَر بهما فأُحضِرا؛ فقال له إسحاق؛ إن للضُّرّاب أصواتاً معروفة، أفأمتحنهما بشيء منها؟ قال: أجلْ، اِفعلْ؛ فسمّى ثلاثة أصوات كان أوّلها:

* عُلّق قلبي ظبيةَ السَّيب[4] *

فضربا عليه، فتقدّم زَلْزَل وقصّر عنه ملاحظ؛ فعجِب الواثق من كَشْفه عما ادّعاه في مجلس واحد. فقال له

(١) هو أبو عُبيد الله بن أبي سعيد الوراق، وكان أخبار يا نسابة راوية للشعر. وفي ب، س: «ابن أبي سعد»، وهو تحريف.

(٢) كذا في حـ (بالطاء المهملة)، وقد صححه كذلك الأستاذ الشنقيطي في نسخته. وهو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق، وهو من قرابة طاهر بن الحسين، وإليه ينسب. وفي باقي الأصول هنا: «الظاهري» بالظاء المعجمة، وهو تصحيف. على أنه سيأتي في الأصول جميعاً أكثر من مرة «الطاهري» بالمهملة كما في حـ هنا.

(٣) تكرر هذا السند أكثر من مرة في أخبار إسحاق، وفيه عبدالله بن أبي سعد بدل عبدالله بن عمرو.

(٤) السيب (بكسر أوّله وسكون ثانيه): كورة من سواد الكوفة، وهو أيضاً نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة، وموضع بخوارزم. (مختصر من «معجم البلدان» لياقوت).

ملاحظ: فما بالُه يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس! ولم لا يضرب هو! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أضربَ مني إلا أنكم أعفيتموني، فتَفَلَّتَ منّي؛ وعلى أن معي بقيةً لا يتعلّق بها أحد من / هذه الطبقة؛ [٥/٢٨١] / ثم قال: يا مُلاَحِظ، شَوِّشْ عودَك وهاته، ففعل ذلك ملاحظ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يخلّط الأوتار تخليط متعنّت فهو لا يألو ما أفسدها، ثم أخذ العودَ فجسّه ساعةً حتى عرف مواقعه[١]، ثم قال: يا مُلاَحِظ، غنّ أيّ صوت شئتَ، فغنّى ملاحظ صوتاً، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرة واحدة، ويَدُه تصعد وتنحدر على الدَّسَاتين[٢]؛ فقال له الواثق: لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به! اِطرحْ هذا على الجواري؛ فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلُح لهنّ، إنما بلغني أنّ الفهليذ ضرب يوماً بين يديْ كِسْرَى فأحسن، فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته، فترقّبه حتّى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعضَ أوتاره، فرجع فضرب وهو لا يدري، والملوك لا تُصلَح في مجالسها العيدانُ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة، فامتحن العود فعرف ما فيه، ثم قال: «زِهْ[٣] وزِهْ وزهَانْ زِهْ»، ووصَله بالصِّلة التي كان يصِل بها مَن خاطبه هذه المخاطبة؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسي ورُضْتُها عليه وقلت: لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي، والمواضعَ التي يخرج النغم كلها / منه فيها، من أعاليها إلى أسافلها، وكلّ شيء منها يجانس شيئاً غيرَه، كما أعرف [٥/٢٨٢] ذلك في مواضع الدَّسَاتين؛ وهذا شيء لا تَفِي[٤] به الجواري. قال له الواثق: صدقتَ، ولئن متَّ لتموتنّ هذه الصناعة معك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم.

نسبة هذا الصوت

صوت

عُلِّـــقَ قلبــــي ظبيــــةَ السَّيــــبِ	جهــــلاً فقــــد أُغْــــرِي بتعــــذيبِــي
نَمَّــــتْ عليهـــا حيــن مـــرَّتْ بنـــا	مَجــاسِــدٌ[٥] يَنْفَحْــنَ بــالطِّيــب
تَصُــــدُّهـــا عنّـــا عَجُـــوزٌ لهـــا[٦]	مُنْكَـــــرَةٌ[٧] ذاتُ أعـــاجيـــب

(١) كذا في «مختار الأغاني» لابن منظور. وفي الأصول: «حتى عرف مواقعه فغنى، ثم قال... إلخ» بزيادة كلمة «فغنى»، وظاهر أنها مقحمة.

(٢) كذا في حـ. والدساتين: والدستانات: ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه، وهي كلمة فارسية، وتسمى العرب ذلك: العتب (بالتحريك). وفي سائر الأصول: «الرساتين» بالراء، وهو تحريف.

(٣) كلمة فارسية ومعناها: أحسنت أحسنت.

(٤) كذا في حـ و «مختار الأغاني»، إلا أنه رسم في حـ: «لا تفيء» بالهمز، ولعله تحريف من الناسخ. ولا تفي: لا تأتي به وافياً، أي إن الجواري يقصرن عنه ولا يستطعن أداءه. وفي سائر الأصول: «لا تغني».

(٥) المجاسد: القمصان، واحدها مجسد (بضم الميم من أجسده بالهمز، أو جسده بالتضعيف) وهو ما صبغ بالجسد أي الزعفران.

(٦) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «لنا».

(٧) منكرة: مبغضة مكروهة.

فكلّما هَمْتُ[1] بإتيانها قالت: تَوَقَّ عَذْوةَ الذِّيبِ

الشعر والغناء لإبراهيم، هَزَجٌ ثقيلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر.

أخذت عنه جاريته دمن صوتاً على غرة منه لبخله بالغناء:

حدّثني عليّ بن هارون قال حدّثني محمد بن موسى اليَزيديّ قال حدّثتني دِمْن جاريةُ إسحاقَ الموصليّ، وكانت من كبار جواريه وأحْظَى مَنْ عنده، ولقيتُها فقلت لها: أيَّ شيء أخذتِ عن مولاك من الغناء؟ فقالت: لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتاً قطُّ! كان أبخلَ بذلك، وما أخذتُ منه قط إلاّ صوتاً واحداً، وذلك أنه [٥/٢٨٣] انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سكراً[2]، فدخل / إلى بيت كان ينام فيه، فرأى عوداً معلّقاً فأخذه بيده، وقال لخادمه: يا غلام، صِحْ لي بدِمْن؛ فجاءني الغلام فخرجتُ، فلما بلغتُ البابَ إذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه والعودُ في ٥٩/٥ يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده، وقد اسْحَنْفَرَ[3] في نَغَمِه وتنوق[4] فيها حتى / استقام له، وهو:

صوت

ألاَ لَيْلُكِ لا يَذهَبْ ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ

وهذا الصّبحُ لا يأتي ولا يدنو ولا يَقرُبُ

فلمّا سمعتُه علمتُ أنّي [إن][5] دخلتُ إليك أمْسك، فوقفتُ أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده، وذكر أنه قد طلبني فقال: يا غلام، أين دِمْن؟ فقلت: هأنَذي؛ فقال: مذ كم أنتِ واقفة؟ فقلت: منذ ابتدأتَ بالصوت وقد أخذته؛ فنظر إليّ نظرَ مُغْضَب أسِفٍ، ثم قال: غَنّيه، فغنّيته حتى استوفيتُه؛ فقال لي وقد فَتَر وخجِل: قد بقِيتْ عليكِ فيه بقيّة أنا أُصلحها لك؛ فقلت: لست أحتاج إلى إصلاحِكَ إياه، وقد والله أخذتُه على رَغْمك؛ فضحك. لحنُ هذا الصوت من الهَزَج بالبنصر، والشعر والغناء لإسحاق.

غنى إبراهيم بن المهديّ عند المعتصم صوتاً لابن جامع فأظهر هو خطأ فيه ثم هزأ بإبراهيم:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال قال لي إسحاق:

كنتُ عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ، فغنّى إبراهيمُ صوتاً لابن جامع أخَلّ ببعضه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ترك ابن جامع الناسَ يحجِلُون خلفَه ولا يلحَقونه. وفي هذا الصوت خاصّة؛ فقلت: والله [٥/٢٨٤] يا أمير المؤمنين، ما صدَق، / وما هذا الصوت بتامّ الأجزاء؛ فقال: كَذَب والله يا أمير المؤمنين؛ فقلت: يا سيّدي، أنا أُوقفه على نُقصانه، فمُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمع في الإصابة؛ فقلت: آفتُه في

(١) همت: أصله «هممت» حذفت إحدى الميمين تخفيفاً. وشرط جواز هذا الحذف في الماضي أن تكون عينه مكسورة نحو ظل تقول فيه: «ظللت» على الإتمام و «ظلت» (بفتح أوّله أو بكسره بنقل حركة عين الفعل إلى الفاء) على الحذف. ولكن ابن الأنباري حكى «همت» في هممت مع أنه مفتوح العين. وهم بالشيء: نواه وأراده.

(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «وهو مثخن سكران».

(٣) كذا صححه الأستاذ الشنقيطي في نسخته. واسحنفر في الشيء: مضى فيه ولم يتمكث. وفي الأصول: «استخفر».

(٤) تنوّق في الشيء: جوّده وتأنق فيه.

(٥) التكملة عن أ، حـ، م.

البيت الثاني، فليردُدْه؛ فردّه فنقَص من أجزائه وقِسمته، فعرّفتُه فأقرّ به؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلّمني فيها، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة؛ فقال: أوَ يُعْفيني أمير المؤمنين من كلامه؟ فأعفاه.

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبي عن إسحاق؛ فذكر نحواً مما ذكره يحيى، وذكر أنّ القصة كانت بين يدي المعتصم؛ وزاد فيها فقال:

أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأُوقفه على خطئه فيها، فإن لم يُقِرّ بذلك أقرّ به مُخارقٌ وعَلّويه؛ فقال: أوَ يُعْفِيني أمير المؤمنين من كلامه! فإنه يَعْدِل عندي البُخْتُج[1]؛ قلت: يا أميرَ المؤمنين، وما يفعل البُخْتُج؟ قال: يُسْلِح؛ قلت[2]: قد والله فعل ذلك كلامي به، ومنه هرب؛ فضحك وغطّى فاه وقام؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المُصعَبيّ أنّي قد أغضبته، فضرب بيده إلى السيف؛ فقلت له: لا تحسَبْ أنّي أغضبتُه؛ فما كنت لأكلّم عمّه بين يديه بهُزْء[3] من غير إذنه، فأمسك؛ وكان لا يُقْدِم أحد أن يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلا بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير[4] وإجلالاً له.

عرف في مجلس المأمون خطأ في وتر بين ثمانين وتراً وعشرين جارية يغنين:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم الهاشميّ عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

/ دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أَجْلس عَشْراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضرِبنَ بها؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرتُه؛ فقال المأمون: يا إسحاق، أتسمع خطأ؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فقال: لا؛ فأعاد عليّ السؤال، فقلت: بلى والله / يا أمير المؤمنين، وإنه لفي الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم سَمْعَه إلى الناحية اليسرى ثم قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما في هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنين: مُرِ الجواريَ اللواتي على اليمين يُمْسِكْنَ، فأمرهنّ فأمسكْنَ؛ فقلت لإبراهيم: هل تَسمع خطأ؟ فتسمّع ثم قال: ما هاهنا خطأ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، يُمْسِكْنَ وتضرب الثامنةُ. فأمسكْنَ وضربتِ الثامنة، فعرف إبراهيمُ الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، هاهنا خطأ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم: يا إبراهيم، لا تُمَارِ إسحاقَ بعدها؛ فإن رجلاً فَهِم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حَلْقاً لجديرٌ ألّا تماريَه؛ فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين. وقال الحسين بن يحيى في خبره: وكان في الأوتار كلّها مَثْنًى فاسدُ التسوية. وقال فيه: فطرِب أمير المؤمنين المأمون، وقال: لله درُّك يا أبا محمد؛ فكنّاني يومئذ.

[٥/٢٨٥] ٦١/٥

ثناء الواثق عليه:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثني أحمد بن حَمْدُون قال:

(١) البختج (كقنفذ كما جاء في «شرح القاموس»): العصير المطبوخ.
(٢) في جميع الأصول: «قال» وهو لا يتفق مع السياق.
(٣) في حـ: «بهرا» بالراء، والبهر: القذف والبهتان. وفي أ،ء، م: «بهذا».
(٤) في حـ،ء: «للأمر».

سمعتُ الواثق يقول: ما غنّاني إسحاق قط إلا ظننتُ أنه قد زِيد لي في مُلْكي، ولا سمعته يغنّي غناءَ ابْنِ سُرَيج إلا ظننت أنّ ابن سريج قد نُشِر، وإنه ليحضُرني غيرُه إذا لم يكن حاضراً، فيتقدّمه عندي وفي نفسي بطيب[1] الصوت، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص؛ وإنّ إسحاق لنعمةٌ / من نعم [٥/٢٨٦] المُلْك التي لم يُحْظَ[2] بمثلها؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط مما يُشترى لأشتريتهنّ له بشَطْر ملكي.

سأل المأمون أن يكون دخوله إليه مع العلماء ثم مع الفقهاء:

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال:

سأل إسحاقُ الموصليّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنّين، فإذا أراده للغناء غنّاه؛ فأجابه إلى ذلك؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء؛ فأذن له. قال: فحدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنه كان هو ومُخَارِق وعَلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُهُ[3] وطَويلتُه، ويدُه في يد إسحاق يماشيه، حتى جلس معه بين يدي المأمون، فكاد عَلّويه أن يُجنّ، وقال: يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا! يدخل قاضي القضاة ويدُه في يد مغنّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة!. ثم مضت على ذلك مدّة، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له في لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة؛ قال: فضحك المأمون وقال: ولا كلّ ذا يا إسحاق! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم؛ وأمر له بها.

ما كان يمتاز به في مجلس الواثق:

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبدالله بن حَمْدون قال:

كان المغنّون جميعاً يحضُرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلا إسحاقَ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة؛ فإن أمره الخليفة أن يغنّي أحضر له عوداً، فإذا غنّى وفرغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه. وكان الواثق كثيراً ما يكنّيه، رَفْعاً له / من أن يدعوه باسمه؛ وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِد منه [٥/٢٨٧] حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيُتِمّه، ثم يقطع ويضع العود من يده.

علي بن يحيى يحدث عن تفوّقه في فنه:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه في خبر ذِكْر إسحاقَ[4] فيه، فقال: وعارض مَعْبداً وابن سُرَيج فانتصف منهما، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته، / ولم يَبلُغه؛ وما رأيت بعد إسحاق مثلَه. [٦١/٥]

(١) في ب، س: «يطيب الصوت» بالياء المثناة التحتية، وهو تصحيف.
(٢) في ب، س: «لم يحظ أحد بمثلها».
(٣) السواد: شعار بني العباس كان يرتديه أشياعهم. والطويلة: قلنسوة عالية مدعمة بعيدان كان يلبسها القضاة. (انظر الحاشيتين رقم ٢، ٣ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص ٤١٤، من هذه الطبعة). وفي ب، حـ، س: «سوادة وطيلية». وفي أ، ء، م: «سوادة وطويلة»، وكلاهما تحريف.
(٤) في الأصول: «في خبر ذكره إسحاق فيه».

عابه إبراهيم بن المهدي بترك التحريك في الغناء فبعث هو إليه بكلام غاظه:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك قال قال لي محمد بن راشد الخَنّاق[1]:

سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ: إن إبراهيم بن المهديّ يَعِيبك بتركك تحريكَ الغناء؛ فقال له إسحاق: ليتنا نَفِي بما علمناه، فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه. [ثم][2] قال له: فإنه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه، وتحريكُه عنده أن يكون كثيرَ النَّغَم، وليس يفعل ذلك، إنما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسْكدار[3] للكِتاب، وهو حينئذ بأن يُسَمَّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرَّكَ؛ فضحك عَلّويه ثم قال: فإن إبراهيم يسمّي غناءكم هذا الممسك المِنَادِيّ؛ قال إسحاق: هذا من لغات الحاكَة؛ لأنهم يسمّون الثوب الجافَى[4] الكثير العرض والطول المداديّ؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرّك الضُّرابيّ، وهو الخفيف السخيف[5] من الثياب في لغة الحاكة، حتى نُدخل الغناءَ / في جملة الحِياكة [٥/٢٨٨] ونخرجه عن جملة الملاهي؛ ثم قال لعَلّويه؛ بحياتي عليك إلّا ما أعدتَ عليه ما جرى؛ فقال له: لا وحياتِك لا فعلتُ؛ فإنه يعلم مَيْلي إليكم، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخَنّاق؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يُؤَيده[6]، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره، فجعل كلّما أخبره شيئاً تغيّظ وشتم إسحاقَ بأقبح شتم؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره؛ فجعل[7] كلّما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفّق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثني علي بن محمد النَّوْفليّ قال أخبرني محمد بن راشد الخَنّاق قال:

إني لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ، فسُرِرتُ بمكانه؛ فقال: قد جاءت بي إليك حاجة؛ قال قلت: قل ما شاء الله؛ قال: دَعْني في بيتك، ودَعْ غلامَيْك عندي: بُدَيحاً وسليمانَ ـ وكانا خادمين مغنّيين ـ ومُرْهما أن يغنّياني، وأْتني بفلان ليغنّيني أيضاً، بحياتي عليك، وانطلِقْ إلى إبراهيم ابن المهديّ، فإنه سيُسَرّ بمكانك، فاشرب معه أقداحاً، ثم قل [له][8]: يا سيّدي، أسألك عن شيء، فإذا قال: سَلْ، فقل له: أخبرني عن قولك:

* ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّي *

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلا أن تقول: «ذهبتو» بالواو، فإن قلتَ: «ذهبتُ» ولم تَمُدَّها انقطع اللحن والشعر، وإن مددتَها قبُح الكلام وصار على كلام النَّبَط؛ فقلت له: يا أبا محمد، كيف أخاطب / إبراهيم بهذا؟ فقال: هو حاجتي إليك وقد كلّفتك إياها، فإن استحسنتَ أن تردّني [٥/٢٨٩]

---

(١) كذا في ب، حـ هنا وفيما سيأتي في أكثر الأصول، وفي سائر الأصول هنا: «الخفاف».
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) الأسكدار: كلمة فارسية معناها حامل البريد.
(٤) الجافي من الثياب: الغليظ.
(٥) السخيف من الثياب: القليل الغزل.
(٦) كذا في الأصول. ولعل صوابه: «يؤديه» أي يبلغه.
(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فجعل كلما جاءه وأخبره... إلخ» وظاهر أن كلمة «جاءه و» هنا مقحمة.
(٨) الزيادة عن حـ.

فأنت أعلم؛ قال: أفعل ذلك لموضعك على ما فيه عَليّ؛ ثم أتيتُ إبراهيم، وجلست عنده مَلِيًّا، وتجارينا[1] الحديثَ إلى أن خرجْنا إلى ذكر الغناء، فخاطبته بما قال لي إسحاق، فتغيّر لونه وانكسر، ثم قال: يا محمد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام الجُرْمُقَانِيّ[2] ابن الزانية؛ قل له عنّي: أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصنعه للّهو واللعب والعَبَث. قال: فخرجتُ إلى إسحاق فحدّثته بذلك فقال: الجُرْمُقَانِيّ والله منا أشبهُنا بالجَرَامِقة لغةً وهو الذي يقول: «ذهبتو»؛ وأقام عندي يومَه فرحاً بما بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على / خطئه. ٦٢/٥

كان محمد بن راشد صديقاً له فنقل عنه حديثاً لابن المهدي ففسد ما بينهما وشعره في ذلك:

قال عليّ بن محمد قال لي أبي:

كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما؛ فإنه طابق[3] إبراهيمَ بن المهديّ عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره. وكان في محمد بن راشد رداءة ونقلٌ للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق:

ونَـدْمـان صِـدْقٍ لا تُخَـاف أذَاتُـه ... ولا يلفِـظ الأخبـارَ لفـظَ ابـن راشـدِ

دعـانـي إلـى مـا يشتهـي فـأجبتُـه ... إجـابـةَ محمـود الخـلائـق مـاجـدِ

فـلا خيـرَ فـي اللّـذات إلّا بـأهلهـا ... ولا عيـشَ إلا بـالخليـل المُسـاعِـد

قال: فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق؛ فهجَوْه بأشعار لم تبلغ مرادَه، فلم يُظهرها. وبلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه:

[٥/٢٩٠] / وأبيـات شعـر رائعـات كـأنهـا ... إذا أُنشدت في القوم من حُسنها سِحْرُ

تحفّـزَ وأقْلَـوْلَـى[4] لـردّ جـوابهـا ... أبـو جعفـر يَغْلِـي كمـا غَلَـتِ القِـدْر

فلـم يستطعهـا غيـرَ أنْ قـد أعـانـه ... عليهـا أُنـاس كـي يكـون لـه ذكـر

فيـا ضيعـةَ الأشعـار إذ يَقْـرِضـونهـا ... وأضيـعُ منهـا مـن يَـرى أنهـا شعـر

قال: فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ وأَبْيَتكَه وصالحه، فرجع إليه.

أخذ إبراهيم بن المهدي صوتاً له وغير فيه فلما عرف ذلك غضب:

أخبرني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ قال حدّثني منصور بن محمد بن واضِح:

أن إبراهيم بن المهديّ طَرح في منزل أبيه:

---

(١) كذا في الأصول، ولعله «تجاذبنا الحديث».
(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٧ من هذا الجزء.
(٣) طابقه على الأمر: وافقه ومالأه.
(٤) كذا في حـ، وكذلك صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته. وتحفز الرجل واقلولى: إذا استقل على رجليه ولما يستو قائماً وقد تهيأ للوثوب. وفي سائر الأصول: «تحفر» (بالراء المهملة)، وهو تصحيف.

صوت

أمــن آلِ لَيْلَــى عــزفــتَ الطُّلــولاَ بــذي حُــرُضٍ[١] مــاثـلاتٍ مُثــولاَ
بَلِيــــنَ وتحسَــــب آيــــاتِــهــــنّ عــن فَــرْط حَــوْلَيــن رِقــاً مُحيــلا[٢]

ـ الشعر لكعب بن زُهير[٣]. والغناء لإسحاق، وله فيه لحنان: ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر، وماخُوريّ بالوسطى. وفيه للزُّبَير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيل ـ قال: فجاءنا إسحاق يوماً، وأقام عند أبي، وأخرجنا إليه جوارينَا، ومرّ الصوت الذي طرحه إبراهيم / بن المهديّ من غنائه؛ فقال إسحاق: من أين لك هذا؟ قال: طرحه أبو إسحاق [٥/٢٩١] إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى؛ فقال إسحاق: وما لأبي إسحاقَ أعزّه الله ولهذا الصوت! هذا أنا صنعتُه، وليس هو كما طرّحه. قال: فسأله أبي أن يغنّيه، فغنّاه وردّده[٤] حتى صحّ لمن عنده؛ فقال لي أبي: اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فاحتبستُه، وأنه غنّى بحضرتي الصوتَ الذي ألقيتَه في منزلك الذي أسكنه، فزعَم أنه صنَعه، وأنه ليس على ما أخذه الجواري عنك، فأحببت أن أعلم ما عندك، جعلني الله فداك. قال: فكتبتُ[٥] الرُّقعة وأنفذتها إلى إبراهيم. فكتب: نعم، جُعلت فداك، صدَق أبو محمد أعزّه الله، الصوتُ له، وهو على ما ذكره، لكنّي لعِبت في وسطه لعباً أعجبني. قال: فقرأ إسحاقُ الرقعة فغَضِب غضباً شديداً، ثم قال لي: اكتب إليه: «إذا أردت يا هذا أن تلعب فالعَبْ في غناء نفسك لا في غناء الناس، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك، فاصنع أنت إن كنت تُحسن، والعبْ في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غيرَ مُشارِك في جِدّ الناس بلعبك ومُفسِد له بما لا تعلمه. يا أبا / إسحاق، أيّدك الله، ليس هذا الصوت مما يتهيأ لك أن تمَخرِق[٦] فيه وتقول: جَنْدَرْتُه». قال: وكان ٦٣/٥ إبراهيم يقول: إنه يُجَنْدِر صنعةَ القدماء ويحسّنها.

مناظرته إبراهيم بن المهدي في الغناء بين يدي المعتصم:

قال عليّ بن محمد حدّثني جدّي حَمْدُون:

أن إسحاق قال لإبراهيمَ بن المهديّ بحضرة المعتصِم: ما تقول فيمن يزعُم أنّ ابن سُرَيج وابن مُحْرِز ومَعْبداً ومالكاً وابنَ عائشة لم يكونوا يُحْسنون تَمام الصَّنعة / ولا استيفاءَ الغناء، ويعجِزون عما به يكْمل ويتمّ ويحسُن، [٥/٢٩٢]

---

(١) ذو حرض: واد لبني عبدالله بن غطفان، بينه وبين معدن النقرة خمسة أميال. (انظر «معجم ياقوت» في اسم ذي حرض والنقرة).

(٢) فرط الشيء: مضى وذهب. وأحال: أتى عليه أحوال أي سنون.

(٣) ورد هذا الشعر في «ديوان زهير بن أبي سلمى» و «شرحه» للأعلم الشنتمري وثعلب وغيرهما من النسخ المخطوطة والمطبوعة المحفوظة بدار الكتب المصرية ضمن قصائده، وقد مدح به سنان بن أبي حارثة أبا هرم وهما ممدوحاه ولم يكونا ممدوحي كعب حيث يقول فيه:

إليــــك سنــــان الغــــداة الــــرحيــــل أعصــي النهــاة وأمضــي الفتــولا

كما ذكره لزهير أيضاً أبو عبيد البكري وياقوت الحموي في معجميهما أثناء كلامهما على «حرض»، وذكره المؤلف له أيضاً في ترجمته (ج ٩ ص ١٥٢ طبع بولاق) وقد ورد في جميع هذه المصادر «سلمى» بدل «ليلى» وسلمى هذه محبوبته التي يشبب بها في شعره.

(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فردده» بالفاء بدل الواو.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فكتبته الرقعة»، وهو تحريف.

(٦) مخرق: موّه. وجندره: أصلحه وصقله. قال في «اللسان» (مادة جدر): «قال الجوهري: وجندرت الكتاب إذا أمررت القلم على ما درس منه ليتبين. وكذلك الثوب إذا أعدت وشيه بعد ما كان ذهب، قال: وأظنه معرّباً».

وأنه أقدر على الصنعة منهم؟ قال: أقول: إنه جاهل أحمق؛ قال: فأنت تزعم أنه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياءُ لم يهتدوا لها ولم يحسنوها، فتنبّهتَ عليها أنت وتَمَّمْتَها وحسَّنْتَها بجَنْدَرَتك؛ قال: فضحِك المعتصم وبقي إبراهيمُ واجماً مُطْرِقاً، ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه؛ وما سمعتُه أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدّمين، حتى يُطنِب في صنعته ويُشتَهى استماعُه منه، كما كان يَدّعي قديماً. قال: وكان حَمْدون يقول: كان إبراهيم يأكل المغنِّين أكلاً، حتى يحضُر إسحاق، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأتَه، ولا يدَعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه؛ وكان إسحاقُ آفتَه، كما أنّ لكل شيء آفة.

غنى المأمون بشعر ذي الرمة فأجازه:

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

خرجتُ يوماً من داري وأنا مَخْمورٌ أتنسّم الهواء، فمررت برجل يُنشد رجلاً معه لذي الرُّمّة:

صـــوت

ألــم تعلمــي يــا مــيّ أنّــي وبينَنــا ... مَهَــاوٍ لطَــرْف العيــن فيهــنّ مَطْـرَح [١]

ذكــرتــكِ أن مــرّتْ بنــا أمُّ شــادنٍ [٢] ... أمــامَ المَطَــايــا تَشْــرئــبّ وتَسْنَــح

مــن المــؤلِفــاتِ الــرمَــلِ أدمــاءُ [٣] حُــرّةٌ ... شُعــاعُ الضّحــى فــي مَتْنِهــا يتــوضّــح

/ هــي الشِّبْــهُ أعطــافــاً وجِيــداً ومُقلــةً ... ومَيّــةُ منهــا بَعْــدُ أبهــى وأملَــحُ

[٢٩٣/٥]

كــأن البُــرَى [٤] والعــاجَ عِيجَــتْ مُتُــونُــه ... علــى عُشَــرٍ نَهّــى [٥] بــه السيــلَ أبطــح

لئــن كــانــت الــدنيــا علــيّ كمــا أرى ... تَبــارِيــحَ مــن مَــيٍّ فَلَلْمــوتُ أرْوح

فأعجبني، فصنعت فيه لحناً غنّيتُ به المأمونَ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم. لحنُ إسحاقَ في هذه الأبيات أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر.

(١) مهاو: جمع مهواة وهي ما بين الجبلين. يريد الشاعر أن يصفها بأنها مهاو بعيدة يسرح فيها البصر فلا يرده شيء.

(٢) أم شادن: كنية الظبية، والشادن: ولدها الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه. ويقال: ظبية مشدن أي ذات شادن يتبعها. وتشرئب: ترفع رأسها لتنظر، وكل رافع رأسه مشرئب. وفي ب، حـ: «تستريب» وهو تحريف. وتسنح: تعرض، وقيل: تسنح: تأتي عن شمالك.

(٣) كذا في س، و «ديوان ذي الرمة» (ص ٨٠) طبع كلية كمبردج. ويروى «من الآلفات الرمل»، يقال: آلف المكان وألفه. وفي سائر الأصول: «المولعات». ويروى: من الموطنات. والأدماء: واحدة الأدم، وهي ـ كما قال الأصمعيّ ـ: الظباء البيض تعلوهن جدد فيهن غبرة، فإن كانت خالصة البياض فهي الآرام. وحرة: كريمة. ويتوضح: يبرق.

(٤) البرى: الخلاخيل، الواحدة برة، وكل حلقة تسميها العرب برة. والعاج: أسورة تتخذها نساء العرب من العاج، وعيجت: لويت. والعشر: شجر ناعم لين مستو. شبه ساعديها وساقيها بشجر العشر في الاستواء واللين.

(٥) كذا في حـ و «ديوانه» ووردت مصححة بخط الأستاذ الشنقيطي أيضاً. ونهى الشيء: أبلغه وأوصله، ونهاه: بلغ نهايته (بالتضعيف فيهما)، وهذا المعنى غير مراد. وفي سائر الأصول: «تهمي» وهو تحريف. والأبطح: بطن الوادي. ومرجع الضمير في «به» شجر العشر مراداً به مكانه الذي ينبت فيه. وعدّي «نهى» بالباء لأنه ضمن معنى «حبس»، أي إن بطن الوادي حمل السيل وأبلغه للمكان الذي ينبت فيه شجر العشر وحبسه به فهو لذلك ريان ممتلىء. (انظر نسخة مخطوطة من «ديوان ذي الرمة» بشرح الأعلم الشنتمري محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٤٠ أدب ص ٤٣).

دس إليه أبو أحمد بن الرشيد غلامين على أنهما لأحد وجوه خراسان مع هدية ليعلمهما، وقصة ذلك أمام الواثق:

حدّثني يحيى بن محمد الطّاهِريّ قال حدّثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد قال:

إشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رَفيقي محموماً(١)، فدَفعَنا إلى وكيل له أعجميّ خُراسانيّ، وقال له: انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصليّ؛ ودفع إليه مائة ألف درهم، وشِهْرِيًّا(٢) بسَرْجه ولِجامه، وثلاثة أدراجٍ(٣) من فِضّة / مملوءة طِيباً، وسبعةَ تُخُوتٍ(٤) من بَزّ خُراسانيّ، وعشرةَ أسفاطٍ(٥) من بَزّ [٥/٢٩٤] مصر، وخمسةَ تخوتِ وَشْيٍ كوفيّ، وخمسة تخوتِ خَزٍّ سُوسِيّ، وثلاثين ألف درهم للنفقة؛ وقال للرسول: عرِّفْ إسحاقَ أنّ هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان، وَجّه بهما إليه ليتفضّل ويعلّمهما أصواتاً اختارها، وكتبها له في دَرْج(٦)، وقال له: كلما علّمهما صوتاً ادفع إليه ألف درهم، حتى يتعلّما بها مائة صوت، فإذا علّمهما الصوتين اللذيْن بعد المائة فادفع إليه الشِّهْرِيّ، ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فادفع إليه بكل صوت دُرْجاً من / الأدراج، ثم لكل صوت بعد ذلك تَخْتاً أو سَفَطاً، حتى يَنْفَد ما بعثتُ به معك؛ ففعل، وانحدرْنا إلى بغداد، ٦٤/٥ فأتينا إسحاق، وغنّينا بحضرته، وبلّغه الوكيلُ الرسالةَ؛ فلم يزل يُلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كل أمرَنا سيّدُنا. ثم سِرْنا(٧) إلى سُرّ مَنْ رأى، فدخلنا إليه وغنّيناه جميعَ ما أخذناه فسَرّه ذلك. وقدِم إسحاقُ سُرّ مَنْ رأى، ولقيه مولانا، فدعا بنا وأوصانا بما أراد، وغدا بنا إلى الواثق وقال: إنكما ستَرَيان إسحاقَ بين يديه، فلا تُسَلِّما عليه ولا تُوهِماه أنكما رأيتماه قطّ، وألبَسَنا أَقْبِيَةً خُرَاسانية ومضينا معه؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له: يا سيّدي، هذان غلامان اشتُريا لي من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة؛ فقال: غنّيا، فضربنا ضرباً فارسيًّا وغنّينا غناءً فهليذيًّا؛ فطرِب الواثق وقال: أحسنتما، فهل تغنّيان بالعربية؟ قلنا: نعم، واندفعنا نغنّي ما أخذناه عن إسحاق / وهو ينظر إلينا ونحن [٥/٢٩٥] نتغافل عنه، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق: وحياتِك يا سيّدي وبَيْعتِك، وإلاّ كلّ مِلْكٍ لي صدَقة وكل مملوك لي حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومِن قصّتهما كيت وكيت؛ فقال له أبو أحمد: ما أدري ما تقول! هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانيّ؛ فقال له: بَلَغ وَلْعُكَ(٨) إليّ! ونَخّاس خراسانيّ من أين يحسن [أن] يختار مثلَ تلك الأغاني!؛ فضحك أبو أحمد ثم قال: صدَق، أنا احتلتُ عليه، ولو رُمْتُ أن يعلّمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيتُه لَمَا فعل؛ فقال له إسحاق: قد تَمّت عليّ حيلتُه. وقال أبو أحمد للواثق: إن أردتَهما فخذهما؛ فقال: لا أفجَعُك بهما يا عمّ، ولكن لا تمنعني حضورَهما؛ فقال له: قد بذلتُ

---

(١) في حـ: «بجمجما».

(٢) الشهرية (بالكسر): ضرب من البراذين وهو بين البرذون والمقرف من الخيل، وفي الأساس: «بين الرمكة والفرس العتيق». والرمكة: البرذونة، والجمع الشهارى.

(٣) الأدراج: جمع درج (بالضم) وهو سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها، ويجمع أيضاً على درجة (بكسر ففتح).

(٤) التخت: وعاء تصان فيه الثياب، فارسيّ، وقد تكلمت به العرب.

(٥) أسفاط: جمع سفط (بالتحريك) وهو ما يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء، وقيل: هو كالجوالق أو كالقفة.

(٦) الدرج (بالفتح وبالتحريك): الذي يكتب فيه، يقال: أنفذته في درج الكتاب أي في طيه. وهو يطلق على الصحيفة من أي نوع ومن أي مقياس. وقد فصل القلقشندي في «صبح الأعشى» (ج ٦ ص ١٨٩ ـ ١٩٦) مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ومقادير البياض في أوّل الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور في الكتابات فارجع إليه.

(٧) في أ، ء، م: «ثم سرنا ثم دخلنا إلى سرّ من رأى».

(٨) الولع: الكذب.

لك المِلْك فلم تُؤثِرْه، أفتُراني أمنعك الخدمةَ! فكنّا نخدُمه بنَوْبة.

كان في مجلس الواثق مع الندماء لا المغنين فإذا أمره الواثق بالغناء أتى له بعود فغناه:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو عبدالله بن حَمْدون قال حدّثني ابن فيلا الطُّنْبُورِيّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه، قال:

قال الواثق في بعض العَشَايا: لا يبرحْ أحدٌ من المغنِّين الليلةَ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح في غد؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاقَ فإنه قال له: لا وحياتِك ما أبيتُ؛ قال: فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أكثر من أن قال له: فبحياتي إلّا بَكَّرتَ[1] يا أبا محمد. قال: فرأيت مخارقاً وعَلّويه قد تقطّعا غيظاً؛ وبِتْنا في بعض الحُجَر، فقالا لي[2]: اجلس على باب الحجرة، فإذا جاء إسحاق فعرِّفنا حتى ندخل بدخوله؛ فلم نلبث أن جاء إسحاقُ مع أحمد بن أبي دُوَاد يماشيه في زِيِّه وسَوَادِه وطَرِيلَتُه[3] مثل طويلته، فدخلت فأعلمتهما؛ فقامت على عَلّويه القيامة / وقال: يا هؤلاء، خِيناكر[4] يدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة! أسمعتم بأعجب من هذا البَخْت قطّ!؛ فقال له مُخَارِق: دَعْ هذا عنك، فقد والله بلغ ما أراد. ولم نلبث أن خرج ابن أبي دُوَاد ودُعِيَ[5] بنا فدخلنا، فإذا إسحاق جالس في صف الندماء لا يخرج منه، فإذا أمره الواثق أن يُغنّي خرج عن صفّهم قليلاً وأُتي بعود فغنّى الصوتَ الذي يأمره به؛ فإذا فَرَغ من القَدَح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ ولم يُتِمّه، ورجع إلى صفّ الجلساء. [٢٩٦/٥]

قصته مع إبراهيم بن المهدي في مجلس الرشيد:

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقَّب بوَسْوَاسة قال حدّثني حَمّاد قال:

قال لي أبي: كنت عند الرشيد يوماً، وعنده ندماؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم / بن المهديّ، فقال لي الرشيد: يا إسحاق تَغَنَّ: [٦٥/٥]

شَــرِبــتُ مُــدامــةً وسُقِيــتُ أخــرى ... وراح المُنْتشــــون ومــــا انتشيـــتُ

فغنّيته؛ فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي: ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت؛ فقلت: ليس هذا مما تُحسنه ولا تعرفه، وإن شئتَ فغنّه، فإن لم أجدك أنك تُخطىء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فدَمِي حلال. ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة أبي، وهي التي قرّبتْنا منك واستخدمتْنا لك وأوطأتْنا بساطَك، فإذا نازعَنَاها[6] أحدٌ بلا علم لم نجد بُدًّا من الإيضاح والذبّ؛ فقال: لا غَرْوَ[7] ولا لوم عليك؛ فقام الرشيد ليبول؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال: / وَيْلَك يا إسحاق! أتجترىء عليّ وتقول ما قلتَ يابنَ الفاعلة! [٢٩٧/٥]

---

(١) في الأصول: «إلا بكر».
(٢) في الأصول: «فقال لي»، وهو تحريف.
(٣) انظر الحاشيتين رقم ٢ و ٣ ص ٤١٤ من الجزء الأوّل من طبعة هذا الكتاب.
(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٨٣ من هذا الجزء.
(٥) في أ، ء، س: «ودعا بنا».
(٦) كذا في حـ، م، ء. وفي سائر الأصول: «نازعنا بها».
(٧) في أ، ء: «لا عدو». والعدو (وزان غزو): الظلم.

لا يَكْنِي؛ فداخلني ما لم أملك نفسي معه؛ فقلت له: أنت تشتُمني، وأنا لا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك: يابن الزّانية؛ أوَ تُرى أنّي كنت لا أُحسن أن أقول لك: يابن الزانية؛ ولكن قولي في ذَمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأَعْلَم[(١)]، ولولاك لذكرتُ صناعتَه ومذهبه ـ قال إسحاق: وكان بَيْطاراً ـ قال: ثم سكتُّ، وعلمتُ أنّ إبراهيم يشكوني وأن الرشيد سوف يسأل مَن حضر مما جرى فيخبرونه، فتلافيتُ ذلك[(٢)]، ثم قلت: أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدني بذلك وتعاديني كما تُعادي سائرَ أولياء أخيك حَسَداً له ولولده على الأمر! فأنت تضعُف عنه وعنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفّياً؛ وأرجو ألاّ يُخرجها الله عن يَدِ الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها؛ فإن صارت إليك ـ وبالله العِياذ ـ فحرامٌ عليّ العيشُ يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ ما بدا لك. قال: فلمّا خرج الرشيد وثَب إبراهيم فجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، شتَمني وذكر أُمّي واستخفّ بي؛ فغضِب وقال: ما تقول؟ وَيْلَك! قلت: لا أعلم، فسَلْ مَنْ حضر؛ فأقبل على مسرورٍ[(٣)] وحُسَين؛ فسألهما عن القصّة؛ فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربّد[(٤)] إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسُرِّي عنه ورجع لونُه، وقال لإبراهيم: ماله ذنب، شتمتَه فعرّفك أنه لا يقدِر على جوابك، اِرجع إلى موضعك وأمسِك عن هذا. فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر بألاّ أبْرَح، وخرج كلُّ من حضر حتى لم يبقَ غيري؛ فساء ظنّي وأهمّتني نفسي؛ فأقبل عليّ وقال: ويلك / يا إسحاق! أتُراني لم أفهم قولك ومرادك! قد والله زنّيْتَه[(٥)] [٩٨/٥] ثلاث مرات، أتُراني لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبتَ! ويلك! لا تَعُدْ؛ حدِّثْني عنك، لو ضربك إبراهيم، أكنتُ أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل؟! أتُراك لو أمر غلمانَه فقتلوك أكنتُ أقتله بك؟! فقلت: يا أمير المؤمنين، قد والله قتلتَني بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلنّي، وما أشك في أنه قد بلغه الآن؛ فصاح بمسرور الخادم وقال: عليّ بإبراهيم الساعة فأحضر، وقال: قم فانصرف؛ وقلت لجماعة من الخَدَم، وكلّهم كان لي مُحِبّاً وإليّ مائلاً ولي مُطيعاً: أخبروني بما يجري، فأخبروني مِن غد أنه لمّا دخل وبّخه وجهّله وقال له: أتستخِفّ بخادمي وصَنيعتي ونَديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي، وتَقْدِم عليّ وتستخفّ ٦٦/٥ بمجلسي وحضرتي؟ هاه هاه[(٦)]! أتُقدم على هذا وأمثاله! وأنت مالَك وللغناء، وما يُدريك ما هو! ومَنْ أخذك[(٧)] به وطارحك إياه حتى تتوهّم أنك تبلُغ مبلَغ إسحاق الذي غُذِي به وعُلّمه وهو صناعته! ثم تظن أنك تُخطِّئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه! أليس هذا مما يدُلّ على السقوط وضعفِ العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبةِ لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تُحكمه، وادّعائك ما لا تعلمه حتى ينسُبك الناسُ إلى الجهل المُفْرط! ألا تعلم ـ وَيْلَك ـ أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلة مُبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح!. ثم قال: والله العظيم وحقِّ رسوله، وإلا فأنا نَفِيٌّ من المهديّ، لئن أصابه

---

(١) الأعلم: الذي بشفته العليا أو في جانبيها شق.
(٢) عبارة «مختار الأغاني» لابن منظور: «فتلافيت ذلك بأن قلت...».
(٣) مسرور وحسين: خادمان كانا للرشيد.
(٤) تربد وجهه: تغير وتعبس.
(٥) زناه (بالتشديد): قذفه ونسبه إلى الزنا.
(٦) هاه هاه: تكون حكاية لضحك الضاحك وللوعيد. وتكون أيضاً في موضع آه التي للتوجع.
(٧) كذا في حـ والمختصر. وفي سائر الأصول: «ومن أخذ لحنه وطارحك... إلخ».

[٥/٢٩٩] أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجرٌ من السماء، أو سقط من على دابّته، أو سقط / عليه سقفُه، أو مات فجأة، لأقتلنّك به؛ والله! والله! فلا تعرض له وأنت أعلم، قم الآنَ فاخرج؛ فخرج وقد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده، فأعرضتُ عن إبراهيم؛ وجعل ينظر إليه مرّة وإليّ مرّة ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبّتك في إسحاق وميلَك إليه وإلى الأخذ عنه، وإنّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلاّ بعد أن يرضَى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسِن إليه وأكرمه واعرِف حقَّه وبِرّه وصِلْه، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتَه بيد منبسطة ولسان منطلق؛ ثم قال لي: قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبّلْ رأسه؛ فقمت إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

أعاذلُ قد نَهَيْتِ فما انتهيتُ ... وقد طال العتابُ فما ارعويتُ
أعاذل ما كبِرتُ وفي مَلْهًى ... ولو أدركتُ غايتَكِ انتهيت
شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أُخرى ... وراح المنتشون وما انتشيت
أبِيتُ مُعذَّباً قَلِقاً كئيباً ... لِما ألقاه من ألم وفَوْتِ[1]

الغناء لابن مُحرِزٍ ثقيلٌ عن ابن المَكّيّ. وفيه رَمَلٌ بالوسطى.

أرسل إليه الرشيد ذات ليلة فحضر ثم غناه ونادمه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أرسل إليّ الرشيد ذاتَ ليلة، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرَّد وسَرَاوِيلُ مورَّدة وقِناعٌ مورَّد كأنها ياقوتة على وردة؛ فلما رآني قال لي: اجلس، فجلستُ؛ فقال لي: غنِّ، فغنّيت:

[٥/٣٠٠] / تَشَكّى الكُمَيْتُ الجريَ لما جَهَدتُه ... وبيّن لو يَسطيعُ أن يتكلّما

فقال: لمن هذا اللحن؟ فقلت: لي يا أمير المؤمنين؛ فقال: هاتِ لحنَ ابن سُرَيج، فغنّيتُه إياه؛ فطرِب وشرب رِطلاً وسقي الجاريةَ رطلاً وسقاني رطلاً؛ ثم قال: غنِّ، فغنّيته:

صوت

[٥/٦٧] / هاجَ شَوْقي بَعْدَ ما شُيّب أصداغي بُرُوقُ
مَوْهِناً[2] والبَرْقُ ممّا ... ذا الهوى قِدْماً يَشُوق

فقال: لمن هذا الصوت؟ فقلت: لي؛ فقال: قد كنت سمعت فيه لحناً آخر؛ فقلت: نعم، لحن ابن مُحْرِز؛ قال: هاته، فغنّيته فطرب وشرب رطلاً، ثم سقى الجارية رطلاً وسقاني رطلاً؛ ثم قال: غنِّ، فغنّيته:

(١) في هذا الشعر إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ.
(٢) الموهن، ومثله الوهن: نحو من نصف الليل، وقيل: هو بعد ساعة منه، وقيل: هو حين يدبر الليل.

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلُّلِ ... وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ صرمي فأجملي

فقال لي: ليس هذا اللحن أُريد، غَنِّ رَمَل ابْن سُرَيج؛ فغنّيته وشرب رطلاً وسقي الجارية رطلاً، ثم قال: حدّثني، فجعلتُ أحدّثه بأحاديث القِيان والمغنّين طَوْراً، وأحاديثِ العرب وأيامها وأخبارها تارة، وأُنشِده أشعار القدماء والمحدّثين في خلال ذلك، إذ دخل الفضلُ بن الرّبيع، فحدّثه حديثَ ثلاث جوارٍ مَلَكْهُنّ ووَصَفهنّ بالحُسْن والإحسان والظّرْف والأدب؛ فقال له: يا عَبّاسيّ، هل تَسخُو نفسُك بهنّ؟ وهل لك من سَلْوةٍ عنهنّ؟ فقال له: والله يا أمير المؤمنين، إني لأسخو بهنّ وبنفسي، فبها فَدَاك الله؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه، فغَلَبْن على قلبه، وهنّ سِحْر وضياء وخُنُث ذات الخال؛ وفيهنّ يقول:

/ إنّ سِحْراً وضياءً وخُنُث ... هنّ سِحْرٌ وضياءٌ وخُنُث [٢٠١/٥]

أخذت سحرٌ ولا ذنبَ لها ... ثُلُثَيْ قلبي وتِربَاها الثُّلُث

نزل على عبيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة ونادمه:

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني مَيْمون بن هارون عن إسحاق قال:

أتيتُ عُبَيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلمّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ؛ فقال لي: إنّ الحَصَر رائدُ[١] الحياء، والحياء عَقِيدُ الإيمان، فانبسِطْ وأزِلِ الوحشة، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب، لقد قرّبتْ بيننا الآداب؛ فقلت [له][٢]: والله لقد سررتَني بخطابك، وزِدْتَني ببِرّك عجزاً عن جوابك؛ والله دَرّ القُطَامِيّ حيث يقول:

أمّا قريشٌ فلن تلقاهمُ أبداً ... إلّا وهم خيرُ من يَحْفَى ويَنتعِلُ

أهدى له أحمد بن هشام زعفراناً وكتب له شعراً فرد هو عليه بشعر:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدّثني أبو هِفّان قال:

وجه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْب وكتب إليه:

اشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتّكئاً ... وانعَمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطّربِ

فحُرْمةُ الكأس بين الناس واجبةٌ ... كحرمة الوُدّ والأرحام والأدب

قال: فكتب إليه إسحاق:

أُذكر أبا جعفرٍ حقّاً أمتّ به ... أنّي وإيّاك مَشْغوفان بالأدبِ

وأنّنا قد رضعنا الكأسَ دِرّتَها[٣] ... والكأسُ حرمتُها أولى من النَّسب

ودع الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان بشعر فوصله:

حدّثنا الصُّولِيّ قال حدّثني محمد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

---

(١) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته. وفي الأصول: «زائد» بالزاي المعجمة.

(٢) زيادة عن ب، حـ، م.

(٣) أصل الدرة: اللبن.

لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه، ثم أنشدته بعد التوديع:

[٣٠٢/٥] / فِـراقُـك مثـلُ فـراق الحيـاةِ — وفقـدُك مثـلُ افتقـاد الـدِّيَـمْ

عليـك السـلامُ فكـم مـن وفـاء — أفـارق فيـك وكـم مـن كَـرَمْ

[٦٨/٥] قال: فضمني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال لي: يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة / وأودعتَهما من يَصلُح من الخارجين معنا، لأهْدَيْتَ بذلك إليّ أُنساً وأذكرتَني بنفسك؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين؛ فكان كتابه لا يزال يَرِد عليّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُني بذلك كلما غُنّي بهذا الصوت. قال الصُّولِيّ: وهو من طريقة الرَّمَل.

حديثه عما حمله الأصمعي من كتب حين خرجا مع الرشيد إلى الرقة:

أخبرني عمي قال حدّثني عمر بن شَبّة عن إسحاق قال:

قال لي الأصمعيّ: لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرَّقّة قال لي: هل حملت معك شيئاً من كتبك؟ فقلت: نعم، حملتُ منها ما خفّ حملُه؛ فقال: كم؟ فقلت: ثمانيةَ عشرَ صُندوقاً؛ فقال: هذا لمّا خفّفْتَ، فلو ثقّلتَ كم كنتَ تحمل؟ فقلت: أضعافَها؛ فجعل يَعْجَب.

شعر إسحاق في المعتصم حين ولي الخلافة:

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال:

لمّا وَلِي المعتصم دخلتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مُستنطِقاً؛ فأنشدتُه:

صـوت

لاحَ بـالمَفْـرِق(١) منـك القَتِيـرُ(٢) — وذَوَى غصـنُ الشّبـابِ النَّضِيـرُ

هـزِئـتْ أسمـاءُ منّـي وقـالـتْ — أنـت يـابـنَ المـوصلـيّ كبيـر

[٣٠٣/٥] / ورأت شيبـاً بـرأسـي(٣) فصـدّتْ — وابـنُ ستّيـن بشَيْـبٍ جـديـرُ

لا يَـرُوعنّـكِ شَيْبـي فـإنّـي — مـع هـذا الشّيـب حُلْـوٌ مَـزِيـرُ(٤)

قـد يُفَـلّ(٥) السيـفُ وهـو جُـرازٌ — ويَصُـول الليـثُ وهـو عَقِيـر(٦)

يـا بنـي العبّـاس أنتـمْ شفـاءٌ — وضيـاءٌ للقُلـوب ونـور

أنتـمُ أهـلُ الخـلافـةِ فينـا — ولكـم مِنبـرُهـا والسـريـر

(١) المفرق (كمقعد ومجلس): وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر.
(٢) القتير: الشيب، وقيل: هو أوّل ما يظهر منه.
(٣) في «تجريد الأغاني» لابن واصل: «علاني».
(٤) المزير: الظريف.
(٥) الفل: ثلم ينال حد السيف. والجراز (بالضم): الماضي القطاع.
(٦) عقير: مجروح أو مقطوع القوائم.

لا يــزال المُلــك فيكــم مَــدَى الــدَّهـ ـــــرِ مُقيمـــاً مـــا أقـــام ثَبِيـــر[١]
وأبـــو إسحـــاق خيـــر إمـــامٍ مـــالـــه فـــي العـــالميـــن نظيـــر
مـــالـــه فيمـــا يَـــرِيـــش ويَبْـــري غيـــر تـــوفيـــق الإلـــه وزيـــر
واضـــح الغـــرّة للخيـــر فيـــه حيـــن يبـــدو شـــاهـــدٌ وبشيـــر
زانـــه هَـــدْيٌ تُقَـــى وجـــلالٌ وعفـــافٌ ووقـــارٌ وخِيـــر
لـــو تُبـــارِي جـــودَه الـــريـــحُ يـــومـــاً نـــزَعَـــت وهـــي طَلِيـــحٌ[٢] حَسيـــر

شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة:

قال: فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة. ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غَزَاته، فأنشدتُه قولي فيه:

صــوت

لأسمـــاءَ رســـمٌ عفـــا بـــاللِّـــوَى أقـــامَ رهينـــاً لطـــول البِلـــى
تعـــاوَرَه الـــدهـــرُ فـــي صَـــرْفـــه بكَـــرِّ الجـــديـــديـــن حتـــى عفـــا
إذ[٣] البيـــنُ لـــم تُخْـــشَ رَوْعـــاتـــه ولـــم يصـــرِفِ الحـــيَّ صَـــرْفُ الـــرَّدى
/ وإذ مَيْعـــةُ[٤] اللهـــو تجـــري بنـــا وحبـــلُ الـــوصـــال متيـــنُ القُـــوى
فـــذلـــك دهـــرٌ مضـــى فـــابكِـــه ومَـــنْ ضـــاق ذَرعـــاً بـــأمـــرٍ بكـــى
وهـــل يَشْفِيَنْـــك مـــن غُلَّـــة بكـــاؤك فـــي إثْـــر مـــا قـــد مضـــى
إلـــى ابـــن الـــرشيـــد إمـــامِ الهـــدى بعثنـــا المطـــيَّ تَجُـــوب الفَـــلا
/ إلـــى مَلِـــك حَـــلّ مـــن هـــاشـــمٍ ذُؤابـــةَ مجـــدٍ مُنيـــفِ الـــذُّرى
إذا قيـــل أيُّ فتـــى هـــاشـــمٍ وسيِّـــدُهـــا كـــان ذاك الفتـــى
بـــه نَعَـــش الله آمـــالَنـــا كمـــا نَعَـــش الأرضَ صَـــوْبُ الحَيَـــا
إذا مـــا نـــوى فِعْـــلَ أُكْـــرُومـــةٍ تجـــاوز مـــن جُـــوده مـــا نَـــوى
كســـاه الإلـــهُ رداءَ الجمـــال ونـــورَ الجـــلال وهَـــدْيَ التقـــى

[٣٠٤/٥]

٦٩/٥

قال: فأمر[٥] لي بجائزة، وقال: لستُ أحسُب هذا لك إلا بعد أن تَقرِن صناعتك فيه بالأخرى (يعني أن أغنّي فيه وفي: «هَزِئتْ أسماءُ منى»)؛ فصنعتُ في:

* هزئت أسماء منى . . . . . . *

(١) ثبير: من جبال مكة بينها وبين عرفة.
(٢) طليح: تعب هزيل. وحسير: كليل معي.
(٣) في الأصول: «إذا».
(٤) ميعة اللهو والشباب والنهار والسكر وكل شيء: أوله وأصله.
(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «قال فأمر له»، وهو تحريف.

لحناً، وفي:

* لأسماء رسم عفا باللّوى *

لحناً آخر وغنّيته بهما، فأمر لي بألفيْ دينار.

نسبة هذين الصوتين

هـزِئـت أسمـاءُ منّـي وقـالـت ... أنـت يـابـنَ الـموصلـيّ كبيـرُ

لحنُ إسحاقَ في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. والآخر:

لأسمـاء رسـمٌ عفـا بـاللّـوَى ... أقـام رَهِينـاً لطُـول البِلَـى

الغناء لإسحاقَ ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

[٥/٣٠٥] / **غنى أحمد بن عُبيد الله بن أبي العلاء لحناً له فنظر إليه مخارق شزراً ثم بين له السبب:**

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن أبي العَلاَء قال: غنّيتُ يوماً بين يدي الواثق لحن إسحاق في:

هَـزِئـت أسمـاءُ منّـي وقـالـت ... أنـت يـابـنَ الـموصلـيّ كبيـرُ

قال: فنظر إليّ مخارقٌ نظراً شَزْراً وعضّ شَفَته عليّ؛ فلما خرجنا من بين يَدَي الواثق قلت: يا أستاذ، لِمَ نَظَرتَ إليّ ذلك النظرَ؟ أأنكرتَ عليّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي؟ فقال لي: وَيْحَك! أتدري أيّ صَوت غنّيتَ! إن إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وَعْر صعبِ المُرْتقَى، أحدُ جانبيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل، وعن جانبه الآخر الوادي؛ فإن مال مُرْتقِيه عن مَحَجّته إلى جانب الوادي هوَى، وإن مال إلى الجانب الآخر نطَحه حرفُ الجبل فتكسّر؛ صِر إليّ غداً حتى أصحّحه لك.

بنى لحنه في «هزئت أسماء» على أذان عبد الوهاب المؤذن:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخْفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حُدّثت من غير وجه:

أن إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير، فسمع لحناً لعبد الوهاب المؤذِّن أذّن به على باب المعتصم، فأصْغى إليه فأعجبه، فأعاد المَبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن؛ فبنى عليه لحنَه:

* هزئتْ أسماءُ منّي وقالت *

قصد إبراهيم بن المهديّ يوماً فأرسل هو إليه غلامه بديحاً بلحن له يغنيه إياه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ:

أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِد يوماً، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف خبرَه ويدعو له بالسلامة وحسن العُقبَى، وكتب إليه: إني سأهدي إليك هديّةً للفَصْد حسنةً؛ فوجّه إليه بُدَيحاً غلامَه، فغنّاه لحنَه في:

[٥/٣٠٦] * / هزئتْ أسماءُ منّي وقالتْ *

فاستحسنه إبراهيم وقال له: قد قبِلنا الهديّة، فإن كان لك في طَرْحه على الجواري فافعل؛ فقال له: بذلك

أمرني، وقال لي: إنك ستقول لي هذا القول، فقال: إن قاله لك فقل له: لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة؛ فضحك إبراهيم، / وألقاه بُدَيح على جواريه. وقد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب[1] إلى أبيه بهذه الهديّة؛ وهذا خطأ، لأن الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت!.

٧٠/٥

غنى محمد بن الحارث بصوت له أمام مخارق فأعجب به:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن أبي العَلَاء[2] قال:

اِندفع محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً يغنّي هذا الصوت؛ فالتفت إلينا مُخَارِق فقال: خرج[3] ابن الزانية!.

محاورته لعلويه في مجلس الفضل بن الربيع أو علي بن هشام ودفعه ما اتهمه به:

حدّثني عمّي قال حدّثني أبو جعفر محمد بن الدُّهْقَانة النَّديم قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال:

دعاني الفَضْل بن الرَّبيع ودعا عَلّويه ومخارِقاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أنّ حاله كانت ناقصة متضعضِعة؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ الموصليّ يسأله أن يصير إليه ويُعْلِمَه الحالَ في اجتماعنا عنده؛ فكتب إليهم: لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر، ثم وافى إسحاقُ فجلس، وجاء غلامه بقَطْرَميز[4] نبيذ فوضعه / ناحيةً، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منه، وكان عَلّويه يغنّي الفضلَ بن الرَّبيع في لحنٍ لِسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو:

[٥/٣٠٧]

فإن تَعْجَبي أو تُبصري الدّهرَ طَمَّني[5] ... بأحداثه طَمَّ المقصَّص بالجَلَمْ[6]

فقد أترك الأضياف تَنْدَى رِحالُهم ... وأكرمهم بالمَحْض والتَّامِك السَّنِم[7]

ـ ولحنه من الثقيل الثاني ـ فقال له إسحاق: أخطأتَ يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت، وأنا أُصلحه لك؛ فجُنّ عَلّويه واغتاظ وقامت قيامته؛ ثم أقبل على عَلّويه فقال له: يا حبيبي، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك، وإنما أردتُ تهذيبَك وتقويمك، لأنك منسوبُ الصواب والخطأ إلى أبي وإليّ، فإن كرِهتَ ذلك تركتك وقلت لك: أحسنتَ وأجملتَ؛ فقال له عَلّويه: والله ما هذا أردتَ، ولا أردتَ إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك! أخبِرْني عنك حين تجيء هذا الوقتَ لمّا دعاك الأمير وعرّفك أنه قد نشِط للاصطباح: ما حملك على الترفّع عن مُباكرته وخدمته مع صنائعه عندك، وما كان ينبغي أن يَشْغَلك عنه شيء إلا الخليفة! ثم تجيئه ومعك قَطْرَميزُ نبيذٍ ترفُّعاً عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تَنْشَط، كما تفعل الأكفاء، بل تَزيد على فعل الأكفاء؛

---

(١) في الأصول: «فذكر أنك كتبت إلى أبيه بهذه الهدية... إلخ»، وظاهر أنه تحريف.

(٢) ورد هذا الاسم فيما سبق ـ قبل هذا الخبر بخبرين ـ: «... أحمد بن عُبيد الله بن أبي العلاء».

(٣) خرج: نبغ.

(٤) القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج. قال الشاعر:

أنا لا أرتوي بطاس وكاس ... فاسقنيها بالزق والقطرميز

(٥) طمني: غمرني.

(٦) الجلم (بالتحريك): الذي يجز به الشعر والصوف، ومثله الجلمان بلفظ التثنية.

(٧) المحض: اللبن الخالص بلا رغوة. والتامك: العظيم السنام من الإبل، ومثله السنم.

ثم تَعْمِد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميعُ من حضر فما عابه منهم أحد فتَعِيبه ليتمّ تنغيصُك إياه لذّته!؛ أمَا والله لو[١] الفضل بن يحيى أو أخوه[٢] جعفر دعاك إلى مثل / ما دعاك إليه الأمير، بل بعضُ أتباعهم، لبادرت وباكرتَ وما تأخّرتَ ولا اعتذرتَ؛ قال: فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلّويه إسحاقَ؛ فقال له إسحاق: أمّا ما ذكرتَه من تأخُّري عنه إلى الوقت الذي حضرتُ فيه، فهو يعلم أنّي لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثق بذلك مني وإلاّ ذكرتُ له الحجة سرًّا من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل. وأما ترفّعي عنه، فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه وأستمنحُه وأعيش من فضله مذ كنتُ، وهذا تَضْريب[٣] لا أُبالي به منك. وأما حَمْلي النبيذَ معي، فإنّ لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه، / وإن لم أجده لم أقدِر على الشرب وتنغّص عليّ يومئذ، وإنما حملته ليتمّ نشاطي وينتفعَ بي. وأما طعني على ما اختاره، فإني لم أطعن على اختياره، وإنما أردتُ تقويمَك، ولست والله تراني مُتبعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقَوّماً شيئاً من خطئك؛ وأنا أغنّي له ـ أعزّه الله ـ هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك أخطأتَ فيه وقصّرت. وأما البَرَامكة وملازمتي لهم فأشهرُ من أن أجحده، وإني لحقيقٌ فيه بالمعذرة، وأحرَى أن أشكرهم على صَنِيعهم وبأن أذيعه وأنشرَه، وذلك والله أقلُّ ما يستحقّونه منّي. ثم أقبل على الفضلِ ـ وقد غاظه مدحُه لهم ـ فقال: اسمع منّي شيئاً أُخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي، فإن وجدتَ لي عذراً وإلا فلُمْ: كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواريَّ وجواريه الخصومة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبيّن الضَّجَر والتنكُّرَ في وجهه؛ فاستأجرت داراً بقربه وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواريّ، وكانت داراً واسعة، فلم أرْضَ ما معي من الآلةِ لها ولا لمن يدخل إليّ من إخواني أن يَرَوْا مثلَه عندي؛ ففكرت في ذلك وكيف / أصنع، وزاد فِكري حتى خطَر بقلبي قُبح الأُحدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة، وأني لا آمَنُ في وقت أن يَستأذن عليّ [صاحبُ داري][٤]، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي، فيُقال صاحبُ دارك، أو يُوجِّه في وقت فيطلب أُجرة الدار وعندي من أحتشمه؛ فضاق بذلك صدري ضِيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ؛ فأمرت غلامي بأن يُسرِجَ لي حماراً كان عندي لأمضيَ إلى الصحراء أتفرّج فيها مما دخل على قلبي، فأسرجَه وركبتُ برداء ونعل؛ فأفضى بي المسيرُ وأنا مفكر لا أميز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد؛ فتواثب غلمانُه إليّ؛ وقالوا: أين هذا الطريق؟ فقلت: إلى الوزير؛ فدخلوا فاستأذنوا لي؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول، وبقيتُ خَجِلاً، قد وقعت في أمرين فاضحين: إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنّي قصدته في تلك الحال كان سوءَ أدب، وإن قلت له: كنت مجتازاً ولم أقصِدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً؛ ثم عزمتُ فدخلت؛ فلمّا رآني تبسّم وقال: ما هذا الزّيّ يا أبا محمد! احتبسنا لك بالبر والقَصْد والتفقّد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً؛ فقلت: لا والله يا سيّدي، ولكني أَصْدُقك؛ قال: هاتِ؛ فأخبرته القصّة من أوّلها إلى آخرها؛ فقال: هذا حقّ مستوٍ، أفهذا شغل قلبك؟ قلت: إي والله! وزاد فقال: لا تَشغَلْ قلبَك بهذا، يا غلام، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة؛ فجاءوني بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستها، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِع النبيذ فشربت وشرب فغنّيته، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع ظننتُ بعضَها توقيعاً

(١) كذا في حـ و «مختار الأغاني» لابن منظور (ص ١٤٧). وفي سائر الأصول: «لولا الفضل»، وهو تحريف.
(٢) كذا في «مختار الأغاني» لابن منظور. وفي الأصول: «الفضل بن يحيى وأخوه... إلخ» بالواو، ولا تستقيم بها العبارة.
(٣) التضريب: الإغراء بين القوم.
(٤) التكملة عن «مختار الأغاني».

لي بجائزة، فإذا هو قد دعا ببعض وكلائه فدفع إليه الرِّقاع وسارّه بشيء، فزاد طمعي في الجائزة؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العَتَمَة؛ ثم اتكأ يحيى فنام، فقمت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدِّم لي / حماري؛ فلمّا تجاوزت الدارَ قال لي غلامي: إلى أين تمضي؟ قلت: إلى البيت؛ قال: قد والله بِيعتْ دارك، [٥/٣١٠] وأشهِد على / صاحبها، وابتيع الدَّرْبُ كلّه ووُزِن ثمنه، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك، وأظنه اشترى ٧٢/٥ ذلك للسلطان، لأني رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمراً سلطانياً؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حِسابي، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل؛ فلمّا نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سَارّه يحيى قد قام إليّ فقال لي: ادخُل ـ أيّدك الله ـ دارَك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه؛ فطابتْ نفسي بذلك، ودخلتُ ودخل إليّ فأقرأني توقيعَ يحيى: «يُطلَق لأبي محمد إسحاقَ مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها». والتوقيع الثاني إلى ابنه الفَضْل: «قد أمرتُ لأبي محمد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأطلِقْ إليه مثلَها ليُنفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي». والتوقيع الثالث إلى جعفر: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف [درهم][1] يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد، فأطلِقْ له أنت مائةَ ألف درهم يَبتاع بها فرشاً لمنزله». والتوقيع الرابع إلى محمد: «قد أمرت لأبي محمد إسحاقَ أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنفقها عليه وفَرش يَبتذِلُه، فمُرْ له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته». وقال الوكيل: قد حملتُ المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألفَ درهم، وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال بُورِك لك فيه فاقبِضه؛ فقبضتُه وأصبحت أحسنَ حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي؛ ولا والله ما هذا بأكبرِ شيء فعلوه لي، أفَأُلام على شكر هؤلاء! فبكى / الفضل بن [٥/٣١١] الربيع وكل من حضر[2]، وقالوا: لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي غنِّ الصوت ولا تبخَل على أبي الحسن بأن تُقوِّمه له؛ فقال: أفعل؛ وغنّاه، فتبيّن عَلّويه أنه كما قال، فقام فقبّل رأسَه وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد؛ وردّده[3] إسحاقُ مَرّاتٍ حتى استوى لعلّويه.

ولقد رُوِي في هذا الخبر بعينه أن هذه القصّة كانت عند عليّ بن هشام، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني مَيْمون بن هارون وأبو عبدالله الهاشميّ قالا:

دعا عليّ بن هشام إسحاقَ الموصليّ وسأله أن يصطبح عنده ويُبَكِّر فأجابه؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارِق وعَلّويه؛ فقال له عليّ بن هشام: أين كنتَ الساعةَ يا أبا محمد؟ قال: عاقني أمر لم أجد من القيام به بدّاً؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى عَلّويه صوتاً، الشعر فيه لابن ياسين، وهو:

صوت

إلَهِـي مَنَحـتَ الـوُدّ منّـي بخيلـةً	وأنـت علـى تغييـر ذاك قـديـرُ
شفـاءُ الهـوى بـثُّ الهـوى واشتكـاؤُه	وإنّ امـرأً أخفـى الهـوى لصَبـور

ـ الغناء لسليمان أخي أُحَيْحة، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو ـ فقال له إسحاق: أخطأتَ وَيْلَكَ! فوضع

(١) الزيادة عن م، و «مختار الأغاني» لابن منظور.
(٢) كذا في «مختار الأغاني». وفي الأصول: «حضره» بزيادة الهاء.
(٣) ردده: أعاده مثل ردّده.

عَلّويه العود وشرب رطلاً وشرب عليّ بن هشام؛ ثم تناول العود وغنّى:

[٥/٣١٢] ٧٣ / ٥

/ صوت

ولقـــد أسْمُـــو إلـــى غُـــرَفٍ   فـي طـريـقٍ مُـوحِـشٍ جُـدَدُهْ[١]
حـــولــــه الأحـــراسُ تحـــرُسُـــه   ولــديـــه جـــائمـــاً أسَـــدُهْ

ـ الغناء لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ـ فقال له إسحاق: أخطأتَ وَيْلَك! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له: دعاك الأمير ـ أعزّه الله ـ لتُبَكّر إليه، فجئتَه ظُهراً، وغنّيتُ صوتين يشتهيهما الأمير ـ أعزّه الله ـ عليّ فخطّأتني فيهما، وزعمتَ أنك لا تغنّي بين يدي الأمير ـ أعزّه الله ـ ولا تغنّي إلا بين يدي خليفة أو وليّ عهد، ولو دعاك بعض البَرامكة لكنت تُسرع إليه ثم تغنّى مُنْذُ غُدْوةٍ إلى الليل! ؛ فقال إسحاق: إني والله ما أردت انتقاصاً منك، ولا أقول مثله لغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد، ولكني أردت بك خاصّةَ التقويمَ والتأديب؛ فإن ساءك ذلك تركتُك في خطئك. ثم أقبل على عليّ بن هشام، فقال له: أعزّك الله، إني أُحدّثك عن البَرامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره: دخلت على يحيى بن خالد يوماً، ولم أكن أردت الدخول عليه، وإنما ركبت متبذّلاً[٢] لهمّ أهَمّني، وكنت نازلاً مع أبي في داره، فضِقتُ صدراً بذلك وأحببت النُّقْلة عنه، ونظرت فإذا يدي تَقْصُر عما يُصْلحني؛ ثم ذكر الخبرَ نحواً مما قلته. وزاد فيه: أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِح، فلما رآه نعَر[٣] وصفّق، وأنه وقّع له بمائتي ألف درهم، ووقّع له كلٌّ من جعفر والفَضل بمائة وخمسين ألفاً، وكلُّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألفِ مائة ألف. وقال فيه: فبكى عليّ بن هشام ومن حضر، وقالوا: / لا يُرى والله مثلُ هؤلاء أبداً؛ وأخذ إسحاقُ العودَ فغنّى [٥/٣١٣] الصوتين فأتى فيهما بالعجائب؛ فقام عَلّويه فقبّل رأسه وقال له: أنت أستاذنا وابن أستاذنا، وما بنا عن تقويمك غِنًى؛ ثم غنَّى بعد ذلك لحنَه: «تشكّى الكميتُ الجري»، ولم يزل يغنّي بقيّةَ يومه كلّما شرب عليّ بن هشام؛ ثم انصرف فأتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنيّة.

قال عبدالله بن العباس الربيعي: إنه لا يقاربه في الصنعة أحد:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثني عبدالله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال:

أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلمّا جلست واطمأننت، أخرج إليّ خادمُه رقعةً، فقال: اقرأ ما فيها واعمل بما رسَمه الأمير أعزّه الله؛ فقرأتها فإذا فيها قوله:

صوت

يـرتـاح لـلـدَّجْـن[٤] قلبـي وهـو مقتسَمٌ   بيـن الهمـوم ارتيـاحَ الأرض للمطـرِ
إنـي جعلـتُ لهـذا الـدَّجْـن نِحْلَتَـه[٥]   ألاّ يـزولَ ولـي فـي اللهـو مـن وَطَـر

(١) جدده (بضم فتحتح): معالمه، واحده جدّة.
(٢) التبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع.
(٣) نعر: صاح وصوّت.
(٤) الدجن: إلباس الغيم الأرض، وقيل: إلباسه أقطار السماء.
(٥) النحلة: المذهب والنوع، يعني أنه جعل لهذا الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو، وكان من عادتهم أنهم يستحسنون ذلك إذا أدجن اليوم.

وتحت هذين البيتين: «تقدّمْ ـ جُعِلت فداك ـ إلى مَنْ بخصرتك من المغنِّين بأن يُغنُّوا في هذين البيتين، وألْقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة؛ فإذا أخذتْه فأنفِذْها إليّ مع رسولي»؛ فقلت: السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله، فهل صنع فيهما أحدٌ قبلي؟ فقال: نعم، إسحاق الموصليّ؛ فقلت: والله لو كُلِّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه، ما قدَر على ذلك ولا بلغ مبلغَه؛ فضحك حتى استلقى، وقال: صدقتَ والله! وهكذا يَقول من / يعقل لا كما يقول / هؤلاء الحَمْقَى، ولكن اصنعْ فيهما على كل حال كما أمر؛ فقلت: أفعل وقد بَرِئتُ من العُهْدة؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القَرّادين. [٥/٣١٤] ٧٤ ٥

أخبره أحد الخلفاء بظهور الشيب فيه فبكى وقال في ذلك شعراً وغنى فيه:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني ميمون قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال:

قال لي المعتصِم أو قال لي الواثِق: لقد ضحِك الشَّيْب في عارضَيْك؛ فقلت: نعم يا سيِّدي، وبكيت؛ ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنّيت فيها:

تـولّـى شبـابُـك إلا قليـلا ... وحـلّ المَشيـبُ فصبـراً جميـلا
كفـى حَـزَنـاً بِفـراق الصِّبَـا ... وإن أصبـح الشيـبُ منـه بَـديـلا
ولمّـا رأى الغـانيـاتُ المَشيـ ... ـبَ أغضَيْـنَ دونـك طَـرْفـاً كَلِيـلا
سـأنـدُب عهـداً مضـى للصِّبـا ... وأبكـي الشبـابَ بكـاءً طـويـلا

فبكى الواثق وحزِن وقال: والله لو قدَرتُ على ردّ شبابك لفعلت بشَطْر مُلكي؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلا تقبيل البساط بين يديه.

جهد المغنون أن يأخذوا لحناً له فلم يستطيعوا أن يفوا به:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني حَمْدون بن إسماعيل قال: لمّا صنع أبوك لحنَه في:

قِـفْ بـالـديـار التـي عَفَـا القِـدَمُ ... وغيّـرتْهـا الأرواحُ(1) والـدِّيَـمُ

رأيتهم (يعني المغنِّين) يأخذونه عنه ويَجْهَدون فيه؛ فتُوُفّي والله وما أخذوا منه إلا رَسْمَه.

/ نسبة هذا الصوت [٥/٣١٥]

صوت

قِـفْ بـالـديـار التـي عَفَـا القِـدَمُ ... وغيّـرتْهـا الأرواحُ والـدِّيَـمُ
لمّـا وقفْنـا بهـا نسـائِلُهـا ... فـاضـت مـن القـوم أعيـنٌ سُجُـمُ(2)

---

(1) الأرواح: جمع ريح كالأرياح والرياح.

(2) سجم: جمع سجوم، يقال: سجمت العين الدمع (من بابي ضرب وقعد): أسالته قليلاً كان أو كثيراً، فالعين ساجمة وسجوم. ويقال: سجم الدمع (من باب قعد): سال، فالفعل لازم متعد.

ذِكْــــراً لعيـــشٍ مضـــى إذا ذكَــــروا مـــا فـــات منـــه فـــإنـــه سَقَـــمُ
وكـــل عيـــش دامـــت غَضَـــارتُـــه منقطِـــــعٌ مـــــرّةً ومنصَـــــرِمُ

الشعر والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جميع أغانيه.

حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثني هارون اليتيم قال حدّثني عُجَيف بن عَنْبَسة قال:

كنت عند أمير المؤمنين المعتصِم وعنده إسحاق الموصليّ، فغنّاه:

قُـــلْ لمـــن صَـــدّ عـــاتِبَـــا ونـــأى عنـــكَ جـــانبَـــا

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثاً، وشرب عليه ثلاثاً، فقال له إبراهيم بن المهديّ: قد استحسنتَ هذا الصوت يا أمير المؤمنين، أفنأخذه؟ قال: نعم، خذوه فقد أعجبني؛ فاجتمع جماعةُ المغنّين: مخارِقٌ وعَلّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم، فأمره المعتصم أن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه؛ فقال عُجَيف: فعددتُ خمسين مرّة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنّون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه. قال هارون: فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، فقال له عُجَيْف: يا أبا جعفر، كنت أحدِّث أبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ في الصوت / وأنّي عددت خمسين مرة؛ / فقال محمد: إي والله! ـ أصلحك الله ـ ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّة وما في القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أوّلهم ما قدَرت ـ علم الله ـ على أخذه على الصحة وأنا أسرعُهم أخذاً، فلا أدري: أَلِكَثْرة زوائده فيه أم لشدّة صعوبته؛ ومن يقدِر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً!. أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني عُجَيف بن عَنْبَسة بهذا الخبر فذكر مثلَه سواءً.

٧٥/٥ [٣١٦/٥]

مر على المعتصم شعر أعجبه وزنه دون معناه فصاغ هو فيه معنى أعجبه فأجازه:

قال أبو أيّوب وحدّثني حَمّاد عن أبيه قال:

كنت يوماً عند المعتصم، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال: وَدِدت أنه على غير ما هو؛ فقلت له: أنا لك به على هذا الوزن في أحسنَ من هذا الشعر:

صـوت

قُـــلْ لمـــن صـــدّ عـــاتِبَـــا ونـــأى عنـــك جـــانبَـــا
قـــد بلغـــتَ الـــذي أرد ت وإن كنـــت لاعبـــا

فأعجبه، وقال لي: قد والله أحسنت! وأمر لي بألفَيْ دينار، ووالله ما كانت قيمتهما عندي دَانِقَيْن[1].

الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاقَ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

غضب عليه الأمين فتشفع إليه بالفضل بن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فأطربه فأجازه:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني ابن المَكّيّ عن إسحاق قال:

---

(١) الدانق: سدس الدرهم معرب «دانك» بالفارسية.

غَضب عليَّ المخلوعُ[1] فأقصاني وجفاني، فاشتدّ ذلكِ عليّ ـ قال: وجفاني وهو يومئذ بالأنبار ـ فحمَلتُ عليه بالفضل بن الربيع، فطلب إليه فشفّعه المخلوعُ ودعاني / وهو مُصْطبِح، فلم أزل متوقّفاً وقد لبِستُ قَبَاءً وخُفًّا [٣١٧/٥] أحمرَ واعتصبتُ بعِصابة صفراءَ وشدَدت وسطي بشُقّةٍ حمراء من حرير، فلما أخذوا[2] في الأهزاج دخلتُ وفي يديّ صَفّاقتان وأنا أتغنّى:

صوت

إِسمـع لصـوتٍ طَـريـبِ[3] ... مـن صَنْعـةِ الأنبـاري[4]

صـوتٍ مليـح خفيـف ... يطيـر فـي الأوتـار

ـ الشعر والغناء لإسحاقَ، هزجٌ بالبنصر ـ فسُرّ بذلك محمد، وكان صوتهم في يومهم ذلك، وأمر لي بثلثمائة ألف درهم. وأخبرني جَحْظة بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ قال حدّثني أبي أن إسحاق حدّثه بهذا الخبر، وذكر مثل ما ذكره يحيى؛ وزاد فيه قال: وكان سبب تسمية محمد لي بـ «الأنباري» أني دخلت عليه يوماً وقد لُثْتُ[5] عمامتي على رأسي لَوْثاً غير مستحسَن، فقال لي: يا إسحاق، كأنّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار.

أنشد الأصمعي شعراً له فأعجب به فلما علم أنه له غير رأيه فيه:

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عمّي الفَضْل عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبي:

قال إسحاق: قلت في ليلة من الليالي:

/ صوت [٣١٨/٥]

هـل إلـى نظـرةٍ إليـكِ سبيـلُ ... يُـروَ[6] الصَّـدَى ويُشفَـى الغليـلُ

إنّ مـا قـلّ منـك يكثُـر عنـدي ... وكثيـرٌ ممـن تحـبّ القليـلُ

قال: فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ، فقال: هذا الدّيباج الخُسْرُوَانيّ[7]، هذا الوَشْي / الإسكندرانيّ، لمن ٧٦/٥ هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليلته؛ فتبيّنت الحسدَ في وجهه، وقال: أفسدتَه! أفسدتَه! أمَا إنّ التوليد فيه لبيّن. في هذين البيتين لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر.

---

(١) المخلوع: هو محمد الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد.

(٢) في أ، ء، م: «فلما دخلوا».

(٣) في حـ: «ظريف».

(٤) كذا في حـ. والأنباري: نسبة إلى الأنبار، وهي مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ. وفي سائر الأصول: «... الأنبار» بدون ياء النسبة، وهو تحريف.

(٥) لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً: لفها وعصبها.

(٦) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر.

(٧) الخسرواني: نوع من الثياب منسوب إلى خسرو شاه من الأكاسرة.

كان يعجب بمعنى ويرى أنه ما سبق إليه فلما أنشد له هذا المعنى لأعرابي حلف أنه ما سمعه:

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ما ذكره من قدّمت الرواية عنه، وزاد فيه: فقال لي عليّ بن يحيى بعَقِب هذا الخبر: كان إسحاق يُعْجَب بهذا المعنى ويكرره في شعره، ويرى أنه ما سُبِق إليه؛ فمن ذلك قوله:

صوت

أيّها الظّبيُ الغَرِيرُ ... هل لنا منك مُجِيرُ

إنّ ما نَوّلتني منـ ... ـك وإنْ قلّ كثير

ـ لحنُ إسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ـ فقلت: إنك قد سُبِقت إلى هذا المعنى، فقال: ما علمتُ أنّ أحداً سبقني إليه؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عُقَيْل:

قِفِي وَدِّعينا يا مليحُ بنظرةٍ ... فقد حان منّا يا مليح رحيلُ

[٣١٩/٥] / أليس قليلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها ... إليكِ وكَلّاً ليس منك قليل

عُقَيْلِيّةٌ أمّا مَلاثُ[1] إزارها ... فوَعْثٌ وأما خَصْرها فضئيل

صوت

أيا جنّةَ الدنيا ويا غايةَ المُنى ... ويا سُؤْلَ نفسي هل إليكِ سبيلُ

أراجعةٌ نفسِي إليّ فأغتدِي ... مع الرَّكْب لم يُقْتَل عليكِ قتيل

فما كلّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ... ولا كلّ يومٍ لي إليكِ رسول

قال: فحلف أنه ما سمع بذلك قطُّ. قال عليّ بن يحيى: وصدق، ما سمع بها. الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيْليّ.

عاتبه إبراهيم بن المهدي في ترك المجيء له فكان بينهما حوار لطيف:

حدّثني الحَرَمِيّ بن أبي العَلَاء قال حدّثنا الحسين[2] بن محمد بن أبي طالب الدِّيناريّ بمكة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

عاتبني إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء إليه، فقال لي: مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً،

(١) ملاث الشيء: الموضع الذي يدار فيه ذلك الشيء ويلف. وملاث الإزار: ما دون الخصر أي العجز وما تحته. ووعث: لين، يقال: امرأة وعثة، ووعثة الأرداف، كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول هنا: «الحسن»، ولعل هذا تحريف، إذ سيأتي في جميع الأصول: «الحسين بن طالب». والظاهر من مقارنة الأسانيد بعضها ببعض في عدة أخبار هنا أن «الحسين بن طالب» هو «الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري». على أنه يبقى من بعد ذلك: أجدّه «طالب» أم «أبو طالب».

فاجمعْ له مع المحبة الخالصة طاعةً لازمة؛ فقلت له: جعلني الله فداك، إذا ثبتتِ الأصول في القلوب، نطقتِ الألسن بالفروع، والله يعلم أنّ قلبي لك شاكر، ولساني بالثناء عليك ناثر[١]؛ وما يظهر الودّ المستقيم، إلا من القلب / السليم؛ قال: فأَبْرِىءْ ساحتَك عندي بكثرة مجيئك إليّ؛ فقلت: أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نُوَباً أتيقّظ [٥/٣٢٠] لها كتيقّظي للصلوات الخمس، وأكون بعد ذلك مقصّراً؛ فضحك وقال: من يقدِر على جواب المغنّين!؛ فقلت: مَنِ اتخذ الغناءَ لنفسه ولم يتخذه لغيره؛ فضحك أيضاً، وأمر لي بخِلَع ودنانيرَ وبِرْذَوْن وخادم. وبلغ الخبرُ المعتصمَ، فضاعف لإبراهيم ما أعطاني، فرُحتُ وقد رِبحت وأربحتُ.

عتب عليه الفضل بن الربيع فكتب إليه:

حدّثنا الحَرَميّ قال حدّثنا الدِّيناريّ قال حدّثني إسحاق قال:

عتَب عليّ الفضلُ بن الرَّبيع في شيء بلغه عنّي؛ فكتبت إليه: «إنّ لكل ذنب عفواً وعقوبة؛ فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة، فأمّا مثلي من العامّة فذنبه لا يُغفر، وكسره لا يُجبر؛ فإن كنت لا بدّ معاقِبي فإعراضٌ لا يؤدّي إلى مقت».

جواب الأعرابيّ الذي كان عنده للفضل بن الربيع حين سأله عما كانوا فيه:

/ حدّثني الحَرَميّ قال حدّثنا الدِّيناريّ قال حدّثني إسحاق قال: ٧٧/٥

كان يختلف إليّ رجلٌ من الأعراب، وكان الفضل بن الربيع يقرّ به ويستظرف كلامَه، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه؛ فقال له الفضل: فيم كنتم؟ قال: كنا في قِدرٍ تَفور، وكأس تَدُور، وغناء يَصُور[٢]، وحديثٍ لا يَحُور[٣].

كان يصنع الشعر وينحله الأعراب:

حدّثنا الحَرَميّ قال حدّثنا الحسين بن طالب[٤] قال:

كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب، وينشده للأعراب، وكان يُعَايِي بذلك أصحابَه ويُغْرِب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ:

[٥/٣٢١]

/ لَفَظ الخدورُ عليك حُوراً عِينَا ... أنسَيْنَ ما جمع الكِناسُ قَطِينَا[٥]

فإذا بَسَمْنَ فعَنْ كمثل غَمامة ... أو أُقْحُوانِ الرملِ باتَ مَعِينَا[٦]

(١) في أ، ء، م: «ناطق».
(٢) يصور: يصوت.
(٣) لا يحور: لا يرجع، يريد أنه دائماً مجدّد على غير معاد. وفي م: «لا يجور» بالجيم.
(٤) تراجع الحاشية رقم ٢ من الصفحة السالفة.
(٥) لفظ: أخرج. والقطين: اسم جمع لقاطن، وهو من قطن بالمكان إذا أقام به وتوطنه.
(٦) معين: ريان، يقال: معن الموضع والنبت (بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع) إذا روى من الماء. ويقال: معن المطر الأرض إذا تتابع عليها فأرواها. فيحتمل هنا أن يكون «معين» فعيلا بمعنى فاعل على المعنى الأوّل، وأن يكون فعيلا بمعنى مفعول على المعنى الثاني، أي تتابع عليه المطر فأرواه.

وأصبحُ من رأتِ العيونُ محاجراً ولهنّ أمرضُ ما رأيتُ عيونا
وكأنما تلك الوجوهُ أهلّةٌ أقمرنَ[1] بين العشر والعشرينا
وكأنهنّ إذا نَهَضْنَ لحاجةٍ ينهضن بالعَقِداتِ[2] من يَبْرِينَا

قال: وأنشدني أيضاً مما كان ينسُبه إلى الأعراب وهو له:

ومكحولة العينين من غير ما كُحْلِ مُهَفْهَفَة الكَشْحَيْن ذات شَوًى[3] خَدْلِ
مُنَعَّمَة الأطراف مُفعَمة البُرَى[4] روادفُها تَحكِي الدِّهاس[5] من الرملِ
صَيُود لألباب الرجال، متى رنتْ[6] إلى ذي نُهًى جَلْد القُوَى وافرِ العقلِ
تخلّى النُّهى عنه وحالفه الصِّبا وأسلمه الرأيُ الأصيل إلى الجهلِ
/ شبيبة[7] كُثْبانٍ يَرُوقك تحتها عناقيدُ كرم جادَها غَدَقُ الوَبْلِ
رمتني فحلّت نائطيَّ[8] ولم تُصِب لها نائطَيْ قلبٍ ولا مَقتلاً نَبْلي

[٥/ ٣٢٢]

أنشد الرشيد شعراً له فأعجبه وأجازه:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدّثت عن الأصمعيّ قال: دخلت أنا وإسحاق الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لَقِسَ[9] النَّفْس؛ فأنشده إسحاق يقول:

صوت

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقْصُري فذلك شيءٌ ما إليه سبيلُ[10]
أرى الناس خُلّانَ الكرامِ ولا أرى بَخيلاً له حتّى المماتِ خليلُ
وإنّي رأيتُ البُخلَ يُزْري بأهله فأكرمتُ نفسي أنْ يُقال بخيلُ

(١) أقمر الهلال: صار قمراً.
(٢) العقدات: جمع عقدة (بفتح فكسر وبالتحريك لغة) وهي ما تراكم من الرمل وتعقد. ويبرين: من أصقاع البحرين، وهناك الرمل المعروف بالكثرة. والظاهر أنه يريد أن يصف أعجازهن بالضخامة حتى كأنهن إذا نهضن ينهضن بكثبان يبرين. يشبه أعجازهن بالكثبان. وفي الأصول: «بالعقرات» بالراء المهملة، وهو تحريف.
(٣) الشوى: الأطراف. وخدل (بالخاء المعجمة والدال المهملة): ممتلىء ضخم، أي هي ممتلئة الذراعين والساقين. وفي الأصول: «جدل» بالجيم، والتصويب للأستاذ الشنقيطي في نسخته.
(٤) البري: جمع برة، وهي الحلقة سواراً كانت أو خلخالاً أو قرطاً. يصف ذراعيها وساقيها بالامتلاء.
(٥) الدهاس (بالفتح): المكان اللين السهل الذي تغيب فيه القوائم للينه. أي إن روادفها ضخمة في لين. ويقال: امرأة دهاس، أي عظيمة العجيزة.
(٦) في حـ: «إذا رنت».
(٧) كذا في أكثر الأصول. وفي أ، ء، م: «شنيبة» بالنون قبل الياء، وهو على كلتا الروايتين غير واضح.
(٨) النائط: العرق المستبطن الصلب تحت المتن.
(٩) كذا في حـ. ولقست نفسه (من باب فرح): غثت وخبثت. وفي سائر الأصول: «لقيس النفس»، وهو تحريف.
(١٠) وردت هذه الأبيات في «أمالي القالي» (ج ١ ص ٣١ طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف في بعض الكلمات.

ومن خير حالات الفتى لو علمته ... إذا نال خيراً أن يكون يُنِيل
فعالي فعالُ المُكْثِرين تجمُّلاً ... ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغِنَى ... ورأيُ أميرِ المؤمنين جميل

قال: فقال الرشيد: لا تَخَفْ إن شاء الله؛ ثم قال: لله دَرّ أبيات تأتينا بها؛ ما أشدّ أصولَها، وأحسن فُصولَها، وأقلّ فُضولَها! وأمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق: وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخُذ الجائزة! فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم. قال الأصمعيّ: / فعلمتُ يومئذ أنّ [٥/٣٢٣] إسحاق أحذقُ بصيد الدراهم / منّي. وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدَامة عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن [٧٨/٥] عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريباً مما ذكره الأصمعيّ والألفاظ تختلف.

دخل على الفضل بن الربيع ابن ابنه فقال هو فيه شعراً سره، وقيل: بل قاله الفضل بن يحيى في ابنه:

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق، وأخبرني به جعفر بن قُدَامة ووكَيع عن حَمّاد عن أبيه قال:

كنتُ عند الفضل بن الرَّبيع يوماً، فدخل إليه ابن ابنه عبدُالله بن العبّاس بن الفضل وهو طفل، وكان يَرِقّ عليه لأن أباه مات في حياته، فأجلسه في حِجْره وضمّه إليه ودمَعت عيناه؛ فأنشأتُ أقول:



صوت

مَدّ لك الله الحياةَ مَدّاً ... حتى يكون ابنُك هذا جَدّا
مؤزَّراً بمجده مُرَدَّى(١) ... ثم يُفَدَّى مثلَ ما تُفَدَّى
أشبه منك سُنّةً وخَدّا(٢) ... وشِيَماً مَرْضيّةً ومجدا
كأنه أنت إذا تَبَدَّى ... شمائلاً محمودةً وقَدّا

قال: فتبسّم الفضلُ وقال: أمْتعني الله بك يا أبا محمد، فقد عُوّضتُ من الحزن سروراً وتسلّيتُ بقولك، وكذلك يكون إن شاء الله. قال جعفر بن قُدَامة: وحدّثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حِجْره ابنٌ له.

/ غنّى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل، يقال: إنه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غنّى [٥/٣٢٤] به. وأخبرني ذُكاء وجه الرزّة عن بِذعة الكبيرة: أنّ الرمل لعَرِيب، وأنّ لحن أبي عيسى خفيفُ رملٍ.

دخل على الفضل بن الربيع عائداً وقال فيه شعراً عمرّ الفضل به:

حدّثني عمّي قال حدّثني الفضل بن محمد اليَزيديّ عن إسحاق قال:

أتيتُ الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه؛ فقلت في مجلسي ذلك:

(١) مؤزر: من الإزار. ومردّي: من الرداء.
(٢) كذا في حـ وفي سائر الأصول: «وجدّا» بالجيم، وهو تصحيف. والسنة: الوجه لصقالته وملاسته، أو هي الجبهة والجبينان.

إذا مـا أبـو العبـاس عِيـدَ ولـم يَعُـد رأيـتَ مَعُـوداً أكـرمَ النـاس عـائـدَا
وجـاء بنـو العبـاس يبتـدرونـه مِـراضـاً لمـا يشكـوه مَثْنَـى وواحـدا
يُفَـدُّونـه عنـد السـلامِ وكلُّهـم مُجِـلٌّ لـه يـدعـوه عَمّـا ووالـدا

قال: وكان الفضل مضطجعاً، فأمر خادماً له فأجلسه، ثم قال لي: أعِد يا أبا محمد فأعدتُ، فأمرني فكتبتُها، وسُرَّ بها وجعل يردّدها حتى حفِظها.

غضب عليه الفضل بن الربيع مرة فاسترضاه بشعر:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق، وأخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبدالله بن[1] مالك عن إسحاق قال:

جاءني الزُّبير بن دَحْمان يوماً مسلِّماً فاحتبسته؛ فقال لي: أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه؛ فقلت له:

أقِـمْ يـا أبـا العـوّام وَيْحَـك نَشْـرَبِ ونَلْـهُ مـع الـلاهيـن يـومـاً ونَطْـرَبِ
إذا مـا رأيـتَ اليـومَ قـد جـاء خيـرُه فخُـذْه بشكـرٍ واتـرك الفضـلَ يغضَـبِ

[٣٢٥/٥] / فأقام عندي وسُررنا يومَنا؛ ثم صار إلى الفضل؛ فسأله عن سببِ تأخّره عنه؛ فحدّثه الحديثَ وأنشده البيتين؛ فغضِب وحوّل وجهَه عنّي، وأمر عوناً حاجبَه بألّا يُدخلني إليه ولا يستأذنَ لي عليه ولا يُوصِلَ لي رقعةً؛ فقلت:

[٧٩ / ٥] / حـرامٌ علـيّ الكـأسُ مـا دُمـتَ غضبـانَـا ومـا لـم يَعُـد عنّـي رضـاك كمـا كـانَـا
فـأحسِـنْ فـإنّـي قـد أسـأتُ ولـم تـزَلْ تُعـوِّدنـي عنـد الإسـاءة إحسـانـا

قال: وأنشدته إيّاهما، فضحك ورضي عنّي وعاد إلى ما كان عليه. وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه، فذكر مثلَه وزاد فيه: فقلت في عَوْن حاجبه:

عَـوْنُ يـا عـونُ ليـس مثلَـك عـونُ أنـت لـي عُـدّةٌ إذا كـان كَـوْنُ
لـك عنـدي والله إن رَضِـي الفضـ ـل غـلامٌ يُـرضيـك أو بِـرْذَوْنُ

قال: فأتى عَوْنٌ الفضلَ بالشّعرَيْن جميعاً؛ فقرأهما وضحك وقال: وَيْحَك! إنما عرض لك بقوله: «غلام يُرضيك» بالسّوءة؛ قال: قد وعدَني ما سمعت، فإن شئتَ أن تَحْرِمَنيه فأنت أعلم!؛ فأمره أن يُرسل إليّ؛ فأتاني رسولُه فصِرتُ إليه فرضِي عنّي.

أخبرني جَحْظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ المرتجِل قال حدّثني أبي قال حدّثني الزُّبَير بن دَحْمان قال:

دخلتُ يوماً على الفضل بن الرّبيع مُسلِّماً؛ فقال لي: قد عزمتُ غداً على الصَّبُوح، فصِر إليّ بُكْرةً؛ فكنت أنا والصبحُ كفَرَسَيْ رِهان؛ فلما أصبحتُ في غدٍ جعلتُ طريقي على إسحاقَ بن إبراهيم فدخلت إليه، فلما جلستُ قال لي: أقِم اليومَ عندي؛ فعرّفته خبري؛ فقال:

(١) كذا في حـ، وقد ورد كذلك في الأصول في غير هذا الموضع غير مرة. وفي سائر الأصول هنا: «ابن أبي مالك»، وهو خطأ.

/ أَقِمْ يا أبا العَوّام وَيْحَك نشربِ ونَلْهُ مع اللاّهين يوماً ونطربِ [٥/٢٦]

إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه فخذه بشكرٍ واترُكِ الفضلَ يغضبِ

فقلت: إني لا آمَنُ غضبَه، وأنا بين يديك؛ فقال لي: أنت تعلم أن صَبوح الفضل أبداً في وقت غَبُوق الناس، فأقِمْ وارفُقْ بنفسك ثم امضِ إليه؛ فأجبته إلى ذلك؛ فلمّا شربنا طاب لي الموضع، فأقمتُ حتى سَكِرتُ. وذكر باقيَ الخبر نحواً مما ذكر إسحاق. انتهى.

كان المغنون يجتهدون ويطمعون في غلبة فإذا غنى هو بذهم:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني محمد بن المَكّيّ المُرْتجِل قال: قلت لزُرْزُورٍ الكبير: كيف كان إسحاق يَنْفُق[1] على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهديّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتاً وأحسنُ نَغْمَةً؟ قال: كنّا والله يا بنيّ نحضُر معه فنجتهد في الغِناء ونُقيم الوَهَجَ[2] فيه ويُقبل علينا الخلفاءُ، حتى نطمعَ فيه ونظنّ أنا قد غَلَبناه، فإذا غنّى عمِل في غِنائه أشياء من مُدَارَاتِه[3] وحِذْقه ولُطْفه حتى يُسقطنا كلّنا ويُقْبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويُجيزَه دوننا ويُصغَى إليه، ونَرى أنفسَنا اضطراراً دونه.

هو أوّل من أحدث التخنيث في الغناء ليوافق صوته:

حدّثنا جَحْظة قال حدّثني محمد بن أحمد المَكّيّ قال حدّثني أبي قال: كان المغنّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسن صوتاً منه، ولم يكن فيه عيبٌ إلا صوتَه فيطمعون فيه؛ فلا يزال بلُطْفه وحِذْقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويَبُذَّهم[4] جميعاً ويفضُلَهم ويتقدَّمَهم. قال: وهو أوّلُ من أحدث التخنيثَ ليوافق صوتَه ويشاكلَه، / فجاء معه عجباً [٥/٢٧] من العَجَب؛ وكان في حَلْقه نبوٌّ عن الوتر. أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو العُبَيْس[5] بن حَمْدون: أنّ إسحاق أوّل من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يُعرف، وإنما احتال بحذقه لمُنَافرة حَلْقه الوتر، حتى صار يُجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له في السمع.

كان المغنون يتهاونون في غيبته فإذا حضر جدّوا:

أخبرنا جَحْظة قال حدّثني الهِشاميّ عن أبيه قال:

كان المغنّون إذا حضروا / وليس إسحاقُ معهم غنَّوْا هُوَيْنَى وهم غير مفكرين؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلاّ الجِدّ. ٨٠ ب

قصته مع جعفر بن يحيى ونافذ حاجبه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال:

---

(١) نفق الشيء: راج ورغب فيه. ولعله هنا مضمن معنى «يغلب» لكي تصح تعديته بـ «على».
(٢) كذا في أكثر الأصول. والوهج: التوقد، ولعله هنا كناية عن اضطرام الأمر وحدته فيما هم فيه من شأن الغناء. وفي حـ: «الرهج» بالراء، وهو الغبار أو ما أثير منه.
(٣) داريت الظبي مداراة: احتلت له وختلته حتى أصيده. ولعله يريد أن إسحاق يحتال للأنغام حتى يؤلف بينها ويأتي في ذلك بما يعجز عنه غيره.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ويبنلهم».
(٥) في ب، س، حـ: «أبو العنبس» بالنون والباء الموحدة. (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٩٦ ج ١ «أغاني» من هذه الطبعة).

قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد: رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطئك ويقول: لستُ أراه ولا يَغشاني؛ فقلت: إني لآتِيه كثيراً فأُحجَب عنه ويصرفني نافذٌ حاجبُه ويقول: هو على شُغل؛ قال: فبلَّغه أبي ذلك؛ فقال له: قل له: أَنِكْه أمَّه إذا فعل؛ فأقمتُ أيّاماً ثم كتبتُ إليه:

جُعِلتُ فداءَكَ من كلِّ سوءٍ ... إلى حُسْن رأيك أشكو أُناسا

يَحُولون بيني وبين السلام ... فلستُ أُسلِّم إلّا اختلاسا

وأنفذتُ أمرك في نافذٍ ... فما زاده ذاك إلّا شِماسا[1]

وقد أخبرني الخبرَ محمدُ بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه، فذكَر مثلَه وقال: كان خادمٌ يحجُبه يقال له: نافذ، فقال: إذا حَجبك فَنِكْه؛ فلما كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني؛ فلما دخلتُ إليه أحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه، وقال لي: أفعلتَها / يا عدوّ الله! فغضِب نافذٌ حتى كاد يبكي، وجعل جعفرٌ يضحك ويصفّق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرّض لي. [٥/٣٢٨]

غضب المأمون عليه وشك أبي الفرج في ذلك:

حدّثني الحسين[2] بن أبي طالب قال حدّثني عُبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليَزيديّ عن عمّه عُبيد الله عن أبيه قال:

غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم، ثم كُلِّم فيه فرَضِي عنه ودَعا به؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه واستقاله[3]؛ فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً، ثم قال له في أثناء كلامه:

فلا أنتَ أعتبتَ من زَلّةٍ ... ولا أنتَ بالغتَ في المَعذِرةْ

ولا أنتَ وليتني أمرَها ... فأغفِرَ ذنبك عن مَقْدِرةْ

هكذا في الخبر؛ وأظنّه إسحاقَ بن إبراهيم الطاهريّ لا الموصليّ.

أنشد أبا الأشعث الأعرابيّ شعراً له فأعجب به:

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الحسينُ بن أبي طالب قال حدّثني إسحاقُ قال:

أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيّ شعراً لي، فقال: والذي أصوم له مخافتَه ورجاءَه، إنك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يديّ، وإنّ في كِبَرك لَمَا زان الجليس وسرّه.

حديث له مع زهراء الكلابية:

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الدِّيناريّ قال حدّثنا إسحاق قال:

قالت لي زَهْراءُ الكِلابيّة: ما فعل عبدُالله بن خُرْدَاذْبه؟ فقلتُ: مات؛ فقالت: غيرَ ذميم ولا لئيم، غفر اللّهُ لصَداه[4]، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك. قال: فقلتُ لزَهْراء: حدّثيني عن قول الشاعر:

(١) شماساً: عناداً.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الحسن». (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٩ من هذا الجزء).

(٣) استقاله: طلب منه أن يقيله.

(٤) الصدى: جسد الإنسان بعد موته.

/ أحِبُّك أنْ أُخبِرتُ أنّكِ فارِكٌ[1] لزوجِكِ إنّي مُولَعٌ بالفَوارِكِ [٣٢٩/٥]

ما أعجَبه من بغضها لزوجها؟ فقالت: عرّفته أنّ في نفسها فَضْلةً من جمال وشَمْخاً بأنفها وأُبّهةً، فأعْجَبتْه.

غنى المعتصم وهو لقس النفس فأطربه فأجازه:

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثْتُ عن غير واحد:

أنّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوماً من الأيام فرآه لَقِسَ[2] النَّفْس، فقال له: أمَا تَرى يا أمير المؤمنين طِيبَ هذا اليوم وحُسْنَه! ؛ فقال المعتصمُ: ما يدعوني حسْنُه إلى شيءٍ مما تريد ولا أنشَطُ له؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه يومُ أكلٍ وشُربٍ؛ فاشرب حتى أُنشِّطَك؛ قال: أوَ تفعل؟ قال: نعم؛ قال: يا غِلْمان، قدِّموا الطعامَ والشرابَ / ومُدُّوا الستارةَ، وأحضِروا الندماءَ والمغنّين؛ فأُتِي بالطعام فأكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ ٨١/٥ والمغنّون؛ فغنّاه إسحاق:

صوت

سُقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السلامِ فنِعْمَ محَلّةُ المَلِكِ الهُمَامِ

لقد نَشَر الإلهُ عليكَ نُوراً وخصّكَ بالسَّلامةِ والسلامِ

ـ الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ بالسبّابة في مَجْرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للزُّبير بن دَحْمان لحناً من الرَّمَل بالوسطى ـ قال: فطرِب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلاّ وصَله وخلَع عليه وحمَله؛ وفضّل إسحاقَ في ذلك أجمع.

/ أول جائزة نالها من الرشيد ألف دينار: [٣٣٠/٥]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا ابنُ أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن إسحاق قال:

أوّلُ جائزة أخذتُها من الرشيد ألفُ دينار في أوّل يوم دخلتُ إليه فغنّيتُه:

* عَلِقَ القلبُ بزَوْعا[3] *

فاستحسنه واستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لي بألف دينار؛ فكان أوّلَ جائزةٍ أجازَنيها.

أبي القدح من يد غلام قبيح الوجه وقال شعراً فجيء له بوصيفة:

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال:

كان أبي ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلما جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسقُون مَنْ حضَر، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبي بقَدَحِ نبيذٍ فلم يأخذه؛ ورآه إسحاق فقال له: لِمَ لا تشرب؟ فكتب إليه أبي:

---

(١) الفارك من النساء: التي تبغض زوجها.

(٢) في ب، س: «لقيس النفس» بالياء بعد القاف، وهو تحريف.

(٣) زوع: من أسماء النساء.

اِصْبَحْ نديمَك أقداحاً يُسَلْسِلُها ... من الشَّمُول[1] وأتبِعْها بأقداحِ

من كفّ رِيمٍ مَليحِ الدَّلِّ رِيقتُه ... بعد الهُجُوع كمِسْك أو كتُفّاح

لا أشربُ الرّاحَ إلا من يدَيْ رَشَأٍ ... تقبيلُ راحتِه أشهى من الرّاح

فضحك وقال: صدَقتَ والله، ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ، تامّةُ الحسن لطيفةُ الخَصْر في زيّ غُلام عليها أقْبِيةٌ[2] ومِنْطَقةٌ، فقال لها: تَوَلَّيْ سَقْيَ أبي محمد؛ فما زالت تَسقِيه حتى سكِر؛ ثم أمر بتوجيهها وكلّ مالَها في داره إليه، فحُمِلتْ معه.

كانت بينه وبين زهراء الكلابية مودة فكتبت إليه شعراً فرد عليها:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدُالله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الصَّبّاح قال:

[٥/٣٣١] / كانت امرأةٌ من بني كِلاب يقال لها زَهْراء تحدّث إسحاقَ وتُناشدُه، وكانت تَميل إليه، وتكْنِي عنه في عشيرتها إذا ذكَرَتْه بجُمْل؛ قال: فحدّثني إسحاقُ أنها كتبتْ إليه وقد غابت عنه تقول:

وَجْدِي بجُمْل على أنّي أجَمْجِمُه[3] ... وجدُ السَّقيم بِبُرءٍ بعد إدْنافِ

أو وجدُ ثَكْلَى أصاب الموتُ واحدَها ... أو وجدُ مُغتَرِبٍ من بين ألّاف

قال: فأجبتُها:

أقْرِ السلامَ على الزَّهراء إذ شَحَطتْ ... وقُلْ لها قد أذَقْتِ القلبَ ما خافَا

أمّا رَثَيْتِ لمن خلّفتِ مكتئباً ... يُذْرِي مدامعَه سَحّاً وتَوْكافا[4]

فما وَجَدْتُ على إلْفٍ أفارقُه ... وجْدِي عليك وقد فارقتُ ألّافا

أنشد محمد بن عبدالله بن مالك شعراً فسأله عن قصته فلم يخبره:

[٨٢/٥] أخبرني عمّي قال حدّثني عبدُالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك قال / أنشدني إسحاقُ لنفسه:

سقَى اللّهُ يومَ المَاوَشانِ[5] ومَجْلِساً ... به كان أحْلَى عندنا من جَنَى النَّحلِ

غَداةَ اجتنينا اللّهوَ غَضّاً ولم نُبَلْ[6] ... حِجَابَ أبي نصرٍ ولا غَضْبةَ الفضلِ

(١) الشمول: الخمر.

(٢) الأقبية: (جمع قباء بالفتح) وهو ثوب يلبس فوق الثياب، وقيل: ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه.

(٣) أجمجمه: أكتمه وأخفيه.

(٤) يقال: وكف الدمع توكافاً، إذا سال وقطر قليلاً قليلاً.

(٥) كذا في حـ و «معجم البلدان» لياقوت، وهو ناحية وقرى، في واد في سفح جبل أروند من همذان، وهو موضع نزه فرح. وفي سائر الأصول «الماوسان» بالسين المهملة، وهو تصحيف.

(٦) لم نبل: أصله نبالي، حذف حرف العلة للجازم ثم سكنت اللام للتخفيف، كما حذفت النون في «لم نك» بعد تسكينها، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

غَـدَوْنـا صِحـاحـاً ثـم رُحْنـا كـأنّنـا ° أطـاف بنـا شـرٌّ شـديـدٌ مـن الخَبْـلِ

فسألتُه أن يكتبها ففعل؛ فقلت له: ما حديث المَاوَشَان؟ فضحك وقال: لو لم أكْتُبك الأبياتَ لما سألتَ عما لا يَعْنيك؛ ولم يخبرني.

[٥/ ٢٣٢] / كان ابن الأعرابي يعجب به ويستحسن شعراً له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابيّ:

أنه كان يَصِف إسحاق الموصليّ ويُقرّظه ويُثْني عليه ويذكر أدبَه وحِفظَه وعلمَه وصدقَه، ويَستحسن قولَه:

صـوت

هـل إلـى أن تنـامَ عينـي سبيـلُ ° إنّ عهـدي بـالنـوم عهـدٌ طـويـلُ

غـاب عنّـي مـن لا أُسمّـي فعيْنـي ° كـلَّ يـوم وجْـداً عليـه تَسِيـلُ

ـ الشعرُ والغناءُ لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْطى ـ قال: وكان إسحاقُ إذا غنّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكي أحرَّ بكاء. وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق. وحديثُ موسى عن حَمّاد أتمُّ، واللفظُ له.

أوّل صوت وآخر صوت صنعه:

أخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق قال:

أوّلُ صوت صنعه أبي:

إنـي لأكْنِـي بـأجبـالٍ عَـنَ اجبُلِهـا ° وبـاسـم أوْدِيـةٍ عـن اسـم واديهـا

وآخر صوت صنعة مختاراً:

قِـفْ نُحَـيِّ المَغَـانيَـا ° والطُّلـولَ البـواليَـا

ثم قطع الصنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته في:

* لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها *

اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه بعد وفاته فامتحنه الرشيد ثم أذعنوا:

قال حَمّاد وحدّثني أبي قال:

كان المغنّون يَحسُدونني مُذْ كنتُ غلاماً، فلمّا مات أبي صنعتُ هذا الصوتَ، فهو أوّل صوت صنعتُه بعد وفاته، وهو:

[٥/ ٢٣٣] / أمِـنْ آلِ ليلَـى عَـرَفْـتَ الطّلـولا ° بـذي حُـرُضٍ مـاثـلاتٍ مُثُـولاً [١]

فقالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه فقد انتحله؛ فقال لي الرشيدُ في ذلك؛ فقلتُ: هذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم؛ فقال: اصنع في شعر الأخطل:

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٠ من هذا الجزء.

أعـــاذِلتـــيّ اليـــومَ وَيْحَكمـــا مَهْـــلاَ وكُفّـــا الأذَى عنّـــي ولا تُكثِـــرا العَـــذْلاَ

فصنعتُ فيه كما أمرني؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أذْعنوا، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بي. وقد ذكر غيرُ حَمّاد أنّ اللحن الذي اختبره به الرشيدُ قولُه:

كنـــت صبًّـــا وقلبـــيَ اليـــومَ ســـالِ عـــن حبيـــبٍ يُســـيء فـــي كـــل حـــال

وذكر أنّ الفضل بن الرَّبيع قال الشعرَ في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل. وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق، وأخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال:

٨٣/٥ أوّلُ ما سمعه الرشيد من / غناء أبي:

ألـــم تســـألْ فتُخبـــرَك المَغَـــانـــي وكيـــف وهـــنّ مُـــذْ حِجَـــجٍ ثمـــانـــي

بَـــرِئـــتُ مـــن المنـــازل غيـــرَ شـــوق إلـــى الـــدار التـــي بِلِـــوَى أبـــان

ديـــارٌ للّتـــي لَجْلَجْـــتُ فيهـــا ولـــو أغـــربْـــتُ لَـــجَّ بهـــا لســـانـــي

فكـــادَ يَظَـــلّ للعينيـــن غَـــرْبٌ بـــرَبْعَـــيْ دِمنـــةٍ لا يَنْطِقـــان

قال: فحدّثني أبي أن المغنّين قالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته؛ فقلت له: أنا أدَعُ لهم هذا ومائةَ صوتٍ بعده؛ ثم نظروا إلى ما جاء بعد ذلك فأذْعنوا.

[٥/ ٣٣٤] / نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

قِـــفْ نُحَـــيِّ المَغَـــانِيَـــا والطُّلـــولَ البَـــوالِيَـــا

وعلـــى أهلهـــا فنُـــخْ وابـــكِ إن كنـــتَ بـــاكيـــا

الشعر لابن ياسين. والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

صوت

أمِـــن آلِ ليلَـــى عَـــرفْـــتَ الطُّلـــولاَ بـــذي حُـــرُضٍ مـــاثِـــلاتٍ مُثـــولاَ

بَلِيـــن وتـــحـــسَـــبُ أيـــاتـــهـــنّ عـــن فَـــرْط حـــولَيْـــن رَقًّـــا مُحِيـــلا

الشعر لكعب[1] بن زُهَير. والغناءُ لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

صوت

أعـــاذِلتـــيّ اليـــومَ وَيْحَكمـــا مَهْـــلاَ وكُفّـــا الأذى عنّـــي ولا تُكثـــرا العَـــذْلا

دعـــانـــي تَجُـــدْ كفّـــي بمـــالـــي فـــإنّنـــي ســـأُصبـــحُ لا أَسْطِيـــعُ جُـــوداً ولا بُخْـــلا

(١) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٩٠ من هذا الجزء.

إذا وضعوا فوق الصَّفيح[١] جنادلاً علـيّ وخلَّفـتُ المَطِيَّـةَ والرَّحلا
فلا أنا مجتازٌ إذا ما نزلتُه ولا أنا لاقٍ ما ثَوَيْتُ به أهلا

الشعر للأخطل، والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

صوت

إنّي لأَكْنِي بأجبال عَنَ اَجْبُلِها وباسم أودِيةٍ عن اسم واديها
عَمْداً ليَحْسَبها الواشون غانيةً أخرى وتحسَب[٢] أنّي لا أُباليها
/ ولا يُغَيِّر وُدّي أن أهاجرَها ولا فراقُ نَوًى في الدار أَنْوِيها
وللقَلُوصِ ولي منها إذا بَعُدت بوارحُ الشوق تُنْضِيني وأُنْضيها [٥/ ٣٣٥]

الشعر لأعرابيّ، والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالبنصر.

حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج من الأغاني:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو عبدالله أحمد بن حَمْدون قال:

قال إسحاق للواثق يوماً: الأهزاج من أملح الغناء؛ فقال الواثق: أمّا إذا كانت مثلَ صوتك:

إنّي لأكنى بأجْبال عَنَ اجْبُلِها وباسم أودِيةٍ عن اسم واديها

فهي كذلك.

غنى لطلحة بن طاهر مراراً وأخذ جوائزه:

قال أحمد بن أبي طاهر حدّثني أحمد بن يحيى الرازيّ عن محمد بن المُثَنَّى عن الحَجّاج بن قُتَيبة بن مُسْلم قال:

قال إسحاق: بعث إليّ طَلْحَةُ بن طاهر وقد انصرف من وقعة / للشُّرَاة[٣] وقد أصابته ضربة في وجهه؛ فقال لي الغلام: أَجِبْ؛ فقلت: وما يعمل؟ قال: يشرب؛ فمضيت إليه فإذا هو جالسٌ قد عصَب ضربتَه وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوة؛ فقلت له: سبحانَ الله أيها الأمير! ما حمَلك على لُبْس هذا؟ قال: التبرُّم بغَيْره، ثم قال: غنّ: [٨٤/ ٥]

* إنّي لأَكْنى بأَجْبال عن اجْبُلها *

قال: فغنّيتُه إيّاه، فقال: أحسنتَ والله! أعِدْ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أغنّيه؛ فأقبل على خادم له بالحَضْرة وقال له: كم عندك؟ قال: مقدارُ سبعين ألفَ درهم؛ قال: تُحْمَل معه. فلمّا خرجتُ من عنده تبِعني جماعةٌ من الغِلْمان يسألوني، فوزّعتُ المال بينهم؛ فرُفع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجّه إليّ ثلاثاً؛ فجلست ليلاً وتناولت الدَّواةَ والقِرْطاسَ فقلت:

---

(١) الصفيح: حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر.
(٢) المعنى على نصب الفعل واضح، وهو أنه يريد أن يعمي عليها كما عمي على الواشين فيجعلها تحسب أنه لا يباليها. ولا يبعد أن يرفع الفعل على أن يكون المعنى أنه يتسبها إلى الخطأ في هذا الظن وينكره عليها.
(٣) الشراة: الخوارج.

[٥/٣٣٦] / علّمني جودُك السّماحَ فما ... أبقيتُ شيئاً لديّ من صِلَتِكْ
لم أبقِ شيئاً إلاّ سمحتُ به ... كأنّ لي قدرةً كمقدرتك
تُتلِف في اليوم بالهبات وفي السّاعة ما تجتنيه في سَنَتك
فلستُ أدري من أين تُنفق لو ... لا أنّ ربّي يَجزي على صِلتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ، فصِرتُ إليه ودخلت عليه فسلّمت؛ فرفع بصرَه إليّ وقال: اسقُوه رطلاً فسُقِيتُه، وأمر لي بآخَرَ وآخرَ فشربتُ ثلاثاً؛ ثم قال لي: غنّ:

* إني لأكنى بأجبال عن اجبلها *

فغنّيتُه ثم أتبعتُه بالأبيات التي قلتها، وقد كنتُ غنّيتُ فيها لحناً في طريقة الصوت؛ فقال: ادْنُ فدنوت، وقال: اجلس فجلست، فاستعاد الصوتَ الذي صنعتهُ فأعدتهُ. فلما فهِمه وعرَف معنى الشعر قال لخادم له: أحضِرني فلاناً فأحضره؛ فقال: كم قِبَلك من مال الضِّياع؟ قال: ثمانُمائة ألفِ درهم؛ فقال: احضُرْ بها الساعةَ؛ فجيء بثمانين بَدْرة؛ فقال للخادم: جئني بثمانين غلاماً مملوكاً، فأُحضِروا؛ فقال: احملوا هذا المال؛ ثم قال: يا أبا محمد، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تُعطِي لأحد منهم شيئاً.

مهاجاته محمد بن راشد وما كان بينهما:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال:

كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثيرَ الغِشيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب والحضورِ لسَمَره، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسْنِي جوائزَه ويُواتِر[١] صلاتِه ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه؛ فأُصيب [٥/٣٣٧] إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين، / فترك زيارةَ إسحاقَ وغيرِه ممن كان يغشاهم ولَزِم بيتَه. وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قُطْرَبُّل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ[٢] بن عَمِيرة ومحمد بن راشد الخَنّاق والحَرّانِي؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصليّ، فتوجّع له إسحاق وذكر أُنسَه[٣] به وتمنّى حضورَه، وذكر[ه] القومُ فأطنبوا في نشر محاسنه وشيّعوا ما ذكره به إسحاقُ بما حَسُن موقعُه لهم عنده؛ وذكره محمد بن راشد ذكراً لم يحمده أصحابه عليه، وزجره إسحاق، فأمسك عنه؛ فلما انصرفوا من مجلسهم نُمِي إلى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره؛ فكتب إلى موسى بن صالح:

٨٥/٥ / ألا قُلْ لموسَى الخيرِ موسى بنِ صالح ... ومَنْ هو دون الخَلْق إلْفِي وخُلْصانِي[٤]
ومَنْ لو سألتَ الناس عنه لأجمعوا ... على أنّه أفتى[٥] مَعَدٍّ وقَحطان

(١) يواتر: يتابع.
(٢) كذا في ء. وفي حـ، م: «شيخ عميرة». وفي أ، ب، س: «سنح بن عميرة» بالسين والنون والحاء المهملة، وكلاهما تحريف. (راجع الطبري في أسمى موسى بن صالح بن شيخ وعميرة أبي شيخ بن عميرة الأسدي قسم ٣ ص ١٦٤١، ٩٣٥).
(٣) في جميع الأصول: «وذكر أنسه كان به». وظاهر أن كلمة «كان» هنا مقحمة.
(٤) الخلصان: الخالص من الأخدان، يستوي فيه الواحد والجمع، يقال: هم خلصاني، وهو خلصاني.
(٥) أفتى: أفعل تفضيل من الفتوّة وهي الكرم والمروءة.

لَعَمْري لئن كان الأميرُ تمنّاني بمجلس لذّاتٍ ونُزْهةِ بُستان
لقد زادني ما كان منه صَبابةً وجَدّدَ لي شوقاً إليه وأبكاني
وما زال ممتنّاً عليّ يَخُصّني بما لستُ أُحصِي من أيادٍ وإحسان
هو السيّد القَرْم الذي ما يُرَى له من النّاس إن حصّلته أبداً ثاني
نَمَتْه رَوابي مُصْعَب وبَنى له كريمُ المساعي في أُرُومته باني
يَعِزّ عليّ أن تفوزوا بقُربه ولستُ إليه بالقريب ولا الدّاني
فيا ليتَ شعري هل أرُوحنّ مَرّةً إليه فيلقاني كما كان يلقاني
[٥/٣٣٨] / وهل أرَيَنْ يوماً غَضارة مُلْكه وسلطانه لا زال في عزّ سلطان
وهل أسمَعَن ذاك المُزاحَ الذي به إذا جئتُه سلّيتُ همّي وأحزاني
إذا قال لي «يا مَرْدَ مَيْ خَرْ» وكَرّها عليّ وكنّاني مُزاحاً[1] بصَفْوان

(هذا كلام بالفارسية تفسيره: يا رجل اشرب النبيذ):

فيا لكَ من مَلْهًى أنيقٍ ومجلسٍ كريمٍ ومن مَزْح كثيرٍ بألوانِ
وهل يَغْمِزَنْ بي ذو الهَنَاتِ ابنُ راشد وذاك الكريمُ الجدُّ من آل حَرّان
وهل أرَيَنْ موسى الكريم ابنَ صالح يُنازعني صوتاً إذا هو غنّاني

(يريد الغناء في:

فلم أرَ كالتّجمير مَنْظَرَ ناظرٍ ولا كليالي النَّفْرِ أَفْتَنَّ ذا هوى)
إذا صاح بالتجمير ثم أعاده بتحقيق إعراب صحيح وتِبْيان
أولئك إخواني الذين أُحِبّهم وأوثرهم بالودّ من بين إخواني
وما منهمُ إلاّ كريمٌ مهذّبٌ حبيبٌ إلى إخوانه غيرُ خَوّان

فأجابه محمد بن راشد:

بعثتَ بشعر فيه أنّ رسالةً أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ
بشوق وذكرٍ للجميل ولم يكن لموسى لعَمْري في سَلامته ثاني
ولكن تَطَفّنا بالذي أنت أهلُه وما تستحقّ من صديقٍ ونَدْمان
وموسى كريمٌ لم يُحِط بك خُبْره[2] كخُبْرِ نَدَامَى قد بلَوْكَ وإخوانِ
ولو قد بلاك قال فيك كقول مَنْ فَسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصان

---

(١) في حـ: «مراراً».
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «خبرة».

ولـم يَغـرُه شـوقٌ إليـك ولـم يَجِـدْ | لِفَقْـدك مَسَّـا عنـد نُـزهـة بستـان
[٥/٣٣٩] / حَمِـدتَ النّـدامـى كلّهـم غيـرَ إنسـان[1] | ألا إنمـا يَجْنِـي علـى نفسـه الجانـي
فـلا[2] تَعْتُـبِ الإخـوانَ مـن بعـدهـا فمـا | تَنَقُّـصُ إخـوانِ المـودّة مـن شـانـي

قال: فأجابه إسحاق:

عجبـتُ لمخـذولٍ تَعـرّض جـانيـاً[3] | لِلَيْـثِ أبي شِبْلَيـنِ مـن أسْـدِ خَفّـانِ[4]
[٨٦/٥] / أتـانـا بشعـر قـالـه مثـلِ وجهـه | تَـزَخْـرَفَ فيـه واستعـان بـأعـوان
فجـاء بـألفـاظ ضِعـافٍ سخيفـةٍ | ومَضْغِهـا تمضيـغَ أهـوجَ سكـران
دَعُـوا الشعـر للشيـخ الـذي تعـرفـونـه | وإلاّ وُسِمتـم أو رُميتـم بشُهبـان
فـإنكـمُ والشعـرَ إذ تـدّعـونـه | كمُعتسِـفٍ فـي ظلمـة الليـل حَيْـران
صَـهٍ لا تعـودوا للجـواب فـإنمـا | تـرومـون صَعْبـاً مـن شمـاريـخ[5] ثَهْـلان
أنـا الأسَـد الـوَرْد[6] الـذي لا يَقُلّـه | تظـاهُـرُ أعـداءٍ عليـه وأقـران
ومـن قـد أردتـم جـاهـديـن سِقـاطَـه | فـأعيـاكـم فـي كـلّ سـرٍّ وإعـلان
لَعَمْـرِي لئـن قلتـم بمـا أنـا أهلُـه | ليستفـدنّ[7] القـولَ تعظيمُكـم شـانـي
وجَحْـدُكـمُ إيـايَ مـا تعلمـونـه | وإقـراركـم عنـدي بـذلـك سِيّـان
ألا يـزجُـرُ الجُهّـالَ عنّـا أميـرُنـا | ومـوسـى وذاك الشيـخُ مـن آل حَـرّان
ولا سيّمـا مَـنْ بـان للنـاس شـرُّه | فمـا يَتَمـارى فـي مـذاهبـه اثنـان

ذكر في مجلس محمد بن عمر الجرجاني فأثنى عليه:

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قَرْقَارَةُ قال:

[٥/٣٤٠] / قال لي محمد بن عمر الجُرْجانيّ وقد تذاكرنا إسحاقَ يوماً بحضرته: ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفَه. كان والله إسحاق غُرّةً في زمانه، وواحداً في دهره عِلماً وفقهاً وأدباً ووَقاراً ووفاءً وجودةَ رأيٍ وصحّةَ مودّة. كان والله يُخرِس الناطقَ إذا نطق، ويُحيّر السامعَ إذا تحدّث، لا يَملّ جليسُه مَجلِسَه، ولا تَمُجّ الآذانُ حديثَه، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته. إن حدّثك ألهاك، وإن ناظرك أفادك، وإن غنّاك أطربك. وما كنتَ ترى خَصْلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته.

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س. «أنسه».
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فما».
(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «جانباً» بالباء الموحدة، وهو تصحيف.
(٤) خفان (بفتح أوله وتشديد ثانيه): موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً وهو مأسدة.
(٥) الشماريخ: رؤوس الجبال وأعاليها. وثهلان: جبل باليمن، وقيل: بالعالية.
(٦) الورد: الجريء.
(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «لا يستبعدن القول»، وهو تحريف.

أمره المأمون أن يغني في شعر رآه مكتوباً في بساط فأعجبه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال: أمر المأمون يوماً بالفَرْش الصَّيْفيّ أن يُخرَج؛ فأُخرج فيما أخرج منه بساطٌ طَبَرِيّ أو أَصْبَهْبُذَانِيّ[1]، مكتوب في حواشيه:

صـوت

لَـجّ بـالعيـن واكِـفُ ... مِـن هَـوًى لا يُسـاعِـفُ
كلّمـا جَـفّ دمعـه ... هيّجتْـه المعـازف
إنمـا المـوتُ أن تفـا ... رقَ مَـنْ أنـت آلـفُ
لـك حُبّـان فـي الفـؤا ... د تَليـدٌ وطـارف

قال: فاستحسن المأمون هذه الأبيات، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّل به؛ فصنع فيها الهَزَج الذي يُغَنّى به اليومَ. قال أحمد: / وسمعها أبي منه[2] فقال: لو كان هذا الهَزَج لحَكَم الوادي لكان [٣٤١/٥] قد أحسن. يريد أنّ حكماً كان صاحبَ الأهزاج.

أعجب يحيى المكي بصنعة له ومدحه وكذلك الواثق:

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمد قال حدّثني ابن المكيّ قال: تذاكرنا يوماً عند أبي صنعةَ إسحاق، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ابن ياسين:

صـوت

/ الطُّلـول الـدَّوارِسُ ... فـارقَتْهـا الأَوَانِـسُ
أَوْحشَـت بعـد أهلهـا ... فهـي قَفْـرٌ بَسَـابِـسُ[3]

87/5

ـ الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ـ قال: فقال أبي: لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى، «الطلول الدوارس» كلمتان، و«فارقتها الأوانس» كلمتان، وقد غنّى فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاح وسَجَح ورجَّع النغمةَ واستوفى ذلك كلَّه في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله؛ فمن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربه. ثم قال: إسحاقُ[4] والله في زماننا فوق ابن سُرَيْج والغَرِيض ومَعْبَد، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعرَفوا فضلَه واعترفوا له به. وأخبرني عمّي عن يزيد بن محمد المهلّبيّ: أنه كان عند الواثق فغنّته شَجَا هذا الصوتَ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول. والمذكور أنّ ابن

(١) أصبهبذان: مدينة في بلاد الديلم، بينها وبين البحر ميلان.
(٢) في حـ: «معه».
(٣) البسابس: جمع بسبس وهو القفر.
(٤) في الأصول: «ثم قال: إسحاق والله ما في... إلخ» بزيادة «ما». ولعلها مقحمة من الناسخ.

المكيّ قاله؛ فلا أدري أهذا وَهْمٌ من يزيد، أو اتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو اتّفقت عليه قريحتاهما.

أعجب هو والزبير بن دحمان بغناء خباز فلامه الزبير على ضنه بغنائه والخباز يبتذله:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال:

[٥/٣٤٢] / أرسل إليّ الفضلُ بن الرَّبيع يوماً وإلى الزُّبَيْر بن دَحْمان، فوافق مجيئُنا شغلاً كان له، فصِرْنا إلى بعض حُجَره، فنَعَستُ فنِمتُ فإذا زُبَير يحرّكني فانتبهتُ فإذا خَبّازٌ في مطبخ الفضل يضرب بالشُّوبَق[١] يُغنّي:

صــوت

بِــدَيْــر[٢] القــائــم الأقصَــى غـــزالٌ شَفَّنـــي أحـــوَى
يَــــرى حبِّــــي لـــه جسمـــي ومـــا يَـــدري بمـــا ألقَـــى
وأُخفِـــي حبَّـــه جُهْـــدِي ولا والله مــــــا يَخفَـــــى

ـ الشعر والغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيل بالبنصر ـ قال: فقال لي الزُّبير: تَضَنّ بهذا وانظرْ من يبتذله!؛ فقلت: لا أضَنّ بغناء بعد هذا.

غنى للمأمون بأصوات له فأعجب بها فلما غناها هو لم يستحسنها منه، وحواره للمغنين:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطيّب السَّرَخْسِيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد:

كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانة؛ فغنّى مخارِق في الثقيل الأوّل:

صــوت

أعـــاذلُ لا آلـــوكِ إلاّ خَليقتـــي فـلا تجعلـي فـوقـي لسـانَـك مِبْـرَدَا
ذَرِينـــي أكـــنْ للمـــالِ ربّـــا ولا يكـــن لـــيَ المـــالُ ربّـــا تَحْمَـــدِي غِبَّـــه غـــدا

[٥/٣٤٣] / ذَرِينـي يكـنْ مـالـي لعِـرْضـي وقـايـةً يَقِـي[٣] المـالُ عِـرْضـي قبـل أن يتبـدّدا
ألـم تعلمـي أنّـي إذا الضيـفُ نـابنـي وعـزَّ القِرَى أَقْـرِي السَّـدِيـفَ[٤] المُسَـرْهَـدَا

فقال له المأمون: لمن هذا اللحن؟ قال: لهذا الهِزَبْر الجالس (يعني إسحاق)؛ فقال المأمون لمخارق: قم فاقعد بين يديّ وأعِدِ الصوت؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده، وشرب المأمون عليه رطلاً؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له: غنِّ هذا الصوت؛ فغنّاه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق؛ ثم دار الدورُ إلى عَلّويه، فقال له: غنِّ فغنّى في الثقيل الأوّل أيضاً:

---

(١) الشوبق: خشبة الخباز، والمشهور «الشوبك» بالكاف وفتح الشين.
(٢) دير القائم الأقصى: موضع على شاطىء الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد.
(٣) في ب: «يفي» بالفاء. وفي س: «بقي» بالباء والقاف، وكلاهما تصحيف.
(٤) السديف: السنام وقيل: شحمه. والمسرهد: المقطع أو السمين.

٨٨/٥

صـوت

أرِيـتُ اليـومَ نـارَكِ لـم أُغمِّـضْ بـوَاقِصـةٍ[١] ومَشـرَبُنـا بَـرُودُ[٢]
فلـم أرَ مثـلَ مـوقـدِهـا ولكـن لأيَّـة نظـرةٍ زَهَـر[٣] الـوَقُـودُ
فبِـتُّ بليلـةٍ لا نـومَ فيهـا أُكـابـدُهـا وأصحـابـي رُقـود
كـأن نجـومَهـا رُبِطـتْ بصَخْـرٍ وأمْـراسٍ[٤] تـدور وتستـزيـد[٥]

فقال له المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس ـ وأشار إلى إسحاق ـ فقال لعَلّويه: أعِدْه فأعاده، فشرِب عليه رطلاً؛ ثم قال لإسحاق. غَنِّه فغنّاه، فلم / يطرَب له طَرَبَه لعَلّويه. فألتفت إليّ إسحاق ثم قال لي: أيها [٥/٣٤٤] الأمير، لولا أنه مجلسٌ سرور وليس مجلسَ لَجَاجٍ وجِدَال لأعلمتُه أنه طرِب على خطأ، وأنّ الذي استحسنه إنما هو تزايدٌ[٦] منهما يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئته، وأنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا[٧]. ثم أقبل عليهما فقال: يا مخنّثان[٨]، قد علمتُ أنكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رِفعتي، وأنا على مكافأتكما قادر؛ فضحك المأمون وقال له: ما كان ما رأيتَه من طَرَبي لهما إلاّ استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك.

دخل على المعتصم وبين يديه صيد فغناه فطرب وأجازه:

حدّثني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزَاعيّ قال حدّثني إسحاق قال:

دخلتُ يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظِباء مذبّحة وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب؛ فأمرني بالجلوس والغناء؛ فجلستُ وغنّيته:

صـوت

اشتهيْنـا فـي ربيـعٍ مـرّةً زَهَـمَ[٩] الـوحـشِ علـى لحـم الإبِـل
فغـدَونـا بطُـوَالٍ هَيْكَـلٍ[١٠] كعَسِيـب النخـل مَيّـاد خَضِـل

(١) واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقيل: العقبة لبني شهاب من طيء، ويقال لها: واقصة الحزون، وهي دون زبالة بمرحلتين. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في آسم واقصة).
(٢) البرود: البارد.
(٣) زهر الوقود: أضاءت ناره.
(٤) الأمراس: الحبال.
(٥) كذا في الأصول «تستزيد» بالزاي المعجمة. ولعلها «تستريد» بالراء المهملة. وتستريد: تذهب وتجيء؛ إذ الشاعر يريد أن يصف ليله بالطول حتى كأن نجومها ربطت بأمراس شدّت بصخر فهي تدور وترجع إلى حيث كانت ولا تغور.
(٦) يقال: تزايد فلان في كلامه وتزيد: إذا تكلف الزيادة فيه وجاوز ما ينبغي.
(٧) كذا في أ، حـ، م. وفي باقي الأصول: «زاد» بدون ألف بعد الدال.
(٨) في الأصول: «يا مخنثين» بالياء.
(٩) الزهم (بالتحريك): شحم الوحش من غير أن يكون فيه زهومة، أي كراهة ريح أو تغير.
(١٠) الهيكل: الضخم من كل الحيوان.

ـ الشعر يقال: إنه لأعشى هَمْدان، والغناء لأحمد[1] النَّصْبِيّ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ فتبسّم وقال: وأين رأيت لحم الإبل! فغنّيته:

[٥/٣٤٥]

صوت

ليس الفتى فيهم إذا شَرِب الشرابَ مُؤَنَّبا

لكنْ يروحُ مُرَنَّحاً حسنَ الثيابِ مُطَيَّبا

يسقونه صِرْفاً على لحم الظباءِ مُضَهَّبا[2]

فقال: هذا أشبه، وشَرِب. ثم غنّيته بشعر وَضّاح اليمن ـ قال: والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ ـ:

صوت

أَبَى القلبُ اليمانيّ الـ ـذي تُحْمَدُ أخلاقُهْ

ويَرْفَضُّ له اللحنُ فما تُفْتَقُ أرْتاقُهْ

غزالٌ أدعجُ العين رَبيبُ خَدَلَّجٍ[3] ساقُهْ

رماني فسَبَى قلبي وأرميه فأشتاقُهْ

٨٩/٥

فطرِب وقال: هذا والله أحسن صيد وألذّه، وشرِب عليه بقيّةَ يومه وخلَع عليّ وأمر لي / بجائزة. هكذا ذُكِر في هذا الخبر أن الثقيل الأوّل لابن مُحْرِز وقد قيل ذلك. وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل بالبنصر لابن طُنْبورة، وأن لحن ابنِ مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ.

دقته في الوصف وإعجاب فضل اليزيدي به:

حدّثني عمي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ قال:

قال لي إسحاق يوماً في عُرْض حديثه: دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبِيقيّ[4] كأنما قُدّ من جِرْم الزُّهَرة[5]؛ فضحِكتُ؛ فقال: ما أضحكك؟ فقلت: / من مبالغتك في الوصف، فتبسّم. قال الفضل: وما سمعتُ محدّثاً قطُّ ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً.

[٥/٣٤٦]

(١) كذا في حـ في ترجمته (وهي تقع في جـ ٥ ص ١٦١ طبع بولاق) وهو منسوب إلى النصب (بالفتح) وهو ضرب من الغناء أرق من الحداء. وقد ورد في جميع الأصول هنا وكذلك في ترجمته مضطرباً.

(٢) لحم مضهب: مقطع.

(٣) الخدلج (بتشديد اللام): الممتلىء الساقين.

(٤) دبيقيّ: منسوب إلى دبيق وهي بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، وقد خربت ولم يبق منها شيء، وتنسب إليها الثياب الدبيقية وهي من دق الثياب كانت تتخذ بها، وكانت العمامة منها طولها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب، تبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل. (راجع «معجم ياقوت» و «شرح القاموس» مادة «دبق»). وفي ب، س: «ديبقي» بتقديم المثناة على الموحدة، وهو تصحيف.

(٥) الزهرة (بضم ففتح): كوكب من السيارة معروف.

تبرمه بالغناء وبالتسمية به:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبدالله بن مالك قال:

قال لي إسحاق: وَدِدت أنّ كل يوم قيل لي: غَنِّ أو قيل لي عند ذِكري: المغنّي، ضُرِب رأسي خمسةَ عشرَ سوطاً، لا أقوى على أكثر منها، ولم يُقَلْ لي ذلك.

صنع لحناً على لحن أذان سمعه:

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال: صنع أبي لحنه في: «تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» على لحن أذانٍ سمِعه.

كثرة حفظه لأهزاج القدماء:

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال:

تذاكرنا يوماً الهَزَج عند المأمون؛ فقال عمرو بن بانة: ما أقله في الغناء القديم!؛ فقال إسحاق: ما أكثره فيه! ثم غنّاهم ثلاثين هَزَجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد، ما عرفوا جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات.

تقدير زرزور لقدرته في الغناء:

حدّثني يحيى قال حدّثني أخي قال حدّثني عافية بن شَبيب قال:

قلت لزُرْزُور: ما لكم تَذِلُّون لإسحاق هذا الذلّ، وما فيكم أحدٌ إلا وهو أطيب صوتاً منه، وما في صنائعكم وَصْمة! فقال لي: لا تقلْ ذلك، فوالله لو رأيتنا معه لرحِمْتنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرّصاص في النار!.

غضب عليه الفضل بن الربيع فمدحه بشعر وتوسل له بعون حاجبه:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:

لاعَبْتُ الفضل بن الربيع بالنَّرْد، فوقع بيننا خلاف، فحلف وحلفت، فغضب عليّ وهَجرني، فكتبت إليه:

[٥/٣٤٧]

/ يقول أُناسٌ شامتون وقد رأَوْا ... مُقَامِي وإغبابي الرواحَ إلى الفضلِ

لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرّةً ... فأصبح منه اليومَ مُنصرِمَ الحبلِ

ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علِمته ... لَقَطّعتُ نفسي بالمَلامة والعذل

وعرضتُ الأبيات عليه؛ فلمّا قرأها ضحِك وقال: أشدّ من ذنبك أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً؛ والله لولا أنّي أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه، وأنّ حسنَك وقبيحَك مضافان إليّ لأنكرتني؛ فأصلح الآن قلبَ عون ـ وكان يَحْجُبه ـ فخاطبته في ذلك فكلّمني بما كرِهت؛ فقلت: أتدخل بيني وبين الأمير أعزّه الله!؛ وكان عون يُرْمَى بالأُبْنة فقلت فيه:

وذاكرِ أمرٍ ضاق ذرعاً بذكره ... وناسٍ لداءٍ منه مُتّسِع الخَرْقِ

قال: ثم علِمت أنه لا يتمّ لي رضا الفَضْل إلا بعد أن يرضَى عون، فقلت فيه:

عَونُ يا عَوْنُ ليس مثلَك عونُ ... أنت لي عُدّةٌ إذا كان كونُ

لك عندي والله إن رَضِيَ الفضـ ... ـلُ غلامٌ يُرضيك أو بِرْذَوْنُ

ش ٤٥٦٥

فدخل إلى الفضل فترضّاه لي فرضِي؛ ثم قال له: ويلك يا عون! إنه والله إنما هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك، ألا ترى إلى قوله: «غلام يرضيك»! هذا تعريض بك؛ قال: فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير.

شكا إليه المأمون أصحابه ثم غناه وأطربه فأجازه:

٩٠/٥ أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن عن إسحاق، وأخبرني بعضَ الخبر / إسماعيلُ بن يونس عن عمر بن شَبَّة عن إسحاق، ولفظُ الخبر وسِياقتُه للصُّوليّ، قال:

استدناني المأمونُ[1] يوماً وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتي على الفراش، ثم قال لي: يا إسحاق، ٣٤٨/٥] أشكو إليك أصحابي: فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا، وفعلتُ / بفلان كذا ففعل كذا؛ حتى عدّد جماعةً من خواصّه؛ فقلت له: أنت يا سيِّدي بتفضُّلك عليّ وحسنِ رأيك فيّ ظننتَ أنّي ممّن يُشاوَر في مثل هذا، فجاوزتَ بي حدّي، وهذا رأيٌ يَجِلّ عنّي ولا يبلُغه قدري؛ فقال: ولِمَ وأنت عندي عالم عاقل ناصح؟ فقلت: هذه المنزلة عند سيِّدي علّمتني ألّا أقول إلّا ما أعرف ولا أطلبَ إلا ما أنال؛ فضحِك وقال: قد بلغني أنّك في هذه الأيام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أسمعه منك؛ فقلتُ: يا سيِّدي، ما سمعه أحدٌ إلا جَوارِيّ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه؛ فقال: غَنِّه؛ فقلتُ: الهيبةُ والصَّحْو يمنعاني أنْ أؤدِّيه كما تريد، فلو آنس أميرُ المؤمنين عبدَه بشيء يُطربه ويقوي به طبعه كان أجود؛ قال: صدقت، ثم أمر بالغداء فتغدّينا، ومُدّت الستارةُ فغُنِّي من ورائها وشربنا أقداحاً؛ فقال: يا إسحاق، أمَا جاء أوانُ ذلك الصوت؟ فقلت: بلى يا سيِّدي، وغنيّتُه لحني في شعر الراعي:

صوت

ألَـم تـسـألْ بعـارِمـةَ[2] الـديـارا عـن الـحـيِّ المُفـارِقِ أيـن صـارا[3]
بلـى سـاءلتهـا فـأبـتْ جـوابـاً وكيـف تُسـائـل الـدِّمَـنَ القِفَـارا

ـ لحنُ إسحاق في هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ـ قال: فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه، وقال لي: يا إسحاق، لا طَلَبَ بعد وجود البُغْية، ما أشرب بقيّةَ يومي هذا إلّا على هذا الصوت؛ ثم وصلني وخلَع عليّ خِلعةً من ثيابه.

٣٤٩/٥] / مدح أعرابية له:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:

كانت أعرابيّة تَقْدَم عليّ من البادية فأُفضِل عليها، وكانت فصيحة؛ فقالت لي ذات يوم: والذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في عِلمك وُلِدتَ فينا ونشأت معنا. ولقد أريْتَني نجداً بفصاحتك، وأحللتَني الرَّبيع بسماحتك؛ فلا اطّرَدَ لي قولٌ إلّا شكرتك، ولا نَسَمتْ لي ريحٌ إلّا ذكرتك.

(١) في «مختار الأغاني» (ص ١٥٦): «الأمين».
(٢) عارمة: موضع في ديار بني عامر بنجد، وقيل: ماء لبني تميم بالرمل. (انظر «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري في الكلام على عارمة).
(٣) في «مختار الأغاني» (ص ١٥٧) و «شرح القاموس» و «اللسان» مادة (عرم): «سارا» بالسين المهملة.

أنحل أبا المجيب الربعي صداقاً وداعبه بشعر:

حدّثني الصُّوليّ[1] قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني المُغِيرة بن محمد المهلّبيّ عن إسحاق قال:

كان أبو المُجِيب الرَّبَعِيّ فصيحاً عالماً، فقال لي: يا أبا محمد، قد عزمتُ على التزوّج فأعنّي وقوّني؛ قال: فأعطيتُه دنانيرَ وثيابا. فغاب عنّي أياماً ثم عاد؛ فقلت: يا أبا مُجيب، هاهنا أبيات فاسمعْها؛ فقال: هاتها؛ فقلت:

يا ليتَ شعري عن أبي مُجيبِ ... إذ بات في مَجاسِدٍ[2] وطِيبِ

معانقاً للرَّشَأ الرَّبِيبِ ... أأحمدَ[3] المِحفارُ في القَليبِ

* أم كان رِخْواً ذابلَ القضيبِ *

قال: فقال لي: الأخيرُ والله يا أبا محمد.

عاتب الخليل بن هشام بشعر وكان بينهما تهاجر فعادا إلى ما كانا عليه:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:

كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشْنا، فمررتُ ببابه يوماً، فتذمّمت[4] أن أجوزَه ولا أدخل إليه، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقِرْطاس وكتبتُ إليه:

[٥/٥٠، ٩١/٥]

/ رجعنا بالصفاء إلى الخليلِ ... فليس إلى التَّهاجُر من سبيلِ

عتابٌ في مُراجعةٍ وصفحٌ ... أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميلِ

قال: ووجّهت بالرُّقعة وقصدت بابَه، فخرج إليّ حتى تلقّاني، ورجعنا إلى ما كنّا عليه.

تعقب فيما يرويه من الأخبار فوجد صادقاً:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عبدالله بن المعتزّ عن الهِشاميّ قال:

كان أهلُنا يعتبرون[5] على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره، بأن يُجلسوا كاتبتين فَهِمتين خَلْفَ السِّتارة، فتكتبان ما يقوله وتضبِطانه، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى، ثم يُعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرؤها من دفتر؛ فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلاّ الحقّ.

غنى علويه لحناً لأبيه فخطأه هو في مجلس المأمون:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن[6] مَزْيد المهلّبيّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال:

(١) في جميع الأصول: «حدّثني عون بن محمد الصوليّ» وهو خطأ، فإن اسم الصولي «محمد بن يحيى». وقد تقدّم هذا السند بنصه في أكثر من موضع، وسيأتي كذلك في الخبر الذي يلي هذا الخبر.

(٢) المجاسد: جمع مجسد، وهو القميص الذي يلي البدن.

(٣) أحمد الشيء: أتى ما يحمد عليه. والمحفار: المسحاة وما يحفر به، وهو مستعمل هنا على سبيل المجاز.

(٤) تذممت: استنكفت.

(٥) اعتبر الشيء: اختبره ونظر فيه وردّه إلى نظيره فحكم عليه بحكمه.

(٦) كذا في جميع الأصول، ولم يتقدّم لهذا الاسم ذكر قبل ذلك ولم نعثر عليه في كتب التراجم. والمعروف أن الصولي يروي عن محمد بن يزيد المهلبي وعن يزيد بن محمد المهلبي، كما تقدّم في هذا الكتاب أكثر من مرة.

كنّا عند المأمون، فغنّاه عَلّويه:

صـوت

لَعَبْـدةَ دارٌ مـا تكلّمنـا الـدارُ ... تَلُـوح مَغَـانيها كمـا لاح أسطـارُ
أُسـائـل أحجـاراً ونُـؤْيـاً[(١)] مُهَـدَّمـا ... وكيـف يـردّ القـولَ نـؤيٌ وأحجـارُ

ـ الشعر لبَشّار، والغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ـ قال: فقال المأمون: لمن [٥/٣٥١] هذا اللحن؟ فقلت: لعبد أمير المؤمنين أبي، وقد أخطأ / فيه عَلّويه؛ قال: فغنّه أنت فغنّيته، فاستعادنِيه مراراً وشرب عليه أقداحاً؛ ثم تمثل قول جرير:

وابـنُ اللَّبـون[(٢)] إذا مـا لُـزَّ فـي قَـرَنٍ ... لـم يستطع صَـوْلـةَ البُـزْلِ القَنَـاعِيسِ

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ثَوَابة، فقال فيه: حدّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدّثني عبدالله بن العباس الرَّبِيعيّ قال:

اِجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنّى عَلّويه:

* لعبدةَ دارٌ ما تكلّمنا الدار *

فقال له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا؛ فقال عَلّويه: أَمْ من أخذناه عنه هكذا زانية؛ فقال إسحاق: شتَمنا قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم.

حواره مع علويه حين أغرى الواثق بينهما:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو العُبَيس بن حَمْدون عن أبيه عن جدّه قال:

كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغنّي إلا الخليفةَ أو وليَّ عهده أو رجلاً من الطاهِريّة مثلَ إسحاق بنِ إبراهيم وطبقتِه؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم، فاشتهى الواثق أن يُضَرِّبَ[(٣)] بين مخارق وعَلّويه وإسحاق، [٥/٣٥٢] ففعل حتى تهاتروا؛ ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال: أمّا مُخارق فمُنّادٍ[(٤)] طيّبُ الصوت؛ / وأمّا عَلّويه فهو خير حِمَارَيِ العِبَاديّ[(٥)]، وهو على كل حال شُيَيْء[(٦)] (يريد تصغيره)؛ فوثَب علّويه مُغْضَباً، ثم قال

(١) النؤي: الحفير أو الحاجز حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يميناً وشمالاً ويبعده.
(٢) ابن اللبون: ولد الناقة إذا كان في العام الثاني واستكمله، وقيل: إذا دخل في الثالث، والأنثى: ابنة لبون، سمي بذلك لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن. ولز: شدّ ولصق. والقرن (بالتحريك): الحبل الذي يقرن به البعيران. والبزل: جمع بازل، وهو البعير الذي فطرنا به أي انشق. قال الأصمعي وغيره: يقال للبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه: بازل. والقناعيس: جمع قنعاس، وهو الجمل الضخم العظيم الشديد.
(٣) التضريب: الإغراء.
(٤) كذا في «مختار الأغاني»، وهو الذي يناسب السياق. وفي الأصول: «فمياد» بالياء المثناة من تحت بدل النون.
(٥) يشير بهذا إلى المثل المشهور، وهو ما يقال من أنه كان لعبادي (نسبة إلى العباد قوم من العرب نزلوا الحيرة وكانوا نصارى) حماران، فقيل له: أيّ حماريك شر؟ قال: هذا ثم هذا. ويروى أنه قال حين سئل عنهما: هذا هذا، أي لا فضل لأحدهما على الآخر. يضرب لخلتين إحداهما شر من الأخرى. (انظر «أمثال الميداني» جـ ٢ ص ٩٢ طبع بولاق).
(٦) كذا في «مختار الأغاني». وفي الأصول: «شيء» بدون تصغير.

للواثق: جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقِّ أبيك، أن يصدُق عما أسأله[1] عنه، لأتوبنّ عن الغناء ما عِشْتُ؛ فقال له الواثق: لا تُعَرْبِد يا عليّ، نحن نفعل ما سألت؛ ثم حَلّف إسحاق أن يصدُق فحلف؛ فقال له: مَنْ أحسنُ الناسِ اليوم صنعةً بعدك؟ قال: أنت. قال: فمن أضربُ الناس بعد ثَقِيف؟ قال: أنت. قال فمن أطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق؟ قال: أنت. قال عَلّويه لإسحاق: أهذا / قولُك فيّ وأنت تعلم أنّي مُصَلّي[2] كلّ سابق فاضل، وأنّي ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلُهم ولا يكون! فما أنت وغناؤك الذي لا يُسْمَع انخفاضاً! فغضِب إسحاقُ، وانتهر الواثقُ عَلّويه. ثم أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثْناه إلى موضع البَمّ[3]، وزيرَه إلى موضع المَثْلَث، وجعل البمّ والمثلثَ مكان الزير والمَثْنى، وضرب وقال: ليغنّ من شاء منكم؛ فغنّى مُخارِق عليه:

تَقَطَّعُ مِن ظَلّامةَ الوصلُ أجمعُ أخيراً على أنْ لم يكن يَتَقَطَّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ في الأوتار خلافٌ ولا فُقِد من الإيقاع شيء ولا بان فيه اختلال؛ فعظُم عجبُ الواثق من فعله؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً، فكان والله / أحسنَ رقصاً من كُبَيْش وعبد السلام ـ وكانا من أرقص الناس ـ فقال الواثق: لا يكْمل أحدٌ أبداً في صناعته كمثل كمال إسحاق.

٩٢/٥ [٣٥٣/٥]

مدح لعبدالله بن طاهر فيه:

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:

دخلت على عبدالله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهْب بالشِّطْرَنْج، فغلبه عبدالله، وأومأ إليّ بأن أكايده؛ فقلت:

قد ذهبت منك أبا إسحاقِ مثلَ ذَهابِ الشهرِ بالمُحاقِ[4]

فقال لي عبدالله: إنّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا، كما قال الشاعر في إبله:

إذا أتاها طالبٌ يَسْتامُها تكاثرتْ في عينه كِرامُها

صنع لحناً في بيتين وغناه الواثق فاستعاده حتى أخذه وأجازه:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال:

أنشدتْني أمّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ، فاستحسنتُهما، وصنعت فيهما لحناً غنّيته الواثقَ؛ فاستعاده حتى أخذه، وأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ وهما:

عسى اللّهُ يا ظَمْياءُ أن يَعكِسَ الهوَى فتَلْقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ
ثَراء فتحتاجي إليّ فتعلمي بأنّ به أَجْزيكِ حين غَنِيتُ

---

(١) كذا في «مختار الأغاني». وفي الأصول: «تسأله».
(٢) المصلي: التالي للسابق من خيل السباق. والسابق: الأوّل.
(٣) البم: الوتر الغليظ من أوتار المزاهر. وقد جاء في مقدّمة الجزء الأول من «الأغاني» من هذه الطبعة كل ما يتعلق بآلات العود وأسمائها، فارجع إليه.
(٤) المحاق (بالضم والكسر): آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم ير.

شوّش عوداً في مجلس المعتصم وتحدّى ابن المهدي أن يضرب به ثم أظهر هو براعة فائقة:

حدّثني عميّ قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن مَرْوان قال قال لي يحيى بن مُعَاذ:

كان إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ إذا خَلَوا فهما أخوانِ، وإذا التقيا عند خليفة تكاشَحا أقبحَ تكاشُح؛ فاجتمعا يوماً عند المعتصم؛ فقال لإسحاق: يا إسحاق، أن إبراهيم يَثْلُبك ويَغُضّ منك ويقول: إنك [٥/٣٥٤] تقول: إنّ مخارِقاً لا يُحسن شيئاً / ويتضاحك منك؛ فقال إسحاق: لم أقل يا أمير المؤمنين: إن مخارقاً لا يُحسن شيئاً، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجُه وتخريجي! ولكن قلت: إنّ مخارقاً يملِك من صوته ما لا يملِكه أحد، فيتزايد فيه تزايداً لا يُبقي عليه ويتغيّر في كل حال، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقلّه نفعاً لمن يأخذ عنه، لقلّة ثباته على شيء واحد. ولكنّي أفعل الساعةَ فعلاً إن زعَم إبراهيمُ أنه يُحسنه فلستُ أُحسِن شيئاً، وإلاّ فلا ينبغي له أن يدّعيَ ما ليس يُحسنه. ثم أخذ عوداً فشوّش أوتارَه، ثم قال لإبراهيم: غَنِّ على هذا أو يغنّي غيرُك وتضرِب عليه؛ فقال المعتصم: يا إبراهيم، قد سمعتَ، فما عندك؟ قال: ليفعلْه هو إن كان صادقاً؛ فقال له إسحاق: غنِّ حتى ٩٣/٥ أضرِبَ عليك فأبَى؛ فقال لزُرْزُور: غَنِّ فغنَّى وإسحاقُ يضرِب عليه حتى فَرِغَ من الصوت ما علِم أحد أنّ / العود مشوّش. ثم قال: هاتوا عوداً آخر؛ فشوّشه وجعل كلَّ وترٍ منه في الشدّة واللين على مقدار العود المشوّش الأوّل حتى استوفى؛ ثم قال لزُرْزور: خذ أحدَهما فأخذه، ثم قال: انظر إلى يدي واعمل كما أعمل واضرِب ففعل؛ وجعل إسحاق يغنّي ويضرِب وزُرْزور ينظر إليه ويفعل كما يفعل؛ فما ظنّ أحدٌ أن في العودَ[ين][1] شيئاً من الفساد لصحة نَغَمهما جميعاً إلى أن فرِغ من الصوت. ثم قال لإبراهيم: خذ الآنَ أحد العودين، فاضرب به مبدأً أو عَمُودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسن شيئاً، فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً؛ فقال له المعتصم: أرأيتَ مثل هذا قطُّ؟ قال: لا، والله ما رأيتُ ولا ظننت أنّ مثله يكون.

أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر:

حدّثني أبو عبدالله محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفَضْل قال:

[٥/٣٥٥] / دعاني إسحاقُ يوماً، فمضيتُ إليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعَلّويه وحسين بن الضحّاك، فمرّ لنا أحسنُ يوم؛ فالتفت إليّ إسحاقُ ثم قال: يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر:

أنتَ والله من الأيّام لَدْنُ الطَّرَفَيْنِ
كلّما قلّبتُ عينيَّ ففي قُرّةِ عَيْنِ

غنى الواثق فشرب وخلع عليه:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلتُ يوماً على الواثق فقال لي: يا إسحاق، إني أصبحت اليوم قَرِماً[2] إلى غنائك فغنّني؛ فغنّيته:

من الظباءِ ظِبَاءٌ همُّها السُّخُبُ[3] ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) القرم (بالتحريك) في الأصل: شدة الشهوة إلى اللحم، ثم كثر حتى قالوا: قرمت إلى لقائك.

(٣) كذا في حـ. وفيما سيأتي في أكثر الأصول. والسخب (بضمتين): جمع سخاب (ككتاب) وهي قلادة تتخذ من قرنفل وغيره؛ وقال =

لا يَغْتَــرِبْــنَ ولا يَسْكُــنَّ بــاديــةً وليــس يَــدْرِيــن مــا ضَــرْعٌ ولا حَلَــبُ

إذا يــدٌ سَــرَقَــتْ فــالقطــع يلــزمهــا والقطــع فــي سَــرَقٍ بــالعيــن لا يَجِــبُ

قال: فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته، وخلع عليّ خِلْعةً من ثيابه.

خرج مع الواثق إلى الصالحية فحنّ إلى بغداد وأنشده شعراً فأجازه وصرفه:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

خرجتُ مع الواثق إلى الصالحيّة[1] وهو يريد النزهة، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ؛ فقال لي: بحياتي أذكرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقاً إليها؟ فقلت: نعم، وغنّيتُه:

[٥/٥٦] / صـــوت

ومــا زلــت أبكــي فــي الــديــار وإنمــا بكــائي علــى الأحبــاب ليــس علــى الــدار

قال: فأمر لي بمائة ألف درهم وصرّفني.

وأخبرني محمد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وحدّثني به عليّ بن هارون عن عمّه عن حَمّاد عن أبيه وخبرُه أتمّ، قال:

ما وصَلني أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلني به الواثق. ولقد انحدرتُ معه إلى النَّجَف[2]، فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النجف قصيدة؛ فقال: هاتِها؛ فأنشدتُه:

يــا راكــبَ العِيــسِ لا تَعْجَــلْ بنــا وقِــفِ نُحَــيِّ داراً لسُعْــدى ثــم نَنْصَــرِفِ

حتى أتيتُ على قولي:

لــم يَنْــزِلِ النــاسُ فــي سهــلٍ ولا جَبَــلٍ أصْفَــى هــواءً ولا أَغْــذَى[3] مــن النَّجَــفِ

حُفَّــتْ ببَــرٍّ وبحــرٍ مــن جــوانبهــا فــالبَــرُّ فــي طَــرَفٍ والبحــر فــي طــرفِ

[٩٤/٥] / ومــا يَــزالُ نسيــمٌ مــن يَمَــانِيَــةٍ[4] يــأتيــك منهــا بــرَيّــا رَوْضَــةٍ[5] أُنُــفِ

[٥/٥٧] / فقال: صدقتَ يا إسحاق، هي كذلك. ثم أنشدتُه حتى أتيت على قولي في مدحه:

= الأزهري: كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن. والمعنى: إن في الظباء صنفاً (يكنى به عن النساء) همه التزين والتجمل يفتن القلوب ولا يألف إلا النعيم. وفي سائر الأصول: «السحب» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(١) الصالحية: محلة ببغداد تنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين.

(٢) النجف (بالتحريك): موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

(٣) كذا ورد في «معجم البلدان» لياقوت (بالعين المهملة) في الكلام على النجف. وأعذى: أطيب هواء، يقال: عذا المكان يعذو إذا طاب هواؤه. ومنه الأرض العذاة وهي الأرض البعيدة عن الأحساء والنزوز والريف، السهلة المريئة التي يكون كلؤها ناجعاً مريئاً. وفي الأصول: «أغذى» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

(٤) في «معجم البلدان»:

«. . . . . مــــن أيـــا منـــه يـــــأتيـــــك منـــــه . . . .»

(٥) الروضة الأنف (بضم الهمزة والنون): التي لم يرعها أحد.

لا يحسَبُ الجودَ يُفْنِي مالَه أبداً ... ولا يرى بذلَ ما يَحْوِي من السَّرَف

ومضيت فيها حتى أتممتُها؛ فطرِب وقال: أحسنتَ والله يا أبا محمد، وكنّاني يومئذ، وأمر لي بمائة ألف درهم؛ وانحدر إلى الصالحيّة التي يقول فيها أبو نُوَاس:

* بالصالحيّة من أكنافِ كَلْواذِ[1] *

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت:

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ ... فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعْدَا

لَعَمْرُك ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى ... لَوَ انّا وجدنا عن فِرَاقٍ لها بُدًّا

إذا ذكرتْ بغدادَ نفسي تَقَطَّعتْ ... من الشوق أو كادت تموت بها وَجْدَا

كفى حَزَناً أن رُحْتُ لم أستطع لها ... وَدَاعاً ولم أُحْدِثْ بساكنها عهدا

قال: فقال لي: يا موصليّ، أشتقتَ إلى بغداد؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان؛ فقال: هاتهما؛ فأنشدتُه:

[٥/١٣٥٨] / حَنَنْتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ ... وشاقك منهمُ قُربُ المَزَارِ

وأبْرَحُ ما يكون الشوقُ يوماً[2] ... إذا دَنَتِ الدِّيارُ من الديارِ

فقال لي: يا إسحاق، صِرْ إلى بغداد فأقِمْ مع عيالك شهراً ثم صِرْ إلينا، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم.

صنع الواثق لحناً وأمره أن يغني فيه فصنع هو لحناً أحسن منه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرني أبي قال:

لمّا صنع الواثق لحنَه في:

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْنِي من التي ... بها نَهِلَتْ[3] نفسي سَقَاماً وعَلَّتِ

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها ... قَذَى العين من سَافِي التراب لضَنَّتِ

---

(١) كلواذا (بفتح فسكون وآخرها ألف مقصورة. ولعل أبا نواس كسرها هنا للقافية، فقد أوردها بالفتح في قوله:

أحيين ودّعنا يحيى لرحلته ... وخلف الفرك واستعلى لكلواذا)

مدينة كانت قرب بغداد في ناحية الجانب الشرقي منها. وهذا الشطر من قصيدة لأبي نواس وردت في «ديوانه»، وقد ورد فيها على غير رواية الأصول هنا، مطلعها:

وقائل هل تريد الحج قلت له ... نعم إذا نفدت لذات بغداذ

أما وقطربل منها بحيث أرى ... فقبة الفرك من أكناف كلواذ

فالصالحية فالكرخ التي جمعت ... شذاذ بغداذ ما هم لي بشذاذ

وللفرك (بالكسر): قرية كانت قرب كلواذا.

(٢) سيأتي في «الأغاني» (ج ٨ ص ١٦٨ طبع بولاق) رواية أخرى لهذا الشطر:

* وكل مفارق يزداد شوقاً *

(٣) النهل (بالتحريك): الشرب الأوّل، يقال: نهلت الإبل وأنهلتها أنا، وهو أن تسقي في أوّل الورد فترد إلى العطن (مناخ الإبل ومبركها) ثم تسقى الثانية وهو العلل فتردّ إلى المرعى.

أُعْجِب به إعجاباً شديداً؛ فوجّه بالشعر إلى إسحاق الموصليّ وأمره أن يغنّي فيه؛ فصنع[(١)] فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق؛ فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه في عينه، وقال: ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر، لأنه قد أفسد علينا لحننا. قال عليّ بن يحيى قال إسحاق: ما كان يحضر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشأن.

نسبة هذين الصوتين

صوت

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِذْني من التي | بها نَهِلتْ نفسي سَقَاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها | قَذَى العين من سافِي التراب لضَنَّتِ

/ الشعر لأعرابيّ، والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ في مجرى البنصر. وفيه لمُخَارق رَمَلٌ، ولعَرِيبَ رمل. ومن الناس من ينسُب هذا الشعر إلى كثيِّر، وهو خطأ من قائله. [٥/٣٥٩]

أنشدني هذه الأبياتَ عمّي قال: أنشدني هارون بن عليّ بن يحيى، وأنشدنيها عليّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنه أنشده لأعرابيّ فقال:

٩٥ / ٥



/ صوت

ألا قاتَلَ اللّهُ الحمامةَ غُدْوةً | على الغصن ماذا هيّجتْ حين غَنَّتِ
تَغنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهَيّجتْ[(٢)] | من الشوق ما كانت ضلوعي أجَنَّتِ

غنّى في هذين البيتين عمرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى.

فلو قَطَرتْ عينُ امرىء من صَبَابةٍ | دماً قطرتْ عيني دماً فألَمَّتِ
فما سكتتْ[(٣)] حتى أوَيْتُ لصوتها | وقلتُ تُرَى هذي الحمامةُ جُنَّتِ
ولي زَفَراتٌ لو يَدُمْنَ قتلْنَني | بشوق إلى نأيٍ[(٤)] التي قد تولّتِ
إذا قلتُ هذي زَفْرةُ اليوم[(٥)] قد مضتْ | فمَنْ لي بأخرى في غدٍ قد أظلّتِ
فيا مُحْيِيَ المَوْتَى أَقِذْني من التي | بها نَهِلتْ نفسي سَقَاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها | قَذَى العينِ من سَافِي التراب لضَنَّتِ
فقلتُ ارحَلا يا صاحبيّ فليتني | أرى كلَّ نفسٍ أُعْطِيتْ ما تمنَّتِ

(١) كذا في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «فغنى».
(٢) كذا في حـ وفيما سيأتي (ج ٨ ص ١٦٦ طبع بولاق). وفي سائر الأصول هنا: «فهاجني». وقد وردت ثلاثة أبيات من هذه الأبيات في «أمالي القالي» (ج ١ ص ١٣١ طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف في بعض الكلمات.
(٣) كذا فيما سيأتي. وفي الأصول هنا: «سكنت» بالنون.
(٤) فيما سيأتي: «نادى».
(٥) كذا فيما سيأتي. وفي الأصول هنا: «زفرة الموت»، وهو مما يأباه سياق البيت.

[٥/٣٦٠] / حلفتُ لها بالله ما أُمُّ(١) واحدٍ إذا ذكرتْه آخرَ الليلِ حَنَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيّةٍ قذفتْ بها صُرُوفُ النَّوَى من حيث لم تَكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضَاهِ(٢) وطيبَه وبَرْدَ الحِمَى من بطن خَبْتٍ(٣) أَرَنَّتِ
بأكثرَ منّي لوعةً غيرَ أنني أُجَمْجِمُ(٤) أحشائي على ما أجَنَّتِ

وأما لحن إسحاقَ فإنه غنّى في:

* لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها *

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر، وهو:

فإن بخِلتْ فالبخل منها سجيّةٌ وإن بذَلتْ أعطت قليلاً وأكْدَتِ(٥)

قال: ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

كاده مخارق عند الواثق فغضب عليه ولما عرف الحق من أمره رضي عنه:

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ، وحدّثني به عمّي عن أبي جعفر بن دِهْقَانَة النَّديم عن أبيه قال:

كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لإسحاق: هذا وقع إلينا البارحةَ فاسمعه، فكان ربّما أصلح فيه الشيءَ بعد الشيء. فكاده مخارق عنده وقال له: إنما يستجيد صنعتك إذا حضر لِيُقَارِبكَ ويستخرجَ ما عندك، فإذا فارق حضرتَك قال في صنعتك غيرَ ما تسمع؛ قال الواثق: فأنا أحب أن أقف على ذلك؛ فقال له مخارق: فأنا أُغنّيه «أيا منشر / الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد؛ قال: فافعلْ. فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن [٥/٣٦١] يفسده بجَهْده، وفعل ذلك في مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق: كيف تَرَى هذا الصوتَ؟ قال له: فاسدٌ غير مَرْضِيّ؛ فأمر به فسُحِب من المجلس حتى أُخرج عنه، وأمر بنفيه إلى بغداد. ثم جَرى ذكرُه يوماً. فقالت له فَرِيدةُ: يا أمير المؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سَرّه، ويفهم من غامض عِلَل الصنعة ما لا يفهمه غيره؛ فلْيُحْضِرْه أمير المؤمنين ويحلّفه بغليظ الأيمان أن يَصْدُقَه عما يسمع، / وأُغنّيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت؛ فإن كان فاسداً فصدّق عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوز أن نتركه(٦) [٩٦/٥]

---

(١) كذا في أ، ء، م ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بخطه وفيما سيأتي (ج ٨ ص ١٦٦ طبع بولاق). وفي سائر الأصول: «يا أم واحد»، وهو تحريف.

(٢) العضاه: ضرب من الشجر له شوك.

(٣) الخبت: الوادي العميق الوطيء ينبت ضروب العضاه، وقيل: ما اطمأن من الأرض واتسع، وهو أيضاً علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال لها خبت الجميش. وأرنت المرأة في نوحها: صاحت مع البكاء، وقيل: الإرنان: الصيحة الشديدة والصوت الحزين عند البكاء.

(٤) يقال: جمجم شيئاً في صدره إذا أخفاه ولم يبده. يريد أنه طوى أحشاءه على ما أجنته وجعلها غطاء له.

(٥) أكدت: قللت عطاءها ومنعته، وفي التنزيل العزيز: ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾.

(٦) في الأصول: «... أن يتركه...» بالياء المثناة من تحت بدل النون، والتصويب عن «مختار الأغاني».

فاسداً إذا كان فيه فساد؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده؛ فأمر بالكتاب[1] بحمله فحُمِل وأُحضِر، فأظهر الرضا عنه ولزِمه أيّاماً؛ ثم أحْلفه لَيَصْدُقَنّ عما يمرّ في مجلسه فحلف له. ثم غنّى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده؛ ثم غنّتْه فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه، فرضيه واستجاده، وقال له: ليس على هذا سمعتُه في المرّة الأولى، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مُخَارِق إياها؛ فسكن غضبُه ووصَل إسحاقَ وتنكّر لمُخَارِق مدّة.

قصة له مع الواثق بشأن الغناء والألحان:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبدالله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ:

/ أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطّاهِريّ، وقد كان تكلّم له في حاجةٍ فقُضيت، فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمنيّةٌ ولا تبلُغه رغبة. قال: فاشتهى هذا الكلامَ واستعاده منّي فأعدتُه. ثم مكثنا ما شاء الله، وأرسل الواثق إلى محمد[2] بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أغنّي فيه، وهو: [٥/٣٦٢]

* لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها *

فغنّيته إيّاه، فأمر لي بمائة ألفِ درهم. فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناءَ منّي. فلمّا طال مُقامي قلت له: يا أمير المؤمنين، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هذا الصوت منّي؛ فقال لي: ولِمَ؟ وَيْحَك! فقلت: لأني لا أُصَحّحه ولا تسخو نفسي به لهم؛ فما فعلت الجارية التي أخذتَها منّي؟ (يعني شجاً، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغنّيه، وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم)؛ فقال: وكيف؟ قال: لأنها تأخذه منّي ويأخذونه هم منها؛ فأمر بها فأخرجتُ وأخذتُه على المكان؛ فأمر لي بمائة ألف درهم وأذِن لي في الانصراف؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً، فقلت للواثق عند وَدَاعي له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أُمنيّةٌ ولم تبلُغه رغبة؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي: أيْ إسحاقُ أتُعِيد الدعاء! فقلت: إي والله أُعيده قاضٍ أنا أو مغنّ. وقدِمتُ بغداد، فلمّا وافى إسحاقُ جئته مُسَلّماً عليه؛ فقال لي: وَيْحَك يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت: لا أيها الأمير؛ قال قال لي: ويحك! كنّا أغنَى / الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحننا حتى أفسده علينا. قال عليّ بن يحيى: فحدّثني إسحاق قال: اِستأذنتُ الواثقَ عدّة دَفَعات في الانحدار إلى بغدادَ فلم يأذن لي، فصنعتُ لحناً في: [٥/٣٦٣]

* خليليّ عُوجَا من صدور الرَّوَاحِل *

ثم غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قِسْمته ومُكْث صوتِه أيّاماً، ثم قال لي: يا إسحاقُ، قد صنعتُ

(١) في الأصول: «فأمر بالكتاب بحمله فحمله وأحضر...» وعبارة «مختار الأغاني»: «فأمر بحمله فحمل وأظهر له الرضا عنه...».

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق أخو إسحاق بن إبراهيم الطاهري، كان من القوّاد الكبار في أيام المعتصم والواثق والمتوكل، قتل في خلافة المتوكل سنة ٢٣٦ هـ (راجع الطبري ص ١٢٩٠ ـ ١٢٩٢، ١٢٩٨ ـ ١٣٠٠، ١٤٠٤ ـ ١٤٠٦ من القسم الثالث).

لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته، وأمَر من وراء السّتارة[1] فَغنَّوْه؛ فقلت: قد والله يا أمير المؤمنين بغَّضتَ إليّ لحني وسمَّجتَه عندي؛ وقد كنتُ استأذنتُه في الانحدار إلى بغداد فلم يأذَن لي؛ فلمّا صَنَع هذا اللّحنَ وقلتُ له ما قلتُ، أتبعتُه بأن قلت له: قد والله يا أمير المؤمنين اقتصَصْتَ منّي في «لقد / بخِلت» وزدتَ؛ فأذن لي بعد ذلك. ٩٧/٥

نسبة هذا الصوت

صوت

خليليّ عُوجَا من صدور الرّواحل ... بجَرْعاءِ[2] حُزْوَى فابكيا في المنازلِ

لعلّ انحدار الدّمع يُعقب راحةً ... من الوَجْدِ أو يَشْفِي نَجِيَّ البَلابل[3]

الشعر لذي الرُّمّة، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين. وللواثق في البيت الثاني وحدَه رَمَلٌ بالبنصر.

[٣٦٤/٥] / تأسى ابن عياش بشعر ذي الرمة في البكاء عند المصائب:

أخبرني أحمد بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثني كَثِير بن أبي جعفر الحِزَاميّ[4] الكُوفيّ عن أحمد بن جَوّاس الحَنَفيّ عن أبي بكر بن عَيّاش قال:

كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتدّ عليّ، حتّى مررتُ ذات يوم بالكُنَاسة[5]، فإذا أنا بأعرابيٍّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشِد:

خليليّ عُوجَا منْ صُدور الرّواحلِ ... بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ

لعلّ انحدار الدّمع يُعقِب راحةً ... من الوجد أو يَشفِي نَجِيَّ البَلابل

فسألتُ عنه فقيل لي: هذا ذو الرُّمّة؛ فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيتُ فأجد لذلك راحة؛ فقلت: قاتل الله الأعرابيَّ! ما كان أعلمَه وأفصحَ لهجتَه!.

سئل أيهما أجود لحنك أم لحن الواثق فأجاب:

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال:

قلت لإسحاق: أيّما أجودُ، لحنُك في «خليليّ عوجاً» أم[6] لحن الواثق؟ فقال: لحني أجودُ قِسْمةً وأكثر عملاً، ولحنُه أطربُ، لأنه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته، وليس يقدِر على أدائه إلاّ متمكن من نفسه. قال عليّ بن

---

(١) راجع أحوال خلفاء بني أمية والدولة العباسية في الشرب واللهو واحتجابهم عن الندماء والمغنين بالستارة في كتاب «التاج في أخلاق الملوك» للجاحظ (ص ٣١ ـ ٤٥ طبع المطبعة الأميرية).

(٢) الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، وقيل: هي الرملة السهلة المستوية. وحزوى (بضم أوله وسكون ثانيه مقصوراً): موضع بنجد في ديار تميم، وقال الأزهري: جبل من جبال الدهناء. وفي «ديوانه» طبع أوروبا و «معجم ياقوت»: «بجمهور حزوى». والجمهور: الرملة العظيمة المشرفة على ما حولها.

(٣) البلابل: الهموم في الصدور.

(٤) في جـ: «الحرامي» بالراء المهملة.

(٥) الكناسة (بضم الكاف): محلة بالكوفة.

(٦) في الأصول: «أو»، والسياق يقتضي «أم».

يحيى: فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال وقال لي إسحاق: ما كان بحضرة الواثق أعلمُ منه بالغناء.

فضل ابن المعتز لحناً للواثق على لحنه:

أخبرني عليّ بن هارون قال:

كان عبدالله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثق ظلم نفسَه في تقديمه لحنَ إسحاق في «لقد بَخِلَتْ». قال: ومن الدَّليل على ذلك أنه قلّما غُنّي في صوت واحد بلحنين / فسقَط أجودُهما وشُهِر الدُّون، ولا يُشْهَر من اللحنَيْن إلا أجودُهما، ولحنُ الواثق أشهرُهما، وما يَرْوِي لحنَ إسحاقَ إلا العجائزُ ومن كَثُرت روايتُه. [٥/٣٦٥]

كان الواثق يعرض عليه صنعته فيصلح فيها:

حدّثني جَحْظة عن ابن المَكيّ المرتَجِل عن أبيه أحمد بن يحيى قال:

كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاقَ فيُصلح فيها الشيءَ بعد الشيء.

آخر صوت صنعه:

أخبرنا حسين[1] بن يحيى عن حَمّاد:

أنّ آخر صوت صنعه أبوه: «لقد بَخِلَتْ»، ثم ما صنع شيئاً حتى مات.

غنى للمعتصم بشعر أبي القنافذ فأجازهما:

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال حدّثني أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال:

دخل أعرابيّ من بني سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأى ـ وكان يُكْنَى أبا القَنَافِذ ـ فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِن له؛ فلمّا مَثَل بين يديه أنشده:

مِراضُ العيونِ خِماصُ البطون ... طِوالُ المتون قِصارُ الخُطَا
عِتاقُ[2] النُّحورِ قِباقُ الثغور ... لِطافُ الخصورِ خِدَالُ[3] الشَّوَى
عَطابيلُ[4] من كلّ رَقْراقةٍ[5] ... تَلُوثُ الإزارَ بِدِعْصِ[6] النَّقا
/ إذا هُنَّ مَنَّيْنَنا نائلاً ... أبَى البُخْلُ منهنَّ ذاكَ المُنَى [٩٨/٥]
إلى النَّفَرِ البِيضِ أهلِ البِطاح ... وأهلِ السَّماحِ طَلَبْنا النَّدَى

---

(١) في الأصول: «حسن بن يحيى»، وهو تحريف.
(٢) عتاق النحور: جميلاتها.
(٣) خدال: جمع خدلة وهي من النساء: الغليظة الساق المستديرتها. والشوى: الأطراف.
(٤) عطابيل: جمع عطبولة وعطبول وهي الجارية الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق. قال ابن بري: ولا يقال: رجل عطبول إنما يقال: رجل أجيد، إذا كان طويل العنق.
(٥) جارية رقراقة: كأن الماء يجري في وجهها.
(٦) الدعص: كثيب الرمل المجتمع.

[٥/٣٦٦] / لهـم سَطَـوَاتٌ إذا هُيِّجوا وحلمٌ إذا الجهلُ حَلَّ الحُبَا[1]

يَبِيـنُ لـكَ الخيـرُ فـي أوجـهٍ لهـم كـالمصابيـحِ تَجْلُـو الـدُّجى

سَعَـى النـاسُ كـي يُـدركـوا فضلَهـم فقصَّـر عـن سعيهـم مَـنْ سَعَـى

سعَـى للخـلافـةِ فـآتـادَهـا ويـبـرّز فـي السَّبْـقِ لَمّـا جـرى

قال: فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنّيت فيها، وأمَر للأعرابيّ بعشرين ألفَ درهم ولي بثلاثين ألفَ درهم؛ وما خرج الناس يومئذ إلّا بهذه الأبيات.

طلب من علي بن هشام نبيذاً فأرسله إليه:

حدّثني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال:

كتبت إلى عليّ بن هشام أطلب منه نبيذاً، فبعث إليّ جُمَانَ[2] بما التمستُ، وكتب إليّ: قد بعثتُ إليك بشَرَابٍ أصْلَبَ من الصَّخر، وأعْتَقَ من الدهر، وأصْفَى من القَطْر.

تخلف عن عبدالله بن طاهر فكلف لميس أن تسرق لحناً له وتذيعه:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو عبدالله الهِشَاميّ عن أحمد المَكيّ قال:

لمّا صنع إسحاقُ لحنَه في الرَّمَل:

أمَـاوِيّ[3] إنّ المـالَ غـادٍ ورائـحٌ ويبقـى مـن المـال الأحـاديـثُ والـذِّكْـرُ

وقـد علـم الأقـوامُ لـو أنّ حـاتمـاً يـريـد ثَـراءَ المـال كـان لـه وَفْـرُ

[٥/٣٦٧] / وهو رَمَل نادرٌ، ابتداؤه صِيَاح، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سَجْحة، وكان كثيرَ الملازمة لعبدالله بن طاهر، ثم تخلّف عنه مدّة وذلك في أيّام المأمون؛ فقال عبدالله لِلَميسَ جاريتِه: خُذِي لحنَ إسحاق في:

* أمَاوِيّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ *

فاخلعيه عليّ:

وهبّـتْ شَمَـالٌ آخِـرَ اللّيـلِ قَـرَّةٌ[4] ولا ثـوبَ إلّا بُـرْدُهـا وردائيـا

وألْقِيه على كلّ جارية تُعلّمينها واشْهَرِيه وألْقِيه على من يُجيده من جواري زُبَيْدة، وقولي: أخذتُه من بعض عجائز المدينة؛ ففعلت، وشاع أمْرُه حتى غُنّي به بين يدي المأمون؛ فقال المأمون للجارية: ممّن أخذتِ هذا؟ فقالت: من دار عبدالله بن طاهر من لَمِيسَ جاريتِه، وأخبرتْني أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة. فقال المأمون

---

(١) الحبا: جمع حبوة (بضم الأوّل وكسره في المفرد والجمع)، وهي الثوب الذي يحتبى به. والاحتباء: ضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما. ويكنى بحل الحبا عن القيام كما يكنى بعقدها عن القعود. يريد: أن للممدوحين حلماً إذا استفز الجهل أهل الجهل غضباً وطيشاً.

(٢) لعله يريد بجمان هذا: قهرماناً أو وكيلاً لعلي بن هشام، وقد سقطت هذه الكلمة في جـ.

(٣) الشعر لحاتم الطائي، يخاطب ماوية بنت عفزر وقد خطبها حاتم إلى أهلها، وله في ذلك معها حديث طويل. (انظر كتاب «الشعر والشعراء» ص ١٢٦ طبع أوروبا، و «الأغاني» ج ١٦ ص ١٠٥ طبع بولاق).

(٤) قرة: باردة.

لإسحاقَ: وَيْلَك! قد صِرتَ تسرِق الغِناءَ وتدّعيه، إسمع هذا الصوت؛ فسمعه فقال: هذا وحياتِك لحني، وقد وقَع عليّ فيه نَقْب من لصٍّ حاذق، وأنا أغوص عليه حتّى أعرفَه؛ ثم بَكَّرَ إلى عبدالله بن طاهر فقال: أهذا حقّي وحُرْمتي وخدمتي! تأخذ لَمِيسُ لحني في:

* أماويّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ *

فتغنّيه في: «وهبّتْ شَمال»! وليس بي ذلك، ولكن بي أنّها فضحَتْني عند الخليفة وادّعتْ أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة؛ فضحِك عبدالله وقال: لو كنتَ تُكثِر عندنا كما كنت تفعل لم تُقْدِم عليك لَمِيسُ ولا غيرُها؛ فاْعتذَر فقبِل عذرَه، وقال له: أيّ شيء تريد؟ قال: أُريد أن تُكذِّب نفسَها عند من ألقتْه عليها حتى / يعلم الخليفة بذلك؛ [٥/٣٦٨] قال: أفعل؛ ومضى إسحاقُ إلى المأمون وأخبره القصّة؛ فاستكشفها من لَمِيسَ حتى وقف عليها، وجعل يعبَث بإسحاق بذلك مدّة.

غنى محمداً الأمين في شعر له فيه فأجازه:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني عُبيد الله بن عبدالله بن طاهر قال / حدّثتني شَهَوات[1] الصَّنّاجة التي كان إسحاق ٩٩/٥ أهداها إلى الواثق:

أن محمداً الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذي صنعه في شعره وهو الثقيل الأوّل:



صوت

يــا أيّهـــا القـــائـــمُ الأميـــن فَــدَتْ نفسَـــكَ نفسـي بـــالمـــال والـــوَلَـــدِ

بَسَطْـــــتَ للنّـــــاس إذ وَلِيتَهُـــــمُ يـــداً مِـــن الجـــود فـــوق كـــلّ يـــدِ

فأمر له بألف ألفِ درهم؛ فرأيتُها قد وصلتْ إلى داره يحملها مائةُ فرّاش.

سأله الواثق، وهو يغنيه شعراً، عن أحسن ما فيه أعجب بجوابه وأجازه:

حدّثني جَحْظة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنّيتُ الواثقَ:

صوت

عَفَـا طَـرَفُ القُـرَيّـةِ فـالكَثِيـبُ إلـى مَلْحـاءَ ليـس بهـا عَـرِيـبُ[2]

تـــأبّـــد رسمُهـــا وجـــرى عليهـــا سَـوَافِـي الـريـح والتُّـربُ الغـريـبُ

ـ ولحنه ثقيلٌ ثانٍ ـ قال: فقال لي: يا إسحاق، قد أحسن ابنُ هَرْمة في البيتين، فأيّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما؟ قال قلت: قوله: «التربُ الغريب»، يريد أنّ الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضعٍ بعيد؛ فقال: صدقتَ وأحسنتَ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم.

(١) في «مختار الأغاني» (ص ١٥٩): «شهوار» بالراء المهملة.
(٢) تقدّم هذا الشعر في ص ٢١٤ من هذا الجزء مع التعليقات عليه فراجعه.

[٥/٣٦٩] / أمر ابن المدبر مغنياً أن يزيد بيتاً على لحن له:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال:

كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبّر، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاق:

صـوت

فأصبحتُ كالحَوْمانِ[1] ينظُر حسرةً إلى الماء عطشاناً وقد مُنِع الوِرْدَا

وقال ابن المُدَبّر: زد فيه:

وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفسه يرى الموتَ في صدّ الحبيب إذا صَدّا

لحنُ إسحاق في هذا البيت من الثقيل الأوّل بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر.

أنشد مروان بن أبي حفصة شعراً له فأدهشه:

حدّثني الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد الأَزْديّ قال حدّثني شيخ من وَلَد المهلّب قال:

دخل مَرْوانُ بن أبي حَفْصة يوماً على إبراهيمَ الموصليّ، فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبي حَفْصة لنفسه:

إذا مُضَرُ الحمراءِ[2] كانت أَرُومَتي وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازمِ[3]

عطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ يداي الثُّريّا قاعداً غيرَ قائمِ

[٥/٣٧٠] / قال: وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول، فقال له: مالَك لا تجيبني؟ قال: إنك والله لا تدري ما أفرَغ ابنُك هذا في أذني.

طرب لشعر أعرابي وسكر حتى انصرف محمولاً:

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشر قال:

كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نُزْهة، فمرّ بنا أعرابيّ، فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زِيَادٍ الذي يقول فيه:

وقُولا لساقِينا زِيَادٍ يُرِقُّها فقد هَدَّ[4] بعضَ القوم سَقْيُ زِيادِ

(١) الحومان: العطشان، من حام يحوم إذا عطش. وفي حـ: «كالحيران»، ولعل صوابها «الحرّان»، والحرّان: الشديد العطش.

(٢) قيل لمضر: مضر الحمراء (بالإضافة) لأن أباهم مضر لما اقتسم هو وربيعة الميراث أعطى مضر الذهب (وهو يؤنث) وأعطى ربيعة الخيل، فقيل لهذا: مضر الحمراء ولذلك ربيعة الفرس. ويقال: لأنه كان شعار مضر في الحرب العمائم والرايات الحمر. (راجع «لسان العرب» مادة «مضر»).

(٣) تقدّم هذان البيتان في أوّل ترجمة إسحاق (ص ٢٧٨ من هذا الجزء) برواية البيت الأوّل هكذا:

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع ضيمي . . . . . . إلخ

وهي الرواية التي تتفق مع الواقع، إذ إسحاق الموصلي لم تكن أرومته مضر الحمراء بل كان أصله فارسياً. وورد في بعض الأصول هنا: «حازم وابن حازم» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٤) هدّه الأمر: بلغ منه وأعياه.

قال: فوافانا الأعرابيّ، فلمّا شَرِب وسمع حَنين الدّواليب قال:

١٠١/٥

/ صـوت

بَكَــرتْ تَحِــنُّ ومــا بهــا وَجْــدِي ... وأَحِــنُّ مــن وَجْــدٍ إلــى نَجْــدِ

فــدمــوعُهــا تَحْيــا الــرِّيــاضُ بهــا ... ودمــوعُ عَيْنِــي أَقْــرَحَــتْ خَــدّي

وبســاكِنِــي نجــدٍ كَلِفْــتُ ومــا ... يُغْنِــي لهــم كَلَفِــي ولا وَجْــدي

لــو قِيــس وجــدُ العــاشقيــن إلــى ... وَجْــدي لــزادَ عليــه مــا عنــدي

قال: فما انصرف إسحاق إلى بيته إلّا محمولاً سُكْراً، وما شرب إلّا على هذه الأبيات.

والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنْصَر.

قصته مع الفضل بن الربيع بشأن البساط:

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن عبدالله بن أبي سَعْد عن محمد بن عبدالله عن إسحاق قال:

/ دخلتُ على الفَضْل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنْجِرْدِيّ[1] ستيني مُذهب يلمع عليه مكتوب: «مما أمَر بصنعته حَمّاد عَجْرَد»؛ فقال لي: أتدري مَنْ حمّاد عَجْرد؟ قلت: لا؛ قال: حَمّاد عجرد كان واليَ تلك الناحية؛ أفرأيتَ مثلَه قطُّ؟ قلتُ: لا، فسكتَ؛ ثمّ قلتُ: أهكذا يفعل الناس؟ قال: أيّ شيء يفعلونه؟ قلت: تَهَبُه لي؛ قال: لا أفعل؛ قلت: إذاً أغضبُ؛ قال: ما شئتَ افْعَلْ؛ فخرجتُ متغاضباً؛ فلمّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لَحِقني بالبساط؛ فكتبتُ إليه بيتين لحَمْزة بن مُضَر:

[٥/٣٧١]

ولقـد عـدَدْتُ فلسـتُ أحصِـي كـلَّ مـا ... قـد نِلْـتُ منـك مـن المتـاع المُـونِـقِ

بخــديعتــي فــأراك مُنخــدعــاً لهــا ... وفُكــاهتــي وتَغَضُّبــي وتملُّقــي

ـ قال ابن أبي سعد في خبره: ـ فلمّا دخلتُ عليه ضحِك وقال لي: البيتان خير من البساط، فالفضلُ الآن لك علينا.

رآه ابن بانة يناظر إبراهيم بن المهدي فلم يفهم ما يقولان:

أخبرني يحيى بن عليّ وأحمد بن جعفر جَحْظة عن أبي العُبَيْس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال:

رأيتُ إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاقَ في الغناء، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئاً؛ فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير.

شعره في الواثق:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال:

قدِمتُ على الواثق في بعض قَدَماتي، فقال لي: أمَا اشتقتَ إليّ؟ فقلتُ: بَلَى والله يا أمير المؤمنين، وأنشدتُه:

---

(١) في أ، ء، م هكذا: «سوه منجرد ستيني». وفي سائر الأصول: «سوسنجرد» من غير ياء النسب. وسوسنجرد: قرية من قرى بغداد.

[٥/٣٧٢] / أشكو إلى الله بُعدي عن خليفته ... وما أعالج من سُقمٍ ومن كِبَرِ
لا أستطيع رحيلاً إن هَمَمتُ به ... يوماً إليه ولا أقوى على السّفَرِ
أنوي الرَّحيلَ إليه ثم يمنعني ... ما أحدَثَ الدهرُ والأيامُ في بَصَري

قال: [و][1] قال وقد أشخصه إليه قصيدتَه الداليّة:

صـوت

ضَنّتْ سعادُ غداة البَيْن بالزادِ ... وأخلفتْكَ فما تُوفي بميعادِ
ما أنسَ لا أنسَ منها إذ تُودِّعُنا ... والحزنُ منها وإن لم تُبْدِه بادي

لإسحاقَ في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى، يقول فيها:

لمّا أمرتَ بإشخاصي إليك هَفَا ... قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
/ ثم اعتزمتُ ولم أحفِل بَبيْنِهِمُ ... وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحَمّاد
كم نِعمةٍ لأبيك الخيرِ أفردَني ... بها وعَمّ بأُخرى بَعْدَ إفراد
فلو شكرتُ أياديكم وأنعُمَكم ... لمَا أحاط بها وَصْفي وتَعْدادي
لأشكرنّك ما ناح الحَمَامُ وما ... حَدَا على الصبح في إثرِ الدُّجى حادي

[٥/١٠١]

قال عليّ بن يحيى: قال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، لو قال الخليفة لإسحاق: أحضِرني فَضْلاً وحَمّاداً أليس كان قد افتضح من دَمَامةِ خَلْقهما وتخلّف شاهِدِهما.

كتب إليه ابن المهدي يأسف لفقدان من يحكم بينهما:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبة الله بن إبراهيمَ بن المهديّ قال:

كتب أبي إلى إسحاقَ في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة: «إلى من أُحاكمك والنّاس بيننا حَمير!».

[٥/٣٧٣] / قصة ذهابه إلى تل عزاز حين خرج مع الرشيد:

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزَاعيّ قال حدّثنا إسحاقُ قال:

كنتُ مع الرشيد حين خرج إلى الرَّقّة، فدخل يوماً إلى النساء، وخرجتُ فمضيتُ إلى تَلّ عَزَاز[2]، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقتْني شَرَاباً لم أرَ مثلَه حُسْناً وطِيباً وطِيبَ رائحةٍ في بيت مرشوش ورَيْحانٍ غَضّ، وبرزتْ بنتٌ لها كأنّها خُوط[3] بانٍ أو جَدْل عِنَان، لم أرَ أحسنَ منها قَدًّا، ولا أسْيَلَ خَدّاً، ولا أعْتَقَ وجهاً، ولا أبرعَ ظَرْفاً، ولا أفتن طَرْفاً، ولا أحسن كلاماً، ولا أتمّ تماماً؛ فأقمتُ عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدِر عليّ؛ ثم انصرفتُ فذهبتْ بي

(١) الزيادة عن أ، ء، م.
(٢) عزاز: ذكره ياقوت في «معجمه» فقال: «ذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الديرة»: أن عزاز بالرقة، وأنشد عليه لإسحاق الموصلي...». ثم ساق ياقوت بعد ذلك البيتين الأولين من الأربعة الأبيات التالية.
(٣) الخوط: الغصن الناعم. والجدل: الحبل المفتول.

رُسُله، فدخلتُ عليه وهو غضبان؛ فلمّا رأيتُه خطَرْتُ في مِشْيتي ورقَصْتُ، وكانت فيّ فضلةٌ من السُّكْر، وغنّيْتُ:

صوت

إنّ قلبي بالتّلّ تلّ عَزازِ عند ظبيٍ من الظِّباء الجَوازِي[1]

شادنٍ يَسْكُنُ الشّآمَ وفيه مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحجاز

يا لَقومي لِبنت قَسٍّ أصابتْ منك صفوَ الهوى وليست تُجازِي

حلفتْ بالمسيح أن تُنجز الوعـ ـدَ وليست تجود بالإنجاز

ـ الغناء لإسحاقَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة ـ قال إسحاق: فسكَن غضبُه، ثم قال لي: أين كنتَ؟ فأخبرتُه؛ فضحك وقال: إنّ مثل هذا إذا اتّفق / لَطَيِّبٌ، أعِدْ غناءك، فأعدته، فأُعجِب به، وأمرني أن أُعيده ليلةً من [٥/ ٢٧٤] أوّلها إلى آخرها؛ وأخذها[2] المغنّون منّي جميعاً وشَرِبنا إلى طلوع الفجر، ثم انصرفنا فصلّيت الصبحَ ونِمْت؛ فما استقْررنا حتى أتى إليّ رسول الرشيد فأمرني بالحضور، فركبتُ ومَضَيت؛ فلمّا دخلتُ وجدت ابنَ جامع قد طرَح نفسَه يتمرّغ على دُكّان[3] في الدار لغَلَبة السُّكْر عليه، ثم قال: أتدري لِمَ دُعينا؟ فقلت: لا والله؛ قال: لكنّي أدري، دُعينا بسبب نَصْرانيّتك الزانية، عليكَ وعليها لعنةُ الله؛ فضحكتُ. فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتهُ بالقصة، فضحك وقال: صدَق، عُودوا فيه فإنّي اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني؛ فعُدْنا فيه يومَنا كلّه حتى انصرفنا.

شعره إلى المأمون حين وجد عليه لما ترك الغناء:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا يَزيد بن محمد المُهلّبيّ قال:

كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زِيّه واحتَجَر[4] من حضور دار / السلطان. فبلغه أنّ المأمون وَجَد عليه من [١٠٢/ ٥] ذلك وتنكّر؛ فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك:

صوت

يابنَ عمّ النبيّ سمعاً وطاعهْ قد خلعنا الرّداءَ والدُّرّاعهْ

ورجعنا إلى الصّناعة لمّا كان سُخْطَ الإمام تركُ الصّناعهْ

الغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو ـ وقد ذكر الغَلَابِيّ أن هذا الشعر لأبي العَتَاهية، قاله لمّا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ـ وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم.

/ تفصيل لحنين له على لحني ابن سريج ومعبد: [٥/ ٢٧٥]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال:

(١) الجوازي (أصله بالهمز): جمع جازئة، وهي من الظباء التي استغنت بالرطب (الرعي الأخضر من البقل والشجر) عن الماء.

(٢) كذا في جميع الأصول، ولعله: «وأخذه» أي الغناء.

(٣) الدكان: مقعد يدك ويجلس عليه وهو يشبه ما يسمى بالمصطبة الآن.

(٤) احتجر: امتنع. وفي ء: «احتجز» بالزاي المعجمة، ومعناه امتنع أيضاً.

قال لي محمد بن الحسن بن مُصعَب، وكان بصيراً بالغناء والنَّغَم: لحنُ إسحاق في «تَشَكَّى الكميتُ الجريَ» أحسنُ من لحن ابن سُرَيج، ولحنُه في «يوم تُبدى لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن مَعْبد، وذلك من أجود صنعة معبد. قال: فأخبرتُ إسحاقَ بقوله، فقال: قد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وزَعْزعتُهما[1] وأَنَخْتُ بهما فما بلغتُهما. فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن؛ فقال: هو والله يعلم أنه بَرّز عليهما، ولكنه لا يدع تعصُّبه للقدماء.

وأخبرني جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق:

أنّ رجلاً سأل أباه فقال له: إنّ الناس قد كثّروا في صوتيك: «تشكَّى الكُمَيتُ الجريَ» و «يوم تُبدى لنا قُتَيْلة»، وقالوا: إنهما أجود من لَحْنَي ابن سُريج ومَعْبد؛ قال أبي: وَيْحَك! رُمِيت في هذين الصوتين بمعبد وابن سُريج وهُمَا هُمَا، فقرُبت ووقع القياسُ بيني وبينهما، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وانتصفتُ منهما.

تحليل غنائه:

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن ـ أظنّه ابن مصعَب ـ ذكَر إسحاقَ الموصليّ فقال:

كانت صنعتُه مُحكمةَ الأصول، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب، وقسمتُه مُعدَّلةَ الأوزان، وكان يتصرّف في جميع بُسُط الإيقاعات، فأيّ بِساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك البِساط لحُذّاق القدماء فعارَضَه: وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل، ويسلُك سبيلَهم، ويقتحم طُرُقَهم؛ فيَبْنِي على الرّسْم فيصنعه، [٥/٣٧٦] / ويحتذي على المِثَال فيَحْكيه[2]، فتأتي صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين: القوّةَ في الطّبْع وسهولةَ المسلك، وحُنُثاً بين كثرة النَّغَم وترتيبها في الصِّيَاح والإسجاح؛ فهي بصنعة الأوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات؛ فأما المتأخرون فأحسَنُ أحوالهم أن يَرْوُوها فيردّوها. وكان حسَنَ الطبع في صياحه، حسنَ التلطُّف، لتنزيله[3] من الصِّياح إلى الإسجاح على ترتيب بنَغَم يشاكله، حتّى تعتدلَ وتتّزن أعجازُ الشعر في القسمة بصدوره. وكذلك أصواتُه كلُّها، وأكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه ـ وذلك مذهبه في جُلّ غنائه؛ حتى كان كثير من المغَنّين يلقّبونه الملسوعَ؛ لأنه يبدأ بالصِّياح في أحسن نغمة فَتح بها أحدٌ فاه ـ ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحاً وينزّلها تنزيلاً حتى يَحُطّها من تلك الشدّة إلى ما يوازيها من اللين، ثم يَعُود فيفعل مثل ذلك، فيخرج من شدّة إلى لين ومن لين إلى شدّة؛ وهذا أشدّ ما يأتي في الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصَّنعة. قال يحيى بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ في صدر كتابه الذي ألّف [١٠٣/٥] / في أخباره [وزاد في بعض ما صنعه][4]: «وكان إسحاق أعلمَ أهل زمانه بالغناء، وأنفذَهم في جميع فنونه، وأضربَهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودَهم صنعةً، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه، وعارَض ابنَ سُريج ومعبداً فانتصف منهما؛ وكان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة ولم يَبْلُغه فيها، ولم يكن بعدَ إسحاق مثلُه».

---

(١) زعزعهما: ساقهما سوقاً عنيفاً.

(٢) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «فيحكمه».

(٣) لعله «لتنزله». والتنزل: النزول في مهلة.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي س: «وزاد في بعض ما صنعوا». على أنه غير واضح وجه ارتباط هذه العبارة بما يتصل بها، فلعلها زيدت سهواً من النساخ.

تشبيهه لصوت له:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام:

/ قال إسحاق وذكر صوته: [٥/ ٣٧٧]

صوت

كـان افتتـاحَ بـلائِـيَ النَّظـرُ فـالحَيْـنُ سبّـب ذاك والقَـدَرُ
قـد كـان بـابُ الصَّبـر مُفْتَتَحـاً فـاليـومَ أُغْلَـقَ بـابَـهُ النَّظـرُ

ـ الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر. وفيه لأحمد بن المَكّيّ خفيفُ ثقيلٍ، ولعَرِيب ثاني ثقيلٍ، جميعاً عن الهِشَاميّ ـ قال إسحاق: ما شبّهتُ صوتي هذا إلاّ بإنسان أخذ الكُرَةَ على الطَّبْطَابة[1] وأهلُ الميدان جميعاً خَلْفَه، فلمّا بلغ أقصى ضربها أحجزها.

قصته مع يحيى بن معاذ والأمين:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المُهلّبيّ قال حدّثني إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المَدينيّ عن ابن المَكّيّ عن إسحاق قال:

صنعتُ هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ؛ فلمّا كان في أيام محمد غنّيته، فاشتهاه واشتَهَر به، وبعث إلى يحيى بن معاذ وأنا أغنّيه:

اسقنـي وابـنَ نَهيـكٍ وابـنَ يحيـى بـنِ مُعـاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت:

فـاسقِنـي واسـقِ نَهيكـاً واسـقِ يحيـى بـنَ مُعـاذِ

فبعث إليه محمد فأحضره[2] فقال: لتشربنّ أو لأعاقبنّك؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً، وغلّفه[3] وأمر له بمال، وسُرّ بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً، وانصرفت إلى / البيت؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصِرتُ إليه، [٥/ ٣٧٨] فلم يزل يستحلفني ألاّ أعودَ في هذا الصوت قُدّامَ محمد أبداً، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله، ولم أعُدْ فيه.

نسبة هذا الصوت

صوت

شعر عليّ بن هشام الذي غنى فيه:

يـومُنـا يـومُ رَذَاذِ واصطبـاحٍ والتـذاذِ

---

(١) الطبطابة: خشبة عريضة يلعب بها بالكرة.

(٢) سياق الكلام يقتضي أن تكون العبارة بعد البيت: «فقال محمد: لتشربن... إلخ». مع حذف الباقي، ولعله زيد سهواً.

(٣) غلفه: طيبه بالطيب. وكان من أخلاق الملك تفرده بالتطيب والتجمل ونحوهما ولا تشركه في ذلك بطانته وندماؤه. (راجع كتاب «التاج» للجاحظ طبع بولاق ص ٤٦ ـ ٤٩).

فـاسْقِنـي وابـنَ نَهيـكٍ وابـنَ يحيـى بـن مُعـاذِ
مـن كُمَيْـتٍ[١] عُتِّقـت لـلـشـيـخ كِسـرى بـن قُبـاذِ
ليـس للمـرء مـن الـهـمّ سـواهـا مـن مَـلاذِ

الشعر لعليّ بن هِشام، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو.

١٠٤/٥ أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن / القاسم الهاشميّ[٢] قال حدّثني أبو عبدالله الهلاليّ قال:

كنتُ عند عليّ بن هشام يوماً إذ رَشّت السماءُ رشّاً وطَشّت، فأنشأ عليّ يقول:

يـومُنـا يـومُ رذاذِ واصطبـاحٍ والتـذاذِ

ـ وذكر الأبيات الأربعة ـ ثم قال لغلامه: اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له: يقول لك أخوك: هذا يوم طيّب، فتعالَ أنت وغلاماك بُنَان وعثعث؛ فجاء إلى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له، فمنعوه الدخولَ عليه؛ فقال لهم: كم لكم عليه؟ قالوا: مائتا ألف درهم؛ فرجع الغلام إلى عليّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ مالهم عليه من الدَّيْن؛ فقال له: احملْ إليه مائتي ألفِ درهم وجيءْ به وبغلامَيْه الساعةَ فحملها؛ فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه ٣٧٩/٥ غلاماه، فقال لعليّ بن هشام: لِمَ تَحمّلت هذا لي! أنا والله / مُنتظر ما لا يجيء فأُعطيهم؛ فقال له: مالي ومالُك واحدٌ. فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء؛ فقال: أكثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرْبَ)؛ فأكلتُ وغسلت يديّ؛ فقال لغلامه سِراج: احمِلْ مع أبي عبدالله الهلاليّ ثلاثين ألفَ درهم؛ فانصرفتُ وهي معي.

تذكر في كبره شعراً له في صباه فبكى:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا سليمانُ المَدَائنيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال حدّثني إسحاق قال:

تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها:

هـل إلـى أن تنـام عينـي سبيـلُ إنّ عهـدي بـالنـوم عهـدٌ طـويـلُ
غـاب عنّـي مَـنْ لا أُسمّـي فعَيْنـي كـلَّ يـوم عليـه حُـزْنـاً تَسِيـلُ

ـ الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو. وفيه لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ آخر. وفيه لمحمد بن حمزةَ وَجْه القَرْعة خفيفُ ثقيلٍ، وقيل: إنه لابن المَكّيّ. وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى عَلّويه وإلى حسين بن مُحْرِز ـ قال إسحاق: ثم ملكتُها، فكنت مشغوفاً بها، حتى كَبِرتُ واعتلّتْ عليّ عيناي، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامَه المتقدّمة، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولّى. وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن يزيد المُهَلَّبيّ عن إسحاق؛ وليس هذا على التمام.

حكم يحيى المكي على لحن له عند المأمون:

أخبرني جَحْظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ عن أبيه قال:

(١) الكميت: الخمر التي فيها سواد وحمرة.
(٢) في جـ: «الهشامي».

دعا المأمونُ بإسحاق فأحْضِرَه، فأمره أن يُغني في هذا الصوت [فغنّى][1]:

* هل إلى أن تَنامَ عَيْني سبيلُ *

/ فغنّاه؛ وكنتُ حاضراً فقلت: أحسنَ والله يا أمير المؤمنين، وما عدَا بلحنه معنى شعره؛ فقال المأمون: فإنّا [٥/ ٣٨٠] نُردّ الحُكم إلى مَنْ هو أعلم بذلك منك؛ فبعث إلى أبي (يعني يحيى المكيّ) فجيء به، فخبّره بما قلتُ وما قال، وأمر إسحاقَ بردّ الصوت فردّه؛ فقال يحيى: أحسنَ إسحاقُ في غنائه وأحسنَ ابني في استحسانه، إلاّ أنّ هذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلْق إسحاق؛ فضحِك المأمون، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله. قال: ولم يكن في إسحاق شيء يُعاب إلاّ حَلْقُه، وكان يغلب الناسَ جميعاً بطبعه وحِذْقه.

ضعف بصره والسبب في ذلك:

قال: وأما السبب في علّة عين إسحاق وضعفِ بصره، فأخبرني به محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني به أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزَاعيّ:

أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة[2] الوَصِيف نازَع إسحاقَ في شيء بين يدي الرشيد من الغناء، فردّ عليه، فشتَمه، فردّ عليه إسحاقُ وأربَى في الردّ؛ فقال له إبراهيم: / أتردّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين! فقال له: أُسكُتْ فإنك من مَوَالي العِيدَيْن[3]؛ فقال له الرشيد: وأيُّ شيء موالي العيدين؟ قال: يا أمير المؤمنين، يُشْتَرَى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ في العبيد للعتق؛ فيكون فيهم الحَجّامُ والحائكُ والسائس؛ فهو أحدُ هؤلاء الذين ذكرتُ. قال: وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه، فلمّا جاز عليه مُنْصَرِفاً ضرب رأسَه بِمقْرَعةٍ فيها مِعْوَلٌ؛ فكان ذلك سببَ ضعف بصر إسحاق. وبلغ الرشيدَ الخبرُ، فأمر بأن يُحْجَبَ عنه إبراهيمُ، وحلف ألاّ يدخلَ عليه؛ فدسّ إلى الرشيدِ من غنّاه: ١٠٥ هـ

[٥/ ٣٨١]

/ صـوت

مَـــنْ لعبـــدٍ أذلّـــه مـــولاهُ ... مـــالـــه شـــافـــعٌ إليـــه ســـواهُ

يشتكِـــي مـــا بـــه إليـــه ويخشـــا ... هُ ويـــرجـــوه مثـــلَ مـــا يخشـــاه

ـ الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصيف خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ. وقيل: إن لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر ـ فلمّا غُنّي الرشيدُ بهذه الأبيات، سأل عن صاحب لحنها فعُرِّفَه، فحلف ألاّ يرضَى عنه حتى يرضَى إسحاقُ، فقام إسحاق فقال: قد رَضِيتُ عنه يا سيّدي رضاءً حسناً، وقبّل الأرضَ بين يديه شكراً لما كان من قوله؛ فرضِي عنه وأُحْضِر وأمره بتَرَضِّي إسحاقَ ففعل.

قصته مع إبراهيم ابن أخي سلمة بسبب الدخول على الرشيد:

وأخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال:

جاء إبراهيم ابن أخي سَلَمة إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّي أُحبّ أن تشرّفني بأن تكون نَوْبتي ونوبةُ

(١) سياق الكلام يأبى هذه الكلمة، ولعلها زيدت من النساخ.

(٢) في جميع الأصول هنا: «إبراهيم بن أبي سلمة»، وقد آثرنا ما أثبتناه لأن الأصول قد اتفقت عليه عند ذكره في المرات التالية.

(٣) في حـ، س، ب: «موالي العيرين» بالراء المهملة.

إسحاقَ الموصليّ في مكان، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان، فإنْ رأيتَ أن تجعل ذلك كما سألتُ فعلتَ؛ قال: قد فعلتُ؛ ولم أكن حاضراً لمسألته. فلمّا كان يومُ دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقًّا عنيفاً وعرّفني الغلامُ خبرَه؛ فقلتُ له: يدخل؛ فأبى وقال له: قل له اخرج أنت؛ فساء ظنّي واغتممتُ، فخرجتُ إليه فقلت له: ما الخبر؟ قال: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدارَ إلّا معي بعد أن أُوجّه إليك فتركب إليّ وتمضي معي؛ فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر، وكنت بقيّةَ يومي على تلك الحال. ثم ركبت إلى الفضل بن الرّبيع فشكوتُ ذلك إليه؛ فقال: ما أرى أمير المؤمنين يُحِلُّك هذا المحلّ؛ قم بنا إليه؛ فقمت معه، [٥/٣٨٢] فدخل إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إسحاقُ وخدمتُه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين / المهديّ تضع مقدارَه أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سَلَمة؛ قال: لا والله ما فعلتُ هذا؛ قال: إنه قد جاءني يبكي ويحلِف إن جرى عليه هذا تاب من الغِناء وتركَه جملةً، ثم لو قُتل لم يَعُدْ إليه؛ فقال: ويحك! والله ما جرى من هذا شيء، إلّا أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة جاء فقال: تشرّفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت؛ فقل له: يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامةَ؛ فأخبرني فرجعت. فلمّا كانت نوبتي جاء إبراهيم إليّ ففعل مثلَ فعله؛ فقلت لغلامي: اخرج إليه فقل له: ولا كرامةَ لك يا زاني يابنَ الزانية، لا أجيء معك ولا أَدَعُك تجيء معي أيضاً، وشتَمه أقبحَ شتم؛ فخرج الغلام فأدّى إليه / الرسالة؛ فعلم أن هذا لم يتجرّأ عليه إلّا بعدَ توثُّق فخجِل، فقال له: قل له: ومَنْ أكرهك على هذا! إنما أحببتُ أن نصطحبَ ونتأنّس في طريقنا، فإن كَرِهتَ هذا فلا تفعلْه؛ وانصرَفَ ولم يعاوِدْني بعدها.



كان له صوت إذا غناه أخذ بلحيته وبكى:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ عن ابن المكّيّ عن أبيه قال:

كان إسحاق إذا غنّى هذا الصوتَ يأخذ بلِحْيته ويبكي:

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضّ رأسُه ... وثُلِّم تثليمَ الإناء جوانبُه

فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ خَسيسةٍ ... تُباعده طوراً وطوراً تُقاربُه

الشعر لزَبّان بن سَيّار الفَزاريّ، حدّثني بذلك الحَرَميّ بن أبي العَلاء عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه. والغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالوسطى.

جفاه المأمون فأمر هو علويه أن يغنيه بشعر له فرضي عنه:

أخبرنا محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال:

[٥/٣٨٣] / أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني، فكان أوّلَ من تَغَنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع متستّراً متشبّهاً في أوّل أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربعَ حِجَج، ثم ظهر إلى النُّدماء والمغنّين. وكان حينَ أحبّ السماعَ سأل عنّي، فجُرِحتُ بحضرته، وقال الطاعن عليّ: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يَتيه على الخلافة! قال المأمون: ما أبقَى هذا من التيه شيئاً إلا استعمله. فأمسك عن ذكري، وجفاني من كان يصلني، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ؛ فأضرّ ذلك بي؛ حتى جاءني عَلّويه يوماً فقال لي: أتأذَن لي في ذكرك؟ فإنّا قد

دُعينا اليوم؛ فقلت: لا! ولكن غَنِّه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا؛ فإذا سألك انفتح لك ما تريد، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء؛ فقال: هات، فألقيتُ عليه لَحْني في شعري:

صوت

يا سَرْحةَ[1] الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُه ... أمّا إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

لحائمٍ حامَ حتّى لا حِيامَ[2] له ... مُحَلَّأٍ عن طريقِ الماءِ مطرودِ

ـ الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو ـ قال: فمضى عَلّويه، فلما استقرّ به المجلس، غنّاه بالشعر الذي أمرتُه؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا عَلّويه! لمن هذا؟ قال: يا سيِّدي، لعبد من عبيدك جفوتَه واطّرحتَه من غير جُرْم؛ فقال: أإسحاقَ تَعْني؟ قال: نعم؛ قال: يحضر الساعةَ؛ فجاءني رسوله / فصرت [٥/ ٣٨٤] إليه. فلمّا دخلتُ عليه قال: ادنُ فدنوت، فرفع يديه مادَّهما، فانكببتُ عليه، واحتضنني بيديه، وأظهر من برّي وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لَبَرَّه.

غنى المعتضد بشعر له فمدحه:

أخبرني محمد بن إبراهيم الجُرْجاني قُرَيْض قال: قال لي أحمد بن أبي العَلاء:

غنّيت المعتضدَ يوماً وهو أميرٌ صوتَ إسحاق:

يا سرحةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُه ... أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب واستعاده مراراً، وقال: هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمازِجُ اللحمَ والدم.

صوته في شعر له، كان الناس يتهادونه كالطرف:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو العُبَيْس بن حَمْدون قال أخبرني أبي قال:

لمّا غَنّى إسحاقُ في شعره هذا:

١٠٧ / ٥

/ صوت

لأسماءَ رَسْمٌ عفا باللِّوَى ... أقام رَهيناً لطُولِ البِلَى

تَعاوَرَه الدهرُ في صَرْفِه ... بكَرِّ الجديدَيْنِ حتّى عفا

ـ الشعر لإسحاقَ من قصيدة مدَح بها الرشيدَ، والغناء له ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لسُلَيم ثقيلٌ أوّلُ من رواية الهِشَاميّ، وذكر حَبَشٌ أنه لإبراهيمَ بنِ المهديّ ـ قال: فكان الناس يتهادَوْنه كما يتهادَوْن الطُّرْفةَ والباكورةَ. وقال أبو العُبَيْس حدّثني ابن مُخَارِق: أنّ الواثق بعث إلى أبيه مُخارق لمّا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ لِيُلْقيَه عليه، فصادفه عليلاً

---

(١) سرحة الماء: كنى بها هنا عن المرأة، قال الأزهري: «العرب تكنى عن المرأة بالسرحة النابتة على الماء»، واستشهد بهذين البيتين. والمحلأ: المطرود عن الماء، يقال: حلأه عن الماء: إذا طرده ومنعه وروده.

(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «لا حوام له». ولم نجد الحوام مصدراً من مصادر حام. وفي «اللسان» و «مختار الأغاني»: «لا حراك به».

ـ ولم يكن أحد يَلْقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناءِ كما يَلْقَنُه مُخارِق ـ فأعاد إليه الرسولَ ومعه مِخفَّة، وقال: لا بدّ أن يجيء على كلّ حال؛ فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع.

[٥/٣٨٥] / **كان يحب الشجاعة والفروسية وشعر أخيه فيه حين أصابه سهم:**

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثةَ الباهِليّ عن أخيه أبي معاوية:

أنّ إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُروسيّة ويحبّ أن يُنسَبَ إليهما، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول. وكان قد شهِد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكَصَ على عَقِبَيْه؛ فقال أخوه طَيّاب فيه:

وأنـــت تكلّفـــتَ مـــا لا تُطيـــق ... وقلـــتَ أنـــا الفـــارسُ المَـــوْصِلِـــي
فلمّـــا أصـــابتـــك نُشّـــابـــةٌ ... رجعـــتَ إلـــى سنّـــك[١] الأوّل

حديث حمزة الزيات معه:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال:

قال حمزة الزيّات القارىء[٢]: يا موصليّ، إنّ لي فيك رأياً، أفترضَى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطْعَم على مَطْعَم!.

شعر الأصمعي أو ابن المنذر العروضي فيه:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السُّكّري قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق:

أنـــتَ تَغنّيـــتَ للشّـــربِ الكـــرامِ «ألا ... ردّ الخليـط جمـالَ الحـيّ فـانفـرقـوا»
وقيـــل أحسنـــتَ فـــاستـــدعـــاك ذاك إلـــى ... مـا قلـتَ ويحـك لا يَـذهَـبْ بـك الخَـرَقُ
وقيـــل أنـــت حُسَـــانُ النـــاسِ كلّهـــمُ ... وابـنُ الحُسـانِ فقـد قـالـوا وقـد صـدَقـوا
فمـــا بهـــذا تقـــوم النـــادبـــاتُ ولا ... يُثْنَـــى عليـــك إذا مـــا ضَمّـــك الخِـــرَقُ

قال يحيى بن عليّ: إنّ هذه الأبيات تُرْوَى لابن المُنْذِر العَرُوضيّ وللأصمعيّ.

[٥/٣٨٦] / **فسد ما بينه وبين الأصمعي وسبب ذلك ونتائجه وشعره فيه:**

قال مؤلف هذا الكتاب: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فهجاه إسحاق وثلَبه وكشَف للرشيد معايبَه، وأخبره بقلّة شكره وبُخْله وضِعَة نفسه وأنّ الصّنيعةَ لا تَزْكُو عنده، ووصف له أبا عُبَيدة

---

(١) كذا في الأصول. ولعله محرف عن: «إلى شأنك» ونحوه مما يستقيم به الكلام.

(٢) يلاحظ أن حمزة الزيات القارىء (صاحب قراءة القرآن المعروفة) توفي سنة ست وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور بمدينة حلوان وهي في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل (كما في كتاب «الطبقات الكبير في الكوفيين» لابن سعد ـ ج ٦ ص ٢٦٨ طبع مدينة ليدن سنة ١٣٢٥ هـ و «فهرست ابن النديم» ص ٢٩ طبع أوروبا و «تاريخ ابن خلكان» ج ١ ص ٢٣٥ طبع بولاق) وأن إسحاق الموصلي ولد سنة خمسين ومائة، فكيف يعقل أن يكون بينهما مثل هذا الحديث وإسحاق في هذه السن.

مَعْمَر بنَ المُثَنّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الرَّبيع واستعان به؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأصمعيّ وأسقطه عندهم، وأنفذوا إلى أبي عُبَيدة مَنْ أقدمه.

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس:

كأنه في الجُلِّ[(١)] وهو سامي ... مُشتمِلٌ[(٢)] جاءَ من الحَمّامِ

/ يَسُور[(٣)] بين السَّرْج واللِّجامِ ... سَوْرَ القَطَامِيّ[(٤)] إلى اليَمامِ

١٠٨
٥

قال: ودخل الأصمعيّ فسمعني أُنشدها، فقال: هاتِ بقيّتها؛ فقلت له: ألم تقل إنه لم يبق منها شيء؟ فقال: ما بقي منها إلّا عيونها، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها، فغاظني فعله؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة[(٥)] وبخلَه بما عنده؛ ووصفتُ له فضلَ أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لما عنده واشتمالَه على جميع علوم العرب، ورَغَّبتُه فيه، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة.

أخبرني عمّي قال حدّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال:

/ جاء عطاءُ المُلْك بجماعة من أهل البَصْرة إلى قُرَيْب أبي الأصمعيّ، وكان نَذْلاً من الرجال، فوجده ملتفّاً في كِسائه نائماً في الشمس، فركضه برجله وصاح به: يا قُرَيْب، قم ويلك! فقال له: هل لقيتَ أحداً من أهل العلم قطّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدِّثين؟ قال: لا والله؛ قال: ولا سمعتَ شيئاً تَرويه لنا أو تُنشدناه أو نكتبه عنك؟ قال: لا والله؛ فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعيّ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه، لا يَقُلْ لكم غداً أو بعده: حدّثني أبي أو أنشدني أبي؛ ففضحه. قال الفضل: ثم مرض الأصمعيّ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصليّ انفرجتْ؛ فعاده أبو رَبيعة، وكان يرغب في الأدب ويَبَرّ أهلَه؛ فقال له الأصمعيّ: أقرِضْني خمسة آلاف درهم؛ فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأيّ شيء تشتهي سوى هذا؟ فقال: أشتهي أن تُهدي إليّ فصّاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبِرْذَوْناً[(٦)] حسناً وسرجاً مُحَلًّى؛ فقال: أفعل، وبعث بذلك إليه لمّا عاد إلى منزله. وبلغ ذلك إسحاق فقال:

[٥/ ٢٨٧]

أليس من العجائب أنّ قِرْداً ... أُصَيْمِعَ باهِليّاً يستطيلُ

ويزعُم أنه قد كان يُفتي ... أبا عمرٍو[(٧)] ويسأله الخليلُ[(٨)]

(١) الجل للدابة: كالثوب للإنسان تصان به. وقد وردت هذه الكلمة في ب، س: «الحل» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.
(٢) اشتمل الرجل: تلفف بثوبه وأداره على جسده كله.
(٣) يسور: يثب ويثور.
(٤) القطامي (بفتح أوّله ويضم): الصقر.
(٥) العارفة: المعروف.
(٦) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «برذوناً». والشعر الآتي يؤيد ما أثبتناه.
(٧) هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والأدب، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين؛ قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر؛ وكان من أشراف العرب ووجهائها، مدحه الفرزدق ووثقه يحيى بن معين وغيره. مات سنة أربع وقيل: سنة تسع وخمسين ومائة.
(٨) هو الخليل بن أحمد اللغوي النحوي العروضي، الذي ابتدع علم العروض. مات سنة سبعين ومائة وقيل: سنة خمس وسبعين.

إذا ما قال قال أبي عجِبْنا لِما يأتي به ولِما يقولُ
وما إن كان يَدْرِي ما دَبِيرٌ[١] أبوه إن سألتَ وما قَبِيلُ
[٣٨٨/٥] / وجَلَّلَه عطاءُ المُلْكِ عاراً تزول الراسياتُ ولا يزولُ
نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهْدِي وبعضُ النصح أحياناً ثقيلُ
فقل لأبي رَبيعةَ إذ عصاني وجارَ به عن القصد السبيلُ
لقد ضاعتْ برودُك فاحتسِبْها[٢] وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ
وسرجٌ كان للبِرذَوْنِ زَيْناً له في إثره جَزَعاً صهيلُ
وأمّا الخمسةُ الآلافِ فاعلم بأنّك غَبْنَها لا تستقيلُ
وأنّ قضاءها فتَعَزَّ عنها سيأتي دونه زمنٌ طويلُ

أعجبته وصيفة عند الواثق فأنشده شعراً للمرار وغناه فيه فوهبها له:

حدّثني محمد بن مَزْيد قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كنت جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنها خُوطُ بانٍ، أحسنُ مَنْ رأته عيني قطُّ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأيديهن المَذَابُّ[٣] والمناديل ونحوُ ذلك، فنظرتُ إليها نَظَر / دَهِشٍ وهو يَرْمُقُني. فلمّا تبيّن إلحاحَ نظري قال: مالكَ يا أبا محمد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ فيك! فتلجلجتُ؛ فقال لي: رمتْك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك!؛ فقلت: غيرُ ملوم؛ فضحك ثم قال: أنشدْني في هذا المعنى؛ فأنشدتُه قولَ المَرّار[٤]:

أَلِكْنِي[٥] إليها عَمْرَكَ اللّهَ يا فتى بآيةِ ما قالت متى هو رائحُ
وآيةِ ما قالت لهنّ عَشِيّةً وفي السِّتر حُرّاتُ الوجوه مَلاَئحُ
[٣٨٩/٥] / تَخَيَّرْنَ أرماكُنّ فارمينَ رميةً أخا أسدٍ إذ طرّحتْه[٦] الطوارحُ
فلَبِّسْنَ مِسْلاَسَ الوِشاحِ كأنها مَهَاةٌ لها طِفلٌ بِرُمّانَ راشِحُ[٧]

فقال له الواثق: أحسنتَ بحياتي وظَرُفتَ، اصنع فيها لحناً؛ فإن جاء كما نريد وأطربَنا فالوصيفةُ لك؛ فصنعتُ

(١) يقال: فلان لا يعرف ما قبيله وما دبيره: أي لا يعرف ما قدامه وما خلفه.
(٢) في أكثر الأصول: «فاحتبسها» بتقديم الباء على السين، والتصويب عن حـ.
(٣) المذاب: جمع مذبة وهي ما يذب به كالمروحة.
(٤) هو المرار بن سعيد الفقعسي وله ترجمة في الجزء التاسع من هذا الكتاب (ص ١٥٨ طبع بولاق).
(٥) ألكني إلى فلان: أبلغه عني وتحمل إليه رسالتي.
(٦) صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته «طوّحته الطوائح». وطوّحته الطوائح: قذفته القواذف ورمت به الحوادث، ولا يقال المطوّحات وهو من النوادر.
(٧) تصر الرمان: بنواحي واسط القصب، وهي التي خر بها الحجاج وسمي باسمها «واسط الحجاج». والراشح: الصغير إذا قوي ومشي مع أمه وسعى خلفها، ويقال لأمه: راشح أيضاً ومرشح (من أرشح) ومرشح (من رشح بالتضعيف).

فيه لحناً وغنّيته إيّاه، فاصطبح عليه وشرب بقيّةَ يومه وليلته حتى سكِر، [و][1] لم يقترح عليّ غيرَه، وانصرفتُ بالجارية.

غنى الواثق وهو لقس النفس فأطربه:

حدّثني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال:

دخلت على الواثق يوماً وهو خاثر[2] النفس، فأخذتُ عوداً من الخِزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته:

مـن الظبـاءِ ظبـاءٌ هَمُّهـا السُّخُـبُ[3]	تـرعَـى القلـوبَ وفـي قلبـي لهـا عُشُـبُ
أهـوَى الظبـاءَ اللـواتـي لا قُـرونَ لهـا	وحليُهـا الـدُّرُّ واليـاقـوتُ والـذهـبُ
لا يَغْتَـربْـنَ ولا يسكُـنَّ بـاديـةً	وليـس يَعْـرِفـن مـا صَـرٌّ[4] ولا حَلَـبُ
وفـي الـذيـن غَـدَوْا، نفسـي الفداءُ لهـم	شمـسٌ تَبَـرقـعُ أحيـانـاً وتَنتقـبُ
يـا حسـنَ مـا سَـرَقـتْ عينـي ومـا انتهبـتْ	والعيـنُ تَسـرِق أحيـانـاً وتنتهـبُ
إذا يـدٌ سَـرَقـتْ فـالقطـعُ يلـزمهـا	والقطـعُ فـي سَـرَقِ العينيـن[5] لا يجـبُ

/ قال: فهَشّ إليّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم. [و] أخبرني به [٥/ ٣٩٠] الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرويه عن عليّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكَرْخيّ عن إسحاق، فذكر مثلَه؛ وقال فيه: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة فاشترى ذلك منه بمال:

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني [عُبيد الله بن][6] عبدالله بن طاهر عن أخيه محمد قال:

كان إسحاق الموصليّ يدخل في مُبَطَّنة وطَيْلَسان مثل زِيّ الفقهاء على المأمون؛ فسأله أن يأذَن له في دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أسود؛ فتبسّم المأمون وقال له: ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ، وأمر بحملها إليه فحُملت.

كان أبو خالد الأسلمي يمدحه ويقدم شعره:

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني عُبيد الله بن عبدالله قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أبي خالد الأسْلَميّ:

أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضّله ويعظّم شأنه ويقدّمه في الشعر تقديماً مُفرِطاً، فقال: ما قولكم في رجل محدَث تَشَبَّه بذي الرُّمّة وقال على لسانه شعراً وغنّى فيه ونَسَبه إليه، فلم يَشكُكْ أحدٌ سمعه أنه له ولا فَطِن لما فعل

---

(١) التكملة عن حـ.

(٢) خاثر النفس: ثقيلها غير طيب ولا نشيط.

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٥٥ من هذا الجزء.

(٤) في أ، ء، م: «ما ضرع». وكذلك وردت في جميع الأصول فيما مضى.

(٥) في أ، ء، م: «في سرق بالعين».

(٦) هذه الكلمة ساقطة في ب، س سهواً من الطابع.

أحد إلاّ مَنْ حَصَّل شعرَ ذي الرمّة كلّه ورواه؛ فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال:

١١٠/٥

/ ومَـدْرَجـةٍ[1] للـريـح تَيْهـاءَ لـم تكـن ... لِيَجْشَمَهـا زُمَّيْلـةٌ غيـرُ حـازم
يَضِـلّ بهـا السـارِي وإن كـان هـاديـاً ... وتَقْطَـعُ أنفـاسَ الـريـاح النـواسـم

[٣٩١/٥]

/ تَعَسَّفـتُ أَفْـرِي جَـوْزَهـا[2] بشِمِلَّـةٍ ... بعيـدةِ مـا بيـن القَـرَا والمَنَـاسـم
كـأنّ شِـرَارَ المَـرْوِ[3] مـن نَبْـذِهـا بـه ... نجـومٌ هَـوَتْ أخـرى[4] الليـالـي العـواتـم

غنى المأمون بشعر في اللذات فردّ عليه:

حدّثني عمّي وأحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال:

غنّيتُ المأمون يوماً هذين البيتين:

لأحسـنُ مـن قَـرْعِ المَثـانـي ورجعِهـا ... تَـوَاتُـر صـوتِ الثغـر يُقـرَعُ بـالثغـرِ
وسكـرُ الهـوى أروَى لعظمِـي ومَفصِلـي ... من الشُّرب في الكاسات من عاتق الخمر

فقال لي المأمون: ألاَ أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن؟ الفراغُ والشباب والجِدَة.

أعتق غلامه فتحاً لحسن جوابه:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال:

كان لإسحاق غلام يقال له فَتْح، يستقي الماءَ لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً؛ فقال إسحاق: قلت له يوماً: أيّ شيء خبرُك يا فتح؟ قال: خبري أنه ليس في هذه الدار أحدٌ أشقى منّي ومنك؛ قلت: وكيف ذلك؟ قال: أنت تُطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء؛ فاستظرفتُ قوله وضحكتُ منه، [ثم] قلت له: فأيَّ شيء تحبُّ؟ قال: تُعتقني وتَهب لي البغلين أستقي عليهما؛ فقلت له: قد فعلت.

شعره في أبي البصير وكان يدّعي الغناء بغير علم:

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَديّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال:

كان لأبي البَصير الشاعر قِيانٌ، وكان يتكلّم في الغناء بغير علم ولا صواب فيُضْحَك منه، فقال أبي فيه:

[٣٩٢/٥]

/ سكـتُّ عـن الغنـاء فمـا أُمـارِي ... بصيـراً لا ولا غيـرَ البصيـرِ
مخـافـةَ أن أُجَـنّ فيـه نفسـي ... كمـا قـد جُـنَّ فيـه أبـو البصيـر

نهاه الرشيد عن الغناء إلا له أو لجعفر بن يحيى وقصته مع الفضل في ذلك:

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

---

(١) المدرجة: الطريق. والتيهاء: المفازة التي لا يهتدي فيها. والزميلة: الضعيف الجبان.
(٢) جوز الشيء: وسطه ومعظمه. والشملة: الناقة السريعة. والقرا: الظهر. والمناسم: الأخفاف.
(٣) المرو: حجارة بيض رقاق برّاقة.
(٤) في أ، ء، م: «إحدى الليالي».

نهاني الرشيدُ أن أغنّي أحداً غيرَه، ثم استوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذَن لي في أن أُغنّيه ففعل، واتّفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيدُ يومئذ يَعقِب علّة قد عُوفِي منها وليس يشرَب؛ فقال لي الفضل: انصرفْ إليّ الليلة حتى أَهَبَ لك مائة ألف درهم؛ فقلت له: إنّ الرشيد[1] قد نهاني ألاّ أغنّي إلاّ له أو لأخيك، وليس يخفى عليه خبري، وأنا متّهم عنده بالميل إليكم، ولست أتعرّض له ولا أعرّضك، ولم أُجِبْه. فلمّا نكَبهم الرشيد قال: إيهِ يا إسحاق، تركتني بالرَّقّة وجلستَ ببغداد تغنّي للفضل بن يحيى! فحلفتُ بحياته أنّي ما جالستُه قطُّ إلاّ على المذاكرة والحديث، وأنه ما سمعني قطّ أغنّي إلا عند أخيه جعفر، وحلفت بتربة المهديّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَنْ في الدار من نسائه؛ فسأل عنه فحدّثنَه بمثل ما ذكرتُه له، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتُها عليه. فلما دخلت عليه ضحِك إليّ ثم قال: قد سألتُ عن أمرك فعَرفتُ منه مثل ما عرّفتني، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل.

تحدث بحديث لا إسناد فيه وسئل عن ذلك فأجاب:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول: الإسناد قيدُ الحديث؛ فتحدّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له، فسئل عن / إسناده، فقال: هذا من المُرْسَلاَتِ عُرْفاً.

١١١/٥

/ **أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه:**

[٩٣/٥]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون عن أبيه، وحدّثني عمّي عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك عن إسحاق قال: أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبي الحَجْناء نُصَيْبٍ مولى المهديّ فيهم:

صـوت

عنـد الملـوكِ مَضَـرّةٌ ومنـافـعٌ ... وأرى البَـرَامِـكَ لا تَضُـرُّ وتنفـع

إنّ كـان شـرٌّ كـان غيـرُهـم لـه ... أو كـان خيـرٌ فهـو فيهـم أجمـع

إنّ العـروقَ إذا استَسـرّ[2] بهـا الثّـرَى ... أَشِـرَ[3] النبـاتُ بهـا وطـابَ المَـزْرَعُ

فـإذا جُهِلْـتَ مـن امـرىء أعـراقُـه ... وقـديمُـه فـانظـر إلـى مـا يصنـع

قال فقال: كأنّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ، قد كنا وصلْناه بثلاثين ألف درهم، وإذاً نُجَدِّدُ له الساعةَ صلةً له ولك معه لحفظك الأبياتَ؛ فوصلَنا بثلاثين ألفَ درهم.

عتب عليه المأمون في شيء فاسترضاه بشعر:

وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمّاز قال:

عتَب المأمونُ على إسحاق في شيء؛ فكتب إليه رُقعةً وأوصلها إليه من يده؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه:

---

(١) في أ، حـ، م: «إنه الرشيد وقد نهاني».
(٢) استسر: خفي.
(٣) أشر النبات: مرح وطال.

لا شيءَ أعظمُ من جُرْمي سوى أملي ... لحسن[١] عفوك عن ذنبي وعن زَلَلي

فإنْ يكن ذا وذا في القَدْر قد عَظُما ... فأنت أعظمُ من جُرْمي ومن أملي

فضحِك ثم قال: يا إسحاقُ، عذرُك أعلى قدراً من جُرمك، وما جال بفكري، ولا أُخطِرْتُهُ[٢] بعد انقضائه على ذكري.

[٥/٣٩٤] / ما كان بينه وبين ابن بانة في مجلس الواثق وقصيدته في ذمه ومدح الواثق:

حدّثني عمّي قال حدّثني يزيد بن محمد المهلّبيّ قال:

خرجنا مع الواثق إلى القاطُول[٣] للصيد، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلّويه ومُخارِق وعَقِيد، وقدِم إسحاقُ في ذلك الوقت فأخرجه معه؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً، ثم أمَر بالبُكور إلى الصَّبُوح فباكرْنا واصطبحْنا. فغنَّى عمرُو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصليّ:

صوت

بلوتُ أمورَ الناس طُرًّا فأصبحتْ ... مُذَمَّمةً عندي بَرَاءً من الحمدِ

وأصبح عندي من وَثِقتُ بغَيْبه ... بَغِيضَ الأيادي كلُّ إحسانه نَكْدُ[٤]

ـ ولحنه خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى ـ فغنّاه على ما أخذه من إبراهيمَ بن المهديّ وقد غيّره. فقال الواثق لإسحاق: أتعرف هذا اللحنَ؟ فقال: نعم، هذا لحنُ أبي ولكنّه مما زعمَ إبراهيمُ بن المهديّ أنه جَنْدَره وأصلحه فأفسده ودَمَر[٥] عليه؛ فقال له: غَنِّه أنت، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدّاً؛ فغمّ ذلك عمرَو بن بانة فقال لإسحاق: أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهديّ حتّى تقول هذا فيه!؛ قال: لا والله ما أنا مثله، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه، وليس هذا مما نحن فيه؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه! ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلاً عن أن تغنّي، ولا قمتَ بأداء غناءٍ فضلاً عن أن تميّز بين المحسنين؛ وإلاّ فغنِّ أيَّ صوت شئت مما أخذتَه / عنه وعن غيره [٥/٣٩٥] كائناً مَنْ كان، فإن لم أُوضح لك ولمن حضر أنه لا يَسْلَم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفساد صنعةٍ فدمى به رهنٌ؛ فأساء عمرو الجوابَ / وأغلظ في القول؛ فأمضّه الواثق وشتَمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأُقيم. فلمّا كان من الغد [١١٢/٥] دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده:

ومجلسٍ باكرتُه بُكورا ... والطيرُ ما فارقتِ الوُكُورا

والصبحُ لم يَستنطقِ العُصفورا ... على غَديرٍ لم يكن دُعْثُورا[٦]

---

(١) في أ، ء، م: «وحسن...».

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أحضرته».

(٣) القاطول: اسم نهر يأخذ من دجلة في الجانب الشرقي، حفره كسرى أنوشروان العادل. وهو اسم نهر آخر أيضاً كان حفره الرشيد في موضع «سر من رأى» قبل أن يعمرها المعتصم، وكان يأخذ من دجلة أيضاً.

(٤) النكد (بالفتح وبالضم): قلة العطاء وألا يهنأه من يعطاه. وفي هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الرويّ.

(٥) يقال: دمر عليه (من باب نصر) دمراً ودموراً إذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشرّ.

(٦) الدعثور: الحوض المثلم، وقيل: هو الحوض الذي لم يتنوّق في صنعته ولم يوسع.

لم تَرَ عيني مثلَه غديرا … يجري حَبابُ مائه مَسْجُورا(١)

على حصى تَحْسَبُه كافورا … تسمع للماء به خَريرا

يَنْسِجُ أعلى مَتْنِه سطورا … نسيمُ ريحٍ قد وَنَتْ فُتورا

حتى تخالَ متنَه حَصيرا … والشَّرْبُ قد حَفُّوا به حُضورا

وأمروا الساقيَ أن يُديرا … كأسَهُمُ الأصغرَ والكبيرا

وأعملوا البَمَّ معاً والزِّيرا … وجاوبت عيدانُهم زَميرا

وقرّبوا المُغَنّيَ النِّحْريرا … مُقَدَّماً في حِذْقه مشهورا

فهم يطيرون به سرورا … ولا ترى في شُربهم تقصيرا

ولا لِصفو عيشهم تكديرا … ولا لخُلْقٍ منهمُ نظيرا

إلاّ رُجَيْلاً منهمُ سِكّيرا … مُعَرْبِداً مُوَضَّحاً شِرّيرا

مُدَّعِياً للعلم مستعيرا … يروم سعياً كاذباً مغرورا

وأن يكون عالماً بصيرا … مُفَضَّلاً بعلمه مذكورا

غَمَزْتُه ولم يكن صَبورا … فعاذ منّي هارباً مذعورا

[٥/٢٩٦]

/ بمعسرٍ تحسَبُهم حَميرا … أشدّ منهم حُمُقاً كثيرا

لا ينطِقون الدهرَ إلا زُورا … حتى إذا كَسَّرتُه تكسيرا

كالليث لمّا ضَغَمَ(٢) الخِنْزيرا … وَلّى انهزاماً خاسئاً مدحورا

معترفاً بذُلّه مقهورا … وكنتُ قِدماً ضيغماً هَصُورا

معتلياً لقِرْنه عَقُورا … وما أخاف الزمنَ العَثُورا

إذ كنتُ بالواثق مستجيرا … قد عَزَّ مَنْ كان له نصيرا

إمامُ عَدلٍ دَبَّرَ الأُمورا … برأيه ولم يُرِدْ مُشيرا

ترى من الحقّ عليه نورا … تَقَبَّلَ(٣) المَهْدِيَّ والمنصورا

وَجَدَّه الأدنى تُقًى وخِيرا … وَرَّثَه المعتصمُ التدبيرا

فأصبح الملك به مُنيرا … وأصبح العدلُ به منشورا

قد أمِنَ الناسُ به المحظورا … إذا علا المِنْبَرَ والسَّريرا

رأيت بدراً طالعاً منيرا … بحراً ترى الغَنِيَّ والفقيرا

(١) المسجور: المنظوم المسترسل.

(٢) ضغمه: عضه ملء فيه.

(٣) تقبل الرجل أباه: أشبهه.

يرجون منه نائلاً غزيرا والله لا زلت له شكورا

لا جاحد النُّعمى ولا كفورا وكنت بالشكر له جديرا

١١٣/٥ / أنشده الأصمعي جملة أشعار في الفروسية:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون قال: سمعت إسحاقَ يقول:

أنشدني الأصمعيّ قولَ الأعشى:

إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

ثم قلت له: أيَّ شيء تحفظ في هذا المعنى؟ ـ وكان مع بخله بالعلم لا يبخَل بمثل هذا ـ فأنشدني لرَبيعة بنِ مَقْروم الضَّبِّيّ:

[٣٩٧/٥] / ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرَادِها[1] بسَليمِ أوْظِفَةِ[2] القوائم هَيْكَلِ

فدعَوْا نَزَالِ[3] فكنت أوّلَ نازل وعلامَ أركبُه إذا لم أنزِلِ

سر لغناء ملاحظ ومدحها بشعر:

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني عبدالله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال:

اجتمعنا يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصلي وعندنا ملاحظُ تُغنِّينا وقد قامت الصلاة، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال: فيم كنتم ومَنْ عندكم؟ فأخبرناه بخبرها؛ فقال: لا تُعرِّفوها من أنا فيُخرِجها التصنُّع لي والتحفّظ منّي عن طبعها، ولكن دعوها وهواها حتّى ننتفعَ بها؛ وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلستْ كما كانت أوّلاً، وابتدأت وغنّت ـ والصنعة لفُلَيح بن [أبي][4] العَوْراء، ولحنُه رَمَلٌ. هكذا أخبرنا إسحاق أن الغناء لفليح ـ:

صوت

إني تَعلَّقتُ ظبياً شادناً خَرِقاً عُلِّقْتُه شِقْوةً منّي وما عَلِقَا

قال: فطرب إسحاق وشرب حتى والَى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب:

(١) أراد بالخيل الفرسان لا الأفراس، ألا ترى أنه قال: يوم طرادها. والطراد من الفرسان: حمل بعضهم على بعض، وعلى هذا ما روى عن النبيّ ﷺ: «يا خيل الله اركبي». (راجع «شرح أشعار الحماسة» للتبريزي ص ٢٨ طبع أوروبا).

(٢) الأوظفة: جمع وظيف وهو ما فوق الحافر من الفرس. ولكل ذي أربع ثلاثة مفاصل في رجليه: الفخذ والساق والوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف. وفي يديه ثلاثة مفاصل: العضد والذراع والوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف. (راجع «شرح أشعار الحماسة» للتبريزي). والهيكل: الضخم.

(٣) نزال (مثل قطام): بمعنى أنزل وهو معدول من المنازلة لا بمعنى النزول إلى الأرض. هكذا ذكره صاحب «اللسان» واستشهد بهذين البيتين.

(٤) سقطت هذه الكلمة من الأصول هنا سهواً من النساخ.

/ سأشرب ما دامت تغنّي ملاحظ وإن كان لي في الشَّيب عن ذاك واعِظُ [٥/٣٩٨]

ملاحظُ غنّينا بعيشك وليكن عليك لما استحفظتُه منك حافظ

فأُقسم ما غنّى غِناءَك مُحسِنٌ مُجيدٌ ولم يَلْفِظ كلَفْظك لافظ

وفي بعض هذا القولِ منّي مَساءةٌ وغيظٌ شديد للمغنّين غائظ

حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره:

أخبرني الحسن[1] بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني إسحاق قال:

قال لي الرشيد يوماً: بأيّ شيء يتحدّث الناس؟ قلت: يتحدّثون بأنك تَقبِضُ على البرامكة وتُولّي الفضلَ بن الرَّبيع الوزارةَ؛ فغضب وصاح بي: وما أنت وذاك وَيْلَك! فأمسكتُ. فلمّا كان بعدَ أيامٍ دعا بنا؛ فكان أوّل شيء غنّيته:

صوت

إذا نحن صَدّقْناكَ فضَرّ عندك الصدقُ

طلبنا النفعَ بالباطِـ ـلِ إذ لم يَنفع الحقُّ

فلو قَدَّم صبًّا في هواه الصبرُ والرِّفقُ

لقُدّمتُ على الناس ولكنّ الهوى رزقُ

ـ / في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع، والصحيح أنه لإسحاق. وقيل: إن الشعر لأبي العتاهية ـ. قال: فضحك الرشيد وقال لي: يا إسحاق، قد صِرتَ حَقُوداً. [١١٤/٥]

غنى هو وعلويه ومخارق عند المعتصم فأجازهما دون مخارق:

أخبرني الحسن قال حدّثنا يزيد بن محمد قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

/ دخلتُ على المعتصم يوماً بسُرَّ مَنْ رأى، فإذا الواثقُ بين يديه وعنده عَلّويه ومُخارِقٌ؛ فغنّاه مخارق صوتاً [٥/٣٩٩] فلم ينشَط له، ثم غناه عَلّويه فأطربه. فلما رأيتُ طربَه لغناء عَلّويه دون غناء مُخَارِق اندفعتُ فغنّيته لحني:

صوت

تَجَنَّبتَ ليلَى أن يَلِجَّ بك الهوى وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لي بألف دينار ولعَلّويه بخمسمائة دينار، ولم يأمر لمخارق بشيء.

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الحسين» وهو تحريف.

نسبة هذا الصوت

صوت

تَجَنَّبْتَ ليلَى أن يَلِجَّ بكَ الهوى ... وهيهاتَ كانَ الحبُّ قبلَ التجنُّبِ

ألاَ إنَّما غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ ... صَدًى أينما تذهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

الشعر للمجنون. والغناءُ لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وغنّى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هَزَجاً بالبنصر. والبيتان المضافان:

بَرَى اللَّحمَ عن أحناءِ عظمي ومَنْكِبي ... هَوًى لسُلَيمى في الفؤاد المعذَّبِ

وإنّي سعيدٌ أنْ رأتْ لكِ مرّةً ... من الدّهر عيني منزلاً في بَنِي أبي

غنى علويه الواثق بلحن لإسحاق فأجازهما:

أخبرنا الحسن بن علي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال:

غنّى عَلّويه بين يدَي الواثق يوماً:

[٥/٤٠٠]

/ صوت

خليلٌ لي سأهجُرُه ... لذنبٍ لستُ أذكُرُه

ولكنّي سأرعاه ... وأكتُمه وأستُره

وأُظهِرُ أنّني راضٍ ... وأسكُتُ لا أُخَبِّرُه

لكي لا يعلمَ الواشي ... بما عندي فأكْسِرُه

ـ الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى ـ قال: فطرِب الواثقُ طرباً شديداً، واستحسن اللحن، وأمر لعَلّويه بألف دينار؛ ثم قال: أهذا اللحنُ لك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، هو هذا لهذا الهِزَبْرِ[1] (يعني إسحاق) ـ قال: وكان إسحاقُ حاضراً ـ فضحِك الواثق وقال: قد ظلمناه إذاً، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم.

عارض ثقيلاً لابن سريج بهزج له:

أخبرنا عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبدالله بن خُرْدَاذْبَه عن أبيه قال:

كان إسحاق عند الفَتْح بن الحَجّاج الكَرْخِيّ وعَلّويه حاضرٌ؛ فغنّاه عَلّويه:

[١١٥/٥]

/ صوت

عَلِقْتُكِ ناشئاً حتّى ... رأيتِ الرأسَ مُبْيَضّاً

على يُسْرٍ وإعسارٍ ... وقَبْضِ نوالِكم قَبْضاً[2]

---

(١) في حـ: «الهربذ». ومن معاني الهربذ: عالم الهند.

(٢) في م: «وقبض نوالكم قبضاً» بالقاف والباء الموحدة.

ألا أحبِـــــب بــــــأرضٍ كنـ ـــــتِ تحتلِّينَهـــــا أرضـــا
وأهلُــــكِ حبّــــذا مـــا هــــم وإن أبـــدَوْا لِـــيَ البُغضـــا

/ ـ الشعر لابن أُذَينة. والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ [٥/٤٠١] مطلقٌ في مجرى البنصر، عن إسحاق أيضاً. وفيه للأبجَر ثقيلٌ أوّلُ، ولإبراهيمَ الموصليّ رَمَلٌ، جميعُ ذلك عن الهشاميّ ـ. قال فغنّاه إيّاه في الثَّقيل، ثم غنّاه هَزَجاً؛ فقال له الفتحُ؛ لمَنِ الثقيلُ؟ فقال: لابن سُرَيج، قال: فلِمَنِ الهَزَجُ؟ قال: لهذا الهِزَبْر[١] (يعني إسحاق)؛ فقال له الفتحُ: وَيْلَكَ يا إسحاق! أتُعارِضُ ثقيلَ ابن سُرَيج بهَزَجِكَ؟! قال: فقبَض إسحاقُ على لحيته ثم قال: على ذلك فوالله ما فاتني إلّا بتحريكه الذَّقَنَ.

أخطأ المعتصم في شعر لأبي خراش فصوّبه له:

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:

دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعَب، واستدناني فدنوتُ منه، واستدناني فتوقَّفتُ خوفاً من أن أكون مُوازِياً في المجلس لإسحاق بن إبراهيم؛ ففَطِن المعتصمُ فقال: إنّ إسحاق لكريمٌ، وإنك لم تَستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه. ثم تحدّثنا وأفضتْ بنا المذاكرةُ إلى قول أبي خِرَاش الهُذَليّ:

حَمِــدتُ إلَهــي بعــد عُــروَةَ إذ نجــا خِراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ[٢]

فأنشدها المعتصمُ إلى آخرها، وأنشد فيها:

ولـــم أدْرِ مَــــنْ ألقَـــى عليـــه رِداءَه سوى أنه قد حُطّ[٣] عن ماجدٍ مَحْضِ

/ والروايةُ «قد بُزّ عن ماجد محض»؛ فغلِطتُ[٤] وأسأتُ الأدبَ، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه رواية الكُتّاب [٥/٤٠٢] وما أُخِذ عن المعلِّم؛ والصحيح «بُزّ عن ماجد محض»؛ فقال لي: نعم صدقتَ، وغَمزني بعينه، يحذّرني من إسحاق؛ وفَطِنتُ لغلَطي فأمسكتُ، وعلمتُ أنه قد أشفق عليّ من بادرة تبدُر من إسحاق؛ لأنه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيل حبسَه، كائناً من كان؛ فنبّهني ـ رحمه الله ـ على ذلك حتى أمسكتُ وتنبّهت.

غنى المأمون ثلاثين صوتاً من أهزاج القدماء:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال عُبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة:

كنّا عند المأمون، فقال: ما أقلَّ الهَزَجَ في الغناء القديم!؛ وقال إسحاق: ما أكثره! ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتاً

(١) في أ، حـ، م: «الهربذ» (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٠٠ من هذا الجزء).
(٢) هذان البيتان من قصيدة لأبي خراش الهذليّ يرثي بها أخاه عروة بن مرة ويذكر نجاة خراش ابنه. وكان من أمرهما أن خرجا مغيرين فأسرا فقتل عروة، وقيض لخراش من ألقى عليه رداءه وهيأ له أسباب الهرب. والقصيدة مذكورة في أوّل باب المراثي من «ديوان الحماسة» لأبي تمام و «الأغاني» (ج ٢١ ص ٦٣ طبع أوروبا) و «أمالي القالي» (ج ١ ص ٢٧١ طبع دار الكتب المصرية). وفي «شرح التبريزي لديوان الحماسة» و «الأغاني» بيان مستفيض لقصة عروة وخراش فراجعهما.
(٣) رواية الحماسة: «على أنه قد سل».
(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «فغلط وأسأت...».

في الهَزَج القديم. فقلت لأصحابي: هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية!.

أثنى عليه العباس بن جرير:

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي عن إسحاق قال:

قال لي العباس بن جَرير: قاتَلَك الله! مذكَّرُ فِطْنةٍ، ومؤنَّث طبيعة، ما أمكرك!.

أنشد بعض الأعراب شعراً له فمدحه:

حدّثنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال:

أنشدتُ بعضَ الأعراب شعراً لي أقول فيه:

أَجَرَتْ سوابقُ دمعِك المُهْرَاقِ ... لمّا جرى لك سانحٌ بفِرَاقِ

إنّ الظعائنَ يومَ ناصِفةِ[1] اللِّوَى ... هاجتْ عليك صبابةَ المُشتاق

/ لم أنْسَ إذ ألْمَحْنَنَا في رِفْقةٍ ... منهنّ بيضَ ترائبٍ وتَرَاقِ

وأشَرْنَ إذ ودَّعْنَنا بأنامِلٍ ... حُمْرٍ كهُدّاب الدِّمَقْسِ رِقاقِ

ورَمَتْك هندٌ يوم ذاك فأقْصَدَتْ[2] ... بأغرَّ عذبٍ باردٍ بَرّاق

وتنفّست لمّا رأتك صبابةً ... نَفَساً تصعَّد في حَشًى خَفّاق

ولقد حَذِرتُ فما نجوت مُسَلَّماً ... حتى صُرِعتُ مَصارعَ العُشّاق

إن الخلافة أُثبتتْ أوتادُها ... لمّا تحمّلها أبو إسحاق

مَلِكٌ أغرُّ يلوح فوق جَبينه ... نورُ الخلافة ساطعَ الإشراق

كُسِيَ الجلالَ مع الجمال وزانَه ... هَدْيُ[3] التُّقَى ومكارمُ الأخلاق

صَحَّتْ عروقُك في الجياد وإنما ... يجري الجوادُ بصحّة الأعراق

ذخَر الملوكُ فكان أكثرُ ذُخْرِهم ... للمُلْك ما جمعوا من الأوْراق[4]

وذَخَرتَ أبناءَ الحروب كأنهم ... أُسْدُ العَرينِ على مُتون عِتاق

كم من كريمةِ مَعْشَرٍ قد أُنكِحتْ ... بسيوفهم قَسْراً بغير صَداق

وعزيزةٍ في أهلها وقَطِينها[5] ... قد فارقتْ بَعْلاً بغير طَلاق

[٤٠٣/ ١١٦ ٥]

(١) الناصفة: مجرى الماء، وقيل: الرحبة في الوادي. وقد ذكر ياقوت في الكلام على ناصفة: ناصفة الشجناء، وناصفة العمقين وغيرهما، وقال: إنها مواضع، ولم يذكر ناصفة اللوى هذه.

(٢) كذا في حـ. وأقصدت: أصابت ولم تخطىء. وفي سائر الأصول: «فأقصرت» بالراء، وهو تحريف.

(٣) الهدى: الطريقة والسيرة.

(٤) الأوراق: الدراهم.

(٥) القطين هنا: الإماء والحشم.

قال فقال لي: أَفْلَيْتَ والله يا أبا محمد؛ فقلت له: وما أفليت؟ قال: رَعَيْتَ فلاةً لم يرعَها أحدٌ غيرك.

كان المغنون يتلاشون أمامه إذا غنى:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب قال:

قلت لزُرْزور بن سعيد: حدّثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطعٌ ذاهبٌ وحلوقُكم ليس مثلُها في الدنيا؟ فقال: كان والله لا يزال بحذْقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلَّ من التراب.

/ **شعره للفضل بن الربيع في الشيب:** [٥/٤٠٤]

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبي قال حدّثنا إسحاق قال:

دخلتُ على الفضل بن الرّبيع فقال لي: يا إسحاق، كثُر والله شَيْبُك! ؛ فقلت: أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثَقيف:

الشيبُ إن يَظْهَرْ فإنّ وراءه ... عمراً يكون خِلالَه مُتَنَفَّسُ
لم يَنْتَقِصْ منّي المشيبُ قُلامةً ... ولَنَحْنُ حين بدا ألَبُّ وأكيسُ

قال: هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً، اكْتُبْهما لي لأتسلّى بهما.

قصته مع الفضل بن يحيى ونافذ حاجبه:

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق، وأخبرني الحسين[1] بن يحيى عن حمّاد عن أبيه[2]، وأخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال:

قال الفضل بن يحيى لأبي: مالي لا أرى إسحاقَ، عرِّفني ما خبرُه؟ فقال: خير. ورأى في كلامه شيئاً يُشكِّك، فقال: أعليلٌ هو؟ فقال: لا، ولكنه جاءك مرّاتٍ فحجبه نافذٌ الخادم ولحِقته جَفْوةٌ؛ فقال له: فإن حَجَبه بعدها فَلْيَنِكْهُ. فجاءني أبي فقال لي: اِلْقَه، فقد سأل عنك؛ وخبّرني بما جرى. وجئتُ فحُجِبتُ أيضاً؛ وخرج الفضل ليركبَ؛ فوثبتُ إليه بُرْقعة وقد كتبتُ فيها:

جُعِلتُ فداءَك من كلّ سوءٍ ... إلى حسنِ رأيك أشكو أُناسا
يحولون بيني وبين السلام ... فما إن أُسلِّم إلّا اختلاسا
/ وأنفذتُ أمرَك في نافذٍ ... فما زاده ذاك إلا شِمَاسا

١١٧ / ٥

/ فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِب، ثم قال: أوَ قَدْ فعلتَها يا فاسق؟! فقلت: لا والله يا سيّدي، وإنما مَزَحتُ؛ فخجِل نافذٌ خجلاً شديداً، ولم يَعُدْ بعد ذلك لمَسَاءتي. [٥/٤٠٥]

(١) في الأصول هنا: «الحسن»، وهو تحريف.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «عن حماد عن أبيه قال حدّثني إسحاق». وظاهر أن جملة: «قال حدّثني إسحاق» مقحمة من الناسخ.

سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل فأجاب:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المَدِينيّ عن محمد بن عبدالله بن مالك قال حدّثني إسحاقِ قال:

ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تعالَوْا حتى نقولَ ما يصنع في هذا الوقت؛ فقال قوم: يلعب بالنَّرْد، وقال قوم: يغنّي؛ فبلغتني النوبةُ، فقال: قل يا إسحاق؛ قلت: إذاً أقول وأُصيب؛ قال: أتعلم الغيبَ؟ قلت: لا، ولكنّي أفهم ما يصنع وأقدِرُ على معرفته؛ قال: فإن لم تُصِبْ؟ قلت: فإن أصبتُ؟ قال: لك حُكمك، وإن لم تُصِبْ؟ قلتُ: لك دمي؛ قال: وجَبَ؛ قلت: وجَبَ؛ قال: فقل؛ قلت: يتنفّس؛ قال: فإن كان ميتاً؟ قلت: تُحفظ الساعةُ التي تكلّمتُ فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَني؛ فقال: قد أنصفتَ؛ قلت: فالحُكْم؛ قال: احتكم ما شئتَ؛ قلت: ما حُكْمي إلاّ رضاك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنّ رضاي لك، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم، أترى مَزِيداً؟ فقلت: ما أَوْلاكَ بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنها مائتا ألف درهم، أترى مزيداً؟ قلتُ: ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنها ثلثُمائة ألف، أترى مزيداً؟ قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: يا صفيقَ الوجه! ما نَزيدك على هذا شيئاً

مدح سفينة للأمين فأجازه:

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيوب قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال:

[٥/٤٠٦] / عمِل محمد[1] المخلوعُ سفينةً فأعجب بها، وركِبَ فيها يريد الأنبارَ. فلمّا أمعنَ وأنا مُقبلٌ على بعض[2] أبواب السفينة صاحوا: إسحاق إسحاق، فوثبتُ فدنوتُ منه؛ فقال لي: كيف ترى سفينتي؟ فقلت: حَسَنة يا أمير المؤمنين، عمّرها الله ببقائك. فقام يريد الخلاءَ وقال لي: قلْ فيها أبياتاً، فقلت: وخرج فقمتُ بالأبيات؛ فاشتهاها جدّاً وقال لي: أحسنتَ يا إسحاق، وحياتِك لأَهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار؛ قلت: متى يا أمير المؤمنين؟ إذا وسّع الله عليك! فضحك ودعا بها على المكان. ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات.

عرض للواثق بشعر في تشوّقه إلى أهله:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنّيتُ الواثقَ في شعر قلتُه وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ إلى أهلي، وهو:

صـوت

يـا حَبّـذا ريـحُ الجَنـوبِ إذا بـدتْ ... فـي الصبـح وهـي ضعيفـةُ الأنفـاسِ

قـد حُمّلـتْ بـردَ النّـدَى وتحمّلَـتْ ... عَبَقـاً مـن الجَثْجَـاثِ[3] والبَسْبَـاسِ

---

(١) هو الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد، سمي المخلوع لأن أهل مكة والمدينة وكثيراً من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو بخراسان.

(٢) في حـ: «على باب السفينة».

(٣) الجثجاث كما في «اللسان»: شجر أصفر مرّ طيب الريح تستطيبه العرب وتكثر ذكره في أشعاره. وقال أبو حنيفة الدينوري: إنه من أحرار الشجر وهو أخضر ينبت في القيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة العرفجة طيبة الريح. وقال ابن البيطار في مفرداته: أول ما رأيته بساحل نيل مصر في أعلاه في صحاريه بمقربة من ضيعة هناك تسمى شاهور وهي على طريق الطرّانة. وقال داود في تذكرته: =

فشرب عليه واستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلتَ مكان «يا حَبّذا ريحُ الجنوب»: «يا حَبّذا ريحُ الشّمال»، ألم يكن أرقّ وأغْذَى[1] وأصحّ للأجساد وأقلّ وَخامةً وأطيبَ / للأنفس؟ فقلت: ما ذهب عليّ ما قاله [٥/٤٠٧] أميرُ المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعدُ؛ فقال: قل؛ فقلت:

ماذا تَهيج من الصّبابة والهوى للصَّبّ بعد ذهوله واليأس

فقال الواثق: إنما استطبتَ ما تجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ، وإليهم اشتقتَ لا إليها؛ فقلت: أجَلْ يا أمير المؤمنين؛ وقمتُ فقبّلتُ يده؛ فضحك وقال: قد أذِنتُ لك بعد / ثلاثة أيام، فامضِ راشداً؛ ١١٨/٥ وأمر لي بمائة ألفِ درهم. لحنُ إسحاق هذا من الثقيل الأوّل.

جعفر بن يحيى البرمكي وعبد الملك بن صالح الهاشمي:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال:

لم أرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى؛ كانت له فُتُوّة وظَرْفٌ وأدبٌ وحسنُ غِناء وضربٌ بالطبل، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كل فنّ من الأدب والفتوّة. فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد، فقيل لي: إنه نائمٌ، فانصرفت؛ فلَقِيَني جعفرُ بن يحيى فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائمٌ؛ فقال: قِفْ مكانك؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم؛ فخرج إليّ وقال لي: قد نام أمير المؤمنين، فسِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلوَ جميعاً بقيّةَ يومنا وتغنّيني وأغنّيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا؛ قلت نعم، فصِرْنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا، ودعا بالطعام فطعِمنا، وأمر بإخراج الجواري وقال: لِتَبْرُزْنَ؛ فليس عندنا من تَحْتَشِمْنَ منه. فلمّا وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق فتخلّق به، ثم دعا لي بمثل ذلك، وجعل يغنّيني وأُغنّيه؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألّا يأذن لأحدٍ من الناس كلّهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعْلَمَه أنه مشغول؛ واحتاط في ذلك وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخَدَم؛ ثم قال: إن جاء عبدُ الملك فأْذَنوا له ـ يعني رجلاً كان / يأنَس به ويمازِحُه ويحضُر [٥/٤٠٨] خَلَواتِه ـ ثم أخذْنا في شأننا؛ فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبةٍ إذ رُفع السِّتْر، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ قد أقبل، وغلِط الحاجبُ ولم يفرّق بينه وبين الذي يأنَس به جعفر بن يحيى. وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل، وكان أميرُ المؤمنين قد اجتهد به أن يشربَ معه أو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه. فلما رأيناه مقبِلاً، أقبل كلُّ واحد منّا ينظر إلى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشقّ غيظاً. وفهِم الرجلُ حالَنا، فأقبل نحونا، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذي نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمَى بها مع طَيْلَسانه جانباً؛ ثم قال: أطعِمونا شيئاً؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخٌ غضباً وغيظاً فطعِم، ثم دعا برِطل فشرِبه، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضَادَتَي[2] الباب ثم قال: اشركونا فيما أنتم فيه؛ فقال له جعفر: ادخل؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلوقٍ فلبِس وتخلّق، ثم دعا برِطل ورِطل حتى شرِب عدّة أرطال، ثم اندفع ليغنّينا، فكان والله أحسنَنا جميعاً غناءً. فلما طابت نفسُ جعفر وسُرِّيَ عنه ما كان به التفت إليه فقال له: ارفع حوائجَك؛

= إنه يسمى باليونانية نرديسيون. والبسباس: نبات طيب الريح وهو المعروف بالفارسية باسم الرازيانج وفي مصر والشام باسم الشمار.

(١) أغذى: أطيب.

(٢) عضادتا الباب: خشبتاه من جانبيه.

فقال: ليس هذا موضعَ حوائجَ؛ فقال: لَتفعلنّ، ولم يَزل يُلحّ عليه حتى قال له: أمير المؤمنين عليّ واجدٌ؛ فأُحِبّ أن تترضّاه؛ قال: فإنّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك، فهاتِ حوائجَك؛ فقال: هذه كانت حاجتي؛ قال: ارفع حوائجك كما أقول لك؛ قال: عليّ دَينٌ فادحٌ؛ قال: هذه أربعة آلاف ألف درهم، فإن أحببتَ أن تقبِضها فاقبِضها من منزلي الساعة، فإنه لم يمنعني من إعطائك إيّاها إلا أنّ قَدْرَك يَجلّ على أن يصِلك مثلي، ولكني ضامنٌ لها حتى تُحملَ من مال أمير المؤمنين غداً؛ فسَلْ أيضاً؛ قال: ابني، تكَلّمُ أميرَ المؤمنين حتى ينوِّه باسمه؛ قال: قد وَلّاه أميرُ المؤمنين مصرَ / وزوّجه / ابنته العاليةَ[1] ومهرها ألفَيْ ألفِ درهم. قال إسحاق: فقلت في نفسي: قد سَكِر الرجل (أعني جعفراً). فلما أصبحتُ لم تكن لي هِمّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد؛ وإذا جعفر بن يحيى قد بَكَر، ووجدتُ في الدار جَلَبة، وإذا أبو يوسفَ القاضي ونظراؤه قد دُعِي بهم، ثم دُعِي بعبد الملك بن صالح وابنِه فأُدْخِلا على الرشيد؛ فقال الرشيد لعبد الملك: إنّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رضِيَ عنك، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم، فاَقبِضها من جعفر بن يحيى الساعة. ثم دعا بابنه فقال: اشهدوا أنّي قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفَيْ ألفِ درهم من مالي وولّيتُه مصرَ[2]. قال: فلمّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر؛ فقال: بَكَرْتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كنّا[3] فيه حرفاً حرفاً، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنعَ؛ فعَجِب لذلك وسُرّ به؛ ثم قلت له: قد ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَماناً؛ فقال: ما هو؟ فأعلمتُه؛ قال: أَوْفِ له بضمانك، وأمر بإحضاره؛ فكان ما رأيتَ.

[٤٠٩/ ١١٩ ٥]



حمل علويه لحناً له إلى أبيه فأعجب به وأثنى عليه:

أخبرني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال:

لمّا صنعتُ لحني في:

* هل إلى نظرة إليكِ سبيلُ *

ألقيتُه على عَلّويه، وجاءني رسول أبي بطَبَق فاكهة باكُورةٍ؛ فبعثتُ إليه: برّك الله يا أبَةِ ووصَلكَ! الساعةَ أبعث إليك بأحسنَ من هذه الباكورة؛ فقال: إني أظنّه قد أتى بآبِدةٍ[4]؛ فلم يلبث أن دخل عليه عَلّويه فغنّاه الصوتَ؛ فعَجِب منه وأُعجب به، وقال: قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدةٍ. ثم قال لولده: أنتم تلومونني على / تفضيل إسحاق ومحبّتي له، والله لو كان ابنَ غيري لأحببتُه لفضله فكيف وهو ابني؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلاّ به. وقد ذكر أبو حاتم الباهليّ عن أخيه أبي معاوية بن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاقُ لحنَه في:

[٤١٠/٥]

* غَيّضْنَ من عَبَراتهن وقلن لي *

وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه.

---

(١) كذا في الأصول و «ابن الأثير» (ج ٦ ص ١٤٨) والذي في «الطبري» (ص ٧٥٩ من القسم الثالث) «أم الغالية» بالغين المعجمة.

(٢) الذي ذكر في كتب التاريخ أن الذي ولى مصر من قبل الرشيد هو عبد الملك بن صالح ولم يدخلها وإنما استخلف عليها عبدالله بن المشيب الضبي. ولم نعثر في كل هذه الكتب عند ذكر ولاة مصر عن ابن لعبد الملك هذا، ولم نجد هذه القصة في مصدر آخر من كتب التاريخ والأدب، غير أن ابن طباطبا أوردها بعبارة أوسع في «الفخري» (ص ٢٨٢ طبع أوروبا سنة ١٨٩٤).

(٣) في حـ: «ما كان منا وما كان منه».

(٤) الآبدة: الغريبة.

سئل عن إبراهيم بن المهدي فقال لا يحسن شيئاً:

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال:

سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ، فقال: دَعْنِي منه، فليست له روايةٌ ولا دِراية ولا حكاية.

رثاؤه هشيمة الخمارة:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني فَضْل اليَزِيديّ عن إسحاق قال:

كانت هُشَيْمةُ الخَمّارة جارتي، وكانت تَخُصّني بأطيب الشراب وجيِّده؛ فماتت فقلت أرثيها:

أضحتْ هُشَيْمةُ في القبور مقيمةً ... وخلتْ منازلُها من الفِتيانِ

كانت إذا هجَرَ المحبَّ حبيبُه ... دَبّتْ له في السرّ والإعلان

حتى يَلِينَ لما تُريد قِيادُه ... ويصيرَ سيِّئُه إلى الإحسان

قضى حاجة لإدريس بن أبي حفصة فمدحه:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

سألني إدريسُ بن أبي حَفْصة حاجة، فقضيتُها له وزدت فيما سأل؛ فقال لي[1]:

إذا الرجالُ جَهِلوا المكارمَا ... كان بها ابنُ الموصليّ عالمَا

أبقاك ذو العرش بقاءً دائمَا ... فقد جُعِلتَ للكرام خاتما

إسحاقُ لو كنتَ لقِيتَ حاتما ... كان نَداه لنَداك خادما

[١١/٥ ١٢٠ ٥] / قال حَمّاد: وقال لي أبي: كان إدريسُ سخيًّا من بين آل أبي حَفْصة؛ فنزل به ضيفٌ، فتنمّرت امرأتُه عليه؛ فقال لها:

مِن شرّ أيّامك اللاّتي خُلِقْتِ لها ... إذا فقدتِ نَدَى[2] صوتي وزُوّاري

تشاغل عن دعوة علي بن هشام فنيل منه، وردّه على ذلك:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال:

كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا عبدالله بن محمد بن أبي عُيَيْنة، فتأخّرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً، وتشاغلتُ عنه برجل من الأعراب كان يَجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً؛ وكان عند عليّ بن هشام بعضُ من يُعاديني؛ فسألوا ابنَ أبي عُيَيْنة أن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه إلى الخُلْفِ؛ فكتب إليّ:

يا مَلِيًّا بالوعد والخُلْف والمَطْـ ... ـل بَطيئاً عن دعوة الأصحابِ

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وقال لي».

(٢) ندى الصوت: صداه.

لَهِجاً بالأعراب إنّ لدينا بعضَ ما تشتهي من الأعراب

قد عَرفنا الذي شُغِلت به عنّا وإن كان غيرَ ما في الكتاب

قال: فكتبتُ إلى الذي حمل ابن أبي عيينة على هذه الأبيات ـ قال حمّاد: وأظنه إبراهيم بن المهديّ ـ:

قد فَهِمتُ الكتابَ أصلحك الله وعندي عليه رَدُّ الجوابِ

ولعَمْري ما تُنصِفون ولا كا ن الذي جاء منكُم في حسابي

لستُ آتِيك فاعلمنَّ ولا لي فيك حظٌّ من بعدِ هذا الكتاب

عاتب علي بن هشام بشعر لأنه مرض ولم يعده:

قال حمّاد: قال أبي: وكتبت إلى عليّ بن هشام وقد ٱعتللتُ أيّاماً فلم يأتني رسولُه:

أنا عليلٌ منذُ فارقتَني وأنت عمّن غاب لا تسألُ

ما هكذا كنتَ ولا هكذا فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ إليه رُقْعتي رَكِب إليّ وجاءني عائداً.

[٥/٤١٢] / **شعره حين عودته من البصرة:**

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد قال:

لمّا خرج أبي إلى البصرة خَرْجتَه الأولى وعاد، أنشدني في ذلك لنفسه:

صوت

ما كنتُ أعرف ما في البين من حَزَنٍ حتى تَنادَوْا بأن قد جيء بالسُّفُنِ

قامتْ تودّعني والعينُ تَغْلِبها فجَمْجَمتْ[1] بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ

مالت عليّ تُفدّيني وتَرشُفُني كما يَميل نسيمُ الرّيح بالغُصُن

وأعرضتْ ثم قالت وهي باكيةٌ يا ليت معرفتي إيّاك لم تَكُن

لمّا ٱفترقنا على كُرْهٍ لفُرقتها أيقنتُ أنّي رهينُ الهمّ والحَزَنِ

أنشده شداد بن عقبة شعراً لجميل فزاد عليه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أنشدني شَدّاد بن عُقْبة لجَميل:

قِفي تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطّةِ التي تُطيلين تخويفي بها ووعيدي

فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ رضِينا بحكمٍ منكِ غيرِ سديدِ

---

(١) جمجم الكلام: لم يبينه.

قال: فأنشدتُ الزُّبَير بن بكّار هذين البيتين، فقال: لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتُهما غُنماً. وأنشدني شدّاد لجميل أيضاً:

بُثَيْنَ سَلِيني بعضَ مالي فإنما ... يُبَيَّنُ عند المال كلُّ بخيلِ

/ فإني وتكراري الزيارةَ نحوَكم ... لَبَيِّنُ يَدَيْ هَجْرٍ بُثَيْنَ طويلِ ١٢١/٥

قال أبي: فقلت لشدّاد: فهلا أزيدك فيهما[1]؟ فقال: بلى؛ فقلت:

فيا ليتَ شِعْرِي هل تقولين بعدنا ... إذا نحن أزْمَعنا غداً لرَحيلِ

ألا ليت أياماً مَضَيْنَ رواجعٌ ... وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميلِ

/ فقال شدّاد: أحسنتَ والله! وإن هذا الشعر لضائعٌ؛ فقلت: وكيف ذلك؟ قال: نفيتَه عن نفسك بتَسْميتك [٥/٤١٣] جميلاً فيه، ولم يَلْحَق بجميل، فضاع بينكما جميعاً.

اجتمع هو وجماعة من المغنين عند إسحاق المصعبي:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال:

دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ، وكان عبدالله بن طاهر عنده يومئذ، فوجّه إليّ فحضرتُ وحضَر عَلّويه ومخارقٌ وغيرُهما من المغنّين؛ فبيناهم على شرابهم وهم أسَرُّ ما كانوا، إذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال: أجبْ؛ فقال: السمع والطاعة؛ ودعا بثيابه فلبِسها. ثم التفت إلى محمد بن راشد الخَنّاق فقال له: قد بلغني أنك أحفظ الناس لِما يدور في المجالس، فاحفظ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشربه كلُّ إنسان، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني؛ فقال: نعم، أصلح الله الأمير. ومضى إلى المأمون، فأمره بالشخوص إلى بابك[2] من غدٍ، وتقدّمَ إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده. فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال: يا محمد، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك؟ قال: قد أحكمتُه أعزّك الله؛ ثم أخبره بما شرِب القومُ وما ٱستحسنوه من الغناء بعده؛ فأمر أن يُجمعَ له أكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح، وأن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ مما حفِظه له حتى يَستوفيَ ما فاته القومُ به، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذَ والأصواتَ. ثم قال لي: يا أبا محمد، إني قد عمِلتُ في مُنْصَرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها؛ فقلت: هاتِها أعزّ الله الأمير؛ فأنشدني:

صوت

ألاَ مَنْ لقلبٍ مُسْلَمٍ للنوائبِ ... أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ

تَبَيَّنَ يومَ البينِ أنّ اعتزامه ... على الصبر من بعض الظنون الكواذب

/ صوت [٥/٤١٤]

حرامٌ على رامي فؤادِي بسهمه ... دمٌ صبّه بين الحَشَى والترائبِ

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فيها»، وهو تحريف.

(٢) هو بابك الخرّمي، وكان قد خرج على دولة بني العباس، وظهر بأذربيجان وكثر بها أتباعه واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين، ثم أخذ في أيام المعتصم هو وأخوه إسحاق وصلبا.

أراق دمـاً لـولا الهـوى مـا أراقـه فهـل[1] بـدَمِـي مـن ثـائـرٍ أو مُطـالِـب

قال: فقلت له: ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ؛ فقال لي: فاصنعْ فيه؛ فصنعت فيه لحناً؛ وأحْضَرني وصيفةً له، فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه؛ وقال: إنما أردتُ أن أتسلّى به في طريقي وتُذكّرني به الجارية أمرَكَ إذا غنّته. فكان كلما ذكر أتاني بِرُّه، إلى أن قَدِم، عدّةَ دفعات. لم أجد لإسحاق صنعةً في هذا الشعر، والذي وجدتُ فيه لعبدالله بن طاهر خفيفُ رَمَلٍ، ذكره ابنه عُبيد الله عنه. ولمُخارِق لحنٌ من الرمل. ولعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى. ولمخارِق والطاهريّة خفيفُ ثقيل.

سأل عنه المتوكل حين كف فأحضره ثم غناه فوصله:

١٢٢ / ٥ حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو عبدالله محمد بن / حَمْدون قال:

سأل المتوكّل عن إسحاق الموصليّ، فعرف أنه قد كُفّ وأنه في منزله ببغداد؛ فكتب في إحضاره. فلما دخل عليه رفَعه حتى أجلسه قُدّامَ السرير، وأعطاه مِخَدّة، وقال له: بلغني أن المعتصم دفع إليك مخدّة في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة، وقال: إنه لا يُستجلب ما عند حُرّ بمثل الكرامة؛ ثم سأله: هل أكل؟ فقال نعم؛ فأمر أن يُسقى؛ فلما شرب أقداحاً قال: هاتوا لأبي محمد عوداً فجيء به؛ فٱندفع يغنّي بصوتِ الشعرُ فيه والغناء له:

[٥/٤١٥]

صـوت

مـا علّـةُ الشيـخ عينـاه بـأربعـةٍ[2] تَغْـرَوْرِقـان بـدَمـعٍ ثـم تَنْسكِـبُ

ـ قال أبو عبدالله: فوالله ما بقي غلامٌ من الغِلمان الوقوف على الحَيْر[3] إلا وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل ـ فأمر له بمائة ألف درهم. ثم قال لي المتوكل: يابنَ حَمْدُون، أتحسن أن تغنّيني هذا الصوت؟ فقلت نعم؛ قال: غنّه؛ فترنّمت به؛ فقال إسحاق: من هذا الذي يَحْكيني؟ فقال: هذا ابنُ صديقك حمدون؛ فقال: وَدِدتُ أنه يُحسن أن يَحْكيني؛ فقلت له: أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين. ثم انحدر المتوكل إلى رَقَّةِ[4] بُوصَرَا؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها، فغنّى إسحاقُ:

صـوت

ألَا هتَفَـتْ وَرْقـاءُ فـي رَوْنـق الضُّحَـى على غُصُـنٍ غَـضِّ الشبـاب مـن الـرَّنْـدِ

بكيـتَ كمـا يبكـي الحـزيـنُ صبـابـةً وشـوقـاً وتـابعـتَ الحَنِيـنَ إلـى نجـد

فضحك المتوكل وقال له: يا إسحاق، هذه أختُ فَعْلتك بالواثق لمّا غنّيتَه بالصالحيّة[5]:

---

(١) في حـ: «فهل يدري ذا من ثائر أو مطالب».

(٢) يقال: عيناه تدمعان بأربعة، أي تسيلان بأربعة آماق، وذلك أشدّ البكاء.

(٣) كذا في حـ. والحير: اسم قصر بسر من رأى بناه المتوكل وأنفق على عمارته أربعة آلاف ألف درهم. (راجع ياقوت في الكلام على الحير). وفي سائر الأصول: «الخبر» بالخاء المعجمة والباء الموحدة، وهو تصحيف.

(٤) الرقة: كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء. وبوصرا: قرية من قرى بغداد.

(٥) الصالحية: قرية قرب الرها من أرض الجزيرة، احتلها عبد الملك بن صالح الهاشمي.

طَــرِبــتُ إلــى الأُصَيْبِيــة الصِّغــارِ وذكَّـــرنـــي الهـــوى قـــربُ المـــزَارِ

/ فكم أعطاك لمّا أذِن لك في الانصراف؟ قال: مائة ألف درهم؛ فأمر له بمائة ألف درهم، وأذِن له [٥/١٦٤] بالانصراف إلى بغداد. وكان هذا آخرَ عهدنا به، لأن إسحاق توفّي بعد ذلك بشهرين.

أمره الواثق أن يغني صوتاً فتطير منه وغناه:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلت على الواثق أستأذِنه في الانحدار إلى بغدادَ فوجدته مصطبحاً؛ فقال: بحياتي غنِّ:

صوت

ألا إن أهـلَ الـدار قـد ودّعـوا الـدارَا وإن كان أهلُ الدار في الحيّ أَجْوارَا[1]

وقـد تـركـوا قلبـي حـزينـاً متيَّمـاً بـذكـرهـم، لـو يَستطيـع لقـد طـارَا

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنّيته إياه؛ فشرب عليه مراراً، وأمر لي بثلاثين ألفَ درهم وأذِن لي فانصرفت؛ ثم كان آخرَ عهدي به. الشعر لمُطِيع بن إياس. والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو.

استسقى أحمد بن معاوية نبيذاً فزحم حامل الدن فكسره وشعره في ذلك:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا عبدالله بن الفرج قال حدّثنا أحمد بن معاوية قال:

كنت في بيتي وعَلّويه يُغنّيني:

صوت

أَعْرَضْنَ من شَمَطٍ[2] في الرأس لاح به فهُـنّ عنـه إذا أبصـرْنَـه حِيـدُ

قـد كُـنّ يَعهَـدْنَ منـي مَنظَـراً حَسَنـاً وجُمّـةً[3] حَسَـرتْ عنهـا العنـاقيـدُ

/ فوردتْ عليّ رُقعة من إسحاقَ الموصليّ يستسقيني نبيذاً؛ فبعثت إليه بدَنّ مع غلام لي؛ فلما توسّط الغلامُ به [٥/١٧٤] [١٢٣/٥] الجِسرَ زُحِم فكُسِر؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسئلتي[4] التجافيَ عنه؛ فكتب إليّ:

يـا أحمـد بـن معـاويَـة إنّـي رُميـت بـداهيَـة

أشكـو إليـك فـأشكِنـي كَسْـرَ الغـلامِ الخـابيَـة

يـا ليتهـا سلمـتْ وكـا ن فـداءَهـا ابـنُ الـزانيَـة

---

(١) الأجوار: جمع جار وهو الذي يجاورك في دار أو غيرها.

(٢) الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده.

(٣) الجمة: مجتمع شعر الرأس.

(٤) في ب، س: «مسألة».

فبَعثت إليه بأربعة أدنان[١]، وأعتقتُ الغلام بشفاعته في أمره.

صنع صوتاً أعجب به المعتصم والواثق وعجز المغنون عن أخذه عنه:

أخبرني جعفر بن قُدَامة ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق الموصليّ قال قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله:

لمّا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوتَ:

صوت

قِفْ بالديار التي عفا القِدَمُ ... وغيّرتها الأرواحُ والدِّيَمُ
لمّا وقفنا بها نُسائلها ... فاضت من القوم أعيُنٌ سُجُمُ
ذِكْراً لعيشٍ مضى إذا ذُكرت ... ما فات منه فذِكْره سَقَمُ
وكلُّ عيشٍ دامت غَضارتُه ... مُنقطِعٌ مرّةً ومُنصَرِمُ

ـ ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ ـ أُعجب به المعتصم والواثق جميعاً؛ فقال له المعتصم: بحياتي اردُدْه على مخارق وعَلّويه والجماعةِ ليأخذوه عنك، وانصَحْهم فيه؛ فإنهم إن أحسنوا فيه نُسب إليك إحسانُهم، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم؛ [٤١٨/٥] فردّه عليهم أكثرَ من / مائتي مرّة، وكانوا يقصِدون[٢] إلى منزله ويَرُدّه عليهم، ومات وما أخذوا منه علم الله إلّا رَسْمَه. الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه ثقيل أوّل.

خروجه مع الرشيد إلى الرقة وقصته بدير القائم وتل عزاز:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال:

خرجنا[٣] مع الرشيد يريد الرقّة؛ فلمّا صِرْنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلْنا، وخرج يتصيّد وخرجنا معه، فأبْعد في طلب الصيد؛ ولاح لي دَيْر فقصدته وقد تعبتُ، فأشرفتُ على صاحبه؛ فقال: هل لك في النزول بنا اليوم؟ فقلت: إي والله، وإني إلى ذلك لمحتاج؛ فنزل ففتح لي البابَ وجلس يحدّثني، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أمية، فجعل يحدّثني عمّن نزل به من القوم ومَوَالِيهم وجيوشِهم؛ وعرَض عليّ الطعامَ فأجبتُه؛ فقدّم إليّ طعاماً من طعام الدَّيَارات[٤] نظيفاً طيّباً، فأكلتُ منه، وأتاني بشرابٍ ورَيْحان طَرِيّ فشربتُ منه، ووَكّل بي جارية تخدُمُني راهبةً لم أر أحسن وجهاً منها ولا أشْكَل؛ فشربتُ حتى سَكِرتُ، ونِمتُ وانتبهتُ عِشاءً؛ فقلتُ في ذلك:

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «أدنّ» وجمع القلة لفعل المضعف أفعال مثل عمّ وأعمام، وأفعل مثل كف وأكف إلا أن الكثير الأوّل. والذي ورد في كتب اللغة جمعاً لدنّ إنما هو دنان لا غير.

(٢) كذا في م. وفي سائر الأصول: «يقصدونه إلى منزله».

(٣) ورد هذا الخبر في «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري (ج ١ ص ٢٦٩ طبع بولاق) مع اختلاف يسير في بعض العبارات.

(٤) الديارات: جمع دير. وهذا الجمع لدير على كثرة وروده في معاجم البلدان وكتب الأدب، لم نعثر على نص عليه في معاجم اللغة التي بين أيدينا.

صوت

بِدَيْرِ[١] القائِمِ الأقصَى غزالٌ شادِنٌ أحْوَى
بَرَى حُبِّي لهُ جِسْمِي ولا يَعْلَمُ ما ألقَى
وأكتُمُ حبَّه جُهْدِي ولا واللهِ ما يَخْفَى

/ وركبتُ فلحِقتُ بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أُوجَد. وأُخبرتُ بذلك، / فغنَّيتُ في [١٩/٥] الأبيات ودخلتُ إليه؛ فقال لي: أين كنتَ؟ وَيْحَك! فأخبرته بالخبر وغنَّيته الصوتَ؛ فطرِب وشرب عليه حتى سَكِر، [١٢٤/٥] وأخَّر الرحيلَ في غدٍ، ومَضَينا إلى الدَّيْر ونزله، فرأى الشيخَ وٱستنطقه، ورأى الجارية التي كانت تخدُمُني بالأمس؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه، ودعا بالشراب، وأمر الجاريةَ التي كانت بالأمس تخدُمني أن تتولّى خدمتَه وسَقْيَه ففعلتْ، وشرب حتى طابت نفسه؛ ثم أمر للدَّيْر بألف دينار، وأمر باحتمال خراجه له سَبْعَ سنين؛ فرحَلْنا.

قال حَمّاد: فحدّثني أبي قال: فلما صِرنا بتلّ عَزَاز من دَابِق[٢] خرجتُ أنا وأصحاب لي نتنزّه في قرية من قُراها، فأقمنا بها أياماً، وطلَبني الرشيدُ فلم يَجدني. فلمّا رجَعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع؛ فقال لي: أين كنتَ؟ طلَبك أميرُ المؤمنين؛ فأخبرته بنُزْهتنا فغضِب. وخِفتُ من الرشيد أكثر مما لقيتُ من الفضل؛ فقلت:

صوت

إنّ قلبي بالتَّلِّ تلِّ عَزَازِ عند ظَبْيٍ من الظِّباء الجَوَازِي[٣]
شادِنٍ يسكُنُ الشآمَ وفيه مع ظَرْف العراق شَكْلُ[٤] الحجاز
يا لَقَوْمي لبنت قَسٍّ أصابتْ منك صفوَ الهوى وليست تُجازي
حَلَفَتْ بالمسيح أن تُنجِزَ الوعـ ـدَ وليستْ تَهُمُّ بالإنجاز

وغنّيتُ فيه؛ ثم دخلتُ على الرشيد وهو مُغْضَبٌ؛ فقال: أين كنت؟ طلبتُك فلم أجِدْك؛ فاعتذرتُ إليه وأنشدتُه هذا الشعرَ وغنّيته إياه؛ فتبسّم وقال: عذرٌ وأبيك / وأيُّ عذر! وما زالَ يشربُ عليه ويَستَعيدُنيه ليلتَه جَمْعاء [٢٠/٥] حتى انصرفنا مع طلوع الفجر. فلمّا وصلتُ إلى رَحْلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يَدْعونا؛ فوافَيْتُ فدخلتُ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّانٍ في الدار وهو سَكْرانُ يتململ؛ فقال لي: يابنَ الموصليّ، أتدري ما جاء بنا؟ فقلت: لا والله ما أدري؛ فقال: لكنّي والله أدري دِرَايةً صحيحةً، جاءت بنا نَصْرانيَّتُك الزانية، عليك وعليها لعنة الله. وخرج الآذِنُ فأذِنَ لنا، فدخلنا. فلما رأيتُ الرشيد تبسّمت؛ فقال لي: ما يُضحكك؟ فأخبرته بقول ابن جامع؛ فقال: صَدَق[٥]، ما هو إلا أن فقدتُكم فاشتقتُ إلى ما كنّا فيه، فعُودوا بنا، فعُدْنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا.

---

(١) دير القائم الأقصى: على شاطىء الفرات من جانبه الغربي في طريق الرقة. وذكر ياقوت في «معجمه» وابن فضل الله العمري في «مسالك الأبصار» بعد تعريفهما لهذا الدير قالا: «قال أبو الفرج: وقد رأيته، وهو مرقب من المراقب التي كانت بين الروم والفرس، على أطراف الحدود». وفيهما أن هذه الأبيات لعبدالله بن مالك المغني، وقال الخالدي: هي لإسحاق الموصليّ.
(٢) دابق: قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ.
(٣) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٧٣ من هذا الجزء.
(٤) الشكل (بالكسر والفتح): الدل.
(٥) في الأصول: «ما صدق». وظاهر أن «ما» مقحمة من الناسخ.

لحنُ إسحاق:

* بدَيرِ القائمِ الأقصى *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى. وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ. ولحنه في:

* إنّ قلبي بالتّلِّ تلِّ عَزَازِ *

خفيفُ رَمَلٍ.

دخل على الرشيد ضارباً مغنياً بشعر له فطرب له وأجازه:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثني حَمّاد عن أبيه قال:

دخلتُ على الرشيد يوماً في عمامة قد كَوَّرتُها على رأسي؛ فقال: ما هذه العمامة! كأنك من الأنبار. فلمّا كان من غدٍ دعا بنا إليه، فأمهلتُ حتى دخل المغنّون جميعاً قبلي، ثم دخلتُ عليه في آخرهم، وقد شددتُ وسطي بمِشَدّة حرير أحمر، ولبِستُ لباساً مُشْتَهِراً، وأخذتُ بيدي صَفّاقَتَيْن وأقبلتُ أَخْطِر وأضرب بالصَّفّاقتَيْن وأُغنّي:

اسمــــعْ لصـــوتٍ مليـــحٍ مـــن صنعــــة الأنبـــاري
صـــوتٍ خفيـــفٍ ظـــريـــفٍ يطيـــرُ فـــي الأوتـــارِ

[٥/٤٢١] / فبسط يده إليّ حتى كاد يقوم، وجعل يقول: أحسنتَ وحياتي! أحسنتَ أحسنتَ! حتى جلستُ، ثم شرب عليه بقيّةَ [١٢٥/٥] يومه، وما استعاد غيرَه، وأمر لي بعشرين ألف درهم. لحنُ إسحاق في هذا الشعر هَزَج.

غنى مغن بصوت له عند الفضل بن الربيع فأعجب به:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال حدّثني أحمد بن يحيى المَكّيّ قال:

كنتُ عند الفضل بن الربيع، فغنّى بعضُ مَنْ كان عنده:

صوت

كـــلُّ شـــيءٍ منـــكِ فـــي عينـــي حَسَـــنْ ونَصِيبـــي منـــكِ هـــمٌّ وحَـــزَنْ
لا تَظُنّـــي أنـــه غيّـــرنـــي قِـــدَمُ العهـــدِ ولا طـــولُ الـــزمـــنْ

فقال لي: أتدري لمن هذا؟ فقلت: لبعض الطُّنْبُورِيِّين؛ فقال: لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق. لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه.

استسقى جارية وهو في ركب الرشيد إلى طوس فأعجبته فقال شعراً:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال:

لمّا خرجنا مع الرشيد إلى طُوس كنتُ معه أسايرُه، فاستسقَيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَخْنة[١]، فخرجتْ إلينا جاريةٌ كأنها ظبيةٌ، فسقَتْني ماءً؛ فقلتُ هذا الشعر:

(١) كذا في الأصول و «معجم ياقوت». والذي في «المسالك والممالك» لابن حوقل، و «المسالك والممالك» للأصطخري: «صحنة» بالصاد المهملة المضمومة. وهي موضع بين الدينور وهمذان.

صوت

غــزالٌ يَــرْتَعِــي جَنَبَــاتِ وَادٍ ... بِسَحْنَــةَ قــد تمكَّــنَ فــي فــؤادِي

سقــانـي شَــرْبَــةً كــانــت شِفــاءً ... لِغُلَّــةِ حــائِــم حَــرّانَ[1] صــادِي

/ وغنّيته الرشيدَ؛ فقال لي: أتحبُّ أن أزوِّجكها؟ فقلتُ: نعم والله يا سيّدي؛ قال: فاخطُبها والمهرُ عليّ وما يُصلحها؛ فخطبتُها، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدهم. لحنُ إسحاقَ في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ. وفيه لعَلّويه خفيفُ رَمَلٍ. [٥/٢٢]

صنع صوتاً فأخذه أحد العامّة وهو يردّده فاغتم ولم ينسبه لنفسه:

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال:

قال لي أبي: ما اغتممتُ بشيء قطُّ مثلَ ما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعتُه في هذا الشعر.

صوت

كــان لــي قلــبٌ أعيــشُ بــه ... فــاكتَــوَى بــالنــارِ فــاحتَــرَقَــا

أنــا لــم أُرزَقْ مَحَبّتَهــا ... إنمــا للعبــد مــا رُزِقَــا

مَــنْ يكــن مــا ذاقَ طعــمَ رَدًى ... ذاقــه لا شــكَّ إن عَشِقَــا

فإنّي صنعتُ فيه [لحناً][2] وجعلتُ أردّده في جَناحٍ لي سَحَراً، فأظنّ أنّ إنساناً من العامّة مرّ بي فسمعه فأخذه؛ فبكّرتُ من غدٍ إلى المعتصم لأُغنّيه، فإذا أنا بسَوّاطٍ يَسُوط[3] الناطِفَ[4] وهو يُغنّي اللحنَ بعينه إلا أنه غناء فاسدٌ. فعجبتُ وقلتُ: تُرَى من أين لهذا السَّوّاط هذا الصوت! ولعلّي إذ غنّيتُه أن يكون قد مرَّ بي هذا فسمعني أُغنّيه؛ وبقيتُ مُتحيِّراً، ثم قلت يافتى، ممن سمعت هذا الصوتَ؟ فلم يجبني والتفتَ إلى شريكه، وقال[5]: هذا يسألني ممنْ سمعته! هذا غنائي، والله لو سمعه إسحاق الموصليّ لَخَرِيء في سَرَاويله؛ فبادرتُ والله هارباً خوفَ أن يمرَّ بي إنسانٌ فيسمع ما جرى عليّ فأفتضِح؛ وما علم الله أني نطقت بذلك الصوتِ بعدها.

/ كتب إليه إبراهيم بن المهدي في أحجية فأجابه: [٥/٢٣]

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال:

كتب إبراهيمُ بن المهديّ إلى أبي: أيّ شيءٍ تَصحِيفُ: «لا يُرِيحُ مثلُ الأسنّةِ». فكتب إليه أبي: تصحيفُه: «لا يَرِثُ / جميلُ إلا بُثَينةَ»؛ فكتب إليه: وَيْ منك!. [١٢٦/٥]

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «غرثان». والغرثان: الجائع. والحائم: العطشان.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) ساط الشيء: خلطه.

(٤) الناطف: ضرب من الحلواء لأنه ينطف قبل استضرابه، أي يقطر قبل خثورته.

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وقال خذ إليك. يسألني ممن... إلخ».

مدح جعفر بن يحيى ببيتين وغناه فيهما فوصله:

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى، فرأى شَفَتيَّ تتحرّكانِ بشيء[1] كنتُ أعمله؛ فقال: أتدعو أم تَصنع[2] ماذا؟ فقلتُ: بل أمدح؛ قال: قل؛ فقلت:

صـوت

وكنــتُ إذا إذنٌ عليـك جَـرَى لنـا ... تجلَّـى لنـا وجـهٌ أغَـرُّ وسِيـمُ

عـلانِيـةٌ محمـودةٌ وسـريـرةٌ ... وفِعـلٌ يَسُـرُّ المُعْتَفِيـنَ كـريـمُ

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ، وقال: زِدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحناً؛ فصنعتُ لحناً من الثقيل الثاني؛ فلم يزل يَشربُ عليهما حتى سَكِر.

قصة دخوله بيتاً طفيلياً:

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه أنه حدّثه قال: غدوتُ يوماً وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دار الخلافةِ والخدمةِ فيها؛ فخرجتُ وركِبت بُكرةً، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرّجَ؛ فقلتُ لغلماني: إن جاء رسول الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أني بكّرتُ في بعض مُهِمّاتي، وأنكم لا تعرِفون أينَ توجّهتُ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي، ثم عُدتُ وقد حَمِي النهارُ؛ فوقفتُ في الشارع المعروف بالمخرِّم[3] في فِناءِ ثَخينِ الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ. فلم ألبَثْ / أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارِهاً عليه جاريةٌ راكِبة، تحتها مِنديلٌ دَبِيقيّ[4] وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده، ورأيتُ لها قَواماً حسناً وطَرْفاً فاتِراً وشمائلَ حسنةً؛ فَخَرَصْتُ[5] عليها أنها مُغنّية، فدخلتِ الدار التي كنتُ واقفاً عليها. ثم لم ألبث أن جاء رجلانِ شابّانِ جميلانِ، فاستأذنا فأُذِن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ؛ فظنا أن صاحب الدار دعاني وظنّ صاحبُ الدار أني معهما؛ فجلسنا، وأُتِي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع، وخرجتِ الجاريةُ وفي يدها عودٌ فغنّتْ وشربنا؛ وقمتُ قومةً، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنّي فأخبراه أنهما لا يعرفاني؛ فقال: هذا طُفَيليٌّ، ولكنه ظريفٌ، فأَجمِلوا عِشرتَه. وجئتُ فجلستُ؛ وغنّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي:

٥/٤٢٤

ذَكَـرتُـكِ أن مـرَّتْ بنـا أمُّ شـادِنٍ ... أمـامَ المطـايـا تَشـرئِـبُّ وتَسْنَـحُ

مـن المـؤلفـاتِ الـرمـلِ أدْمـاءُ حُـرَّةٌ ... شُعَـاعُ الضحـى فـي مَتْنِهـا يَتَـوَضّـحُ[6]

فأدّتْه أداء صالحاً وشَرِبت. ثم غنّتْ أصواتاً شتّى، وغنّتْ في أضعافها من صنعتي:

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «لشيء».

(٢) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «أم تصنع أم ماذا؟».

(٣) كذا في «معجم ما استعجم». وهي محلة ببغداد بالجانب الشرقيّ. وفي الأصول: «المحرّم» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٥ من هذا الجزء.

(٥) خرصت: ظننت وخمنت.

(٦) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ من هذا الجزء.

الطُّلُـــــولُ الــــــدوارِسُ فــــارقَتْهـــا الأوانِـــسُ
أوْحشَـــتْ بعـــد أهلهــا فهـــي قَفْـــرٌ بَسَـــابِـــسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه في الأوّل. ثم غنّتْ أصواتاً من القديم والحديثِ، وغنّتْ في أثنائها من صنعتي:

قُـــل لِمـــن صَـــدّ عـــاتِبَـــا ونـــأى عنــكَ جـــانِبَـــا
قـــد بَلَغــتَ الــــذي أرَدْ تَ وإن كنـــتَ لاعِبَـــا

فكان أصلحَ ما غنّته؛ فاستعَدْتُه منها لأُصحِّحه لها؛ فأقبل عليّ رجل من الرجلين وقال: ما رأيتُ طُفَيليًا أصفقَ وجهاً منك! لم تَرْضَ بالتطفيل حتى اقترحْتَ، وهذا غايةُ / المثل / «طُفَيليٌّ مُقترِحٌ»؛ فأطرَقْتُ ولم أُجِبه؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عني فلا يَكُفُّ. ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلاً، فأخذتُ عودَ الجارية، ثم شددتُ طبقتَه وأصلحتُه إصلاحاً محكماً، وعُدتُ إلى موضعي فصلّيتُ، وعادوا؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عَرْبَدته عليّ وأنا صامتٌ؛ ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فَجَسّتْه وأنكرت حاله وقالت: مَنْ مَسّ عُودي؟ قالوا: ما مسّه أحدٌ! قالت: بلى! والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّم وشَدّ طبقتَه وأصلحه إصلاحَ مُتمكّن من صناعته؛ فقلتُ لها: أنا أصلحتُه؛ قالت: فبالله خُذْه واضرِب به؛ فأخذتُه وضربتُ به مَبدأً صحيحاً ظريفاً عجيباً صَعْباً، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ؛ فما بقي أحدٌ منهم إلا وثَبَ [على قدميه][1] وجلس بين يديّ؛ ثم قالوا: بالله يا سيّدَنا أتُغنّي؟ فقلتُ: نعم، وأُعَرِّفُكم نفسي، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصليّ، ووالله إني لأتِيهُ على الخليفة إذا طلبني[2] وأنتم تُسمِعونني ما أكره منذ اليوم لأني تملّحتُ معكم؛ فوالله لا نَطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرِجوا هذا المُعَرْبِدَ المَقيتَ الغَثَّ؛ فقال له صاحبُه: مِن هذا حَذِرتُ عليك؛ فأخذ يَعتذِرُ؛ فقلتُ: والله لا نطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى يُخْرَجَ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا. فبدأتُ وغنّيتُ الأصواتَ التي غنّتها الجاريةُ من صنعتي؛ فقال لي الرجلُ: هل لك في خَصْلةٍ؟ قلتُ: ما هي؟ قال: تُقيمُ عندي شهراً، والجاريةُ والحِمارُ لك مع ما عليها من حُليّ؛ قلت: أفعل، فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يَدري أحدٌ أين أنا، والمأمونُ يَطلُبني في كلّ موضع فلا يعرِفُ لي خبراً. فلمّا كان بعد ثلاثين يوماً أسلم إليّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ؛ فجئتُ بذلك إلى منزلي؛ وركِبتُ إلى المأمون من وقتي؛ فلمّا رآني قال: إسحاقُ! وَيْحَك! أين تكون؟ فأخبرتُه بخبري؛ فقال: عليّ بالرجل / الساعةَ؛ فدللتُهم على بيته فأُحضِر؛ فسأله المأمونُ عن القصة فأخبره؛ فقال له: أنت رجل ذو مروءةٍ وسَبيلُكَ أن تُعاوَنَ عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال: لا تُعاشِرَنّ ذلك المعربدَ النَّذْلَ البتّةَ؛ وأمر لي بخمسين ألف درهم، وقال: أحضِرْني الجاريةَ، فأحضرتُها فغنّته؛ فقال لي: قد جعلتُ لها نوبةً في كلّ يوم ثُلاثاء تُغنّيني وراءَ الستارة مع الجواري؛ وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربِحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأربَحتُ.

[٥/٤٢٥] ١٢٧/٥ [٥/٤٢٦]

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

ذكـــرتُـــكِ أن مـــرّتْ بنـــا أمُ شـــادِنٍ أمـــامَ المطـــايـــا تشـــرئـــبّ وتَسْنَـــحُ
مـــن المـــؤلفـــاتِ الـــرمـــلِ أدمـــاءُ حُـــرّةٌ شُعَـــاعُ الضُّحَـــى فـــي مَتنِهـــا يَتَـــوضّـــحُ

(١) زيادة عن ء.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «إذا كلمني».

الشعرُ لذي الرُّمّة. والغناءُ لإسحاقَ ثقيل أوّلٌ بالسبابة والوسطى، عن ابن المكيّ. ومن أغاني إسحاق:

صوت

قــل لمــن صَـدّ عــاتِبَــا ونــأى عنــك جــانِبَــا
قــد بلَغْــتَ الــذي أرد تَ وإن كنــتَ لاعِبــا

١٢٨
٥

صوت

الطُّلُــولُ الــدَّوارِسُ فــارقَتْهــا الأوانِــسُ
أوْحشَــتْ بعــد أهلهــا فهــي قَفْــرٌ بَسَــابِــسُ

الشعرُ لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقاً لإسحاق. والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ. وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه.

[٤٢٧/٥] / غنى صوت له أمام الواثق فأعجب به وحلله:

أخبرني عمّي قال حدّثني يزيدُ بن محمد المهلّبيّ قال:

كنتُ عند الواثق؛ فغنّتْه «شجى» التي وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ؛ فقال لمخارق وعَلّويه: والله لو عاش مَعْبدٌ ما شقّ غبارَ إسحاقَ في هذا الصوتِ؛ فقالا[1] له: إنه لحسنٌ يا أمير المؤمنين؛ فغضب وقال: ليس عندكما فيه إلا هذا! ثم أقبل على أحمدَ[2] بن المَكّيّ فقال: دعني من هذيه الأحمقين؛ أوّلُ بيتٍ في هذا الصوت أربعُ كلمات: «الطلول» كلمة، و «الدوارس» كلمة، و «فارقتها» كلمة، و «الأوانس» كلمة؛ فانظر هل ترك إسحاقُ شيئاً من الصنعة يَتصرّفُ فيه المغنّي لم يُدخِلْه في هذه الكلماتِ الأربع! بدأ بها نشيداً، وتلاه بالبسيط، وجعل فيه صِياحاً، وإسجاحاً، وترجيحاً للنَّغَم، واختلاساً فيها، وعمِل هذا كلّه في أربع كلمات، فهل سمِعتَ أحداً تقدّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه؟! فقال: صدق أميرُ المؤمنين، قد لحِق مَنْ قبله وسبق مَنْ بعده.

مر مع الواثق بدير مريم فقال فيه شعراً وغنى فيه فوصله:

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال حدّثني إسحاق قال:

لمّا خرجت مع الواثق إلى النَّجَف دُرْنا بالحِيرة ومرَرْنا بِدياراتِها؛ فرأيتُ ديرَ[3] مريمَ بالحِيرة، فأعجبني موقعُه وحسنُ بنائه؛ فقلتُ:

(١) في الأصول: «فقالوا» والسياق يقتضي التثنية، كما هو ظاهر.
(٢) في الأصول: «محمد بن المكي». والمعروف المشهور بهذه النسبة ما أثبتناه.
(٣) دير مريم أو دير مارت مريم: يطلق على ديرين، أحدهما: دير قديم من بناء المنذر حسن الوضع بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب مشرف على النجف؛ وسياق الخبر هاهنا يدل على أن هذا الدير هو المراد. والآخر: دير قديم أيضاً بالشام؛ ذكره البكري وياقوت واستشهدا بهذين البيتين. قال البكري: «هو بالشام وهو دير قديم من دياراتها لا أدري أين موضعه؛ وقد ذكره بعض الشعراء القدماء وغني فيه ابن محرز قال:

[٤٢٨/٥] / نِعمَ المحلُّ لمن يسعَى لِلَذّته ... ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهرِ معمورُ
ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أَسَنِ ... وقاصِراتٌ[1] كأمثال الدُّمَى حُورُ

فقال الواثقُ: لا نَصطبِحُ والله غداً إلا فيه؛ وأمر بأن يُعدَّ فيه ما يَصلُحُ من الليل؛ وباكرناه فاصطبَحْنا فيه على هذا الصوتِ؛ وأمر بمالٍ ففُرِّق على أهل ذلك الدّيرِ، وأمر لي بجائزة. لحنُ إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

غنى عبدالله بن طاهر فوصله:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال:

أخرج إليّ عبدُالله بن طاهر يوماً بيتَيْ شعرٍ في رُقْعة وقال: هذان البيتان وجدتُهما على بِساطٍ طَبَرِيّ[2] أُصْبَهْبُذِيّ أُهدى إليّ من طَبَرِسْتَانَ، فأُحبُّ أن تُغنّيني فيهما؛ فقرأتُهما فإذا هما:

لَـجَّ بـالعيـن واكـفُ ... مِـن هَـوًى لا يُسـاعِفُ
كُلّمـا كـفَّ غَـرْبُهـا[3] ... هَيّجتْـه المعـازِفُ

[٤٢٩/٥] / قال: فغنّيت فيهما وغَدَوتُ بهما إليه، فأُعجِب بالصوت ووصلني بصِلة سنيّة، وكان يَشتهيه ويَقترحه، وطرحتُه على جميع جواريه، وشاع خبر إعجابه [به][4]. فبينا المعتصمُ يوماً جالسٌ يُعرَضُ عليه فرشُ الربيعِ، إذ مرّ به بِساطُ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما:

إنمـا المـوتُ أن تفـا ... رِقَ مَـن أنـت آلِـفُ
/ لـك حُبّـانِ فـي الفـؤا ... دِ تَلِيـدٌ وطـارِفُ

١٢٩/٥

فأمرَ بالبساطِ فحُمِل إلى عبدالله بن طاهر، وقال للرسول: قل له: إني قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر، فلما وقع هذا البساط أحببْتُ أن أُتِمّ سرورَك به. فشكر عبدُالله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه، وقال

- نعم المحل لمن يسعى للذته ... ديـر لمريم فوق الظهر معمور
ظل ظليل وماء غير ذي أسن ... وقاصرات كأمثال الدمى حور

قال أبو الفرج: حدّثنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: نزلنا مع الرشيد بدير مارت مريم في بعض خرجاته إلى الشام فرأى منه موضعاً حسناً فنشط للشرب وقال: غنني صوتاً في معنى موضعنا، فغنيته:

* نعم المحل لمن يسعى للذته *

البيتين، فطرب وشرب؛ فقال: ألهذا لك؟ قلت: لا، هو لابن محرز؛ فقال لي: أنت إذا صدى تؤدّي ما سمعت؛ فقلت: فأنا أصنع فيه لحناً، فصنعته فيه وغنيته. قال أبو الفرج: ولحن ابن محرز وإسحاق في هذا الشعر كلاهما من الثقيل الأول» اهـ. ولم نجد هذه الرواية التي ذكرها البكري في أصول «الأغاني» التي بين أيدينا. ولعله نقلها من كتاب «الديارات» للمؤلف. (راجع ما كتب على هذا الدير في «معجم البلدان» ج ٢ ص ٦٩٢ و «معجم ما استعجم» ص ٣٧١ و «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ج ١ ص ٣١٧).

(١) القاصرة من النساء: التي لا تمدّ عينيها إلى غير بعلها.

(٢) طبري: نسبة إلى طبرستان وهي بلدان واسعة كثيرة، قصبتها آمل. وأصبهبذي: نسبة إلى أصبهبذان: مدينة في بلاد الديلم بينها وبين البحر ميلان.

(٣) الغرب: الدمع.

(٤) الزيادة عن ء.

لي: والله يا أبا محمد لسُرُوري بتمام الشعر أشدُّ من سروري بكل شيء، فألحِقهما في الغناء بالبيتين الأوّلين، فألحقتهما.

نسبة هذا الصوت

صوت

لَـجَّ بـالعيـن واكـفُ ... مِـن هـوًى لا يُسـاعِـفُ
كلّمـا كـفَّ غَـرْبُهـا ... هيَّجتْـه المَعـازِفُ
إنمـا المـوتُ أن تُفـا ... رِقَ مَـنْ أنـتَ آلِـفُ
لـك حُبّـان فـي الفـؤا ... دِ تَليـدٌ وطـارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرتُه في هذا الخبر. والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالوسطى.

[٥/ ٤٣٠] / مقدار صنعته:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال:

قلت لإسحاق يوماً: يا أبا محمد، كم تكون صنعتُك؟ فقال: ما بلغت مائتين قطُّ.

مرضه ووفاته:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال:

قال لي وكيل بن الحَرُونيّ: قلت لأبيك إسحاق: يا أبا محمد، كم يكون غناؤك؟ قال: نحواً من أربعمائة صوت. قال: وقال له رجل بحضرتي: مالك لا تُكثر الصنعةَ كما يُكثر الناس؟ قال: لأنّي إنما أنقُر في صخرة.

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحَشْو، طرحتُها لذلك؛ وله أخبار أُخَر حسُن ذكرها في مواضع تليق بها فأخّرتها واحتبستها عليها؛ وفيما ذكرتُه هاهنا منها مقنع.

وتوفّي إسحاق[١] ببغداد في أوّل خلافة المتوكّل. فأخبرني الصُّوليّ قال ذكرَ إبراهيمُ بن محمد الشّاهِينيّ:

أنّ إسحاق كان يسأل اللّهَ ألاّ يبتليَه بالقُولَنْج[٢] لِمَا رأى من صعوبته على أبيه؛ فرأى في منامه كأنّ قائلاً يقول له: قد أُجيبت دعوتُك ولستَ تموت بالقولنج، ولكنك تموت بضدّه، فأصابه ذَرَبٌ[٣] في شهر رمضان سنةَ خمس وثلاثين ومائتين؛ فكان يتصدّق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم؛ ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطِقْه ومات في شهر رمضان.

[٥/ ٤٣١]

(١) الذي في ابن خلكان و «النجوم الزاهرة» أن مولده كان في سنة خمسين ومائة وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعيّ ومات فيها الإمام أبو حنيفة رضي الله عنهما، فتكون سنة خمساً وثمانين سنة.

(٢) القولنج: مرض معوي مؤلم، يعسر معه خروج الثفل والريح.

(٣) الذرب: داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام، ويفسد فيها فلا تمسكه.

نُعِي إسحاقُ إلى المتوكّل في وسط خلافته، فغمّه وحَزِن عليه، وقال: ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال الملك وبهائه وزينته؛ ثم نُعِي إليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقال: تكافأت الحالتان، وقام الفتح بوفاة أحمد ـ وما كنت آمَنُ وَثْبَتَه عليّ ـ مقامَ الفَجيعة بإسحاق؛ فالحمد لله على ذلك.

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني رجل من الكتاب من أهل قُطْرَبُّل قال حدّثني أبي عن أبيه قال: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي:

مـات الحُسّـان ابـن الحُسّـا … نِ ومـات إحسـانُ الـزمـانِ

فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي، فتلقّاني خبر وفاة إسحاق الموصليّ.

ما رثاه به الشعراء:

وقال / إدريس بن أبي حَفْصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: ١٣٠/٥

سقـى اللّـهُ يـابنَ الموصلـيّ بـوَابـلٍ … مـن الغيـث قبـراً أنـت فيـه مقيـمُ
ذهبـتَ فـأوحشـتَ الكـرامَ فمـايَنِـي … بعَبْـرتـه يَبْكـي عليـك كـريـمُ
إلـى الله أشكـو فقـدَ إسحـاق إنّنـي … وإن كنـت شيخـاً بـالعـراق يَتيـمُ

وقال محمد بن عمرو الجُرْجاني يرثيه:

علـى الحَـدَثِ الشـرقـيّ عُـوجَـا فسلِّمـا … ببغـداد لمّـا ضَـنّ عنـه عـوائـدُهْ
وقُـولاَ لـه لـو كـان للمـوت فِـدْيـةٌ … فَـداك مـن المـوت الطّـريـفُ وتـالِـدُه
إسحـاقُ لا تَبْعَـدْ وإن كـان قـد رمَـى … بـك المـوتُ وِرْداً ليـس يَصْـدُر وارِدُه
/ إذا هـزّل اخضـرّتْ فنـونُ حـديثـه … ورقّـتْ حَـواشِيـه وطـابـتْ مَشـاهـدُه [٥/ ٤٣٢]
وإن جَـدّ كـان القـول جِـدّاً وأقسمـتْ … مَخـارجُـه ألاّ تَليـنَ مَعـاقِـدُه
فبَـكِّ علـى ابـن المـوصلـيّ بعَبْـرة … كمـا ارْفَـضّ مـن نَظْـم الجُمَـان فـرائـدُه

وقال مصعَب بن عبدالله الزُّبيري يرثيه ـ نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قُدامة، وذكر أن حَمّاد بن إسحاق أنشده إياها، ونسختُه أيضاً من كتاب الحَرَميّ بن أبي العَلاء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمّه مصعَب أنه أنشده لنفسه يرثي إسحاق ـ:

أتَـدْري لمـن تَبْكـي العيـونُ الـذَّوارِفُ … ويَنْهَـلُّ منهـا واكِـفٌ ثـم واكِـفُ
نعـمْ لامـرىء لـم يبـقَ فـي النـاس مثلُـه … مفيـدٌ لعلـم أو صـديـقٌ مُـلاطِـفُ
تجهّـز إسحـاقٌ إلـى الله غـاديـاً … فللّـه مـا ضُمّـتْ عليـه اللفـائـفُ
ومـا حَمـل النعـشَ المـزجّـى عشيّـةً … إلـى القبـر إلا دامـعُ العيـن لاهِـفُ

صدورهمُ مَرْضَى عليه عَميدةٌ ... لها أَزْمةٌ[1] من ذكره وزَفازِفُ

ترى كلَّ محزون تَفيض جفونَه ... دموعاً على الخدَّين والوجهُ شاسِفُ[2]

جُزِيتَ جزاءَ المحسنين مُضاعفاً ... كما كان جَدْواك النَّدى المتضاعِفِ

فكم لك فينا من خلائقَ جَزْلةٍ ... سبقتَ بها منها حديثٌ وسالف

هي الشّهدُ أو أحلى إلينا حلاوةً ... من الشهد لم يمزُج به الماءَ غارِفُ

ذهبتَ وخلّيتَ الصديق بعَوْلةٍ ... به أسفٌ من حزنه مترادِفُ

[٥/٤٣٣] / إذا خَطَراتُ الذكر عاوِدْنَ قلبَه ... تتابع منهنّ الشؤونُ النوازف

حبيبٌ إلى الإخوان يَرْزُون[3] مالَه ... وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارف

هو المَنّ والسَّلْوى لمن يستفيده ... وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعِف

بكت دارُه من بعده وتنكّرت ... مَعالمُ من آفاقِها[4] ومعارف

فما الدار بالدار التي كنت أعتري ... وإنّي بها لولا افتقاديكَ عارف

هي الدار إلّا أنّها قد تخشّعت ... وأظلم منها جانبٌ فهو كاسِف

وبان الجمال والفَعال كلاهما ... من الدار واستَنّت[5] عليها العواصف

[١٣١ / ٥] / خلت دارُه من بعده فكأنّما ... بعاقبةٍ لم يُغْنِ في الدار طارف

وقد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ[6] ... وملتمَسٌ إن طاف بالدار طائف

كرامةُ إخوانِ الصفاء وزُلفةٌ ... لمن جاء تُزجيه إليه الرَّواجِف

صِحَابتُه الغُرّ الكرام ولم يكن ... ليَصْحَبَه السُّودُ اللئام المَقارِف[7]

يؤول إليه كلّ أبلجَ شامخٍ ... ملوكٌ وأبناء الملوك الغَطارف

فلُقِّيتَ في يمنى يديك صحيفةً ... إذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائف

يَسُرّ الذي فيها إذا ما بدا له ... ويَفْتَرُّ منها ضاحكاً وهو واقف

بما كان ميموناً على كلّ صاحب ... يُعين على ما نابه ويكانِف

---

(١) أزمة: ضيق وشدة. وزفازف (واحدها زفزفة) وهي في الأصل حنين الريح وصوتها في الشجر. يريد أنه يكون بصدورهم عند ذكره نشيج وزفير من الحزن عليه.

(٢) الشاسف: اليابس ضمراً وهزالاً.

(٣) يرزون: أصله يرزءون، سهلت همزته ثم حذفت لإسناد الفعل إلى ضمير الجمع.

(٤) في الأصول: «افاتها»، ولا يستقيم بها الكلام. وقد آثرنا ما أثبتناه لاستقامة الكلام به مع قرب رسمه من رسم ما في الأصول.

(٥) استنت: انصبت.

(٦) المعرّس: موضع التعريس وهو نزول القوم آخر الليل للاستراحة من السفر؛ وقيل: التعريس النزول في المعهد أيّ حين كان من ليل أو نهار.

(٧) المقارف: الأنذال، وهم أيضاً الذين أمهم عربية وأبوهم غير عربي.

[٥/٤٣٤]

/ سـريـعٌ إلـى إخـوانـه بـرضـائـه وعـن كـلّ مـا سـاء[١] الأخِـلّاءَ صـارِف

أرى النـاسَ كـالنَّسْنـاس[٢] لـم يـبـق منهـمُ خـلافَـك إلا حُـشْـوةٌ[٣] وزَعـانِـف

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: أنشدني أبو أيّوبَ لأحمد بن إبراهيم يَرْثي إسحاقَ في قصيدة له:

لقـد طـاب الحِمـامُ غـداةَ ألْـوَى بنفـس أبـي محمـدٍ الحِمـامُ

فلـو قُبِـل الفِـداءُ إذاً فَـدَتْـه ملـوكٌ كـان يـألفهـا كـرامُ

فـلا تَبْعَـد فكـلُّ فتـى سيثْـوِي عليـه التُّـرْبُ يُحْثـى والـرِّجَـامُ[٤]

قال وقال أيضاً يرثيه:

لله أيُّ فتـى إلـى دار البِلَـى حمَـل الـرجـالُ ضُحَـى علـى الأعـوادِ

كـم مـن كـريـم مـا تَجِـفُّ دمـوعُـه مـن حـاضـرٍ يبكـي عليـه وبـادِ

أمسـى يـؤبِّنُـه ويعـرف فضلَـه مـن كـان يَثْلِبـه مـن الحُسّـاد

فسقتْـك يـابْـنَ المـوصلـيّ روائـحٌ تُـرْوِي صـداكَ بصَـوْبهـا وغَـوَادِ

وقد بقيتْ من أخبار إسحاق بقايا مثلُ أخباره مع بني هاشم، وأخباره مع إبراهيم بن المهديّ وغيرها، فإنها كثيرة، ولها مواضع ذُكِرت فيها وحسُن ذكرها هنالك، فأخرتُها لذلك عن أخباره التي ذُكرت هاهنا، حَسْبما شرَطنا في أوّل الكتاب.

/ ومما في المائة المختارة

من صنعة إسحاق بن إبراهيم

صوت

ألا قـاتـلَ اللّـهُ اللّـوَى مـن مَحَلّـةٍ وقـاتـلَ دُنْيـانـا بهـا كيـف ذَلّـت

غَنِينـا زمـانـاً بـاللّـوَى ثـم أصبحـتْ عِـراصُ اللّـوَى مـن أهلهـا قـد تخلَّـتِ

عَرُوضه من الطويل. الشعرُ للصِّمَّة القُشَيْريّ، والغِناء لإسحاق، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطَى في مجراها.

انتهى الجزء الخامس من كتاب الأغاني

ويليـه الجـزء السـادس

وأوّله أخبار الصِّمّة القشيريّ ونسبه

(١) في أ، جـ، م: «نال».

(٢) النسناس: خلق في صورة الناس، مشتق منه لضعف خلقهم. وذكر ابن منظور صاحب «لسان العرب» معاني أخرى في مادة «نسس» فانظرها.

(٣) يقال: هو من حشوة بني فلان، أي من رذالهم.

(٤) الرجام: الحجارة التي تجمع على القبور.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس موضوعات الجزء الخامس

الموضوع | الصفحة

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين
(٢٨٤ هـ - ٣٥٦ هـ)

إعداد
مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي



الجزء السادس

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

/ بسم الله الرحمن الرحيم [١/٦]

الجــزء الســادس

من كتاب الأغاني

أخبار الصِّمّة القُشَيْرِيّ ونَسَبُه

نسبـــه:

هو الصِّمَّةُ بن عبدالله بن الطُّفَيْل بن قُرَّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمة / بن خَصَفَةَ بن قَيْس[١] بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار. ١٣٢/٥

هو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية:

شاعرٌ إسلاميّ بَدَوِيٌّ مُقِلّ، من شعراء الدولة الأمويّة. ولجَدّه قُرّة بن هُبَيرة صحبة بالنبيّ ﷺ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم وآله.

وفد جدّه قرّة على النبيّ ﷺ وأسلم:

أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمد الرّازي وعمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ وابن دَأْب وغيرِهما من الرُّواة قالوا:

/ وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمةِ الخير بن قُشَيْر بن كعب بن رَبيعة إلى النبيّ ﷺ فأسلم، وقال له: [٢/٦] يا رسول الله، إنا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرّنا؛ فقال له رسول الله ﷺ: «نِعْمَ ذا عقلاً».

قصته في حبه وزواجه:

وقال ابن دَأْب: وكان من خبر الصِّمّة أنه هَوِيَ امرأةً من قومه ثم من بنات عمّه دِنْيَةً[٢] يقال لها العامريّة بنت

---

(١) قال في «القاموس»: «وعيلان بلا لام أبو قيس، أو الصواب قيس عيلان مضافاً» اهـ. ويؤيد القول بأنه أبوه قول سحبان:

لقـد علمـت قيـس بـن عيـلان أنني ... إذا قلـت «أمـا بعـد» إنـي خطيبهـا

ويؤيد القول الثاني قول الآخر:

إلـى حكـم مـن قيـس عيـلان فيصـل ... وآخـر مـن حـي ربيعـة عـالـم

وعلى أنه مضاف قيل: إن «عيلان» اسم فرس لقيس فأضيف إليه، أو هو عبد لمضر بن نزار حضن قيساً فغلب عليه ونسب إليه. (راجع «القاموس» وشرحه مادة عيل).

(٢) دنية أي لاصقة النسب.

غُطَيْف بن حَبيب بن قُرّة بن هُبَيرة؛ فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إياها؛ وخطبها عامر بن بشر بن أبي بَرَاء بن مالك بن مُلَاعِب[1] الأسنّة بن جعفر بن كِلَاب، فزوّجه إياها. وكان عامر قصيراً قبيحاً؛ فقال الصِّمَّة بن عبدالله في ذلك:

فإنْ تُنكِحوها عامراً لاطّلاعكم ... إليه يُدَهْدِهْكم[2] برجليه عامرُ

شبّهه بالجُعَل الذي يُدَهْدِهُ البعرةَ برجليه.

قال: فلما بَنَى بها زوجُها، وجَد الصِّمَّةُ بها وَجْداً شديداً وحزِن عليها؛ فزوّجه أهلُه امرأةً منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشيّ بن الطُّفَيل بن قُرّة بن هُبَيرة؛ فأقام عليها مُقَاماً يسيراً، ثم رحل إلى الشأم غضباً على قومه، وخلّف امرأتَه فيهم، وقال لها:

كُلي التمرَ حتى تَهْرَمَ النخلُ واضفِري ... خِطَامَكِ ما تدرين ما اليومُ من أمسِ

[٦/٣] / وقال فيها[3] أيضاً:

لَعَمْري لئن كنتم على النأى والقِلَى ... بكم مثلُ ما بي إنكم لصديقُ

إذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدن في الحَشَى ... رُدِدن ولم تُنْهَجْ لهنّ طريقُ

وقال فيها أيضاً:

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضكم ... أتتنا بريّاكم فطاب هُبوبُها

أتتنا بريح المسك خالَط عنبراً ... وريحِ الخُزَامَى باكرتْها جَنُوبُها

وقال فيها أيضاً:

هل تَجْزِيَنّي العامريّةُ موقفي ... على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمرِ

مَرَرْنَ بأسباب الصِّبا فذكَرْنَها ... فأومأْتُ إذ ما من جواب ولا نُكْرِ

موته بطبرستان:

وقال ابن دَأْب: وأخبرني جماعة من بني قُشَير أنّ الصِّمَّة خرج في غَزِيٍّ[4] من المسلمين إلى بلد الدَّيْلم فمات بطَبَرِسْتان.

قال ابن دَأْب: وأنشدني جماعة من بني قُشَير للصِّمَّة:

---

(١) كذا في الأصول. والمعروف أن ملاعب الأسنة كنيته أبو براء، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب. فصواب العبارة: «وخطبها عامر بن بشر بن أبي براء ملاعب الأسنة بن مالك... إلخ». وسمي ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر:

ولاعب أطراف الأسنة عامر ... فراح له حظ الكتيبة أجمع

(انظر «شرح القاموس» مادة لعب، و «بلوغ الأرب في أحوال العرب» للآلوسي ج ٢ ص ١٤٠)

(٢) دهده: دحرج.

(٣) واضح من السياق أن مرجع الضمير هنا العامرية محبوبته لا جبرة زوجته.

(٤) غزى: اسم جمع لغاز، أو هو جمع على وزن فعيل كقاطن وقطين وحاج وحجيج.

صوت

أَلاَ تسألان اللَّهَ أن يَسقيَ الحِمَى ... بَلَى فسَقَى اللَّهُ الحِمَى والمَطَالِيَا[(١)]

وأسألُ من لاقيتُ هل مُطِرَ الحِمَى ... فهل يسألن عنّي[(٢)] الحمى كيف حاليا

[٤/٦] / الغناء في هذين البيتين لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وهو من مختار الأغاني ونادرها.

١٣٣ ٥ أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع وعمّي قالا حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبدالله بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ حدّثنا عبدالله بن إسحاق الجعفريّ عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدّثني رجل من أهل طَبَرِسْتَانَ كبيرُ السنّ قال:

بينا أنا يوماً أمشي في ضَيْعة لي فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مطروحٍ عليه أهدامٌ خُلْقانٌ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِيّ:

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّكَ لا تَرَى ... بَشَامَ[(٣)] الحِمَى أُخْرَى الليالي الغَوَابِرِ

كأنّ فؤادي من تذكُّرِه الحِمَى ... وأهلَ الحِمَى يَهْفُو به ريشُ طائرِ

قال: فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه؛ فسألت عنه فقيل لي: هذا الصِّمّة بن عبدالله القُشَيري.

كان ابن الأعرابي يستحسن شعراً له:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الخَرّاز أحمد بن الحارث قال:

كان ابن الأعرابيّ يستحسن قول الصمة:

صوت

أمَا وجلالِ الله لو تذكُرِينني ... كذِكْرِيكِ ما كَفْكفتِ للعين مَدْمَعَا

فقالت بَلَى والله ذكراً لَوَ انّه ... يُصَبّ على صُمّ الصَّفَا لتصدّعا

[٥/٦] / ـ غنّى في هذين البيتين عُبيد الله بن أبي غَسّان ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى. وفيهما لعَرِيبَ خفيفُ رَمَل ـ:

ولمّا[(٤)] رأيتُ البِشْرَ قد حال بيننا ... وجالتْ بناتُ الشوق في الصدر نُزَّعَا

---

(١) المطالي: جمع مطلاء (يمد ويقصر)، وهو مسيل ضيق من الأرض أو هو أرض سهلة لينة تنبت العضاه. وحكى ابن بري عن علي بن حمزة أن المطالي روضات، واحدها مطلى بالقصر لا غير، وأما المطلاء لما انخفض من الأرض واتسع فيمد ويقصر والقصر فيه أكثر. وقيل المطالي: المواضع التي تغذو فيها الوحش أطلاءها. (عن «اللسان» مادة طلى بتصرف).

(٢) رواية «تجريد الأغاني» (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٠٧١ أدب): «فهل يسألن أهل الحمى...».

(٣) في الأصول: «سنام الحمى». والتصويب عن كتاب «تجريد الأغاني». والبشام: شجر طيب الريح والطعم يستاك به.

(٤) رواية «ديوان الحماسة» (طبع مدينة ليدن):

ولما رأيت البشر أعرض دوننا ... . يحنِنّ نزعا

والبشر: جبل. وأعرض: أبدى عرضه.

تَلَفَّتُّ نحوَ الحيِّ حتى وجدتُني وَجِعتُ[(١)] من الإصغاء لِيتاً وأخْدَعا

مدح إبراهيم بن محمد بن سليمان شعره:

أخبرني أبو الطيّب بن الوَشّاء قال:

قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزدي: لو حلَف حالفٌ أنّ أحسنَ أبياتٍ قِيلت في الجاهليّة والإسلام في الغزل قولُ الصِّمَّة القُشَيريّ ما حنِث:

حَنَنتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ مَزارَك من رَيّا وشَعْباكُما مَعا

فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعاً وتجزَعَ أنْ داعي الصبابة أسْمعا

بكتْ عينيَ اليُمنَى فلما زجرتُها عن الجهل بعد الحلم أسْبلتا معا

صوت

وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنثني على كَبِدي من خشيةٍ أن تَصدّعا

فليستْ عشيّاتُ الحِمَى برَوَاجِعٍ عليك ولكن خلِّ عينيك تَدْمَعا

غنّت في هذين البيتين قُرَشِيّة الزَّرْقاءُ لحناً من الثقيل الأول عن الهشاميّ. وهذه الأبيات التي أوّلها «حننت إلى ريّا» تُروَى لقَيْس بن ذَرِيح في أخباره وشعرِه بأسانيدَ قد ذُكرت في مواضعها، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد / ذُكرت أيضاً في أخباره. والصحيح في البيتين الأوّلين أنهما لقَيْس بن ذَرِيح وروايتهما [له][(٢)] أثبت، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق؛ والأُخَر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصِّمَّة. [٦/٦]

كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره:

[١٣٤/٥] / أنشدنا محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبي حاتم للصِّمَّة القُشَيريّ قال: وكان أبو حاتم يستجيدهما، وأنشدنيهما عمّي عن الكُرَانيّ عن أبي حاتم، وأنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم:

إذا نأتْ لم تُفارِقْني عَلاقتُها وإن دنتْ فصدود العاتب الزّاري

فحالُ عينيَّ من يومَيْكِ واحدةٌ تبكي لفَرْطِ صدودٍ أو نَوَى دار

تذكر محبوبته ويبكي وذكر شعره فيها:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عُبيد الله بن إسحاق بن سَلاّم قال حدّثني أبي عن شُعيب بن صَخْر عن بعض بني عُقَيل قال:

مررتُ بالصِّمَّة بن عبدالله القُشَيريّ يوماً وهو جالس وحدَه يبكي ويخاطب نفسه ويقول: لا والله ما صدَقَتْك فيما قالت؛ فقلت: من تَعني؟ وَيْحك! أجُننتَ! قال: أعْني التي أقول فيها:

(١) في س: «وجئت». وفي سائر الأصول: «وخفت». والتصويب عن «ديوان الحماسة» و «اللسان» (مادة وجع). والليت (بالكسر): صفحة العنق. والأخدع: عرق في العنق في موضع الحجامة.

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

أمَا وجلالِ اللّهِ لو تذكُرينني ... كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكراً لوَ انّه ... يُصَبّ على صُمّ الصَّفَا لتصدّعا

أُسلي نفسي عنها وأُخبرها أنها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي.

قصته في خطبة ابنة عمه ورحلته إلى ثغر من الثغور وشعره في ذلك:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العَبْدي عن موسى بن عبدالله التَّيْميّ قال.

/ خطب الصِّمّة القُشيريّ بنتَ عمّه وكان لها مُحِبّاً، فاشتطّ عليه عمُّه في المهر؛ فسأل أباه أن يعاونه وكان كثيرَ [٦/٧] المال فلم يُعِنْه بشيء؛ فسأل عَشِيرتَه فأعطَوْه؛ فأتى بالإبل عمّه؛ فقال: لا أقبل هذه في مهر ابنتي، فاسأل أباك أن يُبْدِلَها لك؛ فسأل ذلك أباه فأبى عليه؛ فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلَها وخلّاها، فعاد كلّ بعير منها إلى أُلّافه. وتحمّل الصِّمّةُ راحلاً. فقالت بنت عمه حين رأته يتحمّل: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبْعِرة. ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر؛ فقال وقد طال مُقامه وأشتاقها وندِم على فعله:

أتبكي على رَيّا ونفسُك باعدت ... مَزارَك من رَيّا وشَعْباكُما معا

فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً ... وتجزَعَ أنْ داعي الصبابة أسمعا

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدَامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ: أن الصِّمّة خطَب ابنة عمّه هذه إلى أبيها؛ فقال له: لا أزوّجكها إلا على كذا وكذا من الإبل؛ فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يَجِد بها؛ فساق الإبلَ عنه إلى أخيه؛ فلما جاء بها عدّها عمّه فوجدها تنقُص بعيراً، فقال: لا آخذها إلا كاملةً؛ فغضِب أبوه وحلف لا يَزيده على ما جاء به شيئاً. ورجع إلى الصِّمّة؛ فقال له: ما وراءك؟ فأخبره؛ فقال: تالله ما رأيت قطُّ ألأمَ منكما جميعاً؛ وإني لألأم منكما إن أقمتُ بينكما؛ ثم ركب ناقتَه ورحل إلى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات. وقال في ذلك:

أَمِنْ ذكر دارٍ بالرِّقَاشَيْنِ[١] أصبحت ... بها عاصفاتُ الصيف بَدْءاً ورُجَّعا

/ حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدت ... مزارَك من ريا وشعباكُما معا [٦/٨]

/ فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً ... وتجزَعَ أن داعي الصبابة أسمعا [١٣٥/٥]

كأنك لم تشهد وَداعَ مُفارِقٍ ... ولم تَرَ شَعْبَيْ صاحبين تقطّعا

بكت عينيَ اليسرى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحلم أسبَلَتا معا

تحمّل أهلي من قنين[٢] وغادروا ... به أهلَ ليلى حين جِيدَ[٣] وأمْرعا

---

(١) الرقاشان: جبلان بأعلى الشريف في ملتقى دار كعب وكلاب. ورواية البيت في «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري ـ وقد نسبه ليزيد بن الطثرية ـ:

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت ... عليها رياح الصيف بدءاً ورجعا

(٢) لم نوفق إلى هذا الاسم في المعاجم التي بين أيدينا. وظاهر أنه اسم موضع أو محرف عن اسم موضع.

(٣) جيد: أصابه الجود وهو المطر الغزير.

ألا يا خليليَّ اللذين تواصيا بلوميَ إلّا أن أُطيع وأسمعا
قفا إنه لا بدّ من رَجْع نظرة يَمانيّة شتّى بها القومُ أو معا
لِمُغتصَبٍ قد عَزّه[1] القومُ أمرَه حياءً يُكُفّ الدمعَ أن يتطلّعا
تَبرَّضُ[2] عينيه الصَّبابةُ كلّما دنا الليل أو أوْفَى من الأرض مَيْفَعا[3]
فليستْ عشيّاتُ الحِمَى برواجعٍ إليكَ ولكن خلِّ عينيك تَدْمَعا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن علي

قُلْ لأسماءَ أنْجِزي الميعادا وانظُري أن تُزوِّدي منكِ زادا
إن تكوني حللتِ رَبْعاً من الشا مِ وجاورتِ حِمْيراً أو مُرَادا
أو تناءَتْ بكِ النَّوَى فلقد قُدْ تِ فؤادي لحَيْنه فانقادا
ذاك أني عَلِقتُ منكِ جَوَى الحـ ـبِّ وَليداً فزدتُ سِناً[4] فزادا

[٩/٦] / الشعر لداود بن سَلْم. والغناء لدَحْمان، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى. وقد كنا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقّش، وطلبناه في أشعار المرقِّشَيْن[5] جميعاً فلم نجده، وكنا نظنه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم، وفي خبرٍ أنا ذاكره في أخبار داود. وإنما نذكر ما وقع إلينا عن رُواته؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فَرَط منا غيرَه، وما لم يَجْرِ هذا المجرى فلا ينبغي لقارىء هذا الكتاب أن يُلزمنا لومَ خطأ لم نتعمده ولا اخترعناه، وإنما حكيناه عن رواته واجتهدنا في الإصابة. وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله.

---

(١) عزه: غلبه وسلبه.

(٢) أي تأخذ الصبابة ماء عينيه شيئاً فشيئاً. يقال: تبرضت ماء الحسي إذا أخذته قليلاً قليلاً، وفلان يتبرض الماء إذا كان كلما اجتمع منه شيء غرفه.

(٣) الميفع: المكان المشرف.

(٤) في الأصول هنا وفيما يأتي «شيئاً». والتصويب عن «تجريد الأغاني».

(٥) يعني بالمرقشين: المرقش الأكبر والأصغر. والأكبر هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل. كذا قال ابن الكلبي وخالفه الجوهري. فقال: إنه من بليّ سدوس. والمرقش الأصغر هو ربيعة بن حرملة، وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وهو أيضاً عم طرفة بن العبد. (انظر «شرح القاموس» مادة رقش) وسيأتي الكلام عليهما في هذا الجزء.

/ أخبار داود بن سَلْم ونسبه

[١٠/٦]

نسبه وولاؤه وهو من مخضرمي الدولتين:

داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ؛ ثم يقول بعضُ الرواة: إنّه مولى آل أبي بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طَلْحة. وهو مخضرَم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يقال له داود الآدم[١] وداود الأرمك[٢]. وكان من أقبح الناس وجهاً.

رآه والي المدينة يخطر في مشيته فضربه فمدحه ابن رهيمة لذلك:

وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذاتَ يوم يخطِر خَطْرةً منكَرة فدعا به، وكان يتولّى المدينةَ، فضربه ضرباً مبرِّحاً؛ وأظهر أنه إنما فعل / ذلك به من أجل الخَطْرة التي تخايل فيها في مِشيته. فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنه ابنَ رُهَيمة:

[١٣٦/٥]

ضـــــرب العـــــادلُ سعـــــدٌ ... ابــــنَ سلــــم فــــي السَّمــــاجَــــهْ

فقضَـــــى اللّـــــهُ لسعـــــدٍ ... مـــــن أميـــــرٍ كـــــلَّ حـــــاجـــــه

مدح آل معمر لأن أمه من مواليهم:

أخبرني محمد بن سليمان الطُّوسي قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال:

سألت محمدَ بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناسُ، هو مولانا، أبوه رجل من النَّبَط، وأمه بنتُ حَوْط مولى عمر بن عُبيد الله بن مَعْمر؛ فانتسب إلى ولاء أمه. وفي ذلك يقول ويمدح ابنَ مَعْمَر:

وإذا دعـــا الجـــانـــي النصيـــرَ لنصـــره ... وارْتَنـــيَ الغُـــرَرُ النصيـــرةُ[٣] مَعْمَـــرُ

/ مُتَخـــازِريـــن[٤] كـــأنّ أُســـدَ خَفِيَـــةٍ[٥] ... بمقـــامهـــا مستبسِـــلاتٌ تَـــزْأَرُ

[١١/٦]

---

(١) كذا في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «الأدلم» والآدم والأدلم بمعنى، وهو الأسود.

(٢) الأرمك: الأسود. وفي جميع الأصول: «الأدمك» (بالدال المهملة) وهو تحريف.

(٣) كذا في جميع الأصول ولعلها مصحفة عن «النضيرة» بالضاد المعجمة.

(٤) تخازر الرجل ضيق جفنه ليحدّد النظر.

(٥) الخفية: غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه، وهي خفيته. وقيل: هي علم لموضع بعينه. قال الشاعر:

أســود شــرى لاقــت أســود خفيــة ... تســاقيــن سمــا كلهــن خــوادر

فشرى وخفية علمان لموضعين (راجع «اللسان» مادة خفي).

متجاسرين بحمل كل مُلِمَّة متجبِّرين على الذي يتجبَّر
عُسُلُ الرِّضا فإذا أردتَ خصامَهم خلَط السَّمَامَ بفيك صابٌ مُمْقِر[1]
لا يَطْبَعون ولا ترى أخلاقهم إلّا تطيبُ كما يطيب العنبر
رفَعوا بِناءَ يِعتق حَوْطِ دِنَيَّة جدِّي وفضلِهم الذي لا يُنكَر

كان أسود بخيلاً وله شعر في الكرم كذبه فيه قوم ضافوه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال:

كان داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مرّة، وكان يقال له: الآدم لشدّة سواده، وكان من أبخلِ الناس؛ فطرَقه قوم وهو بالعَقِيق، فصاحوا به: العَشَاءَ والقِرَى يابنَ سَلْم؛ فقال لهم: لا عَشَاء لكم عندي ولا قِرى؛ قالوا: فأين قولُك في قصيدتك إذ تقول فيها:

يا دار هندٍ ألا حُيِّيتِ من دارِ لم أقضِ منكِ لُباناتي وأوطاري
عُوِّدتُ فيها إذا ما الضيفُ نَبَّهني عَقْرَ العِشَار[2] على يُسْري وإعساري

قال: لستم من أولئك الذين عنيتُ.

عزى السري بن عبدالله عن ابنه:

قال: ودخل على السَّرِيّ بن عبدالله الهاشميّ، وقد أصيب بابن له؛ فوقف بين يديه ثم أنشده:

[٦/١٢] / يا من على الأرض من عُجْم ومن عَرَبٍ إسترْجِعوا خاستِ[3] الدّنيا بعَبّاسِ
فُجِعت من سبعة قد كنتُ آمُلُهم من ضِنْء[4] والدهم بالسيّد الرّاس

قال: وداود بن سلم الذي يقول:

قُلْ لأسماءَ أنْجِزي الميعادا وانظُري أن تزوِّدي منكِ زادَا
إن تكوني حَلَلْتِ ربعاً من الشأ م وجاورتِ حِميراً أو مُرادا
أو تناءت بكِ النوَى فلقد قُدْ تِ فؤادي لحَينه فانقادا
ذاكِ أني عَلِقتُ منكِ جَوَى الحـ ـبِّ وَليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

قال أبو زيد: أنشدنيها أبو غَسّان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود بن سَلْم.

---

(١) عسل: جمع عاسل وعسول أي حلو. والممقر: الشديد المرارة.
(٢) العشار جمع عشراء، وهي من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر، فإذا وضعت لتمام سنة فهي عشراء أيضاً. وأحسن ما تكون الإبل وأنفسها عند أهلها إذا كانت عشاراً.
(٣) خاست: غدرت.
(٤) الضنء: الولد: ويطلق على الأصل أيضاً.

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء

١٣٧/٥

/ صوت

يـــا دارَ هنـــد ألاّ حُيِّيـــتِ مـــن دارِ لـم أقـضِ منـك لُبـانـاتـي وأوطـاري

يتّم ويُنسب[١].

مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره:

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدّثنا الزبيرُ قال أخبرني مُصْعَب بن عثمان قال:

دعا الحسن بنُ زيد إسحاقَ بنَ إبراهيم بنِ طلحةَ بنِ عمر بنِ عُبيد الله بن مَعْمَر التَّيْميّ أيامَ كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبَى عليه فحبسه، فدعا مسرقين[٢] يسرقون / له مغسلاً في السجن، وجاء بنو طلحة فانْسجنوا معه. [١٣/٦] وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد، فأرسل إليه فأُتي به؛ فقال: إنك تلاجَجْتَ عليّ، وقد حلفتُ ألاّ أُرسِلك حتى تعملَ لي، فأبرِرْ يميني، ففعل؛ فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه؛ فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال:

طلبـــوا الفقـــه والمـــروءةَ والحِلْـــمَ وفيـك اجتمعـنَ يــا إسحــاقُ

فقال: ادفعوه، فدفعوه، فنُحِّي[٣] عنه؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه؛ فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء؛ فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين ديناراً، وقال للرسول: قل له: يقول لك مولاك: ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه؟ استعن بهذه على أمرك.

ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد والقصة في ذلك:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني مُحْرِز بن سعيد قال:

بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النبيّ ﷺ يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر، ومعه داود بن سَلْم مولى التَّيْميّين، وعليهما ثياب ملوّنة يجرّانها؛ فأومأ أن يُؤتَى بهما، فأشار إلى زيد أن اجلس، فجلس بالقرب منه، وأومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثلُه، ثم قال لعَوْن من أعوانه: ادعُ لي نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله، فدُعي له فجاء أحسنَ الناس سَمْتاً وتشميراً ونقاءَ ثياب؛ فأشار إليه فجلس؛ ثم أقبل على زيد فقال له: يابن أخي، تَشبه بشيخك هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه، ولا تَعُد إلى هذا اللبس، قُمْ فانصرف. ثم أقبل على ابن سَلْم وكان قبيحاً، فقال له: هذا / ابنُ جعفر أحتمل هذا له، وأنت لأيّ شيء [١٤/٦] أحتمل هذا لك؟ أَلِلؤم أصلِك، أم لسماجة وجهك! جَرِّد يا غلام؛ فجُرِّد فضربه أسواطاً. فقال ابن رُهَيمة:

جلـــد العـــادلُ سعـــدٌ ابـــنَ سَلْـــم فـــي السَّمـــاجَـــة

فقَضَـــى اللَّـــهُ لسعـــدٍ مـــن أميـــرٍ كـــلَّ حـــاجـــه

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وينسب. انتهى». ولا معنى لهذه الزيادة.

(٢) كذا في ب، س. وفي أ، ء، م: «مسرفين يسرفون» (بالفاء). وفي حـ: «مسروقين يسرقون له معسلاً». ولم نوفق إلى وجه الصواب فيها.

(٣) في ب، س: «فتنحى عنه».

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني يعقوب بن حُميد بن كاسِب قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشُون عن يوسف بن الماجِشُون قال:

قال لي أبي - وقد عُزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء - يا بنيّ تعجّلْ بنا عسى أن نروحَ مع سعد بن إبراهيم، فإن القاضي إذا عُزِل لم يزل الناسُ ينالون منه؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سعد بن إبراهيم، فإذا صوتٌ عالٍ؛ فقال لي أيُّ شيء هذا؟ أرى أنه قد أُعْجِل عليّ؛ ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له: أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ / سلم أربعين سوطاً، فأقبل عليَّ سعدٌ وعلى أبي، فقال: لم تَرَ مثلَ أربعين سوطاً في ظهر لئيم. قال: وفيه يقول الشاعر:

ضـــرب العـــادلُ سعـــدٌ ... ابـــنَ سَلْـــم فـــي السمـــاجَـــهْ

فقضــــــى الّلــــــهُ لسعــــــدٍ ... مـــن أميـــرٍ كـــلَّ حـــاجـــه

كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه لمدحه جعفر بن سليمان:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال قال الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْرِي واسمه هارون بن عبدالله[1] قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال:

/ كان الحسنُ بن زيد قد عوّد داودَ بن سَلْم مولى بني تَيْم إذا جاءته غَلّة من الخانِقِين[2] أن يَصِلَه. فلما مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد، أغضب ذلك الحسنَ؛ فقدِم من حجّ أو عُمْرة، ودخل عليه داودُ مسلّماً، فقال له الحسن: أنت القائل في جعفر:

وكنّـــا حـــديثـــاً[3] قبـــلَ تـــأميـــر جعفـــرٍ ... وكـــان المُنَـــى فـــي جعفـــر أن يُـــؤمَّـــرا

حَـــوَى المِنْبَـــرَيْـــن الطـــاهـــرَيْـــن كليْهمـــا ... إذا مـــا خطـــا عـــن مِنبـــرٍ أمَّ مِنْبـــرا

كـــأن بنـــي حَـــوّاء صُفُّـــوا أمـــامَـــه ... فَخُيِّـــر مـــن أنســـابهـــم فتخيَّـــرا؟

فقال داود: نعم، جعلني الله فداءكم، فكنتم خِيرَةَ اختياره؛ وأنا الذي أقول:

لَعَمـــري لئـــن عـــاقبـــتَ أوجُـــدْتَ مُنعِمـــاً ... بعفـــوٍ عـــن الجـــانـــي وإن كـــان مُعْـــذِرَا

لأنـــتَ بمـــا قـــدّمـــتَ أولـــى بمِـــدْحـــةٍ ... وأكـــرمُ فـــرعـــاً إن فخـــرتَ وعُنْصُـــرا

هـــو الغُـــرَّةُ الـــزَّهْـــراءُ مـــن فـــرع هـــاشـــمٍ ... ويـــدعـــو عليّـــا ذا المعـــالـــي وجعفـــرا

وزيـــدَ[4] النّـــدَى والسِّبْـــطَ سِبـــطَ محمـــدٍ ... وعمَّـــك بـــالطَّـــفِّ الـــزَّكـــيَّ المطهَّـــرا

ومـــا نـــال مِـــن ذا جعفـــرٌ غيـــرَ مجلـــسٍ ... إذا مـــا نفـــاه العـــزلُ عنـــه تـــأخَّـــرا

(١) في ء، م: «عُبيد الله».

(٢) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال، وبين قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ. وقال البشاري: وخانقين أيضاً بلدة بالكوفة. (عن «معجم البلدان»).

(٣) كذا بالأصول.

(٤) يعني به زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب الذي خرج على هشام بن عبد الملك في خلافته فقتله. والسبط: الحسن بن علي بن أبي طالب. وعمه يعني به الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد قتل بالطف، وهو موضع قرب الكوفة.

بحقِّكُمُ نالوا ذُرَاها فأصبحوا يَرَوْنَ به عزًّا عليكم ومَفْخَرا

قال: فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه، ولم يزل يَصِلُه ويُحْسِن إليه حتى مات. قال أبو يحيى: يعني بقوله: «وإن كان مُعْذِراً» أن جعفراً أعطاه بأبياته الثلاثةِ ألفَ دينار، فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه.

/ إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له: [١٦/٦]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزِّنَاد قال:

كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببَطْحاءِ ابنِ أزْهَر (على ستة أميال من المدينة، حِيالَ ذي الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوساً في القمر، وأبو السائب المخزوميّ معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسَّماع والغَزَل، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَرِيك[١] فنحن نُصيب منه، والحسن يومئذ عاملُ المنصور على المدينة؛ فأنشد الحسنُ قولَ داود بن سَلْم وجعل يَمُدّ به صوتَه ويُطَرِّبه:

صـوت

فعرَّسْنا ببطنِ عُرَيْتِناتٍ[٢] لِيَجْمَعَنا وفاطمةَ المَسِيرُ

أتَنْسَى إذ تَعَرَّض وهو بادٍ مُقلَّدُها كما بَرَقَ الصَّبِيرُ[٣]

ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه وقد يُنْبِيك بالأمر الخبيرُ

/ على أني زَفَرْتُ غَدَاةَ هَرْشَى[٤] فكاد يُرِيبهم مني الزَّفيرُ ١٣٩/٥

ـ الغناءُ للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البِنْصر عن إسحاق. وفيه للهُذَليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وأظنّه هذا اللحنَ ـ قال: فأخذ أبو السائب الطبَقَ! فوَحَّش[٥] به إلى السماء، فوقع الفَرِيكُ على رأس الحسن بن زيد؛ / فقال له: مالَكَ؟ وَيْحَكَ! أجُننتَ! فقال له أبو السائب: أسألُك بالله وبقرابتك من رسول الله ﷺ إلّا ما أعدتَ إنشادَ هذا الصوتِ ومدَدْتَه كما فعلتَ! قال: فما مَلَك الحسنُ نفسَه ضحكاً، وردّ الحسنُ الأبيات لاستحلافه إياه. قال ابنُ أبي الزِّنَاد: فلما خرج أبو السائب قال لي: يابنَ أبي الزِّنَاد، أمَا سمعتَ مَدَّه: [١٧/٦]

* ومن يُطعِ الهوى يُعْرَفْ هواه *

فقلت نعم؛ قال: لو علمتُ أنه يقبل مالي لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات. أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمد الرازيّ وعمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ.

---

(١) الفريك: طعام يفرك ويلت بسمن وغيره.

(٢) عرس القوم: نزلوا في السفر في آخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون. وعريتنات: اسم واد. وقال أبو عبيدة: عريتنات ماء بعدنة. (راجع «معجم البلدان» و«القاموس» وشرحه مادة عرتن).

(٣) الصبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

(٤) هرشى (وزان سكرى): ثنية قرب الجحفة في طريق مكة يرى منها البحر، ولها طريقان يفضيان بمن سلكهما إلى موضع واحد، ولذلك قال الشاعر:

خذا أنف هرشى أو قفاها فإنما كلا جانبي هرشى لهن طريق

(٥) وحش: رمى.

ما وقع بين ضبيعة العبسي وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثتني ظَبْيةُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت:

أرسلتني مولاتي فاطمةُ في حاجة، فمررتُ برَحْبة القضاء، فإذا بضُبَيْعةَ العَبْسيّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقضي بين الناس؛ فأرسل إليّ فدعاني، وقد كنت رَطَّلْتُ[1] شَعْري وربطت في أطرافه من ألوان العِهْن؛ فقال: ما هذا؛ فقلت شيء أتملّح به؛ فقال: يا حَرَسِيّ قنّعها بالسَّوْط. قالت: فتناولتُ السوط بيدي وقلت: قاتلك الله! ما أبين الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم! سعدٌ يجلِد الناس في السّماجة، وأنت تجلدهم في المَلاَحة؛ وقد قال الشاعر:

جلَــد العـــادل سعـــدٌ ... ابـنَ سَلْـم فـي السمـاجـة

فقضـــى اللّـــهُ لسعـــدٍ ... مـن أميـرٍ كـلّ حـاجـه

[١٨/٦] / قالت: فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال: خَلِّ عنها. قالت: فكان يَسُوم بي، وكانت مولاتي تقول: لا أبيعها إلاّ أن تهوى ذلك، وأقول: لا أريد بأهلي بدلاً؛ إلى أن مررت يوماً بالرَّحْبة وهو في مَنْظَرة دارِ مَرْوان ينظر؛ فأرسل إليّ فدعاني، فوجدتُه من وراء كِلّة وأنا لا أشعر به، وحازمٌ وجَرير جالسان؛ فقال لي حازم: الأمير يريدك؛ فقلت: لا أريد بأهلي بدلاً؛ وكُشِفتِ الكِلّة عن جعفر بن سليمان، فارتعتُ لذلك فقلت: آه؛ فقال: مالَكِ؟ فقلت:

سمعـتُ بـذكـر النـاس هنـداً فلـم أزَلْ ... أخـا سَقَـمٍ حتـى نظـرتُ إلـى هنـد

قال: فأبصرتِ ماذا؟ وَيْحَكِ! فقلت:

فـأبصـرتُ هنـداً حُـرّةً غيـرَ أنهـا ... تَصَـدَّى لقتـل المسلميـن علـى عَمْـدِ

قالت: فضحك حتى استلقى، وأرسل إلى مولاتي ليبتاعَني؛ فقالت: لا والله لا أبيعها حتى تَسْتبيعَني؛ فقلت: والله لا أستبيعُكِ أبداً.

أرسل شعراً لقثم بن العباس يذكره بجارية كان يهواها:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا يونس بن عبدالله عن داود بن سَلْم قال:

كنت يوماً جالساً مع قُثَم بنِ العباس قبل أن يُملَّكوا بفنائه، فمرّت بنا جارية، فأُعْجب بها قُثَم وتمنّاها فلم يُمكِنه ثمنُها. فلمّا وَلِي قُثَم اليمامةَ اشترى الجاريةَ إنسانٌ يقال له صالح. قال داود بن سلم: فكتبتُ إلى قُثَم:

١٤٠/٥ / يـا صـاحـبَ العِيـسِ ثـم راكبَهـا ... أبلـغْ إذا مـا لقيتَـه قُثَمـا

أنّ الغـزال الـذي أجـاز بنـا ... مُعـارِضـاً إذ تـوسّـط الحَـرَمـا

حَـوّلـه صـالـحٌ فصـار مـع الإ ... نْـسِ وخَلّـى الـوحـوش والسَّلَمـا

قال: فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريَها، فوجدها قد ماتت.

(١) رطل شعره: لينه بالدهن وكسره ومشطه وأرسله.

/ وفد على حرب بن خالد ومدحه فأجازه: [٦/١٩]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبدالله بن محمد بن موسى بن طَلْحة قال حدّثني زُهَير بن حسن مولى آل الرَّبيع[١] بن يونس:

أن داود بن سَلْم خرج إلى حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ فلما نزل به حَطّ غلمانُه متاعَ داودَ وحَلّوا عن راحلتِه؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول:

ولمّا دَفَعْتُ لأبوابهم[٢] ... ولاقيتُ حَرْباً لَقِيتُ النجاحا

وجدناه يَحْمَده المُجْتَدُون ... ويأبَى على العسر إلا سَمَاحا

ويُغْشَوْن حتى يُرَى كلبُهم ... يَهَابُ الهَرِير ويَنْسَى النُّباحا

قال: فأجازه بجائزة عظيمة، ثم استأذنه في الخروج فأذِن له وأعطاه ألفَ دينار. فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه؛ فظنّ أن حَرْباً ساخطٌ عليه، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه؛ فقال له: سَلْهم لم فعلوا بك ذلك. قال: فسألهم، فقالوا: إننا نُنْزِل من جاءنا ولا نُرْحِل من خرج عنا. قال: فسمع الغاضِريّ حديثَه فأتاه فحدّثه فقال: أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أحسنَ من شعرك.

شعر له في الغزل:

وذكر محمد بن داود بن الجَرّاح أن عمر بن شَبّة أنشده ابن عائشة لداود بن سَلْم، فقال: أحسَنَ والله داود حيث يقول:

لَعِجْبتُ من حبّيَ في تقريبه ... وعُمِّيَتْ عيناي عن عيوبِه

كذاك صرفُ الدهر في تقليبه ... لا يلبثُ الحبيبُ عن حبيبه

* أو يغفرَ الأعظمَ من ذنوبه *

قال: وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبدالله بن شَبيب لداود بن سَلْم قال:

/ وما ذَرّ[٣] قَرْنُ الشمسِ إلا ذكرتُها ... وأذكرُها في وقت كلّ غروبِ [٦/٢٠]

وأذكرها ما بين ذاك وهذه ... وبالليل أحلامي وعند هُبوبي

وقد شَفَّني شَوْقي وأبعدني[٤] الهوى ... وأعيا الذي بي طِبَّ كلِّ طبيب

وأعْجَبُ أنّي لا أموتُ صَبَابةً ... وما كَمَدٌ من عاشقٍ بعجيب

وكلُّ محبٍّ قد سلا غيرَ أنني ... غريبُ الهوى، يا وَيْحَ كلِّ غريب

وكم لام فيها من أخٍ ذي نصيحةٍ ... فقلت له أقْصِر فغيرُ مُصيب

(١) في حـ: «مولى الربيع بن يونس» بدون كلمة «آل».
(٢) في وإحدى روايتي أ: «إلى بابهم».
(٣) ذر: طلع.
(٤) كذا في أكثر الأصول. وأبعده: أهلكه وأقصاه. وفي ب، س: «وأبلاني الهوى».

أتــأمــر إنســانــاً بفُــرْقــة قلبــه أتصلُــح أجســامٌ بغيــر قلــوب

شعر له في مدح قثم بن العباس:

أخبرني إسماعيل بن يونُس الشِّيعي قال حدّثنا عمر بن شَبّةَ قال حدّثني أبو غسّان قال:

كان داود بن[1] سَلْم منقطعاً إلى قُثَم بن العباس، وفيه يقول:

عَتَقْــتِ مــن حِلِّــي ومــن رِحْلَتِــي يــا نــاقُ إن أدْنيتِنِــي مــن قُثَــمْ

إنــكِ إن أدْنيــتِ منــه غــداً حــالفنــي اليســر ومــات العــدم

/ فــي وجهــه بــدرٌ وفــي كفّــه بحــرٌ وفــي العِــرْنيــن منــه شَمَــمْ

١٤١/٥

أصــمُّ عــن قِيــل الخَنَــا سمعُــه ومــا عــن الخيــر بــه مــن صَمَــمْ

لــم يــدر مــا «لا» و «بَلَــى» قــد دَرَى فعــافهــا واعتــاض منهــا «نَعَــمْ»

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شَبّة قال لي إسحاق: لنَظْم العَمْياء في هذه الأبيات صَنعةٌ عجيبة، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها)[2].



(١) نسب هذا الشعر في «الكامل» للمبرد (ص ٣٦٩ طبع أوروبا) لسليمان بن قتة مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) هذه العبارة ساقطة من الأصول ما عدا ب، س.

/ أخبار دَحمان ونسبه

[٦/٢١]

كان مغنياً صالحاً مقبول الشهادة ملازماً للحج:

دَحْمان لقبٌ لُقّب به، واسمه عبد الرحمن بن عمرو، مَوْلَى بني لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة. ويُكنَى أبا عمرو، ويقال له دَحْمان الأشقر. قال إسحاق: كان دَحْمان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِناً للحجّ؛ وكان كثيراً ما يقول: ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء.

قال إسحاق: وحدّثني الزُّبَيري أنّ دَحْمان شَهِد عند عبد العزيز بن المطَّلِب [بن عبدالله][1] بن حَنْطَب [المَخْزوميّ][1]، وهو يَلِي القضاءَ لرجلٍ من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعَدّله[2]؛ فقال له العِرَاقيّ: إنه دَحْمان؛ قال: أعرفه، ولو لم أعرفه لسألتُ عنه؛ قال: إنه يغنّي ويعلّم الجواري الغناء؛ قال: غفر الله لنا ولك، وأيُّنا لا يتغنّى! اخرُج إلى الرجل عن حقّه.

مدح أعشى سليم غناءه:

وفي دحمان يقول أعشى بني سُلَيم:

إذا مــا هَــزَّج الــوادِ ... يُّ أو ثَقَّــل دَحمــانْ

سمعــتَ الشَّــذْوَ مــن هــذا ... ومــن هــذا بميــزانْ

فهــذا سيِّــد الإنــس ... وهــذا سيِّــد الجــانّ

وفيه يقول أيضاً:

كـانـوا فحـولاً فصـاروا عنـد حَلْبَتِهم ... لمّـا انبـرى لهـمُ دَحْمـانُ خِصْيـانـا

/ فـأَبْلِغُـوه عـن الأعشـى مقـالتَـه ... أعشـى سُلَيـم أبـي عمـرٍو سليمـانـا

[٦/٢٢]

قـولـوا يقـول أبـو عمـرٍو لصُحْبتـه ... يـا ليـت دَحْمـانَ قبـل المـوت غَنّـانـا

كان من تلاميذ معبد وأحد رواته:

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهديّ أنه حدّثه عن ابن جامع وزُبَيْر بن دَحْمان جميعاً:

---

(١) زيادة عن ابن الأثير والطبري و «تهذيب التهذيب» (ج ٦ ص ٣٥٧). وعبد العزيز هذا موصوف بالجود والمعرفة بالقضاء والحكم. ولي قضاء المدينة في زمن المنصور ثم المهدي، وولي قضاء مكة. وأمه أم الفضل بنت كليب بن جرير بن معاوية الخفاجية.

(٢) كذا في حـ. وعدّله: زكاه. وفي سائر الأصول: «وعدلها».

أنّ دحمان كان معدَّلاً مقبولَ الشهادة عند القضاة بالمدينة، وكان أبو سعيدٍ مولى فائد أيضاً ممن تُقبل شهادته. وكان دَحْمان من رُواة مَعْبَد وغلمانِه المتقدّمين. قال: وكان معبد في أول أمره مقبولَ الشهادة، فلما حضر الوليدَ بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات وغنَّى له سقطتْ عدالته، [لا لأن شيئاً بان عليه من دخول في محظور، ولكن][1] لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله.

منزلته في الغناء عند إبراهيم الموصلي:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال قال إسحاق:

كان دحمان يُكنَى أبا عمرو، مولى بني لَيْث، واسمُه عبد الرحمن، وكان يَخضِب رأسَه ولحيته بالحِنّاء؛ وهو من غلمان معبد. قال إسحاق: وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس، ويقول: لو كان عبداً ما اشتريته على / الغناء بأربعمائة درهم. وأشبهُ الناس به في الغناء ابنُه عبدالله، وكان يفضِّل الزُّبيرَ ابنَه[2] تفضيلاً شديداً على عبدالله أخيه وعلى دَحْمان [أبيه][3].

كان المهدي يجزل صلته:

أخبرني يحيى عن أبي أيّوب عن أحمد بن المَكّيّ عن عبدالله بن دَحْمان قال:

رجع أبي من عند المَهْديّ وفي حاصلِه مائةُ ألفِ دينار.

[٦/٢٣] / أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحَبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

بلغني أنّ المهديَّ أعطى دَحْمان في ليلة واحدة خمسين ألفَ دينار؛ وذلك أنه غنّى في شعر الأحْوص:

قَطُــــوفُ المَشْـــــي إذ تمشِـــي ... تَــرَى فــي مشيهــا خَــرَقَــا[4]

فأعجبه وطرِب، واستخفّه السرور حتى قال لدَحْمان: سَلْنِي ما شئت؛ فقال: ضَيْعتان بالمدينة يقال لهما رَيّان وغالِب؛ فأقْطعه إيّاهما. فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عُبيد الله[5] وعمر بن بَزِيع راجعا المهديَّ فيه وقالا: إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلاّ خليفة، وقد استقطعهما ولاةُ العهود في أيام بني أمية فلم يُقْطَعُوهما؛ فقال: والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى؛ فَصُولح عنهما على خمسين ألفَ دينار.

نسبة هذا الصوت

سَــرَى ذا الهــمُّ بــل طَــرَقَــا ... فَبِــــتُّ مسهَّـــــداً قَلِقَــــا

كــــذاك الحُـــبُّ ممـــــا يُحـ ... ـــــدِث التسهيــــدَ والأرقـــا

(١) هذه العبارة المحصورة بين قوسين زيادة عن ب، س.
(٢) في ب، س: «وكان يفضل الزبير ابنه عبدالله تفضيلاً... إلخ»، وهو تحريف.
(٣) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.
(٤) قطوف المشي: بطيئته. وخرقاً: تحيراً ودهشاً. يريد أنها حيية خفرة حتى لترى آثار التحير والدهش بادية عليها إذا مشت. وفي «اللسان»: «وفي حديث تزويج فاطمة رضوان الله عليها: فلما أصبح دعاها فجاءت خرقة من الحياء، أي خجلة مدهوشة؛ من الخرق وهو التحير. روى أنها أتته تعثر في مرطها من الخجل».
(٥) كذا في حـ. وهو أبو عُبيد الله معاوية بن عُبيد الله الأشعري الكاتب الوزير. وفي سائر الأصول: «إلى أبي عبدالله»، وهو تحريف. (راجع الطبري وابن الأثير في غير موضع).

قَطُـــوف المشـــي إذ تمشـــى تَـــرَى فـــي مشيهـــا خُـــرُقـــا
وتُثْقِلهـــا عَجِيـــزتُهـــا إذا ولّـــت لتنطلقـــا

/ الشعر للأحوص. والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو؛ وذكر الهِشَاميّ أنه لابن سُرَيج. [٦/ ٢٤]

سئل عن ثمن ردائه فأجاب:

أخبرني إسماعيل بنُ يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال:

مرَّ دَحْمان المغنّي وعليه رداء جيّد عَدَنِيّ[١]؛ فقال له مَنْ حضر: بكم اشتريتَ هذا يا أبا عمرو؟ قال:

بـ * ما ضرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا *

نسبة هذا الصوت

صوت

مـــا ضَـــرَّ جيـــرانَنـــا إذ انتَجَعُـــوا لـــو أنهـــم قبـــل بَيْنِهـــم رَبَعُـــوا[٢]
أحْمَـــوْا[٣] علـــى عـــاشـــق زيـــارتَـــه فهُـــو[٤] بهِجْـــران بينهـــم قُطَـــعٌ[٥]
وهـــو كـــأنّ الهُيَـــامَ خـــالطـــه ومـــا بـــه غيـــر حبِّهـــا ذَرَعُ[٦]
كـــأنّ لُبْنَـــى صَبِيـــرُ[٧] غـــاديـــةٍ أو دُمْيـــةٌ زُيِّنَـــت بهـــا البِيَـــعُ
الله بينـــي وبيـــن قيِّمهـــا يَفِـــرُّ عنّـــي بهـــا وأتّبِـــعُ

اشترى منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلما عرفه أرسل إليه وأكرمه:

أخبرني وَكيع عن أبي أيّوب المَدينيّ إجازةً عن أبي محمد العامريّ الأُوَيْسيّ قال:

/ كان دَحْمان جَمّالاً يُكْرِي إلى المواضع ويتّجر، وكانت له مروءة؛ فبينا هو ذاتَ يوم قد أكْرَى جِمالَه وأخذ [٦/ ٢٥] مالَه إذ سمع رَنّة، فقام واتّبع الصوتَ، فإذا جاريةٌ قد خرجت تَبْكي؛ فقال لها: / أمملوكةٌ أنتِ؟ قالت: نعم؛ [١٤٣/ ٥] فقال: لمن؟ فقالت: لامرأة من قريش، وسمّتْها له؛ فقال: أتبيعك؟ قالت: نعم، ودخلتْ إلى مولاتها فقالت: هذا إنسان يشتريني؛ فقالت: ائذني له، فدخل، فساماها حتى استقرّ أمرُ الثمن بينهما على مائتي دينار، فنقَدها إياها وانصرف بالجارية. قال دَحْمان: فأقامت عندي مدةً أطرَح عليها ويطرَح عليها مَعْبَد والأَبْجَر ونظراؤهما من المغنين؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشأم وقد حَذَقت، وكنت لا أزال إذا نزلنا أُنْزِل الأكْرِياء[٨] ناحيةً، وأنزل

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «غردني».
(٢) ربعوا: تمهلوا وانتظروا.
(٣) أحموا: حظروا ومنعوا.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فهم»، وهو تحريف.
(٥) القطع (كصرد): من يهجر رحمه ويعقها ويقطعها.
(٦) الذرع: الطمع. وفي حـ: «درع» (بالدال المهملة) ولعلها مصحفة عما أثبتناه. وفي سائر الأصول: «ودع» ولا معنى له.
(٧) الصبير: السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً. والغادية: السحابة تنشأ غدوة.
(٨) الأكرياء: جمع كريّ وهو المكاري.

معتزِلاً بها ناحيةً في مَحمِل وأطرَح على المَحمِل من أعْبِية[1] الجَمّالين، وأجلس أنا وهي تحت ظلّها، فأُخرج شيئاً فنأكله، ونضع رِكْوَة[2] فيها[3] لنا شراب، فنشرب وتتغنّى حتى نرحَل. ولم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشأم. فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلقي عليها لحني:

صوت

لــو رَدّ ذو شَفَــق حِمـامَ منيّـةٍ ... لـرددتُ عـن[4] عبـدِ العزيـز حِمـامَا

صلّـى عليـكَ اللّــهُ مِــن مستـودَعٍ ... جـاورتَ بُـوماً[5] فـي القبـور وهـامـا[6]

[٦/٢٦] / ـ الشعر لكُثَيِّر[7] يَرثي عبدَ العزيز بن مَرْوان. وزعم بعضُ الرواة أن هذا الشعر ليس لكثيّر وأنه لعبد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابناً له. والغناء لدَحْمَان، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البِنصر ـ.

قال: فرددتُه عليها حتى أخذتْه واندفعتْ تغنّيه، فإذا أنا براكبٍ قد طلَع فسلم علينا فردَدْنا عليه السلام؛ فقال: أتأذنون[8] لي أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً؟ قلنا نعم، فنزل؛ وعرضتُ عليه طعامَنا وشرابَنا فأجاب، فقدّمْنا إليه السُّفْرةَ فأكل وشرب معنا، واستعاد الصوت مراراً. ثم قال للجارية: أتغنّين لدَحْمَان شيئاً؟ قالت نعم. قال: فغنّته أصواتاً من صنعتي، وغمزتُها ألا تُعرّفَه أني دَحْمان؛ فطَرِب وامتلأ سروراً وشرب أقداحاً والجارية تغنّيه حتى قرُب وقتُ الرحيل؛ فأقبل عليّ وقال: أتبيعني هذه الجارية؟ فقلت نعم؛ قال: بكم؟ قلت كالعابث: بعشرة آلاف دينار؛ قال: قد أخذتُها بها، فهلمّ دواةً وقِرْطاساً، فجئته بذلك؛ فكتب: «اِدفع إلى حامل كتابي هذا حينَ تقرؤه عشرةَ آلافِ دينار، واستوصِ به خيراً وأعلمني بمكانه» وختَم الكِتابَ ودفعه إليّ؛ ثم قال: أتدفَع إليّ الجاريةَ أم تَمضي بها معك حتى تقبض مالكَ؟ فقلت: بل أدفعها إليك؛ فحملها وقال: إذا جئتَ البَخْراءَ[9] فَسَلْ عن فلان وادفعْ كتابي هذا إليه واقبضْ منه مالك؛ ثم انصرف بالجارية. قال: ومضيتُ، فلما وردت البَخْراءَ سألت عن اسم الرجل، فدُللت عليه،

[٦/٢٧] فإذا دارُه دارُ مُلْك، فدخلتُ عليه ودفعت إليه الكتابَ، فقبّله ووضعه / على عينيه، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إليّ، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين، وقال لي: اجلس حتى أُعلِم أميرَ المؤمنين بك؛ فقلتُ له: حيثُ كنتُ فأنا عبدُك وبين يديك، وقد كان أمر لي بأنزال[10] وكان بخيلاً، فاغتنمتُ[11] ذلك فارتحلتُ؛ وقد كنت أُصِبت بجملين، وكانت عدّةُ أجمالي خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ. قال: وسأل عنّي الوليدُ، فلم يَدرِ القَهْرَمانُ أين يطلبُني؛ فقال

---

(١) الأعبية: جمع عباء وهو ضرب من الأكسية.

(٢) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٣) في ب، س: «ركوة لنا فيها لنا شراب».

(٤) في ب، س: «من».

(٥) في ب، س و «تجريد الأغاني»: «رمساً».

(٦) الهام: طير الليل وهو الصدى، واحده هامة.

(٧) نسب هذا الشعر في «تجريد الأغاني» لإسماعيل بن يسار.

(٨) في ب: «أتأذنوا». وفي س: «أتؤذنوا»، وكلاهما تحريف.

(٩) البخراء: أرض وماءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز، وبها قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك. وفي ب، س: «النجراء» (بنون بعدها جيم) وهو تصحيف.

(١٠) الأنزال: جمع نزل (بضمتين وبضم فسكون) وهو ما هيىء للضيف أن ينزل عليه.

(١١) في جميع الأصول: «فاغتنم»، ولا يستقيم بها الكلام.

له الوليد: عدّةُ جِماله خمسةَ عشرَ جملاً فَارْدُده[١] إليّ؛ فلم أوجَد، لأنه لم يكن في الرُّفْقة من معه خمسةَ عشرَ جملاً، ولم يَعْرِف / اسمي فيَسألَ عنّي. قال: وأقامت الجارية عنده شهراً لا يَسأل عنها، ثم دعاها بعد أن ١٤٤ ه أَستُبرِئت[٢] وأُصلح من شأنها، فظلّ معها يومَه، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها: غنّيني لدَحمان فغنّت؛ وقال لها: زيديني فزادت. ثم أقبلت عليه فقالت: يا أمير المؤمنين، أوَ ما سمعتَ غناء دَحمان منه؟ قالا لا؛ قالت: بلى والله؛ قال: أقول لك لا، فتقولين بلى والله! فقالت: بلى والله لقد سمعتَه؛ قال: وما ذاكِ؟ وَيْحكِ! قالت: إنّ الرجل الذي اشتريتني منه هو دحمان؛ قال: أوَ ذلكِ هو؟ قالت: نعم، هو هو؛ قال: فكيف لم أعلم؟ قالت: غَمزني بألاّ أُعلمك. فأمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحمان، فحُمل فلم يزل عنده أثيراً[٣].

دحمان في مجلس أمير من أمراء المدينة:

أخبرني محمد بن مَزْيَدَ بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا ابن جامع قال:

/ تذاكروا يوماً كِبَرَ الأُيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القولَ؛ ثم قال بعضهم: إنما يكون كبر أيْرِ [٦/٢٨] الرجل على قَدْر حِرِ أُمّه؛ فالتفت الأميرُ إلى دَحْمان فقال: يا دَحْمان، كيف أيرك؟ فقال له: أيها الأمير، أنت لم تُرِد أن تعرف كبر أيري، وإنما أردتَ أن تعرف مقدار حِرِ أمّي. وكان دَحْمان طيّباً ظريفاً.

ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه:

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال:

أوّل ما عُرف من ظَرْف دَحْمان أنّ رجلاً مرّ به يوماً، فقال له: أيْر حماري في حِرِ أمّك يا دُحَيم؛ فلم يفهم ما قاله، وفَهِمه رجل كان حاضراً معه فضحك؛ فقال: ممّ ضحكت؟ فلم يُخْبِره؛ فقال له: أقسمتُ عليك إلاّ أخبرتَني؛ قال: إنه شتمك فلا أحبّ استقبالك بما قاله لك؛ فقال: والله لتخبرنّي كائناً ما كان؛ فقال له: قال: كذا وكذا من حمارِي في حِرِ أمّك؛ فضحك ثم قال: أعجبُ والله وأغلظ عليّ من شَتْمه كِنايتُك عن أيْر حمارِه وتصريحُك بحِرِ أمّي لا تَكْني.

جعفر بن سليمان أمير المدينة والمغنون:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال حدّثنا عبدالله بن الرّبيع المَديني[٤] قال حدّثني الرَّبَعِيّ المغنّي قال:

قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة: اغدُوا على قصري بالعَقِيق غداً؛ وكنت أنا ودَحْمان وعَطَرّد، فغدوتُ للموعد، فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة[٥]، فإذا هو وعَطَرّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها، وإذا السماءُ تَبْغَش[٦]، فأذكرتُهما الموعدَ، فقالا: أما ترى يومَنا هذا ما أطيبَه! اجلس حتى نأكلَ من هذه القِدْر ونُصيبَ

(١) كذا في أكثر الأصول و «تجريد الأغاني». وفي ب، س: «فارددها»، وهو تحريف.
(٢) استبراء الرجل الجارية: ألا يمسها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبين حالها أهي حامل أم لا.
(٣) كذا في أكثر الأصول. والأثير: المكرم. وفي ب، س: «أسيراً»، وهو تحريف.
(٤) في حـ: «المدني».
(٥) كذا في جميع الأصول. ولعلها محرّفة عن: «جهته» إذ جهينة قرية من نواحي الموصل على دجلة، ويبعد أن تكون هي المرادة هنا.
(٦) بغشت السماء تبغش (من باب قطع): أمطرت البغشة وهي المطرة الضعيفة.

[٦/٢٩] شيئاً / ونستمتعَ من هذا اليوم؛ فقال: ما كنت لأفعل مع ما تقدم الأمير به إليّ؛ فقالا لي: كأنّا بالأمير قد انحلّ عزمُه، وأخذك المطرُ إلى أن تبلغ، ثم ترجع إلينا مبتلاً فتقرَع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ. قال: فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت، وإذا جعفرٌ مُشرِف من قصره والمَضَارِب[1] تُضرَب والقدور تُنصَب؛ فلما كنت بحيث يسمع تغنّيتُ:

واستصحبُ الأصحابَ حتى إذا وَنَوْا ومَلُّوا من الإدْلاَج جئتكُم وَحْدِي

قال: وما ذاك؟ فأخبرتُه؛ فقال: يا غلام، هات مائتي دينار أو أربَعمائة دينار ـ الشك من إسحاق الموصلي ـ فانثرها في حِجْر الرَّبَعيّ، اذهب الآن فلا تُحلّ لها عُقْدةً حتى تُرِيَهما إياها؛ فقلتُ: وما في يدِي من ذلك! يأتيانكَ غداً فتُلْحِقهما بي؛ قال: ما كنتُ لأفعل؛ قلتُ: / فلا أمضي حتى تحلِف لي أنك لا تفعل، فحلَف. فمضيتُ إليهما، فقرعتُ الباب فصاحا وقالا: ألم نقل لك إن هذه تكون حالَك؛ فقلت: كلاّ! فأرَيتُهما الدنانيرَ؛ فقالا: إنّ الأمير لحَيٌّ كريم، ونأتيه غداً فنعتذرُ إليه فيدعوه كرمُه إلى أن يُلْحِقنا بك؛ فقلت: كذَبَتْكما أنفسُكما، والله إني قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الأيمانَ ألاّ يفعل؛ فقالا: لا وصلتْك رَحِم.

١٤٥ / ٥

غنى هو وابن جندب بالعقيق:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن منصور بن أبي مُزَاحِم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجِشون قال:

صلّينا يوماً الصبحَ بالمدينة، فقال قوم: قد سال العَقيق، فخرجنا من المسجد مُبَادرين إلى العقيق، فانتهينا إلى العَرْصة[2]، فإذا مِن وراء الوادي قُبَالتنا دَحْمانُ المغنّي وابن جُنْدَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو[3]:

[٦/٣٠] / أسكنُ البَدْوَ ما سكنْتِ ببدوٍ فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ

وإذا أطيبُ صوتٍ في الدنيا. قال: وكان أخي يكره السَّماع؛ فلمّا سمعه طرِب طرباً شديداً وتحرّك؛ وكان لغناء دَحْمانَ أشدَّ استحساناً وحركة وارتياحاً؛ فقال لي: يا أخي، اسمع إلى غناء دحمان، والله لكأنّه يسكُب على الماء زيتاً.

نسبة هذا الصوت

صوت

أوْحشَ الجُنْبُذَانِ[4] فالدَّيْرُ منها فقُراها فالمنزلُ المحظورُ

أسكنُ البدوَ ما أقمتِ ببدوٍ فإذا ما حضرتِ طاب الحضور

(١) المضارب: جمع مضرب وهو الفسطاط العظيم.

(٢) العرصة (بالفتح): بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. وبالعقيق عرصتان من أفضل بقاع المدينة وأكرم أصقاعها. ذكر محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه أن بني أمية كانوا يمنعون البناء في عرصة العقيق ضناً بها، وأن والي المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وهو قوله».

(٤) الجنبذ معرب كنبذ بالفارسية، ومعناه: الأزج المدوّر كالقبة. والشاعر هنا يريد به مكاناً بعينه.

أيُّ عيـش ألَـذُّه لسـتِ فيـه أوْ تُـرَى نَعْمـةٌ بـه وسُـرور

الشعر لحَسّان بن ثابت. والغناء لابن مِسْجَح رَمَلٌ مطلَق في مجرى البنصر عن إسحاق.

دحمان والفضل بن يحيى:

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي عثمانَ البَصْري قال:

قال دَحْمان: دخلتُ على الفضل بن يحيى ذات يوم؛ فلما جلسنا، قام وأومأ إليّ فقمتُ، فأخذ بيدي ومضى بي إلى مَنْظَرة له على الطريق، ودعا بالطعام فأكلنا، ثم صِرنا إلى الشراب؛ فبينا نحن كذلك إذ مرّت بنا جارية سوداء حِجَازيّة تغنّي:

اهْجُـريني أو صِلِيني كيفمـا شئـتِ فكـوني

أنـتِ والله تحبّـيـ ـنـي وإن لـم تُخبـريني

/ فطَرِب وقال: أحسنتِ! ادخلي فدخلتْ، فأمر بطعام فقُدّم إليها فأكلتْ، وسقاها أقداحاً، وسألها عن مواليها [٦/ ٣١] فأخبرته؛ فبعث فاشتراها، فوجدها من أحسن الناس غناءً وأطيبهم صوتاً وأملحِهم[1] طبعاً؛ فغلبتْني عليه مدّةً وتناساني؛ فكتبتُ إليه:

أخـرجـتِ السّـوداء مـا كـان فـي قلبـك لـي مـن شـدّة الحُـبّ

فـإن يـدُم ذا منـك لا دام لـي مـنـكَ مـن الإعـراض والكَـرْب

قال: فلمّا قرأ الرُّقعة ضحك، وبعث فدعاني ووصلني، وعاد إلى ما كان عليه من الأُنْس.

قال / مؤلف هذا الكتاب: هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر، وأظنّه غلطاً؛ لأنّ دَحْمان لم يُدرك خلافة ١٤٦/٥ الرشيد، وإنما أدركها ابناه زُبَير وعبدالله؛ فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى.

[ومما في المائة المختارة من صنعة دَحْمان][2]

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

وإنّـي لآتـي البيـتَ مـا إن أحِبُّـه وأُكثِـرُ هجـرَ البيـت وهـو حَبيـبُ

وأُغْضِـي علـى أشيـاءَ منكـم تَسُـوءني وأُدْعَـى إلـى مـا سَـرّكـم فـأجيـب

وأحبِـس عنـكِ النَّفـسَ والنفـسُ صَبّـةٌ بقُـرْبِـك والمَمْشَـى إليـكِ قـريـب

الشعر للأَحْوَص. والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ. وقد تقدّمتْ أخبارُ الأحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب.

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وأصلحهم».

(٢) هذه العبارة المحصورة بين قوسين ساقطة في ب، س.

[٦/٣٢] / صوت

من المائة المختارة

حَيِّيَا خَولَةَ مِنِّي بالسلامِ | دُرَّةَ البحرِ ومِصْباحَ الظلامِ

لا يكُن وَعْدُكِ برقاً خُلَّباً | كاذباً يلمع في عُرْضِ الغمام

واذكري الوعدَ الذي واعدتنا | ليلةَ النصف من الشَّهر الحرام

الشعر لأعشى هَمْدان. والغناء لأحمد النَّصْبِيّ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وعروضه من الرَّمَل. والخُلَّب من البرق: الذي لا غيث معه ولا يُنتفع بسحابه. وتَضرِبُ المثلَ به العربُ لمن أخلف وعدَه؛ قال الشاعر:

لا يكنْ وعدك برقاً خُلَّباً | إنّ خيرَ البرقَ ما الغيثُ مَعَهْ

وعرض السحابة: الناحية منها.



۱ أخبار أعشى هَمْدان ونسبه

[٦/ ٣٣]

نسبه وكنيته وهو شاعر أموي:

اسمه عبد الرحمن بن عبدالله بن الحارث بن نِظَام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ[١] بن جُشم بن حاشد[٢] بن جُشَم بن خَيْران[٣] بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن نِزار بن أَوْسِلة[٤] بن رَبيعة بن الخِيار بن مالِك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، ويُكنَى أبا المُصَبِّح، شاعرٌ فصيح، كوفيّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوجَ أخت الشَّعبيّ الفقيه، والشعبيُّ زوجَ أخته. وكان أحدَ الفقهاء القُرّاء، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ، وآخَى أحمد النُّصَيبي[٥] بالعَشِيريّة[٦] والبَلَديّة، فكان إذا قال شعراً غنّى فيه أحمدُ. وخرج مع ابن الأشْعث، فأُتِي به الحَجّاجُ أسيراً في الأسرى، فقتله صَبْراً.

قص رؤياه على صهره الشعبي فقال له تترك القرآن وتقول الشعر:

أخبرني[٧] بما أذكره من جملة أخباره الحَسَنُ بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ عن محمد بن معاوية الأَسَدي أنه أخذ أخباره هذه / عن / ابن كُنَاسة عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية وعن غيرهم من رُوَاة الكوفيين. قال حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعاً عن إسحاقَ الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبدالله بن عَيّاش الهَمْدانيّ. قال العَنَزيّ: وأخذت بعضَها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعي. وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفرداً.

[٦/ ٣٤] [١٤٧/ ٥]

أخبرني المهلَّبي أبو أحمد حَبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالا حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبدالله بن عَيّاش الهَمْداني قال:

---

(١) في «تجريد الأغاني»: «ابن عبد الجن».
(٢) كذا في حـ وكتاب «الاشتقاق» و «تجريد الأغاني». وفي سائر الأصول: «حاشر»، وهو تحريف.
(٣) في «شرح القاموس» (مادة خير): «قال شيخ الشرف النسابة: هو خيوان بالواو فصحف».
(٤) في ب، س: «واسلة». وفي سائر الأصول: «سلمة». والتصويب عن كتاب «تجريد الأغاني» و «القاموس» وكتاب «الاشتقاق». وضبط شارح القاموس «أوسلة» (بكسر السين). ويلاحظ أن صاحب كتاب «الاشتقاق» ذكر أن الخيار بن مالك ولد أوسلة وهو همدان، ثم ولد همدان نوفا وخيران ولذلك تجده أسقط ما بين همدان وأوسلة من أسماء. وفي «القاموس» أيضاً: «وأوسلة هي همدان». (راجع كتاب «الاشتقاق» ص ٢٥٠ طبع مدينة ليبزج).
(٥) في الأصول هنا وفيما يأتي: «النصيبي». وهو تحريف. (راجع الهامشه رقم ٦ ص ٣٤٤ ج ٥ من هذه الطبعة).
(٦) العشيرية: نسبة إلى العشير أو العشيرة وهم رهط الرجل وقبيلته. وسيأتي في ترجمة أحمد النصيبي أنه همداني وأنه من رهط الأعشى الأدنين.
(٧) يلاحظ في هذا السند أن الضمائر فيه غير واضحة المراجع.

كان الشَّعْبيّ عامرُ بن شَراحيل زوجَ أخت أعشى هَمْدان، وكان أعشى هَمْدان زوجَ أخت الشعبي؛ فأتاه أعشى همدان يوماً، وكان أحدَ القُرّاء للقرآن، فقال له: إني رأيت كأني أدخلت بيتاً فيه حِنْطة وشعير، وقيل لي: خذ أيّهما شئتَ، فأخذتُ الشَّعير؛ فقال: إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآنَ وقراءتَه وقلت الشعر؛ فكان كما قال:

سر في الديلم أحبته ابنة الأمير هربت معه وشعره في ذلك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ عن محمد بن معاوية الأسدي عن ابن كُنَاسة، قال العَنَزي وحدّثني مسعود بن بِشر عن أبي عُبيدة والأصمعي قالا، رافق[1] روايتَهم الهيثمُ بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال:

كان أعشى هَمْدان أبو المُصَبّح ممن أغزاه الحَجّاجُ بلدَ الدَّيْلم ونواحيَ دَسْتبيَ[2]، فأُسِر، فلم يزل أسيراً في [٦/٣٥] أيدي الديلم مدّة. ثم إن بنتاً للعِلْج الذي أَسَره هَوِيته، / وصارت إليه ليلاً فمكّنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثمانيَ مرّات؛ فقالت له الديلميةُ: يا معشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال لها: هكذا نفعل كلّنا؛ فقالت له: بهذا العمل نُصرتم؛ أفرأيتَ إن خلّصتُك، أتصطفيني لنفسك؟ فقال لها نعم، وعاهدها. فلما كان الليلُ حَلّت قيودَه وأخذتْ به طُرُقاً تعرفها حتى خلّصته وهرَبتْ معه. فقال شاعر من أَسْرى المسلمين:

فمن كان يَفْديه مِن الأَسْر مالُه ... فهَمْدانُ تَفْديها الغَداةَ أُيورُها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أَسْر الديلم:

صوت

لمن الظّعائنُ سيرُهنّ تَرَجُّفُ[3] ... عَوْمَ السَّفِين إذا تقاعس مِجذَفُ[4]

مرّتْ بذي خُشُب[5] كأنّ حُمولَها ... نَخْلٌ بيَثْرِبَ طَلْعُه مُتضعّف[6]

ـ غنّى في هذين البيتين أحمد النَّصْبي، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ. وفيهما لمحمد الزَّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو ـ:

عُولِين ديباجاً وفاخرَ سُنْدُسٍ ... وبخَزّ أكسية العراق تُحفَّفُ

---

(١) كذا في الأصول. ولعل صواب العبارة: «ووافق روايتهما الهيثم بن عدي... إلخ».

(٢) دستبي (بفتح أوّله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة): كورة كانت مقسومة بين الري وهمذان، فقسم منها يسمى دستبي الرازيّ وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمى دستبي همذان وهو عدّة قرى. وربما أضيف إلى قزوين في بعض الأوقات لاتصاله بعملها. ولم تزل دستبي على قسميها إلى أن سعى رجل من سكان قزوين من بني تميم له حنظلة بن خالد لمصيرها بقسميها إلى قزوين.

(٣) الترجف: الاضطراب الشديد.

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «تجذف».

(٥) ذو خشب (بضم الخاء والشين): واد على مسيرة ليلة من المدينة. وقد ذكر كثيراً في الشعر والمغازي. قال بعض بني مرة يصف ناقته:

فمرّت بذي خشب غدوة ... وجازت فويق أريك أصيلا

(راجع «معجم البلدان» وكتاب «ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه»).

(٦) كذا في «تجريد الأغاني»، والرواية فيه: «حمله متضعف». وفي ب، س: «متعصف». وفي سائر الأصول: «متعطف».

وغدتْ بهم يومَ الفراق عَرَامِسٌ [١] ... فُتْلُ المَرَافِقِ بالهوادجِ دُلَّفُ [٢]

/ بانَ الخليطُ وفاتني برحيله ... خَوْدٌ إذا ذُكرت لقلبك يُشْغَفُ [٦/٣٦]

تجلو بمسواكِ الأراكِ مُنَظَّماً ... عَذْباً إذا ضحكتْ تهلّلَ يَنْطُفُ

وكأنّ ريقتَها على عَلَلِ الكَرَى ... عَسَلٌ مصفّى في القِلالِ وقَرْقَفُ [٣]

وكأنما نظرتْ بعينَيْ ظبيةٍ ... تحنو على خِشْفٍ لها وتَعَطَّفُ

/ وإذا تنوء [٤] إلى القيام تدافعتْ ... مثلَ النَّزيفِ [٥] ينوءُ ثُمّتَ يَضْعُفُ ١٤٨/٥

ثقُلتْ روادفُها ومال بخَصْرِها ... كَفَلٌ كما مالَ النَّقا المتقصِّفُ

ولها ذراعا بَكْرةٍ رحبيّةٍ ... ولها بَنانٌ بالخِضابِ مُطَرَّفُ [٦]

وعوارضٌ مصقولةٌ وترائبٌ ... بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكةِ مُخْطَفُ [٧]

ولها بَهَاءٌ في النساءِ وبَهْجةٌ ... وبها تَحُلّ الشمسُ حين تُشرِّفُ

تلك التي كانت هوايَ وحاجتي ... لو أنّ داراً بالأحبّةِ تُسْعِفُ

وإذا تُصِبْك من الحوادث نكبةٌ ... فاصبر فكلُّ مصيبةٍ ستكشَّفُ

ولئن بكيتُ من الفراقِ صَبابةً ... إنّ الكبير إذا بكى ليُعَنَّفُ

عجباً من الأيام كيف تَصرَّفَتْ ... والدارُ تدنو مَرّةً وتقذَّفُ

أصبحتُ رَهْناً للعُداةِ مكبَّلاً ... أُمسي وأُصبح في الأداهمِ أَرْسُفُ

بين القليسمِ فالقيول فحامنٍ ... فاللهزمين ومضجعي مُتَكنَّفُ

- هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنَّفته الهموم بها -:

فَجبالُ ويمةَ ما تزالُ مُنيفةً ... يا ليتَ أنّ جبالَ ويمةَ تُنسَفُ

- ويمة وشلبة: ناحيتان من نواحي الريّ -:

/ ولقد أراني قبلَ ذلك ناعماً ... جَذْلانَ آبى أن أُضامَ وآنَفُ [٦/٣٧]

واستنكرتْ ساقي الوَثاقَ وساعدي ... وأنا امرؤٌ بادي الأشاجعِ أَعْجَفُ [٨]

ولقد تُضرّسني الحروبُ وإنني ... أَلْفَى بكلِّ مخافةٍ أتعسَّفُ

---

(١) العرامس: جمع عرمس (كزبرج) وهي الناقة الصلبة.

(٢) فتل المرافق: مندمجاتها. والواحد أفتل وفتلاء، وصف من الفتلة (بالتحريك) وهي اندماج مرفق الناقة. ودلف: جمع دالف وهو الماشي بالحمل الثقيل مقارباً للخطو.

(٣) القلال: جمع قلة وهي الجرة العظيمة أو عامة، وقيل الكوز الصغير. والقرقف: الخمر.

(٤) تنوء: تنهض بجهد ومشقة.

(٥) النزيف: السكران، ومن ذهب عقله، والذي سال دمه حتى يفرط فيضعف.

(٦) طرّفت المرأة بنانها: خضبت أطراف أصابعها بالحناء.

(٧) مخطف: ضامر.

(٨) الأشاجع: أصول الأصابع أو عروق الكف. وأعجف: قليل اللحم.

أتســربــل الليــلَ البهيــمَ وأستــري ... فــي الخَبْـت إذ لا يَشتَـرُونَ[١] وأوجِـف

مــا إن أزال مقنَّعــاً أو حــاســراً ... سَلَــفَ[٢] الكتيبــة والكتِيبــةُ وُقَّـف

فــأصــابنــي قــومٌ فكنــتُ أصيبهــم ... فــالآن أصبِـر للــزمــان وأعــرف

إنــي لطَــلاَّبُ التِّــراتِ مطلَّــبٌ ... وبكــل أسبــاب المنيّــة أُشــرِف

بــاقٍ علــى الحِــدْثــان غيــرُ مكــذَّبٍ ... لا كــاســفٌ بــالــي ولا متــأسّــف

إن نلــتُ لــم أفــرح بشــيء نِلتُــه ... وإذا سُبِقــتُ بــه فــلا أتلهّــف

إنــي لأحْمِــي فــي المَضِيــق فَــوارِسِــي ... وأكُــرّ خَلْــفَ المُستضــاف[٣] وأعطِــف

وأشُــدّ إذ يكبــو[٤] الجبــان[٥] وأصْطَلِــي ... حَــرَّ الأسنّــة والأسنّــة تَــرْعُــف

صوت

فلئــن أصــابتْنــي الحــروبُ فــربّمــا ... أُدْعَــى إذا مُنــع الــرِّدافُ فــأُردِفُ

ولــربّمــا يَــرْوَى بِكفِّــي لَهْــذَمٌ ... مــاض ومُطَّــرِدُ الكُعــوب مُثقَّــف[٦]

وأُغيــر غــاراتٍ وأشْهَــد مَشهــداً ... قلــبُ الجبــان بــه يَطيــر ويَــرجُــف

وأرى مغــانــمَ لــو أشــاء حــويْتُهــا ... فيصُــدّنــي عنهــا غِنَــى وتعَفّــف

[٦/٣٨ ١٤٩ ٥] / ـ غنّى في هذه الأبيات دَحْمَانُ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن الهشاميّ. قال الهشاميّ: فيها / لمالكٍ خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى، ووافقه في هذا ابن المكيّ ـ قالوا جميعاً:

خرج مع جيش الحجاج إلى مكران فمرض وقال شعراً:

ثم ضُرِب البَعْثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكْران[٧]، فأخرجه الحجّاج معهم، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرِض، فاجتواها وقال في ذلك ـ وأنشدني بعضَ هذه القصيدة اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ ـ:

طلبــتَ الصِّبــا إذ عــلا المَكْبَــرُ ... وشــاب القَــذال[٨] ومــا تُقصِــرُ

وبــان الشبــابُ ولــذاتُــه ... ومثلُــك فــي الجهــل لا يُعــذَر

(١) في ب، س: «وأشتدي... لا يشتدون» وفي سائر الأصول: «وأستدي»، وكلاهما تحريف. واسترى بمعنى سرى.
(٢) السلف: المتقدّم.
(٣) المستضاف: من يفزع إليه غيره ويلتجيء به، يريد به الكميّ الشجاع.
(٤) في حـ و «تجريد الأغاني»: «ينبو».
(٥) كذا في أكثر الأصول و «تجريد الأغاني». وفي ب، س: «الجواد».
(٦) مطرد الكعوب: الرمح، واطراد كعوبه: تتابعها. والمثقف: المقوّم المسوّى.
(٧) مكران (بالضم ثم السكون وأكثر ما تجيء في شعر العرب مشدّدة الكاف مفتوحتها): ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى وهي بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند في شرقيها. وقال الإصطخري: هي ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز والضر والقحط. (راجع «معجم البلدان»).
(٨) القذال: جماع مؤخر الرأس، وقيل: ما بين نقرة القفا إلى الأذن.

وقال العواذل هل يَنْتهي ... فيَقْدَعَه[1] الشيبُ أو يُقصِر
وفي أربعينَ تَوَفَّيْتُها ... وعَشْرٍ مضتْ ليَ مُستبصَر
وموعظةٌ لامرىء حازم ... إذا كان يَسمع أو يُبْصِر
فلا تأسفنَّ على ما مضى ... ولا يحزُنَنَّك ما يُدْبِر
فإنّ الحوادث تُبلي الفتى ... وإنّ الزمان به يعثُر
فيَوماً يُساء بما نابَه ... ويوماً يُسَرّ فيَستبشر
ومن كلّ ذلك يلْقى الفتى ... ويُمْنَى له منه ما يُقْدَر
/ كأنّيَ لم أرْتحِلْ جَسْرةً ... ولم أجْفِها بعد ما تضمر[2] [٣٩/٦]
فأُجْشِمَها كلّ دَيْمُومَةٍ[3] ... ويَعرفها البلدُ المُقفِر
ولم أشهدِ البأسَ يومَ الوَغَى ... عليّ المُفاضةُ والمِغْفَر[4]
ولم أخرِق الصفَّ حتى تَميـ ... ـل دارِعةُ[5] القومِ والحُسَّر
وتحتي جَرْداءُ خَيْفانةٌ ... من الخيل أو سابحٌ مُجفَر[6]
أُطاعِن بالرمح حتى اللَّبا ... نُ[7] يَجري به العَلَق الأحمر
وما كنت في الحرب إذ شَمَّرت ... كَمَنْ لا يُذيب ولا يُخثِر[8]
ولكنّني كنتُ ذا مِرّةٍ ... عَطوفاً إذا هتفَ المَحْجِر[9]
أُجيب الصَّريخ إذا ما دعا ... وعند الهِياج أنا المِسْعَر[10]
فإن أُمسِ قد لاح في المَشيـ ... ـبُ أُمَّ البنين، فقد أذكُر
رَخاءً منَ العيش كُنّا به ... إذِ الدهرُ خالٍ لنا مُصْحِر[11]
وإذ أنا في عُنفوان الشبا ... ب يُعجبني اللَّهوُ والسُّمَّر

---

(١) يقدعه: يكفه.
(٢) ارتحل الرجل البعير: شد عليه الرحل. والجسرة: الناقة المظيمة الطويلة. وأجفاها: أتعبها ولم يدعها تأكل ولا علفها قبل ذلك، وذلك إذا ساقها سوقاً شديداً.
(٣) الديمومة: الفلاة الواسعة.
(٤) المفاضة: الدرع الواسعة. والمغفر: زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به.
(٥) دارعة القوم: الفرقة اللابسة الدروع.
(٦) الجرداء: القصيرة الشعر. والخيفانة: السريعة. والمجفر: الواسع الجفرة أي الوسط.
(٧) اللبان: الصدر أو وسطه.
(٨) لا يذيب ولا يخثر: أي متردد متحير، مأخوذ من المثل: «وما يدري أيخثر أم يذيب». وأصله أن المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره ـ أي غليظه ـ برقيقه فلا يصفو؛ فتبرم بأمرها فلا تدري أتوقد حتى يصفو وتخشى إن أوقدت أن يحترق فتحار.
(٩) المحجر (كمجلس ومنبر): لعله يريد به هنا ما حول القرية. ومنه محاجر أقيال اليمن وهي الأحماء، كان لكل قيل حمى لا يرعاه غيره؛ على أن يكون المعنى إذا هتف أهل المحجر.
(١٠) المسعر: موقد نار الحرب كأنه آلة في إيقادها.
(١١) المصحر: المتسع الواضح المنكشف.

[٦/٤٠] / أصِيدُ الحسانَ ويَصْطَدْنَني ... وتعجبني الكاعبُ المُعصِر[1]

وبيضاءُ مثلُ مَهَاةِ الكَثِيـ ... ـبِ لا عَيْبَ فيها لمن ينظُر

كأن مُقَلَّدَها إذ بدا ... به الدُّرّ والشَّذْر[2] والجوهر

مُقَلَّدُ أَدْمَاءَ نَجْدِيَّة ... يَعِنُّ لها شادِنٌ أحور[3]

كأنّ جَنَى النحل والزنجبيـ ... ـلَ والفارسيَّةَ[4] إذ تُعْصَر

يُصَبّ على بَرْد أنيابها ... مُخَالِطُه المسكُ والعنبر

١٥٠ / ٥ / إذا انصرفتْ وتَلَوّتْ بها ... رِقاقُ المَجَاسِد[5] والمِئْزَر

وغَصّ السُّوارُ وجالَ الوِشاحِ ... على عُكَنٍ[6] خَصْرُها مُضْمَر

وضاقَ عن الساقِ خَلْخَالُها ... فكادَ مُخَدَّمها يَنْدُر[7]

فَتُورُ القيام رخيمُ الكلا ... م يُفْزِعها الصوتُ إذ تُزْجَر

وتُنْمَى إلى حَسَب شامخ ... فليستْ تُكَذَّب إذ تَفْخَر

فتلك التي شَفَّني حبُّها ... وحمَّلني فوق ما أقدِر

فلا تعذُلانيَ في حبّها ... فإنّي بمعذرةٍ أجْدَر

ـ ومن ها هنا رواية اليَزيديّ ـ:

وقُولا لذي طَرب عاشقٍ: ... أشطَّ المزارُ بمن تَذْكُر؟

بكوفيّة أصلُها بالفُرا ... ت تبدو هنالك أو تَحضُر[8]

[٦/٤١] / وأنتَ تسير إلى مُكَّران ... فقد شَحَط الوِرْدُ والمَصْدَر

ولم تكُ من حاجتي مُكَّران ... ولا الغزوُ فيها ولا المَتْجَر

وخُبِّرتُ عنها ولم آتها ... فما زِلتُ من ذكرها أُذْعَر

بأنّ الكثيرَ بها جائعٌ ... وأنّ القليل بها مُقْتِر

وأنّ لِحَى الناس من حَرّها ... تطول فتُجْلَم[9] أو تُضْفَر

---

(١) المعصر من النساء: التي بلغت شبابها أو أدركت؛ وقيل: التي راهقت العشرين.

(٢) الشذر: اللؤلؤ الصغير؛ وقيل: خرز يفصل به بين الجواهر في النظم؛ أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه بدون إذابة الحجارة.

(٣) الأدماء من الظباء: البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة. والشادن: ولد الظبية.

(٤) الفارسية: الخمر.

(٥) المجاسد: الأثواب التي تلي البدن، جمع مجسد (كمنبر).

(٦) العكن: جمع عكنة، وهي ما انطوى وتثني من لحم البطن سمناً.

(٧) المخدم: موضع الخلخال. وندر الشيء يندر ندورا (من باب نصر): سقط، وفي الحديث: «فضرب رأسه فندر».

(٨) بدا: أقام بالبادية. وحضر: أقام بالحضر.

(٩) تجلم: تقطع بالجلم، وهو المقص.

ويـزعُـم مَـنْ جـاءهـا قَبْلَنـا — بـأنّـا سَنَنْهَـم[1] أو ننحـر[2]

أعـوذ بـربِّـي مـن المُخْـزيـا — ت فيمـا أُسِـرّ ومـا أجهَـر

وحُـدِّثـت أنْ مـالنـا رَجْعَـةٌ — سِنيـنَ ومِـنْ بعـدهـا أشهـر

إلـى ذاك مـا شـاب أبنـاؤنـا — وبـادَ الأخِـلاّء والمَعْشَـر

ومـا كـان بـي مـن نشـاطٍ لهـا — وإنّـي لـذو عُـدّة مُـوسِـر

ولكـنْ بُعِثـتُ لهـا كـارهـاً — وقيـل انطلـق كـالـذي يُـؤمـر

فكـان النَّجـاء[3] ولـم ألتفـت — إليهـمْ وشـرّهُـم مُنكـر

هـو السيـف جُـرِّد مـن غمـده — فليـس عـن السيـف مستـأخَـر

وكـم مـن أخٍ لـيَ مستـأنِـس — يَظَـلّ بـه الـدمـعُ يَنْتحِـر

يـودّعنـي وانتحـتْ عبـرةٌ — لـه كـالجـداول أو أغـزر

فلسـتُ بـلاقيـه مـن بعـدهـا — يَـدَ الـدهـر[4] مـا هبّـت الصَّـرْصَـر

وقـد قيـل إنكـم عـابـرو — ن بحـراً لهـا لـم يكـن يُعْبَـرُ

إلـى السِّنـد والهنـد فـي أرضهـم — هُـمُ الجـنّ لكنّهـم أنْكَـر

/ ومـا رام غـزواً لهـا قبلَنـا — أكـابـرُ عـادٍ ولا حِمْيَـر [٦/٤٢]

ولا رام سـابـورُ غـزواً لهـا — ولا الشيـخ كِسْـرى ولا قيصـر

ومِـنْ دونهـا مَعْبَـرٌ واسـعٌ — وأجـرٌ عظيـم لمـن يـؤجَـر

/ قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي: [١٥١/٥]

وذكر محمد بن صالح بن النَّطّاح أنّ هشام بن محمد الكلبيّ حدّث عن أبيه:

أن أعشى هَمْدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحِيّ بالرَّيّ ودَسْتبي[5]، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسَهم، فلما قدم خالدٌ من مَغزاه خرج جَواريه يتلقَّيْنه وفيهنّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدْر عنده، فجعل الناسُ يَمُرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النُّعاس؛ فقالت أمّ ولدَ خالد بن عتّاب لجواريها: إن امرأة خالد لَتُفاخرني بأبيها وعمّها وأخيها، وهل يَزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش. وسمعها الأعشى فقال: مَنْ هذه؟ فقال له بعضُ الناس: هذه جارية خالد؛ فضحك وقال لها: إليك عني يا لَكْعاء؛ ثم أنشأ يقول:

---

(١) سهم الرجل (من بابي قطع وكرم) سهوماً وسهومة: تغير لونه وبدنه مع هزال ويبس.

(٢) كذا بالأصل. ولعلها مصحفة عن: «ننجر» (بالجيم المعجمة). ونجر الرجل ينجر (من باب علم): أصابه عطش شديد.

(٣) النجاء: السرعة في السير.

(٤) يد الدهر: كناية عن الأبد. يقال: لا أفعل كذا يد الدهر، أي أبداً.

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٤ من هذا الجزء.

وما يُدريكِ ما فرسٌ جَرُورٌ[١] … وما يدريكِ ما حَمْلُ السّلاحِ
وما يدريكِ ما شيخٌ كبيرٌ … عَداهُ الدهرُ عن سَنَنِ المِراحِ
فأُقسِمُ لو ركبتِ الوَرْدَ يوماً … وليلتَه إلى وَضَحِ الصَّباحِ
إذاً لنظرتُ منكِ إلى مكانٍ … كسَحْقِ[٢] البُرْدِ أو أثَرِ الجِراحِ

قال: فأصبحت الجاريةُ فدخلَتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأعشى؛ فقالت: والله ما تُكْرَم، ولقد اجترِيءَ عليكَ[٣]! فقال لها: وما ذاكِ؟ فأخبرته أنها مرّت برجل في وجه الصبح، ووصفته له وأنه سبّها؛ فقال: ذلك أعشى همْدان؛ فأيّ شيء قال لك؟ / فأنشدته الأبيات. فبَعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له: ما تقول؟ هذه زَعَمتْ أنك هجوْتَها؛ فقال: أساءت سمعاً، إنما قلتُ: [٦/٤٣]

مررتُ بنسوةٍ متعطِّراتٍ … كضوءِ الصبحِ أو بَيْضِ الأداحِي[٤]
على شُقْرِ البغالِ فَصِدْنَ قلبي … بحسنِ الدَّلِّ والحَدَقِ المِلاحِ
فقلتُ مَنِ الظباءُ فقلنَ سِرْبٌ … بدا لكَ من ظِباءِ بَني رِياحِ

فقالت: لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبيات؛ فقال له خالد: أمَا إنها لولا أنّها قد وَلَدتْ منّي لوهبتُها لك، ولكنّي أفتدي جنايتَها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له: أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألاَّ تُعيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فَرط منك.

وذكر هذا الخبرَ العَنَزيُّ في روايته التي قدّمتُ ذكرها، ولم يأتِ به على هذا الشرح.

خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي:

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعاً:

وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنّيه إيّاه ويَعِدُه به: إن وُلّيتُ عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً، فمتى استُعمِلتُ فخذ خاتَمي واقضِ في أمور الناس كيف شئتَ. قال: فاستُعمِل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه:

تُمَنّيني إمارتَها تَميمٌ … وما أُمّي بأُمِّ بني تَميمِ
وكان أبو سليمانَ أخاً لي … ولكنّ الشِّراكَ[٥] من الأديمِ
أتينا أصبهانَ فهزّلَتنا … وكنّا قبلَ ذلك في نعيمِ
/ أتذكرنا ومُرّةَ إذ غزونا … وأنتَ على بُغَيْلِك ذي الوُشُومِ [١٥٢/٥]
/ ويركبُ رأسَه في كلّ وَحْلٍ … ويعثُرُ في الطريقِ المستقيمِ [٦/٤٤]

(١) الفرس الجرور: الذي لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه.
(٢) السحق: الثوب البالي، ويضاف للبيان فيقال: سحق برد وسحق عمامة.
(٣) في ب، س: «.. ولقد اجترأ».
(٤) الأداحي: جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل.
(٥) الشراك: أحد سيور النعل التي تكون على وجهها.

وليـس عليـك إلا طَيْلَسـانٌ نَصِيبِـيٌّ وإلاّ سَحْـقُ نِيـم[1]
فقـد أصبحـتَ فـي خـزّ وقـزّ تَبَخْتـر مـا تَـرى لـك مـن حميـم
وتحسـب أن تلقّاهـا زمـانـاً كـذبـتَ وربِّ مكـة والحطيـم

ـ هذه رواية ابن النطّاح، وزاد العنزيّ في روايته ـ:

وكـانـت أصبهـانُ كخيـر أرضٍ لمُغتَـرِب وصُعلـوكٍ عـديـمِ
ولكنّـا أتينـاهـا وفيهـا ذوو الأضغـان والحقـد القـديـم
فـأنكـرتُ الـوجـوهَ وأنكـرتنـي وجـوهٌ مـا تُخبِّـر عـن كـريـم
وكـان سفـاهـةً منّـي وجهـلاً مَسِيـري لا أسيـر إلـى حميـم
فلـو كـان ابـنُ عتـابٍ كـريمـاً سمـا لـلروايـة[2] الأمـر الجسيـم
وكيـف رجـاءُ مـن غلَبـتْ عليـه تنـائـي الـدارِ كـالـرَّحِـم العقيـم

قال ابنُ النّطاح: فبعث إليه خالد: مَن مُرّة هذا الذي ادعيتَ أني وأنت غزَوْنا معه على بغل ذي وُشُوم؟ ومتى كان ذلك؟ ومتى رأيتَ عليَّ الطَّيْلسان والنِّيمَ اللذين وصفتَهما؟ فأرسل إليه: هذا كلام أردتُ[3] وصفَك بظاهره، فأمّا تفسيره، فإن مُرّةَ مَرارةُ ثمرةِ ما غرستَ عندي من القبيح. والبغل المَركَبُ الذي ارتكبتَه مني لا يزال يعثُر بكَ في كل وَعْثٍ وجَدَد ووَعْر وسَهْل. وأما الطيلسان فما أُلبسك إياه من العار والذمّ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميل فراجعتُه لك؛ فقال: لا، بل أراجع الجميلَ وتُراجعه؛ فوصَله بمال عظيم وترضّاه. هكذا روى من قدّمتُ ذكره.

/ أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعي قال: [٦/ ٤٥]

لما ولِي خالدُ بنُ عَتّاب بن وَرْقاء أصبهانَ، خرج إليه أعشى هَمْدان، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة، فلم يَجِد عنده ما يحبّ؛ وأعطى خالدٌ الناس عطايا فجعله في أقلّها وفضّل عليه آلَ عُطَارد؛ فبلغه عنه أنه ذمّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه؛ فقال يهجوه:

ومـا كنـتُ ممـن ألجـأتْـه خَصَـاصـةٌ إليـك ولا ممـن تَغُـرّ المـواعـدُ
ولكنّهـا الأطمـاعُ وهـي مُـذِلّـةٌ دنـتْ بـي وأنـتَ النـازح المتبـاعـد
أتَخبِسُنـي فـي غيـر شـيء وتـارةً تـلاحظنـي شَـزْراً وأنفُـك عـاقِـد[4]
فـإنـك لا كـابنَـيْ فَـزارة فـاعلَمـن خُلِقـتَ ولـم يُشبِهْهمـا لـك والـد
ولا مُـدرِكٌ مـا قـد خـلا مـن نَـدَاهمـا أبـوكَ ولا حـوضَيْهمـا أنـت وارد
وإنـك لـو سـاميـتَ آلَ عُطَـارد لَبـذَّتْـك أعنـاقٌ لهـم وسـواعـد
ومَـأثُـرةٌ عـاديّـةٌ لـن تنـالَهـا وبيـتٌ رفيـع لـم تَخُنْـه القـواعـد

(١) النيم: الفرو، أو هو ثوب ينام فيه من القطيفة.
(٢) كذا في الأصول. ولعلها: «لذؤابة الأمر الجسيم». وذؤابة الشيء: أعلاه. وتستعار للعز والشرف وعلو الرتبة.
(٣) في حـ: «وضعك».
(٤) يريد أنه غضبان معرض عنه.

وهـل أنـت إلا ثعلـبٌ فـي ديـارهـم تُشَـلُّ[١] ـ فتَعَسـاً ـ أو يقـودُك قـائـد
أرَى خـالـداً يختـال مشيـاً كـأنـه مـن الكبـريـاء نَهْشَـلٌ أو عُطَـارِدُ[٢]
/ ومـا كـان يَـرْبُـوع شبيهـاً لـدارِمٍ ومـا عَـدَلَـتْ شمـسَ النهـار الفَـرَاقـد

١٥٣ / ٥

مدح ابن الأشعث وحرّض أهل الكوفة للقتال معه ضد الحجاج:

قالوا: ولما خرج ابنُ الأشعَث على الحَجّاج بن يوسف حشَد معه أهل الكوفة، فلم يَبْقَ من وجوههم وقرّائهم أحدٌ له نَباهة إلّا خرج معه لِثِقَل وطأة الحَجّاج عليهم. فكان عامر الشَّعْبيّ وأعشى هَمْدان ممّن خرج معه، وخرج أحمد النَّصْبِي[٣] أبو أسامة / الهَمْداني المغنّي مع الأعشى لالفته إياه، وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرّض أهلَ الكوفة بأشعاره على القتال، وكان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه:

[٦/٤٦]

يـأبَـى الإلّـهُ وعـزةُ ابـن محمـد وجـدودُ مَلْـك قبـلَ آل ثَمـودِ
أن تـأنسـوا بمـذمَّميـن، عـروقُهـم فـي النـاس إنْ نُسبـوا عـروقُ عَبيـد
كـم مـن أبٍ لـك كـان يعقِـد تـاجَـه بجبيـن أبلـجَ مِقْـوَلٍ صِنـديـد
وإذا سـألـتَ: المجـدُ أيـن محلّـه فـالمجـدُ بيـن محمـد وسعيـد
بيـن الأشـجّ وبيـن قيـس بـاذخٌ بَـخٍ بَـخٍ لـوالـده وللمـولـود
مـا قصّـرَتْ بـكَ أن تَنـال مَـدَى العُـلا أخـلاقُ مَكْـرُمـةٍ وإرثُ جـدود
قَـرْمٌ[٤] إذا سـامَـى القُـرُومَ تـرى لـه أعـراقَ مجـدِ طـارفٍ وتَليـد
وإذا دعـا لعظيمـةٍ حُشِـدتْ لـه هَمْـدان تحـت لـوائـه المعقـود
يَمْشُـون فـي حَلَـق الحـديـد كـأنهـم أُسْـد الإبـاء سمعـنَ زَأرَ أسـود
وإذا دعـوتَ بـآل كِنْـدة أجْفَلـوا بكهـول صـدقٍ سيِّـد ومَسُـود
وشبـابِ مـأسَـدةٍ كـأنّ سيـوفَهـم فـي كـلّ مَلْحَمـةٍ بـروقُ رعـود
مـا إن تـرى قيسـاً يقـارب قيسَكـم فـي المَكْـرُمـات ولا تـرى كسعيـد

طلب من ابن الأشعث في سجستان زيادة عطائه فردّه فقال شعراً:

وقال حَمّاد الراوية في خبره: كانت لأعشى هَمْدان مع ابن الأشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة؛ وكان الأعشى من أخواله، لأن أمّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمْداني. قال: فلما صار ابنُ الأشعثِ إلى سِجِسْتانَ جَبى مالاً كثيراً، فسأله أعشى همدان أن يُعطيَه منه زيادةً على عطائه فمنعه؛ فقال الأعشى في ذلك:

(١) تشل: تطرد.
(٢) نهشل وعطارد: قبيلتان من العرب ينتسبان إلى دارم بن مالك بن حنظلة. وخالد ـ المقصود في الشعر هنا ـ من رياح ورياح من دارم.
(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «النصيبي» وهو تحريف.
(٤) القرم: السيد العظيم.

/ هـل تعـرف الـدارَ عفـا رسمُهـا ... بـالحَضْـر[1] فـالـروضـةِ مـن آمِـدِ[2] [٦/٤٧]
دارٌ لخَـــودٍ طَفْلَـــةٍ رُودة ... بـانَـتْ فـأمسـى حبُّهـا عـامِـدِي[3]
بيضـاءَ مثـلِ الشمـس رَقْـراقـةٍ ... تَبْسِـم عـن ذي أُشُـر[4] بـارد
لم يُخْـطِ[5] قلبـي سهمُهـا إذ رمـتْ ... يـا عجبـاً مـن سهمهـا القـاصِـد
يـا أيهـا القَـرْمُ الهِجَـانُ[6] الـذي ... يَبْطِـش بطـشَ الأسـد الـلاّبـد
والفـاعـلُ الفعـلَ الشـريـفَ الـذي ... يُنْمَـى إلـى الغـائـب والشـاهـد
كـم قـد أُسَـدِّي لـك مـن مِـدْحـةٍ ... تُـرْوَى مـع الصـادر والـوارد
وكـم أجبنـا لـك مـن دَعـوة ... فـاعـرفْ فمـا العـارفُ كـالجـاحـد
نحـن حَمَيْنـاكَ ومـا تَحتمـي ... فـي الـرَّوْع مـن مَثْنَـى ولا واحـدِ
/ يـومَ انتصـرنـا لـك مِـن عـابـد ... ويـومَ أنجينـاك مـن خـالـد ١٥٤/٥
ووقعـةَ الـرَّيّ التـي نِلْتَهـا ... بجَحْفـلٍ مـن جَمْعنـا عـاقـد
وكـم لَقِينـا لـك مـن واتـرٍ ... يصـرِف نـابَـيْ حَنِـق حـارد[7]
ثـم وَطِئْنـاه بـأقـدامنـا ... وكـان مثـلَ الحيَّـة الـراصـد
إلـى بـلاء حسـنٍ قـد مضـى ... وأنـتَ فـي ذلـك كـالـزاهـد
فـاذكُـر أيـادينـا وآلاءنـا ... بعـودةٍ مـن حِلْمـك الـراشـد
/ ويـومَ الأهـواز فـلا تَنْسَـه ... لَيـس الثَّنـا[8] والقـولُ بـالبـائـد [٦/٤٨]
إنـا لنـرجـوك كمـا تَـرْتجـي ... صـوبَ الغمـام المُبـرِق الـراعـد
فـانفَـحْ بكفَّيْـك ومـا ضَمَّتـا ... وافعـلْ فَعـالَ السَّيِّـد المـاجـد
مـا لَـك لا تُعطـي وأنـتَ امـرؤٌ ... مُثْـرٍ مـنَ الطـارف والتـالـد
تَجْبـي سِجِسْتـانَ ومـا حـولهـا ... مُتَّكِئـاً فـي عيشـك الـراغـد

---

(١) الحضر: مدينة بإزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات.
(٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر، وهي قديمة حصينة مبنية بالحجارة السوداء وعلى نشز، ويحيط دجلة بأكثرها، وفي وسطها عيون وآبار قريبة يتناول ماؤها باليد، وفيها بساتين.
(٣) الخود: المرأة الشابة ما لم تصر نصفاً. والطفلة: الرخصة الناعمة. والرودة: الشابة الحسنة. وعامدي: مضنيّ ومهلكي.
(٤) الأشر: التحزيز الذي يكون في الأسنان، يكون خلقة ومصنوعاً.
(٥) أصلها: «لم يخطىء» فسهلت الهمزة ثم حذفت الياء.
(٦) الهجان: الخالص وخيار كل شيء.
(٧) صرف نابه وبنابه: حرقه فسمع له صوت. والحارد: الغاضب.
(٨) كذا في حـ. والثنا (بالتحريك والقصر): ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء. وفي سائر الأصول: «الثنا» (بثاء مثلثة بعدها نون).

لا ترهبُ الدهرَ وأيامَه ... وتَجْرُدُ[1] الأرضَ مع الجارد

إن يكُ مكروهٌ تَهِجْنا له ... وأنتَ في المعروف كالراقد

ثم تَرى أنّا سنرضى بذا ... كلّا وربِّ الراكع السّاجِد

وحُرمةِ البيت وأستاره ... ومَنْ به مِنْ ناسكٍ عابد

تلك لكم أمنيّةٌ باطلٌ ... وغفوةٌ من حُلُم الراقد

ما أنا إنْ هاجك مِنْ بعدها ... هَيْجٌ بآتيك ولا كابِد

ولا إذا ناطُوك[2] في حَلْقة ... بحاملٍ عنك ولا فاقد

فأغْطِ ما أعطيتَه طيّباً ... لا خيرَ في المَنْكود والناكد[3]

نحن ولدناك فلا تَجْفُنا ... واللّهُ قد وصّاك بالوالد

إن تك من كِندةَ في بيتها ... فإنّ أخوالَك من حاشد[4]

شُمُّ العرانين وأهلُ الندى ... ومُنتَهى الضِّيفان والرائد

كم فيهمُ من فارس مُعْلَم ... وسائسٍ للجيش أو قائد

[٦/٤٩] / وراكبٍ للهَول يجتابُه ... مثلَ شِهاب القَبَس الواقد

أو مَلإٍ يُشفَى بأحلامهم ... من سَفَه الجاهل والمارد[5]

لم يجعل اللّهُ بأحسابنا ... نقصاً وما الناقص كالزائد

وربّ خالٍ لك، في قومه ... فرعٌ طويلُ الباع والساعد

يَحتضِر البأسَ وما يبتغي ... سوى إسار البَطَل الناجد[6]

والطعنِ بالراية مستمكِناً ... في الصفّ ذي العادِية الناهد[7]

فارتَخْ لأخوالك واذكرهُم ... وارحمهمُ للتّلَف العائد

فإنّ أخوالَك لم يَبْرحوا ... يُرْبُون بالرِّفد على الرّافِد

١٥٥/ه / لم يَبْخلوا يوماً ولم يَجْبُنوا ... في السّلف الغازي ولا القاعد

ورُبَّ خالٍ لكَ في قومه ... حمّال أثقالٍ لها واجد

مُعْتَرِفٍ للرُّزء في ماله ... والحقُّ للسائل والعامد

---

(١) جرد الأرض: جعلها جرداء.
(٢) ناطه: علقه.
(٣) المنكود: الذي يلح عليه في المسألة. والناكد: الملح.
(٤) حاشد: حي من همدان.
(٥) المارد: العاتي والباغي.
(٦) في ب، س: «الماجد».
(٧) الناهد: الأسد.

مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له في عطاء:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد الأزدي قال حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبي، وأخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثم بن عديّ، وذكره العَنَزيّ عن أصحابه، قالوا جميعاً:

خرج أعشى هَمْدان إلى الشأم في وِلاية مَرْوان بنِ الحَكَم، فلم يَنَلْ فيها حظًّا؛ فجاء إلى النعمان بن بشِير وهو عامل على حِمْص، فشكا إليه حالَه؛ فكلّم له النعمانُ بنُ بشير اليمانيّةَ وقال لهم: هذا شاعرُ اليمن ولسانُها، واستماحَهم له؛ فقالوا: نعم، / يعطيه كلّ رجل منا دينارين مِنْ عطائه؛ فقال: لا، بل أَعْطُوه ديناراً ديناراً واجعلوا [٦/٥٠] ذلك مُعجَّلاً؛ فقالوا: أعطِه إيّاه من بيت المال واحتسِبْها على كلّ رجل من عطائه؛ ففعل النُّعمان ـ وكانوا عشرين ألفاً ـ فأعطاه عشرين ألفَ دينار وارتجعها منهم عند العَطَاء. فقال الأعشى يمدح النعمان:

وَلَـمْ أرَ للحـاجـاتِ عنـد التمـاسهـا ... كنُعْمـانَ نُعمـانِ النَّـدَى ابـن بَشِيـرِ

إذا قـال أوْفَـى مـا يقـول ولـم يكـن ... كمُـدْلٍ إلـى الأقـوام حبـلَ غُـرُور

متـى أكفُـرِ النعمـانَ لـم أُلْـفَ شـاكـراً ... ومـا خيـرُ مـن لا يقتـدِي بشَكُـور

فلـولا أخـو الأنصـار كنـتُ كنـازلٍ ... ثَـوَى مـا ثَـوَى لـم يَنْقلِـبْ بنَقِيـر(١)

شعره في حرب نصيبين بين المهلب ويزيد بن أبي صخر:

وقال الهيثم بن عديّ في خبره: حاصَرَ المُهلَّبُ بن أبي صُفْرَة نَصِيبينَ، وفيها أبو قارِب يَزِيد بن أبي صَخْر ومعه الخَشَبِيّة(٢)؛ فقال المهلّب: يأيها الناس، لا يَهُولنّكم هؤلاء القومُ فإنما هم العَبيد بأيديها العِصيّ. فحمَل عليهم المهلّبُ وأصحابهُ فلَقُوهم بالعِصيّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم. فدَسّ المهلّبُ رجلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أبي صَخْر ليغتالَه، وجعل له على ذلك جُعْلاً سَنِيًا ـ قال الهيثم: بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبلَ أن يمضيَ ووعَده بمثلها إذا عاد ـ فاندسّ له العَبْديُّ فاغتاله فقتله وقُتِل بعده. فقال أعشى هَمْدان في ذلك:

يُسمُّـون أصحـابَ العِصـيّ ومـا أرى ... مـع القـوم إلا المَشْـرفيـةَ مِـن عَصَـا

ألا أيُّهـا اللّيـثُ الـذي جـاء حـاذِراً(٣) ... وألقـى بنـا جـرمـى(٤) الخيـامَ وعَـرّصـا

/ أتحسَـب غـزوَ الشـأم يـومـاً وحـربَـه ... كبِيـضٍ يُنَظِّمـن الجُمـانَ المفَصصـا [٦/٥١]

وسيـرَك بـالأهـواز إذ أنـت آمـنٌ ... وشـربَـك ألبـانَ الخَـلاَيـا(٥) المُقَـرَّصـا

فـأقسمـتُ لا تَجْبِـي لـك الـدهـرَ درهمـاً ... نَصِيبُـون حتّـى تُبْتلـى وتُمَحّصـا

(١) النقير: النكتة في ظهر النواة.

(٢) الخشبية: أتباع المختار بن أبي عبيد.

(٣) حاذراً: متأهبا مستعداً.

(٤) كذا في حـ. وفي ب، س: «وألقى بنا جرم». وفي أ، ء: «وألقى بنا جرى». والظاهر من السياق أنه اسم موضع. ولم نوفق في المظان التي بين أيدينا إلى وجه الصواب فيه.

(٥) الخلايا: الإبل المخلاة للحلب، الواحدة خلية. والمقرص: اللبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصاً أي حامضاً. والمقارص: الأوعية التي يقرّص فيها اللبن.

ولا أنـتَ مـن أثـوابِهـا الخُضـرِ لابـسٌ ... ولكـنَّ خُشبـانـاً شِـداداً ومِشْقَصـا[1]

فكـم ردّ مـن ذي حـاجـةٍ لا ينـالُهـا ... جُـدَيْـعُ العَتيـكِ ردّه الله أبْـرَصـا

وشيّـد بنيـانـاً وظـاهـر كسـوةً ... وطـال جُـدَيْـعٌ بعـد مـا كـان أوْقَصـا

١٥٦ هـ [تصغير جدع[2] جديع بالدال غير معجمة]. والأبيات التي كان فيها الغناء المذكورُ معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من هَمْدان يقال لها جَزْلة، هكذا رواه الكوفيون، وهو الصحيح. وذكرَ الأصمعي أنها خَوْلة، هكذا رواه في شعر الأعشى.

طلق زوجته أم الجلال وتزوّج غيرها وشعره في ذلك:

فذكر العَنزيّ في أخبار الأعشى المتقدّم إسنادُها: أنها كانت عند الأعشى امرأةٌ من قومه يقال لها أمُّ الجَلَال[3]، فطالت مدتها معه وأبغضها، ثم خطب امرأة من قومه يقال لها جَزْلة ـ وقال الأصمعي: خولة ـ فقالت له: لا، حتى تُطلّق أمّ الجلال؛ فطلَّقها؛ وقال في ذلك:

تقـادَم وُدّكِ أمّ الجـلالِ ... فطـاشـت نبـالُـكِ عنـد[4] النِّضـالِ

وطـال لـزومُـك لِـي حِقبـةً ... فـرَثّـتْ قُـوَى الحبـل بعـد الـوصـال

وكـان الفـؤاد بهـا مُعجَبـاً ... فقـد أصبـح اليـومَ عـن ذاك سـالـي

[٦/٥٢] / صحَـا لا مُسيئـاً ولا ظـالـمـاً ... ولكـنْ سَـلاَ سَلْـوةً فـي جمـال

ورُضْـتِ خـلائقَنـا كلَّهـا ... ورُضْنـا خـلائقَكـم كـلَّ حـال

فـأعْيَيْتِنـا فـي الـذي بيننـا ... تَسُـومِيننـي كـلَّ أمـرٍ عُضـال

وقـد تـأمُـرِيـنَ بقَطـع الصـديـق ... وكـان الصـديـقُ لنـا غيـرَ قـالـي

وإتيـانِ مـا قـد تجنَّبْتُـه ... وليـداً ولُمْـتُ عليـه رجـالـي

أفـاليَـومَ أركَبُـه بعـد مـا ... عـلاَ الشَّيـبُ منّـي صَميـمَ القَـذال[5]

لعمـرُ أبيـكِ لقـد خِلْتِنـي ... ضعيـفَ القُـوَى أو شـديـدَ المِحَـال

هلُمّـي اسـألـي نـائـلاً فـانظُـري ... ألحـرِمُـكِ الخيـرَ عنـد السـؤال

ألـم تعلمـي أنّنـي مُعْـرِقٌ ... نَمـانـي إلـى المجـد عمّـي وخـالـي

وأنّـي إذا سـاءنـي منـزلٌ ... عـزمـتُ فـأوشكـتُ منـه ارتحـالـي

فبعـضَ العتـاب، فـلا تَهْلِكـي ... فـلاَ لَـكِ فـي ذاكِ خيـرٌ ولا لـي

(١) المشقص: نصل عريض، وقيل: سهم فيه ذلك يرمى به الوحش.
(٢) هذه الجملة ساقطة من جميع الأصول ما عدا ب، س.
(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول هنا وفيما سيأتي: أم الحلال (بالحاء المهملة).
(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «بعد النصال».
(٥) القذال: جماع مؤخر الرأس، أو هو ما بين نقرة القفا إلى الأذن.

فلمــا بــدا لــيَ منهــا البَــذا ءُ صبّحتُهــا بثــلاثٍ عِجــالِ
ثــلاثــاً خــرجْــنَ جميعــاً بهــا فخلَّيْتُهــا ذاتَ بيــتٍ ومــال
إلــى أهلهــا غيــرَ مخلــوعــةٍ ومــا مَسَّهــا عنــدنــا مــن نكــال
فــأمســتْ تَحِــنّ حنيــنَ اللِّقــا ح مــن جَــزَع إثْــرَ مَــن لا يُبــالــي
فحِنِّــي حنينَــكِ واستيقنــي بــأنــا اطّــرَحْنَــاكِ ذاتَ الشمــال
وأن لا رجــوعَ فــلا تُكــذَبِيــ ـنَ مــا حنّــت النِّيــبُ إثْــرَ الفِصَــال
ولا تحسبينــي بــأنّــي نــدمــ ـتُ كــلاّ وخــالقنــا ذي الجَــلال

فقالت له أمُّ الجلال: بئس والله بعلُ الحُرّة وقرينُ الزوجة المسلمةِ أنت! وَيْحَك! أعَدَدْتَ طولَ الصحبة والحرمة ذنباً تسبّني وتهجوني به! ثم دعتْ عليه أن يُبغِّضه / الله إلى زوجته التي اختارها، وفارقته. فلما انتقلت إلى [٦/٥٣] أهلها؛ وصارت جزلة إليه، ودخل بها لم يَحْظَ عندها، ففرِكته[١] وتنكّرت له واشتدّ شغفُه بها؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها:

١٥٧/٥

/ حَيِّيــا جَــزْلــة منّــي بــالسّــلامِ دُرّةَ البحــرِ ومصبــاحَ الظــلامِ
لا تَصُــدّي بعــد وُدٍّ ثــابــتٍ واسمَعي يــا أمَّ عيسى مــن كــلامِي[٢]
إنْ تَــدُومــي لــي فــوَصْلــي دائــمٌ أو تَهُمّــي لــي بهَجْــرٍ أو صِــرام
أو تكــونــي مثــلَ بــرقٍ خُلّــبٍ خــادعٍ يلمَــع فــي عُــرْض الغمــام
أو كتخييــلِ سَــرابٍ مُعْــرِضٍ بفَــلاةٍ أو طُــروقٍ فــي المنــام
فــاعلمــي إن كنــتِ لمّــا تعلمــي ومتــى مــا تفعلــي ذاك تُــلامــي
بعــد مــا كــان الــذي كــان فــلا تُتبِعــي الإحســانَ إلا بــالتمــام
لا تَنَــاسَــيْ كــلَّ مــا أعطيْتِنــي مِــنْ عهــودٍ ومــواثيــقَ عِظــام
واذكــري الــوعــدَ الــذي واعــدْتِنــي ليلــةَ النّصــف مــن الشهــر الحــرام
فلئــن بَــدّلْــتِ أو خِنْــتِ بنــا وتجــرّأتِ علــى أمّ صَمــام[٣]

[أم صمام: الغدر والحنث][٤]:

لا تُبــالِيــنَ إذاً مِــنْ بعــدِهــا أبــداً تــركَ صــلاةٍ أو صيــام

---

(١) فركته: أبغضته.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «من كلام».
(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي م: «على أمر صمام». ولعل هذا أقرب إلى الصواب، إذ لم نجد في المظان ما يؤيد ما ورد في أكثر الأصول، على أن يكون المعنى: على أمر شديد، ويكون التفسير الذي ورد في ب، س: بأنه الغدر والحنث تفسيراً بالمراد. وصمام (وزان قطام): الداهية الشديدة.
(٤) زيادة عن ب، س.

راجعي الوصلَ ورُدّي نظرةً لا تَلَجّي(١) في طِمَاحٍ وأثامْ

[٥٤/٦] / وإذا أنكرتِ منّي شيمةً ولقد يُنكَر(٢) ما ليس بذامْ

فاذكريها لي أزُلْ عنها ولا تُنفِحي عينيكِ بالدمع السِّجامْ

وأرى حبلَك رثّاً خَلَقاً وحبالي جُدُداً غيرَ رِمَامْ(٣)

عَجِبتْ جزلةُ منّي أن رأتْ لِمَتي حُفَّتْ بشَيْبٍ كالثَّغَامْ(٤)

ورأتْ جسمي علاه كَبْرةٌ وصروفَ الدهر قد أبلتْ عظامي

وصَلِيتُ الحربَ حتى تركتْ جسدي نِضْواً كأشلاء اللُّجامْ(٥)

وهي بيضاءُ على مَنكِبها قَطَطٌ جَعْدٌ ومَيّال سُخَامْ(٦)

وإذا تضحك تُبدي حَبَباً كرُضَاب المسك في الرَّاح المُدامْ

كَمَلَتْ ما بين قَرْنٍ فإلى موضعِ الخَلْخال منها والخِدَامْ(٧)

فأراها اليومَ لي قد أحدثتْ خُلُقاً ليس على العهد القُدَامْ

تمثل الشعبي بشعر له فخربه على البصريين في حضرة الأحنف:

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعيد الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَري عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن مُجَالِد عن الشَّعْبيّ:

أنه أتى البصرةَ أيامَ ابن الزبير، فجلس في المسجد إلى قوم من تَميم فيهم الأحنفُ بن قَيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم، إلى أن قال قائل من أهل البصرة: وهل أهل الكوفة إلا خَوَلُنا؟ استنقذناهم من عَبيدهم! (يعني الخوارج). قال الشعبي: فهجس في صدري أن تمثّلتُ قولَ أعشى همدان:

[٥٥/٦] / أفخرتم أنْ قتلتم أعبُداً وهزمتم مَرّةً آلَ عَزَلْ(٨)

نحن سُقناهم إليكم عَنْوةً وجمعنا أمركم بعد فشلْ

فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكُم يومَ الجَمَلْ

١٥٨/٥ / بين شيخٍ خاضبٍ عُثْنونَه وفتًى أبيضَ وَضّاحٍ رِفَلْ(٩)

جاءنا يرفُلُ في سابغةٍ فذبحناه ضحًى ذبحَ الحَمَلْ

وعَفَونا فنَسيتم عفوَنا وكفرتم نعمةَ الله الأجَلّ

(١) لا تلجى (من بابي ضرب وعلم): لا تتمادى. وفي الأصول: «لا تلحى» بالحاء المهملة.
(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «ولقد أنكرت».
(٣) حبل رمام: بال.
(٤) الثغام: نبت يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس فيشبه به الشيب.
(٥) النضو: المهزول. وأشلاء اللجام: حدائده بلا سيور.
(٦) القطط: الشعر القصير. والسخام: الشعر اللين الحسن. وفي هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروي.
(٧) كذا في الأصول. والخدام: الخلاخيل، واحده خدمة (بالتحريك). وفي ب، س: «الحزام».
(٨) العزل: الاعتزال والتنحي. ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين.
(٩) العثنون: اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين. والرفل من الناس: الطويل الذيل.

قال: فضحك الأحنف، ثم قال: يأهل البصرة، قد فَخر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف، فأحْسِنوا مجالسته.

شعر له في هزيمة الزبير الخثعمي بجلولاء:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن أبي مُحلِّم[1] عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال:

بعث بِشْرُ بن مروان الزبيرَ بنَ خُزَيمة الخَثْعَميّ إلى الريّ؛ فلقيه الخوارج بجَلُولاء[2]، فقتلوا جيشَه وهزموه وأبادوا[3] عسكره، وكان معه أعشى هَمْدان، فقال في ذلك:

[٦/٥٦]

/ أُمِّـرتْ خَثْعـمٌ علـى غيـر خَيْـرِ ... ثـم أوصـاهـمُ الأميـرُ بسيـرِ
أيـن مـا كنتـمُ تَعيفـون للنـا ... س ومـا تـزجُـرون مـن كـل طيـر
ضلّـت الطيـرُ عنكُـم بجَلُـولا ... ءَ وغَـرّتْكُـم أمـانـي الـزُّبيـر
قـدرٌ مـا أتيـح لـي مـن فلسطيـ ... ـنَ علـى فـالـجٍ[4] ثَقَـالٍ[5] وعَيْـر
خَثْعمـيّ مغصّـص جـزجمـان ... ـيّ محـلّ غـزا مـع ابـن نميـر[6]

مدح الأصمعي شعره وفضله:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال:

سألت الأصمعيّ عن أعشى هَمْدان فقال: هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر؛ ثم قال لي: العجب من ابن دَأْب حين يزعُم أن أعشى همدان قال:

مـن دعـا لـي غُـزَيِّلـي ... أربـح اللّـهُ تجـارتُـه

ثم قال: سبحان الله! أمثلُ هذا يجوز على الأعشى؟ أن يجزم اسمَ الله عزّ وجلّ ويرفعَ تجارتَه وهو نصب. ثم قال لي خَلَفٌ الأحمر: والله لقد طَمِع ابنُ دأب في الخلافة حين ظنّ أن هذا يُقبَل منه وأن له من المحل مثلَ أن يجوِّز مثلَ هذا. قال ثم قال: ومع ذلك أيضاً إن قوله:

* من دعا لي غزيِّلي *

---

(١) هو أبو محلم الشيباني. واسمه محمد بن سعد، ويقال محمد بن هشام بن عوف السعدي. وكان يسمى محمداً وأحمد. أعرابي، أعلم الناس بالشعر واللغة، وكان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه. وقال ابن السكيت: أصل أبي محلم من الفرس ومولده بفارس، وإنما انتسب إلى أبي سعد. وقال مؤرج: كان أبو محلم أحفظ الناس، استعار مني جزءاً ورده من الغد وقد حفظه في ليلة، وكان مقداره نحو خمسين ورقة. وقال أبو محلم: ولدت في السنة التي حج فيها المنصور. وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائتين. وله من الكتب «كتاب الأنواء»، و «كتاب الخيل»، و «كتاب خلق الإنسان» (راجع «كتاب الفهرست» ص ٤٦ طبع أوروبا).

(٢) جلولاء (بالمد): طسوج (ناحية) من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ. وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ هـ فاستباحهم المسلمون، فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون.

(٣) في حـ: «وأباحوا».

(٤) الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة.

(٥) كذا في ب، س، حـ والثقال (بالفتح وبالضم): الثقيل. وفي سائر الأصول: «ثفال» (بالفاء)، والثفال (بالفتح): البطيء من الدواب والناس.

(٦) ورد هذا البيت هكذا بالأصول.

لا يجوز، إنما هو: من دعا لغزيِّلي، ومن دعا لبعير ضال.

مدح خالد بن عتاب فأجازه:

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق ومحمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قالا[1] حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال:

[٥٧/٦] / أملق أعشى هَمْدان فأتى خالدَ بنَ عَتّاب بن وَرْقاء فأنشده:

رأيتُ ثناءَ الناس بالقول طيباً … عليك وقالوا ماجدٌ وابن ماجدِ
بَني الحارثِ السامِين للمجد، إنكم … بنيتم بناءً ذكرُه غيرُ بائد
هَنيئاً لِما أعطاكُم الله واعلموا … بأني سأُطْري خالداً في القصائد
فإن يك عَتّابٌ مضى لسبيله … فما مات من يبقى له مثلُ خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم.

أنشد سابق البربري من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدّثنا أبو غَسّان [قال][2]:

قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ ـ ودخل عليه ـ: أنشدني يا سابقُ شيئاً من شعرك تذكّرني به؛ فقال: أوَ خيراً من شعري؟ فقال: هات؛ قال قال أعشى همدان:

وبينما المرءُ أمسى ناعماً جذِلاً … في أهله معجَباً بالعيش ذا أَنَق[3]
[١٥٩/٥] / غِرّاً، أُتيح له من حَيْنه عرض … فما تلبَّث حتى مات كالصَّعِق
ثُمَّتَ أضحى ضُحًى من غِبّ ثالثة … مقنَّعاً غيرَ ذي رُوح ولا رَمَق
يُبكَى عليه وأُدْنُوه لمُظْلِمة … تَعْلَى جوانبُها بالتُّرب والفِلَق[4]
فما تزوّد ممّا كان يَجْمعه … إلاّ حَنُوطاً[5] وما واراه من خِرَق
وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشَبّ له … وقَلّ ذلك من زادٍ لمُنطلِق

قال: فبكى عمر حتى أخضَلَ لحيتَه.

[٥٨/٦] هجا شجرة العبسي بشعر أجازه عليه الحجاج:

أخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن أبي[6] طالب الديناريّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال:

(١) في جميع الأصول: «قال»، وهو تحريف.
(٢) زيادة عن أ، ء، م.
(٣) الأنَق (محركة): الفرح والسرور.
(٤) في جميع الأصول: «القلق» (بالقاف) وهو تصحيف.
(٥) الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة.
(٦) كلمة: «أبي» ساقطة في جميع الأصول. راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

سأل أعشى همدان شَجَرةَ بن سليمان العَبْسيّ حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوه:

لقـد كنـتَ خيّـاطـاً فـأصبحـتَ فـارسـاً ... تُعَـدّ إذا عُـدّ الفـوارس مـن مُضَـرْ

فـإن كنـتَ قـد أنكـرتَ هـذا فقُـلْ كـذا ... وبيِّـن لـي الجُـرحَ الـذي كـان قـد دَثَـر[1]

وإصبعُـك الـوسطَـى عليـه شَهيـدةٌ ... ومـا ذاك إلا وَخـزُهـا[2] الثـوبَ بـالإبـر

قال وكان يقال: إن شجرة كان خيّاطاً، وقد كان ولي للحجّاج بعضَ أعمال السواد. فلما قدم على الحَجّاج قال له: يا شجرة، أَرِني إصبعَك أَنظُرْ إليها؛ قال: أصلح الله الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى صِفَة الأعشى؛ فخجِل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مُرِ المُعْطِيَ أن يُعطَى الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا أتاك امرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فَاشْتَرِ عِرضَك منه.

أسيره الحجاج وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الأَزْديّ قال حدّثنا أحمد بن عمرو الحنفيّ عن جماعة ـ قال المبرِّد: أحسَب أن أحدهم مؤرِّج بن عمرو السَّدُوسيّ ـ قالوا:

لما أُتِيَ الحجاجُ بن يوسف الثقفيّ بأعشى همدان أسيراً، قال: الحمد لله الذي أمْكَن منك، ألستَ القائل:

/ لمّـا سَفَـوْنـا[3] للكَفُـور الفَتّـانْ ... بـالسيّـد الغِطْـريـف عبـد الـرحمـنْ[4] [٦/٥٩]

سـار بجَمْـع كـالقَطـا[5] مـن قَحطـان ... ومـن مَعَـدّ قـد أتـى ابـن عَـدْنـان

أمكـن ربّـي مـن ثَقيـف هَمْـدان ... يـومـاً إلـى الليـل يُسَلّـي مـا كـان

إنّ ثقيفـاً منهـم الكَـذّابـان ... كَـذّابُهـا المـاضـي وكـذّابٌ ثـان

أو لستَ القائل:

يـابـنَ الأشـجّ[6] قَـريـعِ كِنـ ... ـدةَ لا أُبـالـي فيـك عَتْبـا

أنـت الـرئيـسُ ابـنُ الـرئيـ ... ـس وأنـت أعلـى النـاس كعبـا

نُبِّئْـتُ حَجّـاجَ بـن يـو ... سـف خَـرّ مِـن زَلَـقٍ فتَبّـا

فـانهَـضْ فُـدِيـتَ لعلّـه ... يجلـو بـك الـرحمـنُ كَـرْبـا

وابعَـث عطيّـةَ[7] فـي الخيـو ... ل يَكُبُّهـنّ عليـه كَبّـا

---

(١) في ب، س: «دبر». وهو تصحيف.

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وخزك».

(٣) كذا في أكثر الأصول. وسفا: خف وأسرع. وفي ب، س: «سمونا».

(٤) ورد هذا الشعر في «الطبري» (ق ٢ ص ١٠٥٦) على غير هذا الترتيب وبزيادات كثيرة.

(٥) في «الطبري»: «كالدبى» والدبى: الجراد.

(٦) الأشج: هو الأشعث بن قيس الكندي جد عبد الرحمن بن محمد المعني في هذا الشعر. والقريع: السيد.

(٧) هو عطية بن عمرو العنبري، وكان على مقدّمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق. وقد بعث إليه الحجاج بالخيل فجعل عطية لا يلقى خيلاً إلا هزمها. فقال الحجاج من هذا؟ فقيل عطية. فذلك قول الأعشى: وابعث عطية... إلخ.

١٦٠/٥ كلّا يا عدوّ الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خَرّ من زَلَقٍ فتبّ، وحار وانكبّ، وما / لقِي ما أحبّ؛ ورفع بها صوته واربدّ وجهُه واهتزّ منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمّتْه نفسُه وأرتعدت فرائصُه. فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير:

[٦/٦٠] / أبـى اللّـهُ إلا أن يتمـم نـورَه ... ويُطفـيء نـارَ الفـاسقيـن فتخمُـدَا

ويُنـزل ذُلاً بـالعـراق وأهلِـه ... كمـا نقضـوا[١] العهـدَ الـوَثيـق المـؤكّـدا

ومـا لبـث الحجـاجُ أن سَـلّ سيفَـه ... علينـا فـولّـى جمعُنـا وتبـدّدا

ومـا زاحَـف الحجـاجُ إلا رأيتَـه ... حُسـامـا مُلَقًّـى للحـروب مُعَـوّدا

فكيـف رأيـتَ الله فـرّق جمعَهـم ... ومـزّقهـم عُـرْضَ البـلاد وشَـرّدا

بمـا نكثـوا مـن بَيعـة بعـد بيعـة ... إذا ضَمِنـوهـا اليـوم خَـاسُـوا[٢] بهـا غـدا

ومـا أحـدثـوا مـن بِـدعـة وعَظيمـة ... مـن القـول لـم تصعَـدْ إلـى الله مَصْعَـدا

ولمّـا دَلَفْنـا لابـن يـوسـف ضِلّـة[٣] ... وأبـرق منـا العـارضـان وأرعـدا

قطعنـا إليـه الخنـدقيـن وإنمـا ... قطعنـا وأفضينـا إلـى المـوت مُـرْصِـدا[٤]

فصـادَمَنـا الحجـاجُ دون صفـوفنـا ... كِفـاحـاً ولـم يضـرب لـذلـك مـوعـدا

بجُنـد أميـر المـؤمنيـن وخيلِـه ... وسلطـانـه أمسـى مُعـانـاً مـؤيَّـدا

ليهنـيءْ أميـرَ المـؤمنيـن ظهـورُه ... علـى أمـة كـانـوا بُغـاةً وحُسّـدا

وجـدنـا بنـي مـروان خيـرَ أئمـة ... وأعظـمَ هـذا الخَلْـق حلمـاً وسُـؤدُدا

وخيـرَ قـريـش فـي قـريـش أَرُومَـةً ... وأكـرمَهـم إلاّ النبـيَّ محمـدا

إذا مـا تـدبَّـرنـا عـواقـبَ أمـرنـا ... وجـدنـا أميـر المـؤمنيـن المُسَـدَّدا

سيغلِـب قـومـاً[٥] غـالبـوا اللّـهَ جَهْـرةً[٦] ... وإن كـايـدوه كـان أقـوى وأكيـدا

كـذاك يُضِـلّ الله مـن كـان قلبُـه ... ضعيفـاً ومـن والـى النفـاقَ وألْحـدا

[٦/٦١] / فقـد تـركـوا الأمـوال والأهـل خلفَهـم ... وبيضـاً عليهـن الجـلابيـب خُرّدا[٧]

ينـاديـنهـم مستعبـراتٍ إليهـمُ ... ويُـذْريـن دمعـاً فـي الخـدود وإثْمِـدا

---

(١) في «الطبري» (ق ٢ ص ١١١٤): «لما نقضوا». وفيه رواية أخرى في بعض نسخة أشير إليها في هامشه وهي: «بما نقضوا».

(٢) خاس: غدر ونكث.

(٣) الضلة (بالكسر): ضد الهدى.

(٤) مرصداً: مترقباً.

(٥) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «قوم».

(٦) كذا في «الطبري». وفي م: «حيلة». وفي سائر الأصول: «جهلة».

(٧) الخرد: جمع خريدة، وهو جمع نادر، لأن فعيلة لا تجمع على فعل، بل القياس: خرائد وخرد (بضمتين). والخريدة من النساء البكر التي لم تمسس قط؛ وقيل: هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة قد جاوزت الإعصار ولم تعنس.

وإلا تَنَاولْهُنَّ منكَ برحمةٍ ... يكنَّ سَبَايا والبُعولةُ أعبُدا

تَعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ ... فقد تركوا أمرَ السفاهةِ والرَّدى

لعلهمُ أن يُحدِثوا العامَ توبةً ... وتعرفَ نُصحاً منهمُ وتَوَدُّدا

لقد شَمُتْ[1] يابنَ الأشعثِ العامَ مصرَنا ... فظلّوا وما لاقوا من الطيرِ أسْعُدا

كما شاءمَ اللهُ النُّجَيْرَ[2] وأهلَه ... بجَدِّكَ مَنْ قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخلِّ سبيلَه؛ فقال: أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرّض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدوّ الله أنك تخدَعني بهذا الشعر وتنفلتَ من يدي حتى تنجوَ! ألستَ القائل! ويحك!.

وإذا سألتَ: المجدُ أين محلُّه ... فالمجدُ بين محمدٍ وسعيدِ

/ بين الأغرِّ وبين قيسٍ باذخٌ ... بَخٍ بَخٍ لوالدِه وللمولودِ

/ والله لا تبخبخ بعدها أبداً. أو لست القائل:

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبهم ... فاليوم أصبِر للزمان وأعرف!

كذبتَ والله، ما كنت صبوراً ولا عروفاً. ثم قلت بعده:

وإذا تُصِبْكَ من الحوادث نكبةٌ ... فاصبِر فكلُّ غَيَابةٍ ستكشَّف

أمَا والله لتكوننَّ نكبة لا تنكشف غَيَابتُها عنك أبداً! يا حَرَسِيّ، اضربْ عنقه؛ فضرب عنقه.

وذكر مُؤَرِّج السَّدُوسيّ أن الأعشى كان شديدَ التحريض على الحَجّاج في تلك الحروب، فجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه، ونزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث والناس يَرَونه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلكم أنكَرتم ما صنعتُ! قالوا: أوَ ليس هذا موضعَ نكِير؟ قال: لا، كلُّكم قد سَلَح في سرجه ودِرْعه خوفاً وفَرَقاً، ولكنكم سترتموه وأظهرتُه؛ فحَمِيَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم إلى الليل، وشاعت فيهم الجِراح والقتلى، وانهزم أهل الشأم يومئذ، ثم عاودوهم من غد وقد نكَأتْهم[3] الحرب؛ وجاء مَدَدٌ من أهل الشأم؛ فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِل ابن الأشعث. وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبي كَلَدة[4] اليَشْكُريّ أنه فعلها في هذه الوقعة، وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْباني في أخبار أبي كَلَدة[4]، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من هذا الكتاب.

---

(١) رواية هذا البيت في الطبري هكذا:

لقد شأم المصريين فرخ محمد ... بحق وما لاقى من الطير أسعدا

ولعل رواية الأصل كانت: «لقد شأمت» فسهلت الهمزة ثم حذفت. يقال: شأم فلان أصحابه يشأمهم إذا أصابهم شؤم من قبله.

(٢) النجير: حصن باليمن قرب حضرموت منيع، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس في أيام أبي بكر رضي الله عنه فحاصره زياد بن لبيد البياضي حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه وأسر الأشعث بن قيس وذلك في سنة ١٢ للهجرة (راجع «معجم البلدان» لياقوت).

(٣) نكأ (بالهمز) لغة في نكى بمعنى أثخن وأكثر الجرح والقتل.

(٤) في جميع الأصول هنا: «ابن حلزة» وهو تحريف. وقد وردت هذه القصة في أخبار أبي كلدة اليشكري في الجزء العاشر من «الأغاني» (ص ١١٠ ـ ١٢٠) طبع بولاق. وقد ذكر أبو كلدة هذا في «الشعر والشعراء» و «الطبري» باسم: أبي جلدة (بالجيم) وذكره «اللسان» في مادة: كلد (بالكاف) كما في «الأغاني».

/ أخبار أحمد النَّصْبي ونسبه

نسبه، وهو مغن طنبوري كان ينادم عُبيد الله بن زياد:

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأنصاب. وأوّلُ من غنّى بها وعنه أُخِذ النَّصْب[1] في الغناء هو أحمد بن أُسامة الهَمْداني، من رَهْط الأعشى الأدنيْن. ولم أجِد نسبَه متّصلاً فأذكرَه. وكان يغني بالطُّنْبور في الإسلام. وكان، فيما يُقال، ينادم عُبيدَ الله بن زِياد سرًّا ويغنّيه. وله صنعةٌ كثيرة حسنة لم يَلْحَقها أحد من الطُّنْبوريّين ولا كثير ممّن يغنّي بالعود.

حديث جحظة عنه:

وذكَره جَحْظةُ في كتاب الطُّنْبوريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثلَبه فيما ذكره. وكان مذهبُه ـ عفا الله عنا وعنه ـ في هذا الكتاب أن يَثْلِب جميعَ من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَر عليه، وكان يجب عليه ضدُّ هذا، لأن من انتسب إلى صناعة، ثم ذكر متقدّمي أهلِها، كان الأجملَ به أن يذْكر محاسنَ أخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم. فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النَّصْبي، وبه صَدَّر كتابَه فقال: أحمد النَّصْبي أوّلُ من غنّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيّرها؛ ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب.

كان بخيلاً مرابياً ومات بفالوذجة حارة:

وحدّثني جماعةٌ من الكوفيّين أنه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره، وأنه[2] كان يُقرِض الناسَ بالرّبا[3]، وأنه اغتَصّ في دعوة دُعِي إليها بفالُوذَجة حارّة فبلعها فجمَعت / أحشاءه فمات. وهذا كلّه / باطل. أما الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأول وخفيف الثقيل والثقيل الثاني، ليس لكثيرٍ[4] أحدٍ مثلُها. منها الصوت الذي تقدّم ذكره وهو قوله: [٦/ ٦٤] ١٦٢ ٥

* حيِّيا خولةَ منّي بالسلامِ *

ومنها:

سَلَبَتَ الجواري حَلْيَهنّ فلم تَدَعْ ... سِواراً ولا طَوْقاً على النحر مُذْهَبَا

(١) النصب: ضرب من الغناء أرق من الحداء.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «مع أنه كان... إلخ».
(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «بعينة» والعينة (بالكسر): الربا.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الكبير» وهو تصحيف.

وهو من الثقيل الثاني، والشعر للعُدَيْل بن الفَرْخ[١]، وقد ذكرتُ ذلك في أخباره[٢].

ومنها:

يــأيهــا القلــبُ المطيــعُ الهــوى أنّــى اعتــراك الطّــربُ النــازحُ

وهو أيضاً من الثقيل الثاني، وأصوات[٣] كثيرةٌ نادرة تدل على تقدمه.

وأما ما وصَفه من بخله وقَرْضِه للناس بالرِّبا وموته من فالوذجة حارة أكلها، فلا أدري مَنْ مِنَ الكوفيين حدّثه بهذا الحديث، ليس يخلو من أن يكون كاذباً، أو نَحَل هو هذه الحكايةَ ووضعها هنا، لأن أحمد النَّصْبي خرج مع أعشى همدان وكان قرابتَه وإلفَه في عسكر ابن الأشعث، فقُتل فيمن قُتل. رَوى ذلك الثِّقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس، وذلك يُذكر في جملة أخباره.

/ اتصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره في سليم بن صالح إذ نزلا عليه: [٦/ ٦٥]

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وذكره العَنَزي في أخبار أعشى هَمْدان المذكورة عنه عن رجاله المُسَمَّيْن قال:

كان أحمد النَّصْبي مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له، فأكثرُ غنائه في أشعاره مثلُ صنعته في شعره:

* حيِّيا خولةَ منّي بالسلام *

و * لمن الظّعائن سيرُهن تزَحُّفُ *

و * يأيها القلبُ المطيعُ الهوى *

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَر أغانيه. قال: وكان سبب قوله الشعرَ في سَليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبريّ ـ وكان منزلُ سَلِيم ساباطَ[٤] المدائن ـ أن أعشى هَمْدان وأحمدَ النَّصْبيّ خرجا في بعض مغازيهما، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلُوفة[٥] وقَضِيم[٦]، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا، فعرض عليهما الشراب فأنْعَما به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان؛ فقال أحمد النَّصْبي للأعشى: قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أُغنّيَ فيه؛ فقال الأعشى يمدحه:

---

(١) كذا في حـ و «الشعر والشعراء» (ص ٢٤٤) و «خزانة الأدب» (حـ ٢ ص ٣٦٨)، وهو العديل بن الفرخ (بضم الفاء وسكون الراء وخاء معجمة) شاعر إسلامي في الدولة المروانية، ولقبه: العباب (بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى)، والعباب: اسم كلبه. وفي سائر الأصول: «للعديل بن الفرج» (بالجيم) وهو تصحيف.

(٢) تقع أخباره في (حـ ٢٠ ص ١١ ـ ١٩ طبع بولاق).

(٣) في م، س: «وذكرت أصوات... إلخ».

(٤) ساباط: موضع بالمدائن لكسرى أبرويز، وهو معرب: «بلاس أباد»، وبلاس: اسم رجل. وقد ذكره الأعشى في شعر له ـ يذكر النعمان بن المنذر وكان أبرويز قد حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة ـ منه:

فــذاك ومــا أنجــى مــن المــوت ربــه بســابــاط حتــى مــات وهــو محــرزق

(الحرزقة: التضييق).

(٥) العلوفة (بالضم كما في «شرح القاموس»): جمع علف، وهو ما تطعمه الدواب.

(٦) كذا في حـ. والقضيم: شعير الدابة. وفي سائر الأصول: «قضم». والقضم (بضمتين) جمع قضيم بمعنى الأديم، واسم الجمع: «قضم» (بفتحتين) عند سيبويه وقيل هو جمع أيضاً، ولم تنص كتب اللغة على جمع للقضيم بمعنى الشعير.

[٦٦/٦] / يا أيها القلبُ المطيعُ الهوى … أنّى اعتراك الطَّرَبُ النازحُ

تذكُر جُمْلاً فإذا ما نأتْ … طار شَعاعاً قلبُك الطامح

هلّا تناهيتَ وكنتَ امرأً … يزجُرك المُرشِد والنّاصح

ما لك لا تترُك جهلَ الصِّبا … وقد علاك الشَّمَط الواضح

فصار من ينهاك عن حبّها … لم تَرَ إلا أنه كاشح

يا جُمْل ما حُبّي لكم زائلٌ … عنّي ولا عن كَبِدي نازح

حُمّلتُ وُدًّا لكُم خالصاً … جِدًّا إذا ما هزَل المازح

ثم لقد طال طِلابيكُم … أسعى وخيرُ العمل النّاجح

إنّي توسّمتُ امرأً ماجداً … يصدُق في مِدْحته المادح

ذؤابةَ العنبر فاخترتُه … والمرء قد يُنْعِشُه الصالح

١٦٣/٥ / أبْلَجَ بُهلولاً[1] وظنّي به … أنّ ثنائي عنده رابح

سَلِيمُ ما أنتَ بنِكْسٍ[2] ولا … ذمُّك لي غادٍ ولا رائح

أُعطيتَ وُدّي وثنائي معاً … وخَلّةً ميزانُها راجح

أرعاك بالغيب وأهوى لك الـ … ـرّشد وجَيْبي[3] فاعلمنْ ناصح

إنّي لِمَن سالمتَ سِلْمٌ ومَن … عاديتَ أُمسي وله ناطح

في الرأس منه وعلى أنفه … من نَقَمَاتي مِيسَمٌ لائح

نِعْمَ فتى الحيّ إذا ليلةٌ … لم يُورِ فيها زَنْدَهُ القادح

[٦٧/٦] / وراح بالشَّوْل[4] إلى أهلها … مغبّرةً أذقانُها[5] كالح[6]

وهَبّت الريحُ شآميةً … فانجَحَر القابسُ والنابح

قد علم الحيّ إذا أمحلوا … أنك رَفّادٌ لهم مانح

في الليلة القالي قِراها التي … لا عابِقٌ فيها ولا صابِح

فالضيفُ معروفٌ له حقُّه … له على أبوابكم فاتح

---

(١) البهلول: السيد الجامع لكل خير.

(٢) النكس (بالكسر): الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم.

(٣) كذا في أكثر الأصول. والجيب: القلب والصدر. يقال فلان ناصح الجيب أي أمين، ومنه قول الشاعر:

* وخشنت صدراً جيبه لك ناصح *

وفي ب، س: «وحبي».

(٤) الشول: جمع شائلة على غير قياس. والشائلة من الإبل: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها.

(٥) في حـ: «أرقابها» وفي أ، ء، م: «أذنابها».

(٦) الكالح: الأمر الشديد، وهو فاعل «راح».

والخيــلُ قــد تعلــم يــومَ الــوغــى ... أنّــك مــن جَمْــرتهــا نــاضــح(١)

قال: فغنّى أحمد النَّصْبيّ في بعض هذه الأبيات، وجاريةٌ لسَليم في السطح، فسمعت الغناءَ، فنزلتْ إلى مولاها وقالت: إني سمعت من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسنَ منه؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهِم، ثم نزل فدخل عليهما، فقال لأحمد: لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما؟ فقال: الشعر لهذا، وهو أبو المصبّح أعشى همدان، والغناء لي، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهَمْداني؛ فانكبّ على رأس أعشى هَمْدان فقبّله وقال: كتمتُماني أنفسَكما، وكِدْتما أن تفارقاني ولم أعرفكما، ولم أعلم خبركما، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسين، وقال: خَلِّفا عندي ما كان من دوابكما، وآرجعا من مَغْزاكما إليّ. فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حيناً ثم انصرفا، فلما شارفا منزلَه قال أحمد للأعشى: إني أرى عجباً! قال: وما هو؟ قال: أرى فوق قصر سَليم ثعلباً؛ قال: لئن كنتَ صادقاً فما بقي في القرية أحد. فدخلا القرية، / فوجدا سَليماً وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم. [٦/٦٨] هكذا ذكر إسحاق، وذكر غيره: أن الحجاج طالبَ سَليماً بمال عظيم، فلم يخرُج منه حتى باع كل ما يملكه، وخَرِبتْ قريتُه وتفرّق أهلها؛ ثم باعه الحجاج عبداً، فاشتراه بعضُ أشراف أهل الكوفة، إما أسْماءُ بنُ خارجةَ وإما بعض نظرائه، فأعتقه.

نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعرَه(٢)
وصنع أحمد النصبي لحنَه في سَليم

صوت

يــأيهــا القلــبُ المطيــع الهــوى ... أنّــى آعتــراك الطــربُ النــازحُ
تــذكُّــر جُمْــلاً فــإذا مــا نــأت ... طــار شَعــاعــاً قلبُــك الطــامــح
/ أُعْطِيــتَ ودّي وثنــائــي معــاً ... وخَلَّــةً ميــزانهــا راجــح
إنــي تخيــرت امــرأ مــاجــدا ... يصــدُق فــي مِــدْحتــه المــادح
سَلِيــم مــا أنــت بِنِكْــسٍ ولا ... ذَمّــك لــي غــادٍ ولا رائــح
نِعْــم فتــى الحــيّ إذا ليلــةٌ ... لــم يُــورِ فيهــا زَنْــدَه القــادح
وراح بــالشَّــوْل إلــى أهلهــا ... مُغْبَــرّةً أذقــانُهــا كــالِــح
وهَبَّــتِ الــريــحُ شــآميــةً ... فــانجَحَــر القــابــسُ والنــابــح

١٦٤ / ٥

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النَّصْبي، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لمالِكٍ لحناً ولسنان الكاتب لحناً آخر.

---

(١) الجمرة: القبيلة فيها ثلثمائة فارس، وقيل: ألف. أو هي كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس. والناضح: المدافع الرامي.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الذي قاله الأعشى في شعره... إلخ» وهو تحريف.

[٦٩/٦]

صوت

من المائة المختارة

تَنَكَّـرَ مـن سُعْـدَى وأقفـر مـن هنـدِ ... مُقَـامُهمـا بيـن الرَّغـاميـن[١] فـالفـردِ[٢]

محـلٌّ لسُعْـدى طـالمـا سكنـتْ بـه ... فـأوحـشَ ممـن كـان يسكنـه بَعْـدي

الشعر لحَمّاد الراوية. والغناء لعَبَادِل، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، ذكر[٣] الهشاميّ أنه للهُذَليّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لعَبَادِل بن عطيّة[٤].



(١) الرغام: اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر.

(٢) كذا في حـ، ب، س. والفرد: موضعان. أحدهما (بفتح الفاء): جبل من جبلين يقال لهما الفردان في ديار سليم بالحجاز. والآخر (بالكسر): موضع عند بطن إياد من ديار يربوع. والظاهر أن كلا الموضعين ليس مراداً هنا لبعد ما بينهما وبين الرغام. وفي سائر الأصول: «بالقرد» (بالقاف) ولم نعثر في المظان التي بين أيدينا على موضع بهذا الاسم، والظاهر أنه اسم موضع قريب من الرغامين.

(٣) في جميع الأصول: «وذكر» بزيادة الواو.

(٤) في جميع الأصول هنا: «عقبة» وهو تحريف. وستأتي ترجمته في هذا الجزء بعد قليل.

/ أخبار حماد الراوية ونسبه

[٦/ ٧٠]

نسبه وولاؤه وعلمه بأخبار العرب وأيامها:

هو حَمّاد بن ميسرة، فيما ذكره الهَيْثم بن عدِيّ، وكان صاحبَه وراويتَه وأعلمَ الناس به، وزعم أنه مولى [بني][١] شيْبان. وذكر المَدائنيّ والقَحْذَمِيّ أنه حماد بن سابور، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها. وكانت ملوك بني أمية تقدّمه وتؤثره وتستزيره، فيَفِد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويُجزلون صلته.

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ وعمّي وإسماعيل العَتَكيّ قالوا حدّثنا الرِّيَاشِيّ قال:

قال الأصمعيّ: كان حَمّاد أعلم الناس إذا نَصَح. قال وقلت لحماد: ممن أنتم؟ قال: كان أبي من سَبْي سَلْمان بن رَبيعة، فطرَحَتْنا[٢] سَلْمانُ[٣] لبني شَيْبان، فولاؤنا لهم. قال: وكان أبوه يُسمَّى مَيْسرة، ويُكنى أبا ليلى. قال العَتَكيّ في خبره: قال الرِّيَاشِيّ: وكذلك ذكر الهَيْثم بن عَدِيّ في أمر حَمّاد.

سأله الوليد عن سبب تلقيبه بالراوية فأجابه:

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرّاني قال حدّثنا العُمَري عن العُتْبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ ولَقيط[٤] قالوا:

/ قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية: بِمَ استحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أُنشَد شعراً قديماً ولا[٥] محدَثاً إلا ميّزتُ القديم منه من المحدَث؛ فقال: إنّ هذا لعلم وأبيك كثير[٦]! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولكني أُنشِدك على كل حرف من حروف المعجم مائةَ / قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام؛ قال: سأمتحنك في هذا، وأمَره بالإنشاد؛ فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر، ثم وكّل به من استحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفَى عليه؛ فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليدَ بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم.

[٦/ ٧١] ١٦٥/ ٥

(١) زيادة عن حـ و «مختار الأغاني» و «تجريد الأغاني».
(٢) في ب، س: «فطوحتنا».
(٣) كذا في أ،ء، م. وفي سائر الأصول: «سهمان» وهو تحريف.
(٤) هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب، من الرواة للعلم المصنفين للكتب، وكان شاعراً سيء الخلق، عاش إلى سنة تسعين ومائة، وله من الكتب: «كتاب السمر»، و «كتاب الحراب واللصوص»، و «كتاب أخبار الجن». (راجع «فهرست ابن النديم» ص ٩٤ طبع أوروبا).
(٥) كذا في أ،ء، م. وفي سائر الأصول: «شعراً لقديم ولا محدث».
(٦) كذا في «تجريد الأغاني» و «مختار الأغاني». وفي الأصول: «كبير» (بالباء الموحدة) وهو تصحيف.

ما كان بينه وبين مروان بن أبي حفصة في حضرة الوليد:

أخبرني يحيى بن عليّ المنجِّم قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن مَرْوان بن أبي حَفْصة، وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأَثْرَم[1] عن مروان بن أبي حَفْصة قال:

دخلت أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفي والحسين بن مُطَير الأسَدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلّما أنشد شاعرٌ شعراً، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر؛ فقلت: من هذا؟ فقالوا: حَمّاد الراوية. فلما وقفت بين يدي / الوليدِ أنشده قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لُحَنة لَحّانة؛ فأقبل الشيخ عليّ وقال: يَابْن أخي، إني رجل أكلِّم العامة فأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عنّي الشعرُ كله إلا شعرَ ابن مُقْبِل؛ فقلت له: نعم، شعرَ ابن مُقبل؛ قال: أَنْشِدْ، فأنشدتُه قوله:

سَلِ الدارَ من جَنْبَيْ حِبِرٌ فواهبِ إذا ما رأى هَضْبَ القَلِيبِ المُضَيَّحُ[2]

ثم جُزْتُ؛ فقال لي: قف فوقفت؛ فقال لي: ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول! فقال لي حماد: يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب. يقال: تراءَى الموضعان إذا تقابلا.

سأل الهيثم بن عدي عن معنى شعر فعجز:

حدّثني عمّي قال حدّثني الكُرّاني عن العُمَري عن الهيثم بن عديّ قال:

قلت لحماد الراوية يوماً: ألْقِ عليّ ما شئت من الشعر أفسِّره لك؛ فضحك وقال لي: ما معنى قولِ ابن مُزَاحِم[3] الثُّمَاليّ:

تَخَوَّفَ السيرُ منها تامكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ[4]؟

/ فلم أَدْرِ ما أقول؛ فقال: تخوّف: تنقّص. قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي على تنقّص.

قال الهَيْثم: ما رأيت رجلاً أعلمَ بكلام العرب من حَمّاد.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الأصمعي وأبي عبيدة، روى عن جماعة من العلماء ومن فصحاء العرب، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين. (راجع «فهرست ابن النديم» ص ٥٦ طبع أوروبا).

(٢) كذا في «معجم ما استعجم». وحبر (بكسر أوّله وثانيه وبالراء المهملة المشدّدة): جبل لبني سليم وكذلك واهب. وهضب القليب: ماء لبني قنفذ من بني سليم، وهناك قتلت بنو قنفذ المقصص العامري. والمضيح (بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد الياء المثناة المفتوحة بعدها حاء مهملة): ماء لبني البكاء.

وقد ورد هذا البيت في الأصول محرّفاً هكذا:

سلى الدار من خنبيّ خيبر فذاهب إذا ما رأى هضب القليب المصبح

(٣) كذا في «مختار الأغاني» وهامش «لسان العرب» (مادة سفن). وفي جميع الأصول: «مزاحم». وقد نسب هذا البيت لذي الرمة كما نسب لابن مقبل ولعبدالله بن عجلان النهدي. (راجع «اللسان» و «الصحاح» مادتي سفن وخوف).

(٤) التامك: السنام. والقرد: المتلبد الصوف. والسفن: الحديدة التي تبرد بها القسيّ. ورواية هذا البيت في «الصحاح» (مادتي سفن وخوف):

تخوف الرحل منها... ... ظهر النبعة السفن

كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقر:

حدّثني محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثني الكُرَانيّ محمد بن سعد عن النَّضْر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال:

أنشدني الفرزدق وحمادٌ الراوية حاضر:

وكنتَ كذئب السُّوء لمّا رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحال[1] على الدمِ

فقال له حماد: آنت تقوله؟ قال: نعم؛ قال: ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن؛ قال: ومن يعلم هذا غيرُك! أفأردتَ[2] أن أتركه وقد نَحَلنيه الناسُ ورَوَوْه لي لأنك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعاً غيرَك!.

كان هو وأبو عمرو كل منهما يقدم الآخر على نفسه:

حدّثني[3] محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثني الفَضْل قال حدّثني ابن النَّطّاح قال حدّثني أبو عمرو الشَّيْباني قال:

ما سألت أبا عمرو بنَ العَلاَء قطُّ عن حَمّاد الراوية إلا قدّمه على نفسه، ولا سألت حَمّاداً عن أبي عمرو إلا قدّمه على نفسه.

هو أحد الحمادين الثلاثة:

حدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبدالله بن مسلم، وذكر عبدالله بن مسلم عن الثَّقَفيّ / عن إبراهيم بن عُمر [و][4] العامري قالا: ١٦٦/٥

/ كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقال لهم الحَمّادون: حماد عَجْرد، وحماد بن الزِّبْرِقان، وحماد الراوية، يتنادمون [٦/ ٧٤] على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعاً.

كان بخيلاً فداعبه مطيع وابن زياد عن سراجه:

أخبرني الحسن[5] بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخل مُطيع بن إياس ويحيى بن زِياد على حماد الراوية، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات[6] قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين، فقال له يحيى بن زياد: يا حماد، إنك لمُسْرِف مبتذِل لحُرّ المتاع؛ فقال له مُطيع: ألا تبيع هذه المنارة وتشتري أقلَّ ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتّسع به؟ فقال له يحيى: ما أحسنَ ظنَّك به! ومن أين له مثلُ هذه؟ إنما هي وديعة أو عارية؛ فقال له مطيع: أمَا إنه لعظيم الأمانة عند الناس! قال له يحيى: وعلى

(١) أحال على الدم: أقبل عليه.
(٢) في ب، س: «فأردت».
(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «قال حدّثني».
(٤) زيادة عن م. ولا تستقيم العبارة بغير هذه الزيادة.
(٥) في جميع الأصول هنا: «الحسن»، وقد مر في أكثر من موضع من الأجزاء السابقة باسم «الحسين» وفي القليل منها باسم «الحسن» ولم نوفق إلى تصويبه.
(٦) في حـ: «قضبات» (بالضاد المعجمة): جمع قضبة وهي القضيب أو القدح من نبع يجعل منه سهم.

عظيم أمانته فما أجهل من يُخرج مثلَ هذه من داره ويأمَن عليها غيرَه! قال مطيع: ما أظنها عاريةً ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال، وإلا فمن يُخرج هذه من بيته! فقال لهما حماد: قوما عني يابْنَي الزانيتين واخرُجا من منزلي، فشرٌّ منكما من يُدخلكما بيتَه.

كان منقطعاً ليزيد فجفاه هشام ولما ولي الخلافة كتب ليوسف بن عمر بإرساله ليسأله عن شعر وأكرمه:

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن عُبيد وأبو عَصيدة قال حدّثني محمد بن عبد الرحمن العَبْدي عن حُميد بن محمد الكُوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشي عن محمد بن أنَس، وأخبرني الحسين[1] بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الرواية، وخبر حَمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له.

[٧٥/٦] / قال حماد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفضَت الخلافةُ إلى هشام خِفتُه، فمكثت في بيتي سنةً لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرًّا؛ فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنةً أمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شُرَطيّان قد وقفا عليّ فقالا لي: يا حَمّاد، أجب الأمير يوسفَ[2] بن عمر؛ فقلت في نفسي: مِنْ هذا كنت أحذَر، ثم قلت للشُّرَطيَّيْن: هل لكما أن تَدَعاني آتي أهلي فأودّعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه؟ فقالا: ما إلى ذلك من سبيل. فاستسلمتُ في أيديهما وصِرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان[3] الأحمر، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلامَ، ورمى إليّ كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد، فإذا قرأتَ كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير مُرَوَّع ولا مُتعَتع، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْرياً[4] يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق». فأخذتُ الخمسمائة الدينار، ونظرت فإذا جمل مَرْحول، فوضعت / رجلي في الغَرْز[5] وسرتُ اثنتي عشرة ليلةً حتى وافيتُ بابَ هشام، فاستأذنتُ فأذن لي، [٧٦/٦] فدخلت عليه في دارٍ قَوْراء[6] مفروشة بالرُّخام، وهو في مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيبُ ذهبٍ، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراءَ وعليه ثياب خَزّ حُمْر وقد تضمّخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه، / فسلّمت فردّ عليّ، واستدناني فدنوت حتى قبّلت رجلَه، [١٦٧/٥] وإذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلَهما، في أُذُنَيْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان؛ فقال لي:

---

(١) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «الحسن». (راجع الحاشية الأولى من هذه الصفحة).

(٢) يستبعد أن تكون هذه القصة مع يوسف بن عمر الثقفي لأنه لم يكن والياً بالعراق في التاريخ المذكور بل كان متوليه إذ ذاك خالد بن عبدالله القسري. لأن هشاماً تولى الخلافة لليال بقين من شعبان سنة ١٠٥ هـ. والخبر صريح في أن هذه الحادثة وقعت بعد عام من تولي هشام الخلافة وكان الوالي على العراق حينذاك القسري لا الثقفي، لأن هشاماً عزل عمر بن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالداً في شوّال سنة ١٠٥ هـ، وبقي خالد والياً عليه حتى سنة ١٢٠ هـ وهي السنة التي عزله فيها عنه هشام وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي. (راجع ابن خلكان ـ في ترجمتي حماد وخالد ـ والطبري ق ٢ ص ١٤٦٦).

(٣) الإيوان: الصفة العظيمة كالأزج وهو البيت يبنى طولاً.

(٤) المهرية من الإبل: نسبة إلى مهرة بن حيدان وهو حي من قضاعة من عرب اليمن، وهي نجائب تسبق الخيل، وقيل: إنها لا تعدل بها شيء في سرعة جريانها، ومن غريب ما ينسب إليها أنها تفهم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه، ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعا.

(٥) الغرز: ركاب الرحل من جلد، فإذا كان من خشب أو من حديد فهو ركاب.

(٦) قوراء: واسعة.

كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين؛ قال: أتدري فيم بعثتُ إليك؟ قلت: لا؛ قال: بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدر مَنْ قاله؛ قلت: وما هو؟ فقال:

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ

قلت: هذا يقوله عَدِيّ بن زيد في قصيدة له؛ قال: فأنشدنيها، فأنشدتُه:

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ... ـح يقولون لي ألا تستفيقُ

ويلومون فيك يابنةَ عبد اللَّـ ... ـه والقلب عندكم مَوْهوق[1]

لست أدري إذ أكثروا العذلَ عندي ... أعدوٌّ يلومني أو صديق

زانها حسنُها وفَرْعٌ عَميم ... وأثيثٌ صَلْتُ الجبين أنيق[2]

وثنايا مُفَلَّجات عذاب ... لا قِصارٌ تُرى ولا هُنّ رُوق[3]

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريق

/ قدّمتْه على عُقار كعين الـ ... ـديك صَفَّى سُلافَها الرَّاووق[4]

[٦/ ٧٧]

مُرّة قبل مزجها فإذا ما ... مُزِجت لذّ طعمَها من يذوق

وطفَت فوقها فقاقيعُ كالدُّ ... رّ صِغار يُثيرها التَّصْفيق

ثم كان المِزاج ماءَ سماء ... غيرَ ما آجنٍ ولا مَطْروق

قال: فطرب، ثم قال: أحسنت والله يا حَمّاد، يا جاريةُ اسقيه، فسقتني شَرْبة ذهبت بثلث عقلي. وقال: أعِد، فأعدت، فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي. فقلت: إن سقتني الثالثةَ افتضحت، فقال: سَلْ حوائجَك، فقلت: كائنةً ما كانت؟ قال: نعم؛ قلت: إحدى الجاريتين؛ فقال لي: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتْني شَرْبةً سقطتُ معها، فلم أعقِل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي، وإذا عِدّة من الخدم مع كل واحد منهم بَدْرة، فقال لي أحدهم: أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه فانتفع بها، فأخذتُها والجاريتين وانصرفت. هذا لفظ حَمّاد عن أبيه. ولم يقل أحمد بن عُبيد في خبره أنه سقاه شيئاً، ولكنّه ذكر أنه طرِب لإنشاده، ووهب له الجاريتين لمّا طلب إحداهما، وأنزله في دار، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أعدّه له، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتاج إليه، وأنه أقام عنده مدّة فوصل إليه مائةُ ألف درهم، وهذا هو الصحيح؛ لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكِراً، وكان يُنكِر ذلك ويَعيبه ويعاقب عليه.

/ في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناءٌ، نِسْبته:

[٦/ ٧٨]

(١) الموهوق: المشدود بالوهق، وهو الحبل المغار يرمي فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان.

(٢) الفرع: الشعر. والأثيث: الكثير، يطلق على الشعر وعلى البدن الممتلىء اللحم، وهو المراد هنا. والصلت: الواضح.

(٣) روق: طوال.

(٤) الراووق: المصفاة وناجود الشراب الذي يروق فيه. والناجود: الوعاء.

صوت

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولون ما له لا يُفيق

/ ويلومون فيكِ يابنةَ عبد اللّـ ـه والقلبُ عندكم مَوْهوق

ثم نادوا إلى الصَّبُوح فقامت قَيْنة في يمينها إبريق

قدّمَتْه على عُقار كعين الدّ يك صفّى سُلافها الراووق

١٦٨ ه

في البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلَفٌ في صانعه، نسَبه يحيى بن المكيّ إلى معبد، ونسبه الهشاميّ إلى حُنين. وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبدالله بن العباس الرّبيعيّ رَمَلٌ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيل، ذكر[١] حَبَش أنه لحُنَين.

أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرماً:

أخبرني[٢] محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعيّ قال:

قال حماد الراوية: كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر: احمِلْ إليّ حماداً الراوية على ما أحَبّ من دواب البريد، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعُونة له؛ فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إليّ، فقلتُ: السمع والطاعة، فقال: يا دُكَين بن شَجَرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذتُها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودّعاً، فقال: يا حماد، أنا بالموضع الذي قد عرفتَ من أمير المؤمنين، ولستُ مستغنياً عن ثنائك، فقلت: أصلح الله الأمير: / «إنّ العوانَ لا تعلَّم الخِمْرة»[٣]. فخرجتُ حتى أتيتُ الوليد بن يزيد وهو بالبَخْراء[٤]، فاستأذنتُ فأذن لي، فإذا هو على سرير ممهَّد وعليه ثوبان: إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً، وإذا عنده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه، فتركني حتى سكن جأشي، ثم قال: أنشدني:

[٧٩/٦]

* أمِنَ المنونِ وريْبِها تَتَوجّعُ *

فأنشدتُه إيّاها حتى أتيتُ على آخرها. فقال لساقيه: اسقه يا سَبْرة أكؤساً، فسقاني ثلاث أكؤس خدَّرتْ ما بين الذؤابة والنعل. ثم قال: يا معبد غنّني:

ألا هل جاءكَ الأظعا نُ إذ جاوزن مُطَّلَحا[٥]

فغنّاه. ثم قال: غنني:

(١) في جميع الأصول: «وذكر» ولا تستقيم العبارة بزيادة الواو.
(٢) وردت هذه القصة في أخبار ابن عائشة في الجزء الثاني من هذه الطبعة مع اختلاف يسير.
(٣) العوان: النصف في سنها. والخمرة: من الاختمار اسم هيئة. وهذا مثل يضرب للرجل المجرب الذي لا يحتاج إلى أن يعلم كيف يفعل.
(٤) كذا في أكثر الأصول. وهي ماءة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز. وفي سائر الأصول: «النجراء» (بنون بعدها جيم) وهو تصحيف.
(٥) قال ياقوت في «معجمه» في الكلام على مطلح: «هو موضع في قوله:
* وقد جاوزن مطلحا *
ولم يتعرض له بأكثر من هذا ولم نجده في غيره من المظان.

أتنسى[1] إذ تودّعنا سُليمى ... بفرع بَشامة، سُقِيَ البَشامُ[2]

فغنّى. ثم قال: غنني:

جلا أُميّة عنّا كلَّ مَظلِمة ... سهلُ الحجابِ وأوفى بالذي وَعَدا

/ فغنّاه. ثم قال: اسقني يا غلام بزُبّ فرعون، فأتاه بقدح معوَجٍّ فيهِ طول فسقاه به عشرين قدحاً. ثم أتاه [٦/٨٠] الحاجب فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، الرجلُ الذي طلبتَ بالباب؛ فقال: أدخله، فدخل غلام شابٌّ لم أر أحسن منه وجهاً[3] في رجله فَدَع[4]، فقال: يا سَبْرة اسقه كأساً، فسقاه، ثم قال له: غنني:

وهي إذ ذاك عليها مئزر ... ولها بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ

فغنّاه، فنبذ إليه أحد ثوبيه، ثم قال: غنني:

طَرَق الخيالُ فمرحَبا ... ألفاً برؤية زينبا

فغضب معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مُقْبِلون إليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تركتنا بمَزْجر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبي؛ فقال: والله يا أبا عَبّاد ما جهلت قدرَك ولا سِنّك، / ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطَّيَاجِن[5] من حرارة غنائه. فسألتُ عن الغلام؟ فإذا هو ابن عائشة. ١٦٩/٥

كان في حانة فطلبه المنصور فجاءه وأنشده من شعر هفان بن همام:

حدّثني الحسن بن محمد المادَرَانيّ الكاتب قال حدّثني الرياشيّ عن العُتْبيّ، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي ـ وليس خبره بتمام هذا ـ قال:

طلب المنصور حمّاداً الراوية، فطُلب ببغداد فلم يوجد، وسُئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجّهوا إليه برسول يُشخِصُه. قال الرسول: فوجدته في حانة وهو عُريان يشرب نبيذاً من إجّانة[6] وعلى سوأته رأس دَسْتَجة[7]، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فما رأيتُ رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من / تلك. فأجاب، فأشخصتُه [٦/٨١] إليه. فلما مَثَل بين يديه، قال له: أنشدني شعرَ هِفّان بن هَمّام بن نَضْلة يرثي أباه؛ فأنشده:

خليلَّ عُوجَا إنها حاجةٌ لنا ... على قبر هَمّامٍ سقتْه الرواعدُ

على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبْتَغى ... جَداه إذا لم يَحمَد الأرضَ رائدُ

---

(١) ورد صدر هذا البيت في «اللسان» مادة «بشم» هكذا:

* أتذكر يوم تصقل عارضيها *

وصدر هذا البيت في التهذيب:

* أتذكر إذ تودعنا سليمى *

(٢) البشام: شجر طيب الريح والطعم يستاك به. يعني بالبيت أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ولم تتكلم خيفة الرقباء.

(٣) في ب، س: «لم أر... وجهاً من رجل في رجله... إلخ» ولا يستقيم الكلام بهذه الزيادة.

(٤) الفدع: عوج وميل في المفاصل كلها خلقة أو داء.

(٥) كذا في أكثر الأصول. والطياجن: الطوابق يقلي عليها. وفي ب، س: «الطناجير» وهو تحريف.

(٦) الإجانة: آنية تغسل فيها الثياب.

(٧) كذا في أ، ء. والدستجة: الإناء الكبير من الزجاج معرب: «دستة» وفي حـ، م: «دسيتجة» (بالتصغير). وفي ب، س: «دستيجة» ولعلها محرفة عما في حـ، م.

كـريـم الثَّنـا[1] حلـو الشمـائـل بينـه ... وبيـن المـزجّـي نَفْنـفٌ متبـاعـد[2]

إذا نـازع القـومَ الأحـاديـثَ لـم يكـن ... عَيِيّـا ولا ثِقـلاً علـى مـن يقـاعـد

صبـورٌ علـى العِـلّات يُصبـح بطنُـه ... خَميصـاً وآتيـه علـى الـزاد حـامـد

وضعنـا الفتـى كـلَّ الفتـى فـي حَفيـرة ... بُحـرِّيـن[3] قـد راحـت عليـه العـوائـد

صـريعـاً كنصـل السيـف تضـرِبُ حـولـه ... تـرائبَهـنّ المُعْـولاتُ الفـواقـد[4]

قال: فبكى أبو جعفر حتى أخضَل لحيتَه، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس رضي الله عنه.

ذكره ابن إياس لابن الكردية فطلبه واستنشده فأنشده شعراً أغضبه فضربه:

أخبرني الحسين[5] بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان جعفر بنُ أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْدِيّة يَستخفّ مُطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعاً إليه وله معه منزلة حسنة، فذكَر له حماداً الراوية، / وكان صديقَه، وكان مطَّرَحاً مجفوّاً في أيامهم، فقال: ائتنا به لنراه. [٦/٨٢] فأتى مطيع حمّاداً فأخبره بذلك وأمره بالمَسير معه إليه؛ فقال له حماد: دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير، فأبى مطيعٌ إلّا الذهابَ إليه، فاستعار حماد سَوَاداً وسيفاً ثم أتاه، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر. فلما دخل عليه سلّم عليه سلاماً حسناً وأثنى عليه وذكر فضلَه؛ فردّ عليه وأمره بالجلوس فجلس. فقال جعفر: أَنشِدْني؛ فقال: لمن أيها الأمير؟ ألشاعر بعينه أم لمن حَضَر؟ قال: بل أنشدني لجَرير. قال حمّاد: فسُلخ والله شعر جرير كلُّه من قلبي إلا قولَه:

بـان الخليـطُ بـرامتيـن[6] فـودّعـوا ... أوَ كلّمـا اعتـزمـوا[7] لبَيْـن تجـزَعُ

فاندفعتُ فأنشدتُه إياه، حتى انتهيتُ إلى قوله:

وتقـول بَـوْزَعُ قـد دبَبْـتَ علـى العصـا ... هـلّا هَـزِئـتِ بغيـرنـا يـا بَـوْزَعُ

قال حماد: فقال لي جعفر: أَعِد هذا البيت، فأعدته؛ فقال: بوْزع، أيُّ شيء هو؟ فقلت: اسم امرأة؛ فقال: امرأة اسمها بوْزَع! هو بريء من الله ورسوله ونفيٌّ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بَوْزع إلا غُولاً من الغِيلان! تركتَني والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فزع بَوْزع؛ / يا غلمان! قَفَاه؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدر أين أنا؛ ثم قال: جُرُّوا [١٧٠/٥]

(١) الثنا (بالتحريك والقصر): ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء. وفي الأصول: «الثناء».

(٢) المزجي: الضعيف. وسمي مزجى لتأخره وحاجتهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يعن. والنفنف: المهواة بين الجبلين.

(٣) كذا في ب، س. وحرين (بالضم ثم الكسر والتشديد وآخره نون): بلد قرب آمد. وفي سائر الأصول: «بجوءين» ولم نجد بلداً بهذا الاسم في المظان التي بين أيدينا.

(٤) الترائب: عظام الصدر، واحدها تريبة. والفواقد: من فقدن أزواجهن أو أولادهن.

(٥) في جميع الأصول هنا: «الحسين» ويلاحظ أن هذا الاسم ورد مضطرباً فيما مر من الكتاب بين: «الحسن» و «الحسين» ولم نوفق إلى مرجع نرجع به إحدى الروايتين.

(٦) رامتين: تثنية رامة، وكثير من أسماء المواضع يأتي في الشعر مفرداً ومثنى ومجموعا فحسب الضرورة الشعرية. ورامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة. وهي آخر بلاد بني تميم، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة، وقيل هي هضبة أو جبل لبني دارم.

(٧) في «النقائض» (ص ٩٦١ طبع أوروبا): «ارفعوا». ورفع القوم: أصعدوا في البلاد.

برجله: فجَرُّوا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً، فتخرّق السواد وانكسر جفن السيف ولقيتُ شراً عظيماً مما جرى عليّ؛ وكان أغلظَ من ذلك كلِّه وأشدّ بلاءً إغرامي ثمنَ السّواد وجفنِ السيف؛ فلما / انصرفت أتاني مُطيع [٦/٨٣] يتوجّع لي؛ فقلت له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع بني أمية!.

حديثه مع مأبون:

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

بلغني أن رجلاً تحدّث في مجلس حماد الراوية فقال: بلغني أن المأبون له رحم كرحم المرأة ـ قال: وكان الرجل يُرمَى بهذا الداء ـ فقال حماد لغلامه: اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ، فإن خير العلم ما حُمل عن أهله.

كتب إلى بعض الأشراف شعراً يسأله جبة فأرسلها إليه:

قال: وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال:

إن لـي حـاجـةً فـرأيـك فيهـا ... لـك نفسـي فِـدًى مـن الأوصـابِ
وهـي ليسـت ممـا يبلِّغهـا[1] غيـ ... ـري ولا يستطيعهـا فـي كتـاب
غيـرَ أنّـي أقـولها حيـن ألقـا ... ك رُوَيْـداً أُسِـرُّها فـي حجـاب

فكتب إليه الرجل: اكتب إليّ بحاجتك ولا تَشْهَرني بشعرك؛ فكتب إليه حماد:

إننـي عـاشـق لجُبّتـك الـدُّكْـ ... ـناءِ عشقاً قـد حـال دون الشرابِ
فـاكسُنِيهـا فـدتْـك نفسـي وأهلـي ... أتبـاهَـى بهـا علـى الأصحـاب
ولـك الله والأمـانـة أن أجـ ... ـعلهـا عمـرَهـا أميـرَ ثيـابـي

فبعث إليه بها. وقد رُويَت هذه القصة لمُطيع بن إياس.

هو والخزيمي وغلام أمرد:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو يعقوب الخُزَيْميّ[2] قال:

/ كنت في مجلس فيه حماد عَجْرَد وحماد الرواية ومعنا غلام أمردُ، فنظر إليه حماد الراوية نظراً شديداً وقال [٦/٨٤] لي: يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلةَ على أن أدِبّ على هذا الغلام؛ فقلت: شأنَك به؛ ثم نِمْنا، فلم أشعُر بشيء إلا وحماد يبكيني، وإذا أنا قد غَلِطت ونِمْت في موضع الغلام، فكرهت أن أتكلّم فينتبِه الناس فأفتضحَ وأُبطِلَ عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفَني؛ فقال: قد عرفتُ الآن، فيكون ماذا! وفديناه بذبح عظيم. قال: وما بَرِح[3] علم الله وأنا أعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل.

---

(١) كذا في «مختار الأغاني» و«تجريد الأغاني». وفي الأصول: «يبلغه».

(٢) الخزيمي: هو إسحاق بن حسان، ويكنى أبا يعقوب. وقد ورد في «الشعر والشعراء» باسم الخريمي (بالراء). والظاهر أن هذه الرواية أصح لأنه كان مولى ابن خريم الذي يقال لأبيه: خريم الناعم وهو خريم بن عمرو من بني مرة (راجع «الشعر والشعراء» ص ٥٤٢ طبع ليدن والكامل للمبرد ص ٣٢٨ طبع أوروبا).

(٣) في جميع الأصول: «قال: وما علم الله برح... إلخ» وهو خطأ يحتمل أن يكون من الناسخ، إذ لا يصح الفصل بين ما النافية والأفعال الناقصة، لأن ما لما لزمت هذه الأفعال وصارت معها بمعنى الإثبات صارت كجزئها.

أهدى إلى صديق له غلاماً:

قال إسحاق:

وأهدى حماد إلى صديق له غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك غلاماً تتعلم عليه كَظْم الغيظ.

ستهدي نبيذاً من صديق له فأجابه:

قال:

واستهدى من صديق له نبيذاً فأهدى إليه دُسَيتِجة نبيذ. فكتب إليه: لو عرفتَ في العدد أقلَّ من واحد، وفي الألوان شرًّا من السواد، لأهديتَه إليّ.

رد على مغنية أخطأت في شعر:

قال:

وسمع مغنية تغني:

* عاد قلبي من الطويلة عاد *

فقال: وثمود، فإن الله عزّ وجلّ لم يفرق بينهما. والشعر:

* عاد قلبي من الطويلة عِيد[1] *

[٦/ ٨٥] / أنشده رجل شعراً فأنكره عليه وقال اهجني فهجاه:

أخبرني أبو الحسن الأسَدي قال حدّثنا الرِّيَاشيّ قال حدّثني أبو عثمان اللاحِقي، وأخبرني به محمد بن مَزْيَد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن بِشر بن المفضَّل بن لاحِق قال:

جاء رجل إلى حَمّاد الراوية فأنشده شعراً وقال: أنا قلته؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنتَ صادقاً فاهْجُني. فذهب ثم عاد إليه فقال له: قد قلت فيك:

١٧١ / ٥

/ سيعلم حَمّاد إذا ما هجوتُه ... أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ

ألم تر حماداً تقدّم بطنُه ... وأُخِّر عنه ما تُجنّ المآزر

فليس براءٍ خُصْيَتيْه ولو جَثَا ... لركبته، ما دام للزيت عاصر

فيا ليته أمْسَى قعيدةَ بيته ... له بعلُ صدقٍ كَوْمه[2] متواتِر

فحماد نعم العِرْسُ للمرء يبتغي النـ ... ـكاح وبئس المرء فيمن يفاخِر

فقال حماد: حسبُنا، عافاك الله، هذا المقدارُ وحسبُكَ! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجودَ منه، وأُحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَني؛ فقال له: قد كنتَ غنيًّا عن هذا. وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب مما جرَرْتُ على نفسي من البلاء!.

---

(١) هذا الشعر للمفضل. وأراد بالطويلة روضة بالصمان عرضها ميل في طول ثلاثة أميال. والعيد: ما يعتاد من نوب وشوق وهم.
(٢) الكوم: النكاح.

عاب شعراً لأبي الغول فهجاه:

حدّثني الأسَدِي أبو الحَسَن قال حدّثنا الرِّيَاشي قال حدّثنا أبو عبدالله الفَهْمِيّ قال:

عاب حَمّاد الراوية شعراً لأبي[1] الغُول فقال يهجوه:

/ نعم الفتى لو كان يعرف ربَّه ... ويُقيمُ وقتَ صلاتِه حمّادُ [٨٦/٦]

هَدَلتْ مشافِرُه الدِّنَانَ فأنفُه ... مثلُ القَدُوم يَسُنّها الحدّاد

وابيضّ من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يومَ الحساب سواد

لا يُعجبَنّك بَزُّه وثيابُه ... إنّ اليهود تُرَى لها أَجْلاد[2]

حَمّاد يا ضَبُعاً تَجُرّ جِعَارَها[3] ... أخْنَى[4] لها بالقريتين جراد

سبعاً يلاعبها ابنها وبناتها ... ولها من الخرق الكبار وساد[5]

قال معنى قوله:

* أخنى لها بالقريتين جرادُ *

هو مثل قول العرب للضَّبُعُ: خامِرِي[6] أمَّ عامر، أَبْشِري بجرادٍ عِظَال[7] وكَمَرِ رجال؛ فإن الضبع تجيء إلى القتيل وقد استلقى على قفاه، وانتفخ غُرْمُوله فكان كالمُنعِظ، فتَحتكّ به وتَحيض من الشهوة، فَيثِبُ عليها الذئب حينئذ فتلد منه السِّمْع، وهو دابة، لا يولد له مثل البغل. وفي مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرَي[8] الأَزْدي:

/ تضحك الضَّبْعُ لقَتْلَى هُذَيْلٍ ... وترى الذئبَ لها يَسْتَهِلُّ[9] [٨٧/٦]

تضحك[10]: تحيض.

(١) نسبت هذه الأبيات لحماد بن الزبرقان كما نسبت لبشار بن برد يهجو بها حماد عجرد (راجع «الحيوان» للجاحظ ج ٤ ص ١٤٢ طبع الساسي. وابن خلكان في ترجمة حماد عجرد).

(٢) أجلاد الإنسان: جماعة شخصه أو جسمه وبدنه، يقال فلان عظيم الأجلاد إذا كان ضخماً قوي الأعضاء والجسم.

(٣) الجعار: جمع جعر (بفتح فسكون)، والجعر: نحو كل ذات مخلب من السباع. وجعار (كقطام): اسم للضبع لكثرة جعرها.

(٤) كذا في ب، س. وأخنى الجراد: كثر بيضه. وقد وردت هذه الكلمة في سائر الأصول محرفة.

(٥) كذا ورد هذا البيت في جميع الأصول وهو غير ظاهر المعنى.

(٦) خامري: استتري. وأم عامر: الضبع، وهي كما زعموا من أحمق الدواب لأنهم إذا أرادوا صيدها رموا في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك. ويقال لها: أبشري بجراد عظال وكمر رجال، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها رجل فيربط يديها ورجليها ثم يجرها. يضرب هذا المثل لمن يرتاع من كل شيء جبناً وقيل هو مثل لمن عرف الدنيا ثم يسكن إليها مع ما علم من عادتها كما تغتر الضبع بقول القائل: خامري أم عامر.

(٧) الجراد العظال: الذي ركب بعضه بعضاً كثرة.

(٨) في نسبة القصيدة التي منها هذا البيت للشنفري خلاف، فقيل إنها لتأبط شراً، وقيل لابن أخته، كما رجح أن تكون لخلف الأحمر (راجع «شرح أشعار الحماسة» للتبريزي ص ٣٨٢ طبع أوروبا).

(٩) يستهل: يصيح ويستغوي الذئاب. واستهل الصبي بالبكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة وكل شيء ارتفع صوته فقد استهل.

(١٠) قال التبريزي في «شرح الحماسة» في التعليق على هذا البيت: «قول من قال تضحك بمعنى تحيض ليس بشيء». وفي «لسان العرب» مادة ضحك في الكلام على هذا البيت: «قال أبو العباس: تضحك هاهنا: تكشر وذلك أن الذئب ينازعها على القتيل فتكشر في وجهه وعيداً فيتركها مع لحم القتيل ويمر... وقال ابن الأعرابي: أي أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت؛ وكان ابن دريد يردّ هذا ويقول: من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض، وإنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم، وقيل =

كان لصاً ثم تاب وطلب الأدب والشعر:

وقال ابن النطّاح:

كان حَمّاد الراوية في أوّل أمره يتشطّر ويصحَب الصعاليكَ واللصوص، فنقَب ليلةً على رجل فأخذَ مالَه وكان فيه جزءٌ من شِعْر الأنصار، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفَّظه، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ.

استنشده المهدي أحسن أبيات في السكر ثم أجازه:

حدّثنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حَمّاد الراوية قال:

دخلت على المهديّ فقال: أنشِدْني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكْر، ولك عشرة آلاف درهم وخِلعتان[1] من كُسْوة الشتاء والصيف؛ فأنشدتُه قولَ الأخطل[2]:

[٦/٨٨] / تَرَى الزُّجاجَ ولم يُطْمَثْ[3] يُطيف به ... كأنه من دم الأجواف مُختضَبُ

حتى إذا افتَضَّ ماءُ المُزن عُذرتَها ... راحَ الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ

١٧٢/٥ / تَنزو إذا شجّها بالماء مازجُها ... نَزْوَ الجنادب في رَمْضاءَ تلتهبُ[4]

راحوا وهم يحسَبون الأرض في فُلُك ... إن صُرِعوا وقَت الراحاتُ والرُّكَبُ

فقال لي: أحسنتَ وأمر لي بما شَرَطه ووعدني به فأخذتُه.

مدح بلال بن أبي بردة فأنكر ذو الرمة أنه شعره:

حدّثني اليَزيديّ قال حدّثني عمي عُبيد الله قال حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني صالح بن سليمان قال:

قدم حَمّاد الراوية على بلال بن أبي بُرْدة البصرةَ، وعند بلال ذو الرُّمّة، فأنشده حمادٌ شعراً مدحه به؛ فقال بلال لذي الرُّمّة: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: جيّداً وليس له؛ قال: فمن يقوله؟ قال: لا أدري إلا أنه لم يقله؛ فلما قضى بلالٌ حوائجَ حماد وأجازه، قال له: إن لي إليكَ حاجةً؛ قال: هي مقضيةٌ؛ قال: أنت قلت ذلك الشعرَ؟ قال: لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال: بعضُ شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيري؛ قال: فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك؟ قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام.

= معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكاً، وقيل أراد أنها تسرّبهم فجعل السرور ضحكاً لأن الضحك إنما يكون منه». اهـ ببعض تصرف.

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وخلعتان وكسوة... إلخ».

(٢) لم نجد هذه الأبيات بين شعر الأخطل المجموع في دواوينه الثلاثة التي نشر الأوّل منها المرحوم الدكتور أو جيتوس غرّفيني الميلاني الإيطالي مدير مكتبة جلالة ملك مصر سابقاً (وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٢٣ أدب) ونشر الثاني والثالث منها الأب أنطون صالحاني اليسوعي (وهما محفوظان بدار الكتب المصرية تحت رقمي: ٣٩٣٧، ١١٠٢ أدب). وجميعها طبع بيروت.

(٣) الطمث: المس. قال تعالى: ﴿لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان﴾. يريد أنه لم يفرّع ولم يمسسه إنسان.

(٤) تنزو: تثب وذلك إذا مزجت. وشجها: مزجها. والجنادب: ضرب من الجراد. والرمضاء: الأرض الحارة الحامية من شدّة حر الشمس.

أنشد بلالاً شعراً في مدح أبي موسى نسبه للحطيئة:

قال صالح:

وأنشد حَمّاد الراوية بلالَ بن أبي بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئةَ يمدح أبا موسى الأشعري يقول فيها:

[٦/٨٩] / جَمَعْتَ[١] من عامرٍ فيها ومن جُشَمٍ ... ومن تَميمٍ ومن حَاءٍ ومن حامِ

مُسْتَحقِبَاتٍ رواياها جحافلَها ... يسمو بها أشْعَرِيٌّ طَرْفُه سامي

فقال له بلال: قد علمتُ أن هذا شيء قلتَه أنت ونسبتَه إلى الحطيئة، وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دَعْهَا تذهب في الناس وسيِّرْها حتى تشتهرَ، ووصَله.

يرى المفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب بتخليطه ونحله شعره للقدماء:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخَرّاز يقول سمعت ابن الأعرابي يقول سمعت المفضّل الضَّبيَّ يقول:

قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطىء في روايته أم يلحَن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهبَ رجل ويُدخله في شعره، ويُحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك!.

اجتمع مع المفضل الضبي عند المهدي فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته:

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدّثني السَّعِيدي الراوية وأبو إياد المؤدّب ـ وكان مؤدّبي ثم أدّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سنُّه ـ وحدّثني بنحوٍ من ذلك عبدالله بن مالك وسَعيد بن سَلْم[٢] وحدّثني به ابن غَزَالة أيضاً واتفقوا عليه:

[٦/٩٠] / أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي[٣] بعِيسا باذ، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضَّل الضَّبِّي الراوية فدخل، فمكث مليًّا ثم خرج إلينا ومعه حَمّاد والمفضَّل جميعاً وقد بان في وجه حمادٍ الانكسارُ والغم، وفي وجه المفضَّل السرور والنشاط، ثم خرج حُسين الخادم معهما[٤]، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم: إن أمير المؤمنين يُعْلِمكم أنه قد وصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار / [١٧٣/٥] الناس ما ليس منها، ووصل المفضَّلَ بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدَثاً فليسمع من حماد، ومن

(١) تقدّم شرح هذين البيتين في الجزء الثاني من هذه الطبعة (في الحواشي ٤، ٥، ٦ ص ١٧٥ والحواشي ١، ٢، ٣ ص ١٧٦).

(٢) كذا في حـ. ولعله سعيد بن سلم الباهلي أبو عمرو وقد كان معاصراً لعبدالله بن مالك الخزاعي. وفي ب، س: «سعيد بن مسلم». وفي سائر الأصول: «سعيد بن سليم».

(٣) عيسا باذ: أي عمارة عيسى، لأن كلمة «باذ» فارسية معناها عمارة، وهذه محلة كانت شرقي بغداد ومنسوبة إلى عيسى بن المهدي وكانت إقطاعاً له. وبها مات موسى بن المهدي بن الهادي. وبها بنى المهدي قصره الذي سماه قصر السلام.

(٤) كذا في جميع الأصول. ولعل هذه الكلمة مقحمة أو محرّفة عن «بعدهما».

أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضّل؛ فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهديّ قال للمفضل لما دعا به وحدَه: إني رأيتُ زُهَيرَ بن أبي سُلْمى افتتح قصيدته بأن قال:

* دع ذا وعدِّ القول في هَرِم *

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول، فما الذي أمَر نفسَه بتركه؟ فقال له المفضّل: ما سمعتُ يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنّي توهمته كان يفكّر في قول يقوله، أو يُرَوّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال دع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعَدّ القولَ في هرم؛ فأمسك عنه. ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضّل، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين؛ قال فكيف قال؟ فأنشده:

[٩١/٦] / لمن الديار بقُنّة[1] الحَجْر ... أقْوَيْنَ مُذْ[2] حِجَجٍ ومُذْ[2] دَهْرِ

قفر بمُندَفَع النحائت[3] من ... ضَفْوَى[4] أُولاتِ[5] الضَّالِ والسِّدْرِ[6]

دع ذا وعَدِّ القول في هرم ... خيرِ الكهول[7] وسيّد الحَضْرِ

قال: فأطرق المهديُّ ساعةً، ثم أقبل على حماد فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين مُخرِجة لَيَصْدُقَنّه عن كل ما يسأله عنه، فحلف له بما توثّق منه. قال له: اصدُقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زُهير؛ فأقرّ له حينئذ أنه قائلُها؛ فأمر[8] فيه وفي المفضّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه.

سأله الوليد عن مقدار روايته واستنشده شعراً في الخمر وأجازه:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أحمد بن عُبيد قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

قال حماد الراوية: أرسل إليّ أميرُ الكوفة فقال لي: قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليدِ بن يزيد يأمرني [٩٢/٦] بحملك. فحُملت فقَدِمت عليه وهو في الصيد، فلما / رجع أذِن لي، فدخلت عليه وهو في بيت منجَّد[9] بالأَرْمَنِيّ[10] أرضُه وحيطانُه؛ فقال لي: أنت حماد الراوية؟ فقلت له: إن الناس ليقولون ذلك؛ قال: فما بلغ من روايتك؟ قلت: أروي سبعَمائة قصيدة أوّلُ كلٍّ واحدة منها: بانت سعاد؛ فقال: إنها لرواية! ثم دعا بشراب فأتته

---

(١) القنة: أعلى الجبل، وأراد بها هنا ما أشرف على الأرض. والحجر: موضع بعينه وهو حجر اليمامة.
(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول وديوانه: «من» وهي بمعنى مذ.
(٣) كذا في «ديوانه». والنحائت: آبار في موضع معروف. وليس كل الآبار تسمى النحائت. وفي جميع الأصول: «النجائب» وهو تصحيف.
(٤) كذا في «ديوانه». وضفوى (بالفتح ثم السكون وفتح الواو والقصر. ورواه ابن دريد بفتحتين): مكان دون المدينة. وقد وردت هذه الكلمة في جميع الأصول محرفة.
(٥) في ب، س: «ألاف».
(٦) الضال: السدر البري فإن نبت على شطوط الأنهار فهو عبري. وكأنه أراد بالسدر ما كان غير بري فلذلك عطفه على الضال.
(٧) في «ديوانه»: «البداة».
(٨) كذا في «تجريد الأغاني» و «مختار الأغاني». وفي الأصول: «فأمر له فيه... إلخ».
(٩) المنجد: المزين.
(١٠) لعله يريد به نوعاً من الحرير منسوباً إلى أرمن وهي إقليم جبلي من أذربيجان اشتهر بصناعة الحرير.

جارية بكأس وإبريق فصبَّت في الكأس ثم مزجته حتى رأيتُ له حَبَاباً؛ فقال: أنشدْني في مثل هذه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هي كما قال عديّ بن زيد:

بكَــر العـــاذلـــون فـــي وَضَـــح الصبـ ــــح يقـــولـــون لـــي ألا تستفيـــقُ
ثـــم ثـــاروا إلـــى الصَّبُـــوح فقـــامـــت قَيْنَـــةٌ فـــي يمينهـــا إبـــريـــق
قـــدّمتْـــه علـــى سُـــلافٍ كـــريـــح الـ ـمســـك صفَّـــي سُـــلافَهـــا الـــرَّاوُوق
فتَـــرى فـــوقَهـــا فقـــاقيـــعَ كـــاليـــا قـــوت يَجْـــرِي خـــلالَهـــا التصفيـــق[1]

قال: فشربها ولم يزل يستعيدني الأبياتَ ويشرب عليها حتى سَكِر؛ ثم قام فتناول مِرْفَقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى: من يَشتري لحومَ البقر؟ ثم قال لي: يا حماد، دونك ما في البيت فهو لك؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلتُه[2].

حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته:

حدّثني هاشم بن محمد الخُزَاعي قال / حدّثنا دَمَاذ[3] عن أبي عُبَيدة قال: ١٧٤/٥

قال خَلَف: كنت آخذ من حماد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها. وكان فيه حمق.

/ أنشد زياداً شعراً للأعشى فيه اسم أمه فغضب: [٦/٩٣]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال حدّثني المِسْوَر العَنَزيّ ـ وكان من رُوَاة العرب وكان أسنَّ من سِمَاك بن حَرْب ـ [عن حماد][4] قال:

دخلت على زياد[5] فقال لي: أنشدْني؛ فقلت: مِنْ شعر مَنْ أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدتُه:

* بكَرتْ سُميّةُ غُدْوةً أجمالُها *

قال: فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيّنت الغضبَ في وجهه؛ وقال الحاجب للناس: ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أعُد والله إليه. قال حماد: فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أُنشدَه لئلا يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة.

سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال:

قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية: لِمَ سُمّيت الراوية؟ وما بلَغ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم؟ فقال

(١) مر هذا البيت في ترجمة حماد هذه (ص ٧٧) على غير هذه الرواية.
(٢) تأثل المال: اكتسبه.
(٣) دماذ: هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة. ودماذ لقب كان ينبز به.
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) هو زياد ابن أبيه، وأمه سمية.

له: يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة؛ فقال: إنّ هذا لحفظ! هاتِ، فاندفع يُنشد حتى ملّ الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلته وصرفه.

[٦/٩٤] / أمر الوليد يوسف بن عمر بإرساله إليه واستنشده شعراً في الخمر:

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الحُسين بن[١] محمد بن أبي طالب الدِّيناريّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال:

قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار، وأمر يوسفَ بن عمر بحملي إليه على البريد. قال فقلت: لا يسألني إلا عن طرفَيْه قريش وثقيف، فنظرت في كتابَيْ قريش وثقيف. فلما قَدِمت عليه سألني عن أشعار بَلِيّ، فأنشدته منها ما استحسنه[٢]؛ ثم قال: أنشدني في الشراب ـ وعنده وجوه من أهل الشام ـ فأنشدته:

اِصْبَحِ القومَ قهوةً ... في أباريقَ تُحتذَى
مِن كُميتٍ[٣] مُدامةٍ ... حبّذا تلك حبّذا
يترك الأُذنَ شربُها ... أرجُواناً بها خُذا

فقال: أعِدْها، فأعدتها؛ فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما درَيْنا متى نُقلنا؛ قال: ثم حُملنا وطُرحنا في دار الضِّيفان، فما أيقظَنا إلا حرُّ الشمس. وجعل شيخ من أهل الشأم يشتُمني ويقول: فعَل الله بك وفعل، أنت الذي صنعت بنا هذا.

أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادّعاه لنفسه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ قال حدّثني أبو عُبيدة قال حدّثني يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدّه الطِّرِمّاح قال:

أنشدتُ حمّاداً الراوية في مسجد الكوفة[٤] ـ وكان أذكى الناس وأحفظَهم ـ قَوْلي:

[٦/٩٥] / * بانَ الخليطُ بسُحْرة[٥] فتبدَّدُوا *

وهي ستون بيتاً، فسكتَ ساعةً ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال: أهذه لك؟ قلت: نعم؛ قال: ليس الأمر كما تقول، ثم ردّها عليّ كلَّها وزيادةَ عشرين بيتاً زادها فيها في وقته؛ فقلت له: وَيْحَك! إن هذا الشعر قلتُه منذ أيام ما اطلع / عليه أحد؛ قال: قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعَليّ وعَلَيّ؛ فقلتُ: لله على حِجّة حافياً راجلاً إن جالستُكَ بعد هذا أبداً؛ فأخذ قبضةً من حَصَى المسجد وقال: لله عليّ بكل حَصاة من هذا الحصى

(١) راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٣١٩ ج ٥) من هذه الطبعة.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ما أحسنته».
(٣) الكميت: الخمر التي تضرب حمرتها إلى السواد.
(٤) هذه الكلمة زيادة عن ب، س و «مختار الأغاني» و «خزانة الأدب».
(٥) السحرة (كظلمة): السحر الأعلى أي أوّل السحر.

مائةُ حِجّة إن كنتُ أبالي؛ فقلت: أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرفت. قال دَمَاذ: وكان أبو عبيدة والأصمعي يُنشدان بيتَي الطِّرِمَّاح في هذه القصيدة وهما:

مُجتــاب حُلّــة بُــرْجــدٍ لسَــرَاتــه ... قِــدَداً وأخلَــفَ مــا ســواه البُــرجــدُ[1]

يبـــدو وتُضمـــره البـــلاد كـــأنـــه ... سَيـــفٌ علـــى شَـــرَفٍ يُسَـــلُّ ويُغمَـــد

وكانا يقولان: هذا أشعر الناس في هذين [البيتين][2].



(١) هذان البيتان في وصف ثور. يقال: اجتاب القميص: لبسه. والبرجد: كساء من صوف أحمر، وقيل: هو كساء غليظ، أو هو كساء مخطط ضخم يصلح للخباء. وسراته: ظهره.

(٢) زيادة عن أ، ء.

[٩٦/٦]

/ أخبار عَبادل ونسبه

نسبه ومنزلته من الغناء:

عَبَادِل بن عطيّة مولى قريش، مَكّيّ، مغنٍّ مُحسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونُس الكاتب وسِيَاطٌ ودَحْمان. وكان حسنَ الوجه، نظيف الثياب ظريفاً، ولم يفارق الحجاز ولا وفَد إلى ملوك بني أمية كما وفد غيرُه من طبقته ومَنْ[١] هو فوقها. ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة.

صفته، وكان يغني مشيخة قريش وله صنعة كثيرة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنا حَمّاد عن[٢] ابن أبي جَنَاح[٣] قال:

كان عَبَادِل بن عطية سَرِيًّا نبيلاً نظيفاً[٤] ساكنَ الطَّرْف حسنَ العشرة، وكان يعاشر مَشْيخةَ قريش وجِلّة أحداثها، فإذا أرادوا[٥] الغناء منه غنّى فأحسن وأطرب. وكانت له صنعة كثيرة.

منها:

تقــول يـــا عَمَّتَـــا كُفّــي جــوانبَـــه ... وَيْلِــي بَلِيــتُ وأبْلــى جِيــديَ الشَّعَــرُ

ومنها:

أمِــنْ حَــذَرِ البيــن مـــا تــرقُــدَ ... ودمعُـــك يجـــري فمـــا يَجْمُـــدُ

[٩٧/٦] / ومنها:

إنــي استحيتُــكَ أن أفــوه بحــاجتــي ... فــإذا قــرأتَ صحيفتـــي فتفهّــمِ

ومنها:

قُــولاَ لنــائــلَ مــا تَقْضِيــن فــي رجــلٍ ... يَهْــوَى هــواكِ ومــا جَنّبتــهِ[٦] اجتَنبــا

ومنها:

عــلام تَــرَيْــن اليــومَ قَتْلِــي لــديكُــم ... حــلالاً بــلا ذنــبٍ وقتلــي محــرّمُ

[قال][٧]: وكانوا يقولون له: ألا تُكثر الصنعة؟ فيقول: بأبي أنتم، إنما أنحتُه من صخر، ومَنْ أكْثَر أرْذل.

---

(١) في حـ: «ومن دونها ومن فوقها».

(٢) كذا في حـ. والمعروف أن هارون بن محمد يروى عن حماد بن إسحاق وحماد عن أبيه وهذا عن ابن أبي جناح، ولم تعرف لحماد رواية عن ابن أبي جناح مباشرة. وفي سائر الأصول: «حماد بن أبي جناح» وهو خطأ.

(٣) ورد هذا الاسم فيما مر من الكتاب مضطرباً بين: «ابن أبي جناح» و «ابن جناح» ولم نوفق إلى ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى.

(٤) في حـ: «ظريفاً».

(٥) في أ، حـ،ء: «فإذا أراد الغناء أو سئل غنى . . . إلخ».

(٦) جنبه (بالتضعيف) كتجانبه واجتنبه وتجنبه وجانبه.

(٧) زيادة عن حـ.

نسبة هذه الأصوات

صوت

أمــن حَــذَرِ البَيْــن مــا تــرقــد ... ودمعُــك يجــري فمــا يجمُــدُ
دعــانــي إلــى الحَيْــن فــاقتــادنــي ... فــؤادٌ إلــى شِقْــوتــي يَعْمِــد
فلــو أن قلبــي صحــا وارْعَــوَى ... لكــان لــه عنكُــم مَقْعَــد
يبيــدُ الــزَمــان وحُبّــي لكــم ... يَــزيــد خَبــالاً ومــا يَنفَــد

الغناء لعَبَادل ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة والوسطى عن ابن المَكّيّ. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل.

/ ومنها: ١٧٦/٥

صوت

إنــي استحييتُــك أن أفــوه بحــاجتــي ... فــإذا قــرأتَ صحيفتــي فتفهّــمِ
وعليــك عهــدُ الله إن أنبــأتَــه ... أهــلَ السَّيّــالــة إن فعلــتَ وإن لَــم

/ هكذا قال ابن هَرْمة، والمغنّون يغنّونه: [٦/٩٨

وعليــكَ عهــدُ الله إن أخبــرتَــه ... أحــداً وإن أظهــرتــه بتكلُّــمِ

الشعر لابن هَرْمة. والغناء لعَبَادِل.

طلب ابن هرمة بشعره من الحسن بن حسن خمراً فوشى به إلى الوالي ففرّ هو وصحبه:

أخبرني[1] عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عبدالله بن محمد بن إسماعيل الجَعْفَري عن أبيه:

أنّ حسن بن[2] حسن بن عليّ كان صاحبَ شراب، وفيه يقول ابنُ هَرْمَة:

إنــي استحييتُــك أن أفــوه بحــاجتــي ... فــإذا قــرأتَ صحيفتــي فتفهّــمِ
وعليــك عهــد الله إن أنبــأتَــه ... أحــداً ولا أظهــرتَــه بتكلّــمِ

قال عبدُالله بن محمد الجَعْفَريّ: وكان ابن هرمة ـ كما حدّثني أبي ـ يشرب هو وأصحابٌ له بَشَرف[3] السَّيّالة عند سَمُرَةٍ بالشَّرَف يقال لها سَمُرَةُ جرانة[4] فنفِد شرابُهم؛ فكتب إلى حسن بن حسن[2] بن عليّ يطلب منه نبيذاً،

(١) يلاحظ أنه من هذا الموضع إلى آخر الترجمة أخبار لابن هرمة وللوابصي ونصيب ولم يرد بها عن عبادل شيء يذكر.
(٢) كذا في جميع الأصول هنا وفيما يأتي عدا (حـ) فقد أوردته فيما يأتي: «حسن بن حسن بن حسين». ولا يمكن أن تكون هذه الحادثة مع حسن بن حسن بن علي لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة الذي ولد سنة ٩٠ هـ. والصحيح أنها مع ابنه إبراهيم وقد كان ابن هرمة متصلاً به وبأخويه. وقد أورد صاحب «الأغاني» هذه القصة في أخبار علويه (ج ١٠ طبع بولاق) منسوبة إلى ابنه إبراهيم هذا.
(٣) شرف السيالة: منزل بين ملل والروحاء. وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «أصبح رسول الله ﷺ يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة ثم راح فتعشى بشرف السيالة وصلى الصبح بعرق الظبية».
(٤) لم نستطع ضبط هذا الاسم لخلوّ المعاجم التي بين أيدينا منه.

وكتب إليه بهذين البيتين. فلما قرأ حسنٌ رقعتَه قال: وأنا عليّ عهدُ الله إن لم أُخبِر به عامل السَّيالة، أمِنّي يطلب الدعيُّ الفاعل نبيذاً! وكتب إلى عامل السيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته، فقال له: إن ابنَ هرمة وأصحابَه السفهاء [٦/٩٩] يشربون عند سَمُرَةِ جرانة، فاخرج فخُذهم؛ / فخرج إليه العامل بأهل السّيالة؛ وأُنْذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبقهم هَرَباً، وتعلّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم. وقال في حسن:

كتبتُ إليك أَستَهدي نبيذاً ... وأُدْلي بالجوار وبالحقوقِ
فخبَّرتَ الأميرَ بذاك غَدْراً ... وكنتَ أخاً مُفاضَحةٍ ومُوقِ[1]

ومنها:

صوت

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتْلي لديكُم ... حلالاً بلا ذنبٍ وقتلي مُحرَّمُ
لكِ النفس ما عاشت وِقاءً من الرَّدَى ... ونحن لكم فيما تَجنَّبتِ[2] أظلمُ

وأما صنعته في:

* قولا لنائلَ ما تَقْضِين في رجلٍ *

فإن الشعر لمَسْعَدة[3] بن البَخْتَرِيّ ابن أخي المهلَّب بن أبي صُفْرة. والغناء لعَبادِل. وقد ذكرتُ ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد، لأن نائلة التي عُنِيَتْ[4] بهذا الشعر هي بنت[5] المَيْلاء، ولها أخبار ذُكرت في موضع منفرد صَلُحتْ له.

[٦/١٠٠] / ومنها:

صوت

تقول يا عَمَّتا كُفّي جوانبَه ... وَيْلي بَليتُ وأبْلَى جِيديَ الشَّعَرُ
مثلُ الأساوِدِ قد أعيا مَواشطَه ... تَضِلُّ فيه مَدَارِيها وتنكسرُ[6]
فإن نشرْتَ على عَمْدٍ ذوائبَها ... أبصرتَ منه فَتِيتَ المِسكِ ينتشرُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيفُ ثقيل ١٧٧/٥ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف ثقيل / يُنسب إلى دَحْمان وإلى الغَرِيض وإلى عَبَادل أيضاً.

(١) الموق: الحمق.
(٢) يحتمل أن تكون الرواية فيه: «فيما تجنيت» (بالياء المثناة من تحت).
(٣) كذا في حـ. وله ترجمة في «الأغاني» (ج ١٢ ص ٧٧ ـ ٧٨ طبع بولاق). وفي سائر الأصول هنا: «السعيد بن البحتري» وهو تحريف.
(٤) في ب، س: «غنت» وهو تحريف.
(٥) كذا في جميع الأصول. والمعروف أن نائلة التي شبب بها ابن البختري كما ذكر أبو الفرج هي نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدي أحد بني أسيد (بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء المثناة وكسرها) ابن عمرو بن تميم. وكان أبوها سيداً شريفاً، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج. ولم نجد ذكراً لنائلة بنت الميلاء في أخبار مسعدة ولا في موضع آخر من هذا الكتاب.
(٦) الأساود: الحيات السود، واحدها أسود. والمداري: جمع مدرى، وهو المشط.

صوت

من المائة المختارة

لَيستْ نَعَمْ منكَ للعافين مُسْجَلةً[١] مِن التخلُّق لكن شيمةٌ خُلُقُ

يكاد بابُك من عِلْمٍ بصاحبه من دون بوّابه للناس يَنْدلِقُ[٢]

شعران متشابهان لابن هرمة وطريح بن إسماعيل الثقفي:

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطُرَيح. وذكر يعقوب بن السكّيت أنه لابن هَرْمة. والغناء في اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر في مجراها. فمن روى هذه الأبيات لابن هَرْمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سلمان بن عبد الملك؛ ومن ذكر أنها لطُرَيح ذكر أنها من قصيدة له / يمدح بها الوليدَ بن يزيد. [٦/١٠١] والصحيح من القولين أن البيت الأوّل من البيتين لطُرَيح والثاني لابن هَرْمة. فبيت طُرَيح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة، يقول في تشبيبها:

تقول والعِيسُ قد شُدّت بأرحُلِها[٣] الحقَّ آتكَ[٤] منا اليوم منطلقُ؟

قلتُ نعمْ فاكظِمي قالت وما جَلَدي ولا أظنّ اجتماعاً حين نفترق

فقلتُ إن أَحْيَ لا أُطوِل بعادكُم وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَق[٥]

فارقتُها لا فؤادي من تذكُّرها سالِي الهمومِ ولا حَبْلِي لها خَلَق

فاضت على إثرهم عيناكَ دمعُهما كما تتابَع يجري اللؤلؤ النَّسَق[٦]

صوت

فاستبقِ عينك[٧] لا يُودِي البكاءُ بها واكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تستبق

ليس الشؤونُ وإن جادت بباقيةٍ ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَق

---

(١) مسجلة: مبذولة أو مرسلة.

(٢) اندلاق الباب: انفتاحه سريعاً وهو مطاوع دلق الباب إذا فتحه فتحاً شديداً.

(٣) في حـ: «بأرحلنا».

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «الحق فإنك».

(٥) كذا في حـ. وغلق الرهن غلقاً (من باب فرح): استحقه المرتهن. وفي سائر الأصول: «علق» (بالعين المهملة) وهو تصحيف.

(٦) النسق: المنظم.

(٧) كذا في حـ. وفي ب، س: «عينيك».

ـ لإسحاق[١] في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو ـ يقول فيها في مدح الوليد:

وما نَعَمْ منكَ للعافِين مُنْجِلة ... من التخلُّق لكنْ شِيمةٌ خُلُقُ

ساهمتَ فيها ولا فاختَصصتَ بها ... وطار قومٌ بلا والذمُّ فانطلَقوا

[١٠٢/٦] / قوم همُ[٢] شَرَف الدنيا وسُودَدُها ... صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَق

إن حاربوا وَضعوا أو سالموا رفَعُوا ... أو عاقدوا ضَمِنوا[٣] أو حَدَّثوا صدَقوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها. ومِنْ أبي أحمد[٤] رحمه الله سمِعْنا ذلك أجمع. ولكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق. ولعله لم يتفقّد ذلك، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فٱنتحله وسرقه من قائله.

ابن هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعباس بن الوليد:

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدّثني به وَكيع قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ـ وخبره أتم ـ قال:

[١٧٨/٥] قال العبّاس / بن الوليد بن عبد الملك ـ وكان بخيلاً لا يحبّ أن يُعطِي أحداً شيئاً ـ ما بالُ الشعراء تمدح أهلَ بيتي أجمع ولا تمدحني! . فبلغ ذلك ابنَ هَرْمة، وكان قد مدحه فلم يُثبه، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان:

ومُعجَب بمديح الشِّعر يمنعه ... من المديح ثوابُ المدح والشَّفَقُ

يا آبِيَ المدح مِنْ قولٍ يُحبِّره[٥] ... ذو نِيقة[٦] في حواشي شعره أَنَق[٧]

إنك والمدحَ كالعذراء يُعجِبها ... مسُّ الرجال ويَثْني قلبَها الفَرَق

[١٠٣/٦] / لكنْ بمَدْيَنَ من مفْضَى سُوَيمرةٍ[٨] ... من لا يُذَمّ ولا يُثْنا له خُلُقُ

أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه ... والمادحون إذا قالوا له صَدَقوا

ـ يعني عبد الواحد بنَ سليمان ـ:

لا يستقرّ[٩] ولا تخفى علامته ... إذا القَنا شالَ في أطرافها الحَرَق[١٠]

---

(١) في حـ: «لإسماعيل» وهو ابن جامع. وله ولإسحاق يروي عمرو بن بانة.

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «قوم لهم».

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «حكموا».

(٤) هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم من شيوخ أبي الفرج. (راجع ترجمته في الحاشية رقم ٣ ص ١٧ من تصدير هذا الكتاب).

(٥) في حـ: «تخيره».

(٦) النيقة: اسم من التنوق. يقال تنوق فلان في منطقه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ.

(٧) كذا في حـ. والأنق (بفتح النون): الروعة والحسن. وفي سائر الأصول: «من حواش شعره أنق».

(٨) كذا في حـ و «معجم البلدان» (ج ٣ ص ٢٠٢). ومدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل. وسويمرة: موضع في نواحي المدينة. وفي أ، ء، م: «مقصى سوتمرة» وفي ب، س: «مقصى سويمرة».

(٩) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «لا يستفز».

(١٠) شال: ارتفع. والحرق (محركة): لهب النار.

فـي يـومٍ لا مـالَ عنـد المـرء ينفعـه إلا السِّنَـانُ وإلا الـرمـح[1] والـدَّرَق

يَطعـن بـالـرمـح أحيانـاً ويضـربهـم بـالسيـف ثـم يُـدَانِيهـم فيَعتنـق

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زُهَير ومن مُهلهل جميعاً، فإنهما سبقا إليه. قال مُهلهل وهو أقدمهما:

أَنْبَضـوا[2] مَعْجِـسَ[3] القِسِـيّ وأبـرق[4] ـنـا كمـا تُـوعِـد الفُحـولُ الفحـولاَ

يعني أنهم لما أخذوا القِسيّ ليرموهم من بعيد انتضَوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها[5].

وقال زهير ـ وهو أشرح من الأوّل ـ:

يَطعنُهـم مـا ارتمَـوْا حتـى إذا اطّعنـوا ضـارَبَ حتـى إذا مـا ضـاربـوا اعتنقَـا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره.

رجع إلى شعر ابن هرمة:

يكـاد بـابُـك مـن جـود ومـن كـرم مـن دون بَـوّابـه للنـاس يَنْـدلـقُ

/ ـ ويُروى: «إذا أطاف به الجادون». و «العافون» أيضاً. ويروى: «ينبلق» ـ: [٦/١٠٤]

مدح والي المدينة بعد عبد الواحد فجفاه ثم رضي عنه بشفاعة عبدالله بن الحسن:

إنّـي لأَطْـوِي رجـالاً أن أزورَهُـم وفيهـمُ عَكَـر الأنعـام والـوَرَقُ[6]

طـيَّ الثيـاب التـي لـو كُشْفـت وُجِـدتْ فيهـا المَعـاوِزُ[7] فـي التفتيـش والخِـرَق

وأتـرك الثـوبَ يـومـاً وهـو ذو سَعَـةٍ وألْبَـس الثـوب وهـو الضيِّـق الخَلَـق

إكـرامَ نفسـي وأنـي لا يـوافقنـي ولـو ظَمِئـتُ فَحُمـتُ المَشْـرَبُ الـرَّنِـق[8]

قال هارون[9] بن الزيات في خبره: فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبدَ الواحد بن سليمان ـ وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز ـ فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشيّة من ثيابه، وحَمَله على فرس وأعطاه ثلاثين لَقْحة ومائة شاة، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البُرّ والتمر، فأخبره به؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسَنَةٍ، وقال له: هذا لك عليّ ما دمتُ ودمتَ في الدنيا، واقتطعه لنفسه[10] وأَنِس به، وقال له: لستُ بمُحوجك إلى غيري أبداً. فلما عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدّى للوالي مكانَه وامتدحه. ولم يلبث أن ولي / عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه [١٧٩/٥]

(١) في حـ: «وإلا السيف».

(٢) كذا في حـ. وأنبض الرامي القوس وعن القوس: جذب وترها لتصوت. وفي سائر الأصول: «انتضوا»، وهو تصحيف.

(٣) المعجس (كمجلس): مقبض القوس.

(٤) أبرق الرجل: لمع بسيفه.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ويكافحوهم بالسيوف».

(٦) العكر (محركة): جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل، قيل: هي ما فوق خمسمائة من الإبل، وقيل: ما بين الخمسين إلى المائة. والورق: المال من الإبل والغنم.

(٧) كذا في حـ. والمعاوز: خلقان الثياب المبتذلة، واحدها معوز. وفي سائر الأصول: «العواوير» وهو تحريف.

(٨) الرنق: الكدر.

(٩) هو هارون بن محمد بن عبد الملك الذي ورد في سند هذا الخبر.

(١٠) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «واقتطعه إلى نفسه».

الخبرُ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه، حتى تحمّل[(١)] عليه بعبدالله بن الحسن [بن الحسن][(٢)]، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه.

[١٠٥/٦] / أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا الرِّيَاشيّ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعْلب عن الرياشيّ ـ وخبره أتم ـ قال الرياشيّ حدّثني أبو سَلَمة الغِفَاريّ قال قال ابن[(٣)] رُبَيْح راوية ابن هرمة قال حدّثني ابن هرمة قال:

أوّل من رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ عليّ ألاّ أمدح أحداً غيرَه، وكان والياً على المدينة، وكان لا يدع بِرّي وصلتي والقيامَ بمؤونتي. فلم ينشَب أن عُزل ووُلّي غيرُه مكانَه، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب. فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يهب لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت. ثم قَدِم عبد الواحد المدينةَ، فأُخبِر أنّي مدحت الذي عُزل به، فأمر بي فَحُجبت عنه، وَرُمْت الدخولَ عليه فمُنِعتُ، فلم أدَع بالمدينة وجها ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يُعيدني إلى منزلتي عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتني الحيل أتيت عبدَالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه وعليهم ـ فقلت: يابن رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألاّ أمدحَ غيرَه، فأعطيتُه بذلك عهداً، ثم دعاني الشَّرَه والكَدّ إلى أن مدحت الوالي بعده. وقصصت عليه قصتي وسألته أن يشفع لي، فركب معي. فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبدَالله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه، ثم قال: أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله؟ قال نعم؛ قال: كل حاجة لك مقضيّة إلا ابنَ هرمة؛ فقال له: إن

[١٠٦/٦] رأيتَ ألاّ تستثني في حاجتي فافعل؛ قال: قد فعلتُ؛ قال: فحاجتي ابن هرمة؛ / قال: قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلته؛ قال: فتأذن له أن يُنشدك؛ قال: تُعفيني من هذه؛ قال: أسألك أن تفعل؛ قال ائتوا به؛ فدخلت عليه وأنشدته قولي فيه:

وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

قال فغضب عبدالله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه[(٤)] ثم وثب مُغضَباً، وتجوّزت في الإنشاد ثم لَحِقتُه فقلت له: جزاك الله خيراً يابن رسول الله؛ فقال: ولكنْ لا جزاك الله خيراً يا ماصّ بَظر أمه، أتقول لابن مروان:

* وكان أبوك قادمةَ الجناحِ *

بحضرتي وأنا ابن رسول الله ـ ﷺ ـ وابن عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ! فقلت: جعلني الله فداك، إني قلت قولاً أخدَعُه به طلباً لدنياه، ووالله ما قِسْت بكم أحداً قطّ. أفلم تسمعني قد قلتُ فيها:

* وبعضُ القول يذهب بالرياحِ *

فضحك عبدالله وقال: قاتلك الله، ما أظرفكَ!

---

(١) تحمل بفلان على فلان: تشفع به إليه.

(٢) زيادة عن حـ.

(٣) في أكثر الأصول هنا: «قال ربيح». وفي حـ: «قال ربيحة» وكلاهما تحريف (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة).

(٤) الرز: الصوت. وفي جميع الأصول: «زره» وهو تصحيف.

حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد:

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً، أولُها:

صَرَمتَ حبائلاً من حبّ سَلْمَى ... لهندٍ ما عَمَدتَ لمُستراحِ[1]

فإنك إن تُقِم لا تلقَ هنداً ... وإن ترحل فقلبُك غيرُ صاحي

/ يظَلّ نهارَه يَهْذِي بهندٍ ... ويأرَق ليلَه حتى الصباح

/ أعبدَ الواحد المحمودَ إني ... أغَصُّ حِذارَ سخطك بالقَراحِ

فشُلَّتْ رَاحَتايَ وجال مُهْري ... فألقاني بمُشتجَر الرماح

وأقعدني الزمانُ فبِتّ صِفْراً ... من المال المُعزَّب والمُراح

إذا فَخَّمتُ غيرَك في ثنائي ... ونصحي في المَغيبة وامتداحي

كأنّ قصائدي لك فاصطنعني ... كرائمُ قد عُضِلن عن النكاح

فإن أكُ قد هفوتُ إلى أمير ... فعَن غيرِ التطوّع والسماح

ولكنْ سَقْطةٌ عِيبتْ[2] علينا ... وبعضُ القول يذهب في الرياح

لعمرك إنني وبَني عَديٍّ[3] ... ومَن يهوَى رشادي أو صلاحي

إذا لم ترضَ عني أو تَصِلْني ... لفي حَيْنٍ أعالجه مُتاح

وإنك إن حططتُ إليك رحلي ... بغربيّ الشَّرَاة[4] لذو ارتياح

هششتَ لحاجةٍ ووعدتَ أخرى ... ولم تبخل بناجزة السَّراح

وجدنا غالباً خُلقت جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناح

إذا جعَل البخيلُ البخلَ تُرساً ... وكان سلاحَه دون السلاح

فإنّ سلاحك المعروفُ حتى ... تفوزَ بعِرضٍ ذي شِيَمٍ صِحاح

سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال حدّثني عبدالله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال:

قلت لابن هرمة: أتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به غيرَه فتقول فيه هذا البيت:

/ وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «ما عهدت بمستراح». وفي ب، س: «ما عهدت لمستراح».

(٢) كذا في حـ. وفي ب، س: «عيت». وقد ورد هذا الشطر في سائر الأصول غير مستقيم المعنى.

(٣) بنو عدي: هم قوم ابن هرمة. وعدي هذا: هو عدي بن قيس بن الحارث بن فهر.

(٤) الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ.

ثم تقول فيها:

أعبدَ الواحدِ الميمونَ[١] إني أغَصّ حِذارَ سخطك بالقَراحِ

فبأي شيء استوجب ذلك منك؟ فقال: إني أخبرك بالقصة لتعذرني: أصابتني أزمة[٢] بالمدينة، فاستنهضتني بنتُ عمّي للخروج؛ فقلت لها: ويحك! إنه ليس عندي ما يُقِلّ جناحي؛ فقالت: أنا أُنهضك بما أمكنني، وكانت عندي نابٌ لي فنهضتُ عليها تُهجِّد النوّام وتؤذي السمّار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة! حتى دَفَعتُ إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق[٣] عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فقمتُ فدنوت منه وسلّمت عليه؛ فقال لي: أبو إسحاق! أهلاً ومرحباً؛ فقلت لَبّيك، بأبي أنت وأمي! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه؛ فقال: أمَا آن لك أن تزورنا؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق، فما وراءك؟ قلت: لا تسلني ـ بأبي أنت وأمي ـ فإن الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرَك؛ فقال: لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحب إن شاء / الله. فوالله إني لأخاطبه فإذا بثلاثة فِتْية قد خرجوا كأنهم الأشْطان[٤]، فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبرَ منهم فهَمَس إليه بشيء دوني ودون أخويه؛ فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى، فلم يلبَث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[٥] يحمل عبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد، / وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فضرب به بين يديّ. فقال لي عبد الواحد: ادْنُ يا أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سَلَلنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا؛ ودفع إليّ ألفَ دينار، وقال لي: قُمْ فارحل فأغِثْ مَنْ وراءك؛ فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتي ضِقتُ؛ فقال لي: تعال، ما أرى هذه مُبلغتَك، يا غلامُ، قَدِّم له جملي فلاناً. فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدَّ سروراً مني بكل ما نِلته؛ فهل تلومني أن أغَصّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح! ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتاً واحداً.

١٨١ هـ

[١٠٩/٦]

مدح المنصور فعاتبه لمدحه بني أمية ثم أكرمه:

أخبرني محمد بن خلف وَكِيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال حدّثني عثمان[٦] بن حَفْص الثَّقَفِيّ قال حدّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ـ صلّى الله عليه ـ قال:

دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان، فلما اجتمع الناس قام ابن هَرْمة فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد؛ قال هاتِ؛ فأنشده قولَه:

* سَرَى[٧] ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ *

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «المحمود» وقد اتفقت عليها جميع الأصول قبل هذا الموضع بقليل.
(٢) في حـ: «أصابتني أزمة وقحمة بالمدينة». والقحمة السنة الشديدة والقحط.
(٣) في حـ: «ينبلق».
(٤) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل، وقيل الحبل الطويل.
(٥) ضابط: قوي شديد.
(٦) كذا في حـ. وقد مر في أكثر من موضع في الأجزاء السابقة: وفي سائر الأصول هنا: «عمر بن حفص الثقفي».
(٧) سرى عنه الثوب: كشفه.

حتى انتهى إلى قوله:

لـه لَحَظَاتٌ عـن حِفَـافَـيْ[1] سـريـره ... إذا كَـرّهـا فيهـا عِقـابٌ ونـائـلُ

فـأمُّ الـذي آمنـتَ آمنـةُ الـرَّدَى ... وأمُّ الـذي خـوّفـتَ بـالثُّكـل ثـاكـل

/ فقال له المنصور: أمَا لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه: [٦/١١٠]

وجـدنـا غـالبـاً كـانـت جَنـاحـاً ... وكـان أبـوك قـادمـةَ الجَنـاحِ

قال: فقُطع بابنِ هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار؛ فقال له المنصور: أنت رجل شاعر طالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار. فقام إليه الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابن هرمة رجل مِنفاق مِتلاف لا يُليق[2] شيئاً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجرَى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتبَ بذلك إلى صاحبِ الجَاري[3] أن يُجريَها عليهم فعل؛ فقال: افعلوا ذلك به. قال: وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مُغضَباً عليه لقوله يمدح عبدالله بن حسن:

مـا غَيّـرت وجهَـه أمٌّ مُهجَّنـة ... إذا القَتـامُ تَغشّـى أوْجُـهَ الهُجُـنِ

حدّثني يحيى بن علي بن يحيى، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجَحْظة قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخران:

دخل ابن هرمة على المنصور وقال: يا أمير المؤمنين، إني قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله؛/ قال: وما عسى أن تقول فيّ بعد قول كعب الأشقريّ[4] في المهلّب: [١٨٢/٥]

/ بـراك اللّـهُ حيـن بـراك بحـراً ... وفَجّـر منـك أنهـاراً غِـزاراً [٦/١١١]

فقال له: قد قلتُ أحسنَ من هذا؛ قال: هات، فأنشده قولَه:

لـه لَحَظـات عـن[5] حِفَـافَـيْ سَـريـره ... إذا كَـرّهـا فيهـا عِقـابٌ ونـائـلُ

قال: فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقال له المهديّ: يا أمير المؤمنين، قد تكلّف في سفره إليك نحوَها؛ فقال له المنصور: يا بُنيّ، إني قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك، وهبتُ له نفسَه، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان:

إذا قيـل مَـنْ خيـرُ مَـنْ يُـرتَجـى ... لمُعتـرٍّ[6] فِهْـرٍ ومحتـاجِهـا

ومـن يُعجِـل الخيـلَ يـومَ الـوغـى ... بـإلجـامهـا قبـلَ إسـراجهـا

أشـارت نسـاءُ بنـي غـالـب ... إليـك بـه قَبْـلَ أزواجهـا

---

(١) حفاف الشيء: جانبه.

(٢) لا يليق شيئاً: أي ما يمسكه ولا يلصق به.

(٣) كذا في ب، س. والظاهر أنه يريد بالجاري الدائم المتصل من الوظائف. وفي سائر الأصول: «الجار».

(٤) هو كعب بن معدان، من الأزد وأمه من عبد القيس، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب. وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها المهلب ويذكر قتاله الأزارقة. وله ترجمة تقع في «الأغاني» (ج ١٣ ص ٥٦ ـ ٦٤ طبع بولاق).

(٥) كذا في حـ هنا وفيما مضى في جميع الأصول. وفي سائر الأصول هنا: «في».

(٦) المعتر: الفقير والمتعرض للمعروف من غير أن يسأل.

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، وأولُها:

أجـارتَنـا رَوِّحـي نَغْمـةً على هـائـم النفس مُهتاجِها
ولا خيـرَ فـي وُدِّ مُنْتكـرِهِ ولا حـاجـةٍ دون إنضـاجهـا

ـ يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان ـ:

كـأن قُتـودي علـى خـاضـبٍ زَفُـوفِ العَشِيّـات هَـدّاجِهـا[1]
إلـى مَلِـكٍ لا إلـى سُـوقـة كَـنَـه الملـوك ذُرَا تـاجهـا
تَحُـلّ[2] الـوفـود بـأبـوابـه فتَلْقـى الغِنـى قَبْـلَ إرتـاجهـا
بقَـرّاع أبـواب دور الملـو كِ عنـدَ التحيـة وَلّاجهـا
/ إلـى دار ذي حسـبٍ مـاجـدٍ حَمُـول المَغـارم فَـرّاجهـا
رَكُـودِ[3] الجِفـان غـداةَ الصَّبـا ويـومَ الشَّمـال وإرهـاجهـا[4]
وقفـتُ بمَـذْحِيـه عنـد الجمـا رِ[5] أُنشـده بيـن حُجّـاجهـا

دس المنصور إليه من يسمع منه مدحه لعبد الواحد ففطن لذلك وأنشده من شعره في المنصور وأخذ جائزته:

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد قال حدّثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبدالله الطلحيّ قال حدّثني محمد بن سليمان[6] بن المنصور قال:

وجّه المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألفَ دينار وخِلعة، ووصفه له وقال: امضِ إليه؛ فإنك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد، فانتسبْ له إلى بني أمية أو مواليهم، وسَلْه أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التي يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان:

وجـدنـا غـالبـاً كـانـت جنـاحـاً وكـان أبـوك قـادمـةَ الجنـاحِ

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد وٱضرب عنقَه وجئني برأسه؛ وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة، وما أُراه يُنشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية. قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد؛ فقال: ما قلت هذه القصيدةَ قطُّ ولا أعرفها وإنما نحلها [١٨٣/٥] إياي / مَنْ يُعاديني، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك أحسنَ منها؛ قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده:

* سَرى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ *

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له: هاتِ ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ؛ فقال: أيَّ شيء تقول يا هذا وأيّ

[١١٢/٦]

---

(١) القتود: جمع قتد وهو خشب الرحل. والخاضب: ذكر النعام. وزفوف: حسن المشي سريعه. والهدّاج: الذي في مشيه أو عدوه أو سعيه ارتعاش.
(٢) في س: «تحلى» وهو تحريف.
(٣) الركود من الجفاف: الثقيل المملوء.
(٤) الإرهاج: الإمطار.
(٥) الجمار: اسم موضع بمنى وهو موضع الجمرات الثلاث.
(٦) في حـ: «محمد بن سليمان المنصور».

شيء دفع إليّ؟ فقال: دَعْ ذا عنك، فوالله / ما بعثك إلا أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إليّ، وأمرك أن تسألني عن [٦/١١٣] هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربتَ عنقي وحملتَ رأسي إليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعتَ إلى ما حمّلك إياه؛ فضحك الرسول ثم قال: صدقتَ لعمري؛ ودفع إليه الألف الدينار والخِلعة. فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما.

استقل المهدي على المنصور جائزته فأجابه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا عمّي عن جدّي قال:

لما أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدتَه اللامية التي مدحه بها أمر له بألف[1] درهم؛ فكلّمه فيه المهديّ واستقلّها؛ فقال يا بُنَي، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده:

وجـدنـا غـالبـاً كـانـت جنـاحـاً وكـان أبـوك قـادمـةَ الجنـاحِ

لاستكثرتَ له ما استقللتَه، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول رِبح كثير. والله إني يا بُنَيّ ما هممت له منذُ يومئذ بخير فذكرتُ قولَه إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهُمَّ بقتله ثم أعفوَ عنه. فأمسك المهديّ.

بعض شعره الذي يغني فيه:

ومما يُغنّي فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره:

صوت

ولمـا أنْ دنـا منّـا ارتحـالٌ وقُـرِّب نـاجيـاتُ السيـر كُـومُ[2]

تَحـاسَـر واضحـاتُ اللـون زُهْـر علـى ديبـاج أوجههـا النعيـم

/ أتَيْـنَ مـودِّعـاتٍ والمطـايـا لـدَى أكـوارهـا خـوصٌ هُجـوم[3] [٦/١١٤]

فكـم مـن حُـرة بيـن المُنَقَّـى[4] إلـى أُحُـدٍ إلـى مـا حـاز رِيـم[5]

ويروى:

* فكم بين الأقارع[6] فالمُنَقَّى *

وهو أجود.

إلـى الجَمّـاء[7] مـن خـدٌ أسيـل نقّـي اللـون ليـس بـه كُلُـوم

(١) في أ، م: «بألفي».

(٢) الناجيات: النوق السريعة تنجو بمن ركبها. والكوم: النوق الضخمة السنام.

(٣) خوص: جمع أخوص وخوصاء، والخوص: ضيق العين وصغرها وغؤورها. وهجمت العين هجوماً: غارت ودخلت في موضعها.

(٤) المنقى: طريق بين أحد والمدينة.

(٥) الريم: (بالكسر والهمز وسهل): واد لمزينة قرب المدينة.

(٦) الذي في المعاجم: الأقرع (بالإفراد) وهو جبل بين مكة والمدينة بالقرب منه جبل يقال له الأشعر. وقد تقدّم غير مرة أنه يسوغ في الشعر أن يجيء اسم المكان مفرداً ومثنى ومجموعاً حسب الضرورة الشعرية والكل واحد.

(٧) الجماء: جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف (بضم الجيم وسكون الراء)، وقيل: هي إحدى هضبتين عن =

كــأنّــي مــن تــذكُّــر مــا ألاقــي ... إذا مــا أظلــم الليــلُ البهيــم
سَلِيــمٌ مَــلّ منــه أقــربــوه ... وأسلمــه المُــداوِي والحميــم

ذكر الزُّبير بن بكّار أن هذا الشعر كله لأبي المِنهال نُفَيلة[1] الأشجعيّ. قال[2]: وسمعتُ بعض أصحابنا يقول: إنه لمَعْمَر بن العَنبر[3] الهُذَليّ. والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها [٦/١١٥] عبدَ الواحد بن سليمان / مخفوضة الميم، ولمّا غُنّي فيها وفي أبيات نُفَيْلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيّر إلى ما أوجب رفعها. فأما ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها:

أجــارتَنــا بــذي نَفَــر[4] أقيمــي ... فمــا أبكــى علــى الــدهــر الــذميــمِ
/ أقيمــي وجــهَ عــامــك ثــم سِيــري ... بــلا واهــي الجِــوار ولا مُليــم [١٨٤/٥]
فكــم بيــن الأقــارع فــالمُنقَّــى ... إلــى أُحُــدِ إلــى أكنــاف رِيــم
إلــى الجمّــاء مِــنْ خــدٍّ أسيــلٍ ... نقــيّ اللــون ليــس بــذي كُلــوم
ومــن عيــنٍ مكحّلــة الأمــاقــي ... بــلا كُحْــل ومــن كَشْــح هَضيــم
أرِقــتُ وغــاب عنّــي مــن يلــوم ... ولكــنْ لــم أنَــمْ أنــا للهمــوم
أرِقــتُ وشفّنــي وَجَــعٌ بقلبــي ... لــزينــبَ أو أُميمَــة أو رَعُــوم
أقــاســي ليلــةً كــالحَــوْل حتــى ... تبــدّى الصحُ مُنقطِــعَ البَــرِيــم[5]
كــأنّ الصبــح أبلــقُ فــي حُجُــول ... يَشُــبّ ويتّقــي ضــربَ الشَّكيــم
رأيــتُ الشَّيــب قــد نــزلــتْ علينــا ... روائعُــه بحجــة مستقيــم
إذا نــاكــرتُــه نــاكــرتُ منــه ... خصــومــةَ لا ألــدَّ ولا ظَلُــوم
وودّعنــي الشبــاب فصِــرتُ منــه ... كــراضٍ بــالصغيــر مــن العظيــم
فــدَعْ مــا لا يَــرُدّ عليــك شيئــاً ... مــن الجــارات أو دِمَــن الــرســوم
وقُــلْ قــولاً تُطَبِّــق[6] مِفصلَيْــه ... بمِــدحــه صــاحــب الــرأي الصَّــروم[7]

= يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة. وقيل: الجماوات ثلاث بالمدينة: جماء فضارع التي تسيل على قصر أم عاصم وبئر عروة، وجماء أم خالد التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفري وما والاه، وجماء العاقر وبينها وبين جماء أم خالد فسحة وهي تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها.

(١) في أ، ء هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول ما عدا ب، س: «بقيلة» (بالباء والقاف).

(٢) كلمة «قال» ساقطة في حـ.

(٣) في حـ: «العنبري» ولم نوفق لترجيح إحدى الروايتين.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وذو نفر (بالتحريك، ويروى بالسكون): موضع على ثلاثة أيام من السليلة بينها وبين الربذة، وقيل: خلف الربذة بمرحلة في طريق مكة. وفي حـ: «بذي بقر». وذو بقر: واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة. وذو نفر وذو بقر متقاربان.

(٥) البريم: ضوء الشمس مع بقية سواد الليل.

(٦) تطبق مفصليه: تصيب فيه الحجة، وأصله: إصابة المفصل وهو طبق العظمين أي ملتقاهما فيفصل بينهما.

(٧) الصروم: القاطع.

[٦/١١٦]

/ لعبد الواحد الفَلْجُ[١] المعلَّى ... علا خُلقَ النَّفُورة[٢] والخُصوم

دعته المَكْرُمات فنالوته ... خِطامَ المجد في سِنّ القَطِيم

وهي طويلة. فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعةُ أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة؛ وإنما غُيِّرت حتى صارت مرفوعةً، فاتّفقت الأبياتُ وغُنّي فيها. وأما أبيات نُفَيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له. ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه:

يُضيء دجى الظلام إذا تبدّى ... كضوء الفجر منظرُه وَسيمُ

وقائلةٍ ومُثْنيةٍ علينا ... تقول وما لها فينا حميم

وأُخرى لُبُّها معنا ولكن ... تَصَبَّرُ وهي واجمةٌ كَظوم

تَعُدّ لنا الليالي تحتصيها ... متى هو حائنٌ منه[٣] قُدوم

متى تَرَ غفلةَ الواشين عنها[٤] ... تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجوم

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس. وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابِصيّ. وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج.



الوابصي وأخباره:

وهذا الوابصيّ هو الصَّلْت بن العاصي بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم.

حدّه عمر بن عبد العزيز في الخمر فذهب إلى بلاد الروم وتنصر ومات نصرانياً:

كان تنصَّر ولحق ببلاد الروم؛ لأن عمر بن عبد العزيز ـ فيما ذُكر ـ حدّه في الخمر، وهو أمير الحجاز، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصَّر هناك، ومات هنالك نصرانياً.

[٦/١١٧]

/ **رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفك الأسرى:**

فأخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبدالله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء[٥] ـ أظنه أبا عمرو أو أخاه ـ عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء / عن إسماعيل بن أبي حَكيم، [١٨٥/٥] وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا سعيد بن عامر[٦] عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيديّ في خبره: إن إسماعيل حدّث: أن عمر بن

---

(١) الفلج: الظفر والغلب.

(٢) نفورة الرجل: نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «منا».

(٤) في حـ: «يوماً».

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ابن أبي العلاء»، وهو تحريف.

(٦) هو سعيد بن عامر الضبعي (بضم المعجمة وفتح الموحدة) أبو محمد البصري وهو ابن أخت جويرية بن أسماء وعنه يروى. وقد ورد في حـ: «سعيد بن عامر بن جويرية. . . إلخ» وورد في سائر الأصول: «سعيد بن عباس»، وكلاهما تحريف.

عبد العزيز بَعث في الفِداء. وقال عمر بن شَبّة: إن إسماعيل حدّث قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدّثه قال: بينا أنا أجُول في القسطنطينية إذ سمعت رجلاً يغنّي بلسان فَصيح وصوت شَجٍ:

فكم من حُرَّة بين المُنَقّى ... إلى أُحدٍ إلى جَنَباتِ رِيمِ

فسمعتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه. فلما سمعت الغناء وحُسنَه، لم أدر أهو كذلك حَسَنٌ، أم لغربته وغربة العربيّة في ذلك الموضع. فدنوت من الصوت، فلما قرُبت منه إذا هو في غرفة، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فقمت على باب الغرفة، فإذا رجل مُستلقٍ على قَفَاه يغنّي هذين البيتين[1] لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فرغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء. ففعل ذلك مراراً؛ فقلت: السلام عليكم؛ فوثب وردّ السلام؛ فقلت: أبشِر فقد فكّ الله أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بنِ عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء / الأسارى. ثم سألته: من أنت؟ فقال: أنا الوابصيّ، أُخذت فعُذّبت حتى دخلت في دينهم؛ [١١٨/٦] فقلت له: أنت والله أحبُّ مَنْ أفتديه إلى أمير المؤمنين وإليّ إن لم تكن دخلتَ في الكفر؛ فقال: قد والله دخلت فيه؛ فقلت: أنْشُدك اللّهَ إلاّ أسلمتَ؛ فقال: أأُسلم وهذان ابناي وقد تزوجت امرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلتُ المدينة قيل لي يا نصرانيّ وقيل مثل ذلك لولديّ وأمهما! لا والله لا أفعل. فقلت له: قد كنتَ قارئاً للقرآن فما بقي معك منه؟ قال: لا شيء إلا هذه الآية ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. قال: فعاودته وقلت له: إنك لا تُعَيَّر بهذا؛ فقال: وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير؟ فقلت: سبحان الله! أمَا تقرأ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ فجعل يُعيد عليّ قولَه: فكيف بما فعلت! ولم يجبني إلى الرجوع. قال: فرفع عمر يده وقال: اللهم لا تمتني حتى تمكنني منه. قال: فوالله ما زلت راجياً لإجابة دعوة عمرَ فيه. قال جويرية في حديثه: وقد رأيت أخا الوابصيّ بالمدينة.

لقيه رجل بصري فأخبره أن سبب تنصره عشقه لامرأة منهم:

وقال يعقوب بن السِّكِّيت في هذا الخبر. أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أُنسيت اسمَه قال:

نزلنا في ظلّ حصن من الحصون التي للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن:

فكم بين الأقارع فالمُنَقّى ... إلى أُحُدٍ إلى ميقاتِ رِيمِ

إلى الزَّوْراء[2] من ثغر نَقِيٍّ ... عوارضه ومن دَلٍّ رخيمِ

ومن عين مُكَحَّلة الأماقي ... بلا كُحْلٍ ومن كَشْحٍ هضيمِ

/ وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكي، فناديته: أيها المنشد، فأشرف فتًى كأحسن الناس. فقلت: مَن الرجل وما [١١٩/٦] قصتك؟ فقال: أنا رجل من الغُزاة من العرب نزلتُ مكانَك هذا، فأشرفتْ / عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها؛ فقالت: إن دخلتَ في ديني لم أخالفك؛ فغلب عليّ الشيطان فدخلت في دينها، فأنا كما ترى. فقلت: [١٨٦ / ٥]

(١) يلاحظ أن الذي تقدم بيت واحد.
(٢) الزوراء: اسم يطلق على أكثر من موضع. والظاهر أنه يريد بها هنا موضعاً عند سوق المدينة يطلق عليه هذا الاسم لقرب هذا الموضع من المواضع المذكورة في البيت السابق.

أكنتَ تقرأ القرآن؟ فقال: إي والله لقد حفظته. قلت: فما تحفظ منه اليوم؟ قال: لا شيء إلا قوله عزّ وجلّ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. قلت: فهل لك أن نُعطيَهم[1] فداءك وتخرج؟ قال: ففكّر ساعة ثم قال: انطلقْ صَحِبك الله.

بعض ما ورد في شعر ابن هرمة من الأخبار:

ومما في الأخبار من شعر ابن هرمة

صوت

من المائة المختارة

فـي حـاضـرٍ لَـجِبٍ بـالليـل سـامـرُه ... فيـه الصـواهـلُ والـرايـات والعَكَـرُ[2]

وخُـرَّدٍ كـالمَهَـا حُـور مـدامعُهـا ... كـأنهـا بيـن كُثْبـان النَّقـا البَقَـر

الشعر لابن هرمة. والغناء في اللحن المختار لحُنين، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال إسحاق: وفيه لأبي هَمْهَمَة لحن من الثقيل الأوّل أيضاً. وأبو هَمْهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة، ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبراً فأذكره.



[٦/ ١٢٠]

صوت

من المائة المختارة

بـزينـت ألْمِـمْ قبـل أن يـرحـل الـركـبُ ... وقُـلْ إن تَمَلّينـا فمـا ملَّـك القلـبُ

وقـل فـي تَجَنّيهـا لـكَ الـذنـبَ: إنمـا ... عتـابُـكَ مَـنْ عـاتبـتَ فيمـا لـه عَتْـب

الشعر لنُصَيب. والغناء في اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشاميّ ودَنَانِيرَ. وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشاميّ.

بعض أخبار لنصيب:

وقد تقدّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية، وإنما تأخر منها ما له موضع يصلُح إفرادُه فيه، مثل أخبار هذا الصوت.

ذكر عن نفسه أنه قال شعراً فعلم أنه شاعر:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن ابن كُناسة قال:

---

(١) في حـ: «أن نعظم لهم فداءك».

(٢) الحاضر: الحي العظيم. والسامر: المتسامرون. والعكر: جمع عكرة (محركة) وهي القطعة من الإبل، قيل: ما فوق خمسمائة، وقيل: ما بين الخمسين إلى المائة.

قال نصيب: ما توهمت أني أُحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت:

* بزينبَ ألممْ قبلَ أن يرحل الركبُ *

سمع جميل وجرير من شعره فتمنّيا لو أنهما سبقاه إليه:

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ عن محمد بن مَعْن الغِفاريّ قال أخبرني ابن الربيح[1] قال:

مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة[2]، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سَبقتُ الأسود إلى قوله:

[٦/١٢١] / * بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ *

أحبُّ إليّ مِنْ كذا وكذا ـ لشيءٍ قاله عظيم ـ.

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو عن حَبيب[3] بن شَوذب الأسَديّ قال:

[١٨٧/٥] مرّ بنا جَرير بن الخَطَفَي ونحن بضَرِيّة، فاجتمعنا / إليه فسمعتُه يقول: لأن أكونَ سَبقتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إليّ من كذا وكذا؛ يعني قولَه:

* بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ *

أنشده الكميت من شعره وبكى:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كُناسة قال:

اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب في الحمّام، فقال له الكميت: أنشدني قولك:

* بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ *

فقال: والله ما أحفظها؛ فقال الكميت: لكنّي أحفظها، أفأُنشدك إياها؟ قال نعم، فأقبل الكميت يُنشده وهو يبكي.

كان مع زوجته فمر به ابن سريج يتغنى بشعر له فيها فلامته:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا[4] حدّثنا عمر بن شَبّة قال ذكر ابن أبي الحُوَيرث عن مولاة لهم، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت:

[٦/١٢٢] إنا لبِمِنًى إذ نظرتُ / إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة، فلم أدْرِ لمن هي، حتى أُنيخ بعير، فنزل عنه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، ومَرّ راكب يتغنّى غناء الركبان:

---

(١) كذا في أ،و. وفي ب، س: «الذبيح». وفي حـ، م: «الزبيح»، وكلاهما تحريف. (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة).

(٢) ضرية: قرية عامرة قديمة في طريق مكة من البصرة من بلاد نجد. وقيل: هي صقع واسع بنجد ينسب إليه حمى ضرية المعروف، يليه أمراء المدينة وينزل به حاج البصرة بين الجديلة وطخفة.

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «حبيب بن شوذب». والمعروف بابن شوذب هو عبدالله أبو عبد الرحمن البلخي، وقد تقدّم في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب.

(٤) كذا في أ،و، م. وفي سائر الأصول: «قال». وهو تحريف.

* بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ *

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له: شهّرتني وأذعت في الناس ذكري[١]؛ فإذا هو نُصيب وزوجته. قال إسحاق في خبره: وكان الذي اجتاز بهم وتغنّى ابن سريج.

كان ابن سريج يغني لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كُناسة عن أبيه قال: [قال][٢] نُصيب: والله إني لأسير على راحلتي إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدنَ[٣] قولي:

* بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ *

وإذا معهنّ ابن سُرَيج؛ فقلن له: يا أبا يحيى، غَنّنا في هذا الشعر، فغناهنّ فأحسن؛ فقلن: وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أن نُصيبا معنا فيتمّ سرورنا؛ فحرّكتُ بعيري لأتعرّف بهنّ وأُنشدهنّ؛ فالتفتت إحداهنّ إليّ فقالت حين رأتني: والله لقد زعموا أن نُصيبا يشبه هذا الأسود لا جَرَم؛ فقلت: والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم، ومضيت وتركتهنّ. قال: وكان الذي تغنى به ابنُ سُريج من شعري:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ ... وقُل إن تَمَلّينا فما ملّك القلبُ

وقُلْ إن تُنَلْ بالحبّ منكِ مودّةٌ ... فما مثلُ ما لُقّيت من حُبكم حب

وقل في تَجَنّيها لكَ الذنبَ إنما ... عتابُكَ من عاتبتَ فيما له عَتْب

/ فمن شاء رام الوصلَ أو قال ظالماً ... لذي ودّه ذنبٌ وليس له ذنبُ [٦/١٢٣]

سأله جد جمال بنت عون أن ينشده قصيدته في زينب فأنشده:

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إبراهيم بن عبدالله السّعْدي[٤] عن جدّته جَمَال بنت عَوْن عن جدّها قال:

قلت للنُّصَيب: أنشدني يا أبا مِحْجَن من شعرك شيئاً؛ فقال: أيّه تريد؟ قلت: ما شئتَ؛ قال: لا أُنشدك أو تقترحَ ما تريد؛ فقلت: قولك:

* بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يرحلَ الركبُ *

قال: فتبسّم وقال: هذا شعرٌ قلته وأنا غلام؛ ثم أنشدني القصيدةَ. قال الزبير: وهي أجود ما قال.

لامه عمر على تشهيره بالنساء فأخبر أنه تاب واستجازه فأجازه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدَائني عن أبي بكر الهُذَلِيّ قال حدّثني أيوب بن شاس، ونسخت هذا الخبرَ من كتاب / أحمد بن الحارث الخَرّاز عن [١٨٨/٥]

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فكري»، وهو تحريف.
(٢) التكملة عن حـ.
(٣) في الأصول: «يتناشدون» وهو تحريف.
(٤) في ب، س: «السعيدي».

المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس ـ وروايته أتم من رواية عمر بن شَبّة ـ قال أيوب: حدّثني عبدالله بن سعيد:

أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة؛ فقال له: هِيه يا أسود:

بـزينـب ألـمـم قبـل أن يـرحـل الـركـب وقُـل إن تَمَلّينـا فمـا ملَّـكِ القلـبُ

أأنت الذي تَشْهَر النساء وتقول فيهنّ! فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد تركت ذلك وتُبْت من قول الشعر، وكان قد نسَك؛ فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولاً / جميلاً[1]؛ فقال له: أمّا إذْ أثنى عليك القوم فسَلْ حاجتَك؛ فقال: يا أمير المؤمنين، لي بُنَيّاتٌ سويداوات أرغَب بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البِيضان، فإن رأيتَ أن تفرض لهنّ فافعل؛ ففعل.

[٦/١٢٤]

رأى عثمان بن الضحاك امرأة فتمثل بشعره في زينب فكانت هي وأخبرته أنه آت لزيارتها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبدالله بن شَبيب عن محمد بن المؤمّل بن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحّاك الحِزامي قال:

خرجت على بعير لي أريد الحج، فنزلت في فِناء خيمة بالأبواء[2]، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها؛ فآستلهاني حسنُها، فتمثّلتُ قولَ نُصيب:

بـزينـبَ ألـمـم قبـل أن يـرحـل الـركـبُ وقـل إن تملّينـا فمـا ملّـكِ القلـبُ

فقالت الجارية: أتعرف قائلَ هذا الشعر؟ قلت: نعم، ذاكِ نصيب؛ قالت: أفتعرف زينبَ هذه؟ قلت: لا؛ قالت: فأنا والله زينبُه، وهو اليومُ الذي وعدني فيه الزيارةَ، ولعلك لا ترحَل حتى تراه. فوقفتُ ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها، ثم نزل فسلّم عليها وسلّمتُ عليه؛ فقلت: عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة، فقمت إلى راحلتي فشددتُ عليها؛ فقال: على رِسلك، أنا معك؛ فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه؛ فقال لي: كأنك قلت في نفسك كذا وكذا؛ قلت: قد كان ذاك؛ فقال لا، ورَبِّ الكعبة البَنِيّة المستورة ما جلستُ معها مجلساً قطُّ هو أقربُ من هذا.

[٦/١٢٥] / شبه حماد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرىء القيس:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة:

لو لم تكن هذه القصيدة:

* بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ *

لنُصيب، شِعْرَ مَنْ كانت تُشبه؟ فقلت: شعر آمرىء القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة. قال: سبحان الله! قلت:

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فأثنى عليه القوم خيراً وقالوه فيه فقال... إلخ».

(٢) الأبواء: قرية من أعمال الفرع (بضم الفاء وسكون الراء) من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. وقيل: هي جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل. وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ.

ما شأنُك؟ فقال: سألت أباك عن هذا فقال لي مثلَ ما قلتَ، فعجبتُ من اتّفاقكما.

منقذ الهلالي وطربه بشعر نصيب:

قال هارون وحدّثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفي عن رجل سمّاه قال:

أتاني مُنقذ الهلالي ليلةً وضرب عليّ البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: منقذ الهلاليّ؛ فخرجت فزِعاً، فقلت: فيم السُّرَى[1] - أي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً - في هذه الساعة؟ قال: خير، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين، فتغذّيت[2] بها معهم، ثم أُتيتُ بقنيّنة نبيذ قد التقى طرفاها، فشرِبتُ وذكَرْت قول نُصَيْب:

* بزينب ألمِمْ قبل أن يَرحلَ الرّكبُ *

فأنشدتُها فأطربَتْني، وفكّرت في إنسان يفهم حُسْن ذلك ويعرف فضله فلم أجد غيرَك فأتيتك. فقلت: ما جاء بك إلا هذا؟! قال: لا، وآنصرف.

قال حماد: معنى قوله: «التقى طرفاها» أي قد صَفَت وراقت فأسفلها وأعلاها / سواء في الصفاء. ١٨٩/٥

وممّا يُغنّى فيه من قصيدة نُصيب البائيّة المذكورة قولُه:

[١٢٦/٦]

صوت

خليليّ من كَعْبٍ أَلِمّا هُديتُما ... بزينبَ لا يَفْقِدْكُما أبداً كعبُ

مِنَ اليومِ زُوراها فإنّ رِكابَنا ... غداةَ غدٍ عنها وعن أهلها نُكْبُ

الغناء لمالك خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة.

صوت

من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه

النَّشْرُ مِسكٌ والوجوه دنا ... نيرٌ وأطرافُ الأكفّ عَنَمْ

والدار وَحْشٌ والرسوم كما ... رَقَّش في ظهر الأديم قَلَمْ

لستُ كأقوامٍ خلائقُهم ... نَثُّ أحاديثٍ وهتكُ حُرَمْ

- نَثُّ الحديث: إشاعته. والعَنَم: شجر أحمر، وقيل: بل هو دود أحمر كالأسَاريع[3] يكون في البقل في أيام الربيع. والأديم: الجلد. وجلد كل شيء أديمه. ورقَّشَ: زين - الشعر[4] لمرقِّش الأكبر، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها.

(١) كذا في حـ. وفي أ، ء، م: «فما السرى أي ما جاء بك... إلخ» وفي ب، س: فما السر الذي جاء بك... إلخ».
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فتغديت» (بالدال المهملة).
(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «كالتساريع». ولعلها مصحفة عن «اليساريع» وهي بمعنى الأساريع.
(٤) هذا الشعر من قصيدة للمرقش يرثى بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة، قتله مهلهل في ناحية التغلمين، وكان معه مرقش فأفلت، ثم إنه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلاً من تغلب يقال له عمرو بن عوف. وقد وردت هذه الأبيات في المفضليات (ص ٤٨٤ - ٤٩٢ طبع أوروبا) على غير هذا الترتيب باختلاف يسير.

[٦/١٢٧]

/ أخبار المرقش الأكبر ونسبه

نسبه وسبب تسميته بالمرقش وقرابته للمرقش الأصغر:

المرقِّش لقب غلب عليه بقوله:

الـــدار وَحْـــشٌ والـــرســـومُ كمـــا رقَّـــش فـــي ظهـــر الأديـــم قَلَـــمْ

عوف بن مالك المعروف بالبرك:

وهو أحد من قال شعراً فلُقِّب به. واسمُه ـ فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْباني ـ عمرو. وقال غيره: عَوْف[١] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصْن[٢] بن عُكَابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل. وهو أحد المتيَّمين. كان يهوى ابنةَ عمه أسماءَ بنت عوف بن مالك بن ضُبيعة، وكان المرقِّش الأصغر ابنَ أخي المرقش الأكبر. واسمه ـ فيما ذكر أبو عمرو ـ ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك. وقال غيره: هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك. وهو أيضاً أحد المتيَّمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذِر الملك ويتشبَّب بها. وكان للمرقِّشين جميعاً موقعٌ في بكر بن وائل وحروبِها مع بني تغلب، وبأسٌ وشجاعة ونجدة وتَقَدُّم في المَشَاهد ونكايةٌ في العدوّ وحسنُ أثر. كان عوف بن مالك بن ضُبَيعة عمُّ المرقِّش الأكبر من فرسان بكر بن وائل. وهو القائل يوم قِضَة: يا لَبَكر بن وائل، أفي كل يوم فرارا! ومَحْلوفي[٣] لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلاّ ضربتُه بسيفي. وبرك يقاتل؛ فسمِّيَ البُرَكَ يومئذ.

عمرو بن مالك وأسره لمهلهل:

وكان أخوه عَمْرو بنُ مالكٍ أيضاً من فُرْسان بكر، وهو الذي أسَر مُهلهِلاً، التقيا في خَيْلين من غير مُزَاحفة في بعض الغارات بين بَكْر وتَغْلِب، في موضع يقال له نَقَا / الرَّمْل، فانهزمتْ خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسَره فانطلق به إلى قومه، وهم في نواحي هَجَر[٤]، فأحسَنَ إسارَه. ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هجر، وكان صديقاً لمهلهل يشتري منه الخمر، فأهدى / إليه وهو أسيرٌ زِقَّ خمر؛ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بَكْراً وشرِبوا عند مهلهل في بيته ـ وقد أفرد له عمرٌو بيتاً يكون فيه ـ فلما أخَذ فيهمُ الشَّرابُ تغنّى مهلهل فيما كان يقوله

[٦/١٢٨]

١٩٠ / ٥

(١) قيل سمي عوفاً باسم عمه والد أسماء التي كان يهواها ويتشبب بها. (راجع «المفضليات»).

(٢) كذا في حـ وقد صححها الأستاذ الشنقيطي كذلك في نسخته المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش). وفي سائر الأصول: «الحصين» وهو تحريف. (راجع «المعارف» لابن قتيبة ص ٤٧، ٤٨).

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «أما ومحلوفي».

(٤) هجر: اسم يطلق على أكثر من موضع. والظاهر أنه يريد به هنا هجر التي قصبتها الصفا وبينها وبين اليمامة عشرة أيام وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوماً على الإبل لقربها من ديار بكر وتغلب.

من الشعر وينوح به على كليب؛ فسمع ذلك عمروُ بن مالك فقال: إنه لريَّانٌ، والله لا يشرب ماءً حتى يَرِد رَبيبُ - يعني جملاً كان لعمرو بن مالك، وكان يتناول الدَّهَاس[1] من أجواف هجر فيرعى فيها غِبًّا بعد عشر في حَمارَّة القَيْظ - فطلبت رُكْبانُ بني مالك ربيباً وهم حِراص على ألاّ يُقتَل مهلهل، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً. ونحر عمرو بن مالك يومئذ ناباً فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه. وكانت بنتُ خال مهلهل امرأتُه بنتُ المُحَلِّل[2] أحدِ بني تغلب قد أرادت أن تأتيَه وهو أسير؛ فقال يذكرها:

ظَبيــةٌ مــا ابنــةُ المحلِّــل شَنْبــا[3] ءُ لَعُــوب لــذيــذةٌ فــي العِنــاقِ[4]

فلما بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات. فكان هَبَنَّقَةُ القيسيّ أحدُ بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول - وكان مُحمَّقاً وهو الذي تَضْرِب به العربُ المثلَ / في الحمق -: لا يكون لي جمل أبداً إلا سميتُه رَبيباً (يعني [١٢٩/٦] أن ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهِلاً). ذكر ذلك أجمعَ ابنُ الكلبي وغيرُه من الرواة. والقصيدة الميميّة التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقّش يقولها في مَرْثِيَة ابن عم له. وفيها يقول:

بــل هــل شَجَتْــك الظُّعْــن[5] بــاكــرةً كــأنهــا النخيــلُ[6] مــن مَلْهَــم[7]

عشق المرقش أسماء بنت عوف وخطبها فزوّجها أبوها في بني مراد في غيبته:

قال أبو عمرو - ووافقه المفضّل الضبي -: وكان من خبر المرقّش الأكبر أنه عشِق ابنة عمه أسماءَ بنتَ عوف بن مالك، وهو البُرَك، عشِقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها؛ فقال: لا أزوّجك حتى تُعرَف[8] بالبأس - وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن - وكان يَعِده فيها المواعيد. ثم انطلق مرقّش إلى ملك من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه. وأصاب عوفاً زمانٌ شديد؛ فأتاه رجل من مُراد أحدُ بني غُطَيْف[9]، فأرغبه في المال فزوّجه أسماءَ على مائةٍ من الإبل، ثم تنحّى عن بني سعد بن مالك.

أخبره أهله بموت أسماء ولما علم بزواجها من المرادي رحل إليها ومات عندها:

ورجع مرقش، فقال إخوته: لا تخبروه إلاّ أنها ماتت؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولَفُّوها في مِلْحَفة ثم قبَروها. فلما قدِم مرقّش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتَوْا به موضعَ القبر؛ فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره. فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب، فقال

---

(١) الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب.

(٢) كذا في الطبري وفيما مر في أكثر الأصول من الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٥١). وفي ب، س هنا وفيما مر من الجزء الخامس وهامش الطبري: «المجلل» (بالجيم): وفي سائر الأصول هنا غير ب، س: «المجالد».

(٣) الشنباء: التي في أسنانها ماء ورقة وبرد وعذوبة.

(٤) رواية هذا البيت في الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٥١):

طفلــةٌ مــا ابنــةُ المحلــل بيضــا ءُ لعــوب لــذيــذة فــي العنــاق

(٥) الظعن: النساء بهوادجهن.

(٦) في «المفضليات»: «كأنهن النخل...».

(٧) ملهم: أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل.

(٨) في «المفضليات»: «حتى ترأس» أي تكون رئيساً.

(٩) كذا في حـ و «المفضليات». وغطيف: بطن من مراد، وهم بنو غطيف بن ناجية بن مراد. وفي سائر الأصول: «عطيف» (بالعين المهملة) وهو تصحيف.

أحدُهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقِّش أخبرناه أنه قبرُ أسماء. فكشَف مرقِّشٌ عن رأسه ودعا الغلام ـ وكان قد ضَنِيَ ضَناً شديداً ـ فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المراديّ أسماء؛ / فدعا مرقِّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة[1] كان عَسِيفاً[2] لمرقِّش، فأمرها بأن تدعوَ له زوجَها فدعته، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المراديَّ [عليها][3] فأحضره إياها، فركبها ومضى في طلبه، فمرض في الطريق حتى ما يُحمَل إلا معروضاً. وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نَجْران، وهي أرض مراد، ومع الغُفَليّ[4] امرأتُه وليدةُ مرقِّش؛ فسمع مرقِّش زوجَ الوليدة يقول لها: اتركيه / فقد هَلَك سقماً وهلكنا معه ضُرًّا وجُوعاً. فجعلت الوليدةُ تبكي من ذلك؛ فقال لها زوجها: أطيعيني، وإلا فإني تاركِك وذاهب. قال: وكان مرقِّش يكتب، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْمَلةَ ـ وكانا[5] أحبّ ولده إليه ـ إلى نَصرانيّ من أهل الحِيرة فعلّمهما الخطَّ. فلما سمع مرقِّش قولَ الغُفَليّ[4] للوليدة كتب مرقِّش على مُؤَخَّرة الرحل هذه الأبيات:

يا صاحبيّ تَلَبَّثا لا تعجَلاَ ... إنّ الرواحَ رهينُ ألاّ تفعَلا[6]

فلعلّ لُبْثكما يُفَرِّط سَيِّئاً[7] ... أو يَسبِقُ الإسراعُ سَيِّئاً مُقبِلا[8]

/ يا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ ... أَنَسَ[9] بنَ سعدٍ إن لَقِيتَ وحَرْمَلا

لله دَرُّكما ودَرُّ أبيكما ... إن أفلتَ العَبْدان[10] حتى يُقتَلا

مَنْ مُبلغُ الأقوام أنّ مرقِّشاً ... أضحى على الأصحاب عِبئاً مُثقِلا[11]

وكأنما تَرِدُ السباعُ بِشِلْوِه ... إذْ غاب جمعُ بني ضُبَيْعة مَنْهَلا

قال: فانطلق الغُفَليّ وامرأتُه حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا: مات المرقِّش. ونظر حرملةُ إلى الرَّحْل وجعل يُقلّبه فقرأ الأبيات، فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا، فقتلهما. وقد كانا وصفا له الموضعَ، فركب في

(١) في أكثر الأصول: «عقيلة». وفي حـ: «عقيل» (بالعين المهملة والقاف). وفي «تجريد الأغاني»: «عفيل» (بالفاء). والتصويب عن «المفضليات» و «كتاب المعارف» و «القاموس». وغفيلة: حي من ولد عمرو بن قاصد ولهم عدد بالجزيرة في بني تغلب.

(٢) كذا في حـ و «تجريد الأغاني» و «المفضليات». والعسيف: الأجير والعبد المستعان به. وفي سائر الأصول: «عشيقاً» وهو تصحيف.

(٣) زيادة عن حـ.

(٤) في الأصول هنا وفيما يأتي: «العقيلي» والتصويب عن «المفضليات».

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول و «المفضليات» و «تجريد الأغاني»: «وكان... إلخ».

(٦) في هذا البيت عدة روايات ذكرها ابن الأنباري شارح «المفضليات». (ص ٤٥٨ طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت).

(٧) كذا في «المفضليات» و «لسان العرب» مادة «فرط». وقد وردت هذه الكلمة في سائر الأصول محرّفة.

(٨) قال صاحب «المفضليات» في التعليق على هذا البيت: «قال أبو عكرمة: يفرط: يقدّم، مأخوذ من الفارط وهو المتقدّم قبل الماشية يصلح الدلاء والأرشية والحياض. يقول: لعل انتظاركما يقدّم عنكما مكروهاً. ولعل سيئا مقبلا يكون بعد عجلتكما، فانتظاركما أوفق. قال: وقال أبو عمرو: الإفراط: التقدّم والعجلة، يقول إن أبطأتما فعرض لكما شر فلعله أن يخطئكما وإن تقدّمتما فعرض خير بعدكما فلعله لا يصادفكما».

(٩) أنس بن سعد وحرملة: هما أخوا مرقش.

(١٠) في «المفضليات»: «إن أفلت الغفلي... إلخ».

(١١) زاد صاحب «المفضليات» بعد هذا البيت وقبل الأخير بيتاً وهو:

ذهب السباع بأنفه فتركنه ... أعثى عليه بالجبال وجيئلا

ويعني بالأعثى: الضبعان وهو ذكر الضباع. والجيئل: الأنثى.

طلب المرقِّش حتى أتى المكانَ، فسأل عن خبره فعَرف أنّ مرقِّشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو[١] بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها. فلما بَصُر به قال له: من أنت وما شأنُك؟ فقال له مرقِّش: أنا رجل من مُراد، وقال للراعي[٢]: من أنت؟ قال: راعي فلان، وإذا هو راعي زوج أسماءَ. فقال له مرقِّش: أتستطيع أن تكلِّم أسماء امرأةَ صاحبِك؟ قال: لا، ولا أدنو منها؛ ولكن تأتيني جاريتُها كلَّ ليلة فأحلِب لها عنزاً فتأتيها بلبنها. فقال له: خذ خاتمي هذا، فإذا حلبتَ فألقه في اللبن، فإنها ستعرفه، وإنك مُصيبٌ به خيراً لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعي الخاتم. ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه؛ فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها. فلما سكنت الرّغوة أخذته فشربته، وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثَنِيَّتَها، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته؛ فقالت للجارية: / ما هذا الخاتم؟ قالت: ما لي به علم؛ فأرسلتْها إلى مولاها وهو في [٦/١٣٢] شَرَف[٣] بنَجْران؛ فأقبل فَزِعاً؛ فقال لها: لِمَ دعوتني؟ قالت له: ادْعُ عبدَك راعيَ غنمك فدعاه؛ فقالت: سَلْه أين وجد هذا الخاتم! قال: وجدتُه مع رجل في كهف خُبّان[٤]. ـ قال: ويقال كهف جبار ـ فقال: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيبٌ به خيراً، وما أخبرني مَنْ هو، ولقد تركته بآخر رَمَق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقِّش، فأعجِل السّاعةَ في طلبه. فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرَقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء. وقال قبل أن يموت:

سَـرى ليـلاً خيـالٌ مـن سُلَيْمَـى ... فـأرّقنـي وأصحـابـي هُجـودُ
فبِـتّ أديـر أمـري كـلّ حـالٍ ... وأذكـر أهلَهـا وهـمُ بعيـد
علـى أنْ قـد سمـا طَـرْفـي لنـارٍ ... يُشَـبّ لهـا بـذي الأرْطَـى[٥] وَقـود
/ حَـوَالَيْهـا مهـاً بِيـضُ التَّـراقِـي[٦] ... وآرامٌ وغِـزلانٌ رُقـود ١٩٢/٥
نـواعـمُ لا تُعـالـج بـؤسَ عيـشٍ ... أوانـسُ لا تـروح[٧] ولا تَـرُود
يَـرُحْـن معـاً بِطـاءَ المشـيِ بُـدّاً[٨] ... عليهـنّ المجـاسـد والبُـرُود
سَكَـنّ ببلـدة وسكنـتُ أخـرى ... وقُطِّعـتِ المـواثـقُ والعهـود
فمـا بـالـي أفـي ويُخـان عهـدي ... ومـا بـالـي أُصَـاد ولا أَصيـد
/ ورُبّ أسيلـة الخـدّيـن بكـرٍ ... مُنَعَّمَـةٍ لهـا فـرعٌ وجيـد[٩] [٦/١٣٣]

(١) كذا في حـ و «تجريد الأغاني». وفي سائر الأصول: «هم» وهو تحريف.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «قال فراعي من أنت».
(٣) في «المفضليات»: «شرب» جمع شارب.
(٤) في الأصول: «جبان» (بالجيم) وهو تصحيف. والتصويب عن كتاب «معجم ما استعجم» و «معجم البلدان» و «شرح المفضليات».
(٥) الأرطى: شجر ينبت بالرمل وهو شبيه الغضى، ينبت عصياً من أصل واحد ويطول قدر قامة، وله نور مثل نور الخلاف ورائحته طيبة.
(٦) في «المفضليات»: «جم التراقي». يريد أن عظامها قد غمرها اللحم فلا حجم لها.
(٧) في «المفضليات»: «لا تراح».
(٨) بد: جمع أبد والأنثى بداء. وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكا.
(٩) استشهد بهذا البيت في النحو على حذف الصفة وإبقاء الموصوف، أي لها فرع فاحم وجيد طويل. إذ هذا البيت للمدح، وهو لا يحصل بإثبات الفرع والجيد مطلقين بل بإثباتهما موصوفين بصفتين محبوبتين.

وذو أُشُرٍ[(١)] شَتِيتُ النبتِ عذبٌ ... نقيُّ اللون بَرَّاقٌ بَرود

لهوتُ بها زماناً في[(٢)] شبابي ... وزارتها النجائب والقَصيد

أُناسٌ كلما أخلقتُ وصلاً ... عناني منهمُ وصلٌ جديد

ثم مات عند أسماء، فدُفِن في أرض مُرَاد.

خرج لقتل زوج أسماء فرده أخواه وعذلاه فمرض وقال شعراً:

وقال غيرُ أبي عمرو والمفضَّل:

أتى رجل من مُرَاد يُقال له قرنُ الغزَال، وكان مُوسِراً، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مُمْلِقاً؛ فزوّجها أبوها من المراديّ سرًّا؛ فَظَهر على ذلك مرقِّش فقال: لئن ظفرتُ به لأقتلنّه. فلما أراد أن يَهتديها[(٣)] خاف أهلُها عليها وعلى بعلها من مرقِّش، فتربّصوا بها حتى عَزَب مرقِّش في إبله، وبنى المراديُّ بأسماء واحتملها إلى بلده. فلما رجع مرقِّش إلى الحيّ رأى غلاماً يتعرّق عظماً؛ فقال له: يا غلام، ما حدث بعدي في الحيّ؟ وأوجس في صدره خيفةً لِمَا كان؛ فقال الغلام: اهتدى المراديُّ امرأتَه أسماء بنت عوف. فرجع المرقِّش إلى حيّه فلبس لأُمته وركب فرسه الأغرّ، واتّبع آثارَ القوم يريد قتلَ المراديّ. فلما طلع لهم قالوا للمراديّ: هذا مرقِّش، وإن لقيك فنفسُك دون نفسه. وقالوا لأسماء: إنه سيمرّ عليك، فأطلعي رأسَك إليه واسْفِري؛ فإنه لا يرميك ولا يضرّك، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقَه إخوته فيردّوه. وقالوا للمراديّ: تقدّم فتقدّم. [٦/١٣٤] / وجاءهم مرقِّش. فلما حاذاهم أطْلَعَت أسماءُ من خِدْرها ونادته، فغَضّ[(٤)] من فرسه وسار بقربها، حتى أدركه أخواه أنَسٌ وحَرْمَلة فعذَلاَه وردّاه عن القوم. ومضى بها المُراديّ فألحقها بحيّه. وضَنِيَ[(٥)] مرقِّش لفراق أسماء. فقال في ذلك:

أمِنْ آلِ أسماءَ الرسومُ الدَّوارسُ ... تُخطِّط فيها الطيرُ قَفْرٌ بَسابسُ[(٦)]

وهي قصيدة طويلة. وقال في أسماء أيضاً:

أغالِبُكَ القلبُ اللَّجوجُ صبابةً ... وشوقاً إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ

يَهيمُ ولا يعيا بأسماءَ قلبُه ... كذاك الهوى إمرارُه وعَوَاقِبُه

أيُلْحَى امرؤٌ في حبّ أسماء قد نأى ... بغَمْزٍ[(٧)] من الواشين وازوَرّ جانبه

وأسماءُ هَمُّ النفس إن كنتَ عالماً ... وبادى أحاديث الفؤادِ وغائبه

إذا ذكرَتْها النفسُ ظَلْتُ كأنني ... يُزعزعني قَفْقافُ وِرْد وصالبُه[(٨)]

---

(١) الأشر: تحزز في الأسنان يكون في الأحداث.

(٢) في «المفضليات»: «من شبابي».

(٣) يقال: اهتدى الرجل امرأته إذا جمعها إليه وضمها.

(٤) يقال: غض من فرسه إذا نقص من غربه وحدته.

(٥) كذا في أكثر الأصول. وضنى: مرض مرضاً مخامراً كلما ظن برؤه نكس. وفي ب، س: «وغنى» وهو تحريف.

(٦) قال شارح المفضليات في التعليق على هذا البيت: «قال أبو عمرو: تخطط فيها الطير أي ترعى».

(٧) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «بغم».

(٨) الورد: من أسماء الحمى. وقفقافه: اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه. وصالبه: شدّة حرارته مع رعدة.

كان مع المجالد بن ريان في غارته على بني تغلب وقال شعراً:

وقال أبو عمرو: وقع المجالِد بن رَيّان ببني تَغْلِب بجُمْران[(١)] فنكى فيهم وأصاب مالاً وأسرى، / وكان معه ١٩٣/٥ المرقِّش الأكبر، فقال المرقش في ذلك:

أتتنـي لسـانٌ[(٢)] بنـي عـامـرٍ ... فجَلّـى أحـاديثُهـا عـن بَصَـرْ

/ بـأنّ بنـي الـوَخـم[(٣)] سـاروا معـا ... بجيـش كضـوء نجـوم السَّحَـر[(٤)] [١٣٥/٦]

بكـلّ خَبُـوبِ[(٥)] السُّـرَى نَهْـدَةٍ ... وكـلّ كُمَيْـتٍ طُـوالٍ أغـرّ

فمـا شَعَـر الحـيُّ حتـى رأوْا ... بـريـقَ القَـوَانِـس فـوقَ الغُـرَر[(٦)]

فـأقبلنَهـم[(٧)] ثـم أدبـرنهـم ... وأصـدرنهـم قبـلَ حيـنِ الصَّـدَر

فيـا رُبَّ شِلْـوٍ تَخَطْـرفنَـه[(٨)] ... كـريـمٍ لَـدَى مَـزْحَـف أو مَكَـرّ[(٩)]

وكـائـن بجُمْـرانَ[(١٠)] مـن مُـزْعَـف[(١١)] ... ومـن رجـلٍ وجهُـه قـد عُفِـر

/ وأمّا المرقّش الأصغر [١٣٦/٦]

نسبه وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأخباره في ذلك وشعره:

فهو ـ على ما ذكر أبو عمرو ـ رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة. والمرقِّش الأكبر عم الأصغر، والأصغر عم طَرَفة بن العبد. قال أبو عمرو: والمرقِّش الأصغر أشعر المرقِّشَين وأطولهما عُمراً. وهو الذي عشِق

---

(١) جمران (بضم أوّله وإسكان ثانيه): موضع ببلاد الرباب، أو هو ماء. وقد ورد هذا الاسم في أكثر الأصول: «حمران» (بالحاء المهملة). وفي حـ: «نجران»، وكلاهما تحريف. راجع «المفضليات»ص ٤٨٣ طبع أوروبا). و «معجم ما استعجم» (ص ٢٤٥).

(٢) اللسان هنا: الرسالة. وجلى أحاديثها عن بصر: أي كشفت أحاديثها العمى.

(٣) في حـ: «الرخم» وفي باقي الأصول: «الرحم». والتصويب عن «المفضليات». وبنو الوخم: بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة.

(٤) في شرح «المفضليات»: «قال الأصمعي: خص نجوم السحر لأن النجوم التي تطلع في آخر الليل كبار النجوم ودراريها وهي المضيئة منها».

(٥) في أكثر الأصول: «جنوب السرى». والتصويب عن حـ. ويروى «بكل نسول السرى» ـ والنسول: السريعة السير ـ و «بكل خنوف السرى» أي خفيفة لينة رجع اليدين بالسير. (راجع «المفضليات» وشرحها ص ٤٨٣). ونهدة: ضخمة.

(٦) القوانس: جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد. والغرر: السادة من الرجال، ويقال الغرر: الوجوه. ويروى: «فوق العذر». والعذر: شعر العرف والناصية. (راجع «شرح المفضليات»).

(٧) في الأصول: «فأقبلتهم ثم أدبرتهم... إلخ» (بالتاء المثناة). والتصويب عن «المفضليات».

(٨) كذا في «المفضليات» والشلو: بقية الجسد. وتخطرفته: استلبته، وقيل: جاوزنه وخلفنه. وفي جميع الأصول: «تخطرفته» (بالتاء).

(٩) زاد صاحب «المفضليات» بعد هذا البيت بيتاً وهو:

وآخـر شـاص تـرى جلـده ... كقشـر القتـادة غـب المطـر

والشاصي: الرافع رجليه ويديه. وإذا أصاب المطر القتاد انتفخت قشوره وارتفعت عن الصميم. يريد قتيلاً قد انتفخ فكأن جلده لحاء قتادة.

(١٠) في جميع الأصول هنا: «بنجران» وهو تحريف. (راجع الحاشية رقم ٦ من الصفحة السابقة).

(١١) كذا في حـ و «المفضليات» و «معجم ما استعجم». وزعفه وأزعفه: رماه أو ضربه فمات مكانه سريعاً. وفي سائر الأصول: «مرعف» (بالراء المهملة).

فاطمةَ بنت المنذر، وكانت لها وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان، وكان لها قَصْر [بكاظمة][(١)] وعليه حَرَس. وكان الحرس يَجُرّون كل ليلة حولَه الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان. وكان لبنت عجلان في كلّ ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها. فقال عمرو بن جَنَاب[(٢)] بن مالك لمرقِّش: إنّ بنت عَجلان تأخذ كلَّ عشيّة رجلاً ممن يُعجبها فيبيت معها. وكان مرقِّش تِرْعِيَةً[(٣)] لا يفارق إبلَه، فأقام بالماء وترك إبلَه ظِمأى، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شَعْراً. وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس. فجاء مرقِّش فبات عند ابنة عَجْلان؛ حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها. فقالت لها: ما هذا بفخذيك؟ ـ وإذا نُكَتٌ كأنها التين[(٤)] وكآثار السِّياط من شدّة حَفْزه إياها عند الجماع ـ قالت: آثار رجل بات معي الليلة. وقد كانت فاطمةُ قالت لها: لقد رأيت رجلاً جميلاً راح نحوَنا بالعشِيّة لم أره قبلَ ذلك؛ قالت: فإنه فتًى قعد عن إبله وكان يرعاها، وهو الفتى الجميل الذي رأيتِه، وهو الذي بات معي فأثر فيّ هذه / الآثار. قالت لها فاطمة: فإذا كان غدٌ وأتاك فقدِّمي له مِجْمَراً ومُرِيه أن يجلس عليه وأعطيه سِواكاً، فإن استاك بـه أورِدِّه فـلا خير فيه، وإن قعد على المجمر أورِدّه فلا خير فيه. فأتته بالمجمر فقالت له: اقعُد عليه؛ فأبى وقال: أدنيه مني، فدخّن لحيته وجُمّته وأبى أن يقعد عليه، وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به. فأتت ابنةُ عجلان فاطمةَ فأخبرتها بما صنع؛ فازدادت به عجباً وقالت: ائتيني به. فتعلقتْ به كما كانت تتعلق، فمضى معها وانصرف أصحابه. فقال القوم حين انصرفوا: لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجْلان المرقَّشَ! وكان الحرس ينثرون التراب حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويَجُرُّون عليه ثوباً حين تُمسِي ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عجلان؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقَافة فينظرون أثرَ من دخل إليها ويعودون فيقولون له: لم نر إلا أثر بنت عجلان. فلما كانت تلك الليلة حملتْ بنتُ عجلان مرقِّشاً على ظهرها وحزَمته / إلي بطنها بثوب، وأدخلته إليها فبات معها. فلما أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا: نظرنا أثر بنت عجلان وهي مُثْقَلة. فلبث بذلك حيناً يدخل إليها. فكان عمرو بن جَنَاب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه. فقال له: ألم تكن عاهدتَني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب؟! فأخبره مرقِّشٌ الخبرَ؛ فقال له: لا أرضى عنك ولا أكلّمك أبداً أو تُدخلَني عليها، وحلف على ذلك. فانطلق المرقِّش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنتَ عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أَشْعر، فأتته بنت عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقش. فلما أراد مباشرتها وجدتْ شعرَ فخذيه فاستنكرته، وإذا هو يُرْعَد؛ فدفعته بقدمها في صدره وقالت: قبّح الله سرًّا عند المُعَيْدي. ودعت بنتَ عجلان فذهبت به، وانطلق إلى موضع صاحبه. فلما رآه قد أسرع الكَرّةَ ولم يلبث إلا قليلاً، علم أنه قد / افتضح، فعَضّ على إصبعه فقطعها. ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه ـ يعني الإبل التي كان مقيماً فيها ـ حياءً مما صنَع. وقال مرقش في ذلك:

[١٣٧/٦]

١٩٤ ﻫ

[١٣٨/٦]

---

(١) زيادة عن حـ و «المفضليات» و «تجريد الأغاني». وكاظمة: على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها آبار كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» و «المفضليات» وفيما سيأتي في جميع الأصول. وفي حـ: «عمرو بن حباب». وفي سائر الأصول: «حسان». وكلاهما تحريف.

(٣) رجل ترعية (مثلثة الأول مع تشديد الياء وقد تخفف) وترعاية (بالكسر) وتراعية (بالضم) وترعى (بالكسر): يجيد رعية الإبل، أو صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «البثر». وفي ب و «المفضليات»: «التبن». وقد أشير في هامش «المفضليات» إلى أن هذه الرواية (التين) لا معنى لها، وأنه يحتمل أن يكون محرفة عن «البثر» وهو الورم في الجسد.

أَلَا يا ٱسلَمي لا صُرمَ لي اليوم فاطمًا ... ولا أبداً ما دام وصلُكِ دائمَا

رمتكَ ابنةُ البَكْريّ عن فرعِ ضالَةٍ ... وهُنّ بنا خُوصٌ يُخَلْنَ نعائما[1]

تراءت لنا يوم الرحيل بِواردٍ ... وعذبِ الثنايا لم يكن متراكما[2]

سقاه حَبابُ[3] المُزن في متكلّل ... من الشمس رَوّاه ربابا سَوَاجما[4]

أرَتْك بذات الضّالِ منها معاصماً ... وخدًّا أسيلا كالوذيلة[5] ناعما

صحا قلبُه عنها على أنّ ذِكرةً ... إذا خطَرت دارت به الأرضُ قائما

تَبَصَّرْ خليلي هل ترى من ظَعائن ... خَرجن سِراعاً واقتعدنَ المفائما[6]

تحمّلن من جوّ الوَريعة[7] بعد ما ... تعالى النهارُ وانتجعن الصّرائما[8]

تَحلَّين ياقوتاً وشَذْراً وصِيغةً ... وجَزْعاً ظَفاريًّا ودُرًّا تَوَائما[9]

/ سلكن القُرَى والجِزعَ تُحدَى جمالُها ... ووَرّكن قَوًّا واجتزعن المخارما[10] [١٣٩/٦]

ألا حبّذا وجهٌ تُريك بياضَه ... ومُنْسَدِلاتٌ كالمثاني فواحما[11]

وإني لأستحيي فُطَيمةَ جائعاً ... خميصاً وأستحيي فُطَيمةَ طاعما

وإني لأستحييك والخَرْق[12] بيننا ... مخافةَ أن تَلْقَى أخاً ليَ صارما

وإني وإن كلّت قَلُوصي لَرَاجِمٌ ... بها وبنفسي يا فُطَيمَ المَرَاجما

(١) الضال من السدر: ما لم يشرب الماء. والخوص: الإبل الغائرة العيون من جهد السفر. والنعائم: جمع نعامة.

(٢) الوارد من الشعر: الطويل. والفم المتراكم: المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضاً.

(٣) في «المفضليات»: «حبيّ المزن» وحبي المزن: ما اقترب منه.

(٤) كذا في حـ و «المفضليات». وفي سائر الأصول: «سراكما» وهو تحريف.

(٥) الوذيلة: سبيكة الفضة.

(٦) كذا في «المفضليات» و «معجم البلدان» (ج ٤ ص ٩٢٩). والمفائم: العظام من الإبل، وقيل: هي المراكب الوافية الواسعة، واحدها مفأم. وفي جميع الأصول: «المقائم» (بالقاف). واقتعدن: ركبن.

(٧) كذا في «المفضليات» و «معجم البلدان». والوريعة: حزم لبني فقيم بن جرير بن دارم. والحزم: ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته وأشرف حتى صار له إقبال لا يعلوه الناس والإبل إلا بالجهد. وفي جميع الأصول: «الوديعة» بالدال المهملة، وهو تحريف.

(٨) الصرائم: جمع صريمة وهي القطعة من الرمل تنقطع من معظم الرمل.

(٩) الشذر: اللؤلؤ الصغير، وقيل: هو خرز يفصل به بين الجواهر في النظم. والجزع (بالفتح): الخرز. وظفاري: نسبة إلى ظفار، بلد باليمن ينسب إليها الجزع. وفيها يقال: «من دخل ظفار حمر» (بتشديد الميم) أي تكلم بلغة حمير. وذلك أن رجلاً من العرب دخل على ملك حمير وهو على سطح، فقال له: ثب، فوثب فتكسر. ووثب بلغة حمير قعد. وتوائم: اثنتين اثنتين.

(١٠) رواية «المفضليات»: «جمالهم». والجزع (بالكسر): منعطف الوادي. ووركن: عدلن وقوّ: منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة، يرحل من النباج فينزل قوا، وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قوّ. وقيل: قو بين فيد والنباج. وهو أيضاً واد بين اليمامة وهجر نزل به الحطيئة على الزبرقان بن بدر فلم يجهزه فقال فيه شعراً. واجتزعن: قطعن وفي ب، س: «واخترعن» وهو تصحيف. والمخارم: جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طريق. وقيل: هو أطراف الطرق في الجبال.

(١١) في أكثر الأصول: «يريك». والتصويب عن حـ. ورواية «المفضليات»: «ترينا». ومنسدلات: يريد ذوائب من الشعر مسترخية. والمثاني: الحبال. شبه ذوائب الشعر بالحبال في الطول. وفواحم: سود.

(١٢) الخرق: ما اتسع من الأرض.

ألَاَ يَا اسلمي بالكوكب الطَّلْقِ[١] فاطمَا ... وإن لم يكن صَرْفُ النوى متلائما

ألَاَ يَا اسلمي ثم اعلمي أنّ حاجتي ... إليك فرُدّي من نوالك فاطما

أفاطمَ لو أنّ النساء ببلدةٍ ... وأنت بأخرى لابتغيتك[٢] هائما

متى ما يشأْ ذو الودّ يَصرِمْ خليلَه ... ويَغْضَبْ عليه لا محالة ظالما

وآلى جَنابٌ حِلفةً فأطعتَه ... فنفسَك ولِّ اللَّومَ إن كنت نادما

فمن يلقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَه ... ومن يَغْوِ لا يعدَم على الغَيّ لائما

ألم تر أنّ المرء يَجْذِمُ كفَّه ... ويَجْشَمُ من لوم الصديق المَجاشما[٣]

أمِن حُلُمٍ أصبحتَ تَنكُتُ واجما[٤] ... وقد تعترى الأحلامُ من كان نائما

[١٤٠/٦]

/ صوت

من المائة المختارة

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أو تنتهي المُنَى ... أَبَى القلبُ إلاّ حبَّ أُمِّ حَكيم

مُنعَّمة صَفْراء حُلْوٌ دلالُها ... أَبِيتُ بها بعدَ الهُدُوء[٥] أَهِيم[٦]

قَطُوفُ[٧] الخُطَا مَخْطوطةُ[٨] المَتْنِ زانها ... مع الحُسن خَلْقٌ في الجَمال عَمِيم

الشعر مُختلَف في قائله، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبدالله العَبْشَميّ، ومنهم من يرويه لقَطَريّ بن الفُجَاءة المازِنيّ، ومنهم من يرويه لعبيدة[٩] بن هِلال اليَشْكُريّ. والغناء لسِيَاط، وله فيه لحنان: أحدهما، وهو المختار، ثقيلٌ أوّل بالوسطى، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسّبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. ولبعض الشُّراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية، وفيها ذِكْرٌ لأمّ حَكيم هذه أيضاً، تُنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويُختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه. وفيها[١٠] أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات منها:

---

(١) كذا في «المفضليات». والطلق: الذي لا حر فيه ولا قر ولا شيء يؤذي. وفي جميع الأصول: «بالكوكب الفرد».
(٢) في «المفضليات»: «لا تبعتك».
(٣) يجذم: يقطع. ويجشم: يركب المكروه.
(٤) نكت في الأرض: خطط فيها بعود، وكذلك يفعل المغتم. وواجماً: حزيناً.
(٥) الهدوء: الهزيع من الليل.
(٦) في هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الروي.
(٧) قطوف الخطا: ضيقتها.
(٨) كذا في حـ. ويقال: جارية محطوطة المتنين أي ممدودتهما أو هي ممدودة حسنة مستوية. وفي ب، س: «مخطوطة» (بالخاء المعجمة). وفي سائر الأصول: «محظوظة» (بظاءين معجمتين). وكلاهما تصحيف.
(١٠) ضبط هذا الاسم في حـ بفتح العين، وكذلك ضبط في «الطبري» بفتح العين وكسر الباء. وورد في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا مضبوطاً بفتح العين وكسر الباء في مواضع وبضم العين وفتح الباء (مصغراً) في مواضع أخرى. وضبط في «الاشتقاق» لابن دريد بضم العين.
(١١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وفيه».

[٦/١٤١] / لَعَمْرُكَ إنّي في الحياة لزاهدٌ وفي العيش ما لم ألْقَ أمَّ حَكِيم

ولو شهدتني[١] يومَ دَولاب[٢] أبصرَتْ طِعانَ فتى في الحرب غيرِ ذَميم

ذكر المبرّد أن الشعر لقَطَريّ بن الفُجاءة، وذكر الهَيْثم بن عَدِيّ أنه لعَمْرو القَنَا، وذكر وَهْب بن جَرير أنه لحَبيب بن سهم التَّميميّ، وذكر أبو مِخْنَف[٣] أنه لعبيدة بن هلال اليَشْكريّ، وذكر خالد بن خدَاش[٤] أنه لعمرو القنا أيضاً. والغناء لمَعْبد ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى / الوسطى عن إسحاق ويونس. ٣/٦



(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «شهدتنا».

(٢) دولاب (بفتح أوّله وأكثر المحدثين يروونه بالضم): قرية تعرض لها أبو الفرج بالشرح بعد قليل.

(٣) كذا في أكثر الأصول، وهو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم، كان صاحب أخبار وأنساب، والأخبار عليه أغلب. وجدّه مخنف بن سليم روى عن النبيّ ﷺ. وفي ب، س: «أبو محنف» (بالحاء المهملة). (راجع «المعارف» لابن قتيبة ص ٢٦٧ و «فوات الوفيات» ج ٢ ص ١٧٥ طبع بولاق).

(٤) كذا فيما سيأتي في جميع الأصول. و «تهذيب التهذيب». وهو خالد بن خداش بن عجلان الأزدي المهلبي (نسبة إلى المهلب بن أبي صفرة). روى عن حماد بن زيد وصالح المري وغيرهما، وروى له البخاري في الأدب، وقد مات سنة ٢٢٣ هـ.

[٦/١٤٢]

/ خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران وهي وقعة دولاب وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة:

هذان الشعران قِيلا في وقعة دُولاب، وهي قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الإزارقة وبين مُسلم بن عُبَيس بن كُرَيز خليفةِ عبدالله بن الحارث بن نَوْفل بن عبد المطلب، وذلك في أيام ابن الزبير. أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة عن المدائني، وأخبرني بها عُبيد الله بن محمد الرازي عن الخَرّاز عن المدائنيّ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِدَاش:

أن نافعَ بنَ الأزرق، لمّا تفرقتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم في أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقد كان متشكِّكاً في ذلك. فقالت له امرأته: إن كنتَ قد كفَرت بعد إيمانك وشكَكتَ فيه، فدع نِحْلتك ودَعْوتك، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفّار حيثُ لقِيتَهم وأثْخن في النساء والصبيان كما قال نوح: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾. فقَبِل قولَها واستعرض[١] الناسَ وبَسَط سيفَه، فقتل الرجال والنساء والوِلْدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم. وإذا وطيء بلداً فعل مثلَ هذا به إلى أن يُجيبَه أهلُه جميعاً ويدخلوا ملّته، فيرفع السيفَ ويضع الجِباية فيجبي الخراجَ. فعظم أمرُه واشتدّت شوكته وفشا عمّالُه في السواد. فارتاع لذلك أهلُ البصرة ومشَوْا إلى الأحنف بن قيس فشكَوْا إليه أمرَهم وقالوا له: ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان، / وسِيرتُهم كما ترى؛ فقال لهم الأحنف: إنّ سيرتَهم في مصر كم إن ظَفِروا به مثلُ سيرتهم في سوادكم، فخذوا في جهاد عدوّكم. وحرّضهم الأحنفُ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح. فأتاه عبدُالله بن الحارث بن نَوْفل، وسأله أن يؤمِّر عليهم أميراً، فاختار لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن كُرَيز بن رَبيعة، وكان فارساً شجاعاً دَيِّناً، فأمَّره عليهم وشيَّعه. فلما نَفَذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا وفضة، وإني لأحاربُ قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحهم. فمن كان مِن شأنِه الجهادُ فلينهَضْ، ومن أحبَّ الحياةَ فليرجع. فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه؛ فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسّرت الرماحُ وعُقِرتْ الخيلُ وكثُرت الجِراحُ والقتلى، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد؛ فقُتل في المعركة ابنُ عُبيس وهو على أهل البصرة، وذلك في جمادَى الآخرة سنةَ خمس وستين، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذ أيضاً؛ فعجب الناس من ذلك، وأنّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير، وقُتل رئيسَا العسكرين،

[٦/١٤٣]

(١) استعرض الناس: قتلهم ولم يبال من قتل مسلماً أو كافراً من أي وجه أمكنه.

والشُّراة يومئذ ستُّمائة رجل، فكانت الحدّة يومئذ وبأس الشراة واقعاً ببني[1] تميم وبني سَدُوس. وأتى ابنُ عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عمرو / الغُدَانيّ، وكان يقال له الأَجْذم، كانت يده أصيبت بكابلُ مع ٤/٦ عبدِ الرحمن بن سَمُرة. واستخلف نافعُ بن الأزرق عُبيد الله بن بَشير بن الماحوز[2] أحدَ بني سَلِيط بن يَرْبوع. فكان رئيسَا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَرْبوع، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يَرْبوع، ورئيس الشُّراة من بني سليط بن يربوع، / فاتَّصلَتِ الحربُ بينهم عشرين يوماً. قال المدائني في خبره: وادّعَى قتلَ نافع بن الأزرق رجلٌ [٦/١٤٤] من باهِلة يقال له سَلامة. وتحدّث بعد ذلك قال: كنتُ لما قتلتُه على بِرْذون[3] وَرْد فإذا أنا برجل ينادِي، وأنا واقف في خُمس[4] بَني تَميم[5]، فإذا به يَعْرِض عليَّ المبارزةَ فتغافلتُ عنه، وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خُمْس إلى خُمْس وليس يُزايلني، فصِرْتُ إلى رَحْلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة، فلما أكثر خرجتُ إليه، فاختلفْنا ضربتين فضربته فصرَعتُه، ونزلتُ فأخذت رأسَه وسلبتهُ، فإذا امرأة[6] قد رأتني حين قتلت نافعاً، فخرجتْ لتثأر به. قالوا: فلما قُتل نافع وابن عُبيس وُلِّي الجيش إلى رَبيع بن عمرو لم يزل[7] يقاتل الشُّراة نيّفاً وعشرين يوماً، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: إني مقتول لا محالة؛ قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إني رأيت البارحة كأنّ يدي التي أُصيبتْ بكابلُ انحطّتْ من السماء فاسْتَشْلتْني. فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم[8] فقُتل يومئذ ـ قال: استشلاه: أخذه إليه. يقال: استشلاه واشتلاه ـ قال: فلما قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَب إذ لم يكن لهم رئيس؛ ثم أجمعوا على الحَجّاج بن باب الحِمْيَرِيّ. وقد اقتتل الناسُ يومئذ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثلَه، تطاعنوا بالرماح حتى تقصّفتْ، / ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوة، وحتى كان الرجل منهم يضرب [٦/١٤٥] الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة ويتكادمون[9] بالأفواه. فلما تدافع القومُ الراية وَأَبَوْها واتّفقوا على الحَجّاج بن باب امتنع من أخذها. فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن: خذها فإنها مَكْرُمة؛ فقال: إنها لراية مشئومة، ما أخذها أحد إلا قُتل. فقال له كُرَيب: يا أعور! تقارعتِ العربُ على أمرها ثم صيّروها إليك فتأبى خوفَ القتل! خذ اللواءَ ويحك! فإن حضر أجلُك قُتلتَ إن كانت معك أو لم تكن. فأخذ اللواءَ وناهضهم، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كَرَادِيسَ[10]؛ والخوارجُ أقوى عُدّة بالدروع والجواشن[11]؛ وجعل الحجّاجُ يُغمض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنه قد قُتل، ثم يرفع رأسَه وسيفُه يقطر

---

(١) كذا في أ، ×. وفي سائر الأصول: «بين تميم...».

(٢) كذا في «الكامل» للمبرد في أكثر من موضع و «الطبري». وفي جميع الأصول: «الماخور». (بالخاء المعجمة والراء المهملة).

(٣) البرذون: واحد البرادين، وهي من الخيل ما كانت من غير نتاج العرب.

(٤) كذا في حـ هنا وفيما يأتي و «الكامل» للمبرد. وأخماس البصرة خمسة: الخمس الأول العالية، والثاني بكر بن وائل، والثالث تميم، والرابع عبد القيس، والخامس الأزد. وفي سائر الأصول هنا وفيما يأتي: «خميس».

(٥) في «الكامل» (ج ٢ ص ٦١٧ طبع أوروبا): «وأنا واقف في خمس قيس (صوابه عبد القيس) ينادي: يا صاحب الورد، هلم إلى المبارزة، فوقفت في خمس بني تميم فإذا به يعرضها عليّ... إلخ».

(٦) كذا في حـ و «الكامل» للمبرد. وفي سائر الأصول: «فإذا هي امرأته... إلخ».

(٧) في ب، س: «ولم يزل».

(٨) كذا في «الكامل» للمبرد. وغاداهم: باكرهم. وفي جميع الأصول: «ثم عاد... إلخ».

(٩) تكادموا بالأفواه: تعاضوا.

(١٠) الكراديس: كتائب الخيل، واحدها كردوس.

(١١) الجواشن: جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر.

دماً، ويفتح عينيه فيَرى الناسَ كراديسَ يقاتل كلُّ قوم في ناحية. ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمْران بن الحارث الراسبيّ[١]، فاختلفا ضربتين كلُّ واحد منهما قتل صاحبه، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا؛ وأصبح أهل البصرة ـ وقد هرب عامّتُهم، وولَّوْا حارثةَ بن بدر الغُدَانيّ أمْرَهم ـ ليس بهم طِرْق[٢] ولا بالخوارج. فقالت امرأة من الشُّراة ـ وهي أم عِمْران قاتلِ الحجّاج بن باب وقَتيلِه ـ ترثي ابنَها عِمْران:

اللّـــهُ أيَّـــد عِمْـــرانـــاً وطَهَّـــره ... وكـان عمـرانُ يـدعـو الله فـي السَّحَـرِ

[١٤٦/٦] / يـدعـوه سِـرًّا وإعـلانـاً ليـرزقَـه ... شهـــادةً بيـــدَيْ مِلْحـــادة[٣] غُـــدَرَ

وَلَّـى صحـابتُـه عـن حَـرّ مَلْحَمـةٍ ... وشدّ عِمْـرانُ كـالضـرغـامـة[٤] الـذكـر[٥]

قال: فلما عَقدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبتُوا، فإذا فَتح اللّهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالي زيادةُ فريضة؛ فنَدب الناسَ فالتقَوْا وليس بأحد منهم طِرق، وقد فَشَت فيهم الجراحاتُ فلهم أنين، وما تطأ الخيل إلا على القتلى. فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمعٌ من الشُّراة ـ يقول المُكَثِّر إنهم مائتان والمقلِّل إنهم أربعون ـ فاجتمعوا وهم يُريحون مع أصحابهم[٦] واجتمعوا كبكبةً[٧] واحدة، فحملوا على المسلمين. فلما رآهم حارثة بن بَدْر نكَص برايته فانهزم وقال:

كَـــرْنبـــوا[٨] ودَوْلِبـــوا ... وحيـــثُ شئتـــم فـــاذهبُـــوا[٩]

وقال:

أيـرُ الحمـار فـريضـةٌ لعبيـدكـم ... والخُصيتـان فـريضـة الأعـراب

[١٤٧/٦] / وتتابع الناسُ على أثره منهزمين، وتبعتهم الخوارجُ، فألقَوا أنفسهم في دُجَيْل[١٠] فغرق منهم خلقٌ كثير

---

(١) كذا في أ، ء و «الكامل». وفي سائر الأصول: «الراسي».

(٢) كذا في أكثر الأصول. والطرق (بالكسر): القوة. وفي ب، س: «لهم طرف» بالفاء وهو تصحيف.

(٣) الملحادة: مفعال من الإلحاد (وهو الجور والعدول عن الدين) كما يقال رجل معطاء ومكرام. وأدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل في راوية وعلامة ونسابة. وغدر (بضم ففتح): كثير الغدر.

(٤) الضرغامة: من أسماء الأسد.

(٥) في «الكامل»: «الهصر» والهصر: الذي يهصر كل شيء أي يثنيه.

(٦) في ب، س: «مع أصحانهم» ولا معنى لها.

(٧) الكبكبة: الجماعة.

(٨) كذا في حـ و «الطبري» (ق ٢ ص ٥٨٠) و «معجم البلدان». وكرنبوا: أنزلوا كرنبي وهي موضع بالأهواز. ودولبوا: أنزلوا دولاب. وفي سائر الأصول: «أكرنبوا» وهو تحريف.

(٩) يقال: إن سبب قول الحارثة هذا الشعر هو أنه لما خلف الحجاج بن باب على إمرة الجيش وجاء الخوارج هذا المدد الكثير المريح حملوا على المسلمين فانهزموا، وبقي حارثة يناوش الخوارج بمنزل نزله بمن بقي معه بالأهواز. فلما ولي ابن الزبير عمر بن عبدالله بن معمر على البصرة أرسل عمر أخاه عثمان لقتال الأزارقة وانضم إليه حارثة. ثم كان بين عثمان وحارثة خلاف اعتزل بسببه حارثة. ثم لما أفضى الأمر في محاربة الخوارج إلى المهلب وبلغ حارثة بن بدر أن المهلب قد أمر على الجيش لقتال الخوارج قال لمن معه:

كـــرنبـــوا ودولبـــوا ... وحيـــث شئتـــم فـــاذهبـــوا

* قد أمر المهلب *

فذهب من كان معه إلى البصرة، فردهم الحارث بن عبدالله إلى المهلب. (راجع «الطبري» في حوادث سنة ٦٥).

(١٠) دجيل: نهر بالأهواز حفره أردش بن بابك أحد ملوك الفرس، واسمه بالفارسية: «ديلدا كودك» ومعناه: دجلة الصغير فعرب على =

وسلمت بقيّتُهم. وكان ممن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان. ولحقتْ قِطعةٌ من الشُّراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم، فعطفت عليهم خيلٌ من بني تَميم فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشَفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم. وعبرَتْ بقيّةُ الناس، فصار حارثةُ ومن معه بنهر تِيرَى[1] والشُّراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام. وكان على الأزد يومئذ قَبيصَة بن أبي صُفرة أخو المُهلَّب، وهو جدّ هَزَارُمَرْد[2]. قال: وغرِق يومئذ من الأزد عدد كثير. فقال شاعر الأزارقة:

يَــرَى مَــنْ جــاء ينظــر مــن دُجَيْــلٍ ... شيــوخَ الأَزْد طــافيــةً لِحَــاهَــا

وقال شاعر آخر منهم:

شَمِـتَ ابـنُ بـدر، والحـوادث جمـة، ... والظـالمـون بنـافـع بـن الأزرق

والمـوت حَتْـمٌ لا محـالـةَ واقـعٌ ... مَـنْ لا يُصَبّحْـهُ نهـاراً يَطْـرُقِ[3]

فلئـن أميـرَ المـؤمنيـن أصـابـه ... ريـبُ المنـون فمَـنْ تُصِبْـه يَغْلِـق[4]

قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة، فيما ذكر المبرّد، وقال المدائني في خبره: إن صالح بنَ عبدِالله العَبْشَمِيّ قائلُ ذلك؛ وقال خالد بن خِدَاش: بل قائلها عمرو القَنَا؛ قال / وهب بن جرير عن أبيه فيما حدّثني به أحمد بن الجَعْد الوَشّاء [١٤٨/٦] عن أحمد بن أبي خَيْثمة عن أبيه عن وَهْب بن جَرير عن أبيه: إن حَبيب بن سَهْم قائلُها:

لعمـرُك إنّـي فـي الحيـاة لـزاهـدٌ ... وفـي العيش مـا لـم ألْـقَ أمَّ حَكيـم[5]

مِـنَ الخَفِـرات البيـض لـم أرَ مثلَهـا ... شِفـاءً لِـذي بَـثٍّ ولا لِسَقيـم

لعمـرُك إنـي يـومَ أَلْطِـمُ وجهَهـا ... علـى نـائبـات الـدهـر غيـرُ حليـم

ولـو شَهِـدتْنـي يـوم دولاب أبصـرتْ ... طِعـانَ فتًـى فـي الحـرب غيـرِ لئيـم

غَـدَاةَ طَفَـتْ عَلمـاءِ[6] بكـرُ بـن وائـل ... وأُلّافُهـا مِـنْ حِمْيـر وسَليـم[7]

/ ومالَ الحجـازيّـون نحـوَ بـلادهـم ... وعُجْنـا صـدورَ الخيـل نحـو تَميـم

٦/٦

= دجيل. ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه في بحر فارس. وكانت عند دجيل هذا وقائع للخوارج. وهو أيضاً نهر مخرجه من أعلى بغداد، وليس مراداً هنا.

(١) تيري (بكسر التاء المثناة الفوقية وياء ساكنة وراء مفتوحة، مقصوراً): بلد من نواحي الأهواز: ونهر تيري حفره أردشير الأصغر بن بابك.

(٢) كذا في حـ هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول و «الطبري» و «اللباب في معرفة الأنساب» لابن الأثير الجزري مضبوطاً بالقلم بنسخة مخطوطة بخط قديم جداً، ومعناه ألف رجل. وفي سائر الأصول هنا: «هزامرد» وهو تحريف.

(٣) طرقه يطرقه (من باب مصر): أتاه ليلاً.

(٤) أمير المؤمنين: يريد به نافع بن الأزرق. ويغلق، أي لا ينفلت ولا ينجو. مأخوذ من غلق الرهن في يد المرتهن، إذا لم يقدر على فكاكه واستخلاصه.

(٥) وردت هذه القصيدة في «الكامل» (ص ٦١٨ ـ ٦١٩ طبع أوروبا) و «معجم البلدان» (ج ٢ ص ٦٢٣) باختلاف في بعض الألفاظ والأبيات.

(٦) يريد: على الماء.

(٧) يريد سليم بالتصغير فكبره للوزن. وسليم أبو قبيلة، وهو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر.

وكان لعبد القيس أول جدها ... وولت شيوخ الأزد فهي تعوم[(١)]

فلم أر يوماً كان أكثر مقعصاً ... يمج دماً من فائظ وكليم[(٢)]

وضاربة خداً كريماً على فتى ... أغر نجيب الأمهات كريم

أصيب بدولاب ولم تك موطناً ... له أرض دولاب ودير حميم[(٣)]

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا ... تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الإله نفوسهم ... بجنات عدن عنده ونعيم

حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد[(٤)] الأرقط قال:

[٦/١٤٩] / كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً. فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكري وأبو حزابة[(٥)] التميمي وهما في الحرب؛ فقال عبيدة: يا أبا حزابة، إني سائلك عن أشياء، أفتصدقني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمنت لي مثل ذلك؛ قال: قد فعلت. قال: سل عما بدا لك. قال: ما تقول في أئمتكم؟ قال: يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام. قال: ويحك! فكيف فعلهم في المال؟ قال: يجبونه من غير حله، وينفقونه في غير حقه. قال: فكيف فعلهم في اليتيم؟ قال: يظلمونه ماله، ويمنعونه حقه، وينيكون أمه. قال: ويلك يا أبا حزابة! أفمثل هؤلاء تتبع؟! قال: قد أجبت، فاسمع سؤالي ودع عنك عتابي على رأيي؛ قال: قل. قال: أي الخمر أطيب: أخمر السهل أم خمر الجبل؟ قال: ويلك! أتسأل مثلي عن هذا؟ قال: قد أوجبت على نفسك أن تجيب؛ قال: أما إذ أبيت فإن خمر الجبل أقوى وأسكر، وخمر السهل أحسن وأسلس. قال أبو حزابة: فأي الزواني أفره: أزواني رامهرمز[(٦)] أم زواني أرجان[(٧)]؟ قال: ويلك! إن مثلي لا يسأل عن مثل هذا؛ قال: لا بد من الجواب أو تغدر؛ فقال: أما إذ أبيت فزواني رامهرمز أرق أبشاراً، وزواني أرجان أحسن أبداناً. قال: فأي الرجلين أشعر: أجرير أم الفرزدق؟ قال: عليك وعليهما لعنة الله! أيهما الذي يقول:

[٦/١٥٠] / وطوى الطراد مع القياد[(٨)] بطونها ... طي التجار بحضرموت برودا

---

(١) في هذا البيت إقواء.

(٢) المقعص: يقال: أقعصه بالرمح إذا طعنه به فمات مكانه. والفائظ: الميت، فعله فاظ يفيظ ويفوظ فيظاً وفوظاً. والكليم: الجريح.

(٣) دير حميم: موضع بالأهواز، ذكره ياقوت واستشهد بهذا البيت.

(٤) هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري المعروف بالأرقط صهر يونس بن حبيب النحوي.

(٥) كذا في حـ. وهو الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر من شعراء الدولة الأموية. (راجع «شرح القاموس» مادة حزب. وترجمته في «الأغاني» ج ١٩ ص ١٥٢ ـ ١٥٦ طبع بولاق). وفي سائر الأصول: «أبو خرابة» (بالخاء المعجمة والراء المهملة) وهو تصحيف.

(٦) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان والعامة يسمونها «رامز» اختصاراً.

(٧) أرجان (بفتح الألف وبتشديد الراء مفتوحة ـ وقيل بسكونها ـ وجيم وألف ونون، وعامة العجم يسمونها «أرغان»): مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وفواكه، وهي برية بحرية سهلية جبلية، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً.

(٨) كذا في أ، ء و «ديوان جرير». وهو من قصيدة طويلة مطلعها:

أهوى أراك برامتين وقودا ... أم بالجنينة من مدافع أودا

وفي سائر الأصول: «الغياد» (بالغين المعجمة) وهو تحريف.

قال: جرير؛ قال: فهو أشعرهما. قال: وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلّب محكّمين له في ذلك؛ فقال: أردتم[1] أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني! ما كنت لأحكم بينهما، ولكني أدلُّكم على من يحكم بينهما ثم يَهون عليه سِبابُهما، عليكم بالشُّرَاة فسَلُوهم إذا تواقفتم. فلما تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

حُدّثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قَطَرِيّ بن الفُجَاءة يقال لها أمُّ حَكيم، وكانت من أشجع الناس وأجملِهم وجهاً وأحسنِهم بدينهم تمسُّكاً، وخطَبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِب إلى ذلك؛ فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز:

/ أحمِلُ رأساً قد سئمتُ حَمْلَهْ ... وقد مَلِلْتُ دَهْنَه وغسلَهْ

٧/٦

* ألاَ فتًى يحمل عنّي ثِقْلَهْ *

قال: وهم يُفَدّونها بالآباء والأمهات، فما رأيت قبلَها ولا بعدها مثلَها.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِرَاس قال حدّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال:

/ كان عبيدة بن هلال إذا تكافّ الناسُ ناداهم: ليخرجْ إليّ بعضُكم؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر؛ فيقول لهم: أيّما أحبُّ إليكم: أقرأ عليكم القرآن أو أُنشدُكم الشعر؟ فيقولون له: أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك، فأنشدْنا؛ فيقول لهم: يا فَسَقةُ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعرَ على القرآن، ثم لا يزال يُنْشِدهم ويستنشدهم حتى يَمَلّوا ثم يفترقون.

١٥١/٦٦

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فقال إن أردتم...» وظاهر أن كلمة «إن» مقحمة.

[٦/١٥٢]

/ أخبار سياط ونسبه

أخبار سياط ونسبه وتلامذته وأستاذه:

سِيَاطٌ لقب غلب عليه، واسمُه عبدالله بن وهب، ويُكْنى أبا وهب، مكيّ مولى خُزَاعة. وكانَ مقدَّماً في الغناء روايةً وصنعةً، ومقدَّماً في الضرب معدوداً في الضُّرّاب. وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي، وعنه أخذا ونَقَلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم، وأخذه هو عن يونس الكاتب. وكان سياط زوج أمِّ ابن جامع. وفيه يقول بعض الشعراء:

ما سمعتُ الغناءَ إلّا شَجَاني ... مِنْ سياطٍ وزادَ في وَسْواسِي

غَنِّني يا سياطُ قد ذهب اللي ... ـلُ غناءً يَطير منه نُعاسي

ما أُبالي إذا سمعتُ غناءً ... لسياطٍ ما فاتني للرُّؤاسي

والرؤاسيّ الذي عَنَاه هو عباس بن مِنْقار، وهو من بني رُؤاس. وفيه يقول محمد بن أَبَان الضَّبِّيّ:

إذا واخيتَ عبّاساً ... فكُن منه على وَجْلِ[1]

فتًى لا يقبل العذرَ ... ولا يرغب في الوصلِ

وما[2] إن يتغنّى مَنْ ... يُوَاخيه من النُّبْلِ

سبب تلقيبه بسياط:

قال حَمّاد بن إسحاق: لقّب سِيَاطٌ هذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يتغنّى:

كأنّ مَزَاحِفَ الحيّاتِ فيه ... قُبَيْلَ الصبح آثارُ السِّيَاطِ

[٦/١٥٣] / **مدح إبراهيم الموصلي غناءه:**

وأخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني هارون بن مخارق[3] عن أبيه، وأخبرني به عبدالله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي[4] عن وسواسة الموصليّ ـ ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة ـ عن حماد عن أبيه، قالا[5]:

(١) كذا في الأصول. والوجل بالتحريك، ولعله سكن لضرورة الشعر، ويحتمل أن يكون صوابه: «على دخل». والدخل بسكون الخاء كالدخل بالتحريك وهو الريبة.

(٢) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «ومن».

(٣) في الأصول: «هارون بن مخالف» وهو تحريف، لأن الذي يروي عنه محمد بن خلف وكيع هو «هارون بن مخارق».

(٤) كذا في حـ، وفي جميع الأصول: «الربعي» وهو تحريف. راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٢٥٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة).

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «قال».

طلبه المهدي مع حبال وعقاب فظن الحاضرون أنه يريد الإيقاع بهم:

غنّى إبراهيمُ الموصليّ يوماً صوتاً لسِيَاط؛ فقال له ابنه إسحاق: لمن هذا الغناء يا أبتِ؟ قال: لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله؛ لسياط. قال: وقال المهديّ يوماً وهو يشرب لسَلّام الأبرش[1]: جئني بسِيَاط وعقاب وحِبال؛ فارتاع كلُّ من حضر وظنّ جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم؛ فجاءه بسياط المغنّي وعقاب المدني ـ وكان الذي يُوقع عليه ـ وحبال الزامر. فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك.

مر بأبي ريحانة المدني وهو في الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقي في البرد:

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو أيوب المدنيّ قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

مرّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رَثّ؛ فوثب إليه / أبو ريحانة وقال: بأبي أنت يا أبا وهب، غنّني صوتك في شعر ابن جُنْدَب[2]: ٨ـ٦

/ فـؤادي رَهيـنٌ فـي هـواك ومهجتـي	تـذوب وأجفـانـي عليـك هُمـولُ [٦/١٥٤]

فغنّاه إياه، فشقّ قميصَه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجَهداً. فقال له رجل: ما أغنى عنك ما غنّاك من شقّ قميصك! فقال له يابن أخي، إن الشعر الحسنَ من المغنّي الحسنِ ذي الصوتِ المُطْرِب أدفأ للمقرور من حَمّام مُحمّى. فقال له رجل: أنت عندي من الذين قال الله جل وعزّ: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾؛ فقال: بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. وقد أخبرني بهذا الخبر عليّ بن عبد العزيز[3] عن ابن خُرْداذبه فذكر قريباً من هذا؛ ولفظُ أبي أيوب وخبرُه أتم.

وأخبرني إسماعيل بن يُونس الشِّيعي، المعروف بابن أبي اليَسَع، قال حدّثنا عمر بن شَبّة:

أنّ سِياطاً مَرّ بأبي رَيْحانة المَدَنيّ، فقال له: بحق القبر ومَنْ غَنّني بلَحْنك في شعر ابن جُنْدب:

لكـلّ حَمـامٍ أنـت بـاكٍ إذا بكـى	ودمعُـك منهـلٌّ وقلبـك يخفِـقُ
مخـافـةَ بُعْـدٍ بَعْـدَ قُـربٍ وهجـرةٍ	تكـون ولمّـا تـأتِ والقلـبُ مُشْفِـق
ولـي مهجـةٌ تـرفـضُّ مـن خـوف عَتْبِهـا	وقلـبٌ بنـار الحـبّ يَصْلَـى ويُحْـرَق
أظـلُّ خَليعـاً بيـن أهلـي متيَّمـاً	وقلبـي لِمـا يـرجـوه منهـا معلَّـق

فغنّاه إياه؛ فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشِي عليه. فقال له رجل لمّا أفاق: يا أبا ريحانة، ما أغنى عنك الغناء! ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ ما تقدّم.

---

(١) كذا في حـ و «الطبري» في أكثر من موضع وفيما مر في جميع الأصول في الجزء الخامس. وهو سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية في أيام البرامكة، وهو أحد الذين ترجموا كتاب السماع الطبيعي لأرسطو المعروف بسماع الكيان، وهو ثماني مقالات. وقد ترجم هذا الكتاب من اليوناني إلى السرياني ومنها إلى العربي، ومن الرومي إلى العربي، ولم ندر اللغة التي ترجمه منها إلى اللغة العربية أهي السريانية أم الرومية. (راجع «فهرست ابن النديم» و «تاريخ الحكماء» للقفطي و «كشف الظنون»). وفي سائر الأصول هنا: «سلام بن الأبرش»، وهو تحريف.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «في شعر ابن جندب قال... إلخ». والظاهر أن كلمة «قال» مقحمة من الناسخ.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «علي بن عبد العزيز بن خرداذبه» وهو تحريف؛ لأن ابن خرداذبه هو عُبيد الله بن عبدالله. وقد سبقت رواية علي بن عبد العزيز عنه.

[٦/١٥٥] / **سمع أبو ريحانة جارية تغني فشق قربتها واشترى لها عوضها:**

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عمر بن شبّة قال:

مرّت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قِربةٌ وهي تغنّي وتقول:

وأبكي فلا ليلَى بكتْ من صبابةٍ ... إليّ ولا ليلَى لذي الودّ تبذُلُ

وأخنع بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنِباً ... وإن أذنبتْ كنتُ الذي أتنصّل

فقام إليها فقال: يا سيّدتي أعيدي؛ فقالت: مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري؛ فقال: أنا أحملها عنك؛ فدفعتها إليه فحملها، وغنته الصوت، فطرب فرمى بالقربة فشقّها. فقالت له الجارية: أمن حقّي أن أغنّيَك وتشق قربتي! فقال لها: لا عليك، تعالَيْ معي إلى السّوق؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفتَه واشترى لها بثمنها قربةً جديدة. فقال له رجل: يا أبا ريحانة، أنت والله كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾؛ فقال: بل أنا كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

مر بأبي ريحانة المدني وهو في الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقي في البرد:

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكبيّ قال حدّثني أبو العَيْناء قال قال إسحاق الموصليّ:

بلغني أنّ أبا رَيْحانة المدنيّ كان جالساً في يومٍ شديد البرد وعليه قميص خَلَق رَقيق؛ فمرّ به سِيَاط المغنّي فوثب إليه وأخذ بلِجامه وقال له: يا سيِّدي، بحق القبر ومَنْ فيه غنّني صوتَ ابن جُنْدب، فغنّاه[1]:

فـؤادي رهينٌ في هَواك ومُهجتي ... تَـذُوب وأجفاني عليك هُمول

/ فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقي عارياً وغُشي عليه، واجتمع الناسُ حولَه وسِيَاطٌ واقفٌ / متعجّب مما فعل. ثم أفاق وقام إليه؛ فرحمه سِياط وقال له: مالك يا مشئوم؟ أيَّ شيء تريد؟ قال: غنّني بالله عليك: [٦/١٥٦]

وَدِّعْ أُمامةَ حان منكَ رَحِيلُ ... إنّ الوداع لمن تحبّ قليلُ

مثلُ القَضيب تمايلتْ أعطافُه ... فالريح تجذِب مَتْنَه فيَميل

إنْ كان شأنُكم الدلال فإنه ... حَسَنٌ دلالُكِ يا أُميمَ جَميل

فغنّاه إياه؛ فلطَم وجهَه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً. ومضى سياط، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس. فلما أفاق قيل له: ويحك! خرقتَ قميصَك وليس لك غيره! فقال: دعوني، فإن الغناء الحسن من المغنّي المطرب أدفأ للمقرور من حَمّام المهديّ إذا أُوقِد سبعةَ أيام. قال: ووجّه له سِيَاط بقميص وجُبّة وسَراوِيلَ وعِمامة.

زاره إبراهيم الموصلي وابن جامع في مرضه فأوصى بالمحافظة على غنائه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني محمد بن عبدالله الخُزَاعيّ وحَمّاد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال:

كان سياطٌ أستاذَ أبي وأستاذَ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر. فاعتلّ علةً، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه. فقال له أبي: أعْزِزْ عليّ بعلتك أبا وهب! ولو كانت مما يُفتدى لفديتُك منها. قال: كيف كنتُ لكم؟ قلنا: نِعْم

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فغناه وقال... إلخ». والظاهر أن كلمة «وقال» مقحمة من الناسخ.

الأستاذ والسيِّد. قال: قد غنّيتُ لنفسي ستين صوتاً فأُحبّ ألاّ تغيّروها ولا تنتحلوها. فقال له أبي: أفعلُ ذلك يا أبا وهب، ولكن أيَّ ذلك كرهتَ: أن يكون في غنائك فضلٌ فأقصّر عنه فيُعْرَف فضلُك عليّ فيه، أو أن يكون فيه نقصٌ فأُحسنه فيُنسب إحساني إليك ويأخذه الناس عني لك؟ [قال][1]: لقد استعفيتَ من غير مكروه. قال الخزاعيّ / في [١٥٧/٦] خبره: ثم قال لي إسحاق: كان سياط خُزَاعيًا، وكان له زامر يقال له حِبال، وضارب يقال له عقاب. قال حماد قال أبي: أدركت أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناء، سِيَاطٌ أحدُهم. قال: وكان موتهُ في أوّل أيام موسى الهادي.

زاره ابن جامع في مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غنائه:

أخبرني يحيى قال حدّثنا أبو أيوب عن مصعَب قال:

دخل ابن جامع على سِيَاط وقد نزل به الموت؛ فقال له: ألك حاجة؟ فقال: نعم، لا تَزِد في غنائي شيئاً ولا تنقُص منه، دعه رأساً برأس، فإنما هو ثمانيةَ عشرَ صوتاً.

دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة:

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال حدّثني محمد بن حَديد أخو النَّضْر بن حديد:

أن إخواناً لسياط دعَوْه، فأقام عندهم وبات[2]، فأصبحوا فوجدوه ميّتاً في منزلهم، فجاءوا إلى أُمّه وقالوا: يا هذه، إنّا دعونا ابنَك لنُكرمه ونُسَرَّ به ونأنسَ بقربه فمات فجأة، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئتِ؛ ونَشَدْناكِ اللّهَ ألاّ تعرّضينا للسلطان أو تَدّعي فيه علينا ما لم نفعله. فقالت: ما كنتُ لأفعل، وقد صَدَقتم، وهكذا مات أبوه فجأة. قال: فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته. وقد ذُكرت هذه القصةُ بعينها في وفاة نُبَيْه المغنّي، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى.

غنى أحمد بن المكي إبراهيم بن المهدي صوتاً له فاستحسنه:

أخبرنا يحيى بن عليّ وعيسى بن الحسين الزيات[3] ـ واللفظ له ـ قالا حدّثنا أبو أيوب قال حدّثنا أحمد بن المَكّيّ قال:

[١٥٨/٦] / «غَنّيتُ إبراهيمَ بن المهديّ لسياط:

* ضافَ قلبي الهوى فأكْثر سَهْوِي *

فاستحسنه جدًا، وقال لي: ممن أخذتَه؟ قلت: من جارية أبيك قُرَشِيَّةَ الزّبّاء؛ فقال: أشعرتُ أنه / كان لأبي ثلاثُ جوارٍ مُحسنات كلُّهن تسمّى قرشيّة، منهن قرشيّة الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء، وكانت الزباء أحسنَهن غناء ـ يعني التي أخذتُ منها هذا الصوت ـ قال: وكنت أسمعها كثيراً تقول: قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدت أغانيَهم، فما رأيت فيهم مثلَ سِياط قطُّ. هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة.

(١) زيادة عن حـ.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ومات».

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «عيسى بن الحسين» (بسقوط كلمة: الزيات). ولم نجد في المراجع التي بين أيدينا ولا فيما تقدّم من «الأغاني» شيخاً روى عنه أبوالفرج اسمه: «عيسى بن الحسين الزيات». ولكن الذي سبقت رواية أبي الفرج عنه في أكثر من موضع هو: «عيسى بن الحسين الورّاق».

نسبة هذا الصوت

صوت

ضاف قلبي الهوى فأكثر سَهْوِي ... وجَوَى الحبّ مُفظِعٌ غيرُ حُلْوِ

لو علا بعضُ ما علاني ثَبِيراً(١) ... ظلّ ضَعْفاً ثبيرُ من ذاك يَهْوِي

من يكن من هوى الغواني خَلِيًّا ... يا ثِقاتي فإنني غيرُ خِلْوِ

الغناء لسيّاط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق.

صوت

من المائة المختارة

يا أمّ عمرو لقد طالبتُ ودّكُم ... جُهدي وأعذرتُ فيه كلّ إعذارِ

حتى سَقِمتُ، وقد أصبحتِ سالمةً، ... مما أُعالج من همٍّ وتَذكارِ

[٦/١٥٩] / لم يُسَمَّ قائلُ هذا الشعر. والغناء للرّطّاب. والرّطّاب مدنيّ قليل الصنعة ليس بمشهور. وقيل له الرطّاب لأنه كان يبيع الرُّطَب بالمدينة. ولحنهُ المختار هزجٌ بالوسطى.

صوت

من المائة المختارة

تَصَدّع الأنَسُ(٢) الجميعُ ... أمسى فقلبي به صُدوعُ

في إثرهم وجفونُ عيني ... مُخْضَلّةٌ كلها(٣) دُموعُ

لم يُسمّ لنا قائل هذا الشعر ولا عرَفْناه. والغناء لدُكَين بن يزيد الكُوفي. ولحنه المختار من(٤) خفيف الثقيل بالوسطى، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق. وذكر هذا الصوت في مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دكين، وجنّسه في الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر، فزعم أنه ينسب إلى مَعْبد وإلى الغَرِيض. وفيه بيتان آخران وهما:

فالقلبُ إن سِيمَ عنك صبراً ... كُلِّف ما ليس يستطيعُ

عاصٍ لمن لام في هواكم ... وهْوَ لكم سامعٌ مطيعُ

---

(١) ثبر (بفتح أوله وكسر ثانيه بعده ياء وراء مهملة): جبل معروف بمكة من ناحية الشرق في طريق منى، وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة في عطف وادي إبراهيم عليه السلام من يسار المارّ إلى منى، وعرف برجل من هذيل، مات فدفن به فعرف به الجبل، ويرى من منى والمزدلفة.

(٢) الأنس (بالتحريك): الحي المقيمون.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «طلها».

(٤) في حـ: «من الثقيل... إلخ».

صوت

من المائة المختارة

يـــأيهـــا الـــرجـــلُ الـــذي قـــد زان منطقَـــه البيـــانُ
لا تَعتِبـــنّ علـــى الـــزمـــا ن فليـــس يُعْتِبـــك الـــزمـــانُ

[٦/ ١٦٠] / الشعر لعبدالله بن هارون العَرُوضيّ. والغناء لنُبيه المُغَنّي، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر.

فأمّا عبدالله بن هارون فما أعلم أنه وقع إليّ له خبرٌ إلا ما شُهر من حاله في نفسه. وهو عبدالله بن هارون بن السَّمَيْدع، مولى قريش، من أهل البصرة. وأخذ العروضَ من الخليل ابن أحمد، فكان مقدَّماً فيه. وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدّب أولادَهم، وكان يمدحهم كثيراً، فأكثرُ شعره فيهم. وهو مُقِلّ جدًا. وكان يقول أوزاناً من العروض غريبةً في شعره، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضيّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة، وجعل أكثرَ شعره من هذا الجنس. فأمّا عبدالله بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرتُه.



[٦/١٦١]

/ ذكر نُبيه وأخباره

نسبه وأصله وشعره وسبب تعلمه الغناء:

زعم ابن خُرْدَاذْبه أنه رجل من بني تَمِيم صَلِيبيةٌ، وأن أصلَه من الكوفة، وأنه كان في أوّل أمره شاعراً لا يغنّي، ويقول شعراً صالحاً. فهوِيَ قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها؛ ولم يزل يتزيَّد حتى جاد غناؤه وصنَع فأحسن واشتهر، ودُوِّن غناؤه وعُدّ في المُحسِنين. فمما قاله في هذه الجارية وغَنَّى فيه قولُه:

صـوت

يـا ربّ إنـي مـا جفـوتُ وقـد جفـتْ ... فـإليـك أشكـو ذاك يـا ربّـاهْ

مـولاةُ سَـوْءٍ مـا تَـرِقُّ لعبـدهـا ... نِعْـم الغـلامُ وبئسـت المـولاه

يـا ربّ إن كـانـت حيـاتـي هكـذا ... ضـرراً علـيّ فمـا أريـد حيـاه

الغناء لنُبَيه ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. ومن الناس من ينسبُ الشعر والغناء إلى عُلَيّة بنت المهديّ.

سمع مخارق مدح إبراهيم الموصلي لغنائه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

قلت[١] لمخارق، وقد غنّى هذا الصوت يوماً:

متـى تجمـع القلـبَ الـذكـيّ وصـارمـاً ... وأنفـاً حَمِيًّـا تَجْتنِبْـك المظـالـمُ[٢]

[٦/١٦٢] فسألته لمن هو؛ فقال: هذا لنُبَيه التَّميمي؛ وكان له أخوان يقال لهما مُنبِّه ونَبْهان، / وكان ينزل شَهَارْ سُوج[٣] الهَيْثم في درب الرَّيْحان. قال أبو زيد: وسمعتُ مخارقاً يحدِّث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن مَيْمون يقول ـ وقد ذكر نُبَيْهاً ـ: إن عاش هذا الغلام ذهب خبرُنا[٤]. قال: وكنت قد غنّيته صوتاً أخذته[٥] عنه، وهو:

شكـوتُ إلـى قلبـي الفـراقَ فقـال لـي ... مِـن الآن فـايْـأس لا أغُـرّك بـالصبـرِ

(١) في جميع الأصول: «قال لي مخارق». وهو غير مستقيم مع سياق الكلام.

(٢) هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشاعر، قالها لما استرد إبله وخيله من حريم الهمداني وكان قد أغار عليها وأخذها. (راجع أخباره ج ٢١ ص ١٧٥ ـ ١٧٦ من «الأغاني» طبع ليدن).

(٣) شهار سوج الهيثم: كانت محلة من محال بغداد في قبلة الحربية. والهيثم الذي أضيفت إليه هو ابن معاوية من القواد الخراسانية.

(٤) في حـ: «خيرنا» (بالياء المثناة).

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أجدته عنه» بالجيم.

إذا صَـدَّ مَـنْ أهْـوَى وأسلمنـي العـزا ... ففُـرْقـة مـن أهـوى أحـرُّ مـن الجمـر

كان مع علي بن المفضل عند عبيد الله بن أبي غسان فأكل لحم غزال ومات:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدّثني ابن أبي سعد[1] عن محمد بن عبدالله بن مالك قال حدّثني عليّ بن المفضّل قال:

اصطبحنا يوماً أنا ونُبَيْه عند عُبيد الله بن أبي غسّان، فغنّانا نُبيه لحنَه:

يـا أيهـا الـرجـل الـذي ... قـد زان منطقَـه البيـانُ

/ فما سمعت أحسنَ منه، وكان صوتُنا عليه بقيةَ يومنا. ثم أردنا الانصراف، فسألَنا عُبيد الله أن نَبيتَ عنده ونصطبح من غد فأجبناه. وقال لنُبَيْه: أيَّ شيء تشتهي أن يُصلَح لك؟ قال: تشتري لي غزالاً فتُطعمني كبدَه كَباباً، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب؛ فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أَحبّ. فلما استوفى أكْلَه استلقى لينام، فحرّكناه فإذا هو ميت، فجزِعْنا من ذلك. وبعث عُبيدُ الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رأته استرجَعَتْ[2] ثم قالت: لا بأس عليكم! هو / رابع أربعة ولدتُهم كانت هذه مِيتتَهم جميعاً ومِيتةَ أبيهم من قبلهم؛ فسكنّا إلى ذلك. وغُسّل في دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلّي عليه، ومضينا به إلى مقابرهم فدُفن هناك.

١٢/٦ [٦/١٦٣]



صوت

من المائة المختارة

وقفتُ على رَبْعٍ لسُعْدَى وعَبْرتي ... تَرَقْرَقُ في العينين ثم تَسِيلُ
أسائل ربعاً قد تعفّتْ رسومُه ... عليه لأصناف الرياح ذُيول[3]

لم يُسمَّ لنا قائل هذا الشعر. والغناء لسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) كذا في حـ، وهو عبدالله بن أبي سعد وقد تقدّمت روايته عن محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي ورواية ابن مهرويه عنه فيما مر من الأجزاء السابقة كثيراً. وفي سائر الأصول: «ابن أبي سعيد» وهو تحريف.

(٢) استرجع في المصيبة: استعاذ وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) كذا في حـ. والذيول من الريح: ما تتركه في الرمل كأثر ذيل مجرور. وفي سائر الأصول: «ذبول» (بالباء الموحدة) وهو تصحيف.

[١٦٤/٦]

/ أخبار سُلَيم

انقطع إلى إبراهيم الموصلي وهو أمرد فأحبه وعلمه:

هو سُلَيم بن سَلاّم الكُوفيّ، ويكنى أبا عبدالله. وكان حسنَ الوجه حسنَ الصوت. وقد انقطع وهو أمردُ إلى إبراهيمَ الموصليّ، فمال إليه وتعشّقه، فعلّمه وناصحه، فبرُع وكثرت روايتُه، وصنع فأجاد. وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه. واتّفق له اتفاقٌ سيء: كان يخدُم الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنِه إسحاق وفُلَيح ابن العَوْراء وحَكَم الواديّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط. وكان من أبخل الناس، فلما مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال؛ فقبضها السلطان عنه.



سأل الرشيد برصوماً عنه وعن أربعة من المغنين فأجابه:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه:

أن إسحاق قال في سُليم:

سُليمُ بنُ سَلاّم على بَرْد خَلْقه أحرُّ غِناءً من حُسينِ بنِ مُحْرِز

وأخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق:

أنّ الرشيد قال لبَرْصُوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقول في ابن جامع؟ قال: زِقٌّ من أسَل (يريد من عسل). قال: فإبراهيم؟ قال: بستان فيه فاكهة وريحان وشوك. قال: فيزيد حَوْراء؟ قال: ما أبْيَدَ أسنانه! (يريد ما أبيض). قال: فَحُسين بن مُحرِز؟ قال: ما أهسن خظامه[١]! (يريد ما أحسن خضابَه). قال: فسُلَيم بن سلاّم؟ قال: ما أنظف ثيابه!.

نصحه برصوما في موضع غناء فضحك الرشيد:

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شَبّة عن إسحاق:

[١٦٥/٦] / وغنّى سُلَيم يوماً وبَرْصُومَا يزمِرُ عليه بين يدي الرشيد، فقصّر سُلَيم في موضع صيحة، فأخرج برصوما النايَ من فيه ثم صاح به وقال له: يا أبا عبدالله، صَيهة[٢] أشدّ من هذا، صيهة[٢] أشدّ من هذا؛ فضحك الرشيد حتى استلقى. قال: وما أذكر أني ضحكت قطُّ أكثر من ذلك اليوم.

---

(١) في حـ: «خضابه».

(٢) كذا في ب، س.

كان يجيد الأهزاج فغنى الرشيد فوصله:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعَب: إنما أخّر سُليماً عن أصحابه في الصنعة وَلَعُه بالأهزاج، فإن ثُلُثَيَ / صنعته هَزَج، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم. قال: ثم قال محمد: غنَّى سُلَيم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثة أصواتٍ من الهَزَج وِلاءً، أوّلها:

* مُتْ على من غبتَ عنه أسَفًا *

والثاني:

* أسرفتَ في الإعراض والهَجْر *

والثالث:

* أصبح قلبي به نُدوبُ *

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال [له][1]: لو كنت الحكَمَ الواديّ ما زِدْتَ على هذا الإحسان في أهزاجك. (يعني أنّ الحكم كان منفرداً بالهزج).

نسبة هذه الأصوات

صوت

مُتْ على من غبتَ عنه أسفًا ... لستَ منه بمُصيبٍ خَلَفَا
لن تَرَى قُرةَ عينٍ أبداً ... أو ترى نحوَهمُ مُنْصَرفَا
/ قلتُ لمّا شفَّني وجدي بهم ... حَسْبِيَ اللّهُ لِمَا بي وكفَى [١٦٦/٦]
بيّن الدمعُ لمن أبصرني ... ما تضمّنتُ إذا ما ذَرَفَا

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لسُلَيم، وله فيه لحنان، أحدهما في الأوّل والثاني هَزَج بالوسطى، والآخر في الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق. وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

أسرفتَ في الإعراض والهجرِ ... وجُزتَ حدّ التِّيه والكِبرِ
الهجرُ والإعراض من ذي الهوى ... سُلَّمُ ذي الغدر إلى الغدر
مالي وللهِجْران حَسْبي الذي ... مرّ على رأسي من الهجر
ودون ما جَرّبتُ فيما مضى ... ما عرّف الخيرَ من الشر

الغناء لسُلَيم هزج بالبنصر.

ومنها:

(١) زيادة عن حـ.

صوت

أصبح قلبي به ندوب أندبه الشادنُ الربيبُ
تمادياً منه في التصابي وقد علا رأسيَ المَشيب
أظنني ذائقاً حِمامي وأنّ إلمامَه قريب
إذا فؤادٌ شجاه حبٌّ فقلّما ينفع الطبيب

الشعر لأبي نُوَاس. والغناء لسُليم، وله فيه لحنان: خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق، وهزج بالوسطى عن الهشاميّ. وزعَمتْ بَذْلُ أنّ الهزج لها.

[١٦٧/٦] / كان أبوه من دعاة أبي مسلم:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه قال:

كان سُليم بن سَلاّم كوفيًا، وكان أبوه من أصحاب أبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاتِه وثِقاته، فكان يكاتب أهلَ العراق على يده. وكان سُليم حسنَ الصوت جَهيرَه، وكان بخيلاً.

دعا صديقين ولما جاءا اشتريا طعاماً فأكل معهما:

قال أحمد بن أبي طاهر وحدّثني أبو الحواجب الأنصاريّ، واسمه محمد، قال:

١٤/٦ قال لي سُلَيم يوماً: امض إلى موسى بن إسحاق / الأزرق فادعُه وَوافِياني مع الظهر؛ فجئناه مع الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنة ونبيذاً، ولم يُطعمنا شيئاً، ولم نكن أكلنا شيئاً. فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل؛ فدخل علينا، فلما رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال: أهكذا يفعل الناس! تأكلون ولا تُطعمونني! وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فَنِي الخبز والبيض.

طلب من محمد اليزيدي نظم شعر يغني به الخليفة ففعل:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الفضل بن محمد اليزيديّ قال حدّثني أبي قال:

كان سُلَيم بن سَلاّم صديقي وكان كثيراً ما يغشاني. فجاءني يوماً وأعلمني الغلامُ بمجيئه، فأمرتُ بإدخاله، فدخل وقال: قد جئتك في حاجة؛ فقلت: مقضيّة. فقال: إنّ المِهْرجان بعد غد، وقد أُمرنا بحضور مجلس الخليفة، وأريد أن أغنيّه لحناً أصنعه في شعر لم يعرفه هو ولا مَنْ بحضرته، فقُلْ أبياتاً أُغنّي فيها مِلاحاً؛ فقلت: على أن تُقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن؛ قال: أفعل. فردّوا دابّته وأقام عندي، وقلت:

[١٦٨/٦] / صوت

أتيتُك عائذاً بك منـ ـك لمّا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرني هواك وبي لِحَيْني يُضرب المثل
فإن سَلِمتْ لكم نفسي فما لاقيتُه جَلَل
وإنْ قَتل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجل

فغنّى فيه وشرِبنا يومئذ عليه، وغنّانا عدةَ أصوات من غنائه، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذ.

سرق محمد اليزيدي معنيين من شعر مسلم بن الوليد:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني عبدالله[1] بن محمد اليزيديّ قال حدّثني أخي محمد قال:

سمعت أبي يقول: ما سَرَقت من الشعر قطُّ إلا معنيين: قال[2] مسلم بن الوليد:

ذاك ظبيٌ تحيَّر[3] الحسنُ في الأر ... كان منه وجال كلَّ مكانِ

ض فمن أجل ذاك ...

عرضتْ دونَه الحجالُ فما يَلْـ ... ـقاك إلا في النوم أو في الأماني

فاستعرت[4] معناه فقلت:

صوت

يا بعيدَ الدار موصو ... لاً بقلبي ولساني[5]

ربّما باعَدَك الدهـ ... ـرُ فأدنتك الأماني

ـ الغناء في هذين البيتين لسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشاميّ ـ.

[١٩/٦] / قال: وقال مسلم أيضاً:

متى ما تسمعي بقتيلِ أرضٍ ... فإنّي ذلك الرجل القتيلُ

ـ ويُروى: «أصيبَ فإنني ذاك القتيل» ـ فقلت:

أتيتُك عائذاً بك مِنْـ ... ـك لمّا ضاقت الحِيَلُ

وصيّرني هواك وبي ... لَحَيني يُضرب المثلُ

/ فإن سَلِمتْ لكم نفسي ... فما لاقيتُه جَلَلُ

وإن[6] قَتَل الهوى رجلاً ... فإنّي ذلك الرجلُ

فد ٦

غنى مخارقاً صوتاً، فلما بلغ ابن المهدي طلبه وغناه إياه:

وجدت في كتاب عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل، ولم أسمعه من أحد:

أن إبراهيمَ بن المهديّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده ـ قال حمدون: وكنت فيهم ـ وكان فيمن دعا

---

(١) الظاهر أنه: «عُبيد الله» لا: «عبدالله»، وهو أخو الفضل والعباس ولدي محمد اليزيدي.
(٢) في الأصول: «قول»، وهو لا يلتئم مع سياق الكلام الآتي.
(٣) في ب، س: «تخير» (بالخاء المعجمة) وهو تصحيف.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فاستعرضت».
(٥) نسبت هذه الأبيات في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج ٢ ص ٣٤٤ طبع مصر) ليحيى بن المبارك اليزيدي المقرىء النحوي اللغوي صاحب أبي عمرو بن العلاء وهو والد محمد اليزيدي المنسوب إليه الشعر هنا.
(٦) كذا في حـ. وفي سائر الأصول هنا: «فإن».

مُخَارِق، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيه لطعام ولا لشراب، فاغتمّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع؛ فقال: لا والله أيها الأمير، ما كان آفتِي إلا سُلَيم بن سلّام؛ فإنه مرّ بي فدخل عليّ فغنّاني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السَّحَر حتى لم يبق فيّ فضلٌ وأخذتُه. فقال له إبراهيم: فغَنِّناه إملالاً[1]، فغنّاه:

صوت

إذا كنتَ نَدْمانِي فباكِرْ مُدامةً ... معتقةً زُفّت إلى غير خاطبِ

إذا عُتِّقَت في دَنِّها العامَ أقبلت ... تَردّى[2] رداءَ الحسن في عين شارب

[١٧٠/٦] / ـ الغناء لسُليم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ـ قال فبعث إبراهيم إلى سُليم فأحضره، فغنّاه إياه وطرَحه على جواريه وأمر له بجائزة، وشربنا عليه بقيّةَ يومنا حتى صِرْنا في حالة مُخارق وصار في مثل أحوالنا.

صوت

من المائة المختارة

عَتَقَ الفؤادُ من الصِّبا ... ومن السَّفاهة والعلاقِ

وحَطَطْتُ رحلي عن قَلو ... ص الحبّ في قُلُصٍ عِتاقِ[3]

ورفعتُ فضلَ إزاريَ الـ ... ـمجرور عن قدمي وساقي

وكففتُ غربَ النفس حتـ ... ـى ما تَتُوق إلى مَتاق

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر. والغناء لابن عَبّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لغيره، بل قيل: إنه لعمرو.

(١) يريد: غنتا إياه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص.

(٢) تردى فلان: لبس الرداء.

(٣) في ب، س: «العتاق».

/ أخبار ابن عبّاد [٦/ ١]

نسبه وكنيته وصناعته:

هو محمد بن عَبّاد، مولى بني مخزوم، وقيل: إنه مولى بني جُمَح، ويُكْنَى أبا جعفر. مَكّيّ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم. وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخَذ عنه الغناء، مُتقِن الصنعة كثيرُها. وكان أبوه من كتّاب الديوان بمكة؛ فلذلك قيل ابنُ عبّاد الكاتب.

قابله مالك وطلب منه الغناء ففعل فذمه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفحص الثَّقَفي عن أبي خالد الكِنانيّ عن ابن عبّاد الكاتب قال:

والله إني لأمشي بأعلى مكة في الشِّعْب[١]، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان[٢] من أهل المدينة، فظننتُ أنهم قالوا له: هذا ابن عبّاد؛ فمال إليّ فمِلتُ إليه؛ فقال لي: أنت ابن عبّاد؟ قلت: / نعم؛ قال: مِلْ معي هاهنا، [١٦/ ٦] ففعلت؛ فأدخلني شعبَ ابن عامر ثم أدخلني دِهليز ابن عامر وقال: غنِّني؛ فقلت: أغنِّيك هكذا وأنت مالِك! ـ وقد كان يبلغني أنه يثلِب أهلَ مكة ويتعصّب عليهم ـ فقال: بالله إلا غَنَّيْتَني صوتاً من صنعتك. فاندفعت فغنّيته:

صوت

ألاَ يا صاحبيّ قِفَا قليلاً ... على رَبع تقادمَ بالمُنيفِ[٣]

فأمستْ دارهم[٤] شَحِطَت وبانت[٥] ... وأضحى القلبُ يخفِقُ ذا وجيف

/ وما غنّيته إياه إلا على احتشام. فلما فرغتُ نظر إليّ وقال لي: قد والله أحسنتَ! ولكنّ حَلْقكَ كأنه حلقُ [٦/ ٧٢] زانية. فقلت: أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ. وهذا اللحن من صدور غناء ابن عباد. ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «في الشعر».

(٢) في حـ: «فتيان من أهل المدينة فما ظننت إلا أنهما قالا له».

(٣) المنيف: موضع قبل عمق (بفتح أوله وإسكان ثانيه: ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز) وقيل: المنيف: حصن في جبل صبر (ككتف) من أعمال تعز (بالفتح ثم الكسر والزاي مشددة) باليمن. وهناك منيف لحج أيضاً وهو حصن قرب عدن.

(٤) في حـ: «دورهم».

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وناءت».

وفاته ببغداد:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيّوب المَديني قال حدّثني جماعة من أهل العلم:

أنّ ابنَ عبّاد الكاتب توُفّي ببغداد في الدولة العباسية ودُفن بباب[١] حرب. وقال أبو أيوب: أظنه فيمن قدِم من مُغنّي الحجار على المهديّ.

صوت

من المائة المختارة

يـــا طلـــلاً غَيّـــره بَعـــدِي ... صـــوبُ رَبيـــع صـــادق الـــرعـــدِ

أراكَ بعـــد الأُنـــس ذا[٢] وَحْشَـــةٍ ... لســـتَ كمـــا كنـــتَ علـــى العهـــد

مـــالـــي أبُكّـــي طلـــلاً كلمـــا ... ســـاءلتُـــه عَـــيَّ عـــن الـــردُّ

كـــان بـــه ذو غُنُـــج[٣] أهْيَـــفٌ ... أحْـــورُ مطبـــوعٌ علـــى الصَّـــدّ

لم يُسمِّ أبو أحمد[٤] قائلَ هذا الشعر. والغناء ليحيى المكيّ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى.



(١) باب حرب: موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبدالله البلخي أحد قواد أبي جعفر المنصور وكان يتولى شرطة بغداد. وفي مقبرة باب حرب قبر أحمد بن حنبل وبشر الحافي وأبي بكر الخطيب ومن لا يحصى من العلماء والعباد والصالحين وأعلام المسلمين.

(٢) في حـ: «في وحشة».

(٣) الغنج: التكسر والتدلل.

(٤) أبو أحمد هو يحيى بن علي بن يحيى المنجم.

/ أخبار يحيى المكي ونسبه

[١٧٣/٦]

اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبني أمية لخدمته الخلفاء من بني العباس:

هو يحيى بن مرزوق، مولى بني أمية، وكان يَكْتُم ذلك لخدمته الخلفاءَ من بني العباس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه؛ فإذا سُئل عن وَلائه انتمى إلى قريش ولم يَذْكر البطن الذي ولاؤه لهم[١]، واستعفَى مَن سأله عن ذلك. ويُكنى يحيى أبا عثمان. وذكر ابن خُرْداذْبَهْ أنه مولى خُزَاعة. وليس قولُه مما يحصَّل، لأنه لا يَعتمد فيه على رواية ولا دِرَاية.

أخبرني عبدالله بن الرَّبيع أبو بكر الرُّبيعي صديقنا رحمه الله قال حدّثني وَسْواسة بن الموصليّ ـ وقد لقيتُ وسواسة هذا، وهو أحمد بن[٢] إسماعيل بن إبراهيم وكان معلّماً، ولم أسمع هذا منه فكتبتُه وأشياءَ أُخَر عن أبي بكر رحمه الله ـ قال حدّثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبي:

سألت يحيى المكيّ عن ولائه، فانتمى إلى قريش؛ فاستزدتُه في الشَّرح فسألني أن أُعفيَه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا[٣] حدّثنا أبو أيوب المديني قال:

كان يحيى المكي يُكنَى أبا عثمان، وهو مولى بني أُمَيّة، وكان يكتم ذلك ويقول: أنا مولى قريش.

مدحه أبان اللاحقي وعارض الأعشى في مدح دحمان:

ولما قال أعشى بني سُلَيم يمدح دَحْمان:

/ كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم ... لمّا انبرى لهمُ دَحْمان خِصيانَا

/ فأبلِغوه عن الأعشى مقالَته ... أعشى سُلَيم أبي عمرو سُليمانا

[١٧/٦] [١٧٤/٦]

قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبته ... يا ليت دحمانَ قبل الموت غنّانا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ ـ ويقال إن ابنه حَمْدان بن أبان قالها. والأشبه عندي أنها لأبان، وما أظنّ ابنه[٤] أدرك يحيى ـ:

يا مَنْ يُفضّل دحماناً ويمدحه[٥] ... على المغنّين طُرّاً قلتَ بهتانَا

(١) في أ، ي، م: «له».
(٢) راجع الحاشية ـ رقم ١ ص ١٥٤ من الجزء الخامس من «الأغاني» من هذه الطبعة.
(٣) في ب، س: «قال». وهو تحريف.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أنه»، وهو تحريف.
(٥) في حـ: «يمدحنه».

لو كنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به ... لم تمتدح أبداً ما عشتَ إنسانا
ولم تقل سَفَهاً في[1] مُنيةٍ[2] عَرَضتْ ... يا ليت دحمانَ قبل الموت غنّانا
لقد عجِبتُ لدحمانٍ ومادحِه ... لا كان مادحُ دحمانٍ ولا كانا
ما كان كابن صغير العين إذ جريا ... بل قام في غاية المجرى وما دانى
بذّ الجيادَ أبو بكر وصيّرها ... من بعد ما قَرِحتْ جُذْعاً وثُنيانا[3]

يعني بأبي بكر ابنَ صغير العين، وهو من مغنّي مكة. وله أخبار[4] تُذكر في موضعها إن شاء الله تعالى.

منزلته في الغناء وتلاميذه:

وعُمّر يحيى المكي مائةً وعشرين سنة، وأصاب بالغناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل. وكان قدِم مع الحجازيين الذين قدموا على المهديّ في أوّل خلافته، فخرج أكثرُهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده / يُخدِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا. وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي، [٦/١٧٥] وكان يغنّي مرتجِلاً، ويحضُر مجلس المعتمد مع المغنين فيُوقع بقضيب على دواة. ولَقِيَه جماعة من أصحابنا، وأخذ عنه جماعة ممنْ أدركنا[5] من عجائز المغنيّات، منهم قمرية العَمْريّة، وكانت أمَّ ولد عمرو بن بانة. وممن أدركه من أصحابنا جَحْظة، وكتبنا عنه عن ابن المكي هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله. وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفُلَيح يفزَعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه، ويعايي[6] بعضُهم بعضاً بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا[7] منها ووفّروا نصيبَه. وله صنعة عجيبة نادرة متقدّمة. وله كتاب في الأغاني ونِسَبها وأخبارها [وأجناسها][8] كبيرٌ جليل مشهور، إلا أنه كان كالمطَّرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته. والعملُ على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحّح كثيراً مما أفسده أبوه، وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه، وحقّق ما نسبه من الأغاني إلى صانعه. وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت.

عمل كتاباً في الأغاني وأهداه لعبدالله بن طاهر فصححه ابنه لمحمد بن عبدالله:

أخبرني عبدالله بن الرّبيع قال حدّثني وَسْواسة بن الموصلي قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال:

عمِل جدّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبدالله بن طاهر، وهو يومئذ شابّ حديث السن، فاستحسنه وسُرّ به؛

---

(١) في أ، ء، م: «من».
(٢) المنية (بالضم وتكسر): البغية وما يتمنى.
(٣) قرح الفرس: صار قارحاً. والقارح من ذي الحافر: الذي شق نابه وطلع، وهو بمنزلة البازل من الإبل، وذلك في الخامسة من سنه. والجذع (بضمتين وسكن لضرورة الشعر): جمع جذع (بالتحريك) وهو ما كان في الثانية من سنه. والثنيان (بالضم): جمع ثنى وهو ما كان في الثالثة من سنه.
(٤) لم نجد لأبي بكر هذا أخباراً في «الأغاني» المطبوع في بولاق. فلعل المؤلف أنسى أن يذكره، أو ذكره وسقط من الكتاب.
(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ممن دركناه».
(٦) كذا في أكثر الأصول. وعايا فلان فلاناً معاياة: ألقى إليه كلاماً أو عملاً لا يهتدي لوجهه. وفي ب، س: «يعاني». وهو تصحيف.
(٧) في ب: «أخذوه» وقد صححها المرحوم الشنقيطي في نسخته فجعلها: «أحذوه» (بالحاء المهملة). وأحذاه من الغنيمة: أعطاه.
(٨) زيادة عن أ، ء، م.

ثم عرَضه على إسحاق فعرّفه عواراً[(١)] كثيراً / في نِسَبه، لأن جدّي كان لا يصحّح لأحد نسبه صوت البتّة، وينسُب [٦/١٧٦] صنعته إلى المتقدمين، وينحل بعضهم صنعة بعض ضنًّا بذلك على غيره، فسقط من عين عبدالله وبقي في خِزانته؛ ثم وقع إلى محمد بن عبدالله، فدعا أبي، وكان إليه محسناً وعليه مُفْضِلاً، فعرَضه عليه؛ فقال له: إن في هذه[(٢)] النَّسب تخليطاً كثيراً، خلّطها / أبي لضنه بهذا الشأن على الناس، ولكني أعمل لك كتاباً أصحح هذا وغيرَه فيه. فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم. وصحّح له الكتاب الأوّل أيضاً فهو في أيدي الناس. قال وَسْواسة: وحدّثني حمّاد أن أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكيّ تقديماً كثيراً ويفضّله[(٣)] ويناضل[(٤)] أباه وابنَ جامع فيه، ويقول: ليس يخلو يحيى فيما يَرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحدٌ منكم من أحد أمرين: إمّا أن يكون مُحقًّا [فيه][(٥)] كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين، كما تقولون، فهو أفضل [له][(٥)] وأوضح لتقدّمه عليكم. قال: وكان أبي يقول: لولا ما أفسد به يحيى المكي نفسَه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدّمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلّة ثَباته على ما يَحكيه من ذلك، لما تقدّمه أحد. وقال محمد بن الحسن الكاتب: كان يحيى يخلّط في نِسَب الغناء تخليطاً كثيراً، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أخرى وبابن سُريج وابن مُحرز، ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث [فيه][(٦)] من ذلك، فيأتي بأحسن[(٧)] صنعة وأتقنها، / وليس [٦/١٧٧] أحد يعرفها؛ فيُسأل عن ذلك فيقول: أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل، فلا يُشَكّ في قوله، ولا يَثْبُت لمباراته أحد، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مَظانّه ودوّنه، وكشف عَوَار يحيى في منحولاته وبيّنها للناس.

أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هدايا وعاتبه:

أخبرني عمّي [قال] سمعتُ عُبيد الله بن عبدالله بن طاهر يذكر عن أحمد بن سعيد المالكيّ ـ وكان مغنياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القوّاد ـ قال:

حضرتُ يحيى المكيّ يوماً وقد غنّى صوتاً فسُئل عنه فقال: هذا لمالك ـ ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت ـ ثم غنّى لحناً لمالك فسُئل عن صانعه فقال: هذا لي؛ فقال له إسحاق: قلتَ ماذا؟ فديتُك، وتضاحك به. فسئل عن صانعه فأخبر به، ثم غنّى الصوت. فخجل يحيى حتى أمسك عنه؛ ثم غنّى بعد ساعة في الثقيل الأوّل، واللحن:

صوت

إنّ الخَليـــطَ أَجَـــدّ فـــاحتَمـــلاَ وأراد غيظَـــك بـــالـــذي فعـــلا

---

(١) العوار (مثلثة): العيب.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «هذا».
(٣) في ب، س: «ويصله».
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ويواصل» وهو تحريف.
(٥) زيادة عن حـ.
(٦) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.
(٧) في ب، س: «أحسن».

فظَلِلْتَ تأمُل قربَ أوبتهم والنفسُ مما تأمُل الأملا

فسُئل عنه فنسبه إلى الغَريض. فقال له إسحاق: يا أبا عثمان، ليس هذا من نَمَط الغَريض ولا طريقته في الغناء، ولو شئتَ لأخذتَ مالَكَ وتركتَ للغريض مالَه ولم تَتْعَب. فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه. فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألطافٍ كثيرة وبِرٍّ واسع، وكتب إليه يعاتبه ويستكفُّ شرَّه ويقول له: لستُ من أقْرانك فتُضَادّني، ولا أنا ممن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَني، ولأنت إلى أن أُفيدَك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتَسْمو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضني، فأُعطِي غيرَك سلاحاً إذا حمَله عليك لم تقم له، وأنت / أولَى وما تختار. فعرف إسحاقُ صدْقَ يحيى، فكتب إليه يعتذر، وردّ / الألطافَ التي حملها إليه، وحلَف لا يعارضه بعدها، وشرَط عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد؛ فوفّى له بها، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين. وكان إذا حَزَبه أمرٌ في شيء منها فَزِع إليه فأفاده وعاونه ونصَحه؛ وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك. وحَذِره يحيى، فكان إذا سُئل بحضرته عن شيء صَدَق فيه، وإذا غاب إسحاق خلّط فيما يُسأل عنه. قال: وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق بطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقول لابنه أحمد: تعالَ حتى تأخذ مع أبي محمد ما الله يعلم أني كنتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق. قال: وكان إسحاق بعد ذلك يتعصّب ليحيى تعصّباً شديداً؛ ويَصفه ويقدّمه ويعترف برياسته، وكذلك كان في وَصْف أحمدَ ابنِهِ وتقريظه.

[١٧٨/٦ / ١٩ / ٦]



عدد أصواته التي صنعها:

قال أحمد بن سعيد: والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى. قال أحمد بن سعيد: وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلاف صوت، منها زُهَاءُ ألف صوت لم يُقاربْه فيها أحد، والباقي متوسِّط. وذكر بعضُ أصحاب أحمد بن يحيى المكيّ عنه أنه سُئل عن صنعة أبيه فقال: الذي صحّ عندي منها ألف وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعاً مَنْ تقدّم منهم ومن تأخر، فلم يُقم له فيها أحد.

كان ينسب الأصوات عمداً لغير أصحابها فافتضح أمره:

وقال حماد بن إسحاق قال لي أبي:

كان يحيى المكي يُسأل عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فينسُبه إلى غير صانعه، فيُحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسُبه غيرَ تلك النسبة؛ حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه، فظهر عَواره، ولولا ذلك لما قاومه أحد.

[١٧٩/٦] / أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد:

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره:

قال إسحاق يوماً للرشيد، قبل أن تَصلُح الحال بينه وبين يحيى المكي: أتحب يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذبَ يحيى فيما ينسُبه من الغناء؟ قال نعم. قال: أعطني أيَّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه، واسألني بحضرة يحيى عن نِسبته فإني سأنسُبه إلى رجل لا أَصْلَ له، واسأل يحيى عنه إذا غنّيته، فإنه لا يمتنع من أن يدّعي معرفته. فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغنّاه الرشيدَ؛ ثم قال له: يسألني أمير المؤمنين عن نِسبته بين يديه. فلما حضر يحيى غنّاه

إسحاقُ فسأله الرشيدُ: لمن هذا اللحن؟ فقال له إسحاق: لغناديس[1] المديني. فأقبل الرشيد على يحيى فقال له: أكنت لقيتَ غناديس المديني؟ قال: نعم، لقيتُه وأخذت عنه صوتين؛ ثم غنّى صوتاً وقال: هذا أحدهما. فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً وعِتْقِ جواريه: أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس، ولا سُمع في المغنين ولا غيرهم، وأنه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره.

علم إسحاق صوتاً غناه للرشيد فأهدى إليه تخت ثياب وخاتم:

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّي المرتجل قال:

غنى جدّي يوماً بين يدي الرشيد:

صـوت

هـل هَيّجتـكَ مَغَـانِـي الحـيّ والـدُّورُ	فـاشتقْـتَ إن الغـريـبَ الـدارِ معـذورُ[2]
وهــل يَحُــلّ بنـا إذ عيشُنـا أَنِـقٌ[3]	بِيضٌ أوانـسُ أمثـالُ الـدُّمَـى حُـور

/ ـ والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ ـ فسار[4] إليه إسحاق وسأله أن يُعيده إياه؛ فقال: نعم، حبًّا وكرامةً / لك يابن [٦/١٨٠] ٢٠ أخي، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليه؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق. فلما انصرف بعث إلى جدّي بتَخْت[5] ثياب ٦ وخاتم ياقوت نفيس.

دس له إبراهيم بن المهدي من أخذ عنه صوتاً بثمن غال:

حدّثني جَحظة قال حدّثني القاسم بن زُرْزُور عن أبيه عن مولاه عليّ[6] بن المارِقيّ قال:

قال لي إبراهيم بن المهديّ: وَيْلَك يا مارقيّ! إن يحيى المكيّ غنّى البارحةَ بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكرُ زينبَ، وقد كان النبيذ أخذ مني فأُنسيت شعرَه، واستعدتُه إياه فلم يُعده، فاحتَلْ لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك عليّ سَبَق[7]. فقال لي المارقيّ ـ وأنا يومئذ غلامُه ـ اذهب إليه فقل له إني أسأله أن يكون اليومَ عندي؛ فمضيت إليه فجئته به. فلما تغدَّرا وُضع النبيذ؛ فقال له المارقي: إني كنت سمعتك تغنّي صوتاً فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك ـ وكان يحيى يوفّي هذا الشأنَ حقَّه من الاستقصاء، فلا يخرج عنه إلا بحذر، ولا يدع الطلبَ والمسألة، ولا يُلقي صوتاً إلا بِعوَض. قال لي جحظة في هذا الفصل: هذا ـ فديتُك ـ فعلُ يحيى مع ما أفاده من المال، ومع كرم مَنْ عاشره وخدَمه من الخلفاء مثلِ الرشيد والبرامكة وسائر الناس، لا يُلام ولا يعاب. ونحن مع

---

(١) في حـ: «لعناديس المدني».

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «مغرور».

(٣) أنق الشيء (من باب علم): راع حسنه.

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «فصار».

(٥) التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

(٦) كذا في أ،ء، م. وفي سائر الأصول: «عن مولاه عن ابن المارقي قال»، وهو تحريف، لأن المارقي هو مولى زرزور كما يشعر بذلك سياق الحديث هنا وكما مر في الجزء الرابع من هذه الطبعة (ص ٩٣).

(٧) السبق (بالتحريك): الخطر يوضع في السباق من سبق أخذه.

هؤلاء السُّفَل إن جئناهم نكارمهم[١] تغافلوا عنا، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا، فمن يلومني أن [٦/١٨١] أشتُمِهم؟ فقلت: ما عليك لوم. / ـ قال: فقال له يحيى: وأيّ شيء العِوَض إذا ألقيتُ عليك هذا الصوتَ؟ قال: ما تريد؛ قال: هذه الزَّرْبيّة[٢] الأرمينيّة، كم تقعد عليها! أمَا آن لك أن تَمَلَّها؟ قال: بلى، وهي لك. قال: وهذه الظباء الحرميّة، وأنا مكيّ لا أنت، وأنا أولى بها؛ قال: هي لك، وأمر بحملها معه. فلما حَصَلت له، قال المارقيّ: يا غلام، هات العود؛ قال يحيى: والميزانَ والدراهم، وكان لا يغنّي أو يأخذَ خمسين درهماً، فأعطاه إيّاها؛ فألقى عليه قولَه:

بـزينـبَ ألـمـمْ قبـلَ أن يَـرْحَـلَ الـركـبُ وقُـلْ إن تَمَلِّينــا فمــا ملَّــكِ القلــبُ

ـ ولحنه لكَرْدَم ثقيلٌ أول ـ فلم يشكّ المارقيّ أنه قد أخذ الصوتَ الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجتَه. فبكّر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ، فقال له: قد جئتك بالحاجة. فدعا بالعود فغنّاه إياه؛ فقال له: لا والله ما هو هذا، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه. فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً. فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى: قد واليتَ بين دَعَواتك لي، ولم تكن برًّا ولا وَصولاً، فما هذا؟ قال: لا شيء والله إلا محبتي للأخذ عنك والاقتباس منك؛ فقال: سَرّك الله، فَمَهْ. قال: تذكرتُ الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقيتَ عليّ. قال: فتريد ماذا؟ قال: تذكر الصوت. قال: أفعل، ثم اندفع فغنّاه:

أَلِمِـمْ بـزينـبَ إنّ البيـنَ قـد أفِـدَا[٣] قَـلّ الثَّـوَاءُ لئـن كـان الـرحيـلُ غـدَا

ـ والغناء لمعبد ثقيل أول ـ فقال له: نعم، فديتُك يا أبا عثمان، هذا هو، أَلْقِه عليّ؛ قال: العِوَضَ؛ قال: ما [٦/١٨٢] شئتَ؟ قال: هذا المِطْرَف الأسود؛ قال: هو لك. فأخذه / وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له، وبكّر إلى إبراهيم؛ فقال له: ما وراءك؟ قال: قد قضيتُ الحاجةَ؛ فدعا له بعود فغنّاه؛ فقال: خدعك والله، ليس هذا هو؛ ٦/٢١ فعاودْ الاحتيالَ عليه، وكلُّ ما تعطيه إياه ففي ذمّتي. فلما كان / اليومُ الثالث بعث بي إليه، فدعوتُه وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس. فقال له يحيى: فمالك أيضاً؟ قال له: يا أبا عثمان، ليس هذا الصوتُ هو الذي أردتُ؛ فقال له: لست أعلم ما في نفسك فأذكُرَه، وإنما عليّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لا يبقى عندي زينب البتةَ إلا أحضرتها؛ فقال: هاتِ على اسم الله؛ قال: اذكرِ العِوَضَ؛ قلت: ما شئتَ؛ قال: هذه الدُّرَّاعة[٤] الوَشْيُ التي عليك؛ قال: فخذها والخمسين الدرهم، فأحضرَها. فألقى عليه ـ والغناء لمعبد ثقيلٌ أول ـ:

لـزينـبَ طيـفٌ تعتـرينـي طـوارقُـه هـدوءاً إذا النجـمُ ارجحنّـت[٥] لـواحقُـهْ

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحُرَم؛ فقال له حاجبه: هو متشاغل؛ فقال: قل له: قد جئتك بحاجتك. فدخل فأعلمه؛ فقال: يدخل فيغنّيه في الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، ففعل؛ فقال:

---

(١) كذا في أ، ء، م. وكارمه: أهدى إليه ليكافئه ويثيبه. وفي سائر الأصول: «مكارهة» وهو تحريف.

(٢) كذا في أكثر الأصول. والزربية: واحدة الزرابيّ وهي البسط، وقيل كل ما بسط واتكىء عليه. وفي حـ: «الزلية» والزلية (بضم الزاي وتشديد اللام المكسورة): البساط، معرب «زيلو» بالفارسية، وجمعها زلالي.

(٣) أفد: دنا.

(٤) الدراعة (كرمانة): جبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من صوف، وجمعها دراريع

(٥) ارجحنت: اهتزت ومالت.

لا والله ما هو هذا، ولقد خدعك، فعاود الاحتيالَ عليه. ففعل مثل ذلك بيحيى؛ فقال له يحيى وهو يضحك: أمّا ظَفِرتَ بزينبك بعدُ؟ فقال: لا والله يا أبا عثمان، وما أشكّ في أنك تَعتمدني بالمنع مما أريده، وقد أخذتَ كل[1] شيء عندي معابثةً. فضحك يحيى وقال: قد استحييتُ منك الآن، وأنا ناصحك على شريطة؛ قال: نعم، لك الشريطة؛ قال: لا تَلُمني في أن أعابثك لأنك أخذت في معابثتي، والمطلوبُ إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود / أن تحتال عليّ فإنك تظفر منّي بما تريد، إنما دسّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ مني صوتاً غنّيتُه، فسألني إعادتَه فمنعتُه بخلاً عليه لأنه لا يلحقني منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً، وطَمع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد؛ لا والله إلا بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك، وإلا فلا تطمع في الصوت. فقال له: أمّا إذ فطنتَ فالأمر والله على ما قلتَ، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادتُه، ولو غنّيتَني كلَّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلا به؛ قال: اشتره. فتساوما طويلاً وماكسه[2] حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم، فدفعها إليه؛ وألقى عليه: [٦/ ١٨٣]

صوت

طَـرَقَتْـك زينـبُ والمـزار بعيـدُ ... بمنـى ونحـن مُعـرِّسـون هجـودُ
فكـأنمـا طَـرَقَـتْ بـريّـا روضـةٍ ... أُنُـفٍ تُسَحِّـسـح مُـزنُهـا وتَجُـود

ـ لحنه خفيف ثقيل. قال: وهو صوت كثير العمل، حلو النَّغَم، مُحكم الصَّنعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع ـ فأخذه وبكّر إلى إبراهيم بن المهديّ، فقال له: قد أقرَني هذا الصوت وأعراني، وأبلاني بوجه يحيى المكي وشحّه وطلبه وشَرَهه، وحدّثه بالقصّة؛ فضحك إبراهيم. وغنّاه إياه، فقال: هذا أبيك هو بعينه. فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف عليه كلَّ شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسة آلاف درهم، وحَمله على بِرْذون أشهبَ فارِهٍ بسرجه ولجامه. فقال له: يا سيّدي؛ فغلامُك زُرْزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَعَ[3]، هَبْ له شيئاً، فأمر له بألف درهم.

/ غنّى للأمين لحناً أراد المغنون أخذه عنه فأبى: [٦/ ١٨٤]

حدّثني جحظة قال حدّثني هِبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثتني رَيِّق وشَارِية / جميعاً قالتا: ٢٢/٦

كان مولانا ـ تعنيان أبي ـ في مجلس محمد الأمين يوماً والمغنّون حضور، فغنّى يحيى المكي ـ واللحن له خفيف ثقيل ـ:

صوت

خليـلٌ لـي أهيـمُ بـه ... فمـا كـافـا[4] ولا شَكَـرَا
بلـى يُـدْعَـى لـه بـاسمـي ... إذا مـا رِيـعَ أو عثَـرا

---

(١) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «وقد أخذت في كل... إلخ». والظاهر أن «في» مقحمة.

(٢) في الأصول: «وماكسه أبي حتى بلغ... إلخ». وراوي القصة هو زرزور غلام المارقي لا ابنه. فلعل كلمة «أبي» مقحمة من النساخ. وماكسه في البيع: شاحه واستحطه الثمن واستنقصه إياه.

(٣) ظلع: عرج وغمز في مشيه.

(٤) كافا: مسهل كافأ.

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه، فجعل يحيى يُفسده. وفطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْكِ التخليط، فدعا له وقبّل الأرضَ بين يديه وردّ الصوت وجوّده؛ ثم استعاده. فقال له يحيى: ليست تَطيب لك نفسي به إلا بعوَض من مالك، ولا أنصحك والله فيه، فهذا مال مولاي أخذته، فلِمَ تأخذ أنت غنائي! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها. فقبّل يحيى يدَه وأعاد الصوت وجوّده، فنظر إلى مُخَارق وعَلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت؛ ثم أقبل عليهما وقال: قطعة من خُصْية الشيخ تغطي أستاهَ عدّة صبيان، والله لا أعدتُه بحضرتكما. ثم أقبل على مولانا ـ تعنيان إبراهيم بن المهدي ـ فقال: يا سيّدي، إني أصير إليك حتى تأخذه عنّي متمكّناً ولا يَشْرَكك فيه أحد. فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه، وأخذناه معه.

غنى للرشيد بتل دارا فأكرمه:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدَيني قال حدّثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال:

[٦/ ١٨٥] / أرسل إليّ هارونُ الرشيد، فدخلت إليه وهو جالس على كرسيّ بِتَلّ دَارَا[١]، فقال: يا يحيى، غنِّني:

متــى تلتقــي الأُلاّفُ والعيــسُ كلّمــا ... تَصعَّــدْنَ مــن وادٍ هَبطَــن إلــى واد

فلم أزل أغنّيه إيّاه ويتناول قدحاً إلى أن أمسى. فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت، وشرب عشرة أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، وأمرني بالانصراف.

مدح إسحاق غناءه وذكر أصواتاً له:

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكي في خبره حدّثني أبي أحمدُ بن يحيى قال:

قال لي إسحاق: يا أبا جعفر، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتاً، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح. فقلت لأبي: أيَّ شيء تعرف منها؟ فقال: لحنَه في شعر الأخطل:

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منكَ وابتكروا[٢] ... وأزعجتْهم نَوًى في صَرْفِها غِيَرُ

كأنني شاربٌ يومَ استُبِدّ بهم ... من قَهْوةٍ عتّقتها حِمْص أو جَدَر[٣]

لحن يحيى المكيّ في هذين البيتين ثقيل أول ـ هكذا في الخبر ـ ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل آخر، ولابن سُرَيج رمل.

---

(١) دارا (بالقصر): بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين، وهي من بلاد الجزيرة، ذات بساتين ومياه جارية، ومن أعمالها يجلب المحلب الذي تتطيب به الأعراب، وعندها كان معسكر دارا الملك بن قباذ الملك لما لقي الإسكندر المقدوني، فقتله الإسكندر وتزوج ابنته. وبنى في موضع معسكره هذه المدينة وسماها باسمه. وهي أيضاً قلعة حصينة في جبال طبرستان، وواد في ديار بني عامر.

(٢) في أ، ء، م و «ديوان الأخطل»: «. . . . أو بكروا». وهذان البيتان من قصيدة له من فاخر شعره، قالها يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيساً وبني كليب.

(٣) جدر: قرية بين حمص وسلمية، تنسب إليها الخمر، وهي قرب دير إسحاق. وقد ورد الشطر الأخير في «ديوانه» و «معجم البلدان» هكذا: «من قرقف ضمنتها حمص أو جدر».

[١٨٦/٦] / قال: ومنها:

صوت

بـانَ الخليـطُ فمـا أُؤَمِّلـه وعفـا مـن الـرَّوْحـاء[١] منـزلُـهُ
مـا ظَبيـةٌ أدمـاءُ عـاطلـة تحنـو علـى طِفـلٍ تُطَفِّلـه

لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر. قال أحمد: قال لي إسحاق: وَدِدْتُ أن هذا / الصوت لي أو ٢٣/٦ لأبي وأني مُغرَّم عشرة آلاف درهم. ثم قال: هل سمعتم بأحسن من قوله: «على طفل تطفّله».

قال: ومنها:

صوت

وكَـفّ كُعـوّاذ[٢] النقـا لا يَضيـرهـا إذا بـرزتْ ألّا يكـون خِضَـابُ
أنـامـلُ فُتْـخٌ[٣] لا تَـرى بـأصـولهـا ضُمـوراً ولـم تَظْهَـر لهـن كِعـابُ

ولحنه من الثقيل الثاني.

قال: ومنها:

صوت

صَـادتْـك[٤] هنـدٌ وتلـك عـادتهـا فـالقلـب ممـا يَشُقّـه كَمِـدُ
[١٨٧/٦] / كـم تشتكـي الشـوقَ مـن صبـابتهـا ولا تبـالـي هنـدٌ بمـا تَجِـدُ

ولحنه من خفيف الثقيل.

قال: ومنها:

صوت

أعَسيـتَ مِـن سَلْمـى هـوا كَ اليـومَ محتـلاً جـديـدَا
ومَـرابـطَ الخيـلِ الجيـا دِ ومنـزلاً خَلَقـاً هَمُـودا

---

(١) الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما نحو أربعين ميلاً.

(٢) الظاهر أن الشاعر يريد «بعواذ النقا» الديدان التي تعوذ بالنقا (الكثيب من الرمل) وتلوذ به. وقد ورد كثيراً في الشعر العربي تشبيه أصابع النساء وأنامل العذارى بهذه الديدان. قال امرؤ القيس:

وتعطـو بـرخـص غيـر شثـن كـأنـه أسـاريـع ظبـي أو مسـاويـك إسحـل

(ظبي: اسم كثيب. والأساريع: دواب تكون بالرمل صغار بيض ملس، واحدها أسروع ويسروع). ويقال لهذه الديدان بنات النقا؛ قال ذو الرمة:

خـراعيـب أملـود كـأن بنـاتهـا بنـات النقـا تخفـى مـراراً وتظهـر

(٣) فتخ: رخصة لينة. وقد وردت هذه الكلمة في جميع الأصول بالحاء المهملة؛ وهو تصحيف.

(٤) في ب، س: «صادتها». وهو تحريف.

ولحنه خفيف ثقيل أيضاً.

قال: ومنها:

صوت

ألا مــرحبــاً بخيــالٍ ألــمّ ... وإن هــاج للقلــب طــولَ الألَــمْ

خيــالٌ لأسمــاءَ يَعتــادنــي ... إذا الليــلُ مَــدَّ رُواقَ الظُّلَــم

ولحنه ثقيل أول.

قال: ومنها:

صوت

كــم ليلــةٍ ظلمــاءَ فيــكِ سَــرَيْتُهــا ... أتعبــتُ فيهــا صُحْبتــي ورِكــابِــي

لا يُبصــر الكلــبُ السَّــرُوق خِبــاءَهــا ... ومــواضــعَ الأوتــاد والأطنــاب[1]

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى. وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغَريض. قال ابن المكيّ: غنّى أبي الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأطربه، ثم قال له: قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت؛ فظنّه فرشاً أو ثياباً، فإذا فيه أكياس فيها عَيْن ووَرِق؛ فحُمِلتْ بين يديه فكانت خمسين ألفَ درهم مع قيمة العَيْن.

[١٨٨/٦] / قال: ومنها:

صوت

إنــي امــرؤٌ مــالــي يَقــي عِــرْضــي ... ويَبيــت جــاري آمنــاً جَهْلــي

وأرى الــذَّمــامــةَ[2] للــرَّفيــق إذا ... ألقَــى رِحــالتَــه[3] إلــى[4] رَحْلــي

ولحنُه خفيفُ ثقيل. قال ابن المكي غنَّى ابنُ جامع الرشيدَ يوماً البيتَ الأول من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئاً؛ فأُعجب به الرشيدُ واستردّه مراراً، وأُسْكت لابن جامع المغنِّين جميعاً، وجعل يسمعه ويشرب عليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتِيمَ وعشر خِلَع، / وانصرف. فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكيّ فأستأذن عليه، فأذِن له، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع واستغاث به. فقال له يحيى: أفَزَاد على البيت الأول شيئاً؟ قال لا؛ قال أفرأيتَ إن زِدْتُك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أُنسيه، وطرحتُه عليك حتى تأخذَه ما تجعلُ لي؟ قال: النصف مما يصل إليّ بهذا السبب؛ قال: والله؟! فأخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أيماناً مؤكّدة؛ ثم زاده البيتَ الثاني وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف. فلما حضر المغنّون من غد ودُعي به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هذا الصوتُ، وجاء بالبيت الثاني وتحفَّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإحسان، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده

(١) الأطناب: حبال طوال يشد بها سرادق البيت، واحدها طنب.
(٢) الذمامة: (بالفتح والكسر): الحرمة والحق.
(٣) الرحالة والرحل: مركب للبعير، وهما أيضاً: منزل الرجل ومسكنه وبيته.
(٤) في حـ: «على».

حتى سكِر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خِلَع؛ فَحَمل ذلك كلّه، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله. وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد، وكان يحيى في بقايا علّة فاحتجب عنه؛ فدفَع ابنُ جامع في صدر بوّابه ودخل إليه، فقال له: إيه يا يحيى، كيف صنعتَ! / ألقيتَ الصوت على الجُرْمُقانيّ[1] لا رفع الله صَرْعتك ولا وهب لك العافية. وتشاتما ساعةً، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخ. [١٨٩/٦]

مدحه إسحاق الموصلي في جمع من المغنين عند الفضل بن الربيع:

حدّثني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال قال لي إسحاق:

كنت أنا وأبوك وابن جامع وفُلَيح بن أبي العَوْراء وزُبَير بن دَحْمان يوماً عند الفضل بن الربيع؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأبيك[2] (يعني يحيى)، فجعلا يُغنيّان ويُباري كلُّ واحد منهما صاحبَه، وذلك يُعجِب الفضل، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجب به. فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير: أنت تنتحل غناء الناس وتدّعيه وتَنحَلهم ما ليس لهم. فأقبل الفضل عليّ وقال: احكم أيها الحاكم بينهما، فلم يخفَ عليك ما هما فيه؛ فقلتُ: لئن كان ما يَرويه يحيى ويغنّيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يَرْووه وما لم نَرْوِه، وعَلِم ما جهِلناه وجهلوه، ولئن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعةً، وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصحَّ أداءً للغناء، كان ما يغنّيه له أو لغيره. فسُرّ بذلك الفضلُ وأعجبه. وما زال أبوك يشكره لي.



صوت
من المائة المختارة

أهـاجتْـك الظعـائـنُ يـوم بـانـوا ... بـذي الـزِّيّ الجميـل مـن الأثـاث
ظعـائـنُ أسلكـتْ نَقْـبَ المُنَقَّـى[3] ... تُحَـثُّ إذا ونَـتْ أيَّ احتثـاث

الشعر للنُّمَيري. والغناء للغريض، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

---

(١) الجرمقاني: واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام.

(٢) في أ، ء، م: «لأبيك يحيى».

(٣) في «معجم البلدان» لياقوت (مادة نقب): «... ونقب المنقى بين مكة والطائف في شعر محمد بن عبدالله النميري...» وذكر الأبيات. وفي كلامه على المنقى: «والمنقى بين أحد والمدينة». وفي «معجم ما استعجم»: «المنقى بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد القاف موضع على سيف البحر مما يلي المدينة». وذكر المبرد أبيات النميري في «الكامل» (جـ ١ ص ٣٧٦) ثم قال: «المنقى: موضع بعينه. والنقب: الطريق في الجبل... إلخ».

[١٩٠/٦] / أخبار النُّمَيريّ ونسبه

نسبه ومنشؤه:

هو محمد بن عبدالله بن نُمير بن خَرَشة[١] بن رَبيعة بن حُبَيِّب[٢] بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِيّ؛ وقَسِيّ هو ثَقيف. شاعرٌ غَزِل، مولَّد؛ ومنشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية، وكان يهوَى زينبَ بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجاج بن يوسف، وله فيها / أشعار كثيرة يتشبّب بها. ٢٥/٦

كان يهوى زينب أخت الحجاج بن يوسف، وسياق أحاديثه مع الحجاج بشأنها:

حدّثني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم قال حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيط بن بكر[٣] المُحَارِبيّ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة:

أن النميريّ كان يهوَى زينبَ بنتَ يوسف أختَ الحجّاج بن يوسف بن الحكم لأبيه وأمه. وأمهما الفارعة بنت [١٩١/٦] هَمّام بن عُرْوة بن مَسعود الثَّقَفيّ؛ وكانت عند / المغيرة بن شُعْبة؛ فرآها يوماً بُكْرةً وهي تَتخلّل، فقال لها: والله لئن كان من غَداء لقد جشِعت[٤]، ولئن كان من عَشاء لقد أنتنتِ، وطلقها[٥]. فقالت: أبعدك الله! فبئس بعلُ المرأة الحرة أنت! والله ما هو إلا مِن شَظيّة من سواكي استمسكتْ بين سِنَّيْن من أسناني. قال حَبيب بن نصر خاصّةً في خبره: قال عمر بن شبّة حدّثنا بذلك أبو عاصم النَّبيل.

أخبرني حَبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثقفيّ، وحدّثنا به ابن عَمّار والجوهريّ

---

(١) كذا في أ،ء، م، و «الاستيعاب» (حـ ١ ص ٣١٢) و «الطبري» (ق ١ ص ١٦٨٩)، و «الاشتقاق» لابن دريد (ص ١٨٤). وفي سائر الأصول: «حرشة» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٢) في جميع الأصول: «... ابن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن مالك... إلخ». والظاهر أنه محرف عما أثبتناه. فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه «المعارف» عند الكلام على ثقيف (ص ٤٤) أن ثقيفاً ولد جشم وولد جشم حطيطاً و ولد حطيط مالكاً وغاضرة، ومن بني مالك السائب بن الأقرع وبنو الحارث بن مالك. وذكر الذهبي في «المشتبه» عند كلام على حبيب (ص ١٤٦ ـ ١٤٧) قال: «... وحبيب (بضم الحاء وفتح الموحدة وتشديد المثناة وكسرها) ابن الحارث بن مالك الثقفي... إلخ». وقال صاحب «شرح القاموس» (مادة حبب): «... وحبيب بن الحارث الثقفي». ولم نجد مرجعاً اتفق مع الأصول فيما ذهبت إليه من سوق النسب على نحو ما أوردته وجعل الحارث ابناً لحبيب.

(٣) كذا في أ،ء، م. وفي سائر الأصول: «بكير» وهو تحريف. (راجع الهامشة رقم ١ ص ٩٩ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة).

(٤) في أكثر الأصول: «أجشمت». وفي حـ: «أبشمت». والمعروف في هذين الفعلين أنهما من باب فرح. وقد وردت هذه القصة في «العقد الفريد» (حـ ٣ ص ٦) وفي «وفيات الأعيان» في ترجمة الحجاج باختلاف في ألفاظها.

(٥) في حـ: «ولفظها وطلقها».

عن عمر بن شَبّة ـ ولم يذكرا[١] فيه يعقوبَ بن داود ـ قالوا جميعاً:

قال مُسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ ـ وكان قاضي الجماعة بالمدينة ـ: إني لمع محمد بن عبدالله بن نُمَير بنَعْمان[٢] وغلام يسير خَلْفَه يشتمه أقبح الشتيمة؛ فقلت: من هذا؟ فقال: هذا الحجاج بن يوسف، دَعْه[٣] فإني ذكرت أختَه في شعري، فأحفظه ذلك.

قال عمر بن شبة في خبره: وولدت الفارعة أمّ الحَجّاج من المُغيرة بن شُعْبة بنتاً فماتت؛ فنازع الحجاجُ عروةَ بن المُغيرة إلى ابن زياد في ميراثها؛ فأغلظ الحجاج لعُروة، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطا على رأسه وقال: لأبي عبدالله تقول هذه المَقالة! / وكان الحجاج حاقداً على آل زياد ينَفيهم من آل أبي سفيان ويقول: آل أبي سفيان [٦/١٩٢] سُتْه حُمْش[٤]، وآل زياد رُسْحٌ حُدْل[٥].

وكان يوسف بن الحَكَم اعتلّ علّة فطالت عليه؛ فَنذَرت زينب إن عُوفي أن تمشي إلى البيت[٦]، فعُوفي فخرجت في نسوة فقطعنَ بطن وَجّ[٧]، وهو ثلثُمائة ذراع، في يوم جعلتْه مرحلةً لِثقل بدنها، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر. فبينا هي تسير [إذ][٨] لقِيها إبراهيم بن عبدالله النُّمَيريّ أخو محمد بن عبدالله منصرفاً من العمرة. فلما قدم الطائفَ أتى محمداً[٩] يسلّم عليه؛ فقال له: ألك عِلْمٌ بزينب؟ قال: نعم، لقيتها بالهَمَاء[١٠] في بطن نَعْمان؛ فقال: ما أحسبك إلا وقد قلت شيئاً؛ قال: نعم، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهةَ أن يَنْشَب بيننا وبين إخوتنا شرّ. فقال محمد هذه القصيدةَ وهي أول « قاله:

صـوت

تَضَوّعَ[١١] مسكاً بطنُ نَعْمان إذ[١٢] مشتْ	بـه زينـبٌ فـي نسـوة عَطِـراتِ
فـأصبـح مـا بيـن الهَمَـاء فحـزوة[١٣]	إلـى المـاء مـاء الجِـزْع ذي العُشَـرات[١٤]

(١) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «... يذكروا... إلخ» وهو تحريف.
(٢) نعمان (بفتح أوله وسكون ثانيه): هو نعمان الأراك؛ واد بينه وبين مكة نصف ليلة.
(٣) في ب، س، حـ: «قلت دعه» ولا تستقيم العبارة بهذه الزيادة.
(٤) سته: عظام الأستاه. وحمش: دقاق السوق.
(٥) رسح: جمع أرسح، وهو قليل لحم العجز والفخذين. والحدل: جمع أحدل، وهو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر.
(٦) المراد به الكعبة.
(٧) وج: اسم واد بالطائف وهو ما بين جبلي المحترق والأحيحين (بالتصغير).
(٨) زيادة عن حـ.
(٩) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «محمد» بالرفع.
(١٠) الهماء: موضع بنعمان بين الطائف ومكة.
(١١) وردت هذه القصيدة كاملة وباختلاف كثير ضمن قصائد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٤٥ أدب).
(١٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول و «تجريد الأغاني» و «الكامل» (ص ٢٨٩): «أن».
(١٣) كذا في جميع الأصول. وفي «تجريد الأغاني»: «وجذوة» ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على مكان تسمى بأحد هذين الاسمين. وقد أورد ياقوت في كلامه على الهماء هذا البيت برواية أخرى وهي:

فـأصبـح مـا بيـن الهمـاء فصاعـداً	إلـى الجـزع جـزع المـاء ذي العشـرات

(في «المعجم»: «فأصبحن»). ورواية هذا البيت في المجموعة المخطوطة:

فـأصبـح بطنـان الهـواء فجـوزه	إلـى الجـزع جـزع المـاء ذي العشـرات

(١٤) العشرات: جمع عشر (بضم ففتح). وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق ينبت صعداً في السماء، وله سكر ـ

[٦/١٩٣] / لـه أرَجٌ مـن مِجْمَـر الهنـد سـاطـع[١] تَطلّـعُ رَيّـاه مـن الكَفِـرات[٢]

تهـادَيـن مـا بيـن المُحَصّـب[٣] مـن مِنًـى وأقبلـن لا شُعْثـاً ولا غَبِـرات[٤]

أعـان الـذي فـوق السمـوات عـرشُـه مـواشـيَ بـالبَطْحـاء مُـؤْتجـرات[٥]

مَـرَرْن بفَـخٍّ[٦] ثـم رُحْـن عشيـةً يُلَبّيـن للـرحمـن معتمِـرات

[٢٦/٦] / يُخبِّئـن[٧] أطـرافَ البنـان مـن التقـى ويقتلـن بـالألحـاظ مقتـدرات

تَقَسّمـن لُبّـي يـومَ نَعْمـانَ إننـي رأيـتُ فـؤادي عـارِمَ[٨] النظـرات

جَلَـوْنَ وجـوهـاً لـم تَلُحْهـا سمـائـمٌ حَـرورٌ ولـم يُسْفَعـن بـالسَّبَـرات[٩]

فقلـتُ يَعـافيـرُ الظبـاءِ تنـاولـتْ نِيـاعَ[١٠] غصـون المَـرْدِ[١١] مُهْتَصِـرات

ولمـا رأتْ ركـبَ النُّمَيـري راعَهـا وكُـنّ مِـنَ أنْ يَلْقَيْنَـه حَـذِرات

[٦/١٩٤] / فـأدْنيـن، حتـى جـاوز الـركـبُ، دونهـا حجـابـاً مـن القَسِّـيّ[١٢] والحِبَـرات

فكِـدتُ اشتيـاقـاً نحـوَهـا وصَبـابـةً تَقَطّـعُ نفسـي إثْـرَهـا حَسَـرات

فـراجعـتُ نفسـي والحفيظـةَ بعـد مـا بَلَلْـتُ رداءَ العَصْـب[١٣] بـالعَبَـرات

= يخرج من شعبه ومواضع زهره يقال له سكر العشر، وفي سكره شيء من مرارة.

(١) في المجموعة المخطوطة:

* له أرج بالعنبر الورد فاغم *

(٢) الكفرات: جمع كفر (بفتح الكاف وكسر الفاء) وهو العظيم من الجبال.

(٣) المحصب: موضع بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب.

(٤) في المجموعة المخطوطة:

«تهـادين مـا بيـن المحصـب مـن منـى ونعمان .... إلخ»

(٥) مؤتجرات: طالبات للأجر. وفي «تجريد الأغاني»: «معتجرات» أي لابسات المعاجر وهي أثواب تلفها النساء على استدارة رؤوسهن ثم تجلببن فوقها بجلابيبهن. ورواية هذا البيت في المجموعة المخطوطة:

خـرجـن إلـى البيـت العتيـق بعمـرة نـواحـب فـي نـذر ومـؤتجـرات

(٦) فخ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال وبه كانت وقعة الحسين وعقبة.

(٧) في المجموعة المخطوطة: «يخمرن». ويقال: ليست امرأة من الطائف تخرج إلا وعلى يديها قفازان للتقى.

(٨) أي شارد النظرات حائرها.

(٩) لاحته الشمس ولوحته: لفحته وغيرت وجهه. والسمائم: جمع سموم وهي ريح حارة أو حر النهار. وسفعته: غيرته. والسبرات: جمع سبرة (بسكون الباء) وهي شدة برد الشتاء.

(١٠) في جميع الأصول: «يناع». والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه. والنياع من الغصون: التي تحركها الرياح فتتحرك وتتمايل. يريد أن أعناقهن في امتدادها كأعناق الظباء.

(١١) كذا في أ، ء، م و «تجريد الأغاني» والمجموعة المخطوطة. والمرد (بالفتح): الغض من ثمر الأراك وقيل ناضجه. وفي جميع الأصول: «الورد».

(١٢) القسي: ضرب من الثياب، وهو منسوب إلى قس، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتان مخلوط بحرير. والحبرات: جمع حبرة (كعنبة)، وهي ضرب من برود اليمن موشي. وروى هذا البيت في المجموعة المخطوطة:

وقـام جـوار دونهـا فستـرنهـا بـأكسيـة الـديبـاج والحبـرات

(١٣) العصب: ضرب من البرود، وقيل: هي برود يصبغ غزلها ثم تنسج، لاتثنى ولا تجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليها، فيقال برد عصب وبرود عصب.

ـ غنّى ابن سُرَيج في الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان»، ولحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ قال أبو زيد: فبلغتْ هذه القصيدةُ عبدَ الملك بنَ مروان، فكتب إلى الحجّاج: قد بلغني قول الخبيث في زينب، فالْهُ عنه وأَعْرِض عن ذكره، فإنك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعته، وإن عاقبته صدّقته.

أخبرني حَبِيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو سَلَمة الغِفَاريّ قال:

هَرَب النُّمَيْريّ من الحَجّاج إلى عبد الملك واستجار به؛ فقال له عبد الملك: أنشدني ما قلتَ في زينب فأنشده. فلما انتهى إلى قوله:

ولمـا رأتْ ركـبَ النميـريّ أعـرضـتْ ... وكُــنَّ مِــنَ اَنْ يَلْقَيْنَــه حَــذِراتِ

قال له عبد الملك: وما كان ركبك يا نميريّ؟ قال: أربعة أَحْمِرة لي كنت أجلُب قال له عبد الملك: وما كان ركبك يا نميريّ؟ قال: أربعة أَحْمِرة لي كنت أجلُب عليها القَطْران، وثلاثة أَحْمِرة صحبتي تحمل البعر. فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً، ثم قال: لقد عظّمتَ أمرَك وأمرَ ركبك؛ وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل / له عليه. فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له: أنا بريء من بَيْعة أمير المؤمنين، لئن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتينّ على نفسه، ولئن أنشدني لأعفونّ عنه، وهو إذا أنشدني آمن. [٦/١٩٥]

فقال له يزيد: وَيْلَكَ! أنشده؛ فأنشده قولَه:

تَضـوّعَ مسكـاً بطـنُ نَعمـان إذ مشـتْ ... بـه زينــبٌ فــي نســوة خَفِـراتِ

فقال: كذبت والله، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

ولمـــا رأت ركـــبَ النُّمَيْـــريّ راعهـــا ... وكـــنّ مِـــنَ اَن يلقينـــه حَـــذِراتِ

قال له: حقّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خَفِرات صالحات. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

مَـــرَرْن بفَـــخّ رائحـــاتٍ عشيـــةً ... يُلبّيـــن للـــرحمـــن معتمِـــراتِ

فقال: صدقتَ، لقد كانت حَجّاجةً صَوّامة ما علمتُها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

يُخَمِّرن أطــرافَ البنــان مــن التقــى ... ويخــرجــن جنــحَ الليــل مُعْتجِـراتِ[1]

فقال له: صدقتَ، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة. ثم قال له: ويحك! إني أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب، وقولَك قولَ بريء، وقد أمّنتك، ولم يَعْرِض له. قال أبو زيد[2]: وقيل: / إنه طالب عريفَه به وأقسم لئن لم يَجِئْه به ليضربنّ عنقَه، فجاءه به بعد هرب طويل منه؛ فخاطبه بهذه المخاطبة: ٢٧/٦

/ من شعره في زينب: [٦/١٩٦]

قال أبو زيد: وقال النُّمَيريّ في زينب أيضاً:

---

(١) تقدم هذا الشطر بغير هذه الرواية.

(٢) هو أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، كان شاعراً إخبارياً فقيهاً صادق اللهجة غير مدخول الرواية واسع الإطلاع. روى عن أبي عاصم النبيل ومحمد بن سلام الجمحي وهارون بن عبدالله وإبراهيم بن المنذر وغيرهم. وله عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم في «الفهرست»، ومنها كتاب «أخبار بني نمير». ولد سنة ١٧٣ هـ وتوفي بسر من رأى سنة ٢٦٣ هـ.

صـوت

طَرِبتَ وشاقتك المنازلُ من جَفْن[1] ... ألا ربما يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ
نظرت إلى أظعان زينبَ باللِّوى ... فأعولتها[2] لو كان إعوالُها يُغني
فوالله لا أنساكِ زينبُ ما دعت ... مُطوَّقةٌ ورقاءُ شجواً على غُصن
فإنّ احتمال الحيّ يومَ تحمّلوا ... عَناك وهل يَعنيك إلا الذي يَعني
ومُرْسِلة في السرِّ أن قد فضحتَني ... وصرّحتَ باسمي في النَّسيب فما تَكْني
وأشمتَّ بي أهلي وجُلَّ عشيرتي ... ليَهْنِئْك ما تهواه إن كان ذا يَهْني
وقد لامني فيها ابنُ عمّيَ ناصحاً ... فقلتُ له خذ لي فؤاديَ أو دَعْني

ـ غنّى ابنُ سُريج في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات لحناً من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ قال أبو زيد: فيقال: إنه بلغ زينبَ بنت يوسف قولُه هذا فبكتْ؛ فقالت لها خادمتها: ما يُبكيكِ؟ فقالت: أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهلٌ بي لا يَعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقّاً.

قال: وقال النميريّ فيها أيضاً:

أهاجتْك الظعائنُ يوم بانوا ... بذي الزِّيّ الجميل من الأثاثِ
ظعائنُ أسلكتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تُحَثُّ إذا ونَتْ أيَّ احتثاث
تُؤَمِّل أن تُلاقِيَ أهلَ بُصْرَى ... فيا لك من لقاء مستراث[3]
[١٩٧/٦] / كأنّ على الحدائج يوم بانوا ... نِعاجاً[4] ترتعي بَقْل البِراث[5]
يُهَيِّجني الحمامُ إذا تَداعَى[6] ... كما سَجَع النوائحُ بالمَراثي
كأن عيونَهنّ من التبكّي ... فصوصُ الجَزْع أو يُنْعُ الكَباث[7]
ألاقِي أنتَ في الحِجَج البواقي ... كما لاقيتَ في الحِجَج الثلاث

طلب أبو الحجاج إلى عبد الملك ألا يجعل للحجاج عليه سبيلاً فلقيه الحجاج ولم يعرض له:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي حدّثنا عثمان بن حَفْص وغيره:

أنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مَرْوان لمّا بعث بالحجّاج لحرب ابن الزبير، وقال له:

---

(١) جفن: اسم واد بالطائف لثقيف، وهو بين الطائف وبين معدن البرام.

(٢) أعول الرجل: رفع صوته بالبكاء.

(٣) كذا ورد هذا الشطر الأخير في أ،ء، م و «تجريد الأغاني». ومستراث: مستبطأ. وفي سائر الأصول:

* فيا لك مستزار مستراث *

(٤) الحدائج: جمع حديجة. والحديجة (ومثلها الحدج بالكسر): من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة. والنعاج: البقر الوحشي.

(٥) البراث: الأماكن السهلة من الرمل، واحدها برث (بالفتح).

(٦) في «الكامل» (ص ٣٧٧): «تغنى».

(٧) الجزع (بالفتح): الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض، تشبه به الأعين. وينع: جمع يانع. والكباث (بالفتح): النضيج من ثمر الأراك أو غير النضيج منه، وقيل: حمله إذا كان متفرقاً، وهو فويق حب الكسبرة في المقدار.

يا أمير المؤمنين، إنّ غلاماً منّا قال في ابنتي زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثلَه في بنت عمّه، وإن هذا (يعني ابنَه الحَجّاج) لم يزل يَتَتَوّق إليه ويَهُمُّ به، وأنت الآن تبعثه إلى ما هناك، وما آمنه عليه. فدعا بالحَجّاج فقال له: إن محمداً النُّميريّ جارِي ولا سلطانَ لك عليه، فلا تعرض له.

قال إسحاق فحدّثني يعقوب بن داود الثَّقفي قال: قال لي مسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ:

كنتُ مع النُّمَيري وقد قتل الحجاجُ عبدالله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة، فتأخّر النميريّ حتى كان في آخرهم، فدعا به ثم قال له: إنّ مكانك لم يخفَ عليّ، ادْنُ فبايعْ. ثم قال له: أنشِدْني ما قلتَ في زينب؛ قال: ما قلتُ إلا خيراً؛ قال: لَتُنشِدَنّي. فأنشده قولَه:

[١٩٨/٦]

/ تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ ... بــه زينــبٌ فــي نســوة عَطِــراتِ

/ أعـان الـذي فـوقَ السمـوات عـرشُـه ... مَـواشـيَ بـالبَطْحـاء مـؤتجِـرات

يخمِّـرن أطـرافَ الأكُـفّ مـن التُّقَـى ... ويخـرُجـن جُنْـحَ الليـل معتجِـرات

$\frac{٢٨}{٦}$

فما ذكرتُ أيها الأمير إلا كرماً وخيراً وطيباً. قال: فأنشدْ كلمتك كلَّها فأنت آمن؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

ولمّـا رأتْ ركـبَ النُّمَيـريّ راعهـا ... وكُـنّ مـن اَنْ يَلْقَيْنـه حَـذِراتِ

فقال له: وما كان ركبُك؟ قال: والله ما كان إلا أربعة أَحْمِرة تحمل القَطْران. فضحك الحجّاج وأمره بالانصراف ولم يَعْرِض له.

تهدده الحجاج فهرب وقال شعراً:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ عن الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن عَطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال:

كان ابن نُمير الثَّقَفيّ يشبِّب بزينبَ بنتِ يوسف بن الحَكَم؛ فكان الحَجّاج يتهدّده ويقول: لولا أن يقول قائل صدَق لقطعتُ لسانَه. فهرب إلى اليمن ثم ركب بحرَ[1] عَدَن، وقال في هربه:

أتتنـي عـن الحَجّـاج والبحـرُ بيننـا ... عقـاربُ تَسْـرِي والعيـونُ هـواجـعُ

فضِقْـتُ بهـا ذَرْعـاً وأجهشـتُ خِيفـةً ... ولـم آمَـنِ الحَجّـاجَ والأمـرُ فـاظـع

وحـلّ بـي الخطـبُ الـذي جـاءنـي بـه ... سميـعٌ فليسـتْ تستقـرّ الأضـالـع

فبِـتّ أُديـر الأمـرَ والـرأيَ ليلتـي ... وقـد أخضلـتْ خـدَّي الـدموعُ التوابع[2]

ولـم أر خيـراً لـي مـن الصبـر إنـه ... أعـفُّ وخيـرٌ إذ عَـرَتْني الفـواجـع

[١٩٩/٦]

/ ومـا أَمِنـتْ نفسـي الـذي خفـتُ شـرّه ... ولا طـاب لـي ممـا خَشِيتُ المضاجـع

إلـى أن بـدا لـي رأس إشْبِيـلَ[3] طـالعـاً ... وإسبيـلُ حصـن لـم تَنَلْـه الأصـابـع

---

(١) هو بحر القلزم، ويسمى في كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فإذا قابله بطن اليمن يسمى بحر عدن إلى أن يجاوز عدن ثم يسمى بحر الزنج، وهو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شيء. وبقرب عدن معدن اللؤلؤ يرفع ما يخرج منه إلى عدن.

(٢) في «معجم البلدان» (ج ١ ص ٢٤٠ طبع أوروبا): «الدوافع».

(٣) كذا في أ، ء، م و «تجريد الأغاني» و «معجم البلدان». وإسبيل: جبل في مخلاف ذمار، وهو منقسم بنصفين نصف إلى مخلاف رداع =

فلـي عـن ثَقيـفٍ إن هممـتُ بنَجْـوة مَهـامِـهُ تَهْـوي[1] بينهـنّ الهَجـارع[2]

وفي الأرض ذاتِ العَرْض عنك ابنَ يوسف إذا شئـتُ مَنـأًى لا أبـا لـكَ واسـع

فـإن يَلْتَنـي حَجّـاجُ فـاشتـفِ جـاهـداً فـإنّ الـذي لا يحفـظ اللّـهُ ضـائـع

فطلبه الحَجّاج فلم يقدِر عليه. وطال على النُّمَيريّ مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه، فجاء حتى وقف على رأس الحَجّاج؛ فقال له: إيه يا نُميريّ! أنت القائل:

* فإن نلتَني حَجّاجُ ماشْتَفِ جاهداً *

فقال: بل أنا الذي أقول:

أخـاف مـن الحَجّـاج مـا لسـتُ خـائفـاً مـن الأسـد العِـرْبـاض[3] لـم يَثْنِـه ذُعْـرُ

أخـاف يَـدَيْـه أن تنـالا مَقـاتلـي بـأبيـضَ عَضْـبٍ ليـس مـن دونـه سِتْـر

وأنما الذي أقول:

فهـأنـذا طَـوَّفْـتُ شَـرْقـاً ومَغْـرِبـاً وأُبْـتُ وقـد دَوّخـت[4] كـلَّ مكـان

[٦/٢٠٠] / فلـو كـانـت العَنْقَـاء منـكَ تَطيـر بـي لخِلْتُـك إلا أن تَصُـدّ تـرانـي[5]

قال: فتبسّم الحجاج وأمّنه، وقال له: لا تعاود ما تعلم؛ وخلّى سبيلَه.

زواج زينب أخت الحجاج وتولية كريّها شرطة البصرة:

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق.

قال حمّاد فحدّثني أبي قال ذكر المدائنيّ وغيره:

[٢٩/٦] أنّ الحجّاج عرض على زينبَ أن يزّوجها / محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عَقِيل ـ وهوابن سبعَ عشرةَ سنة، وهو يومئذ أشرف ثقفيّ في زمانه ـ أو الحكم ابن أيوب بن الحكم بن أبي عَقيل، وهو شيخ كبير، فاختارت الحكم، فزوّجها إياه، فأخرجها إلى الشام. وكان محمد بن رباط كَرِيَّها، وهو يومئذ يُكْرِي. فلما ولي

= ونصف إلى مخلاف عنس. وبين إسبيل وذمار أكمة سوداء، بها جمة (بئر) تسمى «حمام سليمان» والناس يستشفون به من الأوصاب والجرب وغير ذلك. وفي سائر الأصول: «إسبيك» بالكاف، وهو تحريف.

(١) في أ،ء، م و «معجم البلدان»: «تعمى». والعمى هنا كناية عن الضلال.

(٢) الهجارع: جمع هجرع (كدرهم وجعفر) وهو الخفيف من الكلاب السلوقية.

(٣) العرباض: الأسد الثقيل العظيم.

(٤) دوّخ فلان البلاد: سار فيها حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها.

(٥) هذان البيتان رواهما المبرد في «الكامل» ببعض تغيير وهما:

هـاك يـدي ضـاقـت بـي الأرض رحبهـا وإن كنـت قـد طـوّفـت كـل مكـان

ولـو كنـت بـالعنقـاء أو بيسـومهـا لخلتـك إلا أن تصـدّ تـرانـي

وقد نسبهما المؤلف أيضاً للعديل بن الفرخ في ترجمته (ج ٢٠ ص ١٨ طبع بولاق). وذكر أن الحجاج جدّ في طلبه حتى ضاقت به الأرض، فأتى واسطاً وتنكر وأخذ بيده رقعة ودخل إليه مع أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول:

هـأنـذا ضـاقـت بـي الأرض كلهـا إليـك وقـد جـولـت كـل مكـان

فلـو كنـت فـي ثهـلان أو شعبتـي أجـا لخلتـك إلا أن تصـدّ تـرانـي

الحجاجُ العراقَ استعمل الحكَم بن أيوب على البصرة، فكلمته زينبُ في محمد بن رباط فولّاه شرطته بالبصرة. فكتب إليه الحجاج: إنك ولّيتَ أعرابيًّا جافياً شرطتَك، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألك فيه. قال: ثم أنكر الحَكَمُ بعض تَعَجْرُفه فعزله. ثم استعمل الحجّاجُ الحكَمَ بن سعد العُذْريّ على البصرة وعزل الحكم بن أيّوب عنها واستقدمه لبعض الأمر، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة، وجهّزه من ماله. فلمّا قدِم البصرةَ هيّأتْ له زينبُ طعاماً وخرجت متنزِّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة. / فقيل لها: إنّ فيهن امرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها. فقالت لها [٢٠١/٦] زينب: أريني ساقَكِ؛ فقالت: لا، إلا بخلوة؛ فقالت: ذاك لكِ، فكشفتْه لها، فأعطتها ثلاثين ديناراً وقالت: اتّخذي منها خَلخالاً. قال: وكان الحجاج وجّه بزينب مع حُرَمه إلى الشام لمّا خرج ابنُ الأشعث خوفاً عليهنّ. فلما قُتل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح، وكتب مع الرسول كتاباً إلى زينبَ يُخبرها الخبرَ، فأعطاها الكتاب، وهي راكبة على بغلة في هودج، فنشرته تقرؤه، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفَرت، وسقطت زينبُ عنها فاندقّ عَضُداها وتَهَرّا[١] جوفُها فماتت. وعاد إليه الرسول، الذي نفَذ بالفتح، بوفاة زينب. فقال النميريّ يرثيها:

ماتت زينب فرثاها:

صوت

لِزينبَ طيفٌ تَعتريني طَوارِقُه ... هُدوءاً إذا[٢] النجم ارْجَحنّتْ[٣] لَواحقُهْ

سيبكيكِ مِرْنانُ[٤] العشيِّ يُجيبه[٥] ... لَطيفُ بنانِ الكفِّ دُرْمٌ[٦] مَرافقه

إذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقِيتْ[٧] ... لِلَذّاته أنماطُه ونمارقُه[٨]

غنّاه معبد، ولحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وما بقي من شعره[٩] من الأغاني في نَسيب النميريّ لم نذكر طريقتَه وصانعَه لنذكر أخباره معه.

[٢٠٢/٦]

/ **صوت**

غنى ابن سريج من شعره لعبدالله بن جعفر فنحر راحلته وشق جلته:

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمانَ أنْ مشتْ ... به زينبٌ في نسوةٍ خَفِراتِ

مَرَرْنَ بفَخٍّ رائحاتٍ عشيّةً ... يُلبّينَ للرحمنِ مُعتمِراتِ

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وتهرأ اللحم (بالهمز): طبخ حتى يتفسخ ويسقط عن العظم. وفي ب، س: «تهرى». ولم يحكها من أهل اللغة غير ابن دريد عن أبي مالك.

(٢) في ب، س: «إذ».

(٣) ارجحن النجم: مال نحو المغرب.

(٤) مرنان العشيّ: كنى به عن الصنج ذي الأوتار وهو من آلات الطرب. والرنين: الصوت الشجي.

(٥) كذا في «تجريد الأغاني». وفي جميع الأصول: «نجيبه».

(٦) درم: جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه.

(٧) في «الكامل»: «وقربت».

(٨) نسب المبرد في «الكامل» (ص ٧٠٨ طبع أوروبا) هذا البيت لنصيب.

(٩) ظاهر أن السياق يكون واضحاً لو حذفت كلمة «من شعره» أو كلمة «في نسيب النميري». فلعل إحداهما من زيادات النساخ.

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني[1] عن عبدالله بن مُسْلِم الفِهْرِيّ[2] قال:

خرج عبدالله بن جعفر متنزّهاً، فصادف ابنَ سُرَيج وعَزّة المَيْلاء متنزِّهَيْن، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَه وقال لعَزّة: غَنِّيني فغنّته، ثم قال لابن سُريج: غنّني يا أبا يحيى، فغنّاه لحنَه في شعر النميريّ:

* تَضَوّع مسكاً بطنُ نَعْمان أن مشتْ *

فأمر براحلته فنُحرت، / وشَقّ حُلّته فألقى نصفَها على عَزّةَ والنصفَ الآخر على اَبْن سريج. فباع ابنُ سريج النصفَ الذي صار إليه بمائة وخمسين ديناراً. وكانت عزّة إذا جلست في يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخرَ عليها تتجمّل به.

سمع سعيد بن المسيب شعراً له فأعجبه وزاد عليه:

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن عليّ بن منصور قال أخبرني أبو عَتّاب عن إبراهيم بن محمد بن العباس المُطّلِبي:

/ أن سعيد بن المُسيّب[3] مرّ في بعض أزِقّة مكة، فسمع الأخضرَ الحَرْبيّ[4] يتغنّى في دار العاص بن وائل:

تَضوّع مسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشتْ ... به زينبٌ في نسوة خَفِراتِ

فضرب برجله وقال: هذا والله مما يَلَذّ استماعه، ثم قال:

وليست كأخرى أوسعت جيبَ دِرْعِها ... وأبدت بنانَ الكفّ للجَمَراتِ[5]

وعَلّت[6] بَنانَ[7] المسك وَحْفاً[8] مرجّلاً ... على مثل بَدْرٍ لاح في الظلماتِ

وقامت تَراءَى يومَ جَمْعٍ[9] فأفتنتْ ... برؤيتها مَنْ راح من عَرَفاتِ

[1] هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف المدائني مولى شمس بن عبد مناف. كان من رواة الأخبار المشهورين. ولد سنة ١٣٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٥ هـ في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وكان منقطعاً إليه. وله من الكتب عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم في «الفهرست».

[2] هو أبو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري، أحد الأعلام المعروفين، ولد سنة ١٢٥ هـ وتوفي سنة ١٩٧ هـ. وكان ممن جمع وصنف، وله تصانيف كثيرة، وهو الذي حفظ علم أهل الحجاز ومصر. وروى عنه كثيرون، والمدائني المذكور أحد من رووا عنه.

[3] المسيب: هو ابن حزن بن أبي وهب المخزومي، وأهل العراق يفتحون وأهل المدينة يكسرون. ويحكي عن سعيد ابنه أنه كان يقول: سيب الله من سيب أبي. وحكى (الكسر) عياض وابن المديني.

[4] كذا في جميع الأصول هنا. وقد ذكر فيما مر من الأجزاء السابقة باسم «الجدي».

[5] في حـ: «بالجمرات».

[6] كذا في جميع الأصول. ولعله يريد: كررت وضع الطيب في رأسها. ويحتمل أن تكون مصحفة عن: «غلت» (بالغين المعجمة): وغل شعره بالطيب: أدخله فيه، وغل الدهن في رأسه: أدخله في أصول الشعر.

[7] كذا في جميع الأصول. ولعلها محرفة عن «فتات».

[8] الوحف: الشعر الغزير الأسود.

[9] جمع: علم للمزدلفة، سميت به لاجتماع الناس بها.

قال: فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب.

مر على عائشة بنت طلحة فاستنشدته شعره في زينب:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن عبدالله أخي الأصمعيّ عن عبدالله بن عِمْران الهَرَوِيّ، وأخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني المُغيرة بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبدالله عن عبدالله بن عِمْران الهَرَويّ قال:

لمّا تأيّمتْ عائشة[1] بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه، وتجلس بالعشيّات، فيتناضل / بين يديها الرُّماة. فمرّ بها النُّميريّ الشاعر؛ فسألت عنه فنُسب لها، فقالت: ائتوني به، فأتَوْها به. فقالت له: أنشِدْني مما قلتَ في زينبَ؛ فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمّي وقد صارت عظاماً بالية. قالت: أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ؛ فأنشدها قولَه: [٦/٢٠٤]

* تضوّع مسكاً بطنُ نعمان أنْ مشتْ *

الأبيات. فقالت: والله ما قلتَ إلا جميلاً، ولا ذكرتَ إلا كرماً وطيباً، ولا وصفت إلا دِيناً وتُقًى، أعطوه ألفَ درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها؛ فقالت: عليّ به، فأُحضِر. فقالت له: أنشِدْني من شعرك في زينبَ؛ فقال لها: أوَ أُنشِدُك من شعر الحارث بن خالد[2] فيكِ؟ فوثب مواليها إليه؛ فقالت: دَعُوه فإنه أراد أن يَستقيد[3] لبنت عمّه، هاتِ مما قال الحارثُ فيّ؛ فأنشدها:

ظَعَنَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ وغَدَوْا بلبّك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلاً، ذكر أني إذا صَبّحتُ زوجاً بوجهي غداً بكواكب الطَّلْق[4]، وأني غدوتُ مع أميرٍ تزوّجني إلى الشرق، وأني أحسن الخَلْق في البيت ذي الحسب الرفيع؛ أعطوه ألف درهم واكْسُوه حُلّتين، ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُميريّ.

غنى إبراهيم الموصلي للرشيد من شعره وكان غاضباً عليه فرضي عنه:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعي[5] قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه:

/ أنّ الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرقّة فحبسه مدّةً، ثم اصطبح يوماً، فبينا هو على حاله إذ تذكّره، [٦/٢٠٥]

---

(١) تأيمت المرأة: مات عنها زوجها ولم تتزوّج. وقد كانت عائشة عند عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان أبا عذرتها (أول من تزوجها) ثم هلك فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها، ثم تزوجها عمر بن عبدالله بن معمر فمات عنها. ولم تتزوج بعده.

(٢) هو الحارث بن خالد بن العاص المخزومي، وقد مرت ترجمته في الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣١١ ـ ٣٤٣).

(٣) أي يأخذ بثأرها.

(٤) تشير إلى بيت قاله فيها الحارث من هذه القصيدة وهو:

ما صبحت أحداً برؤيتها إلا غداً بكواكب الطلق

أي أن من تصبحه برؤيتها يرى الزمان صافياً طيباً سعيداً تفاؤلاً بطلعتها واستبشاراً. يقال يوم طلق أي مشرق لا برد فيه ولا حر ولا شيء يؤذي.

(٥) في جميع الأصول هنا: «الشعبي» وهو تحريف.

٣١/٦ فقال: لو كان الموصليّ حاضراً لانتظم أمرُنا وتَمَّ سرورنا. قالوا: يا أمير المؤمنين، / فَجِيءَ[1] به، فما له كبيرُ ذنب. فبعث فجِيءَ به. فلمّا دخل أطرق الرشيد فلم ينظر إليه، وأومأ إليه مَنْ حضر بأن يغنّي؛ فاندفع فغنّى:

تَضَوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمانَ أن مشتْ ... به زينبٌ في نِسْوة خَفِراتِ

فما تمالك الرشيد أن حَرّك رأسَه مراراً واْهتزّ طرباً، ثم نظر إليه وقال: أحسنتَ والله يا إبراهيم! حُلُّوا قيودَه وغطُّوه بالخِلَع، ففُعِل ذلك. فقال: يا سيِّدي، رضاك أوّلاً؛ قال: لو لم أرْضَ ما فعلتُ هذا، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم.

ومما قاله النُّمَيْريّ في زينبَ وغنّى فيه:

صـوت

تَشْتُو بمكّةَ نَعْمَةً ... ومَصِيفُها بالطائفِ

أحْبِبْ بتلك مواقفاً ... وبزينبٍ مِنْ واقفِ

وعَزِيزةٌ[2] لم يَغْذُها[3] ... بؤسٌ وجفوةُ حائفِ

غَرّاءُ يَحْكِيها الغزا ... لُ بمُقْلةٍ وسَوَالفِ

الغناء ليحيى المكّي خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ، وذكر عمر بن بانة أنه لابن سُرَيج وأنه بالبنصر. وزعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكيّ أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل.

ومن الغناء في أشعاره في زينبَ:

صـوت

ألَا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... يُحِبّ المُحِلّةَ أختَ المُحِلّ

[٢٠٦/٦] / تراءتْ لنا يومَ فرعِ الأرا ... كِ بين العِشاءِ وبين الأُصُلْ

كأنّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبِيلَ ... وريحَ الخُزَامَى وذَوْبَ العسلْ

يُعَلّ به بَرْدُ أنيابِها ... إذا ما صفا الكوكبُ المعتدلْ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر يونس أن لمالك فيه لحناً فيه:

* كأنّ القَرَنْفُلَ وَالزَّنْجبيل *

والبيتِ الذي بعده وبيتين آخرين وهما:

وقالتْ لجارتها هل رأيْـ ... ـتِ إذْ أعرَض الركبُ فِعْلَ الرجلْ

وأنّ تَبَسُّمَه ضاحكاً ... أجَدّ اشتياقاً لقلبٍ غَزِلْ

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فنجيء به» وانظر هذه القصة في (ج ٥ ص ١٦٦ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) في حـ: «وغريرة». والغريرة: الشابة الحديثة التي لم تجرب الأمور.

(٣) في جميع الأصول: «لم يغدها» (بالدال المهملة). والظاهر أنه مصحف عما أثبتناه.

وذكر حمّاد عن أبيه أن فيها للهُذَليّ لحناً، ولم يذكر طريقته.

المُحِلّ الذي عناه النميريّ هاهنا: الحَجّاج بن يوسف؛ سُمّي بذلك لإحلاله الكعبة، وكان أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك. ويُسمّى أهلُ الشام عبدَالله بن الزبير المُحِلّ لأنه أحلّ الكعبة، زعموا أنه بمُقامه فيها، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها[١].

فأخبرني الحُسين بن يحيى المِرْداسيّ قال قال حَمّاد بن إسحاق: قرأت على أبي:

وبلغني[٢] أنّ إسماعيل بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس تزوّج أسماءَ بنت يعقوب (امرأة من ولد عبدالله بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة وهو بفارس، فمرّتْ بالأهواز على السيد الحِمْيري[٣]؛ فسأل عنها فنُسبت له؛ فقال فيها قولَه:

مَرّتْ تُزَفّ على بغلة ... وفوق رِحالتها[٤] قُبّة

/ زُبيريّةٌ من بنات الذي ... أحلّ الحرامَ من الكعبه

تُزفّ إلى ملِكٍ ماجدٍ ... فلا اجتمعا[٥] وبها الوَجْبه[٦]

[٦/٢٠٧ ٣٢/٦]

وقد قيل بأن الأبيات اللامية التي أولها:

* ألاَ مَنْ لقلبٍ مُعنًّى غَزِلْ *

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلَة بنت الزُّبير، وقيل: إنها لأبي شَجَرة السُّلَميّ[٧].

---

(١) تقدمت في الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٢٧٧) كلمة وافية عن احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبنائه لها.

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وبلغك».

(٣) ستأتي ترجمته في الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٤) الرحالة: مركب من مراكب النساء.

(٥) في الأصول هنا: «فلا اجتمعوا». والتصويب عن «الأغاني» نفسه في ترجمة السيد الحميري.

(٦) لعل الوجبة: مصدر للمرة من وجب القلب يجب وجيباً أي خفق واضطرب.

(٧) في «الكامل» للمبرد: «أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزي. . . . . . وقال الطبري: اسمه سليم بن عبد العزي» من بني سليم بن منصور بن عكرمة. وفي كتاب «الشعر والشعراء»: أنه عبدالله بن رواحة بن عبد العزي. وفي كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة»: عمرو بن عبد العزي وقال نقلاً عن المرزباني: يقال اسمه عمرو، ويقال عبدالله بن عبد العزي وذكره الواقدي في كتاب «الردة» باسم: عمرو بن عبد العزي. وأمه الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة. وكان من فتاك العرب، ويسكن البادية. وهو الذي يقول في قتال خالد بن الوليد أهل الردة:

ولو سألت سلمى غداة مرامر ... كما كنت عنها سائلاً لو نأيتها

وكان الطعان في لؤي بن غالب ... غداة الجواء حاجة فقضيتها

وكان أبو شجرة السلمي هذا ارتدّ فيمن ارتد من بني سليم ثم أسلم. وأتى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يطلب إليه صدقة؛ فقال له عمر: ومن أنت؟ قال: أنا أبو شجرة السلمي. فقال له عمر: أي عدي (تصغير عدّو) نفسه! ألست القائل حين ارتددت:

ورويت رمحي من كتيبة خالد ... وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا ... ترى البيض في حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة وهو يعدو أمامه حتى فاته هرباً وهو يقول:

قد ضنّ عنا أبو حفص بنائله ... وكل مختبط يوماً له ورق

(راجع «الكامل» ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ طبع أوروبا و «تاريخ الطبري» ص ١٩٠٥ ـ ١٩٠٨ من القسم الأول و «الشعر والشعراء» ص ١٩٧ و «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر ج ٧ ص ٩٧ طبع مصر).

[٢٠٨/٦] / استنشد رجل ابن سيرين فأنشده للنميري وقام إلى الصلاة:

حدّثني الحسين بن الطيِّب البَلْخي الشاعر قال حدّثنا قُتَيبةُ بن سَعيد قال حدّثنا أبو بكر بن شُعَيب بن الحَبْحاب المَعْوَليّ[١] قال:

كنت عند ابن سِيرينَ، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سِيرين[٢]:

كأنّ المُدامةَ والزنجبيلَ ... وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العَسَلْ

يُعَلّ به بَرْدُ أنيابها ... إذا النجمُ وَسْطَ السماء اعتدل

وقال: الله أكبر، ودخل في الصلاة.

صوت

من المائة المختارة

يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُق[٣] ... إنّ الأُلَى كنتَ تَهْواهم قد انطلقوا

ـ ويُروى: يذهب بك الحُرَق ـ

ما بالهم لم يُبالوا إذ هَجَرْتَهمُ ... وأنت من هجرهم قد كدتَ تحترقُ

الشعر لوضّاح اليمن. والغناء لصَبّاح الخيّاط، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها. وفي أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدّة، فجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرْمة؛ فأخّرتُ ذكرَها إلى أن تنقضي أخبارُ وَضّاح، ثم أذكرها[٤] بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) (بفتح الميم وبكسرها): نسبة إلى المعاول والمعاولة (قبائل من الأزد). وهم بنو معولة بن شمس بن عمرو.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فأنشده ابن سيرين يقول».
(٣) الخرق (بضمتين وبضم فسكون): نقيض الرفق.
(٤) لم نجد ذكراً لهذه الأبيات بعقب أخبار وضاح في النسخ التي بين أيدينا، كما يقول أبو الفرج هنا.

/ أخبار وضّاح اليمن ونسبه

[٦/ ٢٠٩]

نسبه وأصله وسبب لقبه:

وَضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه، واسمه عبد الرحمن[١] بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد. ثم يُختلف في تحقيق نسبه، فيقول قوم: إنه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليمَن مع وَهْرِز لنُصرة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة. ويزعُم آخرون أنه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنْجَج[٢] وهو حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعف[٣] بن قَحْطان. فممن[٤] ذكر أنه من حمير خالد بن كُلْثوم، قال كان وضاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ ابن أبي جَمَد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَريّ. فمات أبوه وهو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها، وانقضتْ عدّتها فتزوجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس. وشبّ وضاح في حجر زوج أُمّه. فجاء عمُّه وجدّته أمُّ أبيه، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذي قَيْفان[٥] ثم من آل ذي جَدَن[٦] يطلبونه، فادّعى زوج أمه أنه / ولده. / فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه، فحكم به الحاكم لهم، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء[٧] في أمره وحضر معهم. فلما حكم به الحاكم للحميريين، مسح يدَه على

[٦/ ٢١٠]
٣٣
٦

(١) وقيل: إن اسمه عبدالله. (راجع «النجوم الزاهرة» ج ١ ص ٢٢٦ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) كان يقال لحمير العرنجج. والعرنجج في الأصل: العتيق. (راجع الجزء الثامن من كتاب «الإكليل للهمداني» طبع بغداد ص ٢٠٨).

(٣) كذا في جميع الأصول هنا وفيما سيأتي في ب في الجزء الخامس عشر (ص ٧٣ طبع بولاق). وفيما سيأتي في حـ في هذا الموضع: «المرعب». وفي كتاب «أنساب العرب» المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٦١ تاريخ «المرعث». ولم نوفق إلى وجه الصواب فيه.

(٤) في ب، س: «فمن».

(٥) كان الأذواء في اليمن طبقتين طبقة تعرف بالمثامنة وهم ثمانية ملوك كان لا يصح لملك من ملوك حمير الملك حتى يقيمه هؤلاء الثمانية وإن هم اجتمعوا على عزله عزلوه. والطبقة الثانية أذواء آخرون، منهم ذو قيفان هذا، وهو ابن شرحبيل بن أساس بن يغوث بن علقمة بن ذي جدن الأكبر، وهو الذي وهب سيفه الصمصامة لعمرو بن معديكرب الزبيدي، فقال فيه عمرو:

وسيـــف لابـــن ذي قيفـــان عنـــدي	تخيـــره الفتـــى مـــن عصـــر عـــاد
يقـــدّ البيـــض والأبـــدان قـــدّا	وفـــي الهـــام الململـــم ذو آحتـــداد

ثم وهبه عمرو لسعد بن أبي وقاص ثم صار إلى آل سعيد بن العاص فاشتراه الخليفة المهديّ منهم بمال جسم وأحضر الشعراء فقالوا فيه أشعاراً كثيرة. ثم أمر المهدي بالسيف فسقي فتغير لذلك وقل قطعه بسبب سقيه. (راجع «شرح القصيدة الحميرية» و «منتخبات في أخبار اليمن» كلاهما لنشوان بن سعيد الحميري).

(٦) ذكر المؤلف ترجمته في الجزء الرابع (ص ٢١٧) من هذه الطبعة.

(٧) الأبناء: هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، وكانوا يسمون بصنعاء بني الأحرار، وباليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة (عن «الأغاني» جـ ١٦ ص ٧٦ طبع بولاق).

رأسه وأعجبه جمالُه وقال له: اذهب فأنت وضّاح اليمن، لا من أتباع ذي يَزَن[1] (يعني الفُرْس الذين قدم بهم ابنُ ذي يَزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذ، فلُقِّب وضّاحَ اليمن. قال خالد: وكانت أمّ داذَابن أبي جَمَد جدّةُ وضاح كِنْديّةً؛ فذلك حيث يقول في بنات عمه:

إن قلبـــي مُعَلَّـــق بنســـاء واضحـــاتِ الخـــدود لَـســنَ بهُجْـنِ
مِـــنْ بنــات الكــريــم دَاذَ وفـــي كنـ ـــدةَ يُنسبـــن مـــن أُبـــاة اللَّعْـــن

[٦/٢١١] / وقال أيضاً يفتخر بجَدّه أبي جَمَد:

بَنَــى لــيَ إسمــاعيــلُ مجــداً مُــؤثَّــلاً وعبــدُ كُــلال بعــده وأبـــو جَمَــدْ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال:

كان وضّاح اليمن والمُقنَّع الكِنْديّ وأبو زُبَيْد الطائي يَرِدون مواسمَ العرب مُقنَّعين يسترون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَراً على أنفسهم من النساء لجمالهم. قال خالد بن كلثوم: فحدّثت بهذا الحديث مَرّةً وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى حاضرٌ ذلك، وكان يزعم أن وضّاحاً من الأبناء؛ فقال أبو عُبيدة: داذ اسم فارسي. فقلت له: عبد كلال اسمٌ يَمانٍ، وأبو جَمَد كنية يمانيّة، والعجم لا تكتنى، وفي اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأَبْرهة، وهو اسم حبشيّ، فينبغي أن تنسُبهم إلى الحبشة. وأيّ شيء يكون إذا سُمّي عربيّ باسم فارسيّ! وليس كلّ من كُنى أبا بكر هو الصدّيق، ولا من سُمّي عُمَراً هو الفاروق، وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه. قال: فوجَم أبو عبيدة وأُفحم فما أجاب.

وممن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمد بن زِياد الكِلاَبيّ.

وقال خالد بن كلثوم: إنّ أمّ إسماعيل أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن، وأم أبيه بنت فُرْعانَ ذي[2] الدّروع الكِنْديّ من بني الحارث بن عمرو.

(١) هو سيف بن ذي يزن الذي بقتله دخلت اليمن في ملك الأحباش. وكان سيف هذا جميل المنظر عالي الهمة قوي السلطان شديد البأس كريم الخلق جواداً حسن التدبير والسياسة. وكان قد ترك بلاد اليمن بعد موت أبيه وتوجه لقيصر الروم واستنجده في ردّ ملك والده فلم يجبه قيصر لطلبه، فقصد كسرى أنو شروان ملك العجم لهذا الغرض فأجابه إلى طلبه وأرسل معه جيشاً تحت قيادة «وهرز» فأخرجهم من اليمن وردّ إليه ملكه. فتربع سيف على ملك أجداده تحت رعاية الأعجام، واتخذ مقر أعماله قصر غمدان بمدينة صنعاء التي كانت في ذلك العهد عاصمة ملكه. وقد هنأته وفود العرب والشعراء لاسترداد ملك أبيه وتغلبه على الأحباش. وكان من جملة وفود المهنئين وفد الحجازيين الذي كان يرأسه عبد المطلب جدّ النبيّ ﷺ فاستأذنوا عليه ودخلوا وهو في قصره (غمدان) فأذن لهم فدخلوا عليه وهو متضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه والسيف بين يديه وملوك اليمن وأقيال حمير حواليه، وأمامه أمية بن الصلت الثقفي ينشده قصيدته يمدحه فيها ويهنئه؛ ومطلعها:

لا يطلـب الثـأر إلا كـابـن ذي يـزن فـي البحـر خيـم لـلأعـداء أحـوالا

ثم استأذنه عبد المطلب في الكلام وألقى بين يديه خطبة نالت منه استحساناً. ثم أمر بهم إلى دار الضيافة وأجرى عليهم ما يحتاجون شهراً لا يؤذن لهم في مقابلته ولا في الانصراف. والقصيدة والخطبة ذكرهما المؤلف في الجزء السادس عشر من هذا الكتاب (ص ٧٥ ـ ٧٧ طبع بولاق).

(٢) كذا في أ، ء، م هنا و «شرح القاموس» (مادة فرع) وما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه. وفي سائر الأصول وفيما سيأتي في أ، ء، م: «فرعان بن ذي الدروع» وهو تحريف.

أحب روضة ولم يتزوجها وقال فيها شعراً:

وكان وضّاحٌ يهوَى امرأةً من أهل اليمن يقال لها رَوْضة.

/ أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: [٦/٢١٢]

ذكر هشام بن الكلبيّ أنها رَوْضة بنت عمرو، من ولد فُرْعانَ ذي الدروع الكِنْديّ.

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني محمد بن سَعيد الكُراني قال حدّثنا العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبدالله بن عَيّاش[١]:

أنّ وضّاحاً هَوِي امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة؛ فذهبت به كل مذهب. وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها؛ وعاتبه أهلُه وعشيرته. فقال في ذلك:

صـوت

يــأيهــا القلــبُ بعــضَ مــا تجِــدُ قــد يعشَــق المــرءُ ثــم يتَّئِــدُ

قــد يكتــم المــرءُ حبَّــه حِقَبــاً وهــو عَميــدٌ وقلبُــه كَمِــدُ

مــاذا تــريــديــن مــن فتــى غَــزِلٍ قــد شَفَّــه السُّقْــمُ فيــكِ والسَّهَــدُ

/ يهــدِّدونــي كيمــا أخــافَهــمُ هيهــاتَ أنّــى يُهَــدَّدُ الأســدُ ٣٤/٦

الغناء لابن مُحْرِز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها لحن لابن عَبّاد، من كتاب إبراهيمَ، غير مجنّس.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني سالم بن زيد قال أخبرني التَّوَّزِيّ قال حدّثنا الأصمعي عن الخليل بن أحمد قال:

كان وَضّاح يهوَى امرأةً من كِندة يقال لها رَوْضة. فلما اشتهر أمرُه معها خطبها فلم يُزَوَّجها، وزُوِّجت غيرَه، فمكثت مدة طويلة. ثم أتاه رجل من بلدها / فأسرّ إليه شيئاً فبكى. فقال له أصحابه: مالك تبكي؟ وما خبرك؟ [٦/٢١٣] فقال: أخبرني هذا أنّ روضةَ قد جُذمت، وأنه رآها قد أُلقيت مع المجذومين. ولم نجد لهما[٢] خبراً يرويه أهلُ العلم إلا لُمَعاً يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره، فأمّا خبرٌ متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوع غَثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه. وأصابها الجُذام بعد ذلك، فانقطع ما بينهما. ثم شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجةِ الوليد بن عبد الملك، فقتله الوليد لذلك. وأخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال حدّثنا مُصعَب بن عبدالله قال:

كان وَضّاح اليمن يَهوى امرأةً يقال لها روضة ويشبّب بها في شعره، وهي آمرأة من أهل اليمن. وفيها يقول:

صـوت

يــا رَوْضــةَ الــوضّــاحِ قــد عَنّيْــتِ وضّــاحَ اليمــنْ

فــاسقــي خليلَــك مِــنْ شــرا بٍ لــم يُكــدِّره الــدَّرَنْ

(١) كذا في أ،ء، م. وفي سائر الأصول: «عباس» وهو تصحيف.

(٢) في أ،ء، م: «لها».

الـريـحُ ريـح سَفَـرْجَـلِ والطعـمُ طعـم سُـلاَفِ دَنّ
إنـي تُهيِّجنـي إليـ ـسْكِ حمـامتـان علـى فَنَـن

قال مُصعَب: فحدّثني بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وَضاح مع روضةَ من أهل اليمن: أنّ وضّاحاً كان في سفر مع أصحابه. فبينا هو يسير إذ استوقفهم وعدَل عنهم ساعةً، ثم عاد إليهم وهو يبكي. فسألوه عن حاله؛ [٦/٢١٤] فقال: عدلتُ إلى / روضة، وكانت قد جُذمت فجُعِلتْ مع المجدومين، وأخرجت من بلدها، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْراً[1] من نفقتي. وجعل يبكي غمّاً بها.

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات؛ فإن في جميعها غناء.

ومما قاله وضّاح في روضةَ المذكورة وفيه غناء، وأنشدَنا حَرَمِيّ عن الزُّبَير عن عمه:

صوت

أيـا روضـةَ الـوَضّـاح يـا خيـرَ رَوْضـةٍ لأهلـكِ لـو جـادوا علينـا بمنـزلِ
رهينُـكِ وَضّـاحٌ ذهبـتِ بعقلـه فـإن شئـتِ فـآحييـه وإن شئـت فـاقتلـي
وتُـوقَـد حِينـاً بـالـيَلَنْجُـوجِ[2] نـارُهـا وتـوقَـد أحيـانـاً بمسـك ومَنْـدَلِ

والأبيات الأول النونية فيها زيادة على ما رواه مصعب، وفي سائرها غناء. وتمامُها بعد قوله:

«إنـي تُهيِّجنـي إليـ ـكِ حمـامتـان علـى فَنَـن»
/ الـزوج يـدعـو إلفَـه فتطـاعمـا حُـبَّ السكَـنْ [٣٥/٦]
لا خيـرَ فـي نَـثَ[3] الحـديـ ـث ولا الجليـس إذا فَطَـن
فـاعْصِـي الـوُشـاةَ فـإنمـا قـول الـوشـاة هـو الغَبَـن
إنّ الـوُشـاة إذا أتـو كِ تَنَصّحـوا ونَهَـوْكِ عَـنْ[4]
دَسّـت حُبَيِّبَـةُ مَـوْهِنـاً إنـي وعيشـكِ يـا سَكَـن
/ أبلغـتُ عنـكِ تبـدُّلاً وأتـى بـذلـك مُـؤتَمَـن [٦/٢١٥]
وظننـتُ أنـكِ قـد فعلـ ـت فكِـدْتُ مـن حَـزَنٍ أُجـنّ
ذَرَفـتْ دمـوعـي ثـم قلـ ـت بمَـنْ يبـادلنـي بمـن
اسكُـتْ فلسـتَ مُصـدِّقـاً مـا كـان يفعـل ذا أظـن
إنـي وجَـدِّكَ لـو رأيـ ـت خليلَنـا ذاك الحسـن

(١) الصدر: الطائفة من الشيء.
(٢) اليلنجوج: عود البخور.
(٣) نث الحديث: إفشاؤه وإذاعته. وقد وردت هذه الكلمة في جميع الأصول: «بث» (بالباء الموحدة) والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه.
(٤) يريد: عني.

يجفـــوه ثـــم يحبنـــا[1] والله مِـــثْ مـــن الحَـــزَن
أخبـــره إمّـــا جنتّـــه أنّ الفـــؤاد بـــه يجَـــنّ
أبغضـــت فيـــه أحبّتـــي وقَلَيْـــت[2] أهلِـــي والـــوطن
أتـــركتنـــي حتـــى إذا عُلِّقـــت أبيـــض كـــالشَّطَـــن
أنشـــأتَ تطلـــب وَصْلَنـــا فـــي الصيـــف ضَيَّعـــت اللبـــن[3]

ـ هكذا قال، وغيره يرويه: «في الصيف ضيحت[4] اللبن» أي مذَقته[5]. قال[6] ـ:

[٢١٦/٦]

/ لـــو قيـــل يـــا وضّـــاح قـــم فـــاختـــر لنفســـك أو تَمَـــنّ
لـــم أغـــدُ رَوْضـــةَ والـــذي ســـاق الحجيـــج لـــه البُـــدُن

الغناء في الأوّل من القصيدة وهو «يا روضة الوضّاح» يُنسب إن شاء الله. وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعةٌ، وبعضها لم يقَع إليّ أنه صُنع فيه. فمن قوله[7] فيها:

صـوت

يـــا روضُ جيـــرانكـــم[8] البـــاكـــرُ فـــالقلـــبُ لا لاهٍ ولا صـــابـــرُ[9]
قـــالـــت ألا لا تَلِجَـــنْ دارَنـــا إنّ أبـــانـــا رجـــلٌ غـــائـــر
قلـــت فـــإنـــي طـــالـــبٌ غِـــرّةً منـــه وسَيفـــي صـــارمٌ بـــاتـــر
قـــالـــت فـــإن القَصْـــرَ مِـــنْ دوننـــا قلـــتُ فـــإنـــي فـــوقـــه ظـــاهـــر

(١) في حـ: «يجيثنا». وفي أ، ى، م: «يجبنا». ولعل هذا الشطر مصحف عن:

* نحفوه ثم يجبنا *

وحفاه يحفوه: أكرمه وأعطاه. وجبه: قطعه.

(٢) قلى: هجر.

(٣) المثل مشهور يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه وهو: «في الصيف ضيعت اللبن» ويروى: «الصيف صيعت اللبن» (بكسر التاء) ولو خوطب به المذكر أو الجمع، لأنه خوطبت به امرأة كانت تحت شيخ كبير موسى فكرهته فطلقها فتزوجها فتى جميل الوجه مملق، فبعثت إلى الأول تستميحه فقال ذلك لها. وقيل: إنه صدر عن امرأة الأسود بن هرمز وكانت عنوداً، فرغب عنها إلى جميلة من قو ثم جرى بينهما ما أدى إلى الفارقة؛ فتبعت نفسه العنود فراسلها فأجابته بقولها:

أتـــركتنـــي حتـــى إذا علقـــت أبيـــض كـــالشطـــن
أنشـــأت تطلـــب وصلنـــا فـــي الصيـــف ضيعـــت اللبـــن

وعلى هذا فالتاء مفتوحة.

(٤) وردت هذه الكلمة في أكثر الأصول: «صبحت» (بالصاد المهملة والباء الموحدة). وفي حـ: «صيحت». (بالياء المثناة). وكلاهما مصحف عما أثبتناه.

(٥) مذق اللبن بالماء يمذقه (من باب نصر): مزجه.

(٦) الظاهر أن كلمة «قال» هاهنا مقحمة من النساخ.

(٧) في الأصول: «فمن قوله فيها هزج قديم يمني». ولعل ذلك من زيادات النساخ، فإن المؤلف قد ذكر اللحن عقب الشعر.

(٨) كذا في الأصل.

(٩) أورد أبو هلال العسكري في كتابه «ديوان المعاني» المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٨٧٤ أدب ج ١ ص ١٩٣) هذه الأبيات ولم يذكر معها هذا البيت، وروايتها فيه تخالف ما هنا في بعض الأبيات والألفاظ.

قالت فإن البحرَ مِنْ دوننا | قلت فإنّي سابحٌ ماهر
قالت فحَولي إخوةٌ سبعةٌ | قلت فإني غالبٌ قاهر
قالت فليثٌ رابضٌ بيننا | قلت فإني أسدٌ عاقر
قالت فإن الله من فوقنا | قلت فربيّ راحمٌ غافر
قالت لقد أعييتَنا حُجّةً | فأتِ إذا ما هَجع السامر[1]
فاسقُط علينا كسقوط النّدَى | ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجر

٣٦/٦ الغناء في هذه الأبيات هَزَجٌ يمنيّ، وذكر يحيى المكي أنه له.

[٢١٧/٦] وقال في روضة وهو بالشام:

أبتْ بالشام نفسي أن تطيبا | تذكّرتُ المنازلَ والحبيبا
تذكّرتُ المنازلَ من شعُوب[2] | وحَيًّا أصبحوا قُطِعوا[3] شُعوبا
سَبَوا قلبي فحَلّ بحيث حَلُّوا | ويُعظِم إن دَعَوْا ألّا يُجيبا
ألا ليت الرياحَ لنا رسولٌ | إليكم إنْ شَمالاً أو جَنُوبا
فتأتِيَكم بما قلنا سريعاً | ويبلُغَنا الذي قلتم قريبا
ألاَ يا رَوْض قد عَذّبتِ قلبي | فأصبح من تذكُّركم كئيبا
ورقّقني هواكِ وكنتُ جَلْداً | وأبْدَى في مَفارِقِيَ المَشيبا
أمَا يُنسيكَ روضةَ شحطُ دارٍ | ولا قربٌ إذا كانت قريبا

ومما قال فيها أيضاً:

طَرِب الفؤاد لطَيْفِ روضةَ غاشِي | والقومُ بين أباطِحٍ وعِشَاشِ[4]
أنّى اهتديتِ ودون أرضكِ سَبْسبٌ | قَفْرٌ وحَزْنٌ في دُجَى ورشَاش
قالت تكاليفُ المحبّ كَلِفْتُها | إنّ المُحبّ إذا أُخيفَ[5] لَمَاشي
أدعوكِ روضةَ رحبُ واسمكِ غيرُه | شَفَقاً وأخشى أن يَشِي بكِ واشي
قالت فزُرْنا قلتُ كيف أزورُكم | وأنا امرؤ لخُروج سرّك خاشي
قالت فكُنْ لعُمومتي سِلْماً معاً | والطُفْ لإخوتيَ الذين تُماشي
فتزورنا معهم زيارةَ آمنٍ | والسرُّ يا وضّاح ليس بفاشي

---

(١) السامر: اسم جمع بمعنى المتسامرين.
(٢) شعوب: موضع قريب من صنعاء، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء.
(٣) في «مهذب الأغاني» (ج ٣ ص ٢٧ طبع مصر): «قطعاً».
(٤) العشاش: جمع عشة (بالفتح)، وهي الأرض القليلة الشجر، وقيل: هي الأرض الغليظة.
(٥) كذا في الأصول.

/ ولَقِيتُهـا تمشـي بـأبطَـحِ مـرّةً ... بخـلاخـلٍ وبُحلّـةٍ أكبـاش[١] [٨/٦

فظلِلْـتُ معمـوداً وبِـتّ مُسَهّـداً ... ودمـوع عينـي فـي الـرداء غَـواشـي

يـا روض حبُّـك سَـلّ جسمـي وانتحـى ... فـي العظـم حتـى قـد بلغـتِ مُشـاشـي[٢]

ومما قال فيها أيضاً:

طَـرَقَ[٣] الخيـالُ فمـرحبـاً سهـلاً ... بخيـال مَـنْ أهـدى لنـا الـوصْـلا

وسَـرى إلـيّ ودون منـزلـه ... خمـسٌ دوائـمُ تُعمِـل الإبْـلا[٤]

يـا حبّـذا مَـنْ زار معتسفـاً[٥] ... حَـزْنَ البـلاد إلـيّ والسَّهْـلا

حتـى ألـمّ بنـا فبِـتُّ بـه ... أغْنَـى الخـلائـق كلُّهـم شَمْـلا

يـا حبـذا هـي حسبـك قـدك فـي[٦] ... والله مـا أبقيـت لـي عقـلا

والله مـا لـي عنـكِ مُنْصَـرَفٌ ... إلا إليـكِ فـأجْمِلـي الفِعْـلا

حجت أم البنين ورآته فهويته:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا القاسم بن الحسن المَرْوَزيّ قال حدّثنا العُمَري عن لَقيط والهَيْثم بن عَدِيّ:

أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك في الحج فأذِن لها، وهو يومئذ خليفة وهي زوجته. فقدمت مكةَ ومعها من الجواري ما لم يُرَ مثلُه حسناً. وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن / ذكرها $\frac{٣٧}{٦}$ أحدٌ منهم أو ذكر / أحداً ممن تَبِعها. وقدِمتْ، فتراءت للناس، وتصدّى لها أهلُ الغَزَل والشعر، ووقعتْ عينُها على [٩/٦ وَضّاح اليمن فهَوِيتْه.

فحدّثنا الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِي[٧] عن محمد[٨] بن جعفر مولى أبي هُرَيرة عن أبيه عن بُدَيح قال:

قَدِمتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً، والوليدُ يومئذ خليفة. فبعثت

---

(١) الأكباش (بالموحدة): من برود اليمن. وقد وردت هذه الكلمة في جميع الأصول (بالمثناة التحتية)، وهو تصحيف. (راجع «شرح القاموس» مادة كبش).

(٢) المشاش: النفس. والمشاش أيضاً: رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين، واحده مشاشة.

(٣) في حـ: «طاف».

(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الأسلا».

(٥) في حـ: «. . . من زائر متعسف».

(٦) كذا ورد هذا الشطر في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول:

* يا حب روضة حبك قد *

وكلاهما غير مستقيم.

(٧) كذا في أ، ء، م. وقد ورد في الجزء الأوّل (ص ٣٤٢) من هذه الطبعة: «محمد بن عبد العزيز الزهري». وفي ب، حـ: «الجوهري». وفي س: «الجوهري الزهري». وكلاهما «تحريف».

(٨) في حـ: «محرز بن جعفر».

إلى كُثيِّر وإلى وضّاح اليمن أنِ انسُبا بي. فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنَّسيب بها؛ فوجَد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله. وأمّا كُثيِّر فعدَل عن ذكرها ونسَب بجاريتها غاضِرة فقال[1]:

صوت

شجا أظْعانُ غاضِرةَ الغَوَادي ... بغير مَشُورة[2] عَرَضاً[3] فؤادِي

أغاضِرَ لو شهِدتِ غداةَ بِنْتم ... حُنُوَّ العائدات على وِسادي

أَوَيْتِ[4] لعاشق لم تشكُميه ... بواقدةٍ تلذَّعُ كالزِّناد

[٦/٢٢٠] / الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ وحَبَش. قال بُدَيح: فكنتَ لمّا حجّتْ أم ألبنين لا تشاء أن تَرى وجهاً حسناً إلا رأيتَه معها. فقلت لعُبيد الله[5] بن قيس الرُّقَيات: بمن تشبَّب من هذا القَطين؟ فقال لي:

وما تصنع بالسرّ ... إذا لم تك مجنونَا[6]

إذا عالجتَ ثِقْل الحـ ... ـبِّ عالجتَ الأمَرِّينا[7]

وقد بُحْتَ بأمرٍ كا ... ن في قلبيَ مكنونا

وقد هِجْتَ بما حاولْـ ... ـتَ أمراً كان مدفونا

قال: ثم خلا بي[8] فقال لي: اكتُم عليّ، فإنك موضع للأمانة؛ وأنشدني:

صوت

أصحوتَ عن أمّ البنيـ ... ـنَ وذكرِها وعَنائها

وهجرتَها هجرَ امرىء ... لم يَقْلُ صفوَ صفائها

قُرشيّةٌ كالشمس أشـ ... ـرق نورُها ببهائها

زادتْ على البِيض الحِسا ... ن بحسنها ونقائها

لمّا اسبكَّرتْ للشبا ... ب وقُنِّعَتْ بردائها

(١) فيما سيأتي في «الأغاني» في خبر كثير وخندق الأسدي في الجزء الحادي عشر (طبع بولاق): أن هذا الشعر من قصيدة قالها كثير في رثاء خندق الأسدي لما قتل. وذكرت هناك القصيدة كاملة.

(٢) كذا فيما سيأتي في ب في الجزء الحادي عشر من الأغاني (ص ٤٧، ٤٩ طبع بولاق) وحـ. وفي جميع الأصول هنا: «بغير مثية».

(٣) كذا فيما سيأتي بعد قليل في حـ وفيما سيأتي في الجزء الحادي عشر. وقد حـ هنا: «عرضاً». وفي سائر الأصول هنا وفيما يأتي: «غرضاً». والظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه.

(٤) أويت العاشق: رثيت له وأشفقت عليه. وفي حـ: «رضيت».

(٥) في ب، س: «لعبدالله» وهو تحريف.

(٦) وردت هذه القصيدة والقصيدتان اللتان بعدها في الجزء الحادي عشر من هذا الكتاب (ص ٤٩ طبع بولاق) في خبر كثير وخندق الأسدي باختلاف يسير عما هنا.

(٧) الأمرون: الدواهي.

(٨) في ب، س: «ثم خلاني». وهو تصحيف.

لم تلتفت لِلِداتها ... ومضت على غُلَوائها
لولا هَوَى أُمّ البنيـ ... ـنَ وحاجتي للقائها
قد قرّبت لي بغلة ... محبوسة لنَجائها

/ قال بُدَيح: فلمّا قَتل الوليدُ وضّاحَ اليمن، حجّتْ بعد ذلك أُم البنين محتجبةً لا تكلّم أحداً؛ وشخصت [٦/٢٢١] كذلك، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات، فقال: يا بديح

صوت

/ بان الحبيبُ[1] الذي به تَثِقُ[2] ... وآشتدّ دون الحبيبة القَلَقُ [٣٨/٦]
يا من لصَفْراء[3] في مفاصلها ... لِينٌ وفي بعض بطشها خُرُق

وهي قصيدة قد ذُكرت[4] مع أخبار آبن قيس الرقيّات.

الغناء في الأبيات الأُوَل التي أولها:

* أصحوتَ عن أُمّ البنين *

يُنسب في موضع آخر إن شاء الله.

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبَير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي[5] عن عبدالله بن أبي عُبيدة قال حدثني كُثَيِّر قال:

حججتُ مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك، فأرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبا بي؛ فهِبْتُ ذلك ونسَبت بجاريتها غاضرة، فقلت:

شجا أظعانُ غاضرة الغَوَادِي ... بغير مَشُورة عَرَضاً فؤادي[6]
/ أغاضر لو شهدتِ غداةَ بِنْتم ... حُنُوَّ العائدات على وسادي [٦/٢٢٢]
أوَيْتِ لعاشقٍ لم تشكُميه ... بواقدةٍ تلذّع كالزِّناد

وأمّا وضّاح فنسَب بها، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله.

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد[7] الكُرَانيّ قال حدثني أبو عمر العُمَريّ عن العُتْبيّ قال:

(١) في أ، ء، م: «الخليط».
(٢) في حـ: «تثق» بالنون.
(٣) في ب، س: «لصفرى» وهو تحريف.
(٤) لم نجد هذه القصيدة في أخبار ابن قيس الرقيات المذكورة في الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٧٣ ـ ١٠٠). وقد ذكر المؤلف بعض أبيات منها في الجزء الحادي عشر (ص ٤٩ ـ ٥٠ طبع بولاق).
(٥) في حـ: «قال حدّثني عمر بن أبي بكر الموصلي». وفي سائر الأصول: «قال حدّثني عمر ابن عمي عن أبي بكر الموصلي». (راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة و «المشتبه» للذهبي ٣٠٠ طبع ليدن سنة ١٨٦٣ م).
(٦) راجع الحاشيتين (رقم ٤ و ٥ ص ٢١٩) من هذا الجزء.
(٧) كذا في جميع الأصول وقد مر هذا الاسم فيما سبق من الأجزاء مضطرباً بين سعد مرة وسعيد أخرى، ولم نوفق إلى ترجيح إحدى الروايتين.

مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك، وهو يومئذ خليفة، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده[1] عنده وتقوّيَ أمره. فقدِم عليه وضّاح وأنشده قولَه فيه:

صوت

صبا قَلبي ومال إليكِ مَيْلاَ وأرّقني خيالُكِ يا أُثَيْلاَ[2]

يَمانِيَةٌ تُلِمّ بنا فتُبْدِي دقيقَ محاسنٍ وتُكِنّ[3] غَيْلاَ[4]

دَعِينا ما أممتُ[5] بناتِ[6] نَعْشٍ من الطَّيْفِ الذي يَنْتاب ليلا

ولكنْ إن أردتِ فَصبِّحينا إذا أَمّتْ ركائبُنا سُهَيْلا[7]

فإنكِ لو رأيتِ الخيلَ تعدو سِراعاً[8] يتخذْن النَّقْعَ ذَيْلا

/ إذاً لرأيتِ فوقَ الخيلِ أُسْداً[9] تُفيد مغانماً وتُفيتُ[10] نَيْلا

إذا سار الوليدُ بنا وسِرْنا إلى خيلٍ نُلُفّ بهنّ خَيْلا

ونَدخل بالسرور ديارَ قومٍ ونُعقِب آخرين أذًى ووَيْلا

[٦/٢٢٣]

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه. ومدحه بعدّة قصائد. ثم نُمِي إليه أنه شبّب بأم البنين، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه، ودبر في قتله.

ومدحه وَضّاح بقوله أيضاً:

ما بال عينكَ لا تَنام كأنما طَلبَ الطبيبُ بها قَذًى فأضلَّهُ

بل ما لقلبك لا يزال كأنه نَشْوانُ أَنْهلَه النديمُ وعَلَّه

ما كنتُ أحسَب أنْ أبيتَ ببلدةٍ وأخِي بأُخرى لا أحُلُّ مَحلَّه

(١) رفده وأرفده: أعانه.

(٢) أثيل: ترخيم أثيلة، وهو اسم امرأة.

(٣) كذا في ب، س و «شرح الحماسة» (ص ٣١٦ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨ م). وفي سائر الأصول و «تجريد الأغاني»: «وتجن».

(٤) الغيل: الساعد الريان الممتلىء. وفي «شرح الحماسة» في التعليق على هذا البيت: «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم. وتكن غيلاً: أي تستر ما جل منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ».

(٥) في «تجريد الأغاني»: «ما أممنا».

(٦) بنات نعش: من الكواكب الشامية، وكان غزوه نحو الروم. يقول: دعيني من طيفك حين أؤم بنات نعش، أي حين أقصد قصد الشام للغزو.

(٧) يريد إذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن. ورواية هذا البيت في «شرح الحماسة» و «تجريد الأغاني»:

ولكن إن أردت فهيجينا إذا رمقت بأعينها سهيلا

(٨) في حـ و «شرح الحماسة» و «تجريد الأغاني»: «عوابس».

(٩) رواية هذا الشطر في «شرح الحماسة»:

* رأيت على متون الخيل جنا *

(١٠) كذا في «شرح الحماسة» و «تجريد الأغاني». يريد: تفيد المغانم من أعدائها وتفيتهم نيل شيء منها. وفي جميع الأصول: «تفيد مغانما وتفيد نيلا».

كنّا لعَمْرُك ناعمين[1] بغبطةٍ مع ما نُحبّ مَبِيتَه ومَظَلَّه
فأرى الذي كنّا وكان بغِرّة نلهو بغِرّته ونهوَى دَلَّه
/ كالطيف وافق ذا هوًى فلهَا به حتى إذا ذهب الرقاد أضلّه
[٣٩/٦]
قل للذي شغَف[2] البلاءُ فؤادَه لا تهلكنَّ أخاً فربّ أخ له
والقَ ابن مَروان الذي قد هزّه عِرق[3] المكارم والنّدى فأقلّه
وأشكُ الذي لاقيته من دونه[4] وانشُرْ إليه داءَ قلبك كلَّه
/ فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من آمرىء أمسى يذوق من الرُّقاد أقلّه
[٦/ ٢٢٤]
شوقاً إليك فما تنالك حالُه وإذا يَحُلّ الباب لم يُؤذن له
فإليك أعملتُ المطايا ضُمَّراً وقطعتُ أرْواحَ الشتاء وظِلّه[5]
وليالياً لو أنّ حاضرَ بثّها طرف القضيب أصابه لأشلّه

فلم يزل مجفُوّا حتى وجَد الوليد له غِرّة، فبعث إليه مَن اختلسه ليلاً فجاءه به، فقتله ودفنه في داره، فلم يُوقف له على خبر.

قتل الوليد له:

وقال خالد بن كلثوم في خبره:

كان وضّاح قد شبّب بأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان آمرأة الوليد بن عبد الملك، وهي أم ابنه عبد العزيز بن الوليد، والشرفُ فيهم. فبلغ الوليدَ تشبُّبُه بها، فأمر بطلبه فأُتي به، فأمر بقتله. فقال له ابنه عبد العزيز: لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقّقَ قولَه، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دَهْبَل؛ فإنه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله؛ فقال: إذاً تُحقّق قولَه، ولكن تَبَرُّه وتحسن إليه فيستحي ويَكُفُّ ويكذّب نفسه. فلم يقبل منه، وجعله في صندوق ودفنه حيًّا. فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد فَخَارٌ خرجا فيه إلى أن أغلظا المُسَابّة، وذلك في دولة بني العبّاس؛ فوضع الشُّعُوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أن أمّ البنين عشِقتْ وَضّاحاً، فكانت تُدخله صندوقاً عندها. فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق، فأخذه فدفنه. هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبَير بن بكّار جميعاً.

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدّثنا أبو سَعيد السُّكّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبيب عن ابن الكَلْبيّ قال:

/ عَشِقتْ أمّ البنين وَضّاحاً، فكانت تُرسل إليه فيدخل إليها ويُقيم عندها؛ فإذا خافت وارتْه في صندوق عندها [٦/ ٢٢٥]

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وفي جميع الأصول: «يا عمير».
(٢) في حـ: «شغف» (بالغين المعجمة)، وهما بمعنى.
(٣) كذا في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «عرف». والعرف (بالضم): المعروف.
(٤) في حـ و «تجريد الأغاني»: «من جفوة».
(٥) في «تجريد الأغاني»: «طله» (بالطاء المهملة)، والطل: أخف المطر وأضعفه. وقيل: هو الندى.

وأقفلتْ عليه. فأهدي للوليد جَوْهر له قيمة فأعجبه واستحسنه، فدعا خادماً له فبعث به معه إلى أم البنين وقال: قل لها: إن هذا الجوهر أعجبني فآثرتُكِ به. فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها، فأدخلتْه الصندوقَ وهو يَرى، فأدّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر، ثم قال: يا مولاتي، هَبيني منه حجراً؛ فقالت: لا، يابنَ اللَّخْناء ولا كرامة. فرجع إلى الوليد فأخبره؛ فقال: كذبتَ يابن اللخناء، وأمَر به فَوُجِئتْ عنقُه. ثم لبس نعليه ودخل على أمّ البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه، فجلس عليه ثم قال لها: يا أمّ البنين، ما أحبَّ إليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك! فلِمَ تختارينه؟ فقالت: أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجي كلَّها فأتناولها منه كما أريد من قرب. فقال لها: هَبِي لي صندوقاً من هذه الصناديق؛ قالت: كلُّها لك يا أمير المؤمنين؛ قال: ما أريدها كلَّها وإنما أريد واحداً منها؛ فقالت / له: خذ أيَّها شئتَ؛ قال: هذا الذي جلستُ عليه؛ قالت: خذ غيرَه فإن لي فيه أشياءَ أحتاج إليها؛ قال: ما أريد غيره؛ قالت: خُذْه يا أمير المؤمنين. فدعا بالخَدَم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه. ثم دعا عَبيداً له فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقةً، فنُحّي البِساط وحُفرت إلى الماء. ثم دعا بالصندوق فقال: [يا هذا][1] إنه بلغنا شيء إن كان حقًّا فقد كفَّنَّاك[2] ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلاً فإنا دفنّا الخشب، وما أهونَ / ذلك! ثم قُذِف به في البئر وهِيل عليه الترابُ وسُوِّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه. ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم. قال: وما رأتْ أمّ البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما.

٤٤ / ٦ [٦/٢٢٦]

أرضت أم البنين وضاح وهو في دمشق فقال شعراً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني مصعب بن عبدالله قال:

رَضِت أم البنين ووضّاحٌ مُقيم بدمشق، وكان نازلاً عليها؛ فقال في علّتها:

صـوت

حتّامَ نَكْتُم حزنَنا حتّامَا ... وعَلامَ نستبقي الدموعَ علامَا
إن الذي بي قد تفاقم واعتلى ... ونما وزاد وأوْرَثَ الأسقاما
قد أصبحت أمُّ البنين مريضةً ... نَخشى ونُشفق أن يكون حِماما
يا ربّ أَمْتِعْنِي بطول بقائها ... واجبُر بها الأرمال والأيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريب بأرضها ... قد فارق الأخوالَ والأعماما
كم راغبين وراهبين وبُؤّس ... عُصِموا بقرب جَنابها إعصاما
بجناب طاهرة الثَّنا[3] محمودةٍ ... لا يُستطاع كلامُها إعظاما

---

(١) الزيادة عن كتاب «أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام» لمحمد بن حبيب، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٥٧ أدب ش).

(٢) كذا في جميع الأصول ولعلها: «كفيناك».

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «الثناء». الثنا، كما قال الجوهري، في الخير خاصة. الثنا (بالقصر): مثل الثنا إلا أنه في الخير والشر.

الغناء في الأول والثاني والثالث والرابع والخامس لحَكَم الواديّ خفيفُ رمل بالوسطى، عن الهشامي وعبدالله بن موسى. وممّا وجد في روايتي هارون بن الزيّات وابن المكيّ في الرابع[١] ثم الخامس ثم الأوّل والثاني لعمر الوادي خفيفُ رمل، من رواية الهشامي.

/ شبب بفاطمة بنت عبد الملك فدفنه الوليد في بئر وهو حي: [٢٢٧/٦]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعب قال:

بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبّبُ وَضّاح بأمّ البنين فهَمّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له: إن قتلته فضحتَني وحقّقتَ قولَه، وتوهّم الناسُ أن بينه وبين أمّي ريبة. فأمسك عنه على غيظ وحَنَق، حتى بلغ الوليدَ أنه قد تعدّى أمَّ البنين إلى أخته فاطمةَ بنت عبد الملك، وكانت زوجةَ عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وقال فيها:

بنــتُ الخليفــة والخليفــة جَــدُّهــا ... أخــتُ الخليفــة[٢] والخليفــة بعلُهــا

فَــرِحــتْ قــوابلُهــا بهــا وتبــاشــرتْ ... وكــذاك كــانــوا فــي المَســرّة أهلُهــا

فأَحْنق[٣] واشتدّ غيظه وقال: أمَا لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنّا مذهب! ثم دعا به فأحضر، وأمر ببئر فحُفرتْ ودفَنه فيها حيًّا.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشُون / قال: ٤١/٦

أنشدت محمدَ بن المنكدِر قولَ وَضّاح:

فمــا نــوّلــتْ حتــى تَضَــرّعــتُ عنــدهــا ... وأعلمتُهــا مــا رخّــص اللّــهُ فــي اللَّمَــمْ

قال: فضحك وقال: إن كان وضّاح لا مُفْتِياً لنفسه. وتمام هذه الأبيات:

تــرجّــل[٤] وَضّــاحٌ وأسبــل بعــدمــا ... تكَهّــل حينــاً فــي الكهــول ومــا احتَلَــم

وعُلّــق بيضــاءَ العــوارض طَفْلــةً ... مُخضَّبــةَ الأطــراف طيّبــةَ النَّسَــمْ

/ إذا قلــتُ يــومــاً نَــوّلينــي تبسّمــتْ ... وقــالــت مَعَــاذَ الله مِــن فِعْــل مــا حَــرُم [٢٢٨/٦]

فمــا نَــوّلــتْ حتــى تضــرّعــتُ عنــدهــا ... وأعلمتُهــا مــا رَخّــص اللّــهُ فــي اللَّمَــم

رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أم البنين:

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَرِيّ عن العُتْبي في خبره الأوّل المذكور من أخبار وَضّاح مع أمّ البنين قال:

كان وضّاح مقيماً عند أم البنين، فورد عليه نعيُ أخيه وأبيه[٥]؛ فقال يرثيهما:

(١) كذا في أ، ء، م: وفي سائر الأصول: «وفي الرابع».
(٢) في حـ: «الخلائف».
(٣) كذا في حـ. وأحنق الرجل إذا حقد حقداً لا ينحل. وفي سائر الأصول: «فاحتنق» وهو تحريف.
(٤) الترجل والترجيل: تسريح الشعر.
(٥) يلاحظ أن أبا وضاح توفي ووضاح صغير كما هي في أول الترجمة.

أراعك طائرٌ بعد الخُفُوقِ ... بفاجعةٍ مُشنَّعةِ الطُّروقِ

نعمْ وَلَهاً على رجل عَميد ... أظلُّ كأنني بشَرِقٌ بريقي

كأني إذ علمتُ بها هُدُوًّا ... هوتْ بي عاصفٌ من رأس نِيق(١)

أُعَلُّ بزَفْرة من بَعْد أُخرى ... لها في القلب حَرٌّ كالحريق

وتَردُف عَبْرةٌ تَهْتانَ أُخرى ... كفائض غَرْب نَضّاح فَتيق

كأني إذ أُكفْكِفُ دمعَ عيني ... وأنهاها أقول لها هَريقي

ألا تلك الحوادث غِبْتُ عنها ... بأرض الشام كالفرد الغريق

فما أنفكُّ أنظر في كتاب ... تُداري النفسُ عنه هوًى زَهوق(٢)

يُخبِّر عن وفاة أخٍ كريم ... بعيدِ الغور نَفّاع طَليق

وقَرْمٍ يُعرِض الخُصْمانُ(٣) عنه ... كما حاد البِكارُ عَنِ الفَنِيق(٤)

[٦/٢٢٩] / كريم يملا الشِّيزَى(٥) ويَقْري ... إذا ما قلّ إيماضُ البُروقِ

وأعظم ما رُميتُ به فَجُوعاً(٦) ... كتابٌ جاء من فَجٍّ عميق

يُخبِّر عن وفاة أخٍ فصبراً ... تَنجَّزْ وعدَ مَنّان صَدوق

سأصبر للقضاء فكلُّ حيٍّ ... سيلقى سَكرة الموت المَذوق

فما الدنيا بباقيةٍ وفيها ... من الأحياء ذو عين رَموق

وللأحياء أيامٌ تَقَضَّى ... يَلُفّ ختامُها سُوقاً بسُوق

فأغناهم كأعدمهم إذا ما ... تقضَّتْ مُدّةُ العيش الرقيق

كذلك يُبعثون وهم فُرادَى ... ليوم فيه تَوفيةُ الحُقوق

أبعدَ هُمَام قومك ذي الأيادي ... أبي الوضّاح رَتّاق الفُتوق

وبعد عُبيدةَ المحمودِ فيهم ... وبعدَ سَمَاعةَ العَوْد العَتيق

وبعد ابن المفضَّل وابن كافٍ ... هما أخواك في الزمن الأنيق

٤٢/٦ / تؤمِّل أن تعيش قريرَ عينٍ ... وأين(٧) أمامَ طَلّابٍ لَحُوق(٨)

(١) النيق: أعلى موضع في الجبل.
(٢) الزهوق: الهالك.
(٣) كذا في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «الخصماء». وكلاهما جمع لخصيم.
(٤) البكار: جمع بكر وهو الفتى من الإبل. والفنيق: الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب.
(٥) الشيزى: خشب أسود تعمل منه القصاع. وقد يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان شيزى، كما أريد هنا.
(٦) الفجوع: الفاجع، فعول للمبالغة.
(٧) كذا في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «وأنت».
(٨) كذا في حـ. وفي سائر الأصول «طلاب الحروق».

ودنيـــاك التـــي أمسيـــتَ فيهـــا ... مـــزايلـــةُ الشقيـــق عـــن الشقيـــق

ومما قاله في مَرْثِيَةِ أهله وذكْر الموت وغُنّي فيه ـ وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة ـ:

صوت

مـــالـــكَ وَضّـــاحُ دائـــمَ الغَـــزَلِ ... ألســتَ تخشــى تَقَــارُبَ الأجــلِ

صــلِّ لــذي العــرش واتَّخِــذْ قَــدَمـاً ... تُنجيــك يــوم العِثــار والــزَّلَــل

/ يــا مــوت مــا إن تــزال معتــرضــاً ... لآمــلٍ دون منتهَــى الأمــل [٦/ ٢٣٠]

لــو كــان مَــنْ فــرَّ منــك منفلتــاً[١] ... إذاً لأســرعــتُ رحلــةَ الجَمــل

لكــنّ كفّيْــك نــال طــولُهمــا ... مــا كَــلَّ عنــه نجــائــبُ الإبــل

تنــال كفّــاك كــلَّ مُسْهِلــةٍ ... وحُــوتَ بحــر ومَعْقِــلَ الــوَعِــل

لــولا حِــذاري مــن الحُتُــوف فقــد ... أصبحــتُ مــن خــوفهــا علــى وَجَــل

لكنــتُ للقلــبِ فــي الهــوى تَبَعــاً ... إنّ هــواه ربــائــبُ الحَجَــل

حِــرْمِيّــةٌ[٢] تسكــن الحجــازَ لهــا ... شيــخٌ غَيــور يعتــلّ بــالعِلَــل

عُلّــق قلبــي ربيــبَ بيــت[٣] ملــو ... كٍ ذات قُــرطيــن وَعْثَــةَ الكَفَــل[٤]

تَفْتَــرُّ عــن مَنْطِــقٍ تَضَــنّ بــه ... يَجــري رُضــابــاً كــذائــب العسـل

قال شعراً يسّبب بحبابة قبل أن يشتريها يزيد بن عبد الملك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني سليمان بن أبي أيّوب عن مُصْعَب قال:

قال وَضّاح اليمن في حَبَابة جاريةِ يزيد بن عبد الملك، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه، وسمع غناءَها فأعجب بها إعجاباً شديداً:

صوت

يــا مَــنْ لقلــبٍ لا يُطيــ ... ــع الــزاجــريــن ولا يُفيــقْ

تسلــو قلــوبُ ذوي الهــوى ... وهــو المكلَّــف[٥] والمَشــوق

تَبَلــت[٦] حَبَــابــةُ قلبَــه ... بــالــدّلّ والشكــل الأنيــق

---

(١) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته. وفي جميع الأصول «منقلباً».

(٢) حرمية: نسبة إلى الحرم (بالتحريك) على غير قياس.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «بنت ملوك». وهو تصحيف.

(٤) يقال: امرأة وعثة: أي كثيرة اللحم كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها.

(٥) كلف به كلفاً: إذا ولع به فهو كلف ومكلف.

(٦) تبله الحب: أسقمه.

[٦/٢٣١] / وبعيـن أحـورَ يـرتعـي ... سَقْـط الكثيـب[١] مـن العقيـقْ
مكحـولـة بـالسحـر تُـنْـ ... ـشِـي نشـوةَ الخمـر العَتيـق
هيفـاء إن هـي أقبلـت ... لاحـت كطـالعـة الشـروق
والـردفُ مثـلُ نقـاً تلبّـ ... ـد فهْـو زُحلـوق زَلُـوق
فـي درّة الأصـداف معـ ... ـتنقـاً بهـا رَدْعُ الخَلـوق[٢]
دَاوي هـوايَ وأطْفِئـي ... مـا فـي الفـؤاد مـن الحـريـق
وتـرفّقـي أملـي فقـد ... كلّفتِنـي مـا لا أطيـق
فـي القلـب منـك جـوَى الـمُـحِـبّ وراحـةُ الصـبّ الشفيـق
هـذا يقـود بـرُمّتـي[٣] ... قـوداً إليـك وذا يسـوق

[٤٣/٦] / يـا نفـسُ قـد كلّفتِنـي ... تَعـبَ الهـوى منهـا فـذوق[٤]
إن كنـتِ تـائقـةً لـحـرّ صبـابـةٍ منهـا فتُـوق[٤].

شعر له في روضة:

ومما قاله في روضة وفيه غناء قوله:



صوت

يـا لَقـومـي لِكثـرة العـذّال ... ولطيـف سـرى مليـح الـدّلالِ
زائـر فـي قصـور[٥] صنعـاءَ يَسْـري ... كـلَّ أرض مخـوفـةٍ وجبـال

[٦/٢٣٢] / ـ والغناء لابن عبّاد عن الهشاميّ رمل ـ وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيّدة يقول فيها:

يقطـع الحَـزْن والمَهَـامِـهَ والبيـ ... ـد ومِـنْ دونـه ثَمـانُ ليـالِـي
عـاتـبٌ فـي المنـام أحْبِـبْ بعُتْبـا ... ه إلـينـا وقـولِـه مِـنْ مَقـال
قلـت أهـلاً ومـرحبـاً عَـددَ القَطْـ ... ـر وسهـلاً بطَيـف هـذا الخَيـال
حبّـذا مَـنْ إذا خلـونـا نَجيّـا ... قـال: أهلـي لـك الفِـداء ومـالـي
وهـي الهـمّ والمُنـى وهـوى النفْـ ... ـس إذا اعتـلّ ذو هـوًى بـاعتـلال
قِسْـتُ مـا كـان قبلنـا مـن هـوى النـا ... س فمـا قِسْـتُ حبّهـا بمثـال

(١) سقط الكثيب: منقطعه.
(٢) الخلوق (كرسول): ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران. والردع: أثر الطيب في الجسد.
(٣) الرمة: قطعة حبل يشدّ بها.
(٤) أصله: «فذوقي» و «فتوقي». فحذفت الياء لضرورة القافية.
(٥) راجع ما كتبه أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني المتوفي في سجن صنعاء سنة ٣٣٤ هـ عن هذه القصور في الجزء الثامن من كتابه «الإكليل» المطبوع في بغداد سنة ١٩٣١ م فقد وصفها وصفاً شافياً وذكر أقوال الشعراء في مدحها.

لــم أجــد حبّهــا يُشــاكلــه الــحــب ولا وَجْـدَنـا كـوَجْـد الـرجـال

كـل حـبٍّ إذا اِستطـال سيبلَـى ... وهـوَ روضـةِ المُنـى غيـرُ بـالـي

لـم يَـزِدْه تقـادُمُ العهـد إلاّ ... جِـدّةً عنـدنـا وحسـنَ احتـلال

أيهـا العـاذلـون كيـف عتـابـي ... بعـدمـا شـاب مَفْـرِقـي وقَـذالـي

كيـف عَـذْلـي علـى التـي هـي منّـي ... بمكـان اليَميـن أُخـتِ الشّمـال

والـذي أخـرمـوا لـه وأحلّـوا ... بمنّـى صُبْـحَ عـاشـرات الليـالـي[1]

مـا ملكـتُ الهـوى ولا النفـسَ منّـي ... مُنـذ عُلّقتُهـا فكيـف احتيـالـي

إن نـأتْ كـان نـأيُهـا المـوتَ صِـرْفـاً ... أو دنـتْ لِـي فثَـمّ يبـدو خَبـالـي

يـابنـةَ المـالكـيّ يـا بَهْجـةَ النفـ ... ـس أفـي حبّكـم يَحِـلُّ اقتتـالـي

أيّ ذنـب علـيّ إن قلـتُ إنـي ... لأُحِـبّ الحجـازَ حـبّ الـزُّلال

لأُحِـبّ الحجـازَ مِـنْ حـبّ مَـنْ فيـ ... ـه وأهـوى حِـلالَـه مـن حِـلال[2]

[٦/٢٣٣]



/ صـوت

ومما فيه غناء من شعر وضاح:

أيهـا النّـاعِـبُ مـاذا تقـولُ ... فكـلانـا سـائـلٌ ومَسـولُ

لا كسـاك الله مـا عشـتَ ريشـاً ... وبخـوفٍ بِـتَّ ثـم تَقيـل[3]

ثـم لا أنْقَفْـتَ[4] فـي العُـشّ فـرخـاً ... أبـداً إلا عليـك دليـل

حيـن[5] تُنبـى أنّ هنـداً قـريـبٌ ... يبلُـغ الحـاجـاتِ منهـا الـرسـول

ونـأت هنـد فَخَبّـرتَ عنهـا ... أن عهـد الـودّ سـوف يـزول

ومنها:

صـوت

/ حـيّ التـي أقْصَـى فـؤادكَ حَلّـتِ ... علمـتْ بـأنـك عـاشـقٌ فـأدلّـتِ

وإذا رأتـك تقلقلـتْ أحشـاؤهـا ... شـوقـاً إليـك فـأكثـرتْ وأقلّـت

وإذا دخلـتَ فـأُغلِقـتْ أبـوابُهـا ... عـزم الغيـورُ حجـابَهـا فـاعتلّـت

٤٤
٦

(١) يريد صبح الليلة العاشرة من ذي الحجة.

(٢) الحلال: جمع حلة (بالكسر) وهي المحلة، أو القوم النزول فيهم كثرة.

(٣) كذا في حـ وهامش نسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي سائر الأصول: «ثقيل» (بالثاء المثلثة)، وهو تصحيف.

(٤) أنقف الفرخ: استخرجه من البيضة. وفي أ، ء، م: «ثم لا أبقيت».

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «حيث».

وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً حتى تَبُلّ دموعُها ما بَلّتِ
إن كنتَ يا وضّاح زرتَ فمرحباً رَحُبَت عليك بلادُنا وأظلّتِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها ليحيى المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، من كتابه. ولابنه أحمدَ فيها هزج. وذكر حَبَش أن ليحيى فيها أيضاً خفيفَ ثقيل.

[٦/٢٣٤] / ومنها:

صوت

أتعرف أطلالاً بمَيْسرة اللِّوَى إلى أرْعب[1] قد حالفتك[2] به الصَّبَا
فأهلاً وسهلاً بالتي حلّ حبُّها فؤادي وحلّت دارَ شَحْطٍ من النَّوى

ـ الغناء فيه هَزَجٌ يَمنيّ بالبنصر عن ابن المكيّ ـ وهذه أبيات يقولها لأخيه سَمَاعة، وقد عَتَب عليه في بعض الأمور. وفيها يقول:

أبادر دُرْنوكَ[3] الأمير وقُرْبَه لأُذْكَرَ في أهل الكرامة والنُّهى
وأتَّبِع القُصّاصَ كلَّ عشيّةٍ رجاءَ ثواب الله في عَدد الخُطا
وأمسَتْ بقصر يضرب الماءُ سورَه وأصبحتُ في صنعاءَ ألتمس النَّدى
فمن مُبْلِغٌ عنّي سماعةَ ناهياً فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقطَع السَّلَى[4]
وإن شئتَ وصلَ الرَّحْم في غير حيلة فعلنا وقُلْنا للذي تشتهي بلَى
وإن شئتَ صُرْماً للتفرُّق والنّوى فبُعْداً، أدام الله تفرقةَ النّوى

ومنها:

صوت

طَرق الخيالُ فمرحباً ألفَا بالشاغفات قلوبَنا شَغَفَا
ولقد يقول ليَ الطبيبُ وما نَبّأتُه من شأننا حَرفا:
[٦/٢٣٥] / إنّي لأحسب أنّ داءَك ذا مِن ذي دَمالَج يخضِب الكفَّا
إنّي أنا الوضّاح إنْ تَصِلي أُحسِنْ بك التشبيبَ والوَصْفا
شطَّتْ فشفّ القلبَ ذِكْرُكها ودنتْ فما بذلتْ لنا عُرْفا

ومنها:

(١) كذا ذكره صاحب «معجم البلدان» (بالراء المهملة). وقال: «أرعب (بالفتح ثم السكون وعين مهملة والباء موحدة): موضع في قول الشاعر». وساق هذين البيتين. وفي جميع الأصول: «أزعب». (بالزاي المعجمة).

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «قد خالفتك» (بالخاء المعجمة).

(٣) الدرنوك: الطنفسة وضرب من البسط أو الثياب له خمل قصير كخمل المناديل وبه تشبه فروة البعير والأسد.

(٤) السلى: الجلدة التي يكون فيها الجنين من الناس والمواشي، فإن انقطع في البطن هلكت الأم وهلك الجنين.

صوت

ـ ويُروى لبشّار ـ:

يــا مــرحبــاً ألفــاً وألفــا ... بــالكــاســراتِ إلــيّ طَــرْفَــا

رُجُــح الــرَّوادف كــالظِّبــا ... تعــرّضــت حُــوّاً ووُطْفــا[1]

أنكــرنَ مــركبــيَ الجمــا ... رَوكــنّ لا يُنكــرن طِــرْفــا[2]

وســألنَنــي أيــنَ الشبــا ... بُ فقلــتُ بَــانَ وكــان حِلْفــا

أَفْنَــى شبــابــي فــانقضــى ... حِلْــفُ النســاء تَبِعــن حِلْفــا

أعطيتهــنّ مــودّتــي ... فجــزينَنــي كــذبــاً وخُلْفــا

/ وقصــائــدٌ مثــلُ الــرُّقَــى ... أرسلتُهــن فكــنّ شَغْفــا

أوجعــن كــلَّ مُغــازِلٍ ... وعَصَفْــن بــالغَيــران عَصْفــا

مــن كــل لــذّات الفتــى ... قــد نلــتُ نــائلــةً وعُــرْفــا

صِــدت الأوانــسَ كــالــدُّمــى ... وسقيتُهــنّ الخمــرَ صِــرْفــا

ومنها: ـ وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبي جَمَد ـ.

[٦/٢٣٦]

/ صوت

أغنّي[3] على بيضاءَ تَنْكلُ[4] عن بَرَدْ ... وتمشي على هَوْنٍ كمِشْيَة ذي الحَرَدْ[5]

وتلبَس من بَزِّ العراق مَناصِفاً ... وأبراد[6] عَصْب[7] من مُهَلْهَلَة الجَنَدْ[8]

إذا قلت يوماً نَوّليني تبسّمت ... وقالت لعمرُ الله لو أنه اقتصد

سموتُ إليها بعدَ ما نام بعلُها ... وقد وسّدته الكفّ في ليلة الصَّرَدْ[9]

ألستَ ترى مَنْ حولنا مِنْ عدوّنا ... وكل غلام شامخ الأنف قد مَرَدْ[10]

ستُعطَى الذي تهوَى على رغم مَنْ حسد

(١) الحو: جمع حواء، وهي التي بها لون الحوة، وهي سواد إلى خضرة، وقيل: حمرة إلى سواد. والحوّة أيضاً سمرة الشفة. والوطف: جمع وطفاء، وهي كثيرة شعر أهداب العينين.

(٢) الطرف: الكريم من الخيل.

(٣) كذا في جميع الأصول. ولعلها: «أعني» (بالعين المهملة)، أمر من الإعانة.

(٤) تنكل: تفتر وتبسم.

(٥) الحرد: ثقل الدرع على المدرع فلا يقدر على الانبساط في المشي، أو هوداء يأخذ الإبل في اليدين دون الرجلين فتسترخي أيديها.

(٦) في حـ: «أكباش»، وهي والأبراد بمعنى واحد.

(٧) العصب: ضرب من برود اليمن، واحده وجمعه سواء، يقال: برد عصب وبرود عصب بالإضافة.

(٨) الجند (بالتحريك): مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وأربعون فرسخاً.

(٩) الصرد (بسكون الراء وفتحها): البرد وقيل شدته.

(١٠) مرد: عتا وبلغ الغاية.

فقلتُ لها إني امرؤٌ فاعلمِنَّه إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِلِ العَدَد

بَنَى ليَ إسماعيلُ مجداً مُؤثَّلاً وعبدُ كُلالٍ قبلَه[1] وأبو جَمَد

تُطيفُ علينا قهوةٌ في زجاجةٍ تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسد

ومنها:

صوت

يأيها القلبُ بعضَ ما تجدُ قد يعشَق القلبُ ثم يتَّئِدُ

قد يكتُم المرءُ حبَّه حِقَباً وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِدُ

ماذا تُراعون من فتًى غَزِلٍ قد تيمَّته خَمصانةٌ رُؤُدُ

يهدّدونني كيما أخافَهمُ هيهاتَ أنَّى يُهدَّد الأسدُ

[٦/٢٣٧] / ومنها:

صوت

صدَّع[2] البَيْنُ والتفرُّقُ قلبي وتولَّت أمُّ البنين بِلُبّي

ثَوتِ النفسُ في الحُمول لديها وتولَّى بالجسم منّيَ صَحْبي

ولقد قلتُ والمدامعُ تَجري بدموعٍ كأنها فَيْضُ غَرْب

جزعاً للفراق يومَ تولَّت: حَسْبِيَ اللهُ ذو المَعارج حسبي

ومنها:

صوت

يابنةَ الواحد جودي فما إن تَضْرِميني فَبِما أو لِمَا

جُودي علينا اليومَ أو بيِّني فِيمَ قتلتِ الرجلَ المُسلِما

إني وأيدي قُلُصٍ ضُمَّرٍ وكلُّ خِرْقٍ[3] وَرَدَ المَوْسِما

ما عُلِّقَ القلبُ كتعليقِها واضعةً كفَّا علَت مِعصَما

رَبَّةُ[4] محرابٍ إذا جئتُها لم ألقَها أو ارتقي سُلَّما

/ إخوتُها أربعةٌ كلُّهم ينفون عنها الفارسَ المُعلَما

كيف أُرجِّيها ومِن دونها بَوّابُ سُوءٍ يُعجِل المُشتِما

٤٦
٦

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «بعده».

(٢) في حـ: «صرع».

(٣) الخرق: الفتى الحسن الكريم الخليقة.

(٤) كذا و «اللسان» (مادة حرب). وفي الأصول: «رب محراب»، وهو تحريف.

أســـــودُ هَتّــــاك لأعــــراضِ مَـــنْ ... مـــرّ علـــى الأبـــواب أو سَلّمـــا
لا مِنّـــةٌ أغلَـــمُ كـــانـــت لهـــا ... عنـــدي ولا تطلُـــب فينـــا دمـــا
بـــل هـــي لمّـــا أن رأت عـــاشقـــاً ... صبّـــا رمتـــه اليـــومَ فيمـــن رَمـــى
لمّـــا ارتمينـــا[1] ورأت أنهـــا ... قـــد أثبتـــت فـــي قلبـــه أسهُمـــا
/ أعجبهـــا ذاك فـــأبـــدت لـــه ... سُنّتَهـــا[2] البيضـــاءَ والمِعْصَمـــا [٢٣٨/٦]
قـــامـــت تـــراءَى لـــي علـــى قَصْـــرهـــا ... بيـــن جَـــوارٍ خُـــرَّدٍ كـــالـــدُّمـــى
وتَعقِـــد المِـــرْط علـــى جَسْـــرةٍ[3] ... مثـــلِ كَثيـــب الـــرمـــل أو أعْظَمـــا

ومنها:

صـــوت

دعـــاكَ مـــن شـــوقـــك الـــدّواعـــي ... وأنـــت وضّـــاحُ ذو أتبـــاعِ[4]
دعتـــك مَيّـــالـــةٌ لَعُـــوبٌ ... أسيلـــة الخـــد بـــاللّمـــاع
دلالُـــكِ الحُلـــو والمشهّـــي ... وليـــس ســـرّيـــك بـــالمُضـــاع
لا أمنـــع النفـــسَ عـــن هـــواهـــا ... وكـــلّ شـــيء إلـــى انقطـــاع

ومنها:

صـــوت

ألاَ يـــا لَقـــومـــي أطْلِقـــوا غُـــلّ مـــرتَهَـــنْ ... ومُنّـــوا علـــى مُستشعِـــر الهـــمّ والحَـــزَنْ
تـــذكَّـــر سَلْمـــى وَهْـــي نـــازحـــةٌ فَحـــنّ ... وهـــل تنفـــع الـــذكـــرى إذا اغتـــرب الـــوطـــنْ
ألـــم تَـــرهَـــا صفـــراءَ رُؤداً شبـــابُهـــا ... أسيلـــةَ مجـــرى الـــدمـــع كـــالشّـــادن الأغَـــنّ
وأبصـــرتُ سَلْمـــى بيـــن بُـــرْدَيْ مَـــراجِـــلٍ[5] ... وأراد عَصْـــب مـــن مُهلَهَلـــة اليمـــن
فقلـــتُ لهـــا لا تَـــرتقـــي السطـــحَ إنّنـــي ... أخـــاف عليكـــم كـــلّ ذي لِمّـــة حَسَـــن

/ الغناء لابن سُريج، وله في هذا الشعر لحنان: ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، ورمل بالسبّابة في مجرى [٢٣٩/٦] البنصر عن إسحاق. وأوّل الرمل قولُه:

* ألا يا لَقومي أطلقوا غلّ مرتهَن *

---

(١) ارتمينا: تَرامينا.
(٢) السنة: الوجه، وقيل: الجبهة والجبينان، وقيل: غير ذلك.
(٣) المرط (بالكسر): كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به، وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به. والجسر: كل عضو ضخم، ويريد بالجسرة هنا العجيزة.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ذو تباع».
(٥) المراجل: ضرب من برود اليمن عليه تصاوير.

وأوّل الثقيل الأوّل: «تذكَّر سلمى». وفي هذه الأبيات هَزَج يمنيّ بالبنصر.

ومنها:

صوت

أغـدوتَ أمْ فـي الـرائحيـن تَـرُوحُ ... أم أنـت مـن ذِكْـر الحسـان صحيـحُ

إذ قـالـت الحسنـاءُ مـا لصـديقنـا ... رثُّ الثيـاب وإنـه لمليـح

لا تسـألِـنّ عـن الثيـاب فـإنني ... يـومَ اللقـاء علـى الكُمـاة مُشيـح

أرْمِـي وأطعَـن ثـم أُتبِـع ضـربـةً ... تَـدَعُ النسـاءَ علـى الـرجـال تنـوح

صوت

من المائة المختارة

يـا صـاح إنـي قـد حَجِجْـ ... ـتُ وزُرت بيـتَ المَقْـدس

وأتيـت لُـدّاً[1] عـامـداً ... فـي عيـد مَـرْيَـا سَـرْجِـس[2]

[٦/٤٧] فـرأيـتُ فيـه نِسـوةً ... مثـلَ الظبـاء الكُنَّـس

الشعر والغناء للمُعَلّى بن طَريف مولى المَهديّ. ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر. وكان المُعلّى بن طَريف وأخوه ليث مملوكين مولّدين من مولّدي الكوفة لرجل من أهلها، فاشتراهما عليّ بن سليمان وأهداهما إلى المنصور، فوهبهما المنصور للمهديّ / فأعتقهما. ونهر المعلّى ورَبَض[3] المعلّى ببغداد منسوب إلى المعلّى ـ هكذا [٢٤٠/] ذكر ذلك ابن خُرْداذبه ـ وكان ضارباً محسناً طيّبَ الصوت حسنَ الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحَكَم الوادي. ووُلّي أخوه ليثٌ السِّنْدَ، ووُلّي هو الطِّرازَ[4] والبريدَ بخراسان، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه، ثم وُلّي الأهوازَ بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللّيثَ ويهجو عليَّ بن صالح صاحبَ المُصَلَّى[5]:

يـا علـيَّ بـنَ صـالـح ذا[6] المصلّـى ... أنـت تَفْـدي لَيْثـاً وتفـدي المعلّـى

سَـدّ ليـثٌ ثغـراً ووُلّيـت فـآختَنْـ ... ـتَ فبئس المَـولـى وبئـس المـولّـى

(١) كذا في «المسالك والممالك» لابن خرداذبه و«معجم البلدان». ولد (بالضم والتشديد): قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين. وفي سائر الأصول: «فذا». وفي حـ: «ابدا» وهما محرفان.

(٢) في «المسالك والممالك» لابن خرداذبه: «مريا جرجس».

(٣) الربض (محركة): الناحية، وما حول المدينة من بيوت ومساكن. والأرباض كثيرة جداً، وقلما تخلو مدينة من ربض. ذكر منها ياقوت في معجمه ما أضيف فصار كالعلم أو نسب إليها أحد من العلماء، ولم يذكر «ربض المعلى» من بينها.

(٤) يريد ديوان الطراز وهو الذي تنسج فيه الثياب.

(٥) كذا صححها المرحوم الشيخ الشنقيطي على هامش نسخته. وفي جميع الأصول: «المعلى» وهو تحريف. راجع «الطبري» في اسم علي بن صالح هذا.

(٦) في جميع الأصول: «ذي» وهو تحريف.

وعليّ بن سليمان هذا الذي أهدى المُعَلَّى وأخاه إلى المهديّ هو الذي يقول فيه أبو دُلامة زَنْد[1] بن الجَوْن الأسَديّ؛ وكان خرج مع المهديّ إلى الصيد، فرمى المهديّ وعليّ بن سليمان ظبياً سنَح لهما، وقد أُرسلت عليه الكلاب، بسهمين، فأصاب المهدي الظبيَ وأصاب عليّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما. فقال أبو دُلَامة:

قد رمى المهديّ ظبياً ... شكّ بالسهم فؤادَه

وعليُّ بنُ سُليما ... نِ رَمى كَلْباً فصاده

فهنيئاً لهما كلّ امرىء يأكل زادَه

حدّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مصعَب، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه.

[٤١/٦]

صوت

من المائة المختارة

ألاَ طَرَدَ الهوى عنّي رُقَادِي ... فحسبي ما لَقِيتُ من السُّهادِ

لعبدةَ إنّ عبدةَ تيّمتْني ... وحلّت من فؤادي في السّواد

الشعر لبشّار. والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن عليّ أنه يمنيّ، وذكر الهشاميّ أنه لسُلَيم.

---

(١) في جميع الأصول هنا: «زيد» (بالياء المثناة)، وهو تصحيف. (راجع ترجمته في الجزء التاسع من «الأغاني» ص ١٢٠ ـ ١٤٠ طبع بولاق).

[٦/٢٤٢]

/ أخبار بشّار وعَبْدة خاصة
إذ كانت أخباره[1] سوى هذه تقدّمت

حبه لعبدة وشعره فيها:

حدّثني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا أبو أيوب المَديني عمن حدّثه عن الأصمعيّ هكذا قال، وأخبرني به عمّي عن عبدالله[2] بن أبي سعد عن عليّ بن مسرور عن الأصمعيّ قال:

كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرْدان. فبينا هو في مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه، إذ سمع كلامَ امرأة يقال لها عَبْدة / في المجلس، فدعا غلامَه فقال: إني قد عُلّقت امرأة، فإذا تكلمتْ فانظر مَنْ هي واعرفْها، فإذا انقضى المجلسُ وانصرف أهلُه فاتْبَعها وكلّمها وأعلمها أنّي لها محبّ وأنشدْها هذه الأبيات وعرّفْها أني قلتُها فيها:



صوت

قالوا بمَنْ لا ترى تَهْذِي فقلتُ لهم ... الأذْنُ كالعين تُوفِي القلبَ ما كانَا

ما كنتُ أوّلَ مشغوف بجارية ... يَلْقَى بِلُقْيانها رَوْحاً ورَيْحانا

ـ ويروى: هل من دواء لمشغوف بجارية ـ:

يا قوم أُذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ ... والأذْن تعشق قبل العين أحيانا

ـ غنّى إبراهيم في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها لِسِيَاطٍ ثقيلٌ أول بالوسطى، عن عمرو. وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه ـ قال: فأبلَغها الغلامُ الأبياتَ، فهَشّتْ لها، وكانت تزوره مع نسوة / يَصْحَبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنْشدَها ولا تُطمعه في نفسها. قال: وقال [٦/٢٤٣] فيها:

قالت عُقَيل بنُ كعب[3] إذ تعلّقها ... قلبي فأضحَى به من حبّها أثَرَ

أنّى ولم ترها تَهْذِي! فقلتُ لهم ... إن الفؤاد يَرَى ما لا يرى[4] البصر

(١) يلاحظ أن بعض الأخبار المذكورة هنا تقدّمت في ترجمته في الجزء الثالث من هذه الطبعة.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «عبيد الله» وهو تحريف.

(٣) عقيل بن كعب: قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها. ومن قوله يفتخر بهذا الولاء كما مرّ في ترجمته:

إنّني من بني عقيل بن كعب ... موضع السيف من طلى الأعناق

(٤) في ب، س: «ما لم ير البصر».

أصبحتُ كالحائم الحرّان مُجتنَباً ... لم يَقضِ وِرْداً ولا يُرجَى له صَدَر

قال: وقال فيها أيضاً ـ وهو من جيّد ما قال فيها ـ:

يُزَهِّدني في حبّ عبدةَ معشرٌ ... قلوبُهُمُ فيها مخالفةٌ قلبي

فقلتُ دَعُوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبّ

فما تبصر العينان في موضع الهوى ... ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وما الحسنُ إلا كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبَا ... وألّف بين العشق والعاشقِ الصبّ

قال: وقال فيها:

يا قلبُ مالي أراك لا تَقِرُ ... إيّاكَ أعني وعندك الخبرُ

أضِعْتَ بين الأُلى مَضَوْا حُرَقاً ... أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا؟

فقال بعضُ الحديث يَشْغَفُني ... والقلبُ راءٍ ما لا يَرى البصر

عابه الحسن البصري وهتف به فهجاه:

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَديّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أبيه بمثل هذه القصة، وزاد فيها:

/ أنّ عَبْدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألته أن يقول شعراً يَنُحْن عليه به، فوافَيْنَه [٦/ ٢٤٤] وقد احتجم ـ وكان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غُدوةً يسميه «البَرْدان» ومجلس يجلس فيه عشيّةً يسميه «الرَّقيق» ـ وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه: أمسِكْ عليّ بابي واطبُخْ لي وهيّىء طعامي وطَيِّبه وصَفّ نبيذي. قال: فإنه لكذلك إذا قُرِع الباب عليه قرعاً عنيفاً؛ فقال: وَيْحَك يا غلام! انظر من يدقّ الباب دقّ الشُّرَط؛ فنظر الغلام وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعراً يَنُحْن فيه؛ فقال: أدخلهنّ. فلما دخلن / نظرنَ إلى [٤٩/٦] النبيذ مُصفًّى في قَنانِيِّه؛ [في جانب بيته][1] فقالت إحداهن: خمر؛ [وقالت الأخرى: زبيب][2]؛ وقالت الأخرى: معسَّل. فقال: لستُ بقائل لكُنّ حرفاً أو تَطْعَمن من طعامي وتشربن من شرابي. فتماسكْنَ ساعةً، وقالت إحداهن: فما عليكنّ من ذلك! هذا أعمى، كُلْن من طعامه واشربْنَ من شرابه وخُذْنَ شعرَه، ففعلن. وبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتَف به. فبلغ ذلك بشّاراً، وكان الحسن يُلقَّب القَسّ[3]، فقال فيه بشّار:

لمّا طلعنَ من الرَّقيـ ... ـقِ عليّ بالبَرْدان خَمْسَا[4]

وكأنهنّ أهلّةٌ ... تحت الثياب زَفَفْن شمسا

باكَرْنَ طِيبَ لَطيمةٍ[5] ... رغَمِسْن في الجاديّ غَمْسا

(١) زيادة عن حـ.

(٢) هذه العبارة ساقطة من ب، س.

(٣) لقب به لصلاحه.

(٤) تقدّمت هذه الأبيات مع تفسير كلماتها الغامضة في «ترجمة بشار» (ج ٣ ص ١٧٠ من هذه الطبعة).

(٥) اللطيمة: المسك ونافجته، وقيل: العير التي تحمل الطيب. والجادي: الزعفران.

فسألنني مَنْ في البيو ت فقلتُ ما يحوين إنسا
ليت العيونَ الناظرا تِ طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا
فأصبن من طَرَف الحديـ ـث لذاذةً وخرجن مُلْسا
لولا تَعَرُّضهن لي يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسّا

[٢٤٥/٦] / لامه مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس والتشبيب بالنساء فقال: لا أعاود ثم قال شعراً:

أخبرني الأسَديّ ويحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفي قالوا حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النَّوْفَليّ قال:

أتيت بشاراً ذات يوم، فقال لي: ما شعَرت منذُ أيام إلا بقارع يقرَع بابي مع الصبح؛ فقلت: يا جارية، انظري مَنْ هذا؛ فقالت: مالك بن دينار؛ فقلت: مالي ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالي! ائذَني له. فدخل فقال لي: يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم! فلم يكن عندي إلا دفعُه عن نفسي بأن قلت: لا أعاود؛ فخرج من عندي. وقلت في إثره:

غدا مالكٌ بمَلاماته عليّ وما بات من باليَة[١]
فقلتُ دَعِ اللومَ في حُبِّها فقبلكَ أعييتُ عُذّاليه
وإنّي لأكتُمهم سِرَّها غداةَ تقول لها الجاليه
أعبدةَ مالكِ مَسْلوبةً وكنتِ مُقرطَقةً[٢] حاليه
فقالت على رِقْبةٍ: إنني رهنتُ المرعَّث خَلْخاليه
بمجلسِ يومٍ سأوفي به وإن أنكر الناسُ أحواليه

أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فرد عليها بشعر فيها:

أخبرني وَكيع قال حدّثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني الحسن[٣] بنِ جهور قال حدّثني هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال:

إني لعند بشّار ذاتَ يوم إذ أتته امرأة فقالت: يا أبا معاذ، عبدة تُقرئك السلامَ وتقول لك: قد اشتدّ شوقُنا إليك ولم نرك منذُ أيام؛ فقال: عن غير مَقْلِية / والله كان ذاك. ثم قال لراويته: يا هشام، خذ الرقعةَ واكتب فيها ما أقول [٢٤٦/٦] لك ثم ادفعه للرسول. قال هشام: فأملى عليّ:

عبدُ إنّي إليكِ بالأشواقِ لِتَلاقٍ وكيف لي بالتلاقي
أنا والله أشتهي سحرَ عينيْـ ـك وأخشى مَصارِعَ العشّاق

(١) راجع هذه الأبيات والتعليق عليها في ترجمته في الجزء الثالث ص ١٧٠ من هذه الطبعة.
(٢) مقرطقة: لابسة القرطق (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء وقد تضم) وهو القباء. وقد مرت بلفظ: «معطرة».
(٣) الذي مر هو الحسن بن جمهور. ويروي عنه محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك، وعن محمد هذا يروي وكيع. (راجع ج ٣ ص ١٦١ س ٩ من هذه الطبعة).

/ وأهاب الحَرَسيّ[1] مُحتسِبَ الجُنْـ ـدِ يَلُفّ البريءَ بالفُسّاق ⁵⁰/٦

ومما يغني فيه من شعر بشار في عبدة قولُه:

صوت

لعبدةَ دارٌ ما تكلّمنا الدارُ تلوح مَغانيها كما لاح أسطارُ
أسائلُ أحجاراً ونُؤْياً مُهدَّماً وكيف يُجيب القولَ نؤيٌ وأحجار
وما كلّمتني دارُها إذ سألتُها وفي كبدي كالنّفْط شُبّت به[2] النار
وعند مَغانِي دارها لو تكلّمت لِمكتئبٍ بادِي الصَّبابة أخبار

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشامي. ومن هذه القصيدة:

صوت

تحمَّل جيراني فعيني لِبَيْنهم تَفيض بتَهْتانٍ إذا لاحتِ الدارُ
بكيتُ على من كنت أحظَى بقربه وحقَّ الذي حاذرتُ بالأمس إذ ساروا[3]

الغناء ليحيى المَكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر.

[٦/٤٧] / ومن الأغاني في شعره في عبدةَ:

صوت

مَسّني من صدود عبدةَ ضُرّ فبنات الفؤاد ما تستقرّ
ذاك شيءٌ في القلب من حبّ عبـ ـدةَ بادٍ وباطنٌ يَسْتَسِرّ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإسحاق رمَل بالبنصر عن عمرو. وفيه لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم. وفيه لفَريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق. وفيه ليحيى المَكّيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه. وفيه لحسين بن مُحرِز رَمَل عن الهشامي.

ومنها:

صوت

يا عبدُ إني قد ظُلمتُ وإنني مُبْدٍ مقالةَ راغبٍ أو راهبِ
وأتوبُ مما تكرَهين لِتَقْبَلي واللّهُ يقبل حُسنَ فعل التائب

(١) الحرسي (بالتحريك): واحد حرس السلطان، وسكن هنا للضرورة.
(٢) في جميع الأصول: «له».
(٣) في ب، س: «صاروا».

الغناء لحَكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق. وفيه ليحيى المكيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه. وفيه لحسين بن مُحْرِز رمل عن الهشامي.

ومنها:

صوت

يا عبد حبُّك شفَّني شَفَّا ... والحبُّ داءٌ يُورث الحَتْفَا
والحبُّ يُخفيه المحبّ، لكي ... لا يُستراب به، وما يخفَى

الغناء لِسيَاط خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

[٢٤٨/٦] / ومنها:

صوت

يا عبد بالله فرِّجي كُرَبي ... فقد براني وشفَّني نَصَبي
وضِقْتُ ذَرْعاً بما كَلِفْتُ به ... من حُبّكم والمحبُّ في تعب
ففرِّجي كُربةً شَجِيتُ بها ... وحَرَّ حُزْنٍ في الصدر كاللَّهَب
ولا تَظُنِّي ما أشتكي لَعِباً ... هيهات قد جلّ ذا عن اللعب

٥١/٦ / غنّاه سِيَاطٌ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو.

ومنها:

صوت

يا عبد زُوريني تكُنْ مِنّةً ... لله عندي يومَ أَلْقاكِ
واللّهِ ثُمّ اللّهِ فاستيقني ... إنّي لأرجوكِ وأخشاك
يا عبد إنّي هالكٌ مُذْنَفٌ ... إنْ لم أذُقْ بَرْدَ ثناياك
فلا تَرُدِّي عاشقاً مُدْنَفاً ... يرضَى بهذا القدر من ذاك

الغناء لحكَمَ هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

يا عبد قد طال المِطالُ فأنْعِمي ... واشفِي فؤادَ فتًى يَهيم مُتَيَّم

الغناء ليزيدِ حَوْرَاءَ غيرُ مجنَّس عن إبراهيم.

ومنها:

صوت

يـا عبـد هـلْ لِلقـاء مِـنْ سَبَـبِ أوْ لاَ فـأدعـو بـالـويـل والحَـرَبِ

الغناء ليزيد حوراء غير مجنَّس.

[٢٤٩/٦] / ومنها:

صوت

يـا عبـد هـلْ لـي منكـم مِـنْ عـائـدِ أمْ هـل لـديـكِ صـلاحُ قلـبٍ فـاسـدِ

الغناء لِأبْنِ عَبّاد عن إبراهيم غير مجنّس.

ومنها:

صوت

يـا عبـد حيِّـي عـن قـريـبِ وتـأمّلـي عيـنَ الـرقيـبِ

وآرعَـيْ وِدادي غـائبـاً فلقـد رَعَيْتُـكِ فـي المَغيـب

أشكـو إليـكِ وإنّمـا يشكـو المُحـبّ إلـى الحبيـب

غَـرَضِـي[1] إليـك مـن الهـوى غـرض المـريـض إلـى الطبيـب

الغناء لحَكَم مطلق في مجرى البنصر.

ومنها:

صوت

يـا عبـد بـالله ارحمـي عَبْـدكِ وعَلّليـه بمُنَـى وَعْـدِكِ

يُصبـح مكـروبـاً ويُمسـي بـه وَليـس يَـدرِي مـا لـه عنـدك

مـاذا تقـوليـن لـربّ العُـلا إذا تخلّيـتِ بـه وحـدك

الغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه. وفيه ليزيدِ حَوْراءَ لحنٌ ذَكَره إبراهيم ولم يجنِّسه. وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الثاني لِسيّاط.

[٢٥٠/٦] / ومنها:

صوت

يـا عَبْـد جَلّـي كـروبـي وأسْعِفـي وأثيبِـي

فقـد تَطَـاول هَمّـي وزَفْـرتـي ونَحيـبي

(١) في الأصول: «غرضاً».

الغناء لابن سُكّرة عن إبراهيم ولم يجنّسه.

ومنها:

٥٢/٦

/ صوت

يا عبد أنتِ ذخيرتي ... نفسي فَدَتْكِ وجيرتي
اللّهُ يعلم فيكمُ ... يا عبد حسنَ سريرتي
نفسي لنفسكِ خُلّةٌ[1] ... وكذاك أنت أميرتي[2]

الغناء لحَكَم الوادي خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

يا عبد حُبّي لكِ مستورُ ... وكلّ حبّ غيره زُورُ
إنْ كان هجري سَرّكم فاهجروا ... إنّي بما سَرّكِ مسرور

الغناء لحكم هَزَجٌ بالوسطى عن ابن المكيّ.

ومنها:

صوت

لم يَطُلْ لَيْلي ولكنْ لم أنَمْ ... ونَفَى عنّي الكَرَى طيفٌ ألَمّ
وإذا قلتُ لها جُودي لنا ... خرجتْ بالصمت عن لا ونعم
/ رَفِّهي يا عَبْدُ عنّي واعلمي ... أنّني يا عبد من لحم ودم
إن في بُرْدِي جسماً ناحلاً ... لو توكّأتِ عليه لانهدم
خَتَم الحبُّ لها في عنقي ... موضعَ الخاتم من أهل الذمم

[٦/٢٥١]

الغناء لحَكَم هَزَجٌ بالسبّابة والوسطى عن ابن المكيّ. وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسُبه إلى أحد. وفيه لعَثْعَث الأسود خفيفُ رمل في الأول والخامس. وكان بشّار يُنكر هذا البيتَ الأخير وهو:

* خَتَم الحب لها في عُنقي *

أنشده رجل بيتاً له فأنكره:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم السِّجِستانيّ قال حدّثني مَنْ أنشد بشاراً قولَه:

* لم يَطُل ليْلي ولكنْ لم أنَم *

---

(١) الخلة (بالضم): الخليلة.

(٢) في حـ: «أسيرتي».

حتى بلغ إلى قوله:

ختــم الحــبُّ لهــا فــي عُنقــي مــوضــع الخــاتَــم مِــنْ أهــل الــذمــمْ

فقال بشار: عَمّن أخذتَ هذا؟ قلتُ: عَنْ راويتك فلان؛ فقال: قَبّحه الله! والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ، أمَا ترى إلى أثره فيه! ما أقبحَه وأشدَّ تميُّزَه عنّي! فقال له بعضُ من حضر: نَعم، هو ألحقه بالأبيات.

ومنها:

صـوت

عَبْــد إنّــي قــد اعتــرفــتُ بــذَنْبــي فــاغفِــري واعْــرُكِــي[1] خَطــايَ بجَنْــبِ[2]

عبــد لا صبــر لــي ولســتُ ـ فمهــلاً ـ فــائــلاً قــد عَتَبْــتِ فــي غيــر عَتْــب

/ ولقــد قلــتُ حيــن أنصبنــي الــحــب فــأبْلَــى جِسْمــي وعــذب قلبــي [٢٥٢/٦]

ربّ لا صبــرَ لــي علــى الهجــر حَسْبِــي أَقِلْنــي حَسْبــي لــكَ الحمــدُ حسبــي

الغناء لِسِيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكيّ.

ومنها:



صـوت

عبــــــــد مُنّــــى وأنعمــي قــد مَلَكْتــم قِيــاديَــة

شــابَ رأسي ولــم تَشِــبْ ابَــــلاَئــي لِــــدَاتِيــه[3]

/ الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لَعريبَ هزج. ٥٣/٦

ومنها:

صـوت

عبــد يــا هِمّتــي[4] عليــك الســلامُ فيــم يُجْفَــى حبيبُــك المستهــامُ

نــزل الحــبّ منــزلاً فــي فــؤادي ولــه فيــه مجلــسٌ ومقــام

الغناء لأبي زَكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لعَريبَ هَزَجٌ[5].

ومنها:

---

(١) في جميع الأصول: «واعدلي»، والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه. يقال: عرك بجنبه ما كان من صاحبه، كأنه حكه حتى عفاه. وأصله من عرك الأديم إذا دلكه.

(٢) في جميع الأصول: «بجنبي» وهو تحريف.

(٣) في جميع الأصول: «الداثيه». والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه.

(٤) الهمة (بالكسر ويفتح): الهوى.

(٥) في حـ: «رمل».

صوت

عبـــد يـــا قُـــرَّةَ عينـــي أنصفـــي، رُوحـــي فـــداكِ
عـــاشـــق ليـــس لـــه ذِكـــــــــر ولا هـــــمٌّ ســـــواكِ

الغناء لعَرِيبَ هَزَجٌ. وفيه لحن ليزيدِ حَوْراء غير مجنَّس.

[٦/٢٥٣] / ومنها:

صوت

يــا عَبْــد يــا جــافيــةً قــاطعــه أمَــا رَحِمــت المُقْلــةَ الــدامعــة
يــا عبــد خــافِــي اللّــهَ فــي عــاشــقٍ يهــواكِ حتــى تَقَــع الــواقعــه

الغناء لأبي زَكّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو.

صوت
من المائة المختارة

أرْسَلَــــتْ أمُّ جعفـــــر لا تـــــزورُ ليـتَ شعـري بـالغيـب مَـنْ ذا دهـاها
أتـــاهـــا محـــرِّش بنميـــم كـــاذبٌ مـــا أراد إلا رَدَاهـــا

روضه من الخفيف ـ الشعر للأحوص. والغناء لأمّ جعفر المدنيّة مولاة عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. ولحنه من الثقيل الأوّل في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً من[١] الثقيل الأوّل بالبنصر، فلا أعلم أهذا يعني[٢] أم غيره. وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكّيّ وإسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ.

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «... أن فيه لحناً لمعبد من الثقيل...» بزيادة كلمة «معبد». ولا يستقيم المعنى بذكرها.
(٢) في الأصول: «يغني» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

[٦/ ٢٥٤]

/ أخبار الأحوص مع أم جعفر

أم جعفر التي كان يشبب بها الأحوص ونسبها:

وقد ذُكِرتْ أخبارُ الأحوص مُتَقَدِّماً إلا أخبارَه مع أمّ جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أُخِّرت إلى هذا الموضع. وأمّ جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطْمة[1]، وهي أمّ جعفر بنت عبدالله بن عُرْفُطة بن قَتَادة بن مَعَدّ بن غِياث بن رِزاح بن عامر بن عبدالله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك[2] بن الأوْس. وله فيها أشعار كثيرة.

تشبيب الأحوص بأم جعفر وتوعد أخيها أيمن له:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطَّلْحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت، وأخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثني أحمد بن زُهَير عن مصعَب، وأخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبدالله عن المُحْرِز بن جعفر الدَّوْسيّ، / قالوا جميعاً: [٥٤/٦]

لمّا أكثر الأحوصُ التشبيب بأمّ جعفر وشاع ذكْره فيها توعَّده أخوها أَيْمَنُ وهدّده فلم يَنْته، فاستعدَى عليه واليَ المدينة ـ وقال الزبير في خبره: فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز ـ فربَطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما: تجالدا؛ فتجالدا فغلَب أخوها. وقال غير الزُّبَير في خبره: وسلَح الأحوصُ في ثيابه وهرَب وتَبِعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً. وقد كان الأحوص قال فيها:

[٦/ ٢٥٥]

/ لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ ... وإنّي إلى معروفها لفقيرُ
وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتي ... وقد وَغِرَتْ فيها عليّ صدور
أدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ ... بأبياتكم ما درتُ حيث أدور
أزور البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها ... وقلبي إلى البيت الذي لا أزور
وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى ... إذا لم يَزُرْ لا بدّ أن سيزور
أزور على أن لستُ أنفكُّ كلّما ... أتيتُ عدوًّا بالبنان يُشير

فقال السائب بن عمرو، أحد بني عمرو بن عَوْف، يعارض الأحوصَ في هذه الأبيات ويعيِّره بفراره:

لقد منع المعروفَ من أم جعفر ... أخو ثقةٍ عند الجلاد صَبورُ

---

(١) لقب خطمة لأنه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه.

(٢) كذا في «شرح القاموس» مادة خطم وكتاب «الاستبصار في أنساب الأنصار» ص ١٤٦ المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤٩ تاريخ). وفي جميع الأصول: خطمة بن مالك بن جشم بن الأوس» وهو تحريف.

عَلاك بمَتْنِ السوطِ حتى اتّقيتَه ... بأصفرَ من ماء الصِّفاق[1] يفور

فقال الأحوص:

إذا أنا لم أغفِر لأيْمَنَ ذنبَه ... فمن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي

أريد انتقامَ الذنب ثم تَرُدُّني ... يدٌ لأدانيه مباركةٌ عندي

وقال الزبير في خبره خاصّة: وإنما أعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداءً بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لما تَهاجى سالم بن دارة ومُرّة ابن واقع الغَطَفاني الفَزاري لَزّهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما.

وقال عمر بن شَبّة في خبره: وقال الأحوص فيها[2] أيضاً ـ وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّة بيتين فأضفتهما إليها ـ:

[٢٥٦/٠] / وإني ليدعوني هوى أمّ جعفر ... وجاراتها من ساعةٍ فأجيبُ

وإني لآتي البيتَ ما إن أحبُّه ... وأُكثر هجرَ البيت وهو حبيب

وأُغضِي على أشياء منكم تسوءني ... وأُدعَى إلى ما سَرّكم فأجيب

هَبِيني امرأً إمّا بريئاً ظلمتِه ... وإمّا مُسيئاً مذنباً فيتوب

فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنها ... من الحزن قد كادت عليك تذوب

لك اللّهُ إني واصلٌ ما وصلتِني ... ومُثنٍ بما أوليتِني ومُثيب

وآخُذُ ما أعطيتِ عفواً وإنني ... لأزْوَرُ عما تكرهين هَيوب

[٥٥/٦] هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة، وهي مروية للمجنون في عدة روايات؛ / وهي بشعره أشبه.

وفي هذه الأشعار التي مضت أغانٍ نسبتها:

صوت

أدور ولولا أن أرى أمّ جعفر ... بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ

أدور على أن لستُ أنفكّ كلما ... أتيتُ عدوّا بالبَنان يُشير

الغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان[3]: ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن عمرو. ولإسحاقَ فيهما وفي قوله:

* أزور البيوتَ اللّاصقات بيتها *

وبعده:

* «أدور ولولا أن أرى أمّ جعفر *

(١) الصفاق: جمع صفق (بالتحريك) وهو الأديم الجديد يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أصفر، واسم ذلك الماء: الصفق (بسكون الفاء وفتحها).

(٢) في جميع الأصول: «فيه» وهو تحريف.

(٣) لم يذكر في الأصول اللحن الثاني.

لحنَ من الرمل. وفي البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيلٌ أوّل عن الهشامي، ولإبراهيم خفيف ثقيل. وفيه لحن لشارِية عن ابن المعتز ولم يذكر طريقته.

[٦/٢٥٧]

/ إذا أنــا لــم أغفِــر لأيمَــنَ ذنبَــه فمَـنْ ذا الـذي يعفـو لـه ذنبَه بعـدي
أريــد مكــافــاةً لــه وتَصُــدّنــي يــدٌ لأدانيــه مبــاركــةٌ عنــدي

الغناء لمَعْبد ثاني ثقيل بالوسطى عن يحيى المكيّ، وذكر غيرُه أنه منحول يحيى إلى معبد. وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إلى عَرِيبَ ورَوْنق.

ومنها وهو:

صـوت

من المائة المختارة

وإنــي لآتِــي البيــتَ مــا إن أُحِبُّــه وأُكثِــر هجــرَ البيــت وهــو حبيــبُ
وأُغضــي علــى أشيــاءَ منكــم تســوءنــي وأُدعَــى إلــى مــا ســرّكــم فــأُجيــب
ومــا زلــتُ مــن ذكــراكِ حتــى كــأنّنــي أميــمٌ[1] بــأفيــاء[2] الــديــار سَليــب[3]
أبُثُّــك مــا ألقَــى وفــي النفــس حــاجــةٌ لهــا بيــن جِلْــدي والعظــام دَبيــب
لــكِ اللّــهُ إنّــي واصــلٌ مــا وصلتِنِــي ومُثْــنٍ بمــا أوليتِنِــي ومُثيــب
وآخُــذ مــا أعطيــتِ عفــواً وإنّنــي لأزْوَر عمّــا تكــرهيــن هَيــوب
فــلا تتــركــي نفســي شَعــاعــاً فــإنّهــا مــن الحــزن قــد كــادت عليــك تــذوب

الشعر للأحوص. ومن الناس من ينسُب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون. والغناء في اللحن المختار لدَحْمان، وهو ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر. وذكر الهشاميّ أن في الأبيات الأربعة لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل، فلا أعلم ألحنَ دَحْمانَ عَنَى[4] أم ثقيلاً آخر. وفي:

[٦/٢٥٨]

/ لــكِ الله إنــي واصــلٌ مــا وصلتِنــي ومُثْــنٍ بمــا أوليتِنــي ومُثيــب

لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى.

لما أكثر من ذكر أم جعفر عرضت له في أمر فحلف أمام الناس أنه لا يعرفها:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني محمد بن حسن؛ قال الزُّبَير وحدّثني عبد الرحمن بن عبدالله الزُّهْريّ عن مُحْرِز:

---

(١) الأميم: المشجوج الرأس وقد يستعار لغير الرأس قال:
قلبــي مــن الــزفــرات صــدّعــه الهــوى وحشــاي مــن حــرّ الفــراق أميــم
(٢) في حـ: «بأفياء». وفي سائر الأصول: «بأفناء». وظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه.
(٣) السليب: المستلب العقل.
(٤) في جميع الأصول: «غنى» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

أنّ أمّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ في ذكرها جاءت متنقِبةً[1]، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت امرأةً عفيفة؛ فقالت له: اقضِ ثمن الغنم التي اِبتعتَها منّي؛ فقال: ما اَبتعتُ منكِ شيئاً. فأظهرتْ كتاباً قد وضعته عليه / وبكتْ وشكت حاجةً وضرًّا وفاقةً وقالت: يا قوم، كلِّموه. فلامه قومُه وقالوا: اقضِ المرأةَ حقَّها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قطُّ ولا يعرفها. فكشفتْ وجهَها وقالت: ويْحك! أمَا تعرفني! فجعل يحلف مجتهداً أنه ما يعرفها ولا رآها قطُّ. حتى إذا استفاض قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثرُوا وسمعوا ما دار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم، قامت ثم قالت: أيها الناس، أسكتوا. ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدوّ الله! صدقتَ، والله ما لي عليك حقّ ولا تعرفني، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق، وأنا أمّ جعفر وأنت تقول: قلت لأمّ جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك! فخجِل الأحوص واَنكسر عن ذلك وبرئتْ عندهم.

سمع أبو السائب المخزومي شعراً له فطرب:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير، وأخبرني به محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا ثَعْلَب قال حدّثنا الزُّبَير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال:

أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ الأحوص:

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ ... وإنّي إلى معروفها لفقيرُ

/ فلما انتهيتُ إلى قوله:

أزور على أن لستُ أنفكُّ كلّما ... أتيتُ عدوّاً بالبَنان يُشيرُ

أعجبه ذلك وطَرِب وقال: أتدري يابنَ أخي كيف كانوا يقولون! الساعةَ دخل، الساعةَ خرج، الساعةَ مرّ، الساعةَ رجَع، وجعل يُومىء بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسَبّابته[2] إلى حِيال وجهه ويقلبها، يحكِي ذهابَه ورجوعَه.

صــوت

من المائة المختارة

صاحِ قد لُمْتَ ظالمَا ... فانظرِ أنْ كنتَ لائمَا
هل ترى مثلَ ظَبْيَة ... قَلَّدوها التمائمَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء في اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وأخبرني ذُكاء وجه الرزّة أن فيه لَعرِيبَ رملاً بالبنصر، وهو الذي فيه سَجْحة. وفيه لابن المَكّيّ خفيفُ ثقيلٍ آخرُ بالوسطى. وزعم الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيج، وقد سمعها[3] ممن يغنّيه. وذكر حَبَش أنّ فيه رملاً آخر للغَريض. ولعاتكة بنت شُهْدة فيه خفيفُ ثقيل، وهو من جيّد صنعتها، وذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنها الرملَ هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدّمها ويستجيدها[4]، ويزعم أنه أخذه عنها. وقال

(١) انتقبت المرأة وتنقبت: وضعت النقاب على وجهها.
(٢) لعله: «وبسبابتيه... ويقلبهما إلخ».
(٣) لعله: «وقد سمعه» أي اللحن.
(٤) في حـ: «ويستجيده».

ابن المعتزّ: حدّثني أبو عبدالله الهشاميّ: أنّ عَرِيب صنعت فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافةُ إلى المعتصم، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه، ولم أسمع بَشَراً قطُّ غنّاه أحسنَ من خِشْف الواضحيّة.

/ وكل أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرت، أوْ لها[1] موضع تُذكر فيه، إلا عاتكة بنت شُهْدة فإن أخبارَها تذكر هاهنا؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكرَه غير هذا. وقد ذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنَها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةَ غيرها. [٦/ ٢٦٠]

عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها:

/ كانت عاتكة بنت شُهْدة مدنيّة. وأمُّها شُهْدة جارية الوليد بن يزيد، وهو الصحيح. وكانت شهدة مغنيّة أيضاً. [٥٧/٦]

غنى ابن داود الرشيد صوتاً لأمها فطرب:

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا العَلاَء قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني عبدالله بن العبّاس الرَّبِيعيّ عن بعض المغنِّين قال:

كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصليّ وغيرُهما، وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن عليّ؛ فتغنَّى المغنّون، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه بين أضعافهم:



صوت

أمّ الوليد سَلَبْتِني حِلْمي ... وقتلْتِني فتخوّفي إثمي

بالله يا أمّ الوليد أمَا ... تخشَيْن في عواقبَ الظلم

وتركتِني أبغي[2] الطبيبَ وما ... لطبيبنا بالداء من عِلْم

خافي إلَهكِ في ابن عمّكِ قد ... زوّدتِه سُقْماً على سُقم

قال: فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميعُ من حضره وطَرِبوا له. فقال له الرشيد: يا حبيبي، لمن هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سَلْ هؤلاء المغنِّين / لمن هو. فقالوا: والله ما ندري، وإنه لَغريبٌ. فقال: بحياتي لمن هو؟ فقال: وحياتِك ما أدري إلا أنّي أخذتُه من شُهْدة جاريةِ الوليد أمّ عاتكةَ بنت شُهْدة. هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقَيّات، والغناء لابن مُحْرِز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه لسُليم خفيف رمل بالبنصر. ولحُسين بن مُحْرز ثقيل أوّل عن الهشاميّ وحَبَش. [٦/ ٢٦١]

كانت ضاربة مجيدة وعنها أخذ إسحاق الموصليّ:

أخبرني محمد بن مَزْيد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه: أنه ذكر عاتكة بنت شُهْدة يوماً فقال:

كانت أضربَ مَنْ رأيتُ بالعود؛ ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلف إليها في كل يوم فتُضاربني ضرباً أو ضربين، ووصل إليها منّي ومن أبي أكثرُ من ثلاثين ألف درهم بسببي: دراهمَ وهدايا.

---

(١) في جميع الأصول: «أولها في موضع... إلخ». والظاهر أن كلمة «في» مقحمة.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أنعي»، وهو تصحيف.

ماتت بالبصرة، وقصتها مع ابن جامع عند الرشيد:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال:

كانت عاتكة بنت شُهْدة أحسنَ خَلْق الله غناءً وأرْواهم، وماتت بالبصرة. وأمّها شُهْدة نائحة من أهل مكة. وكان ابن جامع يَلُوذ منها بكثرة الترجيع. فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له: إلى أين يا أبا القاسم! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودَعْ من جنونك. فأضجرته يوماً بين يدي الرشيد فقال لها: إني أشتهي، عَلِم الله، أنْ تحتكّ شِعْرتي بشعرتك. فقالت: اخسأ، قطع الله ظهرَك! ولم تَعُد لأذاه بعدها.

غنت جارية بشعر فعارضتها هي وذمت بنداراً الزيات:

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: قال لي عليّ بن جعفر بن محمد:

[٦/٢٦٢] / دخلت على جواري المروانيّ المغنيات بمكة، وعاتكة بنت شُهْدة تطارحهنّ لحنًا:

يـا صـاحبـيّ دَعَـا الـمـلامـةَ واعلَمـا ... أنّ الهـوى يَـدَع الكِـرامَ عَبيـدَا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول: «يدع الرجالَ عَبيداً». فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهْدة: ويلكِ! بُنْدارٌ الزيات العاضُّ بظرَ أمه رجل! أفمِنَ الكرام هو! . قال: فكنتُ إذا مرّ بي بُندار أو رأيتُه غلبني الضحك فأستحيي منه وآخُذ بيده وأجعل ذلك بشاشةً؛ حتى أوْرث هذا / بيني وبينه مقاربةً؛ فكان يقول: أبو الحسن عليُّ بن جعفر صديقٌ لي. [٥٨/٦]

علمت مخارقاً الغناء وهو مولى لها:

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة، وهي علّمتْه الغناء ووضعت يده على العود، ثم باعته؛ فانتقل من مِلْك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد. وقد ذُكر ذلك في أخباره.

صوت

من المائة المختارة

ولـو أنّ مـا عنـدَ ٱبـنِ بُجْـرةَ عنـدهـا ... مـن الخمـر لـم تَبْلُـلْ لَهَـاتـي[١] بنـاطِـلِ

لعمـري لأنـتَ[٢] البيـتُ أُكـرِمُ أهلَـه ... وأقعُـدُ فـي أفيـائـه[٣] بـالأصـائـل[٤]

[٦/٢٦٣] / عروضه من الطويل. الشعر لأبي ذُؤَيب الهُذَليّ. والغناء لحَكَم الواديّ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها. ابن بُجْرة هذا، فيما ذكره الأصمعيّ، رجل كانَ يبيع الخمرَ بالطائف، وزعم أن الناطل كوزٌ تُكال به الخمر. وقال ابن الأعرابي: ليس هذا بشيء، وزعم أن الناطل: الشيء؛ يقال: ما في الإناء ناطل، أي شيء. وقال أبو عمرو الشَّيْباني: سمعتُ الأعراب يقولون: الناطل: الجُرْعة من الماء واللبن والنبيذ. انتهى.

(١) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٢) كذا في س. وفي سائر الأصول: «لآتي البيت».

(٣) كذا في شرح ديوانه رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٩ أدب ش) و «ديوان الهذليين» المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٦ أدب ش) و «لسان العرب» (مادتي «فيأ» و «أصل»). والأفياء: جمع فيء وهو الظل، ولا يكون الفيء إلا بالعشيّ. وفي جميع الأصول: «أفنائه» (بالنون) وهو تصحيف.

(٤) الأصائل: العشيات.

/ ذكر أبي ذُؤَيب وخبره ونسبه [٦/ ٦٤]

نسبه وإسلامه وموته:

هو خُوَيْلِدِ بن خالد بن مُحرِّث[١] بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم[٢] بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وهو أحد المخضرَمين ممن أدرك الجاهليّة والإسلام، وأسلم فحسُن إسلامُه. ومات في غَزَاة إفْرِيقيَّة.

رأى ابن سلام فيه وشهادة حسان له:

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال:

كان أبو ذُؤَيب شاعراً فحلاً لا غَميزة[٣] فيه ولا وَهْن.

وقال ابن سَلاّم[٤]: قال أبو عمرو بن العلاء:

سُئل حسّان بن ثابت: مَنْ أشعر الناس؟ قال: أحَيًا أم رجلاً[٥]؟ قالوا: حيًّا؛ قال: أشعرُ الناس حيًّا هُذَيل، وأشعر هذيل غيرَ مُدَافع أبو ذُؤَيب. قال ابن سلاّم: ليس[٦] هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله.

اسمه بالسريانية مؤلف زوراً:

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال أخبرني محمد بن مُعاذ العُمَرِيّ قال:

/ في التَّوراة: أبو ذؤيب مؤلف زوراً، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زوراً». فأخبرتُ بذلك بعضَ [٦/ ٢٦٥] أصحاب العربيّة[٧]، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال: قد بلغني ذاك. وكان فصيحاً كثيرَ الغريب متمكّناً في الشعر.

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني» و «الاستيعاب» (ج ٢ ص ٦٦٥). وكذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي بخطه على هامش نسخته. وفي جميع الأصول: «محرز».

(٢) كذا في «طبقات الشعراء» لابن سلام (ص ٢٩ طبع أوروبا) و «الاستيعاب» ونسخة الشنقيطي مصححة بخطه. وفي جميع الأصول: «غنم».

(٣) الغميزة: المطعن.

(٤) في الأصول: «وقال أبو عمرو بن العلاء قال ابن سلام... إلخ» وهو تحريف. فإن ابن سلام هو المتأخر وهو الذي ذكر قول أبي عمرو بن العلاء في كتابه «طبقات الشعراء».

(٥) عبارة ابن سلام في «الطبقات»: «قال: حياً أو رجلاً...». وفي ب، س: «أم قال رجلاً.. إلخ». بزيادة «قال». وهو تحريف.

(٦) هذه العبارة غير واضحة هنا، وهي واضحة في كتاب «الطبقات» لابن سلام، إذ فيه بعد ذكر الخبر: «ابن سلام يقوله». يريد أن ابن سلام يؤيد ما رواه أبو عمرو بن العلاء.

(٧) في حـ: «أصحاب المدينة».

تقدّم شعراء هذيل بقصيدته العينية:

قال أبو زيد عمر بن شبّة:

تقدّم أبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التي يَرثي فيها بَنِيه. يعني قولَه:

أمِـن المَنـون ورَيْبـه تتـوجّـع ... والـدهـر ليـس بمُعْتِـب مـن يَجْـزَعُ

وهذه يقولها في بنينَ له خمسةٍ أُصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها. وسنذكر جميع ما يُغَنَّى فيه منها على أثر أخباره هذه.

خرج مع عبدالله بن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزبير فمات في مصر:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعَب الزُّبيريّ، وأخبرني حَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي قال:

كان أبو ذُؤيب الهُذَلِي خرج في جُند[1] عبدالله بن سَعْد[2] بن أبي سَرْح أحد بني عامر بن لؤيّ إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازياً إفرِنْجَةَ في زمن عثمان. فلما / فتح عبدالله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدالله بن الزبير ـ وكان في جنده ـ بشيراً إلى عثمان / بن عفّان، وبعث معه نفراً فيهم أبو ذؤيب. ففي عبدالله يقول أبو ذؤيب:

٢٦٦/٦ — ٥٩/٦

فصـاحـبَ صـدقٍ كسِيـدِ الضَّـرا ... ءِ يَنْهـض فـي الغـزو نهضـاً نَجيحـا[3]

في قصيدة له.

وصف ابن الزبير لحرب إفريقية:

فلما قدِموا مصرَ مات أبو ذؤيب[4] بها. وقدِم ابنُ الزبير على عثمان، وهو يومئذ، في قول ابن الزبير، ابنُ ستّ وعشرين سنة؛ وفي قول الواقِديّ ابن أربع وعشرين سنة. وبُشّر عبد الله عند مَقْدَمه بخُبَيْب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عُرْوة بن الزبير، وكانا وُلِدا في ذلك العام، وخُبيب أكبرهما. قال مصعب: فسمعت أبي والزبيرَ بن خُبيب بن

(١) وكان ضمن جند عبدالله أيضاً معبد بن العباس بن عبد المطلب ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية والحارث بن الحكم أخوه والمسور بن مخرمة بن نوفل وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعاصم بن عمر وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمرو بن العاص وبسر بن أبي أرطاة بن عويمر العامري. (راجع «فتوح البلدان» للبلاذري).

(٢) هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة. وكان معاوية بن أبي سفيان بمكة قد أسلم وحسن إسلامه فاتخذه رسول الله ﷺ كاتباً للوحي بعد ابن أبي سرح. فلما فتح النبي ﷺ مكة استجار عبدالله بن سعد بدار عثمان رضي الله عنه فأخذ له عثمان الأمان من النبي ﷺ. وكان ابن أبي سرح أخاً لعثمان من الرضاعة، فحسن إسلامه من ذلك الوقت. فلما أفضت الخلافة إلى عثمان رضي الله عنه ولاه على ملك مصر وجندها سنة ٢٥ هـ فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل فيغيرون على أطراف إفريقية. فكتب إلى عثمان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم، فكان ذلك السبب في توجيه الجيش إليه وتقديمه عليه ودخوله به للغزو إلى إفريقية.

(٣) كذا ورد هذا البيت في «شرح ديوان أبي ذؤيب» وقبله شعر يدل على هجر محبوبته له وإعراضها عنه إلى غيره. يقول: فإن استبدلت بي إنساناً فاستبدلي بي مثل هذا الصاحب. والضراء: ما واراك من شجر. والسيد: الذئب. وأخبث ما يكون من الذئاب سيد الضراء الذي تعوده. وقد صححه الأستاذ الشنقيطي بهذه الرواية في هامش نسخته. وفي الأصول: «وصاحب صدق كسيد الغضي... إلخ».

(٤) في «فتوح البلدان» للبلاذري (ص ٢٢٦ طبع أوروبا): أن أبا ذؤيب توفي بإفريقية فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه في لحده. ورواية البلاذري تنفق مع ما ذكره ابن قتيبة في «طبقات الشعراء» (ص ٤١٣ طبع أوروبا) وابن الأثير في «الكامل» (ج ٣ ص ٧٠ طبع أوروبا) وابن حجر في «الإصابة» (ج ٧ ص ٦٣ طبع مطبعة السعادة). وسيذكر المؤلف في هذه الترجمة أنه مات بأرض الروم ودفن بها.

ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان: قال عبد الله بن الزبير: أحاط بنا جُرْجِير صاحب إفريقية وهو ملك إفرِنْجة في عشرين ألفاً ومائة ألف ونحن في عشرين ألفاً؛ فضاق بالمسلمين أمرُهم واختلفوا في الرأي، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطَه يخلو يفكّر. قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عَوْرة من جُرْجير والناس على مَصَافّهم، رأيته على بِرْذَوْن أشهبَ [٦/ ٢٦٧] خَلْفَ أصحابه مُنقطِعاً منهم، معه جاريتان له تُظِلاّنه من الشمس بريش الطَّواويس. / فجئت فُسطاط عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه؛ فقال: إنه في شأنكم وإنه قد أمرني أن أُمسك الناسَ عنه. قال: فدُرتُ فأتيت مؤخّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلت عليه، فإذا هو مُستلقٍ على فراشه؛ ففزِع وقال: ما الذي أدخلك عليّ يابن الزبير؟ فقلت: إيه وإيه! كلُّ أَزَبَّ نَفورٌ[١]! إني رأيت عورة من عدوّنا فرجوت الفرصة فيه وخَشِيت فواتَها، فاخرُجْ فاندُب الناسَ إليّ. قال: وما هي؟ فأخبرته؛ فقال: عورةٌ لعمري! ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس، انتدِبوا مع ابن الزبير إلى عدّوكم. فاخترتُ ثلاثين فارساً، وقلت: إني حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإني سأكفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى. فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذَبّوا عنّي حتى خرَقْتُهم[٢] إلى أرض خالية، وتبيّنته فصمَدْتُ[٣] صَمْدَه؛ فوالله ما حسِب إلا أني رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بي من أثر السلاح، فثَنَى بِرْذَوْنَه هارباً، فأدركتُه فطعنته فسقط، ورميت بنفسي عليه، واتّقتْ جاريتاه عنه السيفَ فقُطعت يد إحداهما. وأجهزت عليه ثم رفعتُ رأسَه في رُمحي، وجال أصحابُه وحَمل المسلمون في ناحيتي وكبّروا فقتّلوهم كيف شاءوا، وكانت الهزيمة. فقال لي عبد الله بن سعد: ما أحدٌ أحقّ بالبشارة منك، فبعثني إلى عثمان. وقَدِم مروانُ[٤] بعدي على عثمان / حين [٦/ ٢٦٨] اطمأنّوا وباعوا المَغنم وقسّموه.

اشترى مروان خمس فيء إفريقية بمال فوضعه عنه عثمان:

وكان مروان قد صفَق[٥] على الخُمس بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه. فقال عبد الرحمن بن حَنْبل[٦] بن مُلَيل - وكان هو وأخوه كَلَدة أخوي صَفْوان بن أميّة بن خَلَف لأمه، وهي صَفيّة بنت مَعْمَر بن حبيب[٧] بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة -:

أُحْلِفُ[٨] بـالله جهـدَ اليميـ ... ـنِ ما تـرك الله أمـراً سُـدَى

---

(١) الأزب من الإبل: الذي يكثر شعر حاجبيه، ولا يكون الأزب إلا نفوراً لأن الريح تضربه فينفر. وهذا مثل يضرب في عيب الجبان. قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد وكان أزب جباناً، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل، وكان زهير يوماً في إبله يهنؤها ومعه أخوه أسيد، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل في أصحابه فأخبر زهيرا بمكانهم فقال له زهير: كل أزب نفور. وإنما قال له هذا لأن أسيداً كان أشعر (عن «مجمع الأمثال» للميداني).

(٢) كذا في أكثر اوصول. وفي ب، س: «حتى حزتهم» وهو تصحيف. و «عبارة البيان المغرب في أخبار المغرب» لابن عذارى المراكشي: «خرقت صفوفهم... إلخ».

(٣) صمد صمد الأمر: قصد قصده.

(٤) هو الخليفة مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك الخليفة، وهو ابن عم عثمان بن عفان رضي الله عنه وكاتبه؛ ومن أجله كان ابتداء فتنة عثمان رضي الله عنه وقتله. ثم انضم إلى ابن عمه معاوية ابن أبي سفيان وتولى عدّة أعمال إلى أن وثب على الأمر بعد أولاد يزيد بن معاوية وبويع بالخلافة؛ فلم تطل مدته ومات في أول شهر رمضان سنة ٦٥ هـ.

(٥) الصفق: التبايع، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع.

(٦) كذا في حـ والاستيعاب في ترجمة عبد الرحمن بن حنبل وأخيه كلدة بن حنبل. وفي سائر الأصول: «حسان» وهو تحريف.

(٧) كذا في «الاستيعاب» و «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج ٥ ص ٣٣٢ في ترجمة صفوان بن أمية). وفي جميع الأصول: «خبيب» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف.

(٨) في «الاستيعاب» في ترجمة عبد الرحمن: «وأحلف» وفي «البيان المغرب»: «سأحلف».

ولكـــنْ خُلقـــتَ[1] لنـــا فتنـــةً ... لكـــي نُبتلَـــى فيـــكَ[2] أو تُبتلـــى

دعـــوتَ الطَّـــريـــدَ[3] فـــأدنيتَـــه ... خـــلافـــاً[4] لسنَّـــة مَـــنْ قـــد مضـــى

/ وأعطيـــتَ[5] مَـــرْوان خُمـــس العبـــا ... د ظلمـــاً لهـــم وحَمَيْـــتَ الحمَـــى

٦٠/٦ / ومـــالاً أتـــاكَ بـــه الأشعـــريّ ... مـــن الفـــيء أعطيتَـــه مَـــنْ دنـــا [٦/٢٦٩]

وإن الأمينَيْـــــن قـــــد بيّنـــــا ... منـــارَ الطـــريـــق عليـــه الهـــدى

فمـــا أخـــذا درهمـــاً غِيلـــةً ... ولا قسّمـــا درهمـــاً فـــي هـــوى

قال: والمال الذي ذكر أن الأشعريّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان من العراق، فأعطى عبدَالله بن أَسِيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم؛ فأنكر الناس ذلك.

ذكر ابن بجرة وخمره في قصيدة غنى في أبيات منها:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز ـ أظنه ابن[6] الدّراوَرْدي ـ قال: ابن بُجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عُبيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب من قُرَيش، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قَطّ، وبالمدينة منهم آمرأة، ولهم موالٍ أشهرُ منهم، يقال لهم بنو سجفان[7]. وكان ابن بُجرة هذا خَمّاراً. وهذا الصوت الذي ذكرناه[8] من لحن حَكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة. فمما يغنَّى فيه منها:



صوت

أساءلـتَ رَسْـمَ الـدار أم لـم تُسـائـلِ ... عـن الحـيّ أم عـن عهـده بـالأوائـل

(١) في «الاستيعاب»: «جعلت».

(٢) في حـ: «بك».

(٣) الطريد: هو الحكم بن العاص بن أمية أبو مروان بن الحكم وعم عثمان بن عفان، أسلم يوم الفتح. أخرجه رسول الله ﷺ من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف. ولم يزل بها مدّة خلافة أبي بكر وعمر إلى أن ولى عثمان فرده إلى المدينة وأعطاه مائة ألف درهم، وبقي فيها إلى أن توفي في آخر خلافة عثمان قبل القيام على عثمان بأشهر وكان ذلك مما نقموا على عثمان. واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إياه فقيل: كان يتحيل ويستخفي ويسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين فكان يفشي ذلك عليه، وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته إلى أمور غيرها. (انظر «الاستيعاب» ج ١ ص ١٢٠، ١٢١ و «المعارف» لابن قتيبة ص ٩٧ و «طبقات ابن سعد» ج ٥ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٤) في «الاستيعاب»:

* خلافاً لما سنه المصطفى *

(٥) ورد هذا البيت والذي بعده في «الاستيعاب» هكذا:

وولِيـــت قـــربـــاك أمـــر العبـــاد ... خـــلافـــاً لسنـــة مـــن قـــد مضـــى

وأعطيـــت مـــروان خمـــس الغنيـ ... ـمـــة آثـــرتـــه وحميـــت الحمـــى

(٦) كذا في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «أظنه ابن عمران». وكلاهما روى عنه محمد بن يحيى الكناني أبو غسان. والدراوردي: نسبة إلى دراورد، قرية من قرى فارس. وقيل: إنها قرية بخراسان، وقيل غير ذلك. (راجع «تهذيب التهذيب» و «الطبقات الكبرى» لابن سعد).

(٧) كذا في ب، س. وفي حـ: «بنو أسجفا». وفي سائر الأصول: «بنو أسجفان».

(٨) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ذكره».

عفـا غيـرَ رسـم الـدار مـا إن تُبيِّنُـه[١] وعفـرٍ[٢] ظبـاءٍ قـد ثَـوَتْ فـي المنـازل

فلـو أنّ مـا عنـد ابـن بُجْـرةَ عنـدهـا مـن الخمـر لـم تَبْلُـل لَهـاتـي بنـاطـل

/ فتلـك[٣] التـي لا يـذهـبُ الـدهـرَ حُبُّهـا ولا ذِكـرُهـا مـا أرْزَمَـتْ أمُّ حـائـلِ [٦/ ٢٧٠]

غنّاه الغَرِيض ثقيلاً أوّلَ بالوسطى. ويقال: إن لمَعْبد فيه أيضاً لحناً.

قوله: «أساءلتَ» يخاطب نفسه. ويروى: «عن السُّكْن أو عن أهله»[٤]. والسُّكْن. الذي[٥] كانوا فيه. وقال الأصمعي: السكن: سكن الدار. والسكن: المنزل أيضاً. ويروى: «عفا غير نُؤْى الدار». والنُّؤْى: حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلا يَصِل المطر إليها. ويروى ـ وهو الصحيح ـ:

* وأقطاع[٦] طُفْي قد عَفَتْ في المعاقلِ *

والطُّفْي: خُوص المُقْل. والمعاقل: حيث نزلوا فامتنعوا، واحدها مَعْقِل. وواحد الطُّفْي: طُفْية. وأرْزمتْ: حَنّت. والحائل: الأنثى. والسَّقْب: الذكر.

ومنها:

صـوت

وإنّ حـديثـاً منـكِ لـو تَبـذُلينـه جَنَى النحـلِ فـي ألبـان عُـوذٍ مَطـافـلِ

مَطـافـلِ أبكـار حَـديـثٍ نِتـاجهـا تُشـاب بمـاءٍ مثـلِ مـاء المفـاصـلِ

غنّاه ابن سُريج رملاً بالوسطى. جنى النحل: العسل. والعُوذ: جمع عائذ، الناقة حين تضع فهي عائذ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطْفِل. والمَفاصل: مُنْفَصل[٧] السهل / من الجبل حيث يكون الرَّضْراض[٨]، والماء الذي [٦/ ٢٧١] يَسْتنقع[٩] فيها أطيبُ المياه. وتُشاب: تُخلط.

وأخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الرِّيَاشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ:

أن أبا ذؤيب إنما عَنَى بقوله: «مَطافل أبكار» أنّ لبن الأبكار أطيبُ الألبان، وهو لبنُها لأوّل بَطْن وضعتْ. قال: وكذلك العسل فإنّ أطيبَه ما كان من بِكر النحل. قال: وحدّثني كُرْدين قال: كتب الحجاج إلى عامله على

(١) في حـ: «أبينه».
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وغير ظبا».
(٣) رواية هذا الشطر في ديوانه المخطوط و «أمالي القالي» (ج ١ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية): «فتلك التي لا يبرح القلب حبها».
(٤) قال الأصمعي في التعليق على هذا البيت في شرح ديوانه: «السكن: أهل الدار سكانها، والسكن: المنزل...». وترك كلمة السكن بدون شكل. والذي في كتب اللغة أن السكن (بالفتح): السكان، وهو جمع لساكن كصحب وصاحب. (وبالضم وبالتحريك): المسكن.
(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الذين» وهو تحريف.
(٦) أقطاع: جمع قطع (بالكسر) وهو ـ كالقطيع ـ: الغصن تقطعه من الشجرة.
(٧) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي بخطه على هامش نسخته. وفي الأصول: «منفتل».
(٨) الرضراض: مادق من الحصى.
(٩) كذا في حـ. ويستنقع: يجتمع. وفي سائر الأصول: «ينبع».

٦١/٦ / فارس: ابعث إليّ بعَسل من عسل خُلّار[١]، من النحل الأبكار، من الدستفشار[٢]، الذي لم تمسّه النار.

صوت من قصيدته العينية:

فأما قصيدته العينية التي فُضّل بها، فممّا يغنّى به منها:

صـوت

أمِنَ المَنون ورَيْبِها[٣] تتوجّع ... والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ
قالت أمامة[٤] ما لجسمك شاحباً ... منذُ ابتُذلتَ ومثلُ مالك يَنْفع
أم ما لجنبك لا يُلائم مضجعاً ... إلا أقضّ عليك ذاك المضجَع
فأجبتُها أنْ ما[٥] لجسمي أنّه ... أودى بَنيّ من البلاد فودّعوا

[٢٧٢/٦] / عروضه من الكامل. غنّاه ابن مُحرِز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها. قال الأصمعيّ: سُمّيت المَنون منوناً لأنها تذهب بمُنّة كل شيء وهي قوّته. وروَى الأصمعي: «ورَيْبِه» فذَكَّر المَنون. والشاحب: المُغيَّر المهزول. يقال: شَحُب يشحُب. ابتُذِلتَ: امتَهنْتَ نفسَك وكَرِهتَ الدعةَ والزينة ولَزِمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغْنيك عن هذا، فاشْتَرِ لنفسك مَنْ يكفيك ذلك ويقوم لك به. ويلائم: يوافق. أقضّ عليك أي خشُن فلم تستطع أن تضطجع عليه. والقَضَض: الرمل والحصى. قال الراجز:

إنّ[٦] أحَجاً مات من غير مَرَض ... ووُجِدَ في مَرْمَضِه حيث ارتمض[٧]
* عَساقلٌ[٨] وجِبأٌ فيها قَضَض *

وودّعوا: ذهبوا. استُعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع.

(١) خلار (كرمان): موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد.
(٢) الدستفشار: لفظة فارسية، معناها: ما عصرته الأيدي وعالجته.
(٣) كذا في ديوانه وفيما سيأتي في جميع الأصول. وفي جميع الأصول هنا وفيما مر: «وريبه». والمنون يذكر ويؤنث، فمن أنث حمله على المنية، ومن ذكر حمله على الموت. ويحتمل أن يكون التأنيث راجعاً إلى معنى الجنسية والكثرة، وذلك لأن الداهية توصف بالعموم والكثرة والانتشار. وقيل: إن من ذكر المنون أراد به الدهر. وقد روى في «اللسان» (مادة منن) بالتذكير وذكر فيه التأنيث رواية عن ابن سيدة وقد شرح أبو الفرج ذلك في الصفحة التالية.
(٤) في شرح ديوانه: «أميمة».
(٥) كذا في ديوانه. ويريد أن الذي بجسمي هو غمي لذهاب ولدي ونفادهم، فهذا الذي ترين بجسمي لذلك. (يراجع شرح ديوانه). وفي ب، س: «أما لجسمك». وفي سائر الأصول: «أم ما لجسمك».
(٦) كذا في «لسان العرب» مادتي «جبأ ورمض». وفي ب، س: «إن احتجا ما يك عن... إلخ». وفي سائر الأصول: «إن احتجا ما تك». وكلاهما تحريف.
(٧) ارتمض الرجل من كذا، أي اشتدّ عليه وأقلقه.
(٨) العساقل: ضرب من الكمأة، وهي الكمأة الكبار البيض يقال لها شحمة الأرض. والجبء (بالفتح): الكمأة السود. والسود خيار الكمأة. فجبأ (بكسر ففتح) يجوز أن يكون جمع جبء كجبأة (بكسر ففتح أيضاً) وهو نادر، ويجوز أن يكون المراد جبأة، فحذفت الهاء للضرورة، ويجوز أن يكون اسماً للجمع. (عن «اللسان» مادة جبأ).

طلب المنصور قصيدته العينية فلم يعرفها أحد من أهله وعرفها مؤدب فأجازه:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن عمر النحويّ قال حدّثني أبي عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن ابن عياش قال:

لما مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة[١] إلى / مقابر قريش[٢]، ومشى [٦/ ٢٧٣] الناسُ أجمعون معه حتى دَفَنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع[٣] فقال: يا ربيع، انظر مَنْ في أهلي يُنشدني:

* أمِنَ المنون ورَيْبِها تتوجّع *

حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي. قال الربيع: فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور، فسألتُهم عنها، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعتُ فأخبرته؛ فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألّا يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدّ عليّ من مصيبتي بابني. ثم قال: انْظُر هل في القوّاد والعَوَامّ من الجند مَنْ يعرفها، فإني أحبّ أن أسمعها من إنسان يُنشدها. فخرجتُ فاعترضت الناسَ فلم أجد أحداً يُنشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئاً من الشعر؟ فقال: نعم، شِعْر أبي ذُؤَيب. فقلت: أنْشِدْني. فابتدأ هذه القصيدةَ العينيّة. فقلت له: أنت بُغْيتي. ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها. فلما قال:

* والدهرُ ليس بمُعتِب[٤] مَنْ يَجْزَعُ *

قال: صدق والله، فأَنْشِدْني هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ؛ فأنشدَه، ثم مرّ فيها. فلما انتهى إلى قوله:

والدهر لا يَبْقَى على حَدَثانه ... جَوْنُ السَّراة له جدائدُ[٥] أربعُ

/ قال: سلا[٦] أبو ذؤيب عند هذا القول. ثم أمرَ الشيخَ بالانصراف. فاتّبعتُه فقلت له: أأَمر لك أميرُ المؤمنين [٦/ ٢٧٤] بشيء؟ فأراني صُرّةً في يده فيها مائةُ درهم.

خانه خالد بن زهير في امرأة يهواها كان خان هو فيها عويم بن مالك:

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرِّيَاشي قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

كان أبو ذؤيب الهُذَليّ يهوَى امرأةً يقال لها أم عمرو، وكان يُرسِل إليها خالدَ[٧] بن زُهير فخانه فيها، وكذلك

---

(١) يريد بغداد.

(٢) مقابر قريش ببغداد: مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقبرة أحمد بن حنبل رضي الله عنه والحريم الطاهري، وبينها وبين دجلة شوط فرس جيد، وهي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان جعفر الأكبر هو أول من دفن بها، والمنصور أول من جعلها مقبرة لما ابتنى بها مدينته سنة ١٤٦ هـ.

(٣) هو الربيع بن يونس مولى المنصور.

(٤) أعتبه: رجع إلى ما يرضيه وترك ما يسخطه.

(٥) جون السراة: أسود الظهر أو أبيضه، فإن الجون يطلق على الأسود والأبيض. ويريد بجون السراة حماراً. والجدائد: الأتن، واحدها جدود (بفتح أوله) وهي التي لا لبن لها.

(٦) كذا في أ، ء، م. وفي ب، حـ: «سلا أبو ذؤيب عن هذا القول». وفي س: «سل أبا ذؤيب عن هذا القول».

(٧) هو خالد بن زهير الهذلي، وكان ابن أخت أبي ذؤيب، وقيل: ابن أخيه.

كان أبو ذُؤَيب فعل برجل يقال له عُوَيم[١] بن مالك بن عويمر وكان رسولَه إليها. فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرَمها. فأرسلتْ تترضّاه، فلم يفعل، وقال فيها:

تُريدين كيما تجمعيني وخالداً ... وهل يُجمَع السيفانِ وَيْحكِ في غِمْدِ
أخالدُ ما راعيتَ مِنّي[٢] قرابةً ... فتحفَظَني بالغيب أو بعضِ ما تُبدي[٣]
دعاكَ إليها مُقلتاها وجيدُها ... فمِلتَ كما مال المُحبّ على عَمْدِ
وكنتَ كرَقْراق السَّراب إذا بدا ... لقوم وقد بات المطيُّ بهم يَخْدي[٤]
فآليتُ لا أنفكّ أحْدو قصيدةً ... تكون وإيّاها بها مثلاً بعدي

[٦/ ٢٧٥] / غنّاه ابن سريج خفيفَ رمل بالبنصر. الغيب: السرّ. والرقراق: الجاري. ويروى: «أحذو قصيدة». فمن قال: «أحذو» بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: «أحدو» أراد أغنّي.

وقال أبو ذؤيب في ذلك:

وما حُمِّل البُخْتيُّ عامَ غِياره[٥] ... عليه الوُسوقُ[٦] بُرُّها وشَعيرُها
أتى قريةً كانت كثيراً طعامُها ... كَرَفْغ[٧] التراب كلُّ شيءٍ يَميرها

ـ الرفغ من التراب: الكثير اللين ـ.

فقيل تَحَمَّلْ فوق طوقك إنّها ... مُطَبَّعةٌ[٨] مَن يَأتِها لا يَضيرُها
بأعظمَ[٩] مما كنتُ حَمّلتُ خالداً ... وبعضُ أماناتِ الرجال غُرورها
ولو أنني حَمّلتُه البُزْلَ ما مشتْ ... به البزلُ حتى تَتْلَئِبَّ صدورها

ـ تتلئب: تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتتابع[١٠] ـ:

خليلي الذي دلّى[١١] لغَيٍّ خليلتي ... جِهاراً فكلٌّ قد أصابَ غُرورها[١٢]

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «عويمر». وقد أورد ابن قتيبة هذه القصة في كتابه «طبقات الشعراء» (ص ٤١٣ ـ ٤١٤) وذكر أن الرجل الذي خانه أبو ذؤيب في هذه المرأة هو ابن عم له يقال له مالك بن عويمر. وأوردها البغدادي في كتابه «خزانة الأدب» (ج ٢ ص ٣١٦، ج ٣ ص ٥٩٧، ٦٤٨) في تفصيل كثير، فذكر في موضع أنه يقال له مالك بن عويمر، كما ذكره ابن قتيبة، وفي موضع آخر أنه يقال له وهب بن جابر، وذكر سبب تعلقه بها وجفائها له بعد. واستطرد في القصة حتى أتى على خبر مقتل خالد بن زهير.

(٢) كذا في «شرح ديوانه» و «الشعر والشعراء». وفي الأصول: «من ذي قرابة».

(٣) أراد: فتحفظني بالغيب أو في بعض ما تظهر من المودة والإخاء.

(٤) كذا في حـ وديوانه. وخدي البعير والفرس خدياً وخدياناً: أسرع وزج بقوائمه. وفي سائر الأصول: «يحدى» (بالحاء المهملة) وهو تصحيف.

(٥) الغيار (بالكسر): مصدر غارهم يغيرهم إذا ما رهم أي أتاهم بالميرة.

(٦) الوسوق: جمع وسق (بالفتح)، وهو حمل البعير، وقيل: الحمل عامة.

(٧) في جميع الأصول: «كرقع» (بالقاف والعين المهملة). والتصويب من شرح ديوانه.

(٨) يريد أن هذه القرية مملوءة بالطعام، فكنى عن ذلك بأنها مطبعة أي مختومة لأن الختم إنما يكون غالباً بعد الملء.

(٩) في ديوانه: «بأثقل».

(١٠) لعلها «وتتايع» بالياء المثناة التحتية. يقال: تتايع الجمل في مشيه إذا حرك ألواحه حتى يكاد ينفك.

(١١) دلى فلان فلانا في الشرّ: أوقعه وصيره فيه. (١٢) العرور: المعرة والعيب.

ـ يقال: عَرّه بكذا أي أصابه [به](1) ـ:

فشأنكها(2)، إنـي أميـنٌ وإنّنـي ... إذا مـا تَحالـى مثلُها لا أطُورها

ـ تَحالى: من الحلاوة. أطورها: أقْرَبُها ـ:

[276/6] / أحـاذر يـومـاً أن تَبيـن قـرينتـي ... ويُسْلمهـا أحـرازُهـا(3) ونَصيـرهـا

ـ الأحراز: الحصون. قرينتي: نفسي ـ:

ومـا أنْفُـس الفتيـان إلا قـرائـنٌ ... تَبيـن ويبقَـى هـامُهـا وقُبـورهـا

فنفسَـك فـاحفظهـا ولا تُفْـش للعِـدا ... مـن السـرّ مـا يُطْـوى عليـه ضَميـرُهـا

ومـا يَحفـظُ المكتـومَ مـن سـرّ أهلـه ... إذا عُقَـدُ الأسـرار ضـاع كبيـرُهـا

مِـنَ القـوم إلا ذو عَفـاف يُعينـه ... علـى ذاك منـهُ صِـدْقُ نفـس وخِيـرُهـا

[63/6] / رَعَـى خـالـدٌ سـرّي ليـالـيَ نفسُـه ... تَـوالَـى(4) علـى قَصْـد السبيـل أمـورُهـا

فلمـا تـرامـاه(5) الشبـابُ وغَيُّـه ... وفـي النفـس منـه فِتْنَـةٌ وفُجـورهـا

لـوى رأسَـه عنّـي ومـال بـودّه ... أغـانيـجُ خَـوْد(6) كـان فينـا يَـزُورهـا

تَعلّقَـه منهـا دَلالٌ ومُقلـة ... تَظَـلّ لأصحـاب الشَّقـاء تُـديـرهـا

فـإنّ حـرامـاً أنْ أخـون أمـانـةً ... وآمَـنَ نفسـاً ليـس عنـدي ضميـرهـا(7)

فأجابه خالد بن زهير:

لا يُبعِـدنّ الله لُبّـك إذ غَـزَا ... وسـافَـر والأحـلامُ جَـمٌّ عُثُـورهـا

ـ غزا وسافر لبك: ذهب عنك. والعثور: من العثار وهو الخطأ ـ:

وكنـتَ إمـامـاً للعشيـرة تنتهـي ... إليـكِ إذا ضـاقـت بـأمـرٍ صُـدورهـا

[277/6] / لعلّـك(8) إمّـا أمُّ عمـرو تبـدّلـت ... سِـواكَ خليـلاً شـاتِمـي تَسْتخيـرهـا

ـ الاستخارة: الاستعطاف ـ:

فـإنّ التـي فينـا زعمـتَ ومثلَهـا ... لَفيـكَ ولكنّـي أراك تَجُـورهـا(9)

---

(1) زيادة عن حـ.

(2) في شرح ديوانه في التعليق على هذا البيت: ورواه خالد والأصمعيّ: «فشأنكما... إلخ».

(3) في شرح ديوانه: «إخوانها».

(4) توالى: تتابع. وقصد السبيل: مستقيمه.

(5) ترامى الشباب: أي تم شبابه فقذف به إلى الغي كما تترامى الفلاة براكبها.

(6) الأغانيج: جمع أغنوجة. والأغنوجة من التغنج وهو التكسر والتدلل. والخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً.

(7) يريد: لا آمن من ليس عندي ضمير قلبه والذي يزعم أنه أخي وليس ضميره عندي. وفي نسبة هذا البيت لأبي ذؤيب خلاف ذكر في شرح ديوانه.

(8) كذا في حـ وشرح ديوانه. وفي سائر الأصول: «لعمرك».

(9) كذا في أ، ء، م، وشرح ديوانه. وفي سائر الأصول: «ولكن لا أراك تخورها» (بالخاء المعجمة) وهو تحريف.

ـ تجورها: تُعرض عنها ـ:

ألم تَنْتقذها[1] من عويم بن مالك وأنت صفيُّ نفسه وسَجيرها[2]

فلا تَجْزَعَنْ من سُنّةٍ أنت سِرْتَها فأوّلُ راضٍ سُنّةً مَنْ يسيرها

ـ ويروى [قد][3] أسرتَها، أي جعلتها سائرة. ومن رواه هكذا روى «يُسيرها» لأن مستقبل[4] أفعل أسارها يسيرها. و «يَسِيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها ـ.

فإن كنتَ تشكو من خَليلٍ مخانَةً[5] فتلك الجَوازي[6] عَقْبها ونُصُورها

ـ عَقْبها: يريد عاقبتها. ونُصورها أي تُنصر عليك، الواحد نصر[7] ـ.

وإن كنتَ تَبْغِي للظُّلامة مَرْكَباً ذَلُولاً فإني ليس عندي بَعيرها

نشأْتُ عَسِيراً لا تَلِين[8] عَريكتي ولم يَعْلُ[9] يوماً فوق ظهري كُورها[10]

[٦/٢٧٨] / متى ما تشأْ أحمِلْك والرأسُ مائلٌ على صَعْبةٍ حَرْفٍ وَشِيكٍ طُمورها[11]

فلا تَكُ كالثور الذي دُفنتْ له حديدةُ حَتْفٍ ثم أمسى[12] يُثيرها

يُطيل ثَواءً عندها ليَرُدَّها وهيهات منه دارها[13] وقُصورها

وقاسمها بالله جَهْداً لأنتمُ ألذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورها[14]

ـ نشورها: نجتنيها. السلوى هاهنا: العسل ـ.

فلم يُغْنِ عنه خَدْعَه يوم أزْمعتْ صَريمتَها والنفسُ مُرٌّ ضميرُها[15]

ولم يُلْفَ جَلْداً حازماً ذا عَزيمة وذا قوّة يَنْفِي بها من يَزورها

---

(١) الموجود في معاجم اللغة من هذه المادة: أنقذه واستنقذه وتنقذه. ورواية هذا الشطر في شرح ديوانه و «طبقات الشعراء»: «ألم تنتقذها من ابن عويمر *. . إلخ» وتنقذها: تنجزها وأخذها.

(٢) السجير: الخليل الصفيّ.

(٣) زيادة عن شرح ديوانه.

(٤) كذا وردت هذه العبارة في الأصول، وهي غير مستقيمة. والظاهر أن كلمة «أفعل» مقحمة.

(٥) كذا في شرح ديوانه. وفي جميع الأصول: «مخافة» (بالفاء) وهو تحريف.

(٦) كذا في حـ وشرح ديوانه. وفي سائر الأصول: «الجواري» (بالراء المهملة) وهو تصحيف.

(٧) قال في «اللسان» (مادة نصر) بعد أن أورد هذا البيت: «يجوز أن يكون نصور جمع ناصر كشاهد وشهود وأن يكون مصدراً كالدخول والخروج».

(٨) في شرح ديوانه: «لم تديث». وتديث: تذلل وتلين.

(٩) في شرح ديوانه: «ولم يستقر فوق. . . إلخ».

(١٠) الكور: الرحل.

(١١) الرأس مائل من المرح والنشاط. والحرف: الضامرة. ووشيك طمورها: سريع وثوبها.

(١٢) في شرح ديوانه: «ثم ظل».

(١٣) في شرح ديوانه: «دورها».

(١٤) كذا في شرح ديوانه و «لسان العرب» (مادة سلا). وفي الأصول: «يشورها».

(١٥) مرّ ضميرها أي نفسها خبيثة كارهة.

فأقصِرْ[١] ولم تأخذك مني سحابةٌ ... يُنَفِّر شاءَ المُقْلِعين خَرِيرُها

ـ المقلعين: الذين أصابهم القَلَع وهو السحاب ـ.

ولا تَشبِقَنّ الناس مني بخمْطةٍ[٢] ... مِنَ السمّ مَذْرُورٍ عليها ذَرُورها

/ أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا السَّكَن بن سَعيد قال حدّثنا العبّاس بن هشام قال حدّثني أبو ٦٤/٦ عمرو عبدالله بن الحارث الهُذَليّ من أهل المدينة قال:

خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عُبيد[٣]، حتى قَدِموا على عمر بن الخَطّاب رضي الله عنه. فقال[٤] له: أيُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين؟ قال: الإيمان / بالله ورسوله. قال: قد فعلتُ، فأيُّه أفضلُ بعده؟ [٢٧٩/٦] قال: الجهادُ في سبيل الله. قال: ذلك كان عليّ وإني لا أرجو جنة ولا أخاف ناراً. ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين. فلما قَفَلوا أخذه[٥] الموت؛ فأراد ابنُه وابنُ أخيه أن يتخلّفا عليه جميعاً؛ فمنعهما صاحبُ الساقة[٦] وقال: ليتخلّفْ عليه أحدُكما وليعلَم أنه مقتول. فقال لهما أبو ذؤيب. اقترِعا، فطارت القُرعة لأبي عُبيد، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس. فكان أبو عُبَيد يُحدّث قال قال لي أبو ذؤيب: يا أبا عُبيد، احفِر ذلك الجُرُف برمحك ثم اعضِد[٧] من الشجر بسيفك ثم اجرُرْني إلى هذا النهر فإنك لا تفرغُ حتى أفرغُ، فاغسِلني وكفنّي ثم اجعلني في حَفيري وانثِلْ[٨] عليّ الجُرُف برمحك، وألق عليّ الغصونَ والشجر، ثم اتّبع الناس فإن لهم رَهْجَةً[٩] تراها في الأفق إذا مشيتَ كأنها جَهامةٌ[١٠]. قال: فما أخطأ مما قال شيئاً، ولولا نَعْتُه لم أهتد لأثر الجيش. وقال وهو يجود بنفسه:

أبا عُبَيد رُفِع الكتابُ ... واقترب الموعد والحسابُ

وعند رَحْلي جملٌ نُجابُ ... أحمرُ في حاركه[١١] انصبابُ

ثم مضيتُ حتى لحقت الناسَ. فكان يُقال: إنّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثرَ في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذُؤَيب قبر يُعرف لأحد من المسلمين.

(١) أي كف ولم تأخذك مني سحابة منطق وهجاء كأنه مطر ينفر شاه الناس. ورواه الأصمعيّ: «فإياك لا تأخذك...». (راجع شرح ديوانه).

(٢) كذا في شرح ديوانه و «لسان العرب» (مادة خمط). والخمطة: الطرية التي أخذت طعماً ولم تستحكم، أو هي التي أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد. والمراد هنا اللوم والكلام القبيح. ومعنى البيت أنه ينهاه عن التعرض لشتمه وهجائه. وفي الأصول: «منك بحكمة» وهو تحريف.

(٣) في جميع الأصول هنا: «أبو عقيل» وهو تحريف.

(٤) في جميع الأصول: «فقالوا». والتصحيح عن الأستاذ الشنقيطي في هامش نسخته؛ فإن ما في الأصول لا يلائم سياق الخبر.

(٥) مر في أوّل ترجمة أبي ذؤيب ما يخالف ما هنا. (راجع ما كتبه في صفحة ٢٦٦ في الحاشية رقم ٢).

(٦) ساقة الجيش: مؤخرته.

(٧) كذا في «تجريد الأغاني». وعضد الشجر يعضده (بالكسر): قطعه. وفي جميع الأصول: «اعمد» وهو تحريف.

(٨) نثل الركية ينثلها (من باب ضرب): أخرج ترابها. وهذا المعنى غير مستقيم في هذا المقام. فلعل صوابه «وأهلي على الجرف... إلخ». وأهال عليه التراب: دفعه فانهال.

(٩) الرهجة: ما أثير من الغبار.

(١٠) الجهامة: السحابة لا ماء فيها.

(١١) الحارك: أعلى الكاهل.

[٦/ ٢٨٠]

/ ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه

نسبه وأصله وصناعته:

هو الحَكَم بن مَيْمون مولى الوليد بن عبد الملك. وكان أبوه حَلّاقاً يحلِق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. وكان حَكَمٌ طويلاً أحْولَ، يُكْرِي الجِمالَ ينقُل عليها الزيت من الشام إلى المدينة. ويُكنى أبا يحيى. وقال مصعَب بن عبدالله بن الزُّبَيْر: هو حكم بن يحيى بن ميمون، وكان أصله من الفُرْس، وكان جَمّالاً ينقل الزيت من وادي[1] القُرَى إلى المدينة.

غنى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد:

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخاً طويلاً أحولَ أجْنأ[2] يخضِب بالحِنّاء، وكان جمّالاً يحمل الزيت من جُدّة إلى المدينة، وكان واحدَ دهره في الحِذْق، وكان ينقُر بالدفّ ويغنّي مرتجِلاً، وعُمِّر عمراً طويلاً، غنّى الوليدَ بن عبد الملك، وغنّى الرشيدَ ومات في الشَّطْر من خلافته، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادي. قال: وكان بوادي القُرَى جماعةٌ من المغنّين فيهم عمر بن زاذان ـ وقيل: ابن داود بن زاذان، وهو الذي كان يسميه الوليد جامعَ لذّتي ـ وحكم بن يحيى، وسليمان، وخُلَيْد بن عَتِيك ـ وقيل: ابن عبيد ـ ويعقوب الوادي. وكل هؤلاء كان يصنع فيُحسن.

مدح إسحاق الموصلي غناءه:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني حمّاد قال قال لي أبي:

أحذقُ من رأيتُ من المغنين أربعة: جدّك وحَكَم وفُلَيح بن العوراء وسِياط. قلت: وما بلغ من حذقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون[3] غناء غيرهم / فيحسنون. قال إسحاق: وقال لي أبي: / ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أطبع من حَكَم وابن جامع، وفُلَيح أدرى منهما بما يخرج من رأسه.

[٦/ ٢٨١]
٦٥/ ٦

غنى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه:

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكيّ حدّثه عن أبيه قال حدّثني حكم الواديّ،

---

(١) وادي القرى: واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر. سمي بذلك لأنه من أوله إلى آخره قرى منظومة كانت منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة وبلى، وقديماً كانت منازل ثمود وعاد وبها أهلكهم الله تعالى.

(٢) الأجنأ: الأحدب.

(٣) في حـ: «ويروون».

وأخبرني به محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثنا الغَلاَبِيّ[(١)] عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكيّ عن أبيه عن حكم الوادي قال:

أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد، وهو على حمار، وعليه جُبّة وَشْي ورداء وشي وخُفّ وشي، وفي يده عِقْد جوهر، وفي كُمّه شيء لا أدري ما هو. فقال: مَنْ غنّاني ما أشتهي فله ما في كُمّي وما عليّ وما تحتي؛ فغنَّوْه كلُّهم فلم يَطْرَب؛ فقال لي: غَنِّ يا غلام، فغنّيت:

صـوت

إكليلُهـــــا ألـــــوانُ ووجهُهـــــا فَتّـــــانُ
وخـــالُهـــا فـــريـــدٌ ليـــس لـــه جيـــران
إذا مشـــتْ تَثَنّـــت كـــأنهـــا ثعبـــان

ـ الشعر لمُطِيع بن إياس. والغناء لحَكَم الوادي هَزَجٌ بالوسطى. وفيه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى ـ فطرب وأخرج ما كان في كمّه، وإذا كيسٌ فيه ألفُ دينار، فرمَى به إليّ مع عقد الجوهر؛ فلما دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه. وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مُطيع بن إياس.

/ مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتاً: [٦/٢٨٢]



وفي حكم الواديّ يقول رجل من قريش:

صـوت

أبـو يحيـى أخـو الغَـزَل المغنّـي بَصيـرٌ بـالثُّقـال وبـالخِفـافِ
علـى العيـدان يُحسِـن مـا يُغنّـي ويُحسـنِ مـا يقـول علـى الـدُّفـاف

غنّاه حكم الواديّ هزجاً بالبنصر.

قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العِبَادِيّ قال حدّثني أحمد البارد قال: دخلتُ على حَكَم يوماً فقال لي: يا قِصَافيّ[(٢)]، إن رجلاً من قريش قال فيّ هذا الشعرَ:

* أبو يحيى أخو الغَزَل المغنّي *

وقد غنّيتُ فيه، فخذ العودَ حتى تسمعه منّي؛ فأخذتُ العود فضربتُ عليه وغنّانيه، فكنت أوّلَ من أخذ من حَكَم الواديّ هذا الصوت.

سئل عن صوت فقال ما يكون إلا لي:

قال أبو يحيى وقال إسحاق:

(١) كذا في أ،ء، م. وهو محمد بن زكريا بن دينار الغلابي. وقد مرت رواية محمد بن يحيى الصولي عنه في الأجزاء السابقة. وفي سائر الأصول: «العلائي» وهو تحريف.
(٢) بنو قصاف: بطن من العرب.

سمعت حكماً الواديّ يغني صوتاً فأعجبني، فسألته لمن هو؟ فقال: ولمن يكون هذا إلاّ لي.

فغضب من شيخ قال له أحسنت:

وقال مُصْعَب:

حدّثني شيخ أنه سمع حَكَماً الواديّ يغنّي، فقال له: أحسنت! فألقى الدُّفّ وقال للرجل: قبّحك الله! تراني مع المغنّين منذ ستين سنةً وتقول لي أحسنت!.

قصته هو وفليح مع ابن جامع عند يحيى بن خالد:

وقال لي هارون حدّثني مُدْرِك بن يزيد قال قال لي فُلَيح:

بعث إليّ يحيى بنُ خالد وإلى حَكَم الواديّ، وابنُ جامع معنا، فأتيناه. فقلت لحكم الواديّ - أو قال لي - إنّ ابنَ جامع معنا، فعاونِّي عليه لنكسِرَه. / فلما صرنا إلى الغِناء غنّى حَكَمٌ، فصِحْتُ وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنّيت ففعل بي حَكَمٌ مثلَ ذلك، وغنّى ابنُ جامع فما كنا معه في شيء. فلما كان العَشِيُّ أرسل إلى جاريتِه دَنَانِيرَ: إن أصحابَكِ عندنا، فهل لكِ أن تخرجي إلينا؟! فخرجتْ وخرج معها وصائفُ لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنّا لا نسمع: ليس في القوم أنزهُ / نفساً من فُلَيح، ثم أشار إلى غلام له: أنِ ائت كلَّ إنسان بألفي درهم، فجاء بها. فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها في كمّه، ولحَكَم مثلَ ذلك فطرحها في كمّه، ودفع إليّ ألفين. فقلت: لدنانير: قد بلغ منّي النبيذُ فاحتبسيها لي عندك، فأخذت الدراهمَ منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد، وقد زادت عليها مثلَها، وأرسلتْ إليّ: قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تفرّقه على أخَواتي (تعني جواريّ).

[٦/٢٨٣] ٦٦/٦

بلغ في الهزج مبلغاً قصر عنه غيره:

قال هارون بن محمد قال حَمّاد بن إسحاق قال أبي:

أربعةٌ بلغوا في أربعة أجناسٍ من الغناء مبلغاً قصّر عنه غيرُهم: معبد في الثقيل، وابن سُرَيج في الرَّمَل، وحَكَمٌ في الهَزَج، وإبراهيمُ في الماخُورِي.

كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم ابن المهدي فوصله هو أيضاً وأخذ عنه ثلثمائة صوت:

قال هارون وحدّثني أبي قال حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال:

زار حَكَمٌ الواديّ الرشيد، فبَرّه ووصَله بثلثمائة ألف درهم، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه؛ فقال: اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهديّ - وكان عاملاً له بالشام - قال إبراهيم: فقدِم عليّ حَكَمٌ بكتاب الرشيد، فدفعتُ إليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله، إلا أني نقصته ألفاً من الثلثمائة وقلت له: لا أصِلُكَ بمثل صلة أمير المؤمنين. فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذتُ منه فيها ثلثَمائة صوت، كلُّ صوت منها أحبُّ إليّ من الثلثمائة الألف التي وهبتُها له.

أهانه ابن شقران ولما عرفه اعتذر:

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عُبيد الله بن خُرْدَاذْبَه قال قال مصعَب بن عبدالله:

[٦/٢٨٤] / بينا حَكَمٌ الواديّ بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون: لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقْران! فإنها حسنة الغناء! فمضوا

إليها، وتبعهم حكم وعليه فروة[١]، فدخلوا ودخل معهم، وصاحبُ المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه. فغنّتِ الجارية أصواتاً ثم غنّت صوتاً ثم صوتاً. فقال حَكَمٌ الواديّ: أحسنتِ والله! وصاح. فقال له ربُّ البيت: يا ماصّ كذا وكذا من أمه! وما يُدريك ما الغناء! فوثَب عليه يُتعتِعه[٢] وأراد ضربَه. فقال له حَكَمٌ: يا عبدالله، دخلتُ بسَلام وأخرجُ كما دخلت، وقام ليخرج. فقال له ربُّ البيت: لا أو أضربَك. فقال حكم: على رِسْلك، أنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال: شُدّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا، وآندفع يغنّي. فقالت الجارية: إنه والله أبو يحيى! فقال ربّ المنزل: جُعلتُ فداك! المعذرةُ إلى الله وإليك! لم أعرفك! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجلُ؛ فقال: والله لأخرجنّ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك.

لامه ابنه على غنائه الأهزاج فأجابه:

وذكر أحمد بن المكيّ عن أبيه: أنّ حكماً لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصَّوْتُ[٣] به حتى صار الأمر إلى بني العباس؛ فانقطع إلى محمّد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور؛ فأُعجب به وآختاره على المغنّين وأعجبتْه أهزاجُه. وكان يقال: إنه من أهْزجِ الناس. ويقال: إنه غنّى الأهزاجَ في آخر عمره، وإن ابنه لامه على ذلك، وقال له: أبعدَ الكبر تغنّي غناء المخنّثين! فقال له: اسكت فإنك جاهلٌ، غنّيتُ الثقيلَ ستين سنةً فلم أنَلْ إلا القوت، وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيّات فأكسبتُك ما لم تَرَ مثلَه قطُّ.

/ شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء: [٦/ ٢٨٥]

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد:

ما رأينا فيمن يأتينا من المغنّين أحداً أجود أداءً من حَكَم. وليس أحد يسمع[٤] غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلا وهو يغيّره ويَزيد فيه ويَنقُص إلا حَكَماً. فقيل لحكم ذلك / فقال: إني لست أشرب، وغيري يشرب، فإذا شرب تغيَّر غناؤه. ٦٧/٦

استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

كان خبرُ حَكَم الواديّ يتناهى إلى المنصور ويَبْلُغه ما يصله به بنو سليمان بن عليّ، فيَعْجَب لذلك ويستسرفه ويقول: هل هو إلا أنْ حسّن شعراً بصوته وطرّب مستمعيه، فماذا يكون! وعَلاَمَ يُعطونه هذه العَطَايا المُسْرِفة! إلى أن جلس يوماً في مُستشرَف له، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوّاده ـ أُرَاه قال: عليّ[٥] بن يَقْطين أو أبوه ـ وهو

(١) الفروة والفرو: شيء نحو الجبة يبطن من جلود بعض الحيوان كالأرانب والثعالب والسمور.
(٢) كذا في حـ. وتعتعه: تلتله وحركه بعنف. وفي سائر الأصول: «يتعنفه» وهو تحريف.
(٣) في ب، س: «الصيت». والصوت والصيت الذكر الحسن الذي ينتشر بين الناس.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وليس أحد يسمع منه غناء... إلخ». والظاهر أن كلمة «منه» مقحمة.
(٥) كان يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدعاة، وطلبه مروان فهرب. وابنه علي بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة. وهربت أم علي به وبأخيه عبيد بن يقطين إلى المدينة. فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين وعادت أم علي بعلي وعبيد. فلم يزل يقطين في خدمة أبي العباس وأبي جعفر المنصور، وكان مع ذلك يرى رأي آل أبي طالب ويقول بإمامتهم، وكذلك ولده، وكان يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد بن علي والألطاف. ونم خبره إلى المنصور والمهدي فصرف الله عنه كيدهما. وتوفي علي بن يقطين بمدينة السلام سنة ١٨٢ هـ وسنه ٥٧ سنة وصلى عليه ولي العهد محمد بن الرشيد وتوفي أبوه بعده في سنة ١٨٥ هـ (عن «فهرست ابن النديم»).

يراه؛ ثم خرج عشيًّا وقد حَمله على بغلة له يعرفها المنصور، وخلع عليه ثياباً يعرفها له. فلما رآه المنصور قال: من هذا؟ فقيل: حَكَمٌ الواديّ. فحرّك رأسه مَلِيًّا ثم قال: الآنَ علمتُ أن هذا يستحقّ ما يُعطاه. قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه؟ قال: لأنّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يضَعه إلا في حقه.

/٢٨٦] / اعترض المهدي في الطريق وغناه فأجازه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد[1] قال حدّثنا قَعْنب بن المُحْرِز الباهِليّ عن الأصمعيّ قال:

رأيت حَكَماً الواديّ حين مضى المهديّ إلى بيت المَقْدِس[2]، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفّه ونَقَر فيه وله شُعَيْرات على رأسه وقال: أنا والله يا أمير المؤمنين القائل:

ومتـى تَخـرج العـرو س فقـد طـال حبسُهـا

فتسرّع إليه الحَرَسُ؛ فقال: دعوه[3]، وسأل عنه فأُخبر أنه حَكَمٌ الواديّ؛ فوصَله وأحسن إليه.

لحنُ حَكَمٍ في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر. وفيه ألحان لغيره، وقد ذُكِرتْ في أخبار الوليد بن يزيد.

أطرب الهادي دون غيره من المغنين فأعطاه ثلاث بدر:

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفلي عن صالح[4] الأضْجَم عن حَكَمٍ الواديّ قال:

كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسّط وقلّ ترجيعُه ولم يبلُغ أن يُسْتخَفّ جدًّا؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال: من أطربني فهي له. فغنّاه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ والزُّبير بن دَحْمان فلم يصنعوا شيئاً، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سرَيج:

صـوت

غَـرّاءُ كـالليلـة المبـاركـة الْـ ـقَمْـراءِ تَهْـدى أوائـلَ الظُّلَـمِ

أَكْنِـي بغيـر اسمهـا وقـد علـم الـ ـلّـه خَفِيّـاتِ كـلّ مُكْتتِـمِ

/٢٨٧] / كـأن فـاهـا إذا تُنُسّـم[5] عـن طيـب مَشَـمٍّ وحسـن مُبْتَسَـمِ

يُسَـنّ[6] بـالضّـرو[7] مـن بَـرَاقِـشَ أو هَيْـلانَ[8] أو يـانـعٍ مـن العُتُـمِ[9]

---

(١) في جميع الأصول هنا: «سعيد» وهو تحريف.

(٢) سيأتي هذا الخبر في ترجمة الوليد بن يزيد (ج ٧ ص ٣١ من هذه الطبعة). وقد ورد فيه أن المهدي كان يريد الحج.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «دعوه دعوه».

(٤) هو صالح بن علي بن عطية الأضجم الراوي.

(٥) كذا في أ، ء، ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي سائر الأصول: «تبسم».

(٦) كذا في الجزء الخامس من «الأغاني» (ص ٢٧ من هذه الطبعة). ويسن (بالبناء للمجهول): يسوّك. وفي الأصول هنا: «يستن».

(٧) الضرو: شجرة الكمكام، وهو شجر طيب الريح يستاك به ويجعل ورقه في العطر، وهو المحلب. قال أبو حنيفة الدينوري: أكثر منابت الضرو باليمن وهو من شجر الجبال كالبلوط العظيم له عناقيد كعناقيد البطم غير أنه أكبر حباً، ويطبخ ورقه فإذا نضج صفي ورد ماؤه إلى النار فيعقد، يتداوى به من خشونة الصدر ووجع الحلق. (راجع «شرح القاموس» مادة ضرى).

(٨) براقش: واد باليمن شجير وكذلك هيلان. وأكثر نبات الضرو باليمن. وقيل: براقش وهيلان مدينتان عاديتان خربتا. ويسكن براقش بنو الأوبر من بلحارث بن كعب ومراد. وسميت براقش باسم كلبة وهي التي قيل فيها: «على أهلها تجني براقش». (راجع «معجم ما استعجم» و «معجم البلدان» في اسم براقش، و «شرح القاموس» و «اللسان» مادة برقش).

(٩) العتم: شجر الزيتون. وفي ب، س: «العنم» (بالنون) وهو تصحيف.

ـ الشعر في هذا الغناء للنابغة الجَعْديّ؛ والصنعة لابن سُريج رمل بالبنصر ـ فوثَب عن فراشه طرباً وقال: أحسنتَ أحسنتَ والله! اسْقُوني فسُقي. ووثِقتُ بأن البِدَرَ لي، فقمتُ فجلست عليها. فأحسن ابنُ جامع المَخْضَر وقال: أحسن والله كما قال أمير المؤمنين، وإنه لمُحْسِن مُجْمِل. فلما سكَن[1] أمَر الفَرَّاشين بحملها معي. فقلت لابن جامع: مثلُك يفعل ما فعلتَ في شَرَفك ونسبِك! فإن رأيتَ أن تشرِّفني بقبول إحداها فعلتَ. فقال: لا والله لا فعلتُ، والله لوَدِدْتُ أنّ الله زادك، وأسأل الله أن يُهنِّيك ما رزقك. ولحقني المَوْصليّ فقال: آخُذ يا حكَم من هذا؟ فقلت: لا والله ولا درهماً واحداً لأنك لم تُحْسِن المَخْضَر.

موته وشعر الدارمي فيه:

ومات حَكَمٌ الواديّ / من قُرحة أصابته في صدره. فقال الدارِميّ فيه قبلَ وفاته: ٦٨/٦

صوت

إنّ أبــا يحيــى ٱشتكــى عِلّــةً ... أضبــح منهــا بيــن عُــوّادِ

فقلــت والقلــبُ بــه مُــوجَــعٌ ... يــا رَبِّ عــافِ الحَكَــمَ الــوادي

/ فــرُبّ بِيــضٍ قــادةٍ ســادةٍ ... كــأنصُــلٍ سُلّــت مِــنَ ٱغْمــاد [٦/ ٦٨]

نــادمهــم فــي مجلــس لاهيــاً ... فــأضمــتَ المُنشِــدَ والشــادي

غنّى فيه حَكَمٌ الواديّ هَزَجاً بالبنصر.

صوت

من المائة المختارة

أمعــارِفَ الــدِّمَــنَ القِفَــار تَــوَهَّــمُ ... ولقــد مضــى حــولٌ لهــنَّ مُجَــرَّمُ[2]

ولقــد وقفــتُ علــى الــديــار لعلّهــا[3] ... بجــواب رَجْــع تحيّــة تتكلّــم

عــن عِلْــم مــا فعــل الخليــطُ، فمــا دَرَتْ ... أنّــى تــوجّــه بــالخَليــط المَــوْسِــم

ولقــد عهِــدتُ بهــا سُعــادَ وإنهــا ... بــالله جــاهــدةَ اليميــن لتُقْسِــم

إنــي لأَوْجَــهُ مَــنْ تكلّــم عنــدهــا ... بــأَلِيّــةٍ ومخــالــفٌ مَــن يَــزْعُــم

فلهــا لــدينــا بــالــذي بــذَلــتْ لنــا ... وُدٌّ يطــول لــه العَنــاء ويَعْظُــم

عروضه من الكامل. الشعر لنصَيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان. والغناء لابن جامع. له فيه لحنان ذكرهما إسحاق، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى. ولإسحاقَ وسِيَاطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو.

---

(١) في حـ: «سكر».
(٢) مجرم: منقطع ومنصرم.
(٣) في حـ: «كأنها».

[٦/٢٨٩]

/ ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

نسبـه:

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبدالله بن المطَّلِب بن أبي[١] وَدَاعة بن ضُبَيرة[٢] [بن سُعَيد][٣] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو][٣] بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤيّ بن غالِب.

ضبيرة السهمي جدّ ابن جامع وشيء من أخباره:

أخبرني الطُّوسِيّ عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه مصعَب، وأخبرنا محمد بن جَرير الطَّبَريّ قال حدّثنا محمد بن حُمَيد عن سَلَمة عن ابن[٤] إسحاق قالا جميعاً:

مات ضُبيرة السَّهْميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لِحيته شَيْب. فقال بعض شعراء قريش يَرثيه:

حُجّـــاجَ بيـــتِ الله إنَّ ضُبَيـــرةَ السَّهْمِـــيّ مـــاتَـــا
سبَقَـــتْ منيَّتُـــه المَشيـــبَ وكـــان مِيتتُـــه افتـــلاتـــا
فتـــزَوّدوا لا تَهْلِكـــوا مـــن دون أهلكُـــم خُفـــاتـــا[٥]

[٦/٢٩٠] / قال: وأسِر أبو وَدَاعة كافراً يوم بَدْر ففَداه ابنُه المطَّلِب، وكان المطَّلب رجلَ صدق. وقد روى عن النبيّ ﷺ الحديث.

كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمه:

ويُكنى ابنُ جامع أبا القاسم. وأمه امرأة من بني سَهم، وتزوّجَتْ بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن. فذكر

(١) اسم أبي وداعة: الحارث. ويحكي عن أسره يوم بدر كما سيذكره المؤلف أن النبيّ ﷺ قال: «تمسكوا به فإن له ابناً كيساً بمكة». فخرج المطلب بن أبي وداعة سراً حتى فدى أباه بأربعة آلاف درهم. وهو أول أسير فدى من بدر، ولامته قريش في بداره ودفعه الفداء، فقال: ما كنت لأدع أبي أسيراً. فسار الناس بعده إلى النبيّ ﷺ ففدوا أسراهم.

(٢) كذا في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج ٥ ص ٣٣٤) و «السيرة لابن هشام» (ج ١ ص ٥١٤) و «شرح القاموس» مادة ضبر بالضاد المعجمة. وفي جميع الأصول: «صبيرة» بالصاد المهملة وهو تصحيف.

(٣) زيادة عن «الطبقات» و «المشتبه» (ص ٢٦٥) و «أسد الغابة» (ج ٤ ص ٣٧٤) و «الاستيعاب» (ج ١ ص ٢٦٨) و «السيرة» لابن هشام.

(٤) في أكثر الأصول: «عن سلمة بن أبي إسحاق». وفي حـ: «عن سلمة عن أبي إسحاق». وكلاهما محرف عما أثبتناه. إذ المعروف أن سلمة بن الفضل الأبرش يروي عن محمد بن إسحاق بن يسار. وعن سلمة هذا يروي محمد بن حميد الرازي. وقد تقدّم هذا السند في أكثر من موضع في الأجزاء السابقة.

(٥) خفت الرجل خفاتاً: مات فجأة.

هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن / حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَوْن حاجب[1] مَعْن بن زائدة ٦٩/٦ قال: رأيتُ أمّ ابن جامع وابنُ جامع معها عند مَعْن بن زائدة وهو ضعيف يَتْبعُها ويَطَأ ذيلَها وكانت من قريش، ومَعْن يومئذ على اليمن. فقالت: أصْلحَ الله الأميرَ، إنّ عمّي زَوّجني زوجاً ليس بكُفْء ففرّقْ بيني وبينه. قال: من هو؟ قالت: ابنُ ذي مناجب. قال: عليَّ به. قال: فدخل أقبحَ مَنْ خلق اللّهُ وأشوهَه خَلْقاً. قال: مَنْ هذه منكَ؟ قال: امرأتي. قال: خلِّ سبيلَها، ففعل. فأطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسَه فقال:

لعمري لقد أصبحتَ غيرَ محبَّب ... ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجبِ
فما لُمتها لمّا تبيّنتُ وجهَه ... وعيناً له حَوْصاءَ من تحت حاجب
وأنفاً كأنف البَكْر يقطُر دائباً ... على لِحيَة عَصْلاءَ[2] شابتْ وشارِب
أتيتَ بها مثلَ المَهَاة تسوقها[3] ... فيا حُسْن مجلوب ويا قُبح جالب

وأمر لها بمائتي دينار وقال لها: تجهزي بها إلى بلادك.

سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلي:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني حَمّاد عن أبيه:

أن الرشيد سأل ابنَ جامع يوماً عن نسبه وقال له: أيَّ بَني الإنسِ وَلَدَك يا إسماعيل؟ قال: لا أدري، ولكن سَلِ ابنَ أخي (يعني إسحاق) ـ وكان يُمَاظّ[4] / إبراهيمَ الموصليّ ويَميل إلى ابنه إسحاق ـ قال إسحاق: ثم التفتَ إليّ [٦/ ٢٩١] ابنُ جامع فقال: أخبرْه يابنَ أخي بنسب عمك. فقال له الرشيد: قبَّحك الله شيخاً من قريش! تَجْهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم!.

شيء من ورعه وتقواه:

قال هارون حدّثني عبدالله بن عمرو قال حدّثني أبو هشام[5] محمد بن عبد الملك المخزوميّ قال أخبرني محمد بن عبدالله بن أبي فَرْوة بن أبي قُرَاد المخزوميّ قال:

كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ الله لكتاب الله وأعلمِه بما يحتاج إليه، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلّي الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تطلَع الشمس، ولا يصلي الناسُ الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله.

وقف معه أبو يوسف القاضي بباب الرشيد ولم يعرفه:

قال هارون وحدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني صالح بن عليّ بن عطيّة وغيرُه من رجال أهل العسكر قالوا:

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «صاحب».
(٢) عصلاء: معوجة.
(٣) في تجريد الأغاني: «تسومها».
(٤) ماظظت فلاناً: شاورته ونازعته.
(٥) في أ، ء، م: «أبو هاشم محمد بن عبدالله المخزومي».

قدِم ابنُ جامع قَدْمةً له من مكة على الرشيد، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه، وكان يَعْتَمُّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة، ويلبس لباسَ الفقهاء، ويركب حماراً مِرِّيسِيًّا[1] في زيّ أهل الحجاز. فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه، فوقف على ما كان يقف الناسُ عليه في القديم حتى يأذنَ لهم أو يَصرفَهم، أقبل[2] أبو يوسف القاضي بأصحابه أهلِ القَلاَنِس؛ فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه، فوقعتْ عينهُ على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته، فجاء فوقف إلى جانبه ثم [٦/٢٩٢] قال له: أمتع الله بك، توسَّمتُ / فيك الحِجازيّة والقُرَشِيّة؛ قال: أصبتَ. قال: فمن أيّ قريش أنت؟ قال: من بني سَهْم. قال: فأيُّ الحرمين منزلُك؟ قال: مكة. قال: ومن لقيتَ من فقهائهم؟ قال: سَلْ عمن شئت. ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأعجب به. ونظر الناسُ إليهما فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغنّي، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابنُ جامع. فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه! ثم قالوا: / لا، لعلّه لا يعود إلى مواقفته[3] بعد [٧٠/٦] اليوم، فَلِمَ نَغُمّه. فلما كان الإذنُ الثاني ليحيى غَدَا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابنَ جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلاً كما فعل في المرّة الأولى. فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه: أيها القاضي، أتعرف هذا الذي تُوَاقِف وتحادث؟ قال: نعم، رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء. قالوا: هذا ابن جامع المغنّيّ؛ قال: إنا لله!. قالوا: إن الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذِر به، فجاء فوقف فسلّم عليه، فردّ السلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه. فدنا منه ابن جامع، وعرف الناسُ القصة، وكان ابن جامع جَهيراً فرفع صوتَه ثم قال: يا أبا يوسف، ما لك تنحرف عني؟ أيّ شيءٍ أنكرتَ؟ قالوا لك: إني ابنُ جامع المغنيُّ فكرِهتَ مواقفتي لك! أسألك عن مسألة ثم اِصنع ما شئتَ؛ ومال الناس فأقبلوا نحوَهما يستمعون. فقال: يا أبا يوسف، لو أن أعرابيًّا جِلْفاً وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال:

يـا دارمَيّـة بـالعَلْيـاء فـالسَّنَـد أقْـوتْ وطـالَ عليهـا سـالـفُ الأبـدِ

[٦/٢٩٣] / أكنتَ ترى بذلك بأساً؟ قال: لا، قد رُوي عن النبيّ ﷺ في الشعر قولٌ، وروى في الحديث. قال ابن جامع: فإن قلتُ أنا هكذا، ثم اَندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه؛ ثم قال: يا أبا يوسف، رأيتني زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه؟ قال: عافاك الله، أعْفِنا من ذلك. قال: يا أبا يوسف، أنت صاحب فُتْيا، ما زدتُه على أن حسّنتُه بألفاظي فحسُن في السماع ووصل إلى القلب. ثم تنحّى عنه ابن جامع.

سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذي أصاب به مالاً فأجيب:

قال: وحدّثني عبدالله بنّ شبيب قال حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَينة، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخَزّ، فقال لبعض أصحابه:

بلغني أنّ هذا القرشيّ أصاب مالاً من بعض الخلفاء، فبأيّ شيء أصابه؟ قالوا: بالغناء. قال: فمن منكم يذكر بعضَ ذلك؟ فأنشد بعضُ أصحابه ما يغنّي فيه:

---

(١) مريسي: نسبة إلى مريسة (كسكينة، كما في «القاموس» وشرحه مادة مرس وضبطها صاحب «معجم البلدان» بفتح الميم): قرية بمصر من ناحية الصعيد إليها تنسب الحمر المريسية وهي من أجود الحمر وأمشاها.

(٢) في جميع الأصول: «فأقبل».

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «مرافقته».

وأصحَب باللّيل أهلَ الطُّواف وأرفع من مِئزَرِي المُسْبَلِ

قال: أحْسنَ، هيه! قال:

وأسجدُ بالليل حتى الصباح وأتلو من المُحْكَم المُنْزَلِ

قال: أحسن، هيه! قال:

عَسَى فارجُ الكرب عن يوسفٍ يُسخّر لي رَبّة المَحمِلِ

قال: أمّا هذا فدعه.

كان يعد صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن:

وحدّثني محمد بن الحسن العَتّابيّ قال حدّثني جعفر بن محمد الكاتب قال حدّثني طيّب بن عبد الرحمن قال:

كان ابن جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن.

[٦/ ٩٤]

/ اشتغاله بالقمار وحب الكلاب:

وحدّث محمد[1] بن الحسن قال حدّثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد[2] بن سَلْم عن أخيه أبي[3] معاوية بن عبد الرحمن قال:

قال لي ابن جامع: لولا أن القِمَار وحبَّ الكِلاب قد شغلاني لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبز.

دعا كلباً أهدى إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب:

٧١/٦

أخبرني عليّ بن عبد العزيز / عن ابن خُرْداذْبَه قال:

أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال: ما اسمُه؟ فقال: لا أدري، فدعا بدفتر فيه أسماءُ الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب.

ألقى على ابنه هشام صوتاً سمعه من الجن:

قال هارون بن محمد حدّثني عليّ بن محمد النّوْفليّ قال حدّثني محمد بن أحمد المَكّيّ قال حدّثتني حَوْلاءُ مولاةُ ابن جامع قالت:

انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال: عليّ بهشام (يعني ابنَه) ادعُوه لي عجّلوه، فجاء مسرِعاً. فقال: أيْ بُنيّ، خذ العودَ، فإنّ رجلاً من الجن ألقى عليّ في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه. فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملاً لم أسمع له رملاً أحسن منه، وهو:

---

(١) كذا في جميع الأصول. وقد تقدم في الجزء الخامس (ص ٣٨٥) من هذه الطبعة أن الذي يروي عن أبي حارثة هذا هو «محمد بن الحسين الكاتب».

(٢) في جميع الأصول: «سعد» وهو تحريف.

(٣) في أكثر الأصول: «عن أخيه عن أبي معاوية». وفي حـ: «عن أخيه عن ابن معاوية» وكلاهما تحريف. وقد مرت رواية أبي حارثة هذا عن أخيه أبي معاوية في الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٣٨٥).

صوت

أمستْ رُسومُ الديارِ غيَّرها … هوجُ الرِّياحِ الزَّعازعِ العُصُفِ
وكلُّ حَنَّانةٍ لها زَجَلٌ … مثلُ حَنينِ الرَّوائمِ الشُّغُفُ

[٦/٢٩٥] / فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسُبه إلى الجن. وفي هذا الصوت للهُذَلِيِّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه للغَرِيض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن لعَبَادِلَ. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

أخذ ببيتين غنى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار:

قال هارون وحدّثني أحمد بن بِشر بن عبد الوهاب قال حدّثني محمد[١] بن موسى بن فُلَيح الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو محمد عبدالله بن محمد المكّيّ قال: قال لي ابن جامع:

أخذتُ من هارون ببيتَيْن غنّيتُه بهما عشرةَ آلاف دينار:

صوت

لا بدّ للعاشق من وَقْفةٍ … تكون[٢] بين الوَصْلِ والصَّرمِ
يَعْتِبُ أحياناً وفي عَتْبِه … إظهارُ[٣] ما يُخْفِي من السُّقْمِ
إشفاقُه داعٍ إلى ظَنّه … وظَنُّه داعٍ إلى الظلمِ
حتى إذا ما مَضّه هجرُه[٤] … راجعَ مَنْ يَهْوَى على رَغْمِ

ـ هكذا رُوِّيتُه[٥]. الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسُلَيم. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ـ قال: ثم قال لي ابنُ جامع: فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً!

[٦/٢٩٦] / صادفه جماعة من القرشيين بفخ وهو يغني:

وقال هارون حدّثني أحمد بن زُهَير قال حدّثني مُصْعَب بن عبدالله قال:

خرج ابنُ أبي عمرو الغِفَاريّ وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّاراً[٦] يريدون مكة؛ فلما كانوا بفَخّ[٧] نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها. قال[٨]: فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء، فقلنا: لو

(١) كذا في أكثر الأصول. والظاهر أن محمد بن موسى هذا ابن أخ لمحمد بن فليح الراوي المعروف الذي مر ذكره في الأجزاء السابقة. فقد ذكر في «التهذيب» في ترجمة محمد بن فليح أن له أخاً يسمى موسى إلا أنه لم يذكر هناك من أولاده غير عمران. وفي ب، س: «محمد بن عيسى بن فليح ... إلخ».
(٢) في ديوان العباس بن الأحنف: «يكون».
(٣) في ديوانه: «يهيج ما يخفى ... إلخ».
(٤) في ديوانه: «شوقه».
(٥) هذه العبارة ساقطة في حـ.
(٦) عماراً: زوّاراً، من العمرة وهي الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة. والعمرة تكون في السنة كلها. والحج في وقت معين من السنة.
(٧) فخ (بفتح أوله وتشديد ثانيه): واد مكة.
(٨) ظاهر السياق أن القائل هو أحد هؤلاء الذين خرجوا عماراً، غير أنه لم يعين في الأصول.

ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم! فأتيناهم، فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ[١] لهم يشربون منه؛ فقالوا: تقدّموا يا فِتْيان، فتقدّم ابنُ أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسَهم، فجلسنا نشرب؛ وطرِب ابن أبي قباحة فغنّى. فقال ابن جامع: وابأبي وأمي! ابنُ أبي قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة. فقام ابن أبي عمرو فأخرج من وسطه هِمياناً[٢] فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة. فقال ابن جامع: امضوا بنا إلى المنزل، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك.

غنت جاريته الحولاء صوتاً له في جارية سوداء يحبها:

قال هارون بن / محمد بن عبد الملك حدّثني عليّ بن سليمان عن محمد بن أحمد النَّوْفليّ عن جارية ابن جامع الحولاء قال: ـ وكانت تَتَبنّاني ـ فتغنّت يوماً وطربتْ وقالت: يا بُنَيّ، ألا أغنّيك هزجاً لسيّدي في عَشيقة له سوداء؟ قلت: بلى. فتغنّت هزجاً ما سمعتُ أحسنَ منه، وهو: ٧٢/٦

صـوت

أشْبَهَـــــكِ المســــكُ وأشبهتِـــه ... قــائمــةً فــي لـــونــه قــاعــده

لا شـــكّ إذ لـــونُكمـــا واحـــدٌ ... أنكمـــا مـــن طينـــةٍ واحـــدهْ

/ وقد رُوي هذا الشعر لأبي حَفْصٍ[٣] الشِّطْرَنْجيّ يقوله في دَنَانِيرَ[٤] مولاةِ البَرَامكة. ونُسب هذا الهَزَج إلى إبراهيم وابن جامع وغيرِهما. [٦/٢٩٧]

شبهه برصوما الزامر بزق عسل:

قال عبدالله بن عمرو حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهريّ قال حدّثني محمد بن جعفر بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ وكان يلقَّب الأبْلَه ـ قال: قال بَرْصوما الزّامِر، وذكر إبراهيمَ الموصليَّ وابنَ جامع، فقال: الموصليّ بستانٌ تَجدُ فيه الحُلْوَ والحامضَ وطريًّا لم يَنْضَج، فتأكل منه مِن ذا وذا. وابن جامع زِقّ عسلٍ، إن فتحتَ فَمه خرج عسل حلو، وإن خَرقتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو، وإن فتحتَ يدَه خرج عسل حلو، كلُّه جيّد.

غنى عند الرشيد وهو سكران فأخطأ:

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه وحَمّاد عن إبراهيم[٥] بن المهديّ ـ وكان إبراهيم يفضّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحداً، وابنُ جامع يَميل إليه ـ قال:

كنّا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ

(١) الفضيخ: عصير العنب، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ).
(٢) الهميان (بالكسر): كيس تجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط.
(٣) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس. وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسماً أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غيره وسماه عبد العزيز. وكان أبو حفص لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به، فلقب به لغلبته عليه. (انظر ترجمته ج ١٩ ص ٦٩ من «الأغاني» طبع بولاق).
(٤) دنانير: مولاة يحيى بن خالد البرمكي. كانت صفراء مولدة وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهن وأكملهن وأحسنهن أدباً وأكثرهن رواية للغناء والشعر. ولها كتاب مجرّد في «الأغاني» مشهور. (انظر ترجمتها ج ١٦ ص ١٣٦ من «الأغاني» طبع بولاق).
(٥) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: «حماد بن إبراهيم بن المهدي... إلخ» ولم نعرف أن إبراهيم بن المهدي أعقب ولداً اسمه إبراهيم أو حماد. وقد ورد هذا السند في الجزء الخامس (ص ١٧٣ من هذه الطبعة) مختلفاً عما هنا وهو: «أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدّثنا أبي عن طياب بن إبراهيم الموصلي قال... إلخ).

الموصليّ فقال: قد خَرِيَ فيه؛ وفهمتُ صِدقه قال: فقلت لابن جامع: يا أبا القاسم، أعِدِ الصوت وتَحفَّظْ فيه؛ فانتبه وأعاده فأصاب. فقال إبراهيم:

[٢٩٨/٦] / أُعلِّمُه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ فلمّا اشتدّ ساعدُه رماني

وتنكّر لي لمَيْلِي مع ابن جامع عليه. فقلتُ للرَّشيد بعد أيام: إن لي حاجةً إليك. قال: وما هي؟ قلت: تسألُ إبراهيمَ الموصليّ أن يَرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه. فقال: إنما هو عبدُك، وقال له: قم إليه فقبِّلْ رأسَه. فقلتُ[1]: لا ينفَعني رِضاه في الظاهر دون الباطن، فسَلْه أن يصحِّح الرِّضا. فقام إليّ ليُقبِّل رأسي كما أُمِر، فقال لي وقد أكبّ عليّ ليقبِّل رأسي: أتعود؟ قلتُ لا. قال: قد رضِيتُ عنك رِضاً صحيحاً. وعاد إلى ما كان عليه.

غنى بعد إبراهيم الموصلي عند الرشيد فأجاد:

وقال حمّاد عن أبي يحيى العِبادِيّ قال: قدِم[2] حَوْراءُ غلام حَمّاد الشَّعْراني وكان أحدَ المغنِّين المُجيدين قال حدّثني بعض أصحابنا قال:

كنّا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنّين: من فيكم يعرف.

وكَعْبَةُ نَجْرانَ[3] حَتْمٌ عليـ ـكِ حتى تُناخِي بأبوابِها؟

ـ الشعر للأعشى ـ فبدَرهم إبراهيمُ الموصليّ فقال: أنا أُغنِّيه، وغنّاه فجاء بشيء عجيب. فغضِب ابنُ جامع [٢٩٩/٦] وقال لزَلْزَل: دَعِ العودَ، أنا من جِحَاش / وَجْرَة[4] لا أحتاج إلى بَيْطار؛ ثم غنّى الصوتَ؛ فصاح إليه مسرورٌ[5]: أحسنتَ يا أبا القاسم! ثلاث مرات.

نسبة هذا الصوت

صوت

٧٣/٦ / وكعبةُ نَجْرانَ حتمٌ عليـ ـكِ حتى تُناخِي بأبوابِها
تَـزورُ[6] يزيدَ وعبدَ المَسيـ ـح وقيساً هُمُ[7] خيرُ أربابِها

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فقال».
(٢) كذا في جميع الأصول. ولعلها محرفة عن «قال».
(٣) نجران: موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة. قالوا: سمي بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أوّل من عمرها. وكعبة نجران هذه يقال: إنها بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران. وذكر هشام بن الكلب أنها كانت قبة من أدم من ثلثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أرفد. وكان لعظمها عندهم يسمونها كعبة نجران. (عن «معجم البلدان» لياقوت). وقد أورد أبو الفرج قصة هذا الشعر في خبر أساقفة نجران مع النبي ﷺ (ج ١٠ ص ١٤٣ طبع بولاق).
(٤) قال الأصمعي: وجرة ـ وفيها أقوال أخرى ـ بين مكة والبصرة بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلاً ليس فيها منزل، فهي مرب للوحش. يريد أنه يجري على الطبيعة والفطرة لا يحتاج إلى معين من الصناعات الآلية كسائر المغنين الحضريين.
(٥) هو أبو هاشم خادم الرشيد، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولى له قتل جعفر بن يحيى البرمكي. (انظر «الطبري» قسم ٣ ص ٦٧٩ و ٦٨٢).
(٦) كذا في «مسالك الأبصار» (ج ١ ص ٣٥٩) و «الأغاني» (ج ١٠ ص ١٤٣ طبع بولاق) و «معجم البلدان» (ج ٤ ص ٧٥٦ طبع أوروبا). وفي جميع الأصول هنا: «تزور» (بالتاء المثناة الفوقية).
(٧) في «مسالك الأبصار» (ص ٣٥٩): «... وهم... إلخ».

وشـاهـدُنـا الجُـلّ[1] والياسميـ ـنُ والمُسْمِعـاتُ بقُصّـابهـا[2]
وبَـرْبَطنـا[3] دائـمٌ مُعْمَـلٌ فـأيُّ الثـلاثـةِ أزْرَى بهـا
تنـازِعنـي إذ خَلَـتْ بُـرْدَهـا معطَّـرَةً غيـرَ جِلْبـابهـا
فلمـا التقينـا علـى آلـةٍ ومَـدَّتْ إلـيّ بـأسبـابهـا

/ الشعر للأعشى أعشى بني قَيْس بن ثَعْلبة. وهؤلاء الذين ذكرهم أَساقِفةُ نَجْران، وكان يزورهم ويمدحهم، [٦/٣٠٠] ويمدح العاقبَ والسيِّد، وهما ملكا نجران، ويقيم عندهما ما شاء، يَسْقونه الخمرَ ويُسمِعونه الغناءَ الرُّوميّ، فإذا انصرف أَجْزَلوا صلته.

أخبرنا بذلك محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمه عُبيد الله عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكر في مواضعها إن شاء الله. والغناء لحُنَين الحِيريّ خفيفُ ثقيل[4] بالوسطى في مَجْراها عن إسحاق في الأربعة الأُوَل. وذكر عمرو أنه لابن مُحرِز. وذكر يونُس أن فيها لحناً لمالك ولم يُجَنِّسه. وذكر الهشاميّ أن في الخامس والسادس ثم الأوّل والثاني خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكيّ.

استحضره الفضل بن الربيع لما ولي الهادي:

وقال حَمّاد عن مصعَب بن عبدالله قال حدّثني الطرّاز وكان بَرِيدَ الفضل بن الرَّبيع قال:

لما مات المهدي ومُلِّك موسى الهادي أعطاني الفضلُ دنانيرَ وقال: الْحَقْ بمكةَ فأْتِني بابن جامع وَاحْمِلْه في قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا[5] أحداً؛ ففعلت فأنزلتُه عندي واشتريت له جاريةً، وكان ابنُ جامع صاحبَ نِساء. فذكره موسى ذاتَ ليلة ـ وكان هو والحَرّاني[6] منقطعَيْن إلى موسى أيام المهديّ فضربهما المهديّ وطردهما ـ فقال لجلسائه: أما فيكم أحدٌ يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعَه منّي! فقال له الفضل بن الربيع: هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذي أردتَ. وبَعثَ إليه فأُتي به في الليل. فوصَل الفضلَ تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولاّه حِجابتَه.

/ غنى هو وإبراهيم الموصلي الرشيد بشعر السعدي فمدحه وذم الموصلي: [٦/٣٠١]

قال إسحاق عن بعض أصحابه:

---

(١) الجل (بالضم ويفتح): الورد أبيضه وأحمره وأصفره، واحده جلة.
(٢) ورد هذا البيت في «اللسان» و «الصحاح» (مادة قصب). وقيل في «اللسان»: «... والقصابة: المزمار والجمع القصاب. قال الأعشى (وذكر هذا البيت. ثم قال) وقال الأصمعي: أراد الأعشى بالقصاب الأوتار التي سويت من الأمعاء». وعبارة الصحاح: «... والقصب بالضم: المعي... والجمع أقصاب قال الأعشى:
وشـاهـدنـا الجـل والياسميـ ـن والمسمعـات بـأقصـابهـا
أي بأوتارها وهي تتخذ من الأمعاء. ويروى بقصابها وهي المزامير».
(٣) البربط (كجعفر): العود. والكلمة فارسية معربة قيل شبه بصدر البط، وبر: الصدر. ورواية هذا الشطر في «مسالك الأبصار»: «وبربطنا معمل دائب».
(٤) كلمة «ثقيل» ساقطة في حـ.
(٥) في حـ: «به».
(٦) هو إبراهيم الحرّاني. كان من ندماء الهادي، وقيماً على خزائن الأموال في أيامه. (انظر «التاج» للجاحظ ص ٣٦ طبع المطبعة الأميرية ببولاق). وسيذكر بعد قليل في خبر عن مصعب أيضاً أن الذي كان منقطعاً إلى موسى الهادي مع ابن جامع وناله معه ضرب المهدي وطرده هو إبراهيم الموصليّ.

كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة: يابنَ جامع، تغنَّ ببيت السَّعْديّ[١]:

فلـو سـألـتْ سَـراةَ الحـيِّ سَلْمى ... علـى أن قـد تَلـوّن بـي زمـانـي
لخبَّـرهـا ذو والأحسـاب عنّـي ... وأعـدائـي فكـلٌّ قـد بَـلانـي
بـذبِّـي الـذمَّ عـن حسبـي بمـالـي[٢] ... وزَبُّـونـاتِ أشْـوسَ تَيَّحـان[٣]
وأنـي لا أزال أخـا حُـروبٍ ... إذا لـم أجـن كنـتُ مِجَـنَّ جـانـي

قال: فحرّك ابنُ جامع رأسه ـ وكان إذا اقترح عليه الخليفةُ شيئاً قد أحسنه وأكمله طار فرحاً ـ فغَنّى به؛ فاربدّ وجهُ إبراهيم لمّا سمعه منه، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل؛ فقال له صاحبُ الستارة: أحسنتَ والله يا أميري! أعِدْ فأعاد؛ فقال: أنت في حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبداً. ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم: تغنَّ بهذا الشعر فتغنّى؛ فلما فرَغ قال: «مَرْعًى ولا كالسَّعْدان»[٤]! أخطأت[٥] في موضع كذا / وفي موضع كذا. فقال: نُفِي إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين / أخطأ حرفاً، وقد علمتُ أني أغفلتُ في هذين الموضعين. [٦/٣٠٢] [٧٤/٦]

قال إبراهيم: فلما انصرفنا قلت لابن جامع: والله ما أعلم أنّ أحداً بقي[٦] في الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفةَ أمير المؤمنين. قال: حقٌّ والله، لهو إنسان يَسمع الغناءَ منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذي فيه.

صوت كان إذا غناه في مجلس لم يتغن بغيره:

قال إسحاق:

كان ابن جامع إذا تغنّى في هذا الشعر:

صـوت

مَـنْ كـان يَبْكـي لِمَـا بـي ... مِـنْ طـول سُقْـمٍ رَسيـسِ[٧]

---

(١) هو سوّار بن المضرب السعدي.

(٢) كذا ورد هذا الشطر في الأصول. وروايته في «لسان العرب» مادة (تيح): «بذبي اليوم...». وفي مادة (زبن): «بذبي الذم عن أحساب قومي».

(٣) كذا في س و «لسان العرب» و «الصحاح» (مادتي زبن وتيح). وقد صححها كذلك المرحوم الشيخ الشنقيطي بقلمه على هامش نسخته. وزبونات: جمع زبونة وهي الكبر. يقال: رجل فيه زبونة أي كبر، وذو زبونة أي مانع جانبه. ويقال: الزبونة من الرجال: المانع لما وراء ظهره. وقال ابن بري: زبونات: دفوعات، واحدها زبونة، يعني بذلك أحسابه ومفاخره أي أنها تدفع غيرها. والأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه من الكبر. والتيحان (بكسر الياء المشددة وفتحها): الذي يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد. وفي سائر الأصول: «ودبوسات أشوس...».

(٤) قال أبو حنيفة الدينوري: من الأحرار السعدان وهي غبراء اللون حلوة يأكلها كل شيء وليست بكبيرة ولها إذا يبست شوكة مفلطحة كأنها درهم. ومنبته سهول الأرض، وهو من أنجع المراعي في المال، ولا تحسن على نبت حسنها عليه. قال النابغة:

الـواهـب المـائـة الأبكـار زينهـا ... سعـدان تـوضـح فـي أوبـارهـا اللبـد

وهذا مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله. (راجع «مجمع الأمثال» ج ٢ ص ١٩١ و «اللسان» مادة سعد).

(٥) في ب، س: «لم أخطأت».

(٦) في حـ: «يغني».

(٧) الرسيس: الثابت الذي قد لزم مكانه. ويقال: رس السقم في جسمه وقلبه رسيساً إذا دخل وثبت.

فالآنَ من قبل موتي ... لا عِطْرَ بعدَ عَرُوسِ[1]

/ بَنَيْتُم في فؤادي ... أوكارَ طيرِ النّحوسِ [٦/٣٠٣]

قلبي فَريسُ المَنايا ... يا ويحه من فَريسِ

سئل عن تفضيله برصوما فأجاب:

ـ الشعر لرجل من قريش، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل ـ لم يتغنّ في ذلك المجلس بغيره. وكان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يَزْمُر عليه بَرْصوما. فلما كثُر ذلك سألوه فيه فقال: لا والله[2]، ولكنه إذا ابتدأتُ فغنّيتُ في الشعر عرف الغرضَ الذي يصلُح فما يجاوزه، وكنتُ معه في راحة؛ وذلك أن المغنّي إذا تغنّى بزَمْر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر؛ فإذا زَمَر بَرْصوما فأنا في راحة وهو في تعب، وإذا زَمَر عليّ غيره فهو في راحة وأنا في تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل. فسألوهما عما قال، فقالا: صدق.

هم المهدي بضربه لاتصاله بالهادي:

قال وحدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال: سمعت مُصعب بن عبدالله يقول:

بلغ المهديّ أنّ ابن جامع والموصليّ يأتيان موسى[3]، فبعث إليهما فجيء بهما، فضرب الموصليّ ضرباً مبرّحاً، وقال له ابن جامع: ارحم أمّي! فرقّ له وقال له: قبّحك الله! رجل من قريش يغنّي! وطرده. فلما قام[4] موسى، وجّه الفضلُ خلفَه بريداً حتى جاء به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

غنى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار:

قال وحدّثني الزبير بن بكّار قال قال لي فلفلة[5]:

تمنّى يوماً موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع، فدفع إليّ الفضلُ بن الربيع خَمْسَمائة دينار وقال: امض حتى تحملَ ابنَ جامع، وبعث إليه بما يُصلحه، فمضيتُ فحملتُه. فلما دخلنا أدخله الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه. ودخل على موسى فغنّاه فلم / يُعجبْه. فلمّا خرج قال له الفضلُ: تركت الخفيفَ وغنيتَ الثقيل، قال: فأدْخِلْني [٦/٣٠٤] عليه أخرى؛ فأدخله فغنّى الخفيفَ؛ فقال: حاجتك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار.

---

(١) هذا مثل مشهور قالته أسماء بنت عبدالله العذرية، وكان اسم زوجها عروس، ومات عنها، فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دمم. فلما أراد أن يظعن بها قالت: لو أذنت لي فرثيت ابن عمي؛ فقال: افعلي؛ فقالت: أبكيك يا عروس الأعراس، يا ثعلباً في أهله وأسداً عند الناس؛ مع أشياء ليس يعلمها الناس. فقال: وما تلك الأشياء؟ فقالت: كان عن الهمة غير نعاس، ويعمل السيف صبيحات الباس. ثم قالت: يا عروس الأغر الأزهر، الطيب الخيم الكريم المحضر، مع أشياء له لا تذكر. فقال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عيوفاً للخنى والمنكر، طيب النكهة غير أبخر، أيسر غير أعسر. فعرف أنها تعرض به. فلما رحل بها قال: ضمي إليك عطرك، وقد نظر إلى قشوة عطرها مطروحة، فقالت: لا عطر بعد عروس. وقيل: إن رجلاً تزوّج امرأة فأهديت إليه فوجدها تفلة فقال: أين عطرك؟ فقالت: خبأته؛ فقال: لا مخبأ لعطر بعد عروس. وهذا المثل يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس. (انظر «شرح القاموس» مادة عرس و «مجمع الأمثال» للميداني ج ٢ ص ١٣٧ طبع بولاق).

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «لا وأبيه».

(٣) هو موسى الهادي بن المهدي تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ وتوفي سنة ١٧٠ وكانت خلافته سنة وشهرين.

(٤) يريد: صار خليفة.

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «فليلة».

غنى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصلي فأجاد:

قال وحدّثني عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنا أبو يحيى العِبَاديّ قال حدّثني ابن أبي الرجال قال حدّثني زَلْزَل قال:

أبطأ إبراهيم الموصليّ عن الرشيد، فأمَر مسروراً الخادمَ يسأل عنه ـ وكان أمير المؤمنين قد صَيّر أمْرَ المغنّين إليه ـ فقيل له: لم يأت بعدُ. ثم جاء في آخر النهار، فقعد بيني وبين بَرْصوما، فغنّى صوتاً له فأطربه وأطرب والله كلّ من كان في المجلس. قال: فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال: أمَا والله يا نَبَطيّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما. قال: ثم غنَّى فنسينا أنفسَنا، والله لكأنّ العودَ كان في يده.

شهد له إبراهيم الموصلي بجودة الإيقاع:

قال وحدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهِيك قال:

دعا أبي الرشيدُ يوماً، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى، فأقاما عنده، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما. فلما كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام / جعفر. قال: فدخل عليهم إبراهيم الموصلي فسأل جعفراً عن يومهم؛ فأخبره وقال له: لم يزل ابن جامع يغنّينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع ـ وهو في قوله يريد أن يطيب نفسَ إبراهيم الموصليّ ـ قال: فقال له إبراهيم: أتريد أن تطيّب نفسي بما لا تَطِيب به! لا والله، ما ضَرِطَ ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع!.

٧٥/٦

احتال في عزل العثماني عن مكة أيام الرشيد:

قال وحدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثني أبي قال:

[٣٠٥/٦]

كان سبب عزل العثمانيّ[1] أن ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذَنَ له في المُهارشة / بالدُّيوك والكلاب ولا يُحَدّ في النبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتاباً إلى العثمانيّ. فلما وصل الكتاب قال: كَذبتَ! أميرُ المؤمنين لا يُحِلّ ما حَرَّم الله، وهذا كتاب مزوّر. والله لئن ثَقِفْتك[2] على حال من هذه الأحوال لأؤدِّبَنَّك أدبَك. قال: فحذِره ابنُ جامع. ووقع بين العثماني وحماد اليزيديّ، وهو على البريد، ما يقع بين[3] العمال. فلما حجّ هارون، قال حماد لابن جامع: أعِنّي عليه حتى أعزله؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر واستشهدْني. فقال له ابن جامع: هذا لا يُقبل في العثمانيّ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبَنا، ولكني أحتال من جهة ألطفَ من هذه. قال: فسأله هارون ابتداءً فقال له: يابن جامع، كيف أميركم العثماني؟ قال: خيرُ أميرٍ وأعدلُه وأفضلُه وأقومه بحقّ لولا ضعفٌ في عقله. قال: وما ضعفه؟ قال: قد أفنى الكلاب. قال: وما دعاه إلى إفنائها؟ قال: زعم أن كلباً دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقي على الكناس فأكل وجهَه، فغَضِب على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزلوه! فكان سببَ عزله.

(١) هو محمد بن عبدالله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان. (انظر كتاب «المتقى في أخبار أم القرى» ج ٢ ص ١٨٦ و «الطبري» ق ٣ ص ٧٤).

(٢) ثقفتك: صادفتك.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «مع العمال».

أخبره إبراهيم بن المهدي بموت أمه كذباً ليحسن غناؤه:

قال هارون بن محمد وحدّثني الحسن بن محمد الغِيَاثيّ[١] قال حدّثني أبي عن القَطِرانيّ قال:

كان ابن جامع بارًّا بوالدته، وكانت مقيمةً بالمدينة وبمكة. فدعاه إبراهيم بن المهديّ وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته. قال: فجزع لذلك جزعاً شديداً، وجعل أصحابُه يُعزّونه ويؤنسونه؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب، وسألوه الغناءَ فامتنع. فقال له إبراهيم بن المهدي: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذُله لإخوانك؛ فاندفع يُغنّي:

[٣٠٦/٦]

/ صـوت

كـم بـالـدُّروب وأرض الـروم مِـنْ قَـدَمَ ... ومِـنْ جماجـم صَـرْعَـى مـا بهـا قُبِـرُوا[٢]

بقُنْـدُهَـارَ[٣] ومَـنْ تُقْـدَر منيّتـه ... بقُنْـدُهَـار يُـرَجَّـم دونـه الخبـر

ـ الشعر ليزيد[٤] بن مُفَرِّغ الحِمْيَريّ. والغناء لابن جامع رمل. وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشاميّ ـ قال: وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح[٥] له. ثم قال: لا والله ما كان ممّا خبّرناك شيء إنما مزحْنا بك. قال: ثم قال له: رُدّ الصوتَ؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل في شيء. فقال له إبراهيم: خذه الآن على، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل. فقال له ابن جامع: أحبّ أن تطرحه أنت على كذا.

هوّم في مجلس الرشيد ثم انتبه من نومه وغناه فأعجب به:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني علي بن الحسن الشَّيْبانيّ عن أحمد بن يحيى المكيّ قال:

كان أبي بين يدي الرشيد وابنُ جامع معه يغنّي بين يدي الرشيد. فغنّاه:

خليفـةٌ لا يَخيـبُ سـائلُـه ... عليـه تـاجُ الـوقـار مُعْتـدِلُ[٦]

[٣٠٧/٦] [٧٦/٦]

/ قال: وغنّى من يتلوه، وهَوّم ابنُ[٧] جامع سكراً ونُعاساً. فلما دار الغناءُ على أصحابه وصارت النوبةُ إليه، حرّكه مَنْ بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغنّي:

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «العتابي».

(٢) كذا في أكثر الأصول هنا و «نهاية الأرب» (ج ٤ ص ٣٢٤ طبع دار الكتب المصرية). وجميع الأصول فيما يأتي. وفي ب، س هنا: «ما هم قبروا». ورواية هذا البيت في «معجم البلدان» في الكلام على قندهار:

كـم بـالجـروم وأرض الهنـد مـن قـدم ... ومـن سـرابيـل قتلـى ليتهـم قبـروا

والقدم: الشجاع. يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع. وجماجم القوم: ساداتهم ورؤساؤهم.

(٣) قندهار: مدينة كبيرة بالقرب من كابل، عاصمة أفغانستان الآن.

(٤) هو يزيد بن ربيعة ابن مفرغ (كمحدث) الحميري، وقيل: يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ. وكان حليفاً لآل خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وهو عم السيد الحميري. ويقال: إن جده راهن على أن يشرب سقاء لبن كله فشربه حتى فرغه، فلقب مفرغاً. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج ١٧ ص ٥١ طبع بولاق).

(٥) كذا في الأصول. ولعله «حتى صح له».

(٦) في حـ، ء، م: «يعتدل».

(٧) هوّم الرجل: هز رأسه من النعاس، وقيل: نام قليلاً.

اسْلَمْ وحُيِّيتَ أيها الطَّلَلُ وإن عَفَتْكَ الرياحُ والسَّبَلُ[1]

ـ قال: وهو يتلو البيت الأوّل ـ فعجِب أهلُ المجلس من ذكائه وفَهْمه، وأعجب ذلك الرشيد.

نسبة هذا الصوت

صوت

اسلم وحُيِّيتَ أيها الطللُ وإن عَفَتْكَ الرياحُ والسَّبَلُ
خليفةٌ لا يَخيبُ سائلُه عليه تاجُ الوقارِ مُعْتَدِلُ

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادي. والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى، من رواية الهشاميّ وأحمد بن يحيى المكيّ.

أخبره الرشيد بموت أمه كذباً ليحسن غناؤه:

قال هارون وقد حدّثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال:

كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا حَزِن صوتُه. فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع: ابعَثْ خريطةً فيها نَعْيُ أمّ ابن جامع ـ وكان بارًّا بأمّه ـ ففعل. فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه، فقال: يابنَ جامع، جاء في هذه الخريطة نعيُ أمّك. فاندفع ابن جامع يغنّي بتلك الحُرْقة والحزن الذي في قلبه:

/ كم بالدّروب وأرض السِّند من قَدَمٍ ومن جماجم صَرْعَى ما بها قُبِروا ٦/٢٠٨
بقُنْدُهارَ ومن تُكتَبْ مَنِيَّتُه بقُنْدُهارَ يُرَجَّمْ دونه الخبرُ

قال: فوالله ما ملكنا أنفسنا، ورأيتُ الغِلْمان يضربون برؤوسهم الحيطانَ والأساطين. ـ قال هارون: لا أشك أن ابن المكيّ قد حدّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب ـ قال: ثم غنّى بعد ذلك:

* يا صاحب القبر الغريب *

ـ وهو لحن قديم. وفيه لحن لابن المكيّ ـ فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ بالشام في طَرَفِ الكَثِيبِ
بالحِجْرِ[2] بين صفائحٍ صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجَبُوبِ[3]

---

(١) السبل (بالتحريك): المطر.

(٢) الحجر (بالكسر): قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز وهي بين جبال كانت ديار ثمود التي قال الله جل شأنه فيها: (وتنحتون من الجبال بيوتاً). وتسمى تلك الجبال الأثالث، وهي التي ينزلها حجاج الشام.

(٣) كذا في حـ. والجبوب (بالباء الموحدة): المدر (الطوب) المفتت. وفي سائر الأصول: «الجيوب» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف.

رَصْفاً ولحدٍ مُمْكِنٍ ... تحت العَجاجة في القليب
فإذا ذكرتُ أنينَه ... ومغيَّبَه تحت المغيب
هاجتْ لواعجُ عَبْرة ... في الصدر دائمة الدَّبيب
أسفاً لحسن بلائه ... ولمصرع الشيخ الغريب
/ أقبلتُ أطلب طِبَّه ... والموت يُعْضِل[1] بالطبيب [٦/٣٠٩]

الشعر لمَكِين العُذريّ يرثي أباه، وقيل: إنه لرجل خرج بابنه إلى الشأم هرباً به من جارية هَوِيها فمات هناك. والغناء لحكم الوادي، رمل في مجرى البنصر. وقيل: إن الشعر لسَلاَّمة[2]/ ترثي الوليدَ بن يزيد. [٧٧/٦]

سمعته أم جعفر مع الرشيد فأمرت له بمائة ألف درهم لكل بيت غنى فيه وعوضها الرشيد بكل درهم ديناراً:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن محمد قال حدّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدّثني عبدالله بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد[3] يحدّث:

أن أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه: يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع. فأرسل إليها: عندي ابنُ جامع. فأرسلت إليه: أنت تعلم أني لا أتَهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تَشْرَكني فيه، فما كان عليك أن أَشْرَكك في الذي أنت فيه! فأرسل إليها: إني سائر إليكِ الساعةَ. ثم قام وأخذ بيد ابن جامع، وقال لحسين الخادم: امضِ إليها فأعلمها أني قد جئت. وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجّه إليها: إن معي ابنَ جامع؛ فعدلتْ إلى بعض المقاصير. وجاء الرشيد وصيّر ابنَ جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم. وجاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد / وأهوَتْ لتنكَبَّ على يده؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها وٱعتنقتْه. ثم أمر ابنَ جامع أن يغنّي فاندفع فغنّى: [٦/٣١٠]

صوت

ما رَعَدَتْ رَعْدةً ولا بَرَقتْ ... لكنّها أُنْشئت لنا خَلِقةْ[4]
الماء يجري على[5] نظام له ... لو يَجِدُ الماءُ مَخْرِقاً خَرَقه
بتنا وباتت على نَمارقها ... حتى بدا الصبحُ عَيْنُها أَرِقه
أنْ قيل إنّ الرحيل بعد غدٍ ... والدارُ بعدَ الجميع مُفترِقه

---

(١) أعضل به: أعياه وأعجزه. وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: أعضل بي أهل الكوفة، ما يرضون بأمير ولا يرضاهم أمير. قال الأموي: في قوله: أعضل بي هو من العضال وهو الأمر الشديد الذي لا يقوم به صاحبه، أي ضاقت على الحيل في أمرهم وصعبت عليّ مداراتهم.

(٢) هي سلامة القس. (راجع ترجمتها في الجزء الثامن من «الأغاني» ص ٦ ـ ١٥ طبع بولاق).

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «بربر».

(٤) يقال: نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أي فيها أثر المطر.

(٥) كذا في ب، س و «ديوان عبيد بن الأبرص» (ص ٨٦ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «ولا نظام له».

ـ الشعر لعَبيد بن الأبرص. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق. وفيه لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه. وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشاميّ. ولمخارق في هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ. وذكر حبش أن الثقيل الأوّل للغريض. وذكر الهشاميّ أن لمُتَيَّم فيها ثاني ثقيل بالوسطى ـ قال: فقالت أمّ جعفر للرشيد: ما أحسنَ ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين!. ثم قالت لمُسلم خادمها: ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائةَ ألف درهم. فقال الرشيد: غلبتِنا يا بنتَ أبي[1] الفضل وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا. فلما خرج، حمل إليها مكان كلّ درهم ديناراً.

[٣١١/٦] / أخذ صوتاً من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار:

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن ضُوين الصَّلْصال التَّيْميّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع السَّهْميّ قال:

ضَمّني الدهر[2] ضمًّا شديداً بمكة، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة، فأصبحتُ يوماً وما أملك إلا ثلاثةَ دراهم. فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرّة تريد الرَّكِيّ[3] تسعى بين يديّ وتَرنَّم بصوت شَجِيّ تقول:

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا

وذاك لأنّ النوم يَغْشَى عيونَهم ... سِراعاً وما يغشى لنا النومُ أعْيُنا

/ إذا ما دنا الليلُ المُضِرّ[4] لذي الهوى ... جَزِعْنا وهم يَستبشرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا

٧٨/٦

قال: فأخذ الغناءُ بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف. فقلت: يا جارية، ما أدري أوجهُكِ أحسن أم غناؤك! فلو شئتِ أعدتِ؛ قالت: حُبًّا وكرامةً. ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب منها ورفعتْ إحدى رجليها فوضعتْها على الأخرى، ووضعت الجَرّة على ساقيها ثم انبعثتْ تغنّيه؛ فوالله ما دار لي منه حرف؛ فقلتُ: أحسنتِ! فلو شئتِ أعدتِيه مرّةً أخرى! ففطِنَتْ وكَلَحتْ وقالت: ما أعجب أمرَكم! أحدُكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها! فضربتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها إليها، وقلت: أقيمي بها وجهَك اليومَ إلى أن نلتقي. قال: [٣١٢/٦] فأخذتْها كالكارهة وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ منّي صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف / دينار وألفَ دينار وألفَ دينار. قال: وانبعثت تغنّي؛ فأعملتُ فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمتُه، وانصرفتُ مسروراً إلى منزلي أُردِّده حتى خفّ على لساني. ثم إني خرجتُ أريد بغداد فدخلتها، فنزل بي المكاري على باب[5] مُحَوّل؛ فبقيتُ لا أدري أين أتوجّه ولا مَنْ أقصِد. فذهبتُ أمشي مع الناس، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم، ثم انتهيت إلى شارع المدينة، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً؛ فقلت: مسجد قوم سَراة؛ فدخلتُه، وحضرتْ صلاةَ

(١) كذا في الأصول. والمعروف أن أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وأن جعفراً أباها ولد إبراهيم وزبيدة وجعفراً وعيسى وعُبيد الله وصالحاً ولبانة. (انظر «المعارف» لابن قتيبة ص ١٩٢).

(٢) يريد ضغطني واشتد عليّ، من شدّة الفقر والحاجة.

(٣) الركي: جنس للركية وهي البئر.

(٤) كذا في ب، س هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول. وفي أ، م هنا: «المبير» وفي ء: «المبيد».

(٥) باب محول: محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ.

المغرب وأقمت بمكاني حتى صلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب. وانصرف أهل المسجد وبقي رجل يصلّي، خلفه جماعة خدم وخَوَل[١] ينتظرون فراغَه؛ فصلّى مليًّا ثم انصرف؛ فرآني فقال: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل. قال: فمتى كنتَ في هذه المدينة؟ قلت: دخلتها آنفاً، وليس لي بها منزل ولا معرفة، وليستْ صناعتي من الصنائع التي يُمَتّ بها إلى أهل الخير. قال: وما صناعتك؟ قلت: أتغنّي. قال: فوثب مبادراً ووكّل بي بعضَ من معه. فسألتُ الموكّل بي عنه فقال: هذا سَلّام[٢] الأبرش. قال: وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة، وجاوز بي[٣] مقصورةً إلى مقصورة، ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز؛ ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك، فأكلتُ حتى امتلأت. فإني لكذلك إذ سمعت رَكْضاً في الدهليز وقائلاً يقول: أين الرجل؟ قيل: هو هذا. قال: ادعوا له بغَسول[٤] / وخِلْعة وطِيب، ففُعل ذلك بي. فحُملت على دابّة إلى دار الخلافة ـ [١٣/٦] وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران ـ فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة، حتى صِرتُ إلى دارٍ قَوْراء[٥] فيها أَسِرّة في وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض. فأمرني الرجل بالصعود فصعِدتُ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار في حجورهنّ العيدان، وفي حجر الرجل عود. فرحّب الرجل بي، وإذا مجالسُ حِيالَه كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تَغَنَّ، فانبعث يغنّي بصوت لي وهو:

لـم تَمْشِ مِيلاً ولـم تـركـب على قَتَب ... ولـم تَـرَ الشمـسَ إلا دونهـا الكِلَـلُ[٦]

تمشـي الهُـوَيْنَـى كـأن[٧] الـريـح تَـرْجِعهـا ... مَشْـيَ اليَعـافيـر[٨] فـي جيـآتهـا الـوَهَـلُ

/ فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَساتِينَ[٩] مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها: تَغَنَّيْ، فغنّتْ أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل، وهو قوله: [٧٩/٦]

/ يـا دار أضحـتْ خـلاءً لا أنيـسَ بهـا ... إلا الظبـاءُ وإلا النّـاشـط[١٠] الفَـرِدُ [١٤/٦]

(١) في حـ: «ومجول». وفي سائر الأصول: «وفحول» والظاهر أن كليهما محرّف عما أثبتناه.

(٢) خدم المنصور وتولى المظالم للمهدي وعاصر الهادي والرشيد. (انظر «الطبري» ق ٣ ص ٣٩٣، ٥٢٩، ٦٠٣، ٦٨٤، ٧٤٩، ١٠٧٥، ١٣٨٣).

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وجاوزني» وهو تصحيف.

(٤) الغسول: الماء يغتسل به، أو هو ما تغسل به الأيدي كالأشنان وغيره.

(٥) الدار القوراء: الواسعة الجوف.

(٦) الكلل: جمع كلة وهي ستر يخاط كالبيت (ناموسية).

(٧) في حـ: «كأن المشي» يوحشها».

(٨) اليعافير: الظباء. والوهل: الفزع.

(٩) الدساتين: هي الرباطات التي توضع الأصابع عليها، واحدها دستان. وأسامي دساتين العود تنسب إلى الأصابع التي توضع عليها، فأولها «دستان السبابة» ويشدّ عند تسع الوتر، وقد يشدّ فوقه دستان أيضاً يسمى «الزائد». ثم يلي دستان السبابة «دستان الوسطى» وقد توضع أوضاعاً مختلفة فأولها يسمى «دستان الوسطى القديمة» والثاني يسمى «دستان وسطى الفرس» والثالث يسمى «دستان وسطى زلزل» لأنه أوّل من شدّه. فأما الوسطى القديمة فشدّ دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة ودستان البنصر. ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب. ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما إلى ما يلي البنصر بالتقريب. وقد يقتصر من دساتين هذه الوسطيات على واحد وربما يجمع بين اثنين منها. ثم يلي دستان الوسطى «دستان البنصر» ويشدّ على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط. ثم يلي دستان البنصر «دستان الخنصر» ويشدّ على ربع الوتر. (عن «مفاتيح العلوم» للخوارزمي. وراجع ما كتب في هذا المعنى في تصدير هذا الكتاب ص ٤٠).

(١٠) الناشط: الثور الوحشي وكذلك الحمار الوحشيّ. والفرد: المنفرد.

أيـن الـذيـن إذا مـازرتُهـم جَـذِلـوا ... وطـار عـن قلبـيَ التَّشْـواق والكَمَـد

[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنّت[1] به] ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعثت تغنّي بصوت لحكم الواديّ وهو:

فـوالله مـا أدري أيَغلبنـي الهـوَى ... إذا جـدّ وَشْـكُ البَيْـن أم أنـا غـالبُـهْ

فـإن أستطـع أغلِـبْ وإن يغلـب الهـوى ... فمثـلُ الـذي لاقيـتُ يُغْلَـب صـاحبـه

قال: ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنّت بصوتٍ لحُنَيْن وهو قوله:

مَـرَرْنـا علـى قَيْسيّـة عـامـريّـة ... لهـا بَشَـرٌ صـافـي الأديـم هِجـانِ[2]

فقـالـت وألقـتْ جـانـبَ السِّتـر دونها ... مِـنَ آيَّـة أرض أو مَـنِ الـرجُـلان

فقلـتُ لهـا أمّـا تميـم فـأسـرتـي ... هُـديـتِ وأمـا صـاحبـي فيمَـان

رفيقـان ضَـمّ السَّفْـرُ بينـي وبينـه ... وقـد يَلْتقـي الشتَّـى فيـأتلفـان

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتاً فشبّه[3] فيه. والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله:

أمسـى بـأسمـاء هـذا القلـبُ معمـودا ... إذا أقـول صحـا يعتـاده عِيـدَا

كـأنّ أحـورَ مـن غِـزْلان ذي[4] بَقَـر ... أعـارهـا شَبَـهَ العينيـن والجيـدا

بمُشْـرِقٍ[5] كشُعـاع الشمـس بهجتُـه ... ومُسْبكِـرٌ علـى لَبّـاتهـا سـودا

/ ثم عاد إلى الجارية فتغنّت بصوت لِحكم الواديّ: [٣١٥/٠]

تُعيّـرنـا أنّـا قليـلٌ عَـديـدُنـا ... فقلـتُ لهـا إن الكـرام قليـلُ

ومـا ضَـرّنـا أنّـا قليـلٌ وجـارُنـا ... عـزيـزٌ وجـارُ الأكثـريـن ذليـل

وإنّـا لقـومٌ مـا نـرى القتـلَ سُبّـةً ... إذا مـا رأتـه عـامـرٌ وسَلـول

يُقـرّب حـبُّ المـوت آجـالَنـا لنـا ... وتكـرهـه آجـالُهـم فتطـول

وتغنّت الثانية:

وَدِدْتُـكِ لمـا كـان وُدُّك خـالصـاً ... وأعـرضـتُ لمـا صِـرْتِ نهبـاً مُقَسَّمَـا

---

(١) كذا وردت هذه العبارة في جميع الأصول. والظاهر أنها مقحمة.
(٢) الهجان: الأبيض الخالص من كل شيء.
(٣) يريد: خلط فيه ولم يحسن أداءه.
(٤) كذا في جميع الأصول هنا وفيما سيأتي في حـ وديوانه. وفيما سيأتي في سائر الأصول: «ذي نفر» (بالفاء) وكلاهما اسم لموضع. فذو بقر: واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة، وقرية في ديار بني أسد. وذو نفر: موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها وبين الربذة. (انظر «معجم ما استعجم» للبكري و «معجم ياقوت»).
(٥) كذا في ديوانه. وهذا البيت يتعلق ببيت قبله أغفله صاحب الأغاني وهو:

قـامـت تـراءى وقـد جـدّ الـرحيـل بنـا ... لتنكـأ القـرح مـن قلـب قـد اصطيـدا

وفي جميع الأصول: «ومشرقاً... * ومسبطراً... إلخ». وشعر مسبكر: مسترسل.

ولا يَلبثُ الحوضُ الجديدُ بناؤُه ... إذا[1] كَثُر الورّاد أن يتهدّما

وتغنّت الثالثة بشعر الخَنْساء:

وما كَرَّ إلا كانَ أوّلَ طاعنٍ ... ولا أبصرتْه الخيلُ إلا اَقْشعرّتِ

فيُدرك ثأراً وهو لم يُخطِه الغنى ... فمثلُ أخي يوماً به العينُ قرّت

فلستُ أُرزّا بعده برزيّة ... فأذكرَه إلا سَلَتْ وتجلّت

وغنّى الرجل في الدور الثالث:

لَحَى الله صُعلوكاً مُناه وهمّه ... من الدهر أن يلقى لَبُوساً ومطعمَا

/ يَنام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى[2] ... تنبّه مثلوجَ[3] الفؤاد مُوَرّما[4]

ولكنّ صعلوكاً يساور همّه ... ويمضي على الهيجاء ليثاً مقدّما[5]

فذلك إن يَلْقَ الكريهة يَلْقَها ... كريماً وإن يَستغنِ يوماً فربّما

٨٠/٦

[١٦/٦

/ قال: وتغنّت الجارية:

إذا كنتَ ربّاً للقلوص فلا يكن[6] ... رفيقُك يمشي خلفَها غيرَ راكب

أنِخْها فأردفه فإن حملتكما ... فذاك وإن كان العِقابُ[7] فعاقِب

قال: وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معديكرب:

ألم تر لمّا ضمّني البلدُ القَفْرُ ... سمعتُ نداءً يصدَعُ القلبَ يا عمرُو

أغِثْنا فإنا عُصبة مَذْحِجيّة ... نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْر

قال: وتغنّت الثالثة بشعر عمرَ بنِ أبي ربيعة:

فلما تَواقفنا وسلّمتُ أسفرتْ[8] ... وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنّعا

تَبالَهْنَ بالعرفان لمّا عرفْنني ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكلّ[9] وأوْضعا

ولما تنازعن[10] الأحاديثَ قُلْنَ لي ... أخِفْتَ علينا أن نُغَرَّ ونُخدَعا

---

(١) في «أ»، م هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول: «على كثرة الوراد».
(٢) في «ديوان حاتم» (طبع لندن سنة ١٨٧٢): «استوى».
(٣) كذا في ديوانه. وفي جميع الأصول: «مسلوب».
(٤) مورماً: متنفخاً بادناً لعدم ما يشغله من شؤون الحياة.
(٥) في «أ»، م هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول: «مصمماً». ورواية هذا البيت في ديوانه:

ولله صعلوك يساور همه ... ويمضي على الأحداث والدهر مقدما

(٦) في «شعراء النصرانية» (ج ١ ص ١٢٩ طبع بيروت): «فلا تدع».
(٧) العقاب: هو أن تركب الدابة مرة ويركبها صاحبك مرة.
(٨) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «أقبلت». وفي ديوانه طبع أوروبا: «أشرقت».
(٩) أكل: أعيا. وأوضع: أسرع. يريد أنه أوضع فأكل إلا أنه قدّم وأخر.
(١٠) كذا في ديوانه. وفي جميع الأصول هنا: «تواضعن» وفي ب، س فيما سيأتي: «تراجعن».

قال: وتوقَّعتُ مجيءَ الخادم إليّ، فقلت للرجل: بأبي أنت! خُذِ العود فشُدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحُطَّ دُسْتانَ كذا؛ ففعل ما أمرتُه. وخرج الخادم فقال لي: تَغَنَّ عافاك الله؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه، فإذا جماعة من الخدم يحضُرون حتى استندوا إلى الأسِرّة وقالوا: وَيْحَك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي؛ فانصرفوا عنّي بتلك السرعة، وخرج إليّ الخادم وقال: كذبتَ! هذا الغناء لابن جامع. ودار الدورُ؛ فلما انتهى الغناءُ إليّ قلتُ للجارية التي تَلِي الرجلَ: خذي العود، / فعلمتْ ما أريد فسَوّتِ العود على غنائها للصوت الثاني فتغنّيتُ به. فخرجتْ إليّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا: ويحك! لمن هذا؟ قلت: لي؛ فرجعوا وخرج الخادم[1]. فتغنيتُ بصوت لي فلا يُعرف إلا بي، وسقَوْني فتزيّدت، وهو: [٦/٣١٧]

عُوجي علَيّ فسلِّمي جَبْرُ ... فيمَ الصدود وأنتمُ سَفْرُ

ما نلتقي إلا ثلاثَ مِنًى ... حتى يُفرِّق بيننا الدهرُ[2]

قال: فتزلزلتْ والله الدار عليهم. وخرج الخادم فقال: وَيْحَك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي. فرجع ثم خرج فقال: كذبتَ! هذا غناء ابن جامع. فقلت: فأنا إسماعيل بن جامع. فما شَعَرتُ إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم. فقال لي الفضلُ بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك. فلما صَعِد السريرَ وثَبتُ قائماً. فقال لي: أبنُ جامع؟ قلت: ابن جامع، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين. قال: وَيْحك! متى كنتَ في هذه البلدة؟ قلت: آنِفاً، دخلتُها في الوقت الذي علم بي أميرُ المؤمنين. قال: اجلس وَيْحك يابنَ جامع! ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي: أَبْشِر وابسُط أَمَلَك؛ فدعوت له. ثم قال: غنّني يابنَ جامع. فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجل / بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة، فعرف ما أردتُ، فوَزَن العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها، وانبعثتُ أغنّي بصوت الجارية الحُمَيْراء. فنظر الرشيد إلى جعفر وقال: أسمعت كذا قطُّ؟ فقال: لا والله / ما خرَق مسامعي قطُّ مثلُه. فرفع الرشيد رأسَه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار فجاء به فرمى به إليّ، فصيّرتُه تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين. فقال: يابنَ جامع، رُدَّ على أمير المؤمنين هذا الصوتَ، فرددتُه وتزيّدت فيه. فقال له جعفر: يا سيّدي، أمَا تراه كيف يتزيّد في الغناء! هذا خلاف ما سمعناه أوّلاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً. قال: فرفع الرشيد رأسَه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار، فجاءني به فصيّرته تحت فخذي. وقال: تغنَّ يا إسماعيل ما حَضَرك. فجعلت أقْصِد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري فأُغنّيه؛ فلم أزَلْ أفعل ذلك إلى أن عَسْعس الليلُ. فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك، فأَعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعني صوتَ الجارية) فتغنّيتُ. فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألفُ دينار. قال: فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسّمتُ، ولحَظَني فقال: يابن الفاعلة، ممّ تبسمتَ؟ فجثوتُ على ركبتيّ وقلت: يا أمير المؤمنين، الصدقُ مَنْجاة. فقال لي بانتهار: قل. فقصصتُ عليه خبرَ الجارية. فلما استوعبه قال: صدَقْتَ، قد يكون هذا وقام. ونزلت من السرير ولا أدري أين أقْصِد. فابتدرني فرّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أميرُ المؤمنين؛ ففُرِشتْ وأُعِدّ فيها جميعُ ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم، ومن كل آلة وخَوَل إلى جوارٍ [٨١/٦] [٦/٣١٨]

(١) الذي يتتبع سياق الخبر يشعر بأن هاهنا نقصاً. ولعل أصل الجملة: «وخرج الخادم فقال كذبت فتغنيت... إلخ».

(٢) كذا في جميع الأصول هنا. وفي «ترجمة العرجي» (ج ١ ص ٤٠٨ من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية) وفيما سيأتي في ب، س: «النفر». والنفر: هو نفر الحاج من منى ويكون في اليوم الثاني ويسمى النفر الأول. والثاني يكون في اليوم الثالث من أيام التشريق.

وَوُصَفاء. فدخلتها[١] فقيراً وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم.

وذكر لي هذا الخبرَ عبدُالله بن الرَّبيع عن أبي حَفْص الشَّيْبانيّ عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال:

/ ضمّني الدهرُ بمكة ضمًّا شديداً فانتقلت إلى المدينة. فبينا أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدّث، إذ قال [٦/٣١٩] لي رجل حَضَرَنا: والله لقد بلغَنايابن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت في هذا البلد ضائع! فقلت: والله ما بي نهوض. قال بعضهم: فنحن نُنهضك. فاحتلتُ في شيء وشَخَصت إلى العراق، فقدِمتُ بغدادَ، ونزلت عن بغل كنت اكتريتُه. ثم ذكر باقي الحديث نحوَ الذي قبله في المعاني، ولم يذكر خبر السوداء[٢] التي أخذ الصوتَ عنها. وأحسِبَه غَلِط في[٣] إدخاله هذه الحكاية هاهنا، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا[٤]. قال في هذا الخبر: إن الدَّوْر دار مرّةً أخرى حتى صار إليّ؛ فخرج الخادم فقال: غنّ أيها الرجل! فقلت: ما أنتظر الآن!! ثم اندفعتُ أغنّي بصوت لي وهو:

فلـو كـان لـي قلبـان عِشـتُ بـواحـد ... وخَلّفْـتُ قلبـاً فـي هـواكِ يُعـذَّبُ

ولكنمـا أحيـا بقلـب مُـروَّعٍ ... فـلا العيشُ يصفـو لـي ولا المـوتُ يقـربُ

تعلّمـت أسبـابَ الـرضـا خـوفَ سُخْطهـا ... وعلّمهـا حبّـي لهـا كيـف تغضـب

ولـي ألـف وجـهٍ قـد عـرفـتُ مكـانـه ... ولكـن بـلا قلـب إلـى أيـن أذهـب[٥]

فخرج الرشيد حينئذ.

/ نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني

[٨٢/٦]

صوت

شكـونـا إلـى أحبـابنـا طـولَ ليلنـا ... فقـالـوا لنـا مـا أقصـر الليـلَ عنـدنـا

وذاك لأنّ النـومَ يَغْشـى عيـونَهـم ... سِـراعـاً ومـا يغشـى لنـا النـومُ أعيُنَـا

/ إذا مـادنـا الليـلُ المضـرّ بـذي الهـوى ... جَـزِعْنـا وهـم يستبشـرون إذا دنـا [٦/٣٢٠]

فلـو أنهـم كـانـوا يُـلاقـون مثـلَ مـا ... نُـلاقـي لكـانـوا فـي المضـاجـع مثلَنـا

عروضه من الطويل. وذكر الهشاميّ أن الغناء لابن جامع هزج بالوسطى، وفي الخبر أنه أخذه عن سوداء[٦] لقيها بمكة.

ومنها:

---

(١) يريد مدينة بغداد التي تقدّمت في أوّل الخبر.
(٢) كذا في جميع الأصول هنا وفيما سيأتي. وقد تقدم أن الجارية التي أخذ عنها كانت حميراء وقد ذكر ذلك في موضعين.
(٣) يريد به محمد بن ضوين الصلصال التيمي وهو الذي ذكر هذا الخبر فيما تقدّم وذكر فيه خبر السوداء التي أخذ عنها ابن جامع الصوت.
(٤) ذكرت هذه القصة في آخر ترجمة ابن جامع.
(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «يذهب».
(٦) انظر حاشية رقم ١ ص ٣١٩ من هذه الترجمة.

صوت

يـا دار أضحـت خـلاءً لا أنيـسَ بهـا إلا الظبـاءُ وإلا النـاشـط الفَـرِدُ
أيـن الـذيـن إذا مـا زرتُهـم جـذِلـوا وطـار عـن قلبـي التشـواق والكمـد

في هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش. ولحن ابن جامع رمل.

ومنها:

صوت

لم تَمْش مِيلاً ولم تركب على جَمل ولـم تَـرَ الشمـسَ إلا دونهـا الكِلَـلُ
أقـول(١) للـركـب فـي دُرْنـا وقـد ثَمِلـوا شِيمـوا وكيـف يَشيـم الشـارب الثَّمِـل

[٣٢١/٦] / الشعر للأعشى. والغناء لابن سُريج رَمَلٌ بالبنصر، وقد كُتب فيما يغنّى فيه من قصيدة الأعشى التي أوّلها:

* وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الركبَ مُرْتحلُ *

ومنها:

صوت

مَـرَرْنـا علـى قَيْسيّـةٍ عـامـريّـةٍ لهـا بَشَـرٌ صـافـي الأديـم هِجـانِ
فقـالـت وألقـت جـانـبَ السترِ دونهـا مِـنَ أيّـة أرض أو مَـنِ الـرجـلان
فقلـت لهـا أمّـا تميـمٌ فـأسـرتـي هُـذيـتٍ وأمّـا صـاحبـي فَيَمـانـي
رفيقـان ضـمّ السَّفْـرُ بينـي وبينـه وقـد يَلْتقـي الشتّـى فيـأتلفـان

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر.

ومنها:

صوت

أمسـى بـأسمـاءَ هـذا القلـبُ معمـودًا إذا أقـول صحـا يعتـاده عِيـدًا
أُجْـرِي علـى مـوعـد منهـا فتُخلفنـي فمـا أَمَـلّ ولا تُـوفـي المـواعيـدا

(١) درنا: ناحية باليمامة وكانت تسمى هكذا في الجاهلية. وهي المعروفة بأثافت أو أثافة بالهاء والتاء. قال الهمداني: وكان الأعشى كثيراً ما يتخرّف فيها وكان له بها معصر للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل أثافت من أعنابهم. ويروون في قصيدته البائية:

أحـب أثـافـت وقـت القطـاف ووقـت عصـارة أعنـابهـا

ويسكنها أهل ذي كبار ووداعة. والرواية المشهورة في هذا الشطر كما في «شرح المعلقات العشر» للتبريزي و «معجم البلدان» و «صفة جزيرة العرب» و «لسان العرب» و «شرح القاموس» (مادة درن): «فقلت للشرب في درنا... إلخ».

كــأنّنــي حيــن أُمْسِــي لا تكلّمنــي ذو بُغْيــة يَبتغــي مــا ليــس مــوجــودا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، وله فيه ثقيل أوّل [بالبنصر[1]. وذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أول] بالوسطى على مذهب إسحاق.

[٦/ ٣٢٢]

/ ومنها:

صوت

فــوالله مــا أدري أيغلِبنــي الهــوى إذا جــدّ وَشْــكُ البيــن أم أنا غــالبُــهْ

فــإن أستطــع أغلِــبْ وإن يَغْلِــبِ الهوى فمثــلُ الــذي لاقيــتُ يُغْلَــب صــاحبــه

/ عروضه من الطويل. الشعرُ لابن مَيّادة، والغناء للحَجَبيّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش. ٨٣/٦

ومنها:

صوت

تُعيّــرنــا أنّــا قليــلٌ عــديــدُنــا فقلــتُ لهــا إنّ الكــرام قليــلُ

ومــا ضَــرّنــا أنّــا قليــلٌ وجــارُنــا عــزيــزٌ وجــارُ الأكثــريــن ذليــلُ

وإنّــا لقــومٌ مــا نــرى القتــلَ سُبّــةً إذا مــا رأتــه عــامــرٌ وسَلُــول

يقــرّب حــبُّ المــوت آجــالَنــا لنــا وتكــرهــه آجــالُهــم فتطــول

عروضه من مقبوض[2] الطويل. والشعر للسموءل بن عادياء اليهوديّ. والغناء لحَكَم الوادي.

ومنها:

صوت

وَدِدْتُــكِ لمّــا كــان ودّكِ خــالصــاً وأعــرضــتُ لمــا صــار نَهْبــاً مقسّمَــا

ولــن يلبَــثَ الحــوضُ الجــديــد بنــاؤه علــى كثــرة الــورّاد أن يتهــدّمــا

عروضه من الطويل. وفيه خفيفُ ثقيل قديم لأهل مكة. وفيه لغَرِيب ثقيلٌ أوّل.

[٦/ ٣٢٣]

/ ومنها:

صوت

ومــا كَــرّ إلاّ كــان أوّلَ طــاعــن ولا أبصــرتــه الخيــلُ إلا اقشعــرّتِ

فيُــدرك ثــأراً ثــم لــم يُخطِــه الغِنــى فمثــلُ أخــي يــومــاً بــه العيــن قــرّت

(١) هذه العبارة ساقطة في الأصول ما عدا ب، س.

(٢) القبض: هو حذف الخامس الساكن فيصير «فعولن» «فعولُ».

فـإن طلبـوا وِتـراً بَـدَا بِتِـرَاتِهـم ... ويَصبـر يحميهـم إذا الخيـل وَلّـت

عروضه من الطويل. الشعر للخَنْساء، والغناء لابن سُريج ثقيل أوّل بالبنصر وذكر علي بن يحيى أنه لمَعْبد في هذه الطريقة.

ومنها:

صوت

لحـا الله صُعلـوكـاً مُنـاه وهَمُّـه ... من الدهر أن يلقَى لَبوساً ومَطْعما[1]

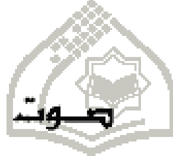
ينـام الضحـى حتـى إذا ليلـهُ انتهـى ... تنبّـه مثلـوجَ الفـؤاد مُـوَرَّمـا

ولكـن صعلـوكـاً يُسـاور هَمَّـه ... ويَمضـي علـى الهَيْجـاء ليثـاً مصمّمـا

فـذلـك إن يلـقَ الكـريهـةَ يلقَهـا ... كـريمـاً وإن يَستغـن يـومـاً فـربَّمـا

عروضه من الطويل. الشعر يقال إنه لعُرْوة بن الوَرْد، ويقال: إنه لحاتم الطائي وهو الصحيح. والغناء لطُوَيس خفيفُ رمل بالبنصر.

ومنها:



صوت

إذا كنـتَ ربّـاً للقَلـوص فـلا يكـن ... رفيقُـك يَمْشـي خلفَهـا غيـرَ راكـبِ

أنِخْهـا فـأردفـه فـإنْ حملتْكمـا ... فـذاك وإن كـان العِقـاب فعـاقـبِ

عروضه من الطويل. والشعر لحاتم طيّء.

[٦/٣٢٤] / ومنها:

صوت

ألـم تَـرَ لمّـا ضَمّني البلـد القَفْـرُ ... سمعتُ نـداءً يصدع القلبَ يـا عمـرُو

أغِثنـا فـإنـا عُصبـة مَـذْحِجيّـة ... نُـزار علـى وَفْـر وليـس لنـا وَفْـر

٨٤/٦ / عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن معديكرب. والغناء لحُنَيْن رمل بالوسطى عن حَبَش.

ومنها:

صوت

فلمـا تـوافقْنـا وسلّمـتُ أقبلـتْ ... وجـوهٌ زهـاهـا الحسـنُ أن تتقنّعـا

تَبـالَهْـنَ بـالعِـرفـان لمـا رأيْنَنـي ... وقُلْـنَ امـرؤ بـاغٍ أكَـلّ وأَوْضعـا

(١) راجع هذا الشعر في صفحة ٣١٥، فقد ورد فيها مختلفاً عما هنا اختلافاً يسيراً.

ولما تنازعن[1] الأحاديث قلن لي أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْدَعَا
وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيّمٍ يَقيس ذراعاً كلما قِسْن إصبعا

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدّة ألحان، قد كُتِبَتْ مع الخبر في موضع غير هذا.

ومنها:

صوت

عُوجي عليّ فسلّمي جَبْرُ فيم الصدودُ وأنتم سَفْرُ
ما نلتقي إلا ثلاثَ مِنًى حتى يفرّق بيننا النَّفْرُ[2]
الحول ثم الحول يتبعه ما الدهر إلا الحول والشهر

/ الشعر للعَرْجيّ. والغناء للأبجر ثقيل أوّل عن الهشاميّ، ويقال إنه لابن محرز، ويقال بل لحنه فيه غير لحن [٦/٣٢٥] الأبجر. وفيه رمل يقال إنه لابن جامع، وهو القول الصحيح، وذكر حبش أنه لابن سريج، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل.

ومنها:



صوت

فلو كان لي قلبان عشتُ بواحد وخلّفتُ قلباً في هواك يعذَّبُ
ولكنما أحيا بقلب مُروَّع[3] فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرُبُ
تعلّمتُ أسباب الرِّضا خوفَ هجرها وعلّمها حبّي لها كيف تغضب
ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو الورّاق. والغناء لابن جامع خفيف رمل، ويقال إنه لعبدالله بن العبّاس. وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّل. وفيه لزَدّاذ خفيفُ ثقيل. وفيه هَزَج يقال إنه لعَريب، ويقال إنه لنمرة، ويُقال إنه لأبي فارة، ويقال إنه لابن جامع.

سمعه مصعب الزبيري يغني في بساتين المدينة فمدحه:

حدّثني مصعب الزبيريّ قال:

قَدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً في أيام الرشيد؛ فسمعته يوماً يغنّي في بعض بساتين المدينة:

ومالِيَ لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَر الرُّعيانُ وِردَ المناهلِ

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٦ من هذا الجزء.
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٧ من هذا الجزء.
(٣) في حـ: «معذب».

٨٥/٦ / وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقي رَحَلْتُها فسارت بمحزون كثير[١] البَلابل[٢]

[٦/٣٢٦] / وكان رجلاً صيّتاً[٣]، فكاد صوته يذهب بي كلّ مذهب، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله.

نسبة هذا الصوت

صوت

ومالي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ

وكنت إذا ما اشتدّ شوقي ركبتها فسارتْ بمحزون كثير البلابل

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ.

أهدى الربيع للمنصور فكان يستخفه وأعتقه:

أخبرني وكيع قال حدّثني هارون بن محمد الزّيات قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال:

كنتُ في خمسين وصيفاً أُهدوا للمنصور، فَفُرّقْنا في خدمته، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه. فكنت أراه يفعل شيئاً أعلم أنه خطأ: يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح. وقال لي يوماً: كن مكاني في آخر المستراح. فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادراً، فإذا سمعت حركته بادرت إليه. فقال لي: ما أخفّك على قلبي يا غلام! ويحك! ثم دخل قصراً من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها. فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد، فقرأه فإذا هو:

ومالِيَ لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صدَر الرّعيانُ نحوَ المَناهلِ

وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقي رَحَلْتُها فسارتْ بمحزون طويل البلابل

[٦/٣٢٧] / وتحته مكتوب: آه آه، فلم يَدْرِ ما هو. وفطَنتُ له فقلت: يا أمير المؤمنين، قد عرفت ما هو. فقال: قل؛ فقلت: قال الشعر ثم تأوّه فقال: آه آه، فكتب تأوُّهَه وتنفُّسه وتأسُّفه. فقال: مالك قاتلك الله! قد أعتقتُكَ وولّيتك مكانَ ياسر.

---

(١) في حـ: «طويل».

(٢) البلابل: شدّة الهم والوسواس في الصدر وحديث النفس.

(٣) الصيت: الجهير الصوت.

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرّقة [في][1] الأخبار وإنما أفردتها عنها لئلا تنقطع

خبر

* أمسَى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْموداَ *

خرج الغريض مع نسوة فتبعه الحارث بن خالد مع ابن أبي ربيعة:

أخبرني الحُسين بن يحيى قال حماد: قرأت على أبي، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكيّ قال حدّثني المخزوميّ (يعني الحارثَ بن خالد) قال:

بلغني أن الغريض خرج مع نِسْوة من أهل مكة من أهل الشَّرف ليلاً إلى بعض المتحدَّثات من نواحي مكة، وكانت ليلة مقمرة؛ فاشتقتُ إليهنّ وإلى مجالستهنّ وإلى حديثهنّ، وخِفتُ على نفسي لجنايةٍ كنت أطالَب بها، وكان عمر مَهيباً معظَّما لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره، وكان منّي قريباً؛ فأتيتُه فقلت له: إنّ فلانة وفلانة وفلانة ـ حتى سميتهنّ كُلَّهنّ ـ قد بعثنني، وهنّ يَقرأنَ عليك السلامَ، وقلن: تشوّقن إليك في ليلتنا هذه لصوتٍ أنشدنَاه فُوَيْسِقُكَ الغريض ـ وكان الغريض يغنّي هذا الصوتَ فيُجيده، وكان ابن أبي رَبيعة به مُعْجَباً، وكان كثيراً ما يسأل الغريضَ أن يُغنّيه، وهو قولُه:

أمسَى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْموداَ	إذا أقولُ صحَا يعتادُه عِيدَا
كأنّ أحورَ من غِزْلان ذي نفرٍ[2]	أهدى لها شَبَهَ العينين والجيدا
قامت تراءَى وقد جدّ الرحيلُ بنا	لتنكأ القرح من قلبٍ قد اصطيدا
كأنني يومَ أمسي لا تكلّمني	ذو بُغْيةٍ يبتغي ما ليس مَوْجودا
أجرى على موعدٍ منها فتُخلفني	فما أَمَلُّ وما تُوفي المواعيدا
قد طال مَطْلي، لَوَ انّ اليأسَ ينفعني	أَوْ أن أُصادِفَ من تِلْقائها جُودَا
فليس تَبْذُلُ لي عفواً وأُكرِمُها	من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا[3]

[٣٢٨/٦]

٨٦/٦

ـ فلما أخبرتُه الخبرَ قال: لقد أزعجتَني في وقت كانت الدَّعَةُ أحبَّ فيه إليّ؛ ولكنّ صوتَ الغريض وحديثَ

(١) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٤ من هذا الجزء.

(٣) هذه رواية الديوان. وفي الأصول:

.... فأكرمها ... ما إن ترى عندنا في الحرص تشديدا

النِّسوة ليس له مُتْرَك ولا عنه مَحِيص. فدعا بثيابه فلبِسها، وقال: امضِ؛ فمضينا نمشي العجلَ حتى قَرُبنا منهنّ. فقال لي عمر: خَفِّضْ عليك مَشْيَك ففعلتُ، حتى وقفنا عليهنّ وهنّ في أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلّمنا، فتهيّبْننا وتخفَّرن منّا. فقال الغريض: لا عليكنّ! هذا ابن أبي ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوّقين إلى حديثكنّ وغنائي. فقالت فلانة: وعليك السلامُ يابنَ أبي ربيعة، والله ما تمّ مجلسُنا إلا بك، اجلِسا. فجلسنا غيرَ بعيدٍ، وأخذْنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأخمِرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلْن لعمر: كيف أحْسَسْتَ بنا وقد أخفينا أمرَنا؟ فقال: هذا الفاسقُ جاءني برسالتكنّ وكنتُ وَقيذاً[1] من علّة وجدتُها، فأسرعت الإجابةَ، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسنَ الإثابة. فردَدْن عليه: قد وجب أجْرُك، ولم يَخِبْ سعيُك، ووافق منّا الحارثُ إرادةً. فحدّثهنّ بما قلتُ له / من قصّة غناء الغريض؛ فقال النِّسوة: والله ما كان ذلك كذلك، ولقد نبّهتنا على صوت حسن، يا غريضُ هاتِه. [٦/٣٢٩] فاندفع الغريضُ يغنّي ويقول:

أمســى بـأسْمـاء هـذا القلـبُ مَعْمـودَا ... إذا أقــولُ صَحـا يَعْتــاده عِيــدَا

حتى أتى على الشعر كلِّه إلى آخره، فكلٌّ استحسنه. وأقبل عليَّ ابنُ أبي ربيعة فجَزَاني الخيرَ، وكذلك النِّسوة. فلم نَزَلْ بأنعمِ ليلةٍ وأطيبِها حتى بدأ القمرُ يغيب، فقُمنا جميعاً، وأخذ النّسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريضُ معنا.

وقال عمر في ذلك:



صوت

هــل عنــد رَسْــم بــرامــةٍ[2] خَبـرُ ... أم لا فـــأيَّ الأشيـــاء تَنتظـــرُ[3].

قــد ذكَّــرتْنــي الــديــارُ إذ دَرَســتْ ... والشـــوقُ ممّـــا يَهيجـــه الـــذُّكَــر

مَمْشَــى رســولٍ إلــيّ يُخْبِــرنــي[4] ... عنهــم عِشــاءً ببعــض مــا ائتمــروا

ومجلـــسَ النِّســـوة الثـــلاث لـــدى الْـ ... ـخَيْمــــات حتـــى تَبلُّـــج السَّحَـــر

فيهـــنّ هِنـــدٌ والهَـــمُّ ذِكْـــرتُهــا ... تلـــك التـــي لا يُـــرى لهـــا خَطَـــر

ثـــم انطلقنـــا وعنـــدنـــا ولنـــا ... فيهـــنّ لـــو طـــال ليلُنـــا وطـــر

وقـــولَهـــا للفتـــاة إذ أزِف الـ ... ـبيـــنُ أغـــادٍ أم رائـــحٌ عُمَـــر

عَجْــلانَ لــم يَقْــضِ[5] بعــضَ حــاجتــه ... هــلا تــأتّــى[6] يــومــاً فينتظــرُ

(١) الوقيذ: المريض.

(٢) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة. وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة. وقيل: هي هضبة، وقيل: جبل لبني دارم، وقيل فيها غير ذلك.

(٣) وردت هذه الأبيات ضمن قصيدة ثمانية عشر بيتاً في ديوان عمر بن أبي ربيعة (طبع ليسك) باختلاف يسير في بعض الكلمات وفي ترتيب الأبيات.

(٤) كذا في ديوانه. وفي الأصول: «ممشى فتاة إلى تخبرني».

(٥) في الديوان: «لم يقض بعد حاجته».

(٦) في ب، س: «أتانا» وهو تحريف.

اللَّـهُ جـارٌ لـه وإن نَـزَحَـتْ دارٌ بـه أو بـدا لـه سفـر

/ غنّاه الغريض ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لِابن سُرَيج رمل بالوسطى. وفيه لعبد الرحيم [٦/ ٣٣٠] الدَّفّاف ثقيلٌ أوّل بالبنصر في البيتين الأوّلين. وبعدهما:

/ هـل مـن[1] رَسـول إلـيّ يُخبـرنـي بعـد عشـاءٍ ببعـض مـا ائتمـروا [٨٧/ ٦]

يـومَ ظَلِلْنـا وعنـدنـا ولنـا فيهـنّ لـو طـال يـومُنـا وَطَـرُ

فلما كانت الليلةُ القابلةُ بعث إليّ عمر فأتيتُه وإذا الغريضُ عنده. فقال له عمر: هاتِ؛ فاندفع يغنّي:

هـل عنـد رَسْـمٍ بـرامـةٍ خبـرُ أم لا فـأيَّ الأشيـاءِ تنتظـرُ

ومجلـسَ النّسـوة الثـلاثِ لـدى الـ ـخيمـات حتـى تبلّـج السحـر

فقلتُ في نفسي: هذا والله صفةُ ما كنّا فيه، فسكتُّ حتى فرَغ الغريضُ من الشعر كلِّه؛ فقلت: يا أبا الخَطّاب، جُعِلتُ فِداك! هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النّسوة. فقال: إن ذلك لَيُقال.

أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عماله فأجابه بالمثل وفرّ:

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد قال:

إنّ موسى بن مُصْعَب كان على المَوْصِل، فاستعمل رجلاً من أهل حَرّان على كُورة باهُذْرا[2]، وهي أجلّ كُوَرِ الموصل، فأبطأ عليه الخراجُ؛ فكتب إليه:

هـل عنـد رسـمٍ بـرامـةٍ خبـرُ أم لا فـأيَّ الأشيـاء تنتظـرُ

/ احْمِل ما عندك يا ماصَّ بَظْرِ أمه، وإلا فقد أمرتُ رسولي بشدّك وَثَاقاً ويأتي بك. فخرج الرجل وأخذ ما [٦/ ٣٣١] كان معه من الخراج فلَحِق بَحرّان، وكتب إليه: يا عاضّ بَظْرِ أمّه! إليّ تكتب بمثل هذا!

وإذا أهـلُ بلـدةٍ أنكـرونـي عـرفتنـي الـدَّوِّيَّـةُ[3] المَلْسـاء

فلما قرأ موسى كتابَه ضَحِك وقال: أحسن ـ يعلم الله ـ الجوابَ، ولا والله لا أطلبه أبداً. وفي غير هذه الرواية أنه كتب إليه في آخر رقعة:

إنّ الخليـطَ الأُلَـى تهـوَى قـد ائتمـروا للبَيْـن ثـم أجَـدّوا السيـرَ فـانشمـروا

يابن الزّانية! والسلام. ثم هرب، فلم يَطْلُبه.

اسحاق الموصلي ولحن للغريض:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أبي:

غنّاني رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض:

---

(١) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٩ من هذا الجزء.

(٢) كذا في أ، م. و «معجم ياقوت» في الكلام على الموصل. وفي حـ: «يا هذرا» بالياء المثناة من تحت. وفي سائر الأصول: «باهدرا» بالباء الموحدة والدال المهملة، وكلاهما تصحيف.

(٣) الدوّيّة: الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة.

هـل عـنـد رَسْـم بـرامـةٍ خبـرُ ... أم لا فـأيَّ الأشيـاء تنتظـرُ

فسألتُه أن يُلْقيه عليّ، فقال: لا إلا بألف درهم؛ فلم أسمح له بذلك. ومضى فلم أَلقَه. فوالله يا بنيّ ما نَدِمتُ على شيء قطُّ نَدَمي على ذلك، ولَوَدِدت أنّي وجدتُه الآن فأخذتُه منه كما سمعتُه وأخذَ منّي ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم.

خبر

* تُعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا *

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْءَل بن عَادِياء. ويقال: إنه للسموءل. وكان من يهود يَثْرِب؛ وهو الذي يُضرب به المثلُ في الوفاء فيقال: «أوفى من السَّموءل».

[٦/٣٣٢] / وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ وأبو عُبيدة وحدّثني به محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد الأُمويّ عن محمد بن السائب الكَلْبيّ قال:

[٦/٣٣٣] [٨٨/٦] كان امرؤ القيس بن حُجْر أوْدع السموءلَ بن عادياء أدراعاً[١]؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم ـ ويقال / : الحارث بن أبي شَمِر الغَسّاني ـ ليأخذَها منه؛ فتحصّن منه السموءلُ؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه: إمّا أن تُسلّم الأدراع وإما أن قتلتُ ابنَك؛ فأبى السموءلُ أن يُسَلِّم الأدراعَ إليه؛ فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام بالسيف فقطَعه اثنين[٢]. فقال السموءل:

وفَيْـتُ بـأَدْرُعِ الكنـدِيّ إنّـي ... إذا مـا خـان أقـوامٌ وَفَيْـتُ
وأوصـى عـادِيـا يـومـاً[٣] بـألّا ... تُهـدِّمَ يـا سمـوءلُ مـا بنيـتُ
بَنَـى لـي عـادِيـا حصنـاً حصينـاً ... ومـاءً[٤] كلّمـا شئـتُ استقيـتُ

وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أعـاذِلتـي ألاَ لا تَعـذُلِينـي ... فكَـمْ مِـنْ أَمْـرِ عـاذلـةٍ عَصَيْـتُ
دَعِينـي وارْشُـدِي إن كنـتُ أَغْـوَى ... ولا تَغْـوَيْ ـ زعمـتِ ـ كمـا غَـوِيْـتُ
أعـاذلَ قـد طلبـتِ[٥] اللّـومَ حتـى ... لَـوَ أنّـي مُنْتَـهٍ لقـد انتهيـتُ
وصفـراءِ المعـاصـم قـد دَعَتْنـي ... إلـى وَصْـلٍ فقلـتُ لهـا أبَيْـتُ

---

(١) في حـ: «أدراعاً مائة».
(٢) كذا في حـ،ء. وفي سائر الأصول: «باثنين».
(٣) رواية هذا الشطر في ديوانه:

* وأوصى عاديا جدي بألا *

(٤) في «مجمع الأمثال» للميداني: «بئراً». في ديوانه: «عيناً».
(٥) كذا في جميع الأصول. ولعلها: «أطلت».

[٦/ ٣٣٤] / وزِقٍّ قد جَرَرْتُ إلى النَّدامَى وزِقٍّ قد شَرِبْتُ وقد سَقَيْتُ
وحتّى لو يكون فتى أُناسٍ بكى من عذل عاذلة بكيتُ

عروضُه من الوافر. والشعرُ للسَّمَوْءَل بن عادِياء. والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني والرابع والخامس خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر في الأوّل والثاني. وغنّى دَحْمانُ أيضاً في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى. وغنّى عبد الرحيم الدَّفّاف في الأوّل والثاني رملاً بالبنصر. وفي هذه الأبيات لابن سُرَيْج لحنٌ في الرابع وما بعده. ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم يَنْسُبه[١]. ولإبراهيم الموصليّ فيها لحن غيرُ منسوب أيضاً.

أسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه ثم أطلقه بشفاعة شريح بن السموءل فلما عرف ذلك ندم:

حدّثني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سَعيد الأُمويّ قال حدّثني محمد بن السائب الكلبيّ قال:

هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال:

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ولستَ من الكرام بني عُبَيْدِ
ولا من رهط جبّار بن قُرْطٍ ولا من رهط حارثةَ بن زيد

ـ قال: وهؤلاء كلهم من كلب ـ فقال الكلبيّ: أنا، لا أبالك، أشرفُ من هؤلاء. قال: فسَبَّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان متغيّظاً عليه. فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسَرَ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموءل بن عادياء الغَسّاني صاحب تَيْماء[٢] بحصنه الذي يقال له الأبْلَق[٣]. فمرّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله:

[٦/ ٣٤] / شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّي بعد ما عَلِقتْ حبالَك اليومَ بعد القِدّ[٤] أظفاري
قد جُلْتُ ما بين بانِقيا[٥] إلى عَدَنٍ فطال في العُجْم تَرْدادي[٦] وتَسْياري
فكان أكرمَهم عهداً وأوثقَهم عَقْداً أبوك بعُرف غير إنكار
كالغيث ما استمطروه جادَ وابلُه وفي الشدائد كالمستأسِد الضّاري
/ كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به في جَحْفَلٍ كسواد الليل جَرّار [٨٩/ ٦]
إذ سامه خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال له قُلْ ما تشاء فإنّي سامعٌ حارِ
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما فاخْتَرْ وما فيهما حظٌّ لمختار

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «ولم يجنسه».
(٢) تيماء: بليدة في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق.
(٣) قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة، وقيل: لأنه بني من حجارة مختلفة الألوان.
(٤) القد: القيد.
(٥) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.
(٦) كذا في ديوانه المطبوع بمطبعة التقدّم بمصر. وفي الأصول: «تكراري».

فشَــكَّ غيــرَ طــويــلٍ ثــم قــال لــه اقْتُــلْ أسيــرَكَ إنــي مــانــعٌ جــاري

وســـوف يُعْقِبُنِيـــه إن ظفِـــرتَ بـــه ربٌّ كـــريـــمٌ وبِيـــضٌ ذاتُ أطهـــار

لا سِـــرُّهـــنَّ لـــدينـــا ذاهـــبٌ هَـــدَراً وحـــافظـــات إذا استُـــوْدِعـــن أســـراري

فـــاختـــارَ أدراعَـــه كـــي لا يُسَـــبَّ بهـــا ولـــم يكـــن وعـــدُه فيهـــا بخَتَّـــار[١]

قال: فجاء شُرَيح إلى الكَلْبِيِّ فقال له: هَبْ لي هذا الأسيرَ المَضْرورَ[٢]؛ فقال: هو لك، فأطلَقه. وقال له: أَقِمْ عندي حتى أُكرِمَك وأَحْبُوَك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إليّ أن تُعطِيني ناقةً ناجية[٣] وتُخْلِيَني الساعةَ. قال: فأعطاه ناقةً، فركِبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أن الذي وَهَب لشُريح هو الأعشى، فأرسل إلى شُريح: ابعث إليّ بالأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوَه وأُعطيَه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يَلْحَقه.

[٦/٣٣٥] / وأما خبر:

* وما كرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ *

ـ والشعر للخنساء ـ فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفْرَداً عن المائة الصوت المختارةِ في أخبار الخنساء.

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

دفع في صوت أخذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار:

وأمّا خبرُ الجارية التي أخذ عنها ابْنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنّه وقع في حكاية محمد بن ضوين الصَّلْصَال فيها[٤] خطأ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي محمد العامريّ قال حدّثني عُكّاشة اليزيديّ بجُرْجان قال حدّثني إسماعيل بن جامع قال:

بَيْنا أنا في غُرْفة لي باليمن وأنا مُشْرِف على مَشْرَعةٍ[٥]، إذ أقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ، فملأتْها ووضعتْها على المَشْرعة لتستريح، وجلستْ فغنّت:

صوت

فَــرُدّي مُصــابَ القلــب أنــتِ قَتَلْتِــه ولا تُبْعِــدي فيمــا تجشّمــتِ كُلْثُمَــا

ـ ويُروى «ولا تَتْركيه هائمَ القلب مُغرماً» ـ:

إلــى الله أشكــو بخلَهــا وسمــاحتــي لهــا عســلٌ منّــي وتبــذُل عَلْقَمــا

(١) الختار: الغادر.

(٢) كذا في حـ ونسخة الشيخ الشنقيطي مصححة بقلمه و «معجم ياقوت» في الكلام على الأبلق الفرد. وفي سائر الأصول: «المضروب» بالباء الموحدة، وهو تحريف.

(٣) ناقة ناجية: سريعة السير.

(٤) هذه الكلمة مستغنى عنها في الكلام ولكنها ثابتة في جميع الأصول.

(٥) المشرعة: مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون. ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عداً لا انقطاع له كماء الأنهار ويكون ظاهراً مبيناً لا يستقى منه برشاء. فإن كان من ماء الأمطار فهو الكرع (بالتحريك).

أبـي اللّـهُ أن أُمسـي ولا تـذكُـرينَـنـي ... وعَيْنـاي مـن ذكـراك قـد ذَرَفَـتْ دَمَـا
أبيـتُ فمـا تنفـكّ لـي منـكِ حـاجـةٌ ... رمـى الله بـالحـبّ الـذي كـان أظلَمـا

/ ـ غنّاه سِيَاطٌ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ـ قال: ثم أخذتْ قِرْبَتَها [٦/٣٣٦] لتمضيَ. فاستفزّني من شهوة الصوت ما لا قِوامَ لي به، فنزلتُ إليها فقلت لها: أعِيدِيه. فقالت: أنا عنك في شغل بخَراجي. قلتُ: وكم هو؟ قالت: درهمان في كل يوم. قلتُ: فهذان درهمان، ورُدّيه عليّ حتى آخذه منك، وأعطيتُها درهمين؛ فقالت: أمّا الآن فنعم. فجلستْ، فلم تَبْرح حتى أخذتُه منها وانصرفت؛ فلهوتُ يومي به، وأصبحتُ من غدٍ لا أذكر / منه حرفاً، فإذا أنا بالسوداء قد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأمس. فلما وضعتِ القِربةَ تغنّت [٩٠/٦] غيرَه، فعَدَوْتُ في أثرها وقلت: يا جارية، بحقّي عليكِ رُدّي عليّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّي منه نَغَمةٌ. فقالت: لا والله، ما مثلُك تذهب عنه نغمةٌ، أنت تَقيسُ أوّلَه على آخره، ولكنك قد أُنسِيتَه، ولستُ أفعل إلا بدرهمين آخرين. فدفعتُهما إليها وأعادته عليّ حتى أخذتُه ثانية. ثم قالت: إنّك تَسْتكثر فيه أربعةَ دراهم، وكأني بك قد أصبتَ به أربعة آلاف دينار. فكنتُ عند هارون يوماً وهو على سريره؛ فقال: من غنّاني فأطربني فله ألفُ دينار، وقدّامَه أكياسٌ في كل كيس ألفُ دينار. فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ، حتى دار الغِناء إليّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السوداء؛ فرمى إليّ بكيس فيه ألفُ دينار، ثم قال: أعِدْه فغنّيتُه؛ فرمى إليّ بثان ثم قال: أعِدْه فرمى إليّ بثالث وأمسك. فضحِكتُ؛ فقال: ما يُضْحكك؟ فقلت: لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فحدّثتُه به وقصصتُ عليه القصّةَ؛ فرمى إليّ برابع وقال: لا نكذّب قولَها.

خبر

* عُوجِي عليّ فسلّمي جَبْرُ *

الشعر للعَرْجيّ وقد ذكرنا نسبة الصوت.

/ قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنه أفسد نساء المدينة: [٦/٣٣٧]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد قال حدّثني محمد بن إسحاق قال:

قيل لعمر بن عبد العزيز: إن بالمدينة مُخنّثاً قد أفسد نساءَها فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحملَه. فأُدخِل عليه، فإذا شيخٌ خضيبُ اللّحية والأطرافِ مُعْتَجِرٌ بِسَبَنِيَّة[1] قد حمل دُفًّا في خريطته. فلما وقف بين يَدي عمر صعّد بصرَه فيه وصوّبه وقال: سوأةً لهذه الشَّيْبةِ وهذه القامةِ! أتحفظ القرآن؟ قال: لا والله يا أبانا؛ قال: قبّحك اللّهُ! وأشار إليه مَنْ حضَره فقالوا: اسكُتْ فسكتَ. فقال له عمر: أتقرأ من المفصّل شيئاً؟ قال: وما المُفَصّل؟ قال: ويلك! أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأخطىء فيها في موضعين أو ثلاثة، وأقرأ ﴿قُلْ أعُوذُ

---

(١) كذا في حـ. والسبنية: منسوبة إلى سبن (بالتحريك): بلدة ببغداد؛ وهي إزار أسود متخذ من الحرير يلبسه النساء. وفي ب، س: «بسبتية» (بالتاء المثناة). وفي سائر الأصول «بسنية» وكلاهما تحريف.

بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وأُخطىء فيها، وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مثلَ الماء الجاري. قال: ضَعوه في الحبس ووكِّلوا به مُعَلِّماً يعلِّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطَّهارة والصلاة وأَجْرُوا عليه في كل يوم ثلاثةَ دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهمَ أُخَر، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ. فكان كلّما عُلِّم سورةَ نَسِيَ التي قبلها. فبعث رسولاً إلى عمر: يا أمير المؤمنين، وجِّه إليّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلاً فأوّلاً، فإني لا أقدِر على حمله جملةً واحدةً. فيئس عمرُ من فلاحه وقال: ما أرى هذه الدراهمَ إلا ضائعةً، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عُرْياناً لكان أصلحَ. ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له: اقرأ ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. / قال: أسأل اللّهَ العافيةَ! [٦/٣٣٨] أدخلتَ يدَك في الجراب فأخرجتَ[1] شرَّ ما فيه وأصعبَه. فأمر به فُوجِئَتْ[2] عنقُه ونفاه. فاندفع يغنّي وقد توجّهوا به:

عُـوجِـي عـلـيَّ فَسَلِّمـي جَبْـرُ فيـمَ الـوقـوفُ وأنتُـمُ سَفْـرُ
/ مـا نَلْتقـي إلا ثـلاثَ مِنًـى حتـى يفـرِّقَ بيننـا النَّفْـرُ [٩١/٦]

فلما سمع المُوكَّلون به حسنَ تَرنُّمه خلَّوْه وقالوا له: اذهب حيث شئتَ مُصَاحَباً بعد استماعهم منه طرائفَ[3] غنائه سائرَ يومهم وليلتهم.

حج محمد بن خالد ابن عبدالله وسمع جارية محمد بن عمران فطرب وأراد شراءها فرده:

أخبرني الحسين قال قال حماد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ قال:

أَحَجّ خالدُ بن عبدالله ابنَه محمداً وأصحبه رِزاماً[4] مولاه وأعطاه مالاً، وقال: إذا دخلتَ المدينةَ فاصرفه فيما أحبَبْتَ. فلما صِرْنا[5] بالمدينة سأل محمد عن جاريةٍ حاذقةٍ؛ فقيل: عند محمد بن عِمْران التَّيمي القاضي. فصلّينا الظهرَ في المسجد ثم مِلنا إليه فاستأذنّا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْد[6] ونعلاه في آخر اللِّبْد؛ فسلّمنا عليه فردّ؛ ونَسَبَ[7] محمداً فانتسب له، فقال: خيراً. ثم قال: هل من حاجة؟ فلَجْلَج. فقال: كأنك ذكرتَ فلانة! يا جاريةُ اخرجِي؛ فخرجتْ فإذا أحسنُ الناس، ثم تغنّت فإذا أحذقُ الناس؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجيء، إلى أن غنّت قوله:

* عوجي عليّ فسلّمي جَبْرُ *

/ فلما بلغتْ: [٦/٣٣٩]

* حتى يفرق بيننا النَّفْر *

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «أشد ما فيه».
(٢) الوجء: اللكز والضرب، يقال: وجأت عنقه وفي عنقه أي ضربته.
(٣) كذا في م. وفي سائر الأصول: «ظرائف» بالظاء المعجمة، وهو تصحيف.
(٤) هو رزام بن مسلم، أدرك أبا جعفر المنصور وله بعض حوادث وردت في «الطبري» (ق ٣ ص ١٣٢، ١٦٤، ١٩٦، ٢١٥، ٢١٦، ٦٣٧).
(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فلما صار».
(٦) اللبد: بساط من صوف.
(٧) نسبه: سأله عن نسبه.

وثب الشيخُ إلى نعله فعلّقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أذنه والنّعل فيها وجعل يقول: أهدوني[١] أنا بَدَنَةٌ، أهدوني أنا بَدَنَةٌ. ثم أقبل عليهم فقال: كم قيل لكم إنها تساوي؟ قالوا: ستمائة دينار. قال: هي وحقّ القبر خيرٌ من ستة آلاف دينار، ووالله لا يملِكها عليّ أحدٌ أبداً، فانصرِفوا إذا شئتم.

كان ابن جريج في حلقة يحدث فمرّ به ابن تيزن فسأله أن يغنيه بغناء ابن سريج:

أخبرنا وَسْواسةُ بن الموصليّ ـ وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ ـ قال حدّثني حماد بن إسحاق قال:

وجدتُ في كتب أبي عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفيّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال حدّثني سُلَيم[٢] الحساب عن داود المكيّ قال:

كنّا في حَلْقة ابن جُرَيْج وهو يحدّثنا وعنده ابنُ المبارَك وجماعةٌ من العراقيّين، إذ مرّ به ابن تَيْزن ـ قال حمّاد: ويقال ابن بيرن ـ وقد اتزر بمئْزَرة على صدره، وهي إزْرَةُ الشُّطّار[٣] عندنا. فدعاه ابن جُرَيج، فقال له: إني مستعجل، وقد وعدتُ أصحاباً لي فلا أقدِر أن أحتبس عنهم. فأقْسم عليه حتى أتاه، فجلس وقال له: ما تريد؟ قال: أُحِبّ أن تُسمِعني. قال: أنا أجيئك إلى المنزل، فلِمَ تُجْلِسني مع هؤلاء الثقلاء! قال: أسألك أن تفعل، قال: امرأتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات. قال: ويحك! ما أعجلكَ باليمين؟! قال: أكره أن أحتبس عن أصحابي. فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال: اعْقِلوا رحمكم الله. ثم قال له: غنِّني الصوتَ / الذي أخبرتني أنّ [٦/ ٣٤٠] ابنَ سريج غنّاه في اليوم الثالث[٤] من أيام مِنًى على جمرة العَقَبة فقطع الطريقَ على الذاهب والجائي حتى تكسّرت المحاملُ. فغنّاه:

* عوجي عليّ فسلِّمي جبرُ *

فقال ابن جُرَيْج: أحسنتَ والله! ـ ثلاثَ مرّات ـ ويحك أعِدْه. قال: أمِن الثلاثة؟ فإني قد حلَفتُ. قال: أعِدْه؛ فأعاده؛ فقال: أحسنت! أعِده من الثلاثة؛ فأعاده وقام فمضى. فقال ابن جريج لأصحابه: لعلكم أنكرتم ما فعلتُ! قالوا: إنا لنُنْكِره بالعراق. قال: فما تقولون في الرَّجز؟ (يعني الحُدَاء) قالوا: لا بأس به. قال: فما الفرق بينهما!.

أحسن الناس حلوقاً في الغناء:

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المَدِينيّ قال:

ثلاثةٌ من المُغنّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقاً: ابن تَيْزن، وابن عائشة، وابن أبي الكَنّات.

---

(١) الإهداء: سوق الحيوان إبلاً أو بقراً أو شاء إلى البيت الحرام هدياً.
(٢) في ب، س: «سليمان».
(٣) كان هذا الاسم يطلق في الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد.
(٤) في أ، حـ،ء، م: «الثاني».

٩٢
٦

صوت

من المائة المختارة

سَقَـانـي فـرَوَّانِـي كُمَيْتـاً مُـدامـةً على ظمـأٍ مني سـلاَمُ بـن مِشْكِـمَ[1]

تخيّـرتُـه أهـلَ المـدينـة واحـداً سِـواهـمْ فلـم أُغْبَـن ولـم أتَنـدّمِ[2]

عروضُه من الطويل. والشعر لأبي سفيان بن حرب. والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفي مولى الأشاعثة[3]، خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.



(١) سيتكلم عنه المؤلف في ترجمة أبي سفيان التي تبتدىء بعد هذه الصفحة.

(٢) ورد هذا البيت في «سيرة ابن هشام» (ج ٢ ص ٥٤٣ طبع أوروبا) هكذا:

إنـي تخيـرت المـدينـة واحـداً لحلـف فلـم أنـدم ولـم أتلـوّم

(٣) الأشاعثة: منسوبون إلى الأشعث بن قيس الكندي الصحابي، نزل الكوفة. ووفد على النبي ﷺ بسبعين رجلاً من كندة فروى عنه وعن عمر رضي الله عنه. ومات بالكوفة في آخر سنة أربعين حين صالح الحسن معاوية رضي الله عنهما فصلى عليه.

[٦/٣٤١]

/ ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه:

هو صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف. وأمُّ حَرب بن أميّة بنتُ أبي هَمْهَمةَ بن عبد العُزّي بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كنانة. وأمّ أبي سفيان صفيّة بنت حَزْن بن بُجَير بن الهُزَم[1] بن رُوَيْبة[2] بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة، وهي عمّة ميمونة أم المؤمنين وأمّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أمّ بني العباس بن عبد المطلب. وقد مضى ذكرُ أكثر أخبارِ ولد أميّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنَابس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم في أوّل هذا الكتاب[3].

وكان حربُ بن أميّة قائدَ بني أميّة ومن مالأهم في يوم عُكاظ. ويقال: إن سبب وفاته أن الجنّ قتلته وقتلت مِرْداسَ بن أبي عامر السُّلَميّ لإحراقهما شجرَ القَرْيَة[4] وازدراعِهما إيّاها. وهذا شيءٌ قد ذكرته العربُ في أشعارها وتواترت الرّوايات بذكره فذكرتُه، والله أعلم.

أراد حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيات فماتا:

أخبرني الطُّوسيّ والحَرَميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي مُصْعَب، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيْد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ:

/ أنّ حربَ بن أميّة لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوتُه مرّ بالقَرْيَة، وهي إذ ذاك غَيْضةُ شجرٍ ملتفٍّ لا يُرام. فقال له مرداسُ بن أبي عامر: أمَا ترى هذا الموضع؟ قال بلى. قال: نِعْم المُزْدَرَعُ هو فهل لك أن تكون شريكين فيه ونحرِّق هذه الغَيْضةَ ثم نَزْدَرِعه بعد ذلك؟ قال نعم. فأضرما النّار في الغَيْضة. فلما استطارت وعلا لَهَبُها سُمع من الغَيْضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بِيضٌ تطير حتى قَطَعتْها وخرجت منها. وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك: [٦/٣٤٢]

إنـي انتخبـتُ لهـا حـربـاً وإخـوتَـه ... إنّـي بحَبْـلٍ وثيـقِ العَقْـد دسّـاسُ

إنـي أُقَـوِّمُ قبـل الأمـر حُجَّتَـه ... كيمـا يقـالَ ولـيُّ الأمـر مِـرداسُ

(١) كذا في «تجريد الأغاني» و«القاموس» و«شرحه» (مادة هزم) و«الاشتقاق» لابن دريد (ص ١٧٨ طبع أوروبا). وفي الأصول: «الهرم» بالراء المهملة وهو تصحيف.

(٢) كذا في حـ و«تجريد الأغاني» و«القاموس» و«شرحه» (مادة هزم) و«طبقات ابن سعد» (ج ٨ ص ٩٤). و«الاشتقاق» لابن دريد (ص ١٧٩ طبع أوروبا). وفي سائر الأصول: «رويتة» وهو تصحيف.

(٣) راجع الجزء الأوّل من هذه الطبعة (ص ١٤).

(٤) القرية: موضع في ديار بني سليم، ذكره البكري في «معجم ما استعجم» (ج ٢ ص ٧٣٥) وساق القصة كما ساقها أبو الفرج هنا.

قال: فسمعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغَيْضَةُ:

ويــلٌ لحــربِ فــارسَــا مُطــاعِنــاً مُخَــالِسَــا
ويــلٌ لعمــرو فــارسـا إذ لبســوا القَــوَانِســا[1]
لَنَقْتُلَـــنْ بقتلِــه جــحـاً جــحـاً عنــابِسـا

ولم يلبث حربُ بن أميّة ومرداسُ بن أبي عامر أن ماتا. فأمّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيّة. ثم ادّعاها بعد ذلك كليبُ بن أبي عَهْمةَ[2] السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ. فقال في ذلك عبّاس بن مرداس:

٩٣/٦ / أكليبُ مالكَ كلَّ يوم ظالماً والظلمُ أنكدُ وجهُه ملعونُ
قد كان قومُك يحسبونك سيّداً وإخال أنّك سيّدٌ معيونُ

[٣٤٣/٦] / ـ المعيونُ: الذي أصابته العين، وقيل: المعيون: الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له ـ:

فإذا رجعتَ إلى نسائك فادّهِنْ إن المُسالِمَ رأسُه مدهونُ
وافعل بقومك ما أراد بوائلٍ يومَ الغديرِ[3] سميُّك المطعونُ
وإخال أنك سوف تلقى مثلَها في صَفْحَتَيْك سِنانُها المسنونُ
إن القُرَيّةَ قد تبيّن أمرُها إن كان ينفع عندك التَّبيينُ
حيث انطلقتَ تخطُّها لي ظالماً وأبو يزيدَ بجوِّها مدفونُ

أبو يزيد: مرداس بن أبي عامر.

منزلته في قريش وفقء عينيه:

وكان أبو سفيان سيّداً من سادات قريش في الجاهليّة ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله ﷺ في حياته وكَهْفاً للمنافقين في أيامه، وأسلم يوم الفَتْح. وله في إسلامه أخبارٌ نذكرها هنا. وكان تاجراً يجهِّز التجار بماله وأموالِ قريش إلى أرض العجم. وشهد مع رسول الله ﷺ مُشَاهَدَةَ الفتح، وفُقِئَتْ عينُه يومَ الطائف[4]، فلم يزل أعْوَرَ إلى يوم اليَرْموك[5]، ففُقِئَت عينُه الأخرى يومئذ فعَمِي.

مازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أم حبيبة:

أخبرنا الطُّوسيّ والحَرَميّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عليّ بن صالح عن جدّي عبدالله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكيّ عن أبي الهيثم عمّن أخبره:

(١) القوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة. وفي «معجم ما استعجم»: «القلانسا».
(٢) في «معجم ما استعجم» للبكري: «كليب بن عيهة». وفيما مر في جميع الأصول (ج ٥ ص ٣٨ من هذه الطبعة) و «النقائض» (ص ٩٠٧ طبع أوروبا): «كليب بن عهمة».
(٣) يشير إلى تحكم كليب في موارد الماء ونفيه بكر بن وائل عنها حتى كاد يقتلهم عطشاً. (راجع الكلام على ذلك مفصلاً في الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ٣٦ ـ ٣٧).
(٤) يعني غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفي فأصاب عينه. (انظر «المواهب اللدنية» ج ٣ ص ٣٩ ـ ٤٠ طبع بولاق).
(٥) اليرموك: واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البحيرة المنتنة. كانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

/ أنّه سمع أبا سفيان يُمازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أُمّ حبيبة ويقول: والله إنْ هو إلا أن تركتُكَ فتركتك [٤٤/٦] العربُ فما انتطحت جمّاء[١] ولا ذاتُ قَرْنٍ، ورسول الله ﷺ يضحك ويقول: «أنت تقول ذاك يا أبا حَنْظَلة!»[٢].

سئل وهو مشرك عن تزوّج بنته برسول الله ﷺ فمدحه:

قال الزبير وحدّثني عمّي مصعب:

أنّ رسول الله ﷺ تزوّج أُمّ حَبِيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذ مُشرِكٌ يحارب رسول الله ﷺ، وقيل له: إن محمداً قد نكح ابنتك؛ فقال: ذلك الفحلُ لا يُقْدَع[٣] أنفُه. واسمُ أمّ حبيبة رملة، وقيل: هند[٤]، والصحيح رملة.

أيضاً رسول الله ﷺ أذنه فعاتبه فأرضاه:

أخبرنا محمد بن العباس اليَزِيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال حدّثنا المدائنيّ عن مَسْلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال:

أذِن رسولُ الله ﷺ يوماً للناس، فأبطأ بإذن أبي سفيان. فلما دخل قال: يا رسولَ الله، ما أذِنْتَ لي حتى كدْتَ تأذَنُ للحجارة. فقال له: يا أبا سفيان «كلُّ الصيد[٥] في جوف الفَرَا».

/ حدّثنا محمد بن العباس قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجاني قال حدّثنا عطاءُ بن مُصْعَب قال حدّثني [٤٥/٦] سفيان بن عُيَيْنة عن جعفر بن يحيى البرمكيّ قال:

أذِن رسول الله ﷺ للناس، فكان آخِرُ من دخل عليه أبا سفيان بن حرب. فقال: يا رسول الله، لقد أذِنْتَ للناس قبلي حتى ظننتُ أن حجارةَ الخَنْدَمة[٦] ليؤذن لها قبلي. فقال رسول الله ﷺ: «أما والله إنّك والناسَ لكما قال الأوّلُ: «كلُّ الصيدِ في بطن الفَرَا»». أيْ كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدك مثل مالهم كلّهم.

خرج إلى الشأم في تجارة، فسأله هرقل عن أحوال النبيّ ﷺ فأجابه وصدقه:

حدّثني عمر بن إسماعيل بن أبي غَيْلان الثَّقفيّ قال حدّثنا داود بن عمرو الضَّبيّ قال / حدّثنا المثنيّ بن زُرْعَة [٩٤/٦] أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزُّهريّ عن عبدالله بن عبدالله عن عُتْبة عن ابن عبّاس قال حدّثني أبو سفيان بن حرب قال[٧]:

---

(١) الجمّاء: الشاة التي لا قرن لها.

(٢) حنظلة: ابن كان لأبي سفيان قتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوم بدر.

(٣) فحل لا يقدع أنفه، أي لا يضرب أنفه، لكرمه. وذلك أن الفحل إذا أراد ركوب الناقة قدع وضرب أنفه بالرمح أو غيره إذا كان غير كريم وحمل عليها فحل كريم غيره. وفي ب، س: «يقرع» بالراء المهملة، وهو بمعنى «يقدع».

(٤) في الأصول: «وقيل صفية». والتصويب عن كتاب «الإصابة في أخبار الصحابة» و «أسد الغابة» و «المواهب اللدنية». وصفية هي أم أم حبيبة وهي صفية بنت أبي العاص.

(٥) هذا مثل يضرب لمن يفضل أقرانه. وأصله أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظبياً والثالث حماراً (وهو الفرا) فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا على الثالث، فقال: «كل الصيد في جوف الفرا» أي هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما. وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي. (انظر «مجمع الأمثال» للميداني ج ٢ ص ٦٩) طبع بولاق.

(٦) الخندمة: جبل بمكة.

(٧) قد وردت هذه القصة في البخاري (ج ١ ص ٤) باختلاف قليل عما هنا.

كُنّا قوماً تِجَاراً، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصَرتْنا[١] حتى نَهكتْ[٢] أموالَنا. فلما كانت الهدنةُ [هدنة الحُدَيْبِيَة][٣] بيننا وبين رسول الله ﷺ، خرجتُ في نفر من قريش إلى الشأم، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزّة، فقدِمناها حين ظهَر هِرَقْلُ على من كان بأرضه من الفرس[٤]، فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبَه الأعظمَ وكانوا قد استلبوه إيّاه. فلما بلَغه ذلك منهم وبلَغه أن صليبَه قد استُنْقِذ منهم، وكانت حمص منزلَه، خرج[٥] منها يمشي على قدميه شكراً لله حين ردّ عليه ما ردّ ليصلّيَ في بيت المقدس تُبسَط له البُسُطُ وتُلْقَى عليها الريّاحين. فلما انتهى [٣٤٦/] إلى / إيلياءَ فقضى فيها صلاتَه وكان معه بطارقتُه وأشرافُ الروم، أصبح ذاتَ غُدْوة مهموماً يقلّب طرفَه إلى السماء. فقال له بطارقتُه: والله لكأنّك أصبحتَ الغداةَ مهموماً. فقال: أجل! رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الختان ظاهر. فقالوا: أيّها الملك، ما نعلَم أمّةً تَخْتَتِن إلا اليهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث إلى كلّ من لك عليه سلطانٌ في بلادك فمُرْه فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدِك منهم من يَهُود واسترِح من هذا الهمّ. فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبّرونه[٦] إذ أتاه رسولُ صاحبِ بُصْرَى[٧] برجلٍ من العرب يقوده ـ وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم ـ فقال: أيها الملك، إن هذا رجلٌ من العرب من أهل الشّاء والإبل يحدِّث عن أمر حدَث فاسأله. فلما انتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى، قال هرقلُ لمن جاء به: سَلْه عن هذا الحديث الذي كان ببلده؛ فسأله، فقال: خرج بين أظهُرنا رجلٌ يزعُم أنه نبيٌّ، وقد اتّبعه ناسٌ فصدّقوه وخالَفه آخَرون، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ في مواطنَ كثيرةٍ، وتركتُهم على ذلك. فلما أخبره الخبرَ قال: جرِّدوه فإذا هو مختونٌ؛ فقال: هذا والله النبيّ الذي رأيت لا ما تقولون، أعطوه ثيابه ويَنْطلق. ثم دعا صاحبَ شُرْطته فقال له: اقلِبِ الشأمَ ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل. فإنّا لَبِغَزّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ قلنا نعم. قال: انطلِقوا إلى الملك، فانطلقوا بنا. فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجلِ الذي بالحجاز؟ قلنا نعم. قال: فأيّكم أمَسُّ به رَحِماً؛ قال: قلت أنا ـ قال أبو سفيان: وأيمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلفِ[٨] (يعني هِرقل) ـ ثم قال: أَدْنِه، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي، وقال: إني سأسأله، فإن كذَب فرُدّوا عليه.

[٣٤٧/] / ـ قال: فوالله لقد علِمتُ أن لو كذَبتُ ما ردّوا عليّ، ولكنّي كنتُ امرأً سيّداً أتبرّم عن الكذب؛ وعرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذَبْتُه أن يَحفظوه عليّ ثم يحدّثوا به عني، فلم أكْذِبه ـ قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يَدّعي ما يَدّعي. فجعلتُ أُزَهِّد له شأنَه وأُصغِّر له أمورَه، وأقول له: أيها الملك، ما يهمّك من شأنه! إنّ أمرَه دون ما بلَغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّي. ثم قال: أَنْبِئْني فيما أسألُك عنه من شأنه. قال: قلت: ٩٥/٦ سَلْ عمّا بدا لك. قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: محضٌ، هو أوْسَطُنا[٩] نسباً. قال: أخبرني هل / كان أحدٌ في أهل

---

(١) كذا في حـ و «تجريد الأغاني». وفي سائر الأصول: «حضرتنا» بالضاد المعجمة وهو تصحيف.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «انهتكت». وهو تحريف.

(٣) زيادة عن «تجريد الأغاني».

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «من فارس».

(٥) في الأصول: «فخرج».

(٦) في حـ و «تجريد الأغاني»: «يديرونه».

(٧) بصرى: بلد من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران.

(٨) الأغلف: الذي لم يختتن.

(٩) أي خيرنا وأفضلنا نسباً.

بيته يقول ما يقول فهو يتشبّه به؟ قال: قلت لا. قال: هل كان له فيكم مُلك فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث لتَرُدّوا عليه مُلكَه؟ قال: قلت لا. قال: أخبرني عن أتباعه منكم من هُمْ؟ قال: قلت: الضعفاءُ والمساكينُ والأحداثُ من الغِلْمان والنساء، فأمّا ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يَتْبعه منهم أحدٌ. قال: فأخبرني عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه ويفارقه؟ قال: قلت: قلّما يتبعه أحدٌ فيفارقه. قال: فأخبرني كيف الحربُ بينكم وبينه؟ قال: قلت: سجالٌ يُدال علينا ونُدَال عليه. قال: فأخبرني هل يَغْدِر؟ فلم أجد شيئاً سألني عنه أغتمِز فيه غيرَها. قال: قلت: لا، ونحن منه في مُدّة[1] ولا نأمَن غدرَه. قال: فوالله ما التفت إليها منّي. ثم كرّر عليّ الحديث فقال: سألتُك عن نسبه فيكم، فزعمتَ أنه محضٌ من أوسطكم نسباً؛ فكذلك يأخذ اللّهُ النبيَّ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً. وسألتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو / يتشبّه به، فزعمتَ أن لا. وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه [٦/٤٨] إيّاه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكَه، فزعمتَ أنْ لا. وسألتُك عن أتباعه، فزعمتَ أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنّساء، وكذلك أتباعُ الأنبياء في كل زمان. وسألتُك عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه ويفارقه، فزعمتَ أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرجُ منه، وسألتُك عن الحرب بينكم وبينه فزعمتَ أنها سِجالٌ تُدَالون عليه ويُدل عليكم، وكذلك حربُ الأنبياء، ولهم تكون العاقِبةُ. وسألتُك هل يَغْدِر، فزعمتَ أن لا. فلئن كنتَ صَدَقتَني عنه فَلَيَغْلِبَنّ عليّ ما تحت قَدَمَيّ هاتين، ولَوَدِدْتُ أنّي عنده فأغسِلُ قدميه! انطلِقْ لشأنك. فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يدَيّ على الأخرى وأقول: يا لعبادِ الله! لقد أمِرَ[2] أمْرُ ابن أبي كَبْشة[3]! أصبحتْ ملوكُ بني الأصفر[4] يَهابُونه في ملكهم وسلطانِهم.

كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل وما كان بين هرقل وبطارقته:

قال ابن إسحاق: فقدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ مع دِحْيَةَ[5] بن خليفة الكلبيّ، فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله (ﷺ) إلى هِرَقْل عظيم الروم. السلامُ على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فأَسْلِم تَسْلَم يُؤْتِك الله أجرَك مرّتين، وإن تتولّ[6] فإن إثمَ الأكابر عليك»[7].

/ قال ابن شهاب: فأخبرني أُسْقُفُ النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله ﷺ [٦/٤٩] وأمرِ هرقل وعَقْله[8]، قال: فلمّا قدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ من قِبَل دِحْيَةَ بن خليفة، أخَذه هرقلُ فجعله بين

---

(١) في مدة: يعني بها مدّة صلح الحديبية. وذلك أن النبي ﷺ ذهب إلى مكة حاجاً فتعرضت له قريش فأوقع بينه وبينهم صلحاً على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يرجع عنهم عامهم هذا. وقيل: يعني بالمدة انقطاعه ﷺ وغيبته عن أبي سفيان. (راجع «شرح القسطلاني» على البخاري ج ١ ص ١٠٠) طبع بولاق.

(٢) أمر: عظم.

(٣) أبو كبشة: رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعري العبور؛ فسمى المشركون النبي ﷺ ابن أبي كبشة لخلافه إياهم إلى عبادة الله تعالى تشبيهاً له بأبي كبشة الذي خالفهم إلى عبادة الشعري. وقال آخرون: أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف جد سيدنا رسول الله ﷺ من قبل أمه فنسب إليه لأنه كان نزع إليه في الشبه. وقيل فيه غير ذلك (راجع «اللسان» مادة كبش).

(٤) بنو الأصفر: لقب ملوك الروم.

(٥) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبي الصحابي المشهور، وهو الذي كان جبريل عليه السلام يأتي في صورته، وكان من أجمل الناس وأحسنهم صورة.

(٦) في «صحيح مسلم» و «البخاري»: «فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين» (هم الفلاحون والزراعون).

(٧) قد ورد هذا الكتاب بإسهاب في البخاري ومسلم فانظره فيهما.

(٨) في الأصول: «... وعقله. فلما قدم عليه....... قال أخذه هرقل»، فوضعت كلمة «قال» في الأصول في غير موضعها.

فخذيه وخاصِرته، ثم كتب إلى رجل برُومِيّة[١] كان يقرأ العبرانيّة ما تقرؤونه، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء منه. فكتب إليه صاحبُ رُومِية: إنه النبيّ الذي كنّا ننتظره لا شكّ فيه، فاتّبِعْه وصدِّقه. قال: فأمر هرقلُ ببطارقة الرّوم فجُمِعُوا له في دَسْكَرة[٢] ملكه، وأمر بها فأغلِقت عليهم أبوابُها، ثم اطّلع عليهم من عِلّيّةٍ وخافهم على نفسه فقال: يا معشر الرّوم، قد جمعتُكم لخبر، أتاني كتابُ هذا الرجل يدعو إلى دينه، فوالله إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره ونجده في كتابنا؛ فهلمّ فلنبايعه ولنصدِّقه فتسلم لنا دنيانا وآخِرتُنا. قال: فنخَرَتِ[٣] الرومُ نَخْرةَ رجلٍ واحد وابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرة / ليخرجوا فوجدوها قد أُغلِقَتْ دونهم. فقال: كُرّوهم عليّ وخافهم على نفسه؛ فكَرُّوهم عليه. فقال: يا معشر الرّوم، إنما قلتُ لكم المقالةَ التي قلتُ لأنظُرَ كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدَث؛ فقد رأيتُ منكم الذي أُسَرّ به؛ فَخرّوا سُجَّداً. وأمر بأبواب الدَّسْكرة ففتحت لهم فانطلقوا.

حديثه مع العباس حين بلغتهما بعثة النبيّ ﷺ وهما باليمن وحديث الحبر اليهودي معهما:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن زكريا الغَلاَبيّ قال حدّثني أبو بكر الهُذَليّ عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال قال لي العبّاس:

خرجتُ في تِجارة إلى رجل في رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب، فقدِمتُ اليمن. فكنتُ أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفَر، ويصنع أبو سفيان يوماً / فيفعل مثل ذلك. فقال لي في يومي الذي كنتُ أصنع فيه: هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وتُرسلَ إلى غدائك؟ فقلتُ: نعم. فانصرفتُ أنا والنَّفَرُ إلى بيته وأرسلت إلى الغداء. فلما تغدّى القوم قاموا واحتبسني فقال لي: هل علمتَ يا أبا الفضل أن ابنَ أخيك يزعمُ أنه رسول الله؟ قلت: وأيُّ بني أخي؟ قال أبو سفيان: إيايَ تكتُم! وأيُّ بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجلٌ واحد! قلت: وأيُّهم هو على ذلك؟ قال: محمد بن عبدالله. قلتُ: ما فعلَ! قال: بلى قد فعل. ثم أخرج إليّ كتاباً من ابنه حَنْظلة بن أبي سفيان: إني أُخبرك أن محمداً قام بالأبطح[٤] غُدْوةً فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله. قال: قلت: يا أبا حنظلة، لعلّه صادق. قال: مهلاً يا أبا الفضل، فوالله ما أُحِبّ أن تقولَ مثلَ هذا، وإني لأخشى أن تكون على بَصَر من هذا الأمر ـ وقال الحسن بن عليّ في روايته: على بصيرة من هذا الحديث ـ ثم قال: يا بَني عبد المطّلب، إنه والله ما بَرِحت قريشٌ تزعُم أن لكم يُمْنةً وشؤمةً كلّ واحدة منهما عامّةٌ، فنشدتُك الله يا أبا الفضل هل سمِعتَ ذلك؟ قلت نعم. قال: فهذه والله إذاً شُؤْمتكم. قلت: فلعلّها يُمنتنا. فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدِم عبدالله بن حُذَافة السَّهْميّ بالخبر وهو مؤمنٌ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها. وكان أبو سفيان يجلس إلى حِبْر من أحبار اليمن؛ فقال له اليهوديّ: ما هذا الخبر الذي بلغني؟ قال: هو ما سمعتَ. قال: أين فيكم عَمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيان: صَدَقوا وأنا عمّه. قال اليهوديّ: أأخو أبيه؟ قال نعم. قال: حَدِّثني عنه. قال: لا تسألْني، فما كنتُ أحسب أن يَدّعي هذا الأمر أبداً، وما أحِبّ أن أعيبَه، وغيرُه خيرٌ منه. قال اليهوديّ: فليس به أذًى، ولا بأس على يهودَ وتوراة موسى منه. قال العباس: فتأدّى إليّ الخبرُ فحَمِيتُ، وخرجتُ حتى أجلسَ

(١) رومية: هي عاصمة ايطاليا الآن.
(٢) الدسكرة: بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم.
(٣) نخر: مدّ الصوت من خياشيمه.
(٤) أبطح مكة: مسيل واديها.

/ إلى ذلك المجلس من غَدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ. فقلت للحبر: بلَغني أنك سألتَ ابن عمّي هذا عن رجل منّا [٦/٣٥١] يزعمُ أنه رسول الله، فأخبرَك أنه عمُّه، وليس بعمّه ولكنّه ابن عمّه، وأنا عمّه أخو أبيه. فقال: أأخو أبيه؟ قلتُ: أخو أبيه. فأقبل على أبي سفيان فقال: أصدَق؟ قال: نَعَمْ صدَق. قال فقلت: سلْني عنه، فإن كذَبتُ فليردد عليّ. فأقبل عليّ فقال: أنشُدُك الله، هل فشَتْ لابن أخيك صَبْوة أو سَفهةٌ؟ قال قلت: لا وإلّه عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان، وإن كان اسمُه عند قريش الأمينَ. قال: فهل كتب بيده؟ قال عبّاس: فظننتُ أنه خيرٌ له أن يكتب بيده، فأردتُ أن أقولها، ثم ذكرتُ مكانَ أبي سفيان وأنّه مُكَذِّبي ورادٌّ عليّ، / فقلت: لا يكتب. فذهب الحبرُ وترك رداءَه وجعل ٩٧/٦ يَصيح: ذُبِحَتْ يهود! قُتِلت يهود!

قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان: يا أبا الفضل، إنّ اليهوديّ لفَزِعٌ من ابن أخيك. قال قلت: قد رأيتَ ما رأيتَ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقًّا كنتَ قد سَبَقت، وإن كان باطلاً فمعك غيرُك من أكفائك؟ قال: لا والله ما أومن به حتى أرى الخيلَ تطلعُ من كَداء (وهو جبل بمكة). قال قلت: ما تقول؟! قال: كلمةٌ والله جاءت على فمي ما ألقيتُ لها بالاً، إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلعُ من كَدَاء. قال العباس: فلما فتح رسول الله ﷺ مكةَ ونظرنا إلى الخيل قد طلَعت من كَداء، قلتُ: يا أبا سفيان، أتذكر الكلمة؟ قال لي: والله إني لذاكرُها، فالحمد لله الذي هداني للإسلام.

حديث استئمان العباس له وإسلامه في غزاة الفتح:

حدّثنا[1] محمد بن جرير الطَّبَريّ قال حدّثنا البَغَويّ[2] قال حدّثنا الغَلَابيّ أبو كُرَيْب / محمد بن العلاء قال [٦/٣٥٢] حدّثنا يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق قال حدّثني الحُسين بن عُبيد الله بن العبّاس عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال:

لمّا نزل رسول الله ﷺ مَرّ[3] الظَّهْرانِ (يعني في غَزَاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة: يا صَبَاحَ[4] قريش! والله لئن بغتَها رسولُ الله ﷺ إنها لهلاكُ قريش آخر الدهر. فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وقال: أخرُج إلى الأراك[5]، لعلّي أرى حطّاباً أو صاحبَ لَبَن أو داخلاً يدخل مكةَ فيُخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيَستأمنونه. فوالله إني لأطوفُ في الأراك ألتمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ صوتَ أبي سفيان وحَكيم[6] بن حِزام وبُدَيْل[7] بن وَرْقاء يتجسّسون الخبرَ عن رسول الله ﷺ؛ فسمعت أبا سفيان وهو يقول:

---

(١) ورد هذا الخبر بسنده في «تاريخ الطبري» (ق ١ ص ١٦٣٠ طبع أوروبا). وقد رواه ابن جرير الطبري عن أبي كريب مباشرة. وهو كثيراً ما يقول في تاريخه: «حدّثنا أبو كريب». فلعل ذكر اسمي البغوي والغلابي هنا من زيادات النساخ.

(٢) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن الحافظ الكبير أبو جعفر الأصم البغوي من شيوخ ابن جرير الطبري توفي ببغداد سنة ٢٤٤ هـ.

(٣) مر الظهران: واد قرب مكة.

(٤) يا صباح كذا ويا صباحاه: مما يستعمل عند الانذار بالغارة.

(٥) الأراك: واد قرب مكة.

(٦) هو حكيم بن خويلد بن عبد العزي الأسدي أبو خالد ابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ. قال ابن إسحاق: أعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين مائة من الإبل، وولد في جوف الكعبة قبل قدوم الفيل بثلاث عشرة سنة.

(٧) هو بديل بن ورقاء بن عبد العزيز بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن بن عدي من خزاعة، وهو الذي كتب إليه رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وهو من كبار مسلمة الفتح.

والله ما رأيتُ كالليلة قطُّ نِيراناً. فقال بُدَيْل بن ورقاء: هذه والله نيرانُ خُزَاعة حَمَشَتها[1] الحربُ. فقال أبو سفيان: خزاعةُ ألأمُ من ذلك وأذَلّ. فعرَفتُ صوتَه فقلت: أبا حنظلةَ! فقال: أبا الفضل! قلت نعم؛ فقال: لبَّيْك، فِداؤك أبي وأمي! فما وراءك؟ فقلت: هذا رسولُ الله ﷺ قد دلَف[2] إليكم بما لا قِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال: فما تأمرني؟ فقلت: تركب عَجُزَ هذه البغلة فأستأمِنُ لك رسولَ الله / ﷺ، فوالله لئن ظفِر بك ليَضْرِبنّ عنُقك. فرَدِفَني فخرجتُ به أَرْكُض بغلةَ رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ. فكلما مررتُ بنار من نِيران المسلمين فنظَروا إليّ قالوا: عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله ﷺ؛ حتى مَرَرْنا بنار عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهدٍ؛ ثم اِشتدّ نحو النبيّ ﷺ، وركَضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان ـ قال العباس: ـ حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبقتُ عمر بما تَسْبِق به الدّابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيءَ. فدخل عمرُ على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن اللّٰهُ منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرِبُ عنقَه. قلت: يا رسول الله، إني قد أجَرْتُه. ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ وأخذتُ برأسه وقلت: والله لا يُناجيه اليومَ / أحدٌ دوني. فلما أكثر فيه عمرُ قلت: مَهْلاً يا عمرا فوالله ما تصنع هذا إلّا لأنّه رجل من عبد مَناف، ولو كان من بني عَدِيّ بن كعب ما قلتَ هذا! قال: مهلاً يا عبّاسُ! فوالله لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلمَ؛ وذلك لأني أعلم أن إسلامَك أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلَم. فقال رسول الله ﷺ: «اذهب فقد أمّنّاه حتى تَغْدوَ به عليّ الغَداةَ» فرجَع به إلى منزله. فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ. فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إلّه إلا الله»! فقال: بأبي أنتَ وأمي! ما أوْصَلَك وأحلَمَك وأكْرَمك! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّي شيئاً. فقال: «ويحك تشهّد بشهادة الحقّ قبلَ والله [أن][3] تُضرَب عنقُك». / قال: فتشهّد. فقال رسول الله ﷺ للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان: «انصرف يا عبّاس فاحْتبِسْه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادي حتى يمرّ عليه جنود الله». فقلت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر، فاجعلْ له شيئاً يكون في قومه. فقال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ ومن دخل المسجد فهو آمنٌ ومن أغلَق عليه بابَه فهو آمنٌ». فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادي، فمرّت عليه القبائل، فجعل يقول: مَنْ هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سُلَيْمٌ، فيقول: مالي ولسُلَيْم! ثم تمرّ به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسْلَم، فيقول: مالي ولأسْلَم! وتمرّ به جُهَيْنة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: جهينة، فيقول: مالي ولجهينة! حتى مرّ رسول الله ﷺ في الخَضْراء، كَتِيبةِ رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرَى منهم إلا الحَدَقُ، فقال: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلتُ: هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك! إنها النبوّة؛ قال: نعم إذاً. فقلتُ الْحَق الآن بقومك فحذِّرْهم. فخرج سريعاً حتى أتى مكةَ فصرَخ في المسجد: يا معشرَ قريش، هذا محمدٌ قد جاءكم بمالاً قِبَل لكم به. قالوا: فَمَهْ! قال: مَنْ دخل داري فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تُغْني عنّا دارُك! قال: ومن دخل المسجدَ فهو آمن ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن.

---

(١) حمش الشيء: جمعه وفلاناً هيجه.
(٢) يقال: دلفت الكتيبة إلى الكتيبة في الحرب أي تقدمت.
(٣) زيادة عن الطبري.

بعض ما أسند إليه من أخبار تدل على عدم إخلاصه:

حدّثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلمةُ بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبدالله بن الزبير قال:

لمّا كان يومُ اليَرْموك خلّفني أبي، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهم، فكانت الرّومُ إذا هزَمَتِ المسلمين قال أبو سفيان: إيه بَني الأصْفَر، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان:

/ وبَنُو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الرّومِ لم يبقَ منهمُ مَذْكورُ [٦/٣٥٥]

فلما فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبي فقال: قاتله الله! يأبَى إلاّ نِفاقاً؛ أوَلَسْنا خيراً له من بني الأصفر! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول: حدِّثهم، فأحدِّثُهم فيَعْجبون من نفاقه.

حدّثني أحمد بن الجَعْد قال حدّثني ابن حميد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال:

دخل أبو سفيان على عثمان بعد / أن كُفّ بصرُه، فقال: هل علينا من عَيْن؟ فقال له عثمانُ: لا. فقال: [٩٩/٦]

حدّثني محمد بن حَيّان الباهليّ قال حدّثنا عمر بن عليّ الفَلّاس قال حدّثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مِغْوَل[1] عن أشعث بن أبي الشَّعْثاء عن مَيْسَرة الهَمْدانيّ عن أبي الأَبْجَر الأكبر قال:

جاء أبو سفيان إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلّها! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلاً ورَجْلاً. فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أبا سفيان، طالما عادَيْتَ اللّهَ ورسولَه ﷺ والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئاً، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزِيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّا ولِي أبو بكر قال:

/ وأضحت قريش بعد عزّ ومَنْعةٍ خُضُوعاً لتَيْمٍ[2] لا بضربِ القواضبِ [٦/٣٥٦]

فيا لهفَ نفسي للذي ظَفِرتُ به وما زال منها فائزاً بالرّغائبِ

وحدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثني محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال:

لمّا ولِي عثمانُ الخلافةَ، دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أُميّة، إن الخلافةَ صارت في تَيْم وعَدِيّ[3] حتى طمِعَتْ فيها، وقد صارت إليكم فتَلقّفوها بينكم تَلَقُّفَ الكُرَة، فوالله ما من جنّة ولا نار ـ هذا أو نحوه ـ فصاح به

(١) كذا في «التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال». وهو مالك بن مغول البجلي أبو عبد الله أحد علماء الكوفة وعبادها توفي سنة تسع وخمسين ومائة. وفي ب، س، حـ: «معول» بالعين المهملة. وفي سائر الأصول: «معاوية» وكلاهما تحريف.

(٢) هو تيم بن مرة بن كعب، وبه سميت القبيلة التي ينسب إليها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه.

(٣) هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، وبه سميت القبيلة التي ينسب إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عثمان: قُمْ عنّي فعل الله بك وفعل. ولأبي سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكرُها، وفيما ذكرتُ منها مَقْنَع[1].

شعره في ابن مشكم حين نزل عليه في غزوة السويق:

والأبياتُ التي فيها الغِناء يقولها في سَلاّم بن مِشْكَم اليهوديّ ويُكنى أبا غُنْم، وكان نزل عليه في غزوة السَّويق، فقَرَاه وأحسن ضيافتَه. فقال أبو سفيان فيه:

سقـاني فـرَوّاني كُمَيْتاً مُـدامـةً ... علـى ظمَـإٍ منّـي سَـلاَمُ بـن مِشْكَـمِ

تخيّـرتُـه أهـلَ المـدينـة واحـداً ... سـواهـم فلـم أُغْبَـن ولـم أتَنَـدَّمِ

فلمّـا تقضّـي الليـلُ قلـتُ ولـم أكـن ... لأُفـرِحَـه أبْشِـرْ بعُـرف ومَغْنَـم

وإنّ أبـا غُنْـم يجـود ودارُه ... بيَثْـرِبَ مـأوى كـلّ أبيـضَ خِضْـرِمِ[2]



(١) الثابت في التاريخ الصحيح أن أبا سفيان أسلم وحسن إسلامه. فلعل هذه الأخبار ونحوها مما كان يفتريه الشيعة على معاوية وآل معاوية للنيل منهم والكيد لهم.

(٢) الخضرم: الجواد الكثير العطية، مشبه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء.

/ ذكر الخبر عن غزوة السّويق ونزول أبي سفيان على سَلّام بن مِشكم

[٦/٣٥٧]

خبره غزوة السويق ونزوله على ابن مشكم:

كانت هذه الغَزَاةُ بعد وقعة بَدْر. وذلك أن أبا سفيان نَذَر ألّا يَمَسَّ رأسه ماء من جَنابة ولا يشربَ خمراً حتى يغزو رسولَ الله ﷺ. فخرج في عِدّة من قومه ولم يصنع شيئاً؛ فعيّرته قريشٌ بذلك وقالوا: إنما خرجتم تشربون السَّوِيقَ[1]؛ فسُمّيت غزوةَ السَّوِيق[2].

حدّثنا محمد بن جرير، قراءته عليه، قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ـ وكان من أعلم الأنصار ـ قال:

كان أبو سفيان حين رجَع إلى مكة ورجَع فَلُّ قريش من بَدْر، نذر ألّا يمسَّ ماءٍ من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ. فخرج في مائتي راكب من قريش ليُبِرّ يمينه، فسلَكَ النَّجدِيّةَ حتى نزل بصدر قَناةٍ إلى / جبل يقال له تيت[3] (من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بَني النَّضِير تحت الليل، فأتى حُيَيّ بن أخطَب بيثْرب فدقّ عليه بابَه فأبى أن يفتح له وخافه؛ وانصرف / إلى سَلّام بن مِشْكم ـ وكان سيّدَ بني النَّضِير في زمانه ذلك وصاحبَ كَنْزهم ـ فاستأذن عليه فأذِن له، فقَراه وسقَاه ونظر له خبرَ الناس. ثم خرج في عقِب ليلته حتى جاء أصحابه؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتَوْا ناحيةً منها يقال لها العُرَيْض، فحرّقوا في أصْوارٍ[4] من نخل لها، أتوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين. فنذِر[5] بهم الناسُ؛ فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى بلغ قَرْقَرة[6] الكُدْر، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه، وقد رأوْا من

[١٠٠/٦] [٦/٣٥٨]

---

(١) السويق: شراب يتخذ من الحنطة والشعير.

(٢) الذي في «السيرة» لابن هشام (ج ٢ ص ٥٤٤): «وإنما سميت غزوة السويق ـ فيما حدّثني أبو عبيدة ـ لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق، فسميت غزوة السويق».

(٣) تيت: ضبط في «القاموس» و «شرحه» كميت (أي بسكون الياء وبتشديدها مكسورة). وضبط في ياقوت بالقلم بتشديد الياء مفتوحة. ومنهم من قال: «تيب» بالتحريك وآخره باء موحدة، جبل قريب من المدينة على سمت الشام، وقد يشدّد وسطه للضرورة. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «القاموس» و «شرحه» مادة تيت).

(٤) كذا في حـ و «السيرة لابن هشام» والطبري (ق ١ ص ١٣٦٥). وقد ورد هذا الخبر في «شرح القاموس» و «اللسان» (مادة صور) و «معجم ياقوت» في الكلام على عريض هكذا: «أن أبا سفيان بعث رجلين من أصحابه فأحرقا صوراً من صيران العريض». والصور: الجماعة من النخل. وقيل: النخل الصغار. وفي سائر الأصول: «فحرقوا أسواراً من نخل» بالسين المهملة وهو تحريف.

(٥) نذر: علم.

(٦) قرقرة الكدر: موضع على ستة أميال من خيبر.

مَزَاوِد القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخفَّفُون منه للنَّجاء. فقال المسلمون حين رجَع بهم رسول الله ﷺ: أنطمَع أن تكون غزوةً، قال «نعم». وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجاً من مكة إلى المدينة أبياتاً من شعر يحرِّض فيها قريشاً فقال:

كُــرّوا علــى يَثْــرِبٍ وجمعِهِــمُ ... فــإنّ مــا جمَّعــوا لكــم نَفَــلُ

إن يــكُ يــومُ القَلِيــب[1] كــان لهــم ... فــإن مــا بعــده لكــم دوَلُ

آليــتُ لا أقــرَبُ النســاءَ ولا ... يَمَــسّ رأســي وجلــديَ الغُسْــلُ

حتــى تُبِيــدوا قبــائلَ الأَوْسِ والـ ... ـخَــزْرَجِ إن الفــؤادَ مُشْتعِــلُ

فأجابه كَعْبُ بن مالك:

يــا لَهْــفَ أمّ المسبِّحِيــنَ[2] علــى ... جيــش ابــن حــرب بــالحَــرّة الفَشِــلِ[3]

[٣٥٩/٦] / أتطــرحــون الــرجــال مــن سَنَــم الــظَّــهــر تَــرَقَّــى فــي قُنّــة الجبــلِ

جــاءوا بجَمْــعٍ لــو قِيــس منــزلُــه ... مــا كــان إلا كمُعْــرَس الــدُّئِــلِ[4]

عــارٍ مــن النصــر والثــراءِ ومــن ... نَجْــدة أهــل البَطْحــاء والأَسَــلِ

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثنا سليمان بن سعد عن الواقِديّ: أن غَزْوة السَّوِيق كانت في ذي القعدة من سنة ثِنْتين من الهجرة.

اشتد قيس بن الخطيم على حسان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسان:

حدّثني عمّي قال حدّثنا الحارث بن أبي أُسَامة قال حدّثنا ابن سعد عن الواقديّ عن أبي الزِّناد عن عبدالله بن الحارث قال:

شرِب حسّان بن ثابت يوماً مع سَلّام بن مِشْكم، وكان له نديماً، معهم كعبُ بن أسد وعبدالله بن أُبَيّ وقيسُ بن الخَطيم؛ فأسرع الشرابُ فيهم وكانوا في مُوادَعةٍ وقد وضعت الحربُ أوزارَها بينهم. فقال قيس بن الخطيم لحسّان: تَعالَ أُشارِبْك؛ فتشاربا في إناء عظيم فأبقى حسّانُ من الإناء شيئاً؛ فقال له قيس: اشرب. فقال حَسّان وعرَف الشرّ في وجهه: أو خَيْراً من ذلك أجعلُ لك الغَلَبَة. قال: لا! إلاّ أن تشربه؛ فأبى حسّان. وقال له سَلّام بن مِشْكم: يا أبا يزيد، لا تُكْرِهه على ما لا يَشْتهي، إنما دعوتَه لإكرامه ولم تَدْعُه لتَسْتخِفّ به وتُسيءَ مجالستَه. فقال له قيس: أفتدعوني أنت على أن تُسِيء مجالستي! فقال له سَلّام: ما في هذا سوءُ مجالسة، وما حملتُ عليك إلاّ لأنك منّي وأني حليفك، وليست / عليك غضاضةٌ في هذا، وهذا رجلٌ من الخَزْرَج قد أكرمتُه وأدخلتُه منزلي؛ فيجب أن تُكرم [١٠١/٦]

(١) هو قليب بدر (انظر الكلام عليه في غزوة بدر في هذا الكتاب ج ٤ ص ١٧٠ من هذه الطبعة).

(٢) كذا في الطبري وابن الأثير. وفي الأصول: «المسجيين».

(٣) الفشل: الضعيف الجبان.

(٤) المعرس: الموضع الذي يعرس فيه (ينزل). والدئل: دويبة كالثعلب، وقيل: هي شبيهة بابن عرس. وفي الطبري (ق ١ ص ١٣٦٦): «كمفحص الدئل».

لي من أكرمتُه. ولعمري / إن في الصحو لَما تَكْتَفُون به من حرويكم؛ فافترقوا. وآلى سَلاَمُ بن مِشْكم على نفسه ألاّ [٦/ ٣٦٠] يشرب سنةً؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً.

صوت

من المائة المختارة

مَــنْ مُبلــغ عنّــي أبــا كــامــلٍ أنّــي إذا مــا غــاب كــالهــامِــل
قــد زادنــي شــوقــاً إلــى قــربــه مَــعْ مــا بــدا مــن رأيــه الفــاضِــل

الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لأبي كامل. ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَش أن لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

انتهى الجزء السادس من كتاب الأغاني
ويليه الجزء السابع
وأوّله أخبار الوليد بن يزيد ونسبه





الموضوع الصفحة